ذخائر العرب

٧

طبقات فحول الشعراء

تأليف

محمد بن سلّام الجمحي

١٣٩-٢٣١ هجرية

شرحه

محمود محمد شاكر

دار المعارف للطباعة والنشر

طبقات فحول الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — [.... وأخبرنا أبو القاسم سليمٰن بن أحمد بن أيّوب الطَّبَرانى ، قال : قرئَ على الفضل بن الُحباب وأنا أسمع ..... أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن أَسِيد ، قال : قرئ على القاضى ..... الُجمَحِىّ أبو خليفة ، قال محمد بن سَلَّام الجمحى :

* * *

٢ — ذكرنا العرب وأشعارَها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفُرْسانها وأشرافها وأيّامها ، إذ كان لا [يُحاطُ] بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب ، وكذلك فرسانها وساداتها وأيّامها ، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهلُهُ عالم ، ولا يستغنى عن علمه ناظِرٌ فى أمر العربِ ، فبدأنا بالشعر (١) .

* * *

٣ — وفى الشعر المسموع مفتعَلٌ موضوعٌ كثيرٌ لا خير فيه ، ولا حُجَّة فى عربيَّته ، ولا أدبٌ يستفاد ، ولا معنى يستخرج ، ولا مثلٌ يضرب ،

---

(١) ما بعد هذا كلام معترض حتى تصل إلى رقم ٢٥ . فهو اعتراض باعد بين طرفى الكلام . وهكذا دأب ابن سلام .

ولا مديحٌ رائع ، ولا هجاءٌ مقذعٌ(١) ، ولا فخرٌ مُعْجِب ، ولا نسيبٌ مستطرَف . وقد تداوله قومٌ من كتابٍ إلى كتابٍ ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يَعْرِضوه على العلماء . وليس لأحدٍ — إذا أجمع أهلُ العلم والرواية الصحيحة على إبطال [شيء منه] — أن يقبل من صحيفة ولا يروِىَ عن صُحُفِىٍّ(٢) .

وقد اختلفت العلماءُ فى بعض الشعرِ، كما اختلفت فى بعض الأشياء ، أمّا ما اتفقوا عليه ، فَلَيس لأحد أن يخرج مِنْه] .

٤ — وللشعر صِناعة وثَقافةٌ يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما تَثْقَفُه العين ، ومنها ما تَثْقَفُه الأذن ، ومنها ما تَثْقَفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان(٣) .

من ذلك اللؤلؤ والياقوت ، لا يُعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يُبْصِره(٤) . ومن ذلك الجَهْبَذَةُ بالدينار والدرهم(٥) ، لا تعرف جودتهما

(١) قذعه قذعاً ، وأقذعه ، وأقذع له إقذاعاً : رماه بالفحش والخنى وأساء القول فيه . وفى حديث بريدة الأسلمى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال فى الإسلام شعراً مقذعاً فلسانه هدر » . وفى الحديث : « من روى هجاء مقذعاً فهو أحد الشاتمين » . وهو الذى فيه فحش وقذف يأثم قائله وراويه .

وروى صاحب العمدة ٢ : ١٦٢ عن محمد بن سلام الجمحى عن يونس بن حبيب أنه قال : «أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ، وهو الإقذاع عندهم» ؛ أى عند العرب . وذلك لغيرتهم على أحسابهم ، فاشتد أمر التفضيل عليهم ، حتى بلغ عندهم مرتبة القذف الصريح .

(٢) الصحفى : الذى يأخذ عن صحيفة ، لم يعرض على العلماء ، ولم يتلق علمه بالرواية .

(٣) الثقافة : الحذق والإتقان وضبط الأصول ، والمعرفة بجيد الشىء ورديئه وإقامة ما يعرفه على أحسن وجوهه . ثقف الشىء يثقفه ثقفاً : حذقه وأتقنه ، وكان سريع الفهم لجيده ورديئه .

(٤) من البصر : وهو العلم وإدراك كنه الشىء . يقال هو بصير بالأشياء : عالم بها مدرك لحقيقتها .

(٥) الجهبذة : أراد بها هنا نقد الزيوف والصحاح من الدنانير والدراهم .

بلون ولا مَسّ ولا طِراز ولا [وَسْمٍ] ولا صفة[١] ، ويعرفه الناقد عند المعاينة ، فيعرف بَهْرَجها وزائفها وسَتُّوقها ومُفْرَغها[٢] . ومنه البصر بغريب النخل ، والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده ، [مَعَ] تشابه لونه ومَسّه وذَرْعه ، حتى يضاف كل صنف إلى بلده الذى خرج منه .

وكذلك بَصَرُ الرقيق ؛ فتوصف الجارية فيقال : ناصعةُ اللون ، جيِّدة الشَّطْب[٣] ، نَقِيَّةُ الثَّغْر ، حسنة العين والأنف ، جيّدَة النُّهُود ، ظريفةُ اللسان ، وارِدة الشَّعَر[٤] ، فتكون فى هذه الصفة بمئة دينار وبمئتى دينار ؛ وتكون أخرى بألف دينار وأكثر ، لا يجد واصفها مزيدًا على هذه الصفة .

[وتوصف الدابة[٥] فيقال : خفيف العِنان ، لين العظام ، شديد الحافر ، فتىّ السنّ ، نقىّ من العيوب ، فيكون بخمسين دينارًا أو نحوها ؛ وتكون أخرى بمئتى دينار وأكثر ، وتكون هذه صفتها .

ويقال للرجل والمرأة ، فى القراءة والغناء : إنّه لندىّ الصوت والحلق ، طَلّ الصوت[٦] ، طويل النَّفَس ، مصيب اللحْن . ويوصف الآخر بهذه

---

(١) الطراز : هو فى الأصل التقدير المستوى : يعنى صيغة الدينار والدرهم . والوسم : ما يسك عليه من صورة أو نقش أو كتابة .

(٢) البهرج : الردىء الفضة ، فيبطل ويرد . والستوق : إذا كان من ثلاث طبقات ، فيرد ويطرح . والمفرغ : المصمت المصبوب فى قالب ليس بمضروب .

(٣) الشطب هنا من قولهم : شطب الأديم : قده طولا ، وشطب السنام : قطعه قدداً لا تفصل . وعنى به اعتدال القد وطوله ، وانتبار المتن والكفل وسمنهما . وفى اللغة ، جارية شطبة : طويلة حسنة الخلق تارة غضة .

(٤) شعر وارد : مسترسل حسن النبت طويل يرد كفل المرأة .

(٥) الدابة : للذكر والأنثى سواء .

(٦) ندى الصوت : بعيده ممدوده . وطل الصوت : حسنه عذبه ناعمه بهيج النغمة ، كأنه صوت طل يهمى .

الصفة ، وبينهما بَوْن بعيدٌ . يعرفُ ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له ، بلا صفة يُنْتَهَى إليها ، ولا علم يوقف عليه] . وإن كثرة المدارسة لتُعْدِى(١) على العلم [به . فكذلك الشعر ، يعرفُه أهل العلم به] .

٥ — قال محمد : قال خلاد بن يزيد الباهلى لخلف بن حَيَّان أبى مُحْرِز(٢) — وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله — : بأى شىء تردُّ هذه الأشعار التى تُرْوَى ؟ قال له : هل [فيها ما] تعلم أنت أنه مصنوع لا خير فيه ؟ قال : نعم . قال : قال : أفتعلم فى الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال : نعم . قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت .

٦ — وقال قائل لخلف : إذا سمعتُ أنا بالشعر أستحسنُهُ فما أبالى ما قلتَ فيه أنت وأصحابك . قال له : إذا أخذتَ أنت درهماً فاستحسنته ، فقال لك الصَّرَّاف إنه ردىء ، هل ينفعك استحسانُك له ؟(٣)

* * *

٧ — وكان ممن أفسد الشعر وهجَّنَهُ وحمل كل غُثاء منه(٤) ، محمد بن

---

(١) أعداه على الشىء وآداه : قواه وأعانه عليه . قال يزيد بن خذاق :

ولقد أضاء لك الطريق ، وأنهجت سبل المكارم ، والهدى يُعْدى

أى إبصارك هدى الطريق ، يقويك على الطريق ويعينك .

(٢) محمد ، هو ابن سلام . وخلاد ، هو خلاد الأرقط ، بصرى . مات سنة ٢٢٠ ، وقيل ٢١٧ وقيل ٢١٢ (ميزان الاعتدال ١ : ٣٠٨) . وخلف ، هو خلف الأحمر توفى فى حدود سنة ١٨٠ ، انظر ترجمته ومراجعها فى إنباه الرواة ١ : ٣٤٨ .

(٣) من الفقرة رقم ٧ إلى الفقرة ٢٤ ، فصل فيه استطراد ، عن منحول الشعر ، وعن طبقات النحاة .

(٤) هجن الشىء : أى قبحه وأدخل عليه آفة تعيبه . والهجين : الذى أبوه عربى وأمه أمة يعيبه نسب أمه . والغثاء : ما يحمله السيل من الزبد وورق الشجر البالى ، فهو ساقط لا خير فيه .

إسحاق بن يَسَار — مَوْلى آل مَخْرمة بن المطلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسير . [قال الزهرى[١] : لا يزال فى الناس علمٌ ما بقى مولى آلِ مخرمة ، وكان أكثرعلمه بالمغازى والسِّيَر وغيرذلك] — فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لى بالشعر ، أُوتَى به فأحمله . ولم يكن ذلك له عذرًا . فكتب فى السير أشعارَ الرجال الذين لم يقولوا شعرًا قط، وأشعارَ النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمودَ، [فكتب لهم أشعارًا كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلامٌ مؤلّف معقود بقَوافٍ] . أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أدَّاه منذ آلاف من السنين ، [والله تبارك وتعالى يقول : « فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا » (سورة الأنعام : ٤٥) ، أى لا بقيَّةَ لهُمْ . وقال أيضاً] : « وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عادًا الأُولَى . وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى » (سورة النجم : ٥٠–٥١) وقال فى عاد : « فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ » (سورة الحاقة : ٨) [وقال : « وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا » (سورة الفرقان : ٣٨)] وقال : « أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ » (سورة إبرهيم : ٩)

٨ — قال يونس بن حبيب[٢] أول من تكلم بالعربية [ونسى لسان أبيه] إسماعيل بن إبراهيم [صلوات الله عليهما] .

---

(١) الزهرى : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشى الزهرى ، إمام أهل الحديث، وعالم الحجاز والشام ، جليل القدر . أول من أثل علم الحديث . اختلف فى مولده ما بين سنة ٥٠ — ٥٨ ، وتوفى فى رمضان سنة ١٢٣ أو ١٢٤ أو ١٢٥ ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

(٢) يونس بن حبيب الضبى ولاء، من شيوخ النحو، بصرى . قارب التسعين ولم يتزوج ولم يتسر ، مات فى خلافة هارون الرشيد سنة ١٨٢ ، أو ١٨٣ .

وأخبرنى مِسْمَع بن عَبْد الملك(١) أنه سمع محمد بن على(٢) يقول — قال أبو عبد الله [بن سلام] لا أدرى أرفعه أم لا ، وأظنه قد(٣) رفعه — : أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم [صلوات الله عليهما] .

وأخبرنى يونس عن أبى عمرو [بن العلاء] قال : العرب كلها ولد إسماعيل إلا حِمْيَر وبقايا جُرْهُم . وكذلك يروى أن [إسماعيل بن] إبراهيم جاورهم وأصْهَرَ إليهم .

ولكن العربية التى عنى محمد بن على ، اللسانُ الذى نزل به القرآن ، [وما تكلمت به العربُ على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا .

٩ — ولم يجاوز أبناء نزار فى أنسابهم وأشعارهم عَدْنان ، اقتصروا على مَعَدٍّ . ولم يذكر عدنانَ جاهلىٌّ قط غير لَبيد بن رَبيعة الكلابى ، فى بيت واحدٍ قاله ، قال :

فإن لم تجدْ من دون عدنانَ والدًا ... ودونَ مَعَدٍّ ، فَلْتَزَعْكَ العواذِلُ(٤)

---

(١) مسمع بن عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع بن شهاب بن قلع بن عمرو بن عباد بن جحدر بن ضبيعة بن قيس ، من بنى بكر بن وائل ، ويلقب كردين . وسيأتى ذكره . انظر جمهرة الأنساب : ٣٠١ ، والموشح : ١١٨ ، والمعارف : ٢١٤ .

(٢) محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، أبو جعفر الباقر ، ولد سنة ٦٠ ومات سنة ١١٨ .

(٣) رفع الحديث : أضافه إلى النبى صلى الله عليه وسلم خاصة .

(٤) ديوانه ٢ : ٢٨ ، وسيبويه ١ : ٣٤ . وزعه عن الشىء يزعه : كفه . والعواذل : من العذل ، وهو اللوم والزجر . يريد زواجر الدهر ، وهى أحداثه وعبره . يقول : انظر فى آبائك ، فإن رأيت منهم باقياً ، فاطمع فى الخلود ، وإلا فحسبك بفنائهم زاجراً لك وواعظاً ، فاقطع أملك ، وتزود لما بعد الموت زاداً .

وقد روى لعباس بن مِرْداس بيت فى عدنان ، قال :

وعكّ بن عدنان الذين تلعّبُوا بمَذْحِجَ ،حتى طُرِّدوا كل مَطْرَدِ(١)

والبيت مُرِيبٌ عند أبى عبد الله(٢) — فما فوق عدنان ، أسماءٌ لم تؤخذ إلَّا عن الكتب ، والله أعلم بها ، لم يذكرها عربىٌّ قطُّ . وإنما كان معدٌّ بإزاء موسى بن عمران صلى الله عليه ، أو قبله قليلاً . وبين موسى وعادٍ وثمود ، الدهرُ الطويل والأمدُ البعيدُ .

فنحنُ لا نقيمُ فى النسب ما فوق عدنان ، ولا نجد لأوّليّة العرب المعروفين شعرًا(٣) ، فكيف بعادٍ وثمود . فهذا الكلامُ الواهنُ الخبيث ؛ ولم يرو قطُّ عربىٌّ منها بيتًا واحدًا ، ولا راوية للشعر ، مع ضعف أَسْره وقلة طُلَاوته(٤)] .

١٠ — وقال أبو عمرو بن العلاء [فى ذلك] : ما لسان حمير وأقاصى اليمن. [اليوم] بلساننا ولا عربيَّتهم بعربيتنا [فكيف بما على عهد عادٍ وثمود، مع تداعيه ووَهْيِه؟ فلو كانَ الشعر مثل ما وُضِع لابن إسحاق، ومثل ما رواه الصُّحُفِيُّون ، ما كانت إليه حاجة ، ولا فيهِ دليل على علم] .

---

(١) الخلاف فى أمر عك بن عدنان طويل ، وانظر جمهرة الأنساب : ٨ ، وابن هشام ١ : ٨ — ١٠ والبيت فى ابن هشام « الذين تلقبوا بغسان » .

(٢) أبو عبد الله يعنى ابن سلام ، وهذا من كلام أبى خليفة راوى الطبقات .

(٣) الأولية : يعنى الأوائل القدماء . وبهذا المعنى جاء فى شعرهم .

(٤) الأسر : شدة الخلق والبناء . والطلاوة : الحسن والبهجة والقبول والرونق .

١١ — وكان لأهل البصرة فى العربية قُدْمَة[١]، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية .

وكان أول من استَنَّ العربية، وفَتَح بابها، وأَنْهَجَ سبيلَها، ووَضع قياسَها[٢]، أبو الأَسْود الدُّؤَلىّ — وهو ظالم بن عمرو بن سفيان [بن عمرو ابن جندل بن يَعْمَر بن نُفاثة بن حِلْس بن ثعلبة بن عدىّ بن الدُّئِل]، وكان رجل أهل البصرة، وكان عَلَوىَّ الرأى — [وكان يونس يقول]: هم ثلاثة، الدُّول: من حَنيفة [ساكنةَ الواو]، والدِّيلُ: فى عَبْد القيس، [ساكنة الياء]، والدُّئِل: فى كنانة [بكسر الياء وهَمْزِها]، رهطُ أبى الأسود — وإنما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب، فغلبت السليقة [ولم تكن نحوية]، فكان سَرَاة الناس يلحنون [ووجوه الناس][٣]، فوضع باب الفاعل، والمفعول به، والمضاف، وحروف الجرّ والرفع والنصب والجزم .

١٢ — وكان ممن أخذ ذلك عنه يحيى بن يَعْمَر، وهو رجل من عَدْوَان، وعِدَاده فى بنى ليث، وكان مأمونًا عالما، روَى عنه الفقه. [روى] عن ابن عُمر وابن عبّاس، وروى عنه قَتَادة، وإسْحاق بن سُوَيْد، وغيرهما من العلماء

---

(١) يقال له فى الأمر قدم وقدمة: أى تقدم وسبق، وأثر حسن يقدمه فى إصلاحه .

(٢) السنة: هى الطريق يسنه أوائل الناس، فيصير مسلكاً لمن بعدهم. وسن طريقاً واستنه: ابتدأ أمراً لم يعرفه قومه، فسلكوه. والنهج: الطريق الواضح. ونهج الطريق وأنهجه: بينه ووضحه، فجعله نهجاً .

(٣) السراة جمع سرى، على غير قياس. وهم أهل الشرف والسخاء والمروءة .

وأخذ ذلك عنه أيضًا مَيْمُون الأَقْرَن ، وعَنْبَسَةُ الفِيل ، ونَصْر بن عاصم اللَّيْثى ، وغيرهم .

١٣ — قال ابن سلّام : أخبرنى يونس بن حبيب ، قال : قال الحجّاج لابن يَعْمَر : أتسمعنى ألحن ؟ قال : الأميرُ أفصح الناس — قال يونس وكذلك كان ، [ولم يكن صاحب شعر] — قال : [عزمتُ عليك]، أتسمعنى ألحن ؟ قال : حرفًا . قال : أين ؟ قال : فى القرآن . قال : ذلك أشنعُ له ! فما هو ؟ قال : تقول : « قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ » (سورة التوبة : ٢٤) قرأها بالرفع ، كأنه لما طال عليه الكلامُ نسِىَ ما ابتدأ به . [والوجهُ أن يقرأ : « أحبَّ إليكم » بالنصب على خبر كانَ وفعلها] . قال يونُس : فقال له الحجاج : لا جَرَمَ[1] ، لا تسمعُ لى لحنًا أبدًا . فألحقه بخراسان ، وعليها يزيد بن المهلَّب .

وأخبرنى أبى قال : كتبَ يزيدُ بن المهلَّب إلى الحجَّاج : « إنَّا لَقِينا العدُوَّ ففعلنا ، واضطررناهم إلى عُرْعُرَةِ الجَبَلِ[2] » . فقال الحجاج : ما لابنِ المهلَّب ولهذا الكلام ؟ فقيل له : إنّ ابن يعمرَ هناك . فقال : فذاك إذًا !

---

(١) لا جرم : كلمة تدور فى الكلام ، كانت فى الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة ، فلما جرت على الألسنة وكثرت ، تحولت إلى معنى القسم ، وصارت بمنزلة « حقاً » ، فلذلك يجاب عنها باللام ، كما يجاب بها عن القسم ، يقولون : لا جرم لآتينك .

(٢) عرعرة كل شىء : رأسه وأعلاه .

١٤ — ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبى إسحاق الحَضْرَمى، فكان أول من بَعَجَ النحو، ومدَّ القياسَ والعِلَل[١]. وكان معه أبو عمرو بن العلاء، وبقى بعده بقاء طويلا. وكان ابن أبى إسحاق أشدَّ تجريدًا للقياس[٢]، وكان أبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها [وغريبها]. وكان بِلال ابن أبى بُرْدة جمع بينهما بالبصرة — وهو يومئذ والٍ عليها، ولاّه خالد بن عبد الله القَسْرى، زمن هشام بن عبد الملك — [قال أبو عبد الله]: قال يونس: قال أبو عمرو: فَغَلَبَنى ابن أبى إسحاق بالهمز، فنظرتُ فيه بعد ذلك وبالغتُ فيه.

وكان عيسى بن عمر أخذ عن ابن أبى إسحاق، وأخذ يونس عن أبى عمرو بن العلاء، وكان معهما مَسْلَمة بن عَبد الله بن سعد بن مُحارِب الفِهْرى[٣]، وكان ابن أبى إسحاق خَالَهُ، وكان حمّاد بن الزِّبْرِقان ويونس يفضِّلانه.

وسمعتُ أبى يسأل يونس عن ابن أبى إسحاق وعلمه قال: هو والنحو سَواء. [أى] هو الغاية. قال: فأين علمُه من علم الناس اليوم؟ قال: لو كان فى الناس اليوم مَنْ لا يعلمُ إلا علمَه [يومئذ] لضُحِك به، ولو كان فيهم من له

---

(١) بعج بطنه بالسكين: شقه شقاً واسعاً. ومنه حديث عبد الله بن عمر: «إذا رأيت مكة قد بعجت كظائم، وساوى بناؤها رؤوس الجبال، فاعلم أن الأمر قد أظلك، فخذ حذرك». والكظائم: القنوات الممدودة بين الآبار. وبعج النحو: شقه ووسعه. ومد القياس والعلل: وسع أصول قياس العربية وأحكامها، وبين علل النحو.

(٢) أشد تجريداً القياس: أى أشد معرفة بحقائقه، واجتهاداً فى ضبطه.

(٣) ترجمته فى طبقات القراء ٢: ٢٩٨، ولسان الميزان.

ذِهْنُه ونَفَاذُه ، [ونَظَرَ نَظَرَهُمْ] ، كانَ أعلم الناس[١] .

١٥ — قال وقلت ليونس : هل سمعت من ابن أبى إسحاق شيئاً ؟ قال : قلت له : هل يقول أحدٌ الصَّوِيق ؟ يعنى السَّوِيق[٢] . قال : نعم ، عمرُو بن تَميمٍ تقولُها . وما تُرِيد إلى هـذا ؟ عليك بباب من النحو يطَّرِدُ وَيَنْقَاس .

١٦ — قال وسمعت يونُس يقول : لو كان أحدٌ ينبغى أن يؤخذ بقوله كلِّه فى شىء واحدٍ ، كان ينبغى لقول أبى عمرو بن العلاء فى العربية أن يؤخذ كلُّه ، ولـكِنْ ليس أحدٌ إلا وأنتَ آخذٌ من قوله وتاركٌ .

١٧ — قال : فأُخِذَ على الفرزدق شىء فى شعره فقال : أين هذا الذى يجرُّ [فى المسجد] خُصْيَيْه ولا يُصْلِحُه ؟ يعنى ابن أبى إسحاق[٣] .

١٨ — أخبرَنى يُونس : أن أبا عمرو بن العلاء كان أشَدَّ تسليماً للعرب ، وكان ابن أبى إسحاق وعيسى بن عُمَر يَطْعُنان عليهم . وكان عِيسَى يقولُ : أساء النَّابغة فى قوله [حيث يقول] :

[فَبِتُّ كأنى ساوَرَتْنِى ضئيلةٌ من الرُّقْشِ] فى أنيابها السَّم ناقعُ[٤]

---

(١) النظر: هو فى الأصل التأمل ، ثم اصطلحوا على أنه : ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدى إلى معرفة ما ليس بمعلوم . أو هو البحث ، وجعلوه أعم من القياس . يقول : لو كان فيهم من جمع إلى ذكاء الأوائل وبصرهم ، بحث المتأخرين ونظرهم ، كان أعلم الناس .

(٢) السويق : يتخذ من الحنطة والشعير ، يكون طعاماً ، ويكون ثريداً ، ويجعل شراباً يخلط بالماء ويحلى ويضرب .

(٣) سيأتى خبر العداوة بين الفرزدق وابن أبى إسحاق بعد قليل فى رقم ١٩ وما بعدها .

(٤) ساورته : واثبته . والضئيلة : الحية التى كبرت فدقت واشتد سمها ، والرقشاء : ذات النقط السود . والناقع : المجتمع فى أنيابها ، فهو قاتل بالغ الشدة . والبيت فى سيبويه ١ : ٢٦١ .

يقولُ : موضعها « ناقعاً » . وكان يختار السَّمّ والشَّهْد، وهى عُلْوِيَّة[1] .

١٩ — وأخبرنى يونس ، أنَّ ابن أبى إسحاق قال للفرزدق فى مديحه يزيد بن عبد الملك :

مُسْتَقْبِلينَ شَمالَ الشَّأْمِ — تَضْرِبُنا بحاصِبٍ كنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ

عَلَى عَمَائِمنَا يُلقَى وأرْحُلِنا — عَلَى زَوَاحِفَ تُزْجَى، مُخُّها رِيرِ[2]

قال ابن أبى إسحاق : أسأتَ ، إنما هى ريرُ ، وكذلك قِياس النحو فى هذا الموضع . وقال يونس : والذى قال جائز حسن[3] . فلما ألحوا على الفرزدق قال : «[عَلَى] زَوَاحِفَ نُزْجِيها مَحَاسِيرِ» . قال: ثم ترك الناس هذا ورجعوا إلى القول الأول .

---

(١) العالية : كل ما كان جهة نجد ، من أرض الحجاز ، وأهلها فصحاء العرب . والنسبة إليها علوى على غير قياس . وأنشد الجاحظ فى البيان ١ : ١٦٧ .

فإن فى المجد هِمَّاتى ، وفى لغتى علوية ، ولسانى غير لحَّان

(٢) من قصيدة فى ديوانه : ٢٦٢ ، والخزانة ١ : ١١٥ .
الشمال : الريح الباردة ، وتأتى من قبل الشام . والحاصب : ما تناثر من دقاق البرد والثلج ، شبهه بالقطن المندوف تلقيه الشمال على عمائهم ورحالهم . والزواحف : الإبل التى أعيت وأنضاها السفر ، فهى تزحف من الكلال ، تجر قوائمها . أزجى الدابة ساقها سوقاً رفيقاً لتلحق رفاقها . يقول : نسوقها سوقاً ليناً إبقاء عليها حتى تبلغنا غايتنا . وفى الموشح : ٩٩ فى خلال هذا الخبر قال : [قال الفضل (يعنى أبا خليفة راوى الطبقات) قال التوزى : يقال رير ورار ، وهو المخ الرقيق . وكيح الجبل وكاح الجبل أسفله . وقيد رمح وقاد رمح] . ومخها رير : أى جهدها السير حتى أنضاها الهزال ، فدق عظمها ورق جلدها وذاب مخ عظامها . وقوله على زواحف إلخ متعلق بقوله « مستقبلين شمال الشأم » ، وما بينهما حال معترضة .

(٣) يعنى قول الفرزدق ، لا قول ابن أبى إسحاق . وتفسير ذلك فى العربية « على زواحف رير مخها ، تزجى» . واختلفت الرواية عن الفرزدق ، فقد رووا أنه أبى من قول ابن إسحاق وأنكره ، وأقام على الذى قال ، ولم يبال بقياسه ونحوه . وحق له .

٢٠ — وكان يُكثر الردَّ على الفرزدق ، فقال فيه الفرزدق :

فلوْ كان عبدُ اللهِ موْلًى هجوْتُهُ ، ولكنَّ عبدَ اللهِ مَوْلَى مَوَالِيَا

ردَّ الياء على الأصل . وهى أبيات(١) ، ولو كان هذا البيت [وحده] تركه ساكنًا .

وكان مولى آل الحضرمىّ(٢) ، وهم حلفاء بنى عبد شمس بن عبد مناف . والحليفُ عند العرب مولًى ؛ من ذلك قول الرّاعى ، [يريد غنيًّا ، وهم حُلفاؤُهم] :(٣)

جَزَى اللهُ مَوْلانا غَنِيًّا ملامةً [شِرَارَ موالِى عامرٍ فى العَزائِمِ](٤)

وقال الأخطل :

أَتَشْتِمُ قوماً أَثَّلوكَ بنَهْشَلٍ ولولاهُمُ كنتمْ كَعُكْلٍ مَوَالِيَا ؟(٥)

---

(١) لم أجدها فى ديوانه ولا فى غيره بعد .

(٢) الحضرمى : هو عبد الله بن عماد بن أكبر ، من الصدف ، من كندة . والد العلاء بن الحضرمى ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواليه على البحرين .

(٣) يعنى أنهم حلفاء بنى نمير بن عامر بن صعصعة رهط الراعى . وعامر ، فى الشعر ، بنو عامر بن صعصعة .

(٤) فى العزائم : أى فى ساعة العزائم ، يعنى الحرب وما ينبغى فيها من الصبر والعزيمة والجد .

(٥) من قصيدة فى ديوانه : ٦٦ .
أثله : أصل مجده وبناه . وذلك أن جريراً من بنى كليب بن يربوع بن حنظلة ، وكليب أخو نهشل بن دارم بن حنظلة من أمه ، أمهما رقاش بنت شهبرة بن قيس بن مالك . ونهشل بن دارم هذا أخو مجاشع بن دارم بن حنظلة — رهط الفرزدق . وأما أم مجاشع هذا ، فهى الحلال بنت ظالم بن ذبيان التغلبية . ومن أجل أن كليبا ونهشلا أخوان لأم ، كانا حليفين . فهذا تأثيل بنى نهشل لبنى كليب رهط جرير الذى زعمه الأخطل التغلبى . فقال أيضاً :

فاخسأ إليك كليب ، إن مجاشعاً وأبا الفوارس نهشلاً ، أخوانِ

وتفصيل ذلك فى قصيدة الفرزدق ، ديوانه : ٥١٦ — ٥٢٢ .

وأما عكل فهم بنو عوف بن عبد مناة بن أد ، وهم من الرباب . والرباب هم بنو عبد مناة بن أد : تيم وعدى وعوف وثور ، اجتمعوا فتحالفوا مع بنى عمهم ضبة بن أد ، على بنى عمهم تميم بن أد ، فجاءوا برب (وهو ما يطبخ من التمر) فغمسوا أيديهم فيه ، فسموا الرباب . ثم خرجت عنهم ضبة ، واكتفت بعددها . ثم تحالفت سائر الرباب مع بنى عمهم بنى سعد بن زيد مناة بن تميم . فهذا هو حلف الرباب لسعد .

يعنى حِلْفَ الرِّبابِ لسَعْدٍ ، [وإنما قالها لجرير .

وقال الكلبىّ يحضِّض عُذْرة على فزارة(١) :

وأشجعَ ، إن لاقيتموهم، فإنهم لذُبْيان مَوْلًى فى الحروب وناصِرُ]

٢١ — وكان عيسى بن عمرَ إذا اختلفت العرب فَزِعَ إلى النصب . كان عيسى بنُ عمر وابن أبى إسحاق يقرآن : « يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » (سورة الأنعام : ٢٧) وكان الحسن وأبو عمرو بن العلاء ويونس ، يرفعون : [نردُّ] ، نكذبُ ، ونكونُ . قلتُ لسيبويه : كيفَ الوجهُ عندك ؟ قال : الرفعُ . قلت : فالذين قرَأُوا بالنصب ؟ قال : سمعوا قراءةَ ابن أبى إسحاق فاتَّبَعُوه .

وكان عيسى بن عمر يقرأ « الزَّانِيَةَ وَالزَّانِى » (سورة النور : ٢) « وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ » (سورة المائدة : ٣٨) وكان ينشد :

☆ يَا عَدِيًّا لِقَلْبِكَ الْمُهْتَاجِ(٢) ☆

وكان يقرأ : « هٰؤُلَاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ » (سورة هود : ٧٨) فقال له أبو عمرو بن العلاء : هٰؤُلاءِ بنىّ هم ماذا ؟ فقال : عِشْرين رجُلًا . فأنكرها أبو عمرو .

---

(١) ذكر المرزبانى فى معجم الشعراء : ٢٩٩ أبياتاً للعطاف بن أبى شعفرة الكلبى : « يحضض بنى عذرة على محاربة بنى فزارة » ومنها أبيات فى حماسة البحترى : ٢٩ للعطاف بن وبرة العذرى . وأظنه أخطأ ، أو خلط ناسخ حماسته ، فإن بنى عذرة ، هم : عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة .

(٢) لم أجد البيت . والشاهد فيه أن حق العربية « يا عدى » فلما نون ضرورة ما لا ينون — فزع إلى النصب . وهذا معنى قوله آنفاً « إذا اختلفت العرب » .

وكان أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر يقرآن : « يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ » (سورة سبأ : ١١) ويختلفان فى التأويل . كان عيسى بن عمر يقول : على النداء ، كقولك يا زيدُ والحارثَ [لمّا لم يمكنه يا زيدُ ويا الحارثُ][١] . وكان أبو عمرو يقول : لو كانت على النداء لكانت رفعاً ، ولكنها على إضمار : وسخّرنا الطيرَ ، كقوله على أثر هذا « وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ » (سورة سبأ : ١٢) أى سخّرنا الريحَ .

٢٢ — قال يونس : وقال ابن أبى إسحق فى بيت الفرزدق :

وعَضُّ زمانٍ يا ابنَ مروانَ ، لم يَدَعْ　　من المالِ إلا مُسحَتاً أو مُجرَّفُ[٢]

ويروى أيضاً ، مجلَّفُ : [المجرَّف : الذى تجرَّفَتْه السَّنةُ وقشَرَتْه[٣] ، والمجلَّف : الذى صيّرته جِلفاً][٤] ، وللرفع وجهٌ . قال أبو عمرو بن العلاء :

---

(١) فى الأصل المطبوع مكان هذا : « كقولك يا زيد الحارث والحارث جميعاً إذا نصب ، كأنه قال ادع حارثاً » . وهى عبارة فاسدة فى هذا الموضع . راجع ابن يعيش ٢ : ٣

(٢) ديوانه ٥٥٦ ، قوله : « عض » معطوف على ما بعد وهو :

إليك أمير المؤمنين رمت بنا　　همومُ المنى والهوْجَل المتعسِّف

الهوجل الطريق فى المفازة البعيدة ، لا علم به .

وبيت الفرزدق مما اشتجرت عليه ألسنة النحاة ، ولكنه بقى مرفوعاً حيث هو ، كما قال الفرزدق حين قال له ابن أبى إسحاق : « بم رفعت ، أو مجلف ؟ فقال : بما يسوءك وينوءك . علينا أن نقول ، وعليكم أن تتأولوا » . وهكذا كان !

أسحت ماله : استأصله وأفسده واستهلكه .

(٣) السنة : القحط فى سنة مجدبة . وجرفت السيول الوادى : أكلت من أسفل شقة حتى ذهب أكثره . وكذلك المال : ذهب أكثره وبقى أقله .

(٤) الجلف : الذى ذهب خيره ، كالجلف من الطعام : وهو الخبز اليابس الغليظ بلا أدم ولا لبن ، وكالجلف من الناس : وهو الجافى الغليظ الذى لا أدب له . وكالجلف من الأنعام وهو ما لا سمن له ولا ظهر ، ولا بطن يحمل .

لا أعرفُ لها وجهاً . وكان يونس لا يعرف لها وجهاً . قلت ليونس : لعلّ الفرزدقَ قالها على النَّصْبِ ، ولم يأبَهْ ؟ فقال : [لا] ، كان ينشدها على الرفع . وأنشدنيها رؤبة بن العجاج على الرفع .

وتقول العرب : سَحَتَه وأَسْحَتَه ، يُقرَأ بهما في القرآن [جميعاً] ، [فمن قرأ « فيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ » (سورة طه : ٦١) فهو من أسحت يُسحِت فهو مُسْحَتٌ وهي التي قال الفرزدق . ومن قرأ « فيَسْحَتَكُمْ » فهو من سَحَت يَسْحَتُ فهو مسحوتٌ] .

٢٣ — وأخبرني الحارث البُنَانِيّ ، أخو أبي الجحّاف ، أنه سمع الفرزدق ينشد :

فيَا عجبَا ، حتى كُلَيْبٍ تَسُبُّني ... [كأنّ أباها نَهْشَلٌ ومجاشِعُ][1]

كأنه جعله غاية فخفض .

* * *

٢٤ — ثم كانَ الخليل بن أحمد : وهو رجل من الأَزْد ، من فَرَاهِيد . يقالُ هذا رجل فَراهِيدِيّ ، ويونس يقول : فُرْهُودِيّ ، مثل قُرْدُوسي[2] فاستخرج [من] العروض ، واستنبط منه ومن عِلَله ما لم يستخرج أحد ، ولم يسبقه إلى مثله سابق [من العلماء كلّهم] .

* * *

---

(١) ديوانه : ٥١٨ ، والكلام على إعرابه في الخزانة ٤ : ١٤١ .

(٢) الفراهيد : هم بنو شبابة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس من بني نصر بن الأزد (الجمهرة : ٣٥٨) . وواحد الفراهيد ، فرهود . وهو الحادر الغليظ من ولد الأسد أو الوعول . ولا أدري أرده يونس إلى مفرده ، أم ذهب إلى ما ذهب إليه بعض النسابين ، أن فرهودا : بطن من اليمن ؟

٢٥ — رُجِعَ إلى [قول] الشعر وإلى قول العلماء فيه، [ولكل من ذكرنا قولٌ فيه][1].

قال : فنقلَنا ذلك إلى خَلَف بن حيَّان أبى مُحْرز [وهو خلف] الأحمر، اجتمع أصحابنا أنه كانَ أفرَسَ النَّاس ببيت شِعرٍ[2]، وأصدقَه لساناً. كنَّا لا نُبَالى إذا أخذنا عنه [خبراً]، أو أنشدنا شعراً، أن لا نسمعَه من صاحبه.

وكان أبو عبيدة والأصمعى من أهل العلم. وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة : المفَضَّل بن محمّد الضبىّ الكُوفى.

* * *

٢٦ — [3]ففصَّلنا الشعراءَ من أهل الجاهلية والإسلام والمُخَضْرَمين، فنزَّلناهم منازلَهم، واحتجَجْنا لكل شاعر بما وجدنا له من حُجَّة، وما قال فيه العلماء.

وقد اختلف [الناس و] الرواة فيهم. فنظر قوم من أهل [العلم] بالشعر، والنفاذِ فى كلام العرب، والعلمِ بالعربية، إذا اختلف الرواة، فقالوا بآرائهم، وقالت العشائر بأهوائها، ولا يُقنع الناس مَعَ ذلك إلا الرواية

---

(١) يعنى أنه رجع بعد هذا الاستطراد المستطيل إلى ما بدأه فى الفقرة رقم : ٦، عن خلف الأحمر ورواية الشعر.

(٢) من الفراسة : وهى النظر والتثبت، والتأمل للشىء والبصر به. ورجل فارس بالأمر : حاذق به عليم بصير.

(٣) انتهى استطراد ابن سلام. ووصل الكلام بما بدأه فى الفقرة : ٢.

عمّنْ تقدَّم . فاقتصرنا [من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألَّفْنا من تَشابه شعرُه منهم إلى نظرائه ، فوجدناهُمْ عشر طبقات ، أربعة رهطٍ كل طبقة ، متكافئين معتدلين] .

٢٧ — وكان الشعرُ فى الجاهليَّة دِيوانَ علمهم ومنتهى حُكْمهم[١] ، به يأخذون ، وإليه يَصِيرون .

[قال ابن سلام] : قال ابن عَوْنٍ ، عن ابن سِيرِينَ ، قال : قال عمر بن الخطَّاب[٢] :

كان الشعرُ علمَ قومٍ لم يكن لهم علمٌ أصحَّ منه .

فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العربُ ، وتشاغلوا بالجهاد وغزْو فارسَ والرُّوم ، ولَهَتْ عن الشعر وروايته[٣] . فلما كَثُر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنَّت العربُ بالأَمْصار ، راجعوا روايةَ الشِّعر ، فلم يؤولوا إلى ديوانٍ مُدَوَّنٍ ولا كتابٍ مكتوب ، وأَلْفَوْا ذلك وقد هلكَ من العرب من هلك بالموت والقتل ؛ فحفظوا أقلَّ ذلك ، وذهب عليهم منه كثير .

---

(١) الديوان : مجتمع الصحف ، أو الدفتر . يعنى أنه ما يقيد فيه علمهم ويدون . والحكم والحكمة سواء : العلم والفقه ، قال تعالى : « وآتيناه الحكم صبياً » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكما » ، أى حكمة نافعة ، تمنع من الجهل والسفه .

(٢) عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى ، مولاهم ، بصرى . لم يكن بالعراق أعلم بالسنة منه . ولد سنة ٦٦ وتوفى سنة ١٥١ . ومحمد بن سيرين الأنصارى ، مولاهم ، إمام وقته . ولد سنة ٣٣ ومات سنة ١١٠ .

(٣) لها عن الشىء يلهو ، ولهى عنه (بفتح فكسر) يلهى (بفتح الهاء) : غفل عنه ونسى ذكره وأضرب عنه .

وقد كان عند النُّعمان بن المُنْذِر منه ديوانٌ فيه أَشعار الفُحول، وما مُدِح هو وأهل بيته [به] ، فصار ذلك إلى بَنى مروان ، أو صَار منه .

* * *

٢٨ — قال يونُس بن حبيب : قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلّا أقلُّه ، ولو جاءكم وَافراً لجاءكم علمٌ وشعر كثير (١) .

٢٩ — ومما يدلُّ على ذَهَاب الشعر وسقوطِه ، قلَّة ما بقى بأيدى الرُّواة المُصَحِّحين لطرفةَ وعَبِيدٍ ، اللَّذين صحَّ لهما قصائدُ بقدْرِ عشرٍ . وإن لم يكن لهما غيرُهُنَّ ، فليس مَوضِعُهما حيثُ وُضعا من الشُّهْرة والتَّقْدِمَة(٢) ؛ وإن كان ما يُرْوَى من الغُثَاء لهما ، فليسا يستحقَّان مكانهما على أفْواه الرواة(٣) . ونَرَى أنَّ غيرهما قد سَقَط من كلامه كلامٌ كثير ، غير أنَّ الذى نالهما من ذلك أكثر . وكانا أقدمَ الفحول ، فلعلَّ ذٰلِك لذاك . فلمَّا قلَّ كلامُهما ، حُمِلَ عليهما حَمْلٌ كثير(٤) .

٣٠ — ولم يكن لأَوائل العرب مِن الشِّعْر إلاّ الأبيَات يقُولها الرَّجُل فى حادِثةٍ ؛ وإنَّما قُصِّدت القصائد وطُوِّلَ الشِّعر على عهْد

---

(١) الوافر : التام الذى لم ينقص منه شىء .

(٢) التقدمة : مصدر قدمه تقديماً وتقدمة .

(٣) الغثاء : ما يحمله السيل من الزبد والقذر والهالك البالى من ورق الشجر . يعنى ما لا غناء فيه ولا خير .

(٤) حمل عليه : ادعى عليه وقوله ما لم يقل . ومنه الحميل : وهو الدعى فى النسب .

عبد المطَّلب ، وهَاشِم بن عبد مَنَاف [١] . وذلك يدلّ على إسقاط [شعر] عادٍ وثمودَ وحِمْيرَ وتُبَّع .

٣١ — فمن قديم الشعر الصحيح قول العَنْبر بن عمرو بن تميم ، وكان جاورَ فى بَهْراء ، فرَابَه رَيْبٌ فقال [٢] :

قَدْ رَابَنِى مِن دَلْوِىَ اضطرَابُهَا ... وَالنَّأْىُ فى بَهْراءَ واغترَابُهَا

* إن لَّا تجِئْ مَلْأَى يَجِئْ قِرَابُهَا * [٣]

[وقد قال قوم أنه كانَ من بَهْراء ، فجاوَر عَمْرو بن تميم [٤] ، وأنه قال :

قد رَابَنِى من دَلْوِىَ اضطرابُها ... والنأىُ عن بَهراءَ واغترابُها

---

(١) هكذا يرى ابن سلام وغيره من المتقدمين . وهو عندى باطل ، فالشعر أقدم مما يزعم ، وطويله أعتق مما يتوهم . وليته قال هنا ما قاله منذ قليل فى سبب ذهاب شعر عبيد وطرفة ، أن قدمهما كان السبب فى قلة ما روى عنهما . فإذا صح ذلك ، فمن كان قبلهما أجدر أن يذهب من كلامه أكثر مما ذهب من كلامهما . وهذا بحث طويل ليس هذا مكان الاحتجاج عليه .

(٢) لم أجد خبر هذه الرواية مفصلا . أما الرواية الأخرى ، فسيأتى خبرها بعد . وبهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

(٣) تدل الأبيات على أن العنبر لقى عنتاً فى بهراء ، وأنهم كادوا له عند السقى فى البئر حتى تركوا دلوه فارغة تضطرب برشائها بين الدلاء الملأى . وقوله « والنأى » يعنى نأى دلوه فى بهراء واغترابها ، أسند الاغتراب والنأى إليها . وقراب الشىء وقرابه وقرابته : ما قارب قدر تمامه أو امتلائه . وهذا البيت الأخير من الرجز منقطع عما قبله ، وأحسب أن فى الشعر سقطاً قديماً لم تعرفه الرواة ، وكأنه كان يريد أن يقول : لو كنت فى بنى عمرو بن تميم ، لجاءت دلوى بمائها ، « إن لا تجىء ملأى يجىء قرابها » .

(٤) أما خبر هذه الرواية فقد استوفاها أبو العباس فى الكامل ١ : ٢٧٤ — ٢٧٥ ، وروى عن النسابين أن أم العنبر هى أم خارجة — عمرة بنت سعد الأنمارية ، وأنها تزوجت عمرو بن تميم ، ونقلها إلى بلده ، والعنبر معها صغير (وأبوه من بنى بهراء بن عمرو) ، فولدت لعمرو بن تميم أسيداً والهجيم والقليب . فخرج العنبر وإخوته ذات يوم يستقون ، فقل عليهم الماء ، فأنزلوا مائحاً من تميم ، فجعل المائح يملأ الدلو ، إذا كانت للهجيم وأسيد والقليب ، فإذا وردت دلو العنبر تركها تضطرب ، فقال العنبر ما قال .

ولا نرى ذلك كما قالوا ، بل هو كما ذَكر : العنبر بن عمرو بن تميم . وكان على عائشة مُحرَّرٌ من ولد إسماعيل ، فلما قَدِمَ سَبْيُ العنبر أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُعتِقَ منهم ؛ وهُمْ أصحابَ الحُجُرات] (١) .

٣٢ — أخبرني أبو مُحْرِز واصلُ بن شَبيب المَنافيّ (٢) ، قال : كان سعْد ومالك ابنا زيدِ مَناة بن تميم ، وكان سَعدٌ أسوَدَهما ، وكان مالكٌ تِرْعِيَّةً يعْزُبُ في الإبل (٣) ، [وأمهما : مُفَدَّاة بنت ثعلبةَ بن دُودَان بن أسد ، وخالتهما : مُمَسَّاةُ بنت ثعلبة ، أم ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل ، أبي شَيْبان وقَيس وذُهْلٍ وَتَيْم الله ، وهو الحِصْن (٤) .

---

(١) ذكر الحديث أبو العباس في الكامل ١ : ٢٧٥ والطبرى ٣ : ١٧٣ في غزوة عيينة بن حصن بني العنبر ، وابن هشام ٤ : ٢٦٩ . ورأى أبو العباس أن بهراء من قضاعة ، وقضاعة من بني معد أبناء إسماعيل . وأن من زعم أن قضاعة من بني مالك بن حمير ، وهو الحق ، قال إن النسب الصحيح في قحطان الرجوع إلى إسماعيل أيضاً ، فهو عندهم قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيدار بن إسماعيل صلى الله عليه وسلم . المحرر : المعتق .

(٢) المنافي : نسبة إلى عبد مناف ، على غير قياس . ولم أجده . ولو ظننته منسوباً إلى مناف بن دارم لكان رأيا بلا دليل .

(٣) ساد القوم يسودهم سؤدداً وسيادة . وفي حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب : « ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية . قيل : ولا عمر ؟ قال : كان عمر خيراً منه ، وكان هو أسود من عمر » . يعني فضل معاوية على عمر في شمائل سيادة الناس . ورجل ترعية : يجيد رعية الإبل ، يحسن ارتياد الكلأ والتماسه للماشية . وعزب في الإبل وعزب بها : رعاها بعيداً عن الدار التي حل بها الحي ، وغاب لا يأوي إليهم . وقد ضرب بمالك بن زيدمناة المثل في حسن الرعية فقالوا : « آبل من مالك » ، ولكنه كان عظيم الحمق ، فهو أحد المعدودين من حمق العرب (القالي ٣ : ٢٨) . وتفصيل قصته هذه دلالة على حمقه

(٤) يعني أن الحصن هو ثعلبة بن عكابة ، (نسب عدنان وقحطان للمبرد : ١٥ ، النقائض ٤٥٧ ، ٦١٣) . وفي المخطوطة « وتيم » ، والصواب ما أثبتناه (انظر الجمهرة : ٢٩٦ ، والمعارف : ٤٨)

وقال أبو محرز : أتى ثعلبةُ ابنتَه وهى حاملٌ بسعْدٍ(١) ، فَمَخَضَت ليلاً(٢) ، فاستحيت من أبيها وزوجها ، فخرجت فأعجلها الوِلادُ ، فطرَّقَتْ على قرية نملٍ(٣) . فأدركها أبوها ، فزَجَرَ فقال : لئن صدقتِ الطيْرُ ، لَيملأنَّ ابنُكِ هذا الأرضَ من وَلَدِهِ(٤) .

قال أبو مُحْرِز] : فتزوّج مالك [بن زيد مَناة] النَّوار بنت جَلٍّ بن عَدِىّ بن عَبْدِ مَناة بن أُدٍّ — وهم عَدِىٌّ وتَيْم ، ويقال للتَّيْم تَيم عدىّ ، وهما من الرِّباب(٥) — ، وكانت امرأةً زَوْلةً جَزْلَةً(٦) . فلمّا اهتَدَاها مالكٌ(٧) ، خرج سعدٌ فى الإبل فعَزَبَ فيها ثُمّ أوردَها لِظِمْئِها(٨) ، ومالك فى صُفْرةٍ(٩) ، [وكان عَروساً] ، فأراد القيامَ ، فمنعته امرأتُه من

---

(١) يعنى ثعلبة بن دودان بن أسد .

(٢) مخضت المرأة : ضربها المخاض ، وهو الطلق ووجع الولادة ، فهى ماخض .

(٣) الولاد والولادة واحد . طرقت المرأة الحامل : إذا خرج من الولد نصفه ثم نشب واحتبس بعض الاحتباس ثم خلص . وأما التى يعترض ولدها فى الرحم لا يخرج فقد عضلت . وقرية النمل : ما تجمعه من التراب فيه جحرها ، وهو مسكنها ، بما فيه الذر والحب والمازن ، وهو بيض النمل (الحيوان ٤ : ١٢)

(٤) زجر الطير يزجرها زجراً . والزجر : ضرب من الكهانة ، ينظر سنوح الطير أو بروحها ، ثم يتكهن ، بما يرى من التيمن بها أو التشاؤم .

(٥) ويقال لهم تيم الرباب أيضاً . وانظر الرباب (فقرة : ٢٠ رقم : ٥)

(٦) رجل زول وامرأة زولة : وهى الخفيفة الظريفة الفطنة الداهية . ورجل جزل وامرأة جزلة : لها جزالة رأى ، عاقلة أصيلة الرأى جيدته .

(٧) اهتدى الرجل امرأته : جمعها إليه وضمها ، وأعرس بها ، فهى هدى وهدية ، أى عروس .

(٨) أى جاء ليسقيها عند ميقات ورودها . وذلك أنهم يجعلون الإبل ترد الماء يوماً ثم تصدر فتكون فى المرعى يوماً أو يومين أو ما شاؤوا ، ويحبسونها عن الماء ثم يوردونها ، فما بين الشربة الأولى والثانية هو الظمء

(٩) فى صفرة : يعنى أنه قد تمسح بالزعفران ، وهو الصفرة ، وكانت تلك عادتهم فى جاهليتهم عند العرس . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزعفر الرجل . وظن بعضهم أن قوله « فى صفرة » أنه كان يعترى مالكاً الجنون ويزول عقله ، وكانت عادتهم أيضاً أنهم يمسحون المجنون فى أيام زوال عقله بالزعفران . وليس هذا بشىء . والأول هو المراد ، كما ترى فى البيت الآتى .

القيام ، فجعل سَعْدٌ وهو مُشْتَمِلٌ يُزَاوِل سَقيها ولا يَرْفُق(١) ، فقال :

يَظَلُّ يَوْمَ وِرْدِها مُزَعْفَرَا ... وَهِى خَنَاطِيلُ تَجُوسُ الخُضَرَا(٢)

فقالت النَّوارُ لمالك : ألا تسمعُ ما يقولُ أخوك ؟ [أَجِبْهُ] . قال : فما أقول ؟ قالت : قُلْ :

أَوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ ... ماهٰكذا تُورَدُ يا سعدُ الإبِلْ(٣)

فولدَت حنظلةَ الأغرَّ ، وفيه بيتُ تميم وشرفُها(٤) . [وقال حنظلة : وُلدت لمالك ووُلِدَ لى مالك(٥) . وقال جرير لعمر بن لَجَأٍ :

فلم تَلِدُوا النوارَ ولم تلدْكُمْ(٦) ... مُفَدّاةُ المبارَكَةُ الوَلُودُ

٣٣ — ومما يروى من قديم الشعر قول دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد ، [قال] حين حضره الموت :

---

(١) اشتمل الرجل : تلفف بثوبه ، حتى يجلل به جسده ، ولا يرفع منه جانباً ، فتكون فيه فرجة تخرج منها يده . وزاول الشيء : عالجه وحاوله .

(٢) يتهكم بمالك ، وأنه آثر عروسه على إبله ، فقضى يومه فى زعفرانه وطيبه ، وترك ورد إبله ، وأنه هو ولى رعيتها عنه . يتبجح بنفسه وعمله . خناطيل : مما جاء على صيغة الجمع ولا واحد له من لفظه ، وهى جماعات الإبل متفرقة فى المرعى .

(٣) يقول : إن الاشتمال يعوق الرجل عن إحسان عمله ، إنما يتطلب العمل التشمير . يضرب مثلا لمن قصر فى الأمر ولم يأخذ له أهبته .

(٤) بيت القبيلة : هو الذى يكون فيه شرفها ومآثرها ، وجمعه البيوت ، ثم يجمع : البيوتات .

(٥) فى الأصل : « وقال سعد : ولدت . . . » وهو خطأ لا شك فيه . وعنى بقوله هذا أنه ولد لمالك بن زيد مناة أبيه ، وفى بيته شرف بنى زيد مناة بن تميم ، ثم ولد له مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، فكان فيه شرف بنى زيد مناة بن تميم أيضاً . يقول ذلك حنظلة فاخراً بأبيه وولده .

(٦) ديوانه : ١٦٤ يهجو عمر بن لجأ التيمى ، ويفخر عليه بأمهاته . وابن لجأ من تيم بن عبد مناة بن أد ، والنوار بنت عمه ولم تلده ، وهى النوار بنت جل بن عدى بن عبد مناة بن أد . وجرير من بنى يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، ولدته النوار لأنها أم حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وولدته المفداة لأنها أم مالك بن زيد مناة ، فهو يفخر على تيم بعمتها النوار كما ترى .

اليومَ يُدْنى لدُوَيْدٍ بَيْتُهُ | لَوْ كانَ للدَّهْرِ بِلًى أَبْلَيْتُهُ(١)
أوْ كان قِرْنى واحدًا كَفَيْتُهُ | يارُبَّ نَهْبٍ صالِحٍ حَوَيْتُهُ(٢)
ورُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لوَيْتُهُ | [ومِعْصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنَيْتُهُ](٣)

[وقال أيضاً :

أَلْقَى علىَّ الدهرُ رجْلًا وَيدَا
والدهرُ ما أصلح يومًا أفسدَا
يُصْلحُه اليومَ ويفسِدْهُ غـدَا(٤)

قال : وأوصى بنيه عند موته فقال : أوصيكُمْ بالناس شرًّا ، لا تقبَلوا لهم معذِرةً ، ولا تُقيلُوهُمْ عَثْرة](٥) .

٣٤ — وقال أَعْصُر بن سَعْد بن قَيْسِ عَيْلَان ، وهو مُنَبِّهٌ ، أبو بَاهلةَ وغَنِيٍّ والطُّفَاوَةَ :

---

(١) البيت : القبر ، على التشبيه . ويااله من سكن موحش ! يقول : لو كان الدهر مما يبلى لأبليته .

(٢) القرن : الذى يلقاك ليقاومك ، وهو مثلك أو كفؤك فى البأس والشجاعة . وضمن « كفيته » معنى رددته ، أى قمت له واضطلعت بحربه ورددته عنى . والنهب : الغنيمة تنتهب . يذكر ما كان يطيقه فى شبابه . ويعنون بالصالح : الشىء الذى هو إلى الكثرة .

(٣) الغيل : الساعد الريان الممتلىء ، يصف صاحبته بالشباب والنعمة والكرامة على أهلها . والمعصم موضع السوار من اليد ، وأراد اليد نفسها ، لذكره الخضاب ، وهو الحناء أو غيره مما يصبغ به . يعنى أن صاحبته عروس جديدة الخضاب . كنى بالشطر الأول عن تجاوزه الأحراس والمنعة إلى الكريمة المنعمة ، وكنى بالشطر الثانى عن غلبته على فؤاد الغانية الحديثة العهد بالزواج ، فهى عن التطرف إلى غير زوجها أبعد وأعف .

(٤) يروى « يصلح ما أفسده اليوم غداً » و « يفسد ما أصلحه اليوم غداً » وروايات أخرى . وألقى عليه رجلا ويداً : يعنى البطش به وشدة الوطأة عليه .

(٥) انظر سائر وصيته فى المعمرين : ٢٠ ، وأمالى الشريف ١ : ١٧١ .

قالتْ عُمَيْرَةُ : مَا لِرأْسِكَ - بَعْدَما نَفِدَ الزَّمانُ - أتَى بِلَوْنٍ مُنْكَرِ [١]
أعُمَيْرَ إنَّ أباكِ شَيَّبَ رأسَهُ كَرُّ اللَّيالِى وَاخْتِلافُ الأعْصُرِ

فبهذا البيت سُمِّىَ أعْصُرَ ، وقد يقول قوم : يَعْصُرُ ، وليس بشىء .

٣٥ — ومنهم المُسْتَوْغِرِ بن رَبِيعَة بن كَعْب بن سَعْد [بن زيد مناة ابن تميم] ، وبقى بقاءً طويلا حتى قال :

ولقدْ سَئِمْتُ مِنَ الحياةِ وطُولِها وَازْدَدْتُ مِن عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينا
مِئَةٌ أتَتْ مِنْ بَعْدِها مِئَتانِ لِى وَازْدَدْتُ مِن عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينا
هَلْ ما بَقَا إلا كما قَدْ فاتَنا ؟ يومٌ يَكُرُّ وليلةٌ تَحْدُونا [٢]

قوله بَقَا : يريد بَقِىَ ، [وفنا : يريد] فَنِىَ ، وهما لُغَتان لِطَيِّئٍ . وقد تكلمت بهما العربُ ، وهُما فى لغة طيِّئٍ أكثرُ ؛ قال زُهير بن أبى سُلْمى [٣] :

تَرَبَّعَ صارَةً حَتَّى إذَا ما فَنَا الدُّحْلانُ عَنْهُ والإضَاءُ [٤]

أنشدَنيها يُونُس [٥] . وأنشدنى له عَبْد الله بن مَيْمون المُرِّى :

---

(١) عميرة : ابنته . نفد : ذهب وفنى . والزمان : أراد به العمر .

(٢) كر على العدو يكر : ردد عليه الهجمة مرة بعد مرة . وحدا الإبل يحدوها : ساقها وهو يغنى لها ، فيكون أنشط لسيرها .

(٣) إلى هنا ينتهى نص المخطوطة حتى يبدأ فى فقرة رقم : ٤٤ .

(٤) فى ديوانه : ٦٥ . والضمير فى البيت لحمار الوحش . تربع : أقام بها زمن الربيع . صارة : موضع . الدحلان جمع دحل : البئر الجيدة الموضع من الكلأ . والإضاء جمع أضاة (مثل أكمة وإكام) : الغدير .

(٥) يعنى أبيات المستوغر الماضية .

إذا ما المرءُ صَمَّ فَلَمْ يُناجى وَأوْدَى سَمْعُــه إلَّا نِدَايا[١]
وَلَاعَبَ بالْعَشِىِّ بَنِى بَنِيــهِ ، كَفِعْلَ الِهرِّ يَحْتَرِش العَظَايا[٢]
يُلاعِبُهُمْ ، وَوَدُّوا لَوْ سَقَوْهُ مِنَ الذِّيفانِ مُتْرَعَةً مِلَايا[٣]
فلا ذَاقَ النَّعِيمَ ولا شَرابًا ، ولا يُسْقَى مِنَ المرضِ الشِّفايا[٤]

٣٦ — ومنهم زُهَيْر بن جَنَاب الكَلْبىّ ، كان قديمًا شريف الوَلَد ، وطال عمره فقال[٥] :

---

(١) يروى « صم فلم يكلم » و « أعيا سمعه » و « لم يك سمعه » ، السمع هنا : مصدر سمع سمعا ، لا اسم الحاسة . ندايا : أراد نداءا ، فقلب الهمزة ياءاً . والنداء : الدعاء بأرفع الصوت وأعلاه . يصف ما بلغ من الكبر حتى ما يسمع النجوى ، ولا يسمع الصوت إلا دعاء بأعلى صوت .

(٢) حرش الضب واحترشه : أتى جحره فقعقع بعصاه أو بحجر ، فإذا سمع الصوت حسبه دابة تريد أن تدخل عليه ، فجاء يزحل على رجليه وعجزه ، متهيئاً للقتال ضارباً بذنبه ، فيناهزه الرجل ، فيأخذ بذنبه ، فيشد عليه قبضته حتى ما يستطيع أن يفلت . والعظايا والعظاء جمع عظاية : وهى المعروفة فى مصر بالسحلية . ولا يريد أن فعله ببنى بنيه كفعل الهر ، بل أراد العكس : أن بنى بنيه يفعلون به فعل الهر فى احتراش العظاء وصيدها ، يأتيها من هنا وهنا ، ويمسكها مرة ويرسلها أخرى . وهذه عادة الصغار بأجدادهم إذا عجزوا . وقد دخلت أعود شيخى رحمه الله — سيد بن على المرصفى — وقد كسرت ساقه ، فلما رآنى أنشدنى هذه الأبيات . وذلك أنه كان على أريكة ، فجاء ابن ابنه الصغير ، فظل يعاكسه فانقلب فوقع على الأرض ، فأصيبت ساقه . وكان ذلك فى آخر عمره تغمده الله برحمته . وكان ذلك أول سماعى للأبيات ، فقرأتها عليه .

(٣) يروى « يفديهم وودوا . . » الذيفان : السم الناقع القاتل . مترعة : يعنى كؤوساً مترعة . ملايا : ملاءاً فقلب الهمزة ياء . كما فعل آنفاً .

(٤) يروى « فأبعده الإله ولا يؤبى » . من أباه يؤبيه ، أى لا يقال له « بأبى أنت » تفدية له . ويروى « يبابا » : من بأباه ، يبأبئه : قال له بأبى أنت . هذا دعاء عليه . والشفايا : الشفاء ، قلب الهمزة ياء أيضاً . ورأيت البحترى روى الأبيات فى حماسة : ٢٠٣ مهموزة كلها . ووجدت لها بيتاً آخر (معجم الشعراء : ٢١٣) ، ولعله يأتى قبل هذا البيت الأخير :

فذاك الهم ليس له دواء سوى الموت المنطَّق بالمنايا

(٥) كان زهير فى زمن كليب وائل ، وكان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ، ووافدهم إلى الملوك ، وطبيبهم (والطب كان فى ذلك الزمان شرفاً) وحازى قومه (والحزاة : الكهان) ، وكان فارس قومه ، وله البيت فيهم ، والعدد منهم ، ويقال إنه سمى كاهناً لسداد رأيه . ولم تجتمع قضاعة إلا عليه وعلى رزاح بن ربيعة — أخى قصى بن كلاب من أمه : فاطمة بنت سعد بن سيل .

أَبَنِيَّ إنْ أَهلِكْ فإنِّي ... قدْ بَنَيْتُ لكُمْ بَنِيَّهْ (١)
وجَعلْتُكم أبْناءَ سا ... داتٍ زِنادُكُم وَرِيَّهْ (٢)
مِنْ كلّ ما نالَ الفتى ... قدْ نِلْتُهُ ، إلَّا التَّحِيَّهْ (٣)
[كم من مُحَيّ لا يُوا ... زِيني ، ولا يَهَبُ الرَّعِيَّهْ (٤)
ولقد رأيتُ النار للسُّلَّا ... فِ تُوقَدُ فى طَمِيَّهْ (٥)
ولقد رحلتُ البازلَ الـ ... وجْناءَ ليس لها وَلِيَّهْ (٦)
ولقد غدَوتُ بمُشرِفِ الطَّرَفين لم يغمِزْ شَظِيَّهْ (٧)

---

(١) البنية : البناء ، يعنى بنية مجد .

(٢) الزناد جمع زند : وهو العود الأعلى الذى تقتدح به النار ، والسفلى زندة . يقال زند وار ، ووری : إذا كان سريع النار . يريد أنهم إذا راموا أمراً أنجحو فيه وأدركوه بلا إبطاء ، لشرفهم وعزهم .

(٣) التحية : الملك . والتحية البقاء . قالوا : لم يرد إلا البقاء ، لأن زهيراً كان ملكاً فى قومه . وكذلك فسروها فى قولنا : التحيات لله ، البقاء لله . وحياك الله : أبقاك الله .

(٤) هذه الأبيات الستة الآتية زدتها من كتاب المعمرين : ٢٦ ، ولسان : بجل ، والأغانى ٢١ : ٦٦ ، لحسنها وفائدتها فى تمام معنى الشعر . محى : يعنى ملكاً يحيي . يوازينى : يساميني . والرعية : ما يتولاه الراعى نعماً كانت أو ناساً . وإنما أراد هنا الإبل التى تمنح عطية .

(٥) السلاف : جمع سالف : وهم المتقدمون فى السير . وطمية : رأس جبل منيع ، كان به منزل زهير بن جناب . وهذا حديث يوم خزازى ، وذلك أن ملكاً من ملوك مذحج باليمن ، كانت فى يديه أسارى من ربيعة ومضر وقضاعة ، فاحتبسهم رهينة حتى يأتى قومهم إليه ليأخذ عليهم مواثيقهم بالطاعة ، وإلا قتلهم وحارب القوم . فبعث كليب وائل فى ربيعة فجمعهم ، ثم بعث على مقدمته السفاح التغلبى ، وأمره أن يوقد على خزازى (جبل فى نجد) ليهتدوا بناره ، فإن خشى العدو فليرفع نارين . وأقبل ملك مذحج ، ورأى كليب النارين ، فطار بالجموع فصبح جموع مذحج ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزمت مذحج وانفض جمعها . وهو اليوم الذى علت فيه نزار على اليمن حتى جاء الإسلام . يذكر بهذا البيت قديم عهده فى الحروب .

(٦) البازل من الإبل : الذى استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة وبزل نابه ، أى شق لحم منبته ، وذلك فى تمام قوته . والوجناء : الناقة الغليظة الصلبة ، من الوجين وهو سند الجبل . الولية : البرذعة تلى ظهر الناقة . يصف شدته وجلادته وصبره على المشقة فى ركوب الناقة بلا برذعة عند الشر والمخافة .

(٧) مشرف الطرفين ، يعنى فرساً : مشرف العنق ، مشرف الحجبتين ، وهما رؤوس الوركين من أعاليهما . تمدح الخيل بذلك . غمزت الدابة تغمز غمزاً : ظلعت من قبل رجلها ظلعاً خفياً ، وهو عيب . والشظية : إبرة من العظم فى وظيف الفرس لاصقة ، فإذا تحركت وشخصت من موضعها ظلع الفرس . يتمدح بفرسه ووثاقة تركيبه ، وبركوبه للصيد والغزو .

فأَصَبْتُ من حُمُر القَنَا ... نِ معاً ومن حُمُر القَفِيَّهْ(١)

ونَطَقْتُ خُطْبَةَ ماجدٍ ... غير الضعيف ولا العَيِيَّهْ(٢)]

والموتُ خَيْرٌ للفتى ... فَلْيَهْلِكَنْ وبه بَقِيَّهْ

مِنْ أَنْ يُرى الشَّيخَ البَجَا ... لَ ، وقَدْ يُهادَى بالعَشِيَّهْ(٣)

٣٧ — وقال جَذِيمة الأَبْرَش(٤) :

رُبَّما أَوْفَيتُ فى عَلَمٍ ... تَرْفَعَنْ ثَوْبى شَمالاتُ(٥)

فى فُتُوٍّ أنا رَابِئُهُمْ ، ... مِن كَلالِ غَزْوَةٍ ماتُوا(٦)

---

(١) الحمر جمع حمار : يعنى حمر الوحش . والقنان : جبل لبنى أسد ، ترتع به الحمر ، يقول زهير يذكر حمار الوحش : ٦٦

تربع بالقنان وكل فج ... طباهُ الرعى منه والخلاء

أما قفية ، فلم أجده ، وكأنه مكان أيضاً تهوى إلى حمر الوحش .

(٢) العى : خلاف البيان . عى فى منطقه فهو عى وعيي ، وزاد التاء للمبالغة ، كما قالوا للرجل كريم وكريمة .

(٣) البجال : السيد له هيئة وسن وتبجيل . ويروى « يقاد يهدى بالعشية » . وذلك أنه قد أسن ، فإذا جاءت العشية حفوا به يسندونه حتى يؤوب إلى مثواه . يقول : خير للفتى أن يهلك وفيه بقية من شبابه ، من أن يتمادى به العمر ، حتى يكون تبجيل الناس له مذكراً بما فنى من فتوته . ومشى الرجل يهادى بين رجلين : مشى بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله .

(٤) ويقال له : جذيمة الوضاح ، من قدماء ملوك العرب . خرج إلى اليمامة يغزو طسما وجديساً ، فوجد حسان بن تبع أسعد أبى كرب قد أغار عليهم ، فانكفأ راجعاً بمن معه ، وتخلفت سرية من سراياه ، فأتت عليها خيل تبع فاجتاحتها . فلما بلغ جذيمة الخبر قال هذه الأبيات . ورواها الطبرى فى أحد عشر بيتاً ٢ : ٢٩ ثم قال : قال ابن الكلبى : ثلاثة أبيات منها حق ، والباقى باطل .

(٥) أوفى على الشىء : أشرف . والعلم : الجبل المرتفع . والشمالات ، جمع شمال : وهى ريح الشمال الباردة الشديدة الهبوب . وزاد النون فى « ترفعن » ضرورة . وقوله « فى علم » . يذكر من حذره وشدته وحدة بصره وعلمه بمواضع المخافة ، أن أصحابه كانوا يكلون إليه حراستهم ، فهو يربأ لهم على جبل عال ، يصبر فى ليله على شدة هبوب الشمال وإطارتها أطراف ثيابه .

(٦) فتى وجمعه فتيان وفتية وفتو . والرابئ : الذى يعلو جبلا يرقب المخافة للقوم ، وهو الربيئة . وقوله « ماتوا » أى سكنوا وسكنت أعضاؤهم من الإعياء . والموت السكون ، وكل ما سكن فقد مات ، يقال : ماتت الريح : سكنت . وروى الأصفهانى ١٤ : ٧٣ الشطر الثانى : « هم لدى العورة صمات » . يقول : هم عند مواضع العورات التى يخشى منها العدو يميتون له الصوت ، حتى يأخذوه على غرة .

ليت شِعْرى ما أماتهمُ ؟ نحن أدلجنا وهم باتوا(١)

٣٨ — وقال امرؤ القيس :

عُوجَا على الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنا نَبكى الدِّيارَ كما بَكَى ابنُ حِذامِ(٢)

وهو رجل من طيِّئ لم يسمع شعره الذى بكى فيه ، ولا شعر [ذكر فيه](٣) غير هذا البيت الذى ذكره امرؤ القيس .

* * *

٣٩ — وكان أوّلَ من قصَّد القصائد وذكَرَ الوقائع ، المُهَلْهِلُ بنُ ربيعة التَّغْلَبِىُّ فى قتل أخيه كُلَيْب وائل ، قتلته بنُو شيبان ، وكان اسم المهلهلِ عَدِيًّا ، وإنما سُمِّى مُهَلْهِلاً لهَلْهَلَةِ شِعْرِه كهلهلة الثوب ، وهو اضطرابه واختلافُه ، ومنه قول النابغة(٤) :

أَتاكَ بقولٍ هلهلِ النَّسْجِ كاذبٍ [ولم يَأت بالحقّ الذى هو ناصعُ]

وزعمت العرب أنه كان يدّعى فى شعره ، ويتكثّر فى قوله بأكثر من فعله .

---

(١) الإدلاج : سير الليل كله . يتعجب من تصار يف الأقدار . سار هو وأصحابه ليلا آمنين ، وهم باتوا يستريحون آمنين أيضاً ، فخالف الموت إليهم فاجتاحهم . ومثله فى التعجب بيت آخر رواه الطبرى والآمدى فى المؤتلف : ٣٤ مع اختلاف الرواية ، وهو ثالث بيت عندهما وعند غيرهما

ثم أُبْنا غانمينَ معًا وأناسٌ بعـدنا ماتوا

والموت فى هذا البيت ، هو الموت نفسه !

(٢) يروى « ابن حمام » و « ابن خذام » : المؤتلف : ١١ ، ١٢٩ والعمدة ١ : ٧٠ وغيرهما . وأحالت الدار أتى عليها حول أو أحوال وقد غاب عنها أهلها ، فهى محيلة ، مهجورة متغيرة .

(٣) فى الأصل المطبوع : « ولا شعر غير هذا البيت » ، وأظن هذه زيادة لا بد منها

(٤) ديوانه : ٤٠ ، فى قصيدته إلى النعمان وقد وشى به بنو قريع بن عوف ، يتبرأ مما كذبوا عليه .

٤٠ — وكان شعر الجاهلية فى ربيعة : أولهم المهلهل [وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندىّ] والمرقِّشان ، [والأكبر منهما عم الأصغر ، والأصغر عمّ طرفة بن العبد ، واسم الأكبر عوف بن سعد ، واسم الأصغر عمرو بن حَرْملة ، وقيل ربيعة بن سفيان] ، وسَعدُ بن مالك ، وطَرَفَةُ بن العَبْد ، وعمرو بن قَمِيئَة ، والحارث بن حِلِزَّةَ ، والمتلمِّس [وهو خال طرفة] ، والأعشى ، والمُسَيَّبُ بن عَلَس .

ثم تحول [الشعر] فى قيس ، فمنهم : النابغةُ الذبيانى — وهم يعُدُّون زهيرَ بن أبى سُلْمَى من عبد الله بن غطفان ، وابنه كعباً — ولَبِيدٌ ، والنابغةُ الجَعْدِيّ ، والحُطيئَة ، والشَّمَّاخ ، و[أخوه] مُزَرِّد ، وخِدَاش بن زُهَيْر ، ثم آل ذلك إلى تميم ، فلم يزل فيهم إلى اليوم .

وكان امرؤ القيس بن حُجْر بعد مُهَلْهل ، ومهلهل خاله ، وطرَفة وعَبِيدٌ وعمرو بن قَمِيئَةَ والمتلمِّس فى عصر واحد .

٤١ — فكان من الشعراء من يتألَّه فى جاهليته ويَتعفَّفُ فى شعره[١] ، ولا يَسْتبهر بالفواحش ، ولا يتهكم فى الهجاء — [يقال يتهكَّم ويتكهَّم . قال الفضل : ويقال : ليلة بُهْرَة ، إذا كان قمرها مضيئاً][٢] — ومنهم من كان

---

(١) تأله : تنسك وتعبد .

(٢) تكهم وتهكم فى الشر : تعرض له واقتحمه . بهر القمر النجوم غمرها بضوئه ، فسميت الليلة السابعة والثامنة والتاسعة الليالى البهر (بسكون الهاء وفتحها) ، ومنه بهر المرأة ببهتان : قذفها بريب وهى بريئة . ومنه حديث عمر أنه رفع إليه غلام ابتهر جارية فى شعره ، فقال : انظروا إليه . فلم يوجد أنبت ، فدرأ عنه الحد . أى قذفها بنفسه وهو كاذب . ومنه حديث العوام : « الابتهار بالذنب أعظم من ركوبه » . واستبهر بالفواحش : تبجح بذكرها وفضح ما حقه أن يكتم . ولم أجد استبهر فى المعاجم ، ولكنها عربية متمكنة .

يتعهّر ولا يُبْقى على نفسه ولا يتستّر(١). منهم امرؤ القيس [قال :

وَمِثْلِك حُبْلى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ ... فألْهيْتُها عن ذى تمائِمَ مُحْوِلِ(٢)

وقال :

دَخلْتُ وقَدْ ألقت لنَوْمٍ ثِيابَها ... لَدى السِّتْرِ، إلَّا لِبْسَةَ المُتفضِّلِ(٣)

وقال :

سَمَوْتُ إليها بَعْدَ ما نامَ أهْلُها ... سُموَّ حَبابِ الماءِ حالًا على حالِ(٤)

٤٢ — ومنهم الأعشى ، قال :

فظلِلْتُ أرْعاها وظَلَّ يحوطُها ، ... حتى دَنَوْتُ إذِ الظَّلامُ دَنا لَها(٥)

وقال :

وأقْرَرْتُ عَيْنى مِنَ الغانيا ... تِ ، إمّا نكاحًا وإمّا أُزَنْ(٦)

---

(١) أبقى على نفسه : أشفق عليها ولم يعرضها للآفات والظنون .

(٢) من معلقته . وسياق الشعر « فمثلك » . طرق القوم يطرقهم : جاءهم ليلا . ذى تمائم : صبى ذى تعاويذ تقيه العين والنشر . ومحول ومحيل : صغير أتى عليه الحول أو لم يأت .

(٣) من معلقته أيضاً . الفضال والفضل : ثوب واحد يلبس فى البيت للنوم أو للمهنة والعمل . وتفضلت المرأة فى بيتها ، فعلت ذلك . فهى فضل ورجل فضل (بضمتين)، ومتفضل ومتفضلة .

(٤) لا أحسبه أفحش فى هذا البيت ، كما أفحش فى السالفين ، فإنه أراد أن يصف خفة وطئه وإخفاءه حركته ، حتى لا يشعر به . وليس فى هذا إقذاع مستعلن .

(٥) ديوانه : ٢٣ الضمير إلى « شاة محاذر » فى البيت السابق ، يعنى امرأة لها زوج غيور يحاذر عليها . أرعاها : أرقبها بعين لا تغفل . « إذ الظلام دنا لها » ! ما أقدره على البيان ! ثم :

فرميتُ غَفْلَةَ عينِهِ عن شاته ... فأصبتُ حَبَّةَ قلبها وطِحالها

بيت لا يتم المعنى إلا به .

(٦) ديوانه : ١٥ . أزننته بأمر : اتهمته به . يقول : إما زواجاً وإما فعلا خبيثاً يوجب التهمة والريبة

وقال :

وقد أُخْرِجُ الكاعبَ المُسْتَرا ةَ من خِدْرِها، وأُشِيعُ القِمارا(١)

وقال :

ورَادِعَةٍ بالطّيب صَفْراءَ عِنْدَنا، لِجَسِّ النَّدامى في يَدِ الدِّرْعِ مَفْتَقُ(٢)

وقال :

وقَدْ أُخالسُ ربَّ البيتِ غَفْلَتَهُ، وقد يُحاذِرُ منّى، ثمّ ما يَئِلُ(٣)

٤٣ — وكان الفرَزْدَقُ أقْوَلَ أهلِ الإسْلام في هذا الفنّ [قال :

هما دَلّتانِي مِن ثَمانِينَ قامةً كما انْقَضَّ بازٌ أَقْتَمُ الرِّيشِ كاسِرُهْ(٤)

فلمّا استوَتْ رِجْلاىَ في الأَرض نادَتا: أَحيًّا يُرَجَّى، أم قتيلاً نُحاذِرُهْ؟(٥)

فقلتُ: ارْفَعوا الأَسبابَ لا يَفْطُنوا بنا! وَوَلَّيْتُ في أعْجازِ لَيْلٍ أُبادِرُهْ(٦)

---

(١) ديوانه : ٣٥ : استرى الشيء ؛ اختار سريه وشريفه . المستراة : الشريفة التى آثرها أهلها للنعمة والترف والكرامة ، فهى عزيزة ممنعة . وأشاع المال بين القوم — أو القدر بين الحى : فرقه فيهم . والقمار ، مصدر قامره قماراً : راهنه ، وأراد لعب الميسر على الجزر . وكأنه عنى بالقمار هنا : ما يحرزه من نصيب الفائز فى الميسر ، يفرقه فى الناس .

(٢) ديوانه : ١٤٧ . يذكر مغنية صرح بذكرها فى البيت التالى :

إذا قُلْتُ : غَنّى الشَّرْبَ ! قامت بِمِزْهَر يكادُ — إذا دارَتْ لَهُ الكفُّ — يَنْطِقُ

ورادعة : ردعت صدرها ومقاديم جيبها بالزعفران ، حتى يصفر ويبرق . والزعفران طيب ولون . ودرع المرأة قميصها . مفتق : مكان فتق مشقوق .

(٣) وأل يئل : التجأ إلى ملجأ فنجا . وأراد هنا : النجاة وحسب .

(٤) ديوانه ٢٥٩ — ٢٦١ مع اختلاف ظاهر فى الترتيب . صقور الصيد ضربان : صقر وباز ، فالصقور : سود العيون ، محددة الرؤوس طوال الأجنحة قصار الأرجل . والبزاة (جمع باز) : صفر العيون مدورة الرؤوس قصار الأجنحة طوال الأرجل . أقتم الريش : فى ريشه حمرة ضاربة فى السواد . والكاسر : الذى كسر جناحيه ، أى ضمهما ضما يسيراً وهو يريد الوقوع والانقضاض .

(٥) يروى : « قالتا : أحى . . . أم قتيل » . والنصب أجود .

(٦) الأسباب (جمع سبب) : وهى الحبال التى تدلى عليها . وأعجاز الليل : أواخره ، يبادر الليل قبل أن ينشق فجره .

وَأصبحتُ فى القومِ الجُلوسِ، وأصبحتْ مُغَلَّقَةً دُونى عليها دسَاكِرُهْ[١]

قالها وهو بالمدينة ، فأنكرت ذلك قريش ، وأزعجه مروان بن الحكم وهو والٍ على المدينة ، فأجَّلَه ثلاثًا .

قال : وقال يونس : كان للفرزدق غلامان أحدهما اسمه وَقّاع ، والآخر نُقْطة[٢] ، ولوَقّاع يقول الفرزدق :

تغَلْغَلَ وَقّاعٌ إليها ، فأصبحتْ تخوض خُدارِيًّا من الليل أخضرا[٣]

لطيفٌ، إذا ما انغلَّ أدركَ ما ابتغى، إذا هو للظبْيِ الغرير تقتَّرا[٤]

وقال أيضاً :

فأبلغهُنَّ وَحْىَ القول عنّى وأدخلَ رأسَهُ تحت القِرامِ[٥]

---

(١) الدساكر جمع دسكرة : بناء كالقصر حوله منازل للخدم والحشم ، وبيوت للهو والشراب .

(٢) نقطة : اسم من أسمائهم . وفى الأغانى ١٤ : ١٦٧ «ريقطة» وفى الموشح : ١١٤ «زنقطة» ، ولم أدر ما صوابه .

(٣) ديوانه : ٤٢٧ ، وهى أيضاً من جيد الشعر الخبيث . وقبل هذا البيت وهو أولها :

وآلِفةٍ بَرْدَ الحِجال احتوَيْتُها ، وقد نامَ من يَخْشَى عليها وأسْحَرا

تغلغل : دخل إليها رفيقاً حذراً خفى السعى فى سرّ حجابها ، كما تغلغل الماء فى أصول الشجر المتشابك . الخدارى : المظلم الشديد السواد ، يعنى ظلم الليل . الأخضر : الأسود الذى لا يتبين .

(٤) لطيف : رفيق حسن التأتى . انغل : نفذ حتى بلغ غايته . وأما الشطر الثانى فاختلفت الرواية فيه . رواه صاحب الأغانى ١٤ : ١٦٧ « إذا هو للظبى المروع نفرا » . ورواية الديوان « إذا هو للطنء المخوف تقترا » وهى أعدل الروايات . والطنء (بكسر فسكون) : الريبة والفجور . وتقتر للشىء : تهيأ له ليختله ويستمكن منه . وذلك أشبه بسياق الشعر .

(٥) ديوانه : ٨٣٥ ، وهى أجود وأخبث . وحى القول : الكلام الخفى يلقى على عجلة ، بصوت خفيض يخفى على غير متلقيه . والقرام : ستر رقيق ملون فيه رقم ونقوش .

أُسَيِّدُ ذو خُرَيِّطةٍ نهاراً ، من المُتَلَقِّطى قَرَدِ القُمامِ[١]

فقلنَ له : نواعِدُك الثرَيَّا ! وذاك إليه مُجْتَمَعَ الزّحامِ[٢]

ثلاثٌ واثنتان ، فهنَّ خمسٌ ، وسادسة تَمِيلُ إلى الشِّمامِ

الشِّمامِ : المشامّة

فبتنَ بجانبيَّ مُصرَّعاتٍ ، وبتُّ أفضُّ أغلاق الخِتامِ]

* * *

فأجَّله ثلاثًا ، ثم أخرجه عنها . فقال :

[يا مَرْوَ ! إنّ مطيَّتى مَحْبُوسَةٌ تَرْجُو الغَناء ، وربُّها لم ييأسِ[٣]

وأتيتنى بصحيفـــة مختومةٍ أخشى علىّ بذاك داءَ النِّقْرِسِ[٤]

أَلْقِ الصحيفةَ يا فَرَزْدَقُ ، لا تكنْ فى الصُّحْفِ مثلَ صَحيفة المتلمِّسِ

---

(١) أسيد : تصغير أسود يعنى غلامه وقاعاً . خريطة : تصغير خريطة ، وهى شىء كالكيس يكون من الخرق والأدم . القمام جمع قمامة : وهى كناسة البيت وما كسح منه فألقى بعضه على بعض . والقرد : نفاية الصوف ، ثم استعمل فى سواه من وبر وشعر وكتان . وقال ابن سيده : « إنه عنى سوداء ، وقال من المتلقطى قرد القمام ليثبت أنها امرأة ، لأنه لا يتتبع قرد القمام إلا النساء ، لأنه لو قال « أسيد ذو خريطة . . » ولم يتبعه ما بعده ، لظن رجلا ، فكان ذلك عاراً بالفرزدق وبالنساء ، أعنى أن يدخل رأسه تحت القرام أسود . فانتفى من هذا وبرأ النساء منه بأن قال : من المتلقطى قرد القمام » (اللسان : قرد)

وإنه لتكلف غالب ، بل أراد الفرزدق أن يدل على أن رسوله غلام أسود صغير بعد ، خليق أن يتولى للإماء عملهن ، فلا يؤبه له ولا يتهم على فعله هذا وهو يتلقط النفايات .

(٢) يعنى نواعدك اعتراض الثريا فى جوف الليل . ومجتمع الزحام : اجتماعهن ، كما عدد بعد

(٣) ديوانه : ٤٨٢ . ومن خبر هذه الأبيات أن مروان دفع إليه صحيفة يؤديها إلى بعض عماله ، وأوهمه أن فيها عطية ، وما كان فيها إلا مثل صحيفة المتلمس المشهورة (الأغانى ٢١ : ١٢٨) . الغناء (بفتح الغين) : النفع . ويروى « الحباء » ، وهو العطية .

(٤) النقرس : الهلاك . وأصله داء يصيب الرجل إصابة شديدة .

وقال فى ذلك أيضاً :

وأخرجَنى وأجَّلنى ثلاثاً ، كما وُعِدَتْ لمَهْلِكها ثمودُ(١)

وذكر ذلك جرير فى مناقضته إياه فقال :

وشبّهتَ نفسَك أشقَى ثمودَ ، فقالوا : ضَلِلْتَ ولم تَهْتَدِ(٢)

يعنى تأجيل مروان له ثلاثاً ، وقال فيه أيضاً :

تَدَلَّيْتَ تَزْنِى من ثمانينَ قامَةً وقصَّرتَ عن باعِ العُلَى والمكارِمِ(٣)

وهما قصيدتان] .

وكان جرير مع إفراطِهِ فى الهجاء ، يعِفُّ عن ذكْرِ النساء ، كان لا يتشبَّب إلا بامرأةٍ يملكُها .

* * *

٤٤ — (٤)قال ابن سلَّام : فلما راجعتِ العربُ رِواية الشعر ،وذِكْرَ أيامها ومآثِرِها ، استقلَّ بعضُ العشائر شِعْر شُعرائهم(٥) ، وما ذهَبَ

---

(١) ديوانه : ١٨٥ والأغانى ٤ : ١٦٨ ، ٢١ : ١٢٨ ، ولكنه ذكر فى ١٩ : ٥٢ أن عمر بن عبد العزيز ، وهو والى المدينة ، أنذر الفرزدق أن يتعرض لأحد بمدح ولا هجاء ، فلما فعل أجله ثلاثاً ، فإن وجده بعدها نكل به ، فخرج وهويقول هذا البيت . وشعر جرير الآتى يدل على أن قصة البيت مع عمر ، إلا أن يكون قاله قديماً زمن مروان ، ثم أعاد الاستشهاد به ، ولم يكن جرير سمعه قبل . وموعدة ثمود لما عقروا الناقة ، قوله تعالى «فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب» هود : ٦٥

(٢) ديوانه : ١٢٨ والنقائض : ٧٩٩ وانظر خبره أيضاً فى النقائض : ٣٩٧ ، وقبله

نفاكَ الأغرُّ ابن عبد العزيز بحقك تُنْفَى من المسجد

يعنى عمر بن عبد العزيز ، كما مضى . وأشقى ثمود : قدار ، عاقر الناقة .

(٣) ديوانه : ٥٦٠ والنقائض : ٣٩٨ .

(٤) رجع إلى ما مضى فى الفقرة : ٢٧ كعادته فى الاستطراد .

(٥) إلى هنا انتهى الخرم الذي بدأ فى الفقرة : ٣٥ .

من ذِكْر وقائعهم ، وكانَ قومٌ قلَّت وَقائِعُهُم وأشعارُهم ، وأرادُوا أن يلحَقوا بمنْ له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسُنِ شُعرائهم . ثم كانت الرُّواةُ بعدُ ، فزادوا فى الأشعار [التى قيلت] . وليس يُشْكِل على أهل العلم زيادةُ [الرواة ولا ما وَضَعوا] ، ولا ما وضع المولدون ؛ وإنما عَضَلَ بهمْ أن يقولَ الرجلُ من أهل باديةٍ من وَلَد الشعراء [1] أو الرجلُ ليسَ من ولَدِهم ، فيُشْكل ذلك بعض الإشكال .

٤٥ — قال ابن سَلَّام : أخبرنى أبو عبيدة أن ابنَ داوُود بن مُتَمِّم بن نُوَيْرة [2] قَدِم البَصْرة فى بعض ما يَقْدَم له البدوىُّ فى الجَلَبِ والمِيرَة ، فنزل النحيت [3] ؛ فأتيته أنا وابن نُوحٍ [العطاردىّ] فسألناه عن شعر أبيه متمم [4] ، وقمنا له بحاجَتِهِ وكَفَيناه ضَيْعته [5] . فلما نَفِدَ شعرُ أبيه جعلَ يزيدُ فى الأشعارِ ويَضعُها لنا ، وإذا كلامٌ دون كلامِ متمّم ، وإذا هو يَحْتَذِى على كلامه ، فيذكُرُ المواضع التى ذكرها متمِّم ، والوقائع التى شهدها . فلما توالَى ذلك علمنا أنه يَفْتَعِلُه .

٤٦ — وكان أوّلَ من جَمع أشعارَ العرب وساق أحادِيثها : حَمَّادٌ الرَّاوية ،

---

(١) عضل به الأمر وأعضل به وأعضله : اشتد واستغلق وضاقت به الحيل ، فهو معضل لا يهتدى لوجهه.

(٢) قال ابن حزم فى الجمهرة : ٢١٣ « ولمتمم ابن شاعر اسمه داود بن متمم » وفى بعض النسخ « دؤاد بن متمم » بحذف ابن وهو خطأ ، فلا شك أن داود بن متمم هذا ، لم يدركه أبو عبيدة .

(٣) الجلب : ما يأتى به البدوى من الإبل والغنم ليبيعه فى الأمصار . والميرة : الطعام ، ويعنى هنا ما يأتي له البدوى يمتاره من طعام المصر . ولعل « النحيت » مكان ، ولم أعرفه .

(٤) شعر أبيه : يعنى جده ، كما أسلفت فى التعليق رقم ٢

(٥) الضيعة هنا : الكسب والتجارة. وضيعة الرجل : حرفته وصناعته . والضيعة : العقار والأرض المغلة

وكانَ غيرَ موثوقٍ به : كان ينحَل شِعْرَ الرجُلِ غيرَه [ويَنْحَله غيرَ شعره](١) ، ويزيدُ فى الأشعار . [قال ابن سلام] : أخبرنى أبو عبيدة ، عن يونس ، قال : قَدِمَ حمّادٌ البَصْرَةَ على بلال بن أبى بُرْدَة [وهو عليها] ، فقال : ما أَطْرَفْتَنى شيئاً ! فعادَ إليه فأنشدَه القصيدةَ التى فى شعر الحطيئة مديحَ أبى موسى ، فقال : ويحك ! يمدحُ الحطيئةُ أبا مُوسى لا أعلم به ، وأنا أروى [شعر] الحطيئة ؟ ! ولكن دعها تذهب فى الناس . [قال ابن سلام : أخبرنى أبو عبيدة : عن عمر بن سعيد بن وهب الثقفىّ قال : كان حماد لى صديقاً مُلْطِفاً ، فعرض علىّ ما قِبَلهُ يومًا(٢) . فقلتُ له : أَمْلِ علىّ قصيدة لأخوالى من سعد بن مالك . فنظر ، فأملى علىّ :(٣)

إنّ الخَلِيطَ أَجَدَّ مُنْتَقَلُهْ ... وكذاكَ زُمَّتْ غُدْوَةً إِبِلُهْ(٤)

عَهْدِى بهم فى النَّقْبِ قد سَنَدُوا ... تَهْدِى صِعابَ مَطِيِّهم ذُلُلُهْ(٥)

وهى لأعشى همدان] .

وسمعت يونس يقول : العجبُ لِمَنْ يأخُذ عن حمادٍ ، كان يكذِب ويلحَنُ ويَكْسِرُ .

---

(١) نحله القول ينحله : نسبه إليه وهو من قول غيره . وانتحل هو القول : ادعاه لنفسه .

(٢) ما قبله : أى ما عنده ، يعنى من الشعر . الملطف : من اللطف : وهو البر والتكرمة ، وألطفه : كرمه فأتحفه بخير ما عنده .

(٣) لم أعرف عمر بن سعيد بن وهب ، ولا من أخواله من بنى سعد بن مالك . وفى المزهر ١ : ١٧٦ : « عمرو بن سعيد » وقال « فأملى على لطرفة » . ونظر : يريد تفكر قليلا ، من النظر : هو الفكر فى الشىء تقدره وتقيسه .

(٤) الخليط : القوم المختلطون ، وكانت العرب تجتمع فى أيام الكلأ قبائل شتى فى مكان واحد ، فتقع بينهم الألفة ، فإذا حان رجوعهم إلى أوطانهم فافترقوا ، ساءهم ذلك . وأجد : صار إلى الجد والاجتهاد . ومنتقله : انتقاله ورحيله . وزم الناقة : علق عليها زمامها لأهبة الرحيل .

(٥) النقب : الطريق بين الجبلين . وسند فى الجبل يسند وأسند : صعد فيه ليرقاه . الذلل جمع ذلول : وهو اللين من الدواب السهل القياد الرفيق السير .

٤٧ — ثم [إنا] اقتصرنا – بَعْدَ الفَحْص والنَّظَر والرِّواية عَمَّن مَضَى من أهل العلم – إلى رهط أربعة ، [على أنهم أشعر العرب] طبقةً[١] ، ثم اختلفوا فيهم بعد . وسنسوق [فى] اخْتلافهم واتفاقهم . ونسمّى الأربعة ، ونذكر الحجةَ لـكُلٍّ واحدٍ منهم – وليسَ تَبْدِئَتُنَا واحدًا فى الكتاب[٢] نحكُمُ له ، وَلا بُدَّ من مُبْتَدَأٍ – ونذكُرُ من شِعْرِهم الأَبياتَ التى تكونُ فى الحديثِ والمعنَى .

---

(١) استعمل ابن سلام « اقتصر إلى كذا » بمعنى انتهى إليه . وهو صحيح فى القياس والعربية ، من قولهم قصرك أن تفعل كذا وقصاراك : غايتك وآخر أمرك . يقول : انتهيا بعد الفحص . . . إلى رهط أربعة .

(٢) بدأه تبدئة : مثل قدمه تقدمة ، وزناً ومعنى . ومنه الحديث : « الخيل مبدأة يوم الورد » أى مقدمة يبدأ بها فى السقى قبل الغنم والإبل . وتحذف الهمزة فتصير « مبداة » و « بداها » . وهى لا تزال باقية كذلك فى عاميتنا .

الطَّبقة الأولى

من فحول الجاهلية

٤٨ — امرؤ القيْس بن حُجْر بن الحارث بن عَمْرو بن حُجْرٍ آكلِ المُرَار بن عَمْرو بن مُعاوية بن الحارث بن يَعْرُب بن ثَوْر بن مُرَتِّع بن مُعاوِية ابن كندة[١] .

٤٩ — ونابغةُ بنى ذُبْيان ، واسمه زِيادُ بنُ معاويةَ بنِ ضِباب بن جابر ابن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرَّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان ، ويكنى أَبا أُمامة .

٥٠ — وزُهَيْر بن أبى سُلْمى — واسم أبى سُلْمى رَبيعةُ — بنِ رِياح بن قُرْط بن الحارث بن مازِن بن ثَعْلَبَة بن ثور بن هدْمة بن لَاطِم بن عثمان ابن مزينة[٢] .

٥١ — والأَعْشى ، واسمه ميمونُ بن قَيْس بن جَنْدَل بن شَرَاحِيل بن عَوْف بن سَعْد بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثعلبة ، ويكنى أبا بَصِير

---

(١) المرارحمض إذا أكلته الإبل قلصت عن مشافرها . وسمى آكل المرار ، لما رووا من أن ابن هبولة الملك لما سبى ابنة حجر قالت له : كأنك بأبى قد جاء كأنه جمل آكل المرار . تعنى من الغضب قد بدت أنيابه . ويقال : مرتع ومرتع ، ويقال : اسمه عمرو ، وهذا لقب لأنه كان يأتيه الطالب أن يرتعه فى أرضه ، فيقول : قد أرتعتك كذا ، وكذا .

(٢) فى المطبوعتين « هزمة بن لأم » .

***

٥٢ — أخبرنى يونس بن حبيب : أن علماء البَصْرة كانوا يقدّمون امرأ القيس بن حُجْر ، وأهل الكوفة كانوا يقدّمون الأعْشى ، وأن أهل الحجازِ يقدِّمون زهيراً .

وأخبرنى يونس كالمتعجِّب : أن ابنَ أبى إسحاق كان يقول : أشعر [أهل] الجاهلية مُرَقِّش ، وأشْعَرَ أهلِ الإسلام كُثيِّر (١) . ولم يُقْبلْ هذا القول ولم يَشِعْ .

٥٣ — وأخبرنى شُعيب بن صَخْر عن هارون بن إبراهيم ، قال : سمعتُ قائلاً يقولُ للفرَزْدق : مَنْ أشعرُ الناس يا أبا فِرَاس ؟ قال : ذُو القُرُوح يعنى امرأ القيس . (٢) قال : حين يقول ماذا ؟ قال حينَ يقولُ :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِى أَبِيهِمْ ... وبالأشْقَيْنَ ما كانَ العِقابُ (٣)

[وأفلتهُنَّ عِلْبَاءٌ جَرِيضاً ... ولوْ أدركْنَهُ صَفِرَ الوِطابُ (٤)

---

(١) قال صاحب العمدة ١ : ٨٠ لما ذكر ابن أبى إسحاق : « وهو عالم ، ناقد ، متقدم مشهور » ، ثم عقب على رأيه هذا فقال : « وهو غلو مفرط ، غير أنهم مجمعون على أنه أول من أطال المدح » . وأنا أتعجب من ابن أبى إسحاق ومن جودة رأيه ، والذى بلغنا من شعر مرقش قليل ، فإن لا يكن كما وصف ، فليس ينزل المرقش عندى دون هذه المنزلة إلا قليلا . وليس قوله غلوا مفرطاً كما زعم صاحب العمدة وغيره .

(٢) سمى ذا القروح ، فيما رووا ، لأن ملك الروم بعث إليه قميصاً مسموماً فتقرح بدنه فمات .

(٣) ديوانه : ١٦٠ الجد : الحظ والسعد . والأشقين : جمع أشقى ، يعنى الأشقياء الذى ساء حظهم ولا ذنب لهم . وقال هذه الأبيات بعد مقتل أبيه ، قتلته بنو أسد . وخبر الأبيات أن امرأ القيس استعان ببكر وتغلب على بنى أسد قتلة أبيه ، فأنذرهم بذلك علباء بن الحارث الكاهلى ، فانضمت بنو أسد إلى بنى كنانة ، فلما جاء الليل رحلوا ولم يعلموا بنى كنانة ، ولم يعلم بذلك امرؤ القيس ، فانتهى إلى كنانة فوضع فيهم السلاح ، يحسبهم بنى أسد . فلما علم جلية الأمر قال ذلك . وقوله «ببنى أبيهم» لأن أسداً وكنانة ابنا خزيمة وهما أخوان .

(٤) علباء بن الحارث الكاهلى ، كان ممن أعان على قتل أبيه . يقال : أفلت جريضاً : أى بعد شر كاد يقضى عليه . والجرض : غصص الموت . والوطاب جمع وطب : سقاء من جلد يكون فيه اللبن .

أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : سمعتُ رجلا يسأل يونس عن قوله « صَفِرَ الوِطابُ » فقال : سألنا رؤبة عنه فقال : لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله ، فصفرتْ وِطابُه من اللبن وقال غيره : صَفِرَ الوطابُ أى أنه كان يُقتَلْ ، فيكون جسمه صِفرًا من دمه ، كما يكون الوطابُ صفراً من اللبن] .

٥٤ — وأخبرنى شُعَيب بن صخر ، قال : سمعت عيسى بن عُمر يُنشد عامِرَ بن عبد الملك لزُهَير أو النابغة ، فقال : يا أبا عبد الله ، هذا والله لا قَوْلُ الأعْشى :

لَسْنا نُقاتل بالعِصِىِّ ولا نُرَامِى بالحِجارهْ(١)

٥٥ — وأخبرنى أبان بن عُثمان البَجَلىّ قال : مَرَّ لَبيدٌ بالكوفة فى بنى نَهْدٍ(٢) ، فأتْبَعوه رَسولاً سؤُولًا يسْئله : مَنْ أَشْعر الناس؟ قال : المَلكُ الضِلِّيلُ(٣) . فأعادوه إليه ، قال : ثم مَنْ ؟ قال الغلامُ القتيل . — وقال غير أبان : ابنُ العِشرين ؛ يعنى طَرَفة — قال : ثم مَنْ؟ قال : الشَّيخُ أبو عَقيل . يعنى نفْسَه .

[فهذان امرؤ القيس وطرفة] .

---

(١) ديوانه : ١١٥ ، ويليه فى المطبوعتين فقط .

* إلا عُلَالَةَ أو بُدَاهةَ قارِحٍ نَهْد الجُزَارهْ *

وأظنه أضيف خطأ ، فهو ليس مما ينقد ، ولأن الأول يقع فى عدة القصيدة ٥٥ ، وهذا : ٤٩ ، ولأن المعنى لا يقتضى إثباته .

(٢) كأنه يعنى : فى محلة بنى نهد ، وهم من قضاعة .

(٣) هو امرؤ القيس . ويقال أيضاً «الملك المضلل» . والضليل الكثير الضلال المبالغ فيه . يزعمونه لقب به لغوايته . والمضلل : الذى لا يوفق لخير . فيزعمونه لقب بذلك لما كان من حيرته فى الثأر لأبيه وطلب ملكه ، وإخفاقه بعد الجهد .

[قال يونس : كل شيء فى القرآن فاتَّبعَه أى طلبه ، وأَتْبعه يَتلوه ُ(١)] .

٥٦ — فاحتجَّ لامرئ القيس من يُقدّمه قال : ما قال مالم يقولوا ، ولكنه سبقَ العربَ إلى أشياء ابتدعها ، استحْسَنتْها العربُ واتَّبعتْه فيها الشعراء ، منها : استيقاف صَحْبه ، والبُكاء فى الدِّيار ، ورقَّةُ النَّسيبِ ، وقُرْب المأخذ(٢) ، وشَبَّه النِّساءَ بالظِّباء والبَيْض ، وشَبَّه الخيل بالعِقْبان والعِصِيِّ ، وقيَّدَ الأوابد ، وأجادَ فى التشبيه ، وفَصَل بين النَّسِيب وبَيْنَ المعنى(٣) .

وكان أحسنَ طبقته تشبيهاً ، وأحسنُ الإسلاميين تشبيهاً ذو الرُّمَّة .

٥٧ — وقال من احتجَّ للنابغة : كان أحسنَهم دِيباجة شِعْر ، وأكثرهم رَوْنق كلام ، وأجزلَهم بَيْتاً ، كأَنَّ شعره كلامٌ ليس فيه تكلُّف(٤) . والمنطقُ على المتكلِّم أوسعُ منه على الشاعر ، والشاعر يَحْتاج

---

(١) هذه الجملة فى المطبوعتين ، وليست فى المخطوطة . وهذا القيد الذى ذكره يونس ، لم يذكره المعاجم وخالفوه .

(٢) يريد أن لطف الكلام ولينه حتى جعله قريب المتناول ، وأزال عسره .

(٣) يريد ما يتميز به شعر الملك الضليل من إخلاصه القول فى النسيب ، لا يخلطه بصفة ناقته أو فرسه أو صيده أو مآثره ، فإذا فرغ من النسيب الخالص ، أخذ فى أى معنى من هذه المعانى . وهذا بين جداً فى شعره .

هذا على أنى أرى أكثر هذه الفضائل ، وإن كانت بينة فى شعر امرئ القيس ، لا يتاح إثبات سبقه إليها ، لما ضاع من قديم شعر العرب ، ولأنها ليست من الخفاء بالموضع الذى يدل عليه هذا الوصف المفرط بابتداعه لها واتباع الشعراء له فيها . ولشعر الملك الضليل براعة أخرى هى أحق بأن تكون السبب فى تفضيله وتقديمه على كثير من شعراء الناس ، لا العرب وحدهم .

(٤) الديباج والديباجة : ثوب جيد الملمس ناعمه موشى ، يتخذ من الحرير والإبريسم . رونق السيف والشباب وغيرهما : ماؤه الذى يترقرق فى صفائه ولألائه .

إلى البِناءِ والعَرُوض والقَوافى(١) ، والمتكلم مُطلَقٌ يتخيَّرُ الكلام . وإنما نَبَغ بالشعر بعد ما احْتَنك ، وهَلَك قبل أن يُهتِر(٢) .

٥٨ — ويروى أنّ عُمر بن الخطّاب قال : أىُّ شُعرائِكم يقول :

فَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلُمُّهُ إلى شَعَثٍ ، أىُّ الرِّجالِ المُهذَّبُ ؟(٣)

قالوا : النابغة . قال : هو أشعرُهم . [وبنو سعد بن زيد مناة تدّعى هذا البيت لرجل من بنى مالك بن سعد يقال له نتقة(٤) ، أنشدناه له خُلابس العُطارِدىّ . وأخبرنى خلف الأحمر أنه سمع من أعراب بنى سعد لهذا الرجل](٥) . . .

* * *

وأخبرنى خلف : أنه سمع أهل البادية من بنى سَعدٍ يروون بيتَ النابغة للزبرقان بن بدر . [فمن رواه للنابغة قال] :

تَعْدُو الذِّئابُ على من لَا كِلابَ لَهُ وتَتقِى مَرْبِضَ المُسْتَنْفِرِ الحامى(٦)

---

(١) يعنى بالبناء : ترتيب الألفاظ على معانيها فى الشعر ، ووصفها فى عروضه وقوافيه .

(٢) احتنك الرجل : استحكم رأيه واستحصدت قوته ، وحنكته التجارب . وأهتر الرجل (بالبناء للمجهول) : صار إلى الهتر ، وهو سقط الكلام ، والخطأ فيه ، واللجاجة والهذيان به . وكذلك يكون إذا بلغ أرذل العمر .

(٣) ديوانه ٥٧ . الرواية المشهورة « على شعث » ، أما رواية المخطوطة فلم أجدها ، وهى رواية غريبة ولكنها شريفة محكمة . و « إلى » تنظر إلى معنى « مع » كقولهم هو حليم إلى أدب وفقه . أى مع وقولهم : « أحمد الله إليك » أى معك . : فمعناه مع ما ترى فيه من زلل ، فتلمه وتصلحه وتجمع ما تشعث من أمره بالخلاف ، أو سوء العشرة ، أو قلة التفطن .

(٤) لم أعرف اسمه ولا خبره . ولم أجد من نسب الشعر لغير النابغة ، ووددت لو وجدت الخبر .

(٥) لم أجد شعره ، وفى المخطوطة خرم فيه أبيات ، أتمنى أن أجدها .

(٦) مربض الأسد : غيله حيث يربض . واستنفر الوحش وأنفرها ونفرها : ذادها وطردها ، ويروى « المستثفر » . من قولهم : استثفر الكلب : إذا أدخل ذنبه بين رجليه حتى يلزقه ببطنه . وهى صفة للكلب الحامى ، المانع لحوزة الغنم .

وهى الكلمة التى أولها :

قالتْ بَنُو عامرٍ : خالُوا بَنِى أَسَدٍ[١]   [يا بُؤْسَ للجهل ضرَّارًا لأقْوامِ]

[ومن رواه للزبرقان بن بدر قال :

إنَّ الذئابَ ترَى من لا كلابَ لهُ   وتحتمى مَرْبِضَ المُسْتَنفِرِ الحامى

ويروى : « تتّقى » ، وهذا البيت فى قوله :

* أبلغ سَرَاةَ بنى عوف مغلغلة *][٢]

وسألتُ يونس عن البيت فقال : هو للنابغة ، أظنّ الزِّبْرِقان استزاده فى شِعْرِه كالمتمثل حين جاء موضِعه ، لا مُجْتلباً له[٣] .

٥٩ — وقد تَفْعَلُ ذلك العربُ لا يريدون بِهِ السَّرِقَة . [قال أبو الصَّلْت بن أبى رَبيعة الثقفى :

تلك المكارمُ لا قَعْبان مِنْ لبَنٍ   شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالاَ[٤]]

وقال النابغة الجَعْدِى ، فى كلمة فَخَر بها وَردَّ فيها على القُشَيْرِىّ[٥] :

---

(١) ديوانه : ٦١ . خالوا : أمر من المخالاة ، خالاه يخاليه : تاركه وقطع ما بينه وبينه .

(٢) لم أجد تمام البيت ، ومنها فى المؤلف ١٢٨ ، وحماسة البحترى : ٣٢ أبيات .

(٣) اجتلب الشعر : سرقه وضمه إلى شعره ليقويه به . ومنه قول جرير :

ألم تعلم مُسَرَّحِىَ القوافِى   فلا عِيًّا بهنّ ولا اجتلابا

وقول الراجز :

يا أيها الزاعمُ أنى أجتَلِبْ   وأنّنى غير عِضَاهِى أنْتَجِبْ

(٤) من قصيدته فى مدح أهل فارس حين جاءوا إلى اليمن وأخرجوا الحبشة . وسيأتى ذلك فى ص ١٠٢ من المطبوعة المصرية .

القعب : قدح من خشب غليظ جاف . وشاب الشىء : خلطه .

(٥) القشيرى : هو ابن حيا القشيرى — واسمه سوار بن أوفى — وكان هجا النابغة وسب أخواله فى أمر كان بين قشير وبنى جعدة ، وهم يومئذ متجاورون بأصبهان . وقشير وجعدة أخوان ، هما ابنا كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

فإنْ يَكُنْ حاجِبٌ مِمَّنْ فَخَرتَ بهِ ... فلا يَكُنْ حاجِبٌ عَمًّا ولا خالَا[(١)]

هَلَّا فخَرْتَ بيوْمَىْ رَحْرَحانَ، وَقَدْ ... ظَنَّتْ هَوَازِنُ أنَّ العِزَّ قَدْ زَالَا[(٢)]

تلكَ المَكارِمُ لَا قَعْبانِ مِنْ لبَنٍ ... شِيبَا بماءٍ فَعادا بَعْدُ أَبْوالَا

ترويه عامر للنابغة، والرواةُ مُجْمعون أنّ أبا الصَّلت بن أبى ربيعة قاله .

[وقال غيرُ واحدٍ من الرُّجّاز :

* عند الصَّباحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى[(٣)] *

إذا جاء موضعه جعلوه مثلاً . وقال امرؤ القيس :

وُقوفاً بها صَحْبى علَىَّ مَطِيَّهُمْ ... يقولون: لا تَهْلِكْ أَسًى وتجمَّلِ[(٤)]

وقال طرفة :

وُقوفاً بها صَحْبى علَىَّ مطيِّهمُ ... يقولون: لاتهلك أَسًى وتجلَّدِ[(٥)]

* * *

٦٠ — ويروى[(٦)] عن الشَّعْبى ، عن رِبْعِىّ بن خِرَاش[(٧)] ، أن عمر ابن الخطاب قال : أىُّ شعرائكم الذى يقول :

---

(١) يعنى حاجب بن زرارة ، وهو من بنى تميم . وكيف يفخر به شاعر من بنى عامر بن صعصعة ؟

(٢) رحرحان : جبل قريب من عكاظ خلف عرفات . ويوما رحرحان لبنى عامر بن صعصعة (هوازن) على بنى تميم .

(٣) مثل يضرب : للطالب يجد الراحة ، بعد المشقة فى السعى إلى ما يطلبه . وهو فى رجز كثير .

(٤) معلقته . الأسى : الحزن البالغ . التجمل : ترك ما يقبح بالمرء من الجزع .

(٥) معلقته أيضاً .

(٦) يعنى أن هذه رواية أخرى عن عمر ، غير التى مضت فى رقم ٥٨ ، وما بينهما استطراد .

(٧) ربعى بن خراش ، سمع من عمر وروى عنه خطبته بالجابية . ومات سنة ١٠٠ .

فألفيتُ الأمانةَ لم تخُنْها كذلك كان نوحٌ لا يخونُ(١)

وهذا غلطٌ على الشَّعبى ، أو مِن الشَّعبى ، أو من ابن خِراش . أجمع أهلُ العلم على أن النابغة لم يقُلْ هذا ، ولم يسمعْه عُمَر ، ولكنهم غَلِطوا بغيرِه من شِعْر النابغة ، فإنه قد ذُكِرَ لى أنّ عمر بن الخطاب سأل عن بيت النابغة :

حَلَفتُ فلم أَتْرُكْ لِنفْسِكَ رِيبةً وَلَيْسَ وراءَ اللهِ لِلمرءِ مَذْهَبُ(٢)

وحَرِىٌّ أن يكون هذا البيتَ ، أو البيتَ الأوّلَ .

وجدنا رواة العِلْم يغلطون فى الشعر ، ولا يضبطُ الشعرَ إلا أهلُه . وقد تروى العامة أن الشعبىّ كان ذا علمٍ بالشعر وأيام العرب ، وقد روى عنه هذا البيت ، وهو فاسد .

وروى عنه شىءٌ يُحمَلُ على لبيدٍ :

باتَتْ تشَكّى إلى النفسُ مُجْهِشَةً وَقَدْ حَملتُكِ سَبعًا بعد سَبْعينِ

فإن تعيشى ثلاثًا تبْلُغى أَملاً ، وفى الثلاثِ وفاءٌ للثمانينِ

ولا اختلاف فى أن هذا مصنوع تكَثَّر به الأحاديث ، ويستعانُ به على السَّهرَ عند الملوكِ ، والملوكُ لا تستقصِى .

---

(١) قبله كما فى مقدمة ديوانه ، وفى خبرَ الأغانى عن عمر (١١ : ٤) رواية ربعى أيضاً :

أتيتُكَ عارياً خلقاً ثيابى على خوف تظنُّ بى الظنونُ

والأمانة تقع على أشياء كثيرة ، تعود كلها إلى معنى الأمن من المخافة . وأراد بها هنا الثقة بقديم صداقته ومروءته.

(٢) ديوانه : ٥٧ . الريبة : الشك . يقول : حلفت بالله ، فصدقنى ، فليس بعد اليمين بالله مذهب لأحد ، فهى أبلغ يمين إلى الثقة بما أقول .

٦١ — وكان قَتَادة بن دِعامَة السَّدُوسِىّ من رواة الفقه[١]، عالماً بالعرب وبأنسابها ، ولم يأتنا عن أحد من رواة الفقه من علم العرب أصحّ من شىء أتانا عن قَتادة] .

[أخبرنا] عامر بن عبد الملك[٢] قال : كان الرجلان من بنى مَرْوَان يَختلفان فى الشعر، فيُرْسِلان راكباً فيُنيخُ ببابِه ، [يَعْنى قتادة بن دعامة] ، فيسأله عنه ثم يَشْخَص[٣] .

وأخبرنى سَعيدُ بن عُبَيد عن أبى عَوانة[٤] أنه قال : شهدتُ عامرَ بن عبد الملك يسألُ قَتادة عن أيام العرَب وأنْسابها وأحاديثِها ، فاستحسنتُه . فعدت إليه فجعلت أسأَلُه عن ذلك ، فقال : مالَكَ ولهذا ؟ دَعْ هـذا العلم لعامر ، وعُدْ إلى شأنك[٥] .

[ويُرْوَى عن بعض أصحابنا ، قال: رأيتُ راكباً قَدِمَ الشامَ ، فأناخ

---

(١) قتادة ، روى عن كبار التابعين وكان من أحفظ الناس ، إذا سمع شيئاً لم يستقر حتى يحفظه . ولد سنة ٦١ أكمه ، ومات سنة ١١٧ . وكان من علماء الناس بالقرآن والفقه .

(٢) عامر بن عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع الجحدرى . وكان جده مالك بن مسمع أنبه الناس . قال رجل : لعبد الملك بن مروان : لوغضب مالك لغضب معه مئة ألف لا يسألونه فيم غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السؤدد ! وكان عامر نسابة ، وأخوه مسمع بن عبد الملك ، ولقبه كردين ، علامة بالنسب إلى الشعر . وسيأتى ذكرهما بعد فى هذا الكتاب (المعارف ٢١٤ ، الجمهرة : ٣٠١ ، الموشح ١٠٩ ، ١١٨) .

(٣) شخص يشخص شخوصاً : ذهب ، وسار من بلد إلى بلد .

(٤) سعيد بن عبيد بن حساب ، أخو محمد بن عبيد بن حساب ، يرويان عن أبى عوانة . وأبو عوانة : هو الوضاح بن عبدالله اليشكرى ، يروى عن قتادة ، كان من أئمة الحفاظ . مات سنة ١٧٦ .

(٥) يعنى إلى رواية الحديث والفقه .

على باب قَتادة ، فسأله : من قتل عمراً وعامراً التغلبيَّين يوم قِضَة [١] ؟ قال : جَحْدَر . فأعادوا إليه الرسول : كيف قتلهما جميعاً ؟ قال : أُعْتَوَراهُ ، فطعَن هذا بالسِّنان وهذا بالزُّجّ ، فعادَى بينهما [٢] . ثم رحل مكانَه [٣] .

وكان أبو المعتمر الشَّيبانى كثير الحديث عن العرب ، وعن معاوية وعمرو بن العاص وزياد وطبقتهم ، وكان يقول : أخذتُه عن قتادة [٤] .

وكان أبو بكر الهذلى يروى هذا العلم عن قتادة [٥]] .

* * *

٦٢ — أخبرنى عيسى بن يزيد بن دأبٍ بإسنادٍ له عن ابن عَبّاس قال : قال لِى عمر : أنشدْنى لأشْعَر شُعرائكم . قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير . [قلت] : وكان كذلك ! قال : كان لا يُعاظِلُ بين الكلام ، ولا يتتبَّع حُوشيَّه ، ولا يمدحُ الرجلَ إلَّا بما فيه [٦] .

---

(١) قضة : عقبة بعارض اليمامة ، ويوم قضة هو يوم التحالق (يوم تحلاق اللمم) ، فى حرب بكر وتغلب (العقد : ٥ : ٢٢٠ الأغانى ٥ : ٣٤ — ٦٤) . وجحدر ، هو جحدر بن ضبيعة بن قيس — جد عامر ومسمع اللذين مضى ذكرهما فى التعليق ٢ ص ٥١ .

(٢) اعتور الرجلان فلاناً وتعاوراه : تعاونا عليه ، فكلما أمسك واحد أقبل الآخر يضرب به . السنان : نصل الرمح يطعن به . والزج : حديدة تركب فى أسفل الرمح من الجهة الأخرى ، محددة الطرف تركز به فى الأرض ، ولكنها تصلح للطعن . وعادى الفارس بين صيدين أو رجلين : طعنهما طعنتين متواليتين ، فيصرع أحدهما على إثر الآخر فى طلق واحد .

(٣) يقال : فعل الشىء مكانه ، وفعله على المكان . أى من فوره بلا إبطاء ولا تريث .

(٤) أبو المعتمر هو يزيد بن طهمان الرقاشى . روى عن الحسن وابن سيرين . ورقاش هى أم مالك وزيد مناة ابنا شيبان بن ذهل ، فالرقاشى والشيبانى واحد .

(٥) أبو بكر الهذلى ، اسمه سلمى بن عبدالله بن سلمى ، ويقال : روح . روى عن الحسن البصرى وغيره ، وكان من علماء الناس بأيامهم . مات سنة ١٦٧ .

(٦) المعاظلة : أن يعقد الكلام ، ويوالى بعضه فوق بعض حتى يتداخل ويغمض . وحوشى الكلام : وحشيه وغريبه .

[وأخبرنى عُمر بن موسى الُجمحى ، عن أخيه قُدَامة بن موسى (١) ، وكان من عُلماء أهل المدينة : أنه كان يقدّم زهيراً . قلنا : فأىُّ شعره كان أعجب إليه ؟ قال : التى يقول فيها :

قدْ جَعلَ المبتَغُون الخيرَ فى هَرِم ... والسائلون إلى أبوابِهِ طُرُقَا (٢)

مَنْ يلقَ يومًا على عِلَّاتِه هَرِمًا ... يَلقَ السّماحة منه والنَّدى خُلُقَا (٣)]

وقال أهل النَّظَر : كان زهير أَحْصَفَهُمْ (٤) شعرًا ، وأبعدَهم من سُخْفٍ ، وأجمعَهم لكثير من المعنَى فى قليل من المنطِق ، وأشدَّهم مبالغةً فى المدْح (٥) ، [وأكثرَهم أمثالًا فى شعرِه] .

٦٣ — وأخبرنى أبو قَيْس العَنْبَرِى — ولم أرَ بَدَويًّا يزيدُ عليه (٦) — عن عِكرمة بن جَرير ، قال: قُلتُ لأبى : يا أبهْ ، مَنْ أشعرُ الناسِ ؟ قال:

---

(١) قدامة بن موسى ، من ثقات الرواة ، كان إمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات سنة ١٥٣ . روى عنه أخوه عمر بن موسى ، وابنه إبراهيم بن قدامة .

(٢) ديوانه : ٤٩ ، ٥٣ وبين البيتين أبيات فى رواية ثعلب وقوله « فى هرم » ، أى عند هرم . يقول : إن طالبى المعروف وسائليه قد جاءوا من كل أوب ، فشقوا إليه فى كل وجهة طريقاً وطأوه بكثرة ترددهم عليه . يصف كثرة القصاد واختلاف قبائلهم ومنازلهم .

(٣) العلة : الحدث يشغل صاحبه عن حاجته . وقولهم « على علاته » معناها : على ما نابه وشغله عن قضاء ما يجب عليه ، ثم استعملت بمعنى « على كل حال » . وأراد زهير : إن تلقه على قلة مال أو عدم ، تجده بذالا سمحاً . فكيف به وهو غنى موسر ؟ والندى : السخاء والكرم بلا جهد ولا منة .

(٤) أحصفهم : أحكمهم وأجزلهم . من الحصافة : جودة الرأى وإحكامه . واستحصف : استحكم واشتد . والحصيف : المحكم الرأى ، الجيد التدبير .

(٥) انتقد صاحب العمدة ١ : ٨٠ قوله « وأشدهم مبالغة فى المدح » وزعمه يناقض قول عمر « لا يمدح الرجل إلا بما فيه » . ولم يذهب ابن سلام إلى المبالغة الذميمة بل أراد الاجتهاد فى تصحيح معنى المدح وتوفيته حقه .

(٦) يعنى يزيد عليه أو يماثله فى حسن الحديث ، وفقه الكلام ، وسعة الرواية .

أَعن أهلِ الجاهليَّةِ تسألنى أم [أهلِ] الإسلام ؟ قلت : ما أردت إلَّا الإسلام ؛ فإذْ ذكرْتَ الجاهلية فأخبِرْنى عن أهلها . قال: زُهَيرٌ شاعرُهم . قال : قلتُ : فالإسلام ؟ قال : الفرَزْدق نَبْعةُ الشِّعر[١] . قلت: فالأخْطل؟ قال : يُجيدُ مدحَ الملوكِ ، ويُصيب صفةَ الخمر. قلت : فما تركْتَ لنفْسِك ؟ قال : دَعْنى ، فإنى نحرْتُ الشعرَ نحْرًا[٢] .

* * *

٦٤ — وقال أصحابُ الأعشى : هو أكثرُهم عَروضًا[٣] ، وأذهبُهم فى فنون الشعر ، وأكثرُهم طويلةً جيدةً ، وأكثرُهم مدحًا وهِجاءً ونَظرًا ووَصْفًا[٤] ؛ كل ذلك عنده .

وكان أوَّلَ من سأل بشعره ، ولم يكن له مع ذلك بيتٌ نادرٌ على أفواهِ الناسِ كأبيات أصحابه .

وشَهِدْتُ خلَفًا ، فقيل له : من أشعَرُ الناس ؟ فقال : ما يَنْتهى هذا إلى واحدٍ يُجتَمَعُ عليه ، كما لا يُجتمعُ على أشجع الناس وأخْطَبِ الناس وأجمَلِ الناس . قلت : فأيُّهمْ أعجبُ إليك ياأبا مُحْرِز ؟ قال : الأعشى . قال : أظنُّه قال : كان أجْمعَهم .

---

(١) النبعة ، وجمعها النبع : شجر ينبت فى قلة الجبل تتخذ من أعواده القسى ، وعودها أصفر رزين ثقيل فى اليد، وإذا تقادم احمر . وكل القسى إذا ضمت إلى قوس النبع كرمتها قوس النبع وفضلتها ، لأنها أجمع القسى للأرز واللين (الأرز : الشدة) ، ولا يكون عود القوس كريماً حتى يكون شديداً ليناً . فعنى جرير أن فضل شعر الفرزدق على الشعر ،كقوس النبع فى فضلها على سائر القسى .

(٢) أصله من نحر البعير نحراً : طعنه فى نحره . يريد كأنه قتل الشعر استمكاناً منه واقتداراً عليه .

(٣) يعنى كثرة أوزانه واختلافها ، وكذلك تجد شعر الأعشى .

(٤) فى المزهر ٢ : ٤٨٣ « وفخراً وصفة » ، وهو بين . أما قوله هنا « نظراً » فكأنه يريد استنباط المعانى واستخراجها بالنظر ، وهو التأمل والتفكر . وكذلك بعض شعر الأعشى .

وكان أبو الخطَّاب الأخفش مُسْتهتَرًا به يُقدِّمه[١] . وكان أبو عمْرو ابن العَلاء يقول : مثَلُه مَثلُ البازِى ، يَضرِبُ كبيرَ الطَّيْرِ وصغيرَه[٢] . ويقولُ : نظيرُه فى الإسلام جَرير ، ونظيرُ النابغة الأخطل ، ونظيرُ زهيرٍ الفرزدق .

[ورَوَى سُلَيْمان بن إسحق الزُّبَالى[٣] عن يونس ، قال : الشِّعر كالسَّراء والشجاعة والجَمال ، لا يُنتهى منه إلى غاية[٤] .

أخبرنى المسيّب بن سعيد عن هشام بن القاسم مولى بنى نُمَيْر قال : أوّلُ من سألَ بشعره الأعشى] .

* * *

٦٥ — [٥]ولم يُقْوِ من هذه الطَّبقة وَلا من أشباهها أحدٌ، إلَّا النابغة فى قوله:

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائحٌ أَوْ مُغْتَدِى ... عجلانَ ذا زادٍ وغير مزوّدِ[٦]

---

(١) استهتر بالشىء (بالبناء للمفعول) : أولع به .

(٢) البازى ضرب من الصقور يصاد به (مضى فى ص ٣٦) يقول إنه يصطاد الجيد والردىء لا يبالى.

(٣) لم أعرف سليمان بن إسحق . والزبالى : نسبة إلى زبالة أخو عمرو بن تميم ، أو إلى مكان يقال له « زبالة » ، قريب من الكوفة ، من منازل بنى غاضرة من بنى أسد .

(٤) السراء والسرو : الشرف والسخاء والمروءة ، ورجل سرى : سخى شريف ، والجمع سراة بفتح السين .

(٥) من أول هذه الفقرة إلى آخر الفقرة : ٧٤ ، استطراد طويل عن الشعر وعيوبه .

(٦) ديوانه ٦٣ ، وهى القصيدة التى جود فيها صفة « المتجردة » امرأة النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وقد دخل النابغة على النعمان ، ففاجأته المتجردة فسقط نصيفها عنها ، فغطت وجهها بمعصمها تواري وجهها ، ويقال : إن النعمان هو الذى سأله أن يصفها فى شعره ، فلما بلغ ما بلغ من صفتها شك النعمان ، فاتهمه بها وعاداه ، وكان من أمرهما ما كان .

غدا يغدو ، واغتدى ، وغادى : بكر ، من الغدوة : وهى البكرة ، بين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس . وراح يروح ، من الرواح : وهو من لدن زوال الشمس إلى الليل . ينعى على نفسه قلقه خشية الرحيل، فلا يزال يذهب إلى آل مية ويجىء بكرة وعشيا ، وهو فى كل ذلك عجلان يختطف النظر إليهم ، فإما تزود من مية نظرة أو سلاماً ، وإما رجع بلا زاد منها .

زَعَمَ البوارحُ أنّ رِحْلتنا غدًا ... وبذاكِ خبّرنا الغُدافُ الأسْودُ(١)

وقوله :

سَقَطَ النَّصيفُ ولمْ تُرِدْ إسْقَاطَهُ ... فتناولته واتَّقتْنَا باليَـدِ(٢)

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأَنّ بَنَانَهُ ... عَنَمٌ يكادُ من اللّطافةِ يُعْقَدُ(٣)

[العَنَم : نبت أحمر يصبغُ به] فقدم المدينة ، فعِيبَ ذلك عليه ، فلم يأبَهْ لهما حتى أسمعوه إياه فى غناءٍ – وأهل القرى ألطَفُ نَظَرًا من أهل البدْوِ ، وكانوا يكتبون ، لجِوَارِهم أهلَ الكتاب – فقالوا للجارية : إذا صِرْتِ إلى القافية فرتِّلى(٤) . فلما قالت : « الغدافُ الأسودُ » و« يعقَدُ » و« باليدِ » ، علم وانتبه ، فلم يعُدْ فيه . وقال : قدمتُ الحجاز وفى شعرى ضَعَةٌ ، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس] .

٦٦ – قال يونس : عُيُوبُ الشعرِ أربعة : الزِّحافُ ، والسِّنادُ ، والإيطاءُ ، والإكْفاءُ وهو الإقْواء .

والزحاف أهوَنُها ، وهو أن ينقُصَ الجزءُ عن سائِرِ الأجْزَاء ، فيُنكِرُه

---

(١) البوارح جمع بارح : وهو من الظباء والطير الوحش ما يمر عن يمينك إلى يسارك ، وبعض العرب يتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف . أما السانح : فبعضهم يتيمن به ، فإنه يمر بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك ، فهو أمكن للرمى والصيد . هكذا زجرهم . والغداف : الغراب الضخم الوافر الجناحين ، أسود حالك .

(٢) النصيف : ثوب تتجلل به المرأة فوق ثيابها .

(٣) بمخضب : يعنى كفيها ، قد خضبت بالحناء ، وذلك من زينة النساء ؛ وذكر الصفة وقد أراد العضو . وهو كثير فى كلامهم . ورخص : ناعم البشرة رقيقها لين المس .

(٤) الترتيل : إبانة المنطق والتمهل فيه والترسل ، بلا بغى ولا إسراف .

السَّمعُ ويثقُلُ على اللِّسانِ . وهو فى ذلك جائز . والأجْزاء مختلفة ، فمنها ما نُقْصانه أخفى ، ومنها ما نُقْصانه أشنَعُ . قال الهُذَلى[١] :

لَعلَّك إمَّا أمُّ عَمْرٍو تبدَّلَتْ　　سِواكَ خليلاً شاتِمِى تَسْتَخيرُها[٢]

فهذا مُزاحَفٌ فى كافِ « سِوَاكَ » ، وهو خفىٌّ ؛ ومن أنشده :

[لعلك إما أم عمرو تبدَّلتْ]　　خَلِيلاً سَوَاكَ شاتِمِى تَسْتَخيرُها

فهذا أفظع ، وهو جائز .

٦٧ — والاستِخارة : الاسْتِعْطَافُ . يقال تَبَغَّمتِ الظَّبْيَةُ تَسْتَخِيرُ وَلَدَها : أى تَسْتَدْعِيه . [ومنه قِيلَ : أَسْتَخيرُ الله : أى أستعطفه .

وهو نحو قول الفرزدق[٣] :

فإنْ كانَ هٰذا الأَمْرُ فى جاهِلِيَّةٍ　　علمتَ مَنِ المَوْلَى القَليلُ حَلائِبُه[٤]

ولو كان هٰذا غيْرَ دِينِ مُحَمَّدٍ　　لأَدَّيْتَه ، أو غصَّ بالماء شارِبُه[٥]

---

(١) هو خالد بن زهير الهذلى ، كان رسول أبى ذؤيب — فى جاهليته — إلى صاحبته أم عمرو فغلبه عليها ، وتقارضا الشعر من أجل ذلك . والبيت فى ديوان أبى ذؤيب : ١٥٧ .

(٢) بغام الظبية : أرخم صوتها حين تصيح بولدها تناديه . بغمت تبغم بغاماً ، وتبغمت : ناغته بصوتها .

(٣) الضمير عائد إلى الزحاف . وخبر الأبيات أن الحتات بن يزيد المجاشعى (من رهط الفرزدق) قدم على معاوية ، فأجازه ، ولكنه طعن فى جهازه فمات قبل أن يرحل ، فحبس معاوية جائزته ، فقال الفرزدق يعنف معاوية على ما فعل . ديوان الفرزدق : ٥٦ والنقائض : ٦٠٨ مع اختلاف الرواية .

(٤) المولى : ابن العم يرث الميراث . وحلائب الرجل : أنصاره من بنى عمه خاصة ، لأنهم يحلبون إليه من كل وجه ، أى يتألبون لينصروه .

(٥) لأديته : يعنى ميراث الحتات . غص بالماء : شرق به فوقف فى حلقه لا يكاد يسيغه . ضربه مثلا للشدة .

مُزَاحَفٌ خفىٌّ ، ومن قال : « لأَدَّيْتَ أَوْ لَغَصَّ بالمَاءِ شَارِبُهْ » فهو أفظع . وهو أكثر من أن يُعدّ] .

٦٨ — وكان الخيلُ بن أحمد يَسْتَحْسِنُه فى الشعرِ ، إذا قَلَّ فى البيتِ والبيْتين ؛ فإذا توالَى وكثُرَ فى القصيدة سَمُج .

فإن قيل : كيف يَسْتحسِن منه شيْئاً وقدْ قيل هو عَيْبٌ ؟ قيل : هذا مثل القَبَلِ والحَوَلِ واللَّثَغ فى الجارية[١] ؛ قَدْ يُشْتَهى القَلِيلُ مِنْه الخفيف ؛ وهو إن كَثُر [عند رجل فى جوَارٍ واشتدَّ فى جارية ، هَجُنَ وسَمُجَ[٢] . والوَضَحُ فى الخَيْل يُسْتَطْرفُ ويُشْتَهى خفيفُهُ ، مِثلُ الغُرَّة والتحجيل ، فإذا كثُرَ وفَشا كانت هُجْنة ووَهْناً . وخفيفُ البَلَقِ يُحْتَمل فى الخَيْل ، ولم أرَ أَبْلقَ قطُّ ، ولم أَسْمع بِهِ ، سابقاً[٣] .

٦٩ — والإقواء هو الإكفاء ، مهموز . وهو أن يختلِفَ إعرابُ القَوافِى ، فتكونُ قافيةٌ مرفوعةً ، وأُخرى مخفوضةً أو منصوبةً ، وهو فى شِعْرِ الأَعْراب كثير ، وهو فيمن دُونَ الفُحُول من الشعراءِ أكثرُ .

---

(١) القبل : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى ، كأن يريد أن ينظر إلى طرف أنفه . رجل أقبل وامرأة قبلاء .

(٢) هجن هجنة : صار عيباً شديد القبح . ومن أول القوس إلى آخر الفقرة : ٧٩ زيادة من المخطوطة .

(٣) الوضح : شية بياض . والغرة قدر من البياض فى جبهة الفرس ، وهى ضروب كثيرة منها المحمود والمذموم . والتحجيل بياض فى قوائم الخيل كلها أو ثلاث منها ، يبلغ ثلث الوظيف أو ثلثيه ولا يبلغ الركبتين ، وهو أيضاً ضروب . والوهن : الضعف ، يعنى أنه عندئذ دال على الضعف والآفة . والبلق : ارتفاع التحجيل إلى الفخذين .

ولا يجوز لمولَّد، لأنهم قد عرفُوا عيْبَه، والبدوىُّ لا يأبه لهُ فهو أعذرُ[١].

فقلت ليونس : أكان عُبَيْد الله بن الحرِّ يُقوى[٢] ؟ قال : الإقواءُ خيرٌ منه . يعنى مَن فوقه من الشعراء يُقْوى . غير أَن الفحول قد استجازُوا فى موضع ، نحو قول جرير :

عَرِينٌ من عُرَيْنَة ليس مِنَّا ، بَرِئتُ إلى عُرَيْنة من عَرِينِ[٣]

عَرَفْنَا جَعْفراً وَبنِى عُبَيْدٍ وَأَنْكَرْنا زَعَانِفَ آخَرِينِ[٤]

وقال سُحَيْم بن وَثِيلٍ [الرِّياحىّ]

عَذَرْتُ البُزْلَ إنْ هِىَ خاطَرَتْنى فَمَا بَالِى وَبَالُ ابْنِ اللَّبُونِ[٥]

وَمَا ذَا يَدَّرِى الشُّعَراءُ مِنِّى وَقَدْ جاوزْتُ رَأْسَ الأَرْبَعِينِ[٦]

---

(١) لا يأبه له : لا يفطن له فيبالى به .

(٢) عبيد الله بن الحر الجعفى، شاعر « مجيد » وكان من خيار قومه صلاحاً وفضلا وصلاة واجتهاداً، غضب لقتل الحسين رضى الله عنه فخرج ، وتطرف بناحية الجبل ، وضم إليه جماعة يغير بهم ، وظل لا يعطى الأمراء طاعة . وكان خروجه سنة ٦١ وقتل سنة ٦٨ ، وله في خروجه شعر كثير جيد .

(٣) ديوانه : ٥٧٧ والنقائض : ٣١ . جرير من بنى كليب بن يربوع ، وعرين بن ثعلبة بن يربوع ، فهم بنو عمومته ولكنه يبرأ منهم وينفيهم إلى عرينة بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار اليمنيين .

(٤) جعفر وعبيد ابنا ثعلبة بن يربوع ، أخوا عرين . والزعانف جمع زعنفة : وهى أهداب الثوب المتخرقة . وزعانف السمك : أجنحته . أراد بهم رذال الناس وخساسهم وأتباعهم .

(٥) الأصمعيات : ٧٣ ، وخبر الأبيات أن الأبيرد الرياحى وابن عمه الأحوص أرسلا إلى سحيم رجلا بأبيات يتعرضان له بها ، فلما سمعها أخذ حصاة وجعل ينحدر فى الوادى يقبل ويدبر ويهمهم بالشعر ، ثم قال له : اذهب وقل لهما :

أنا ابن جَلا وطلاعُ الثنايا مَتى أضعُ العمامة تَعْرفونى

الأبيات ، فجاءاه فاعتذرا له . البزل جمع بازل : وهو الذى بزل نابه (انشق) واستكمل الثامنة وطعن فى التاسعة ، وذلك زمن استحكام قوته . وخاطره : ساماه وصاوله ، أصله من خطران الفحل بذنبه ، يرفعه مرة بعد مرة ، من نشاطه وصولته . واللبون : الناقة ذات اللبن . وابن لبون : ولد الناقة استكمل سنتين وطعن فى الثالثة ، فصارت أمه لبوناً لأنها تكون قد حملت حملا آخر ووضعته . وابن لبون كناية عن الضعف . ويروى : « ابنى لبون » ، وهى موافقة لما فى خبر الأبيات . يقول أعذر الأقوياء إذا صاولونى طلباً للغلبة ، ولكن ما عذر هؤلاء الضعاف ولا قبل لهم بصولتى .

(٦) ادرى الصيد : ختله ، وأراد : ماذا يعتمدون ويقصدون بالحيلة والمخاتلة ؟

فموضعُ هذه الأبيات — التى له ولجرير النصبُ ، ولكنّه كأنّه سكت عن القافية .

٧٠ — ومنه الإيطاء ، وهو أَن تتفَّقِ القافيتان فى قصيدة واحدة ، فإن كان أكثرَ من قافيتين فهو أسمجُ له ، وقد يكون . ولا يجوز لمولَّد ، إذ كان عنده عيباً . فإذا اتَّفق اللفظان واختلف المَعْنى فهو جائزٌ ، نحو قولك : « محمد » تريد الاسم ، و « جواد محمد » تريدُ الفِعْل . وتقول : « خِيارُ » . تريد : خيارٌ من الله ، وتقول : « خيارٌ » أى خيارٌ من قوم ؛ فيجوز . ونحو هذا كثير ، وأهل الباديةِ لا يُنْكِرونه . وأنشد سَلَمة ابن عيَّاش أباحيَّة النُّميْرِى ، كلمةً طويلة جدًّا يقول فيها[1] :

طَرِبتَ ،وماهذا بِحِينٍ فَتَطْرَبُ! وَرَأْسُكَ مُبْيَضُّ العِذَارَيْنِ أَشْيَبُ[2]

قال له النُّميرىّ : أرَى فيها عيباً . قال : ما هو ؟ قال : لم أَرَكَ أعدتَ قافية بعدَ قافية . عَدَّه عيباً . أَظنُّه عابه إذ رأى أنّه هرَبَ مِنْه .

٧١ — والمُوَاطَأةُ فى الأمرِ ، يقال منه : وَاطَأته على كذا وكذا ، ومنه : « لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ » (سورة التوبة : ٣٧) أى ليوافقوا .

---

(١) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، كان يتدين ويتصون ، وكان يعابث حماقة أبى حية النميرى الشاعر ، فقال له يوماً يهزأ به : ويحك يا أبا حية ، أتدرى ما يقول الناس ؟ قال : لا ! قال : يزعمون أنى أشعر منك . قال : إنا لله ! هلك والله الناس !

(٢) فى الأصل « حين تطرب » غير بينة من القدم . يقول : ماهذا بحين للطرب فتطرب . والطرب هنا : خفة المشتاق وصبوته لمن يحب . والعذاران من الإنسان : جانبا اللحية ، وهما العارضان .

كانت العرب تُحَرِّم أَربعةَ أشهرٍ من السَّنَة، كما كان بأَيْدِيهم من إرْثِ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، كانت تَوَالَى عليهم ثلاثةُ أشهر: ذُو القَعْدة، وذو الحِجَّةِ، والمُحَرَّم، فيطُولُ عليهم أنْ لا يغزُوا ولاَ يُحاربوا. وكان لهم نَسَأَةٌ من بَنِى كنانة(١)، يؤخر المحرّم عاماً ويردُّه عاماً، ذلك قول الله عز وجل: «إنّما النَّسِئُ زِيادَةٌ فى الـكُفرِ» (سورة التوبة: ٣٧) وهى فى الذين يُريدون أن يجعَلُوا أربعة حُرُمًا . . . . المحرم، عام حجة الوداع من النبي صلى الله عليه، الشهر الذى حَرَّمه الله بعَيْنه(٢)، فقال: «إنَّ الزَّمانَ قد استَدار كهيْئَته يَوْمَ خلقَ اللهُ السَّموَاتِ والأَرْضَ».

وكان الذى يُسْمِعُ النَّاس عنه صلى الله عليه، رَبيعَةُ [بن أُمَيَّة] بن خَلَف الجمحى، وكان فى صوته رُفَاعٌ(٣). فأصاب بعد ذلك فى عهد عمر بن الخطاب حَدًّا بالشام، فضُرِب فأدركتْه الحَمِيَّةُ، فلحق بالروم، فهلك فيهم، فـكَرِه الناسُ بعد ذلك أن يُقيموا حدًّا بأَرْض العدوّ.

وكانت العربُ تُسَمّى رَجَباً: الأَصَمَّ، ويسمُّونه مُنْصِلَ الأَسِنَّة،

---

(١) النسأة جمع ناسىء: لأنه كان ينسأ لهم الشهور، أى يؤخرها، فيحل الحرام ويحرم الحل. وبنو كنانة: هم بنو مالك بن كنانة بن خزيمة، أخو النضر بن كنانة وهو قريش، فأولئك هم النسأة دون سائر بنى كنانة.

(٢) هذا موضع خرم، ومعناه مفهوم من سياقة حديثه، أراد: أن الآية نزلت فى الذين يريدون أن يجعلوا أربعة حرماً على ما يؤخر لهم النسأة، فلما وافق المحرم عام حجة الوداع . . . وسميت حجة الوداع، لأن المسلمين تودعوا من نبيهم صلى الله عليه وسلم فى هذه الحجة، وكان آخر حجة ودع فيها البيت الحرام، حتى قبض صلى الله عليه وسلم.

(٣) رفاعة الصوت ورفاعته (بالفتح والضم) جهارته، ورجل رفيع الصوت. ولم أجد «الرفاع» فى المعاجم، ولكن فعال وفعالة يتعاقبان كثيراً فى المصادر فيما تتبعته منها.

وكانوا يُنْصِلُون أَسِنَّتهم فيه لوَضْع الحرب[١]، قال دُرَيد بن الصِّمة :

تَدَارَكَهُ فى مُنْصِلِ الأَلِّ بعْدَ مَا مَضَى غيرَ دَأْدَاءٍ، وَقَدْ كاد يَعْطَبُ[٢]

والدَّأْدَاءُ : الليلةُ التى تكون فى آخر الشهر فيُشَكُّ فيها .

٧٢ — والسِّنَاد : وهو أن تَخْتَلِف القوافى نحو : « نَقِيب ، وعَيْب ؛ وقَرِيب ، وشَيْب » . منه قول الفضل بن العباس اللَّهَبِىّ[٣] :

عَبْدُ شَمْسٍ أَبِى ، فإنْ كُنْتِ غَضْبَى فامْلَئِى وَجْهَكِ الجَمِيلَ خُمُوشَا[٤]

وقال :

« وبنا سُمِّيَتْ قريشٌ قُرَيْشَا[٥] »

وقال :

« . . . . . وَلَا تَمَلَّيْتُ عَيْشَا »

وقال عدىُّ بن زَيْد :

ففاجَأَهَا ، وقدْ جَمَعَتْ فُيُوجاً عَلَى أَبْوَابِ حِصْنٍ مُصْلِتِينا[٦]

---

(١) سمى رجب الأصم : لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ، ولا قعقعة سلاح ، لحرمته ووضعهم أسلحتهم . وأنصل النصل : نزعه من الرمح والسهم .

(٢) البيت ثابت فى ديوان الأعشى : ١٣٨ وفى الأصل « تداركته » ، وهى خطأ فى سياق الشعر . والأل : جمع ألة : وهى الحربة . يقول : تداركه وأنقذه فى آخر يوم من رجب ، ولولا ذلك لقتل ، فإنه إذا انسلخ حل لهم القتل والقتال .

(٣) الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب بن هاشم ، نسب إلى جده أبى لهب .

(٤) قوله « عبد شمس أبى » وهو هاشمى صليبة ، لأن أم عتبة بن أبى لهب ، هى أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد شمس (أخت أبى سفيان) .

(٥) صدره فى نقد الشعر : ٧١ : « نحن كنا سكانها من قريش » .

(٦) البيتان من قصيدة عدى ، ذكر فيها خبر الزباء وغدرها بجذيمة الأبرش . الفيوج جمع فيج : وهى الجماعة من الناس . يصف مجىء جذيمة ، وقد أدخل إليها فى حصنها مخدوعاً بما عرضت عليه من خطبتها ، ورأى حولها الجند بأيديهم السيوف المصلتة .

فَقَدَّمت الأَديمَ لِرَاهِشَيْهِ وأَلْفَى قولَها كَـذِبًا ومَيْنًا(١)

قال المفضّل : « كذبًا مُبِينًا » فرَّ من السنادِ ، والرواية هى الأولى على قوله : « ومَيْنًا » .

وقال الفَضْل بن عبد الرحمن بن عبَّاس(٢) ، فى مَرْثية زيد بن على [بن الحسين رضى الله عنهم] :

« ... ليس ذا حين الجُمُودِ »(٣)

ثم قال :

« .... فوق العمودِ »

ثم قال :

« و كيفَ جُمودُ دمْعِك بعد زَيْدِ »

ومنه قول العرب : خرج [القومُ] برأسين مُتَسَانِدَيْنِ ؛ أى هذا على حِياله وهذا على حِياله(٤) . وهو [من] قولهم : « كانت قُرَيْش

---

(١) الأديم : الجلد المدبوغ ، الراهشان : عرقان فى باطن الذراعين ، وهو العرق النابض كما تعرف ، والجمع رواهش . والمين : الكذب يخالطه ختل وخديعة . وفى قصتهما أنه قيل للزباء : احتفظى بدمه ، لاتصيب الأرض منه قطرة ، وإلا فاجأك الطلب بثأره . فمن أجل ذلك قدمت له نطعاً وقطعت رواهشه عليه . ويروى « وقددت » أى شققت الأديم على قدر ، حتى لا يسيل شىء من دمه .

(٢) بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، كان شيخ بنى هاشم فى وقته ، وسيداً من ساداتهم ، وشاعرهم وعالمهم ، وهوأول من لبس السواد على زيد بن على . وشعره حجة ، احتج به سيبويه فى كتابه ١ : ١٤١ وهو قوله :

إيّاكَ إياكَ المِـراءَ ، فإنّه إلى الشرّ دَعَّاءٌ وللغَيّ جالبُ

(٣) القصيدة كلها — أو أكثرها فى مقاتل الطالبيين : ١٤٩ ، وإن كان أبو الفرج قد حذف منها موضع الشاهد على السناد .

(٤) الرأس : الرئيس . على حياله : وحده يكفى ما يقابله .

يوم الفِجَار مُتَسَانِدين » ، أى لا يقودُهم رجلٌ واحدٌ[١] .

وقال العجَّاج ، فأفرطَ وجاوز السِّنادَ مع حِذْقه[٢] :

ثُمَّ رأَى أَهْلَ الدَّسِيعِ الأَعْظَمِ ... خِنْدِفَ ، والجَدَّ الخِضَمَّ المُخْضَمِ[٣]
وذِرْوَةَ النَّاسِ وأَهْلَ الحُكَّمِ ... [ومُسْتَقَرَّ المُصْحَفِ المرقَّمِ[٤]]
عِنْدَ كَرِيمٍ منهم مُكَرَّمِ ... [مُعَلِّمٍ آىَ الهُدَى مُعَلَّمِ]
مُبارَكٍ للأَنْبيـــــاءِ خاتِمِ ... وَخِنْدِفٌ هَامَةُ هذَا العالَمِ

فسانَدَ فى بيتين سِناداً فاحشاً أَخذَه الناسُ عليه .

وأخبرنى سَلَمة بن عيَّاش ، قال قلت لرُؤْبة : أَبوكَ أشعرُ منك . قال : أنا أشعرُ مِنْه ، وهو يقول :

« وخِنْدِفٌ هامةُ هذا العالَمِ »

* * *

---

(١) أيام الفجار خمسة أيام فى أربع سنين ، بين بنى كنانة وهوازن ، وشهدها رسول الله صلى الله عليه سلم وهو ابن أربع عشرة سنة ، وكان ينبل على أعمامه ، أى يناولهم النبل . وانظر ابن هشام ١ : ١٩٧

(٢) ديوانه : ٦٠ ، وزدنا ما بين القوسين منه لتمام المعنى .

(٣) الدسيع والدسيعة : العطية الواسعة . خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة ، امرأة اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . سمى أولادها جميعاً باسمها ، فهم خندف ، وهم جذم العرب الأكبر . والجد : الغنى . والخضم : الكثير الخير ، شبه بالبحر . والمخضم : الواسع الموسع .

(٤) فى الأصل « وعاين الناس » ولم أعرفها ولعلها : « وعائذ » ، والحكم جمع حاكم ، وجمعه حكام أيضاً مثل جاهل وجهل وجهال . أراد الحكام العرب المشهورين . المصحف : الجامع للصحف بين دفتين . والمرقم ، من رقم الكتاب ورقمه : أعجمه وبينه . يعنى كتاب الله عز وجل ، نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . والأبيات بعده من صفته صلى الله عليه .

٧٣ — وقال العجّاج :

« يا ليتَ أيّامَ الصِّبا رَواجِعَا »

وهى لغةٌ لهم ، سمعتُ أباعَوْنٍ الحِرْمَازِىَّ يقول : ليتَ أباكَ منطلقاً ، وليتَ زيداً قاعداً . وأخبرنى أَبو يَعْلَى : أَن مَنْشأه بلادُ العجَّاج ، فأخذها عنهم[١]] .

٧٤ — وقد تغلَط فى ذلك مَقَاحِيمُ الشعراء وثُنْيَانُهُمْ . والمُقْحَم : الذى يَقْتحم سِنًّا إلى أخرى ، ليس بالبَازِل ولا المُسْتَحكِم[٢] . والثُّنْيانُ : العاجِزُ الواهنُ : قال أَوْس بن حَجَر :

وقد رَامَ بَحْرِى قَبْل ذٰلك طامياً مِن الشُّعراء : كُلُّ عَوْدٍ ومُقْحَمِ[٣]

وقال أوس بن مَغْراء :

ثُنْيانُنا - إنْ أتاهُمْ - كان بَدْأَهُمُ وبَدْؤُهم - إنأتانا - كان ثُنْيانَا[٤]

---

(١) الضمير فى « منشأه » يرتد إلى أبى عون الحرمازى .

(٢) يعنى من الإبل ، فيلقى سنين من أسنانه فى عام واحد ، ولا يكون ذلك إلا للسيء الغذاء ، أو ابن الهرمين . فكل شىء نسب إلى الضعف الشديد فهو مقحم . أما الثنيان ، فقد استخدمه كما ترى للمفرد والجمع ، وهو عندى بمنزلة « قنعان » يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . وعندى أنه فى الأصل جمع ثنى : وهو من الإبل الذى يلقى ثنيته إذا استكمل الخامسة وطعن فى السادسة ، فهو ضعيف بعد ، ولكنه فى طريقه إلى أن يكون بازلا . ثم استعملوا الثنيان (جمع ثنى) فى معنى المفرد ، وهو من الرجال ما دون السيد فى المرتبة . فمن أجل ذلك لم يجمعوه ولم يؤنثوه ، وتركوه على حاله نظراً إلى أصله الذى نقل عنه .

(٣) ديوانه قصيدة رقم : ٤٣ . العود : الجمل المسن المدرب ، جاوز العاشرة من عمره ، وهو أشد من البازل . يريد ، كل ضعيف وقوى من الشعراء .

(٤) البدء : السيد الأول فى السيادة ، والمستجاد الرأى المستشار . والثنيان : الذى يليه . وقد مضى تفسيره .

وقد يغلطُون فى السِّين والصَّاد، والميم والنُّون، والدّال والطّاء، وأحرفٍ يتقارب مخرجُها من اللسان [يشتبه عليهم](١). أنشدنى أبو العطّاف :

أَرْمِى بها مَطالعَ النُّجُومِ   رَمْى سُلَيْمان بذى غُضُونِ(٢)

وقال زُغَيْب بن نُسَيْر العَنْبرىّ(٣) :

نَظرتُ بأعْلى الصُّوقِ والبابُ دونَه   إلى نَعَمٍ تَرْعَى قوافى مسردِ(٤)

الصُّوق : [يريد] السُّوقُ . ثم قال : « كُحَيْلٍ مُخْلَطِ(٥) » فقلت له : [قل] « مُعْقَدِ » فيصحّ لك المعنى وتستقيم القوافى . قال : أجل ! فاستعدته فعاد إلى قوله الأول . وقال أبو الدّهْماء العَنْبرى :

فلا عَيبَ فيها غيرَ أن جَنِينَها
جَهِيضٌ وفى العَيْنينِ منها تَخَاوُصُ(٦)

ثم قال : « بالثياب الطيالسُ » ثم قال « والماءِ جامسُ » . وكان يقول : « الصَّوِيق ...... (٧) وبرٌّ مكيول ، وثوبٌ مَخيوط » . وقال

---

(١) ذكر هذا مضموماً إلى السناد ، لأنه منه . قال الأخفش – بعد أن ذكر ما السناد وحده : – «أما ما سمعت من العرب في السناد ، فإنهم يجعلونه كل فساد فى آخر الشعر ، وهو عندهم عيب . قال : ولا أعلم إلا أنى قد سمعت بعضهم يجعل الإقواء سناداً » . فمن أجل ذلك ضمه ابن سلام إلى السناد . وذكر ابن رشيق ١ : ١٤٤ الإصراف ، وقال: « وهو أن تكون القافية دالا والأخرى طاء » وبعضهم يجعل الإصراف والإكفاه والإقواء كلها واحدة .

(٢) لم أعرف البيت ولم أفهمه ، وإن كان موجوداً فى الموشح : ٢٣ .

(٣) فى الموشح : ٢٣ «رغيب بن قيس العنبرى » ولم أجده ، ولا أعرف صحة اسمه .

(٤) لم أعرف البيت ولا كيف أضبطه ، ولم أفهم معناه ، فتركته كما هو . وهو فى الموشح : ٢٣

(٥) فى الموشح : ٢٣ . «عجيل مخلط » وهو خطأ . وإنما هو كحيل بالتصغير : وهو القطران تطلى به الإبل الجربى . والمعقد: من قولهم عقد القطران والعسل وأعقده : طبخه حتى يختر ويغلظ .

(٦) الجهيض: الولد يلقى من بطن أمه لغير تمام قبل أن يستبين خلقه. والتخاوص: أن يغمض بصره عند نظره إلى عين الشمس ، يريد ضيق العينين وغؤورهما من الضعف، يصف ناقته .

(٧) بياض فى الأصل ، وإن كان المرزبانى فىالموشح قد نقلها متصلة . ولعل مكان البياض: (يعنى: السويق) ، والسويق : شراب يتخذ من الشعير والحنطة .

أبو الدَّهماء يهجو شُوَيْعِرًا من عُكْل – وكان أبو الدهماء أفْصح الناس – فقال يذكر جُرْدانه .

وَيْلُ الحبالى إذ أصاب الرَّكَبا   يَسْتخْرِجُ الصِّبْيان منه خِذَما

* * *

٧٥ – واستحسن الناسُ من تشبيه امرئ القيس قولَه[١] :

كأنّ قُلوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويابسًا
لدى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالِى[٢]

وقولَه :

كأنّى بفَتْخاءِ الجَناحَيْنِ لَقْوَةٍ
دَفُوفٍ من العِقْبان، طأطأتُ شِمْلالِ[٣]

---

(١) عاد ابن سلام إلى ما قطعه باستطراده منذ آخر الفقرة : ٦٤ . وهذه الفقرة كلها اختيار من قصيدته النبيلة التى أولها : (ديوانه : ٤٩)

ألا عِمْ صباحًا أيُّها الطَّلَلُ البالى   وهل يَعِمَنْ من كان فى العُصُر الخالى

وانتزع الأبيات انتزاعاً على غير ترتيب الشعر ؛ وكلها مفردة .

(٢) البيت فى صفة العقاب ، تصطاد الطير وتحمله إلى وكرها فتأكله وتدع القلوب لا تأكلها ، فلا يزال بعضها طرياً غضاً كالعناب – وهو ثمر أحمر غض ذو ماء كثير – وبعضها قد جف وتقبض حتى كان كالحشف البالى – وهو التمر لم يكد يظهر له نوى ، فإذا تقادم صلب وتجعد . والبالى : القديم الفاسد .

(٣) البيت تشبيه لفرسه بالعقاب التى يصفها . والباء مسوقة من بيت سبق ، وهو قوله : « وقد أغتدى والطير فى وكناتها . . . » « بعجلزة قد أترز الجرى لحمها » . يقول : بل كأنى أغتدى بفتخاء الجناحين . والفتخاء : هى العقاب ، وصفت بذلك للين جناحيها ، لأنها إذا انقضت ، كسرت جناحيها كسراً يدل على أشد اللين ، تقلبه كيف شاءت . والفتخ : اللين والتثنى . واللقوة صفة أخرى للعقاب ، لأنها تلقى نفسها فى انقضاضها خفيفة سريعة الاختطاف . دفوف : حسنة الدنو من الأرض فى انقضاضها ، وهى تضرب بجناحيها . وشملال : خفيفة سريعة ، وهذه آخر صفاتها ، يريد بها سرعة اختطافها وإصعادها محلقة . وقوله « طأطأت » يريد طأطأتها : حثثتها وحركتها . وأتى بها فاصلة معترضة قبل « شملال » ليزيد فى سرعة انطلاقها .

وقوله :

بِعِجْلِزَةٍ قد أترزَ الجرىُ لَحمَها ، كُميْتٍ ، كأنّها هِراوةُ مِنْوالِ (١)

وصُمٌّ حوامٍ ما يَقِينَ من الوجَى ؛ كأنّ مكانَ الرِّدْفِ منْها على رالِ (٢)

وقوله :

نظَرْتُ إليها ، والنُّجومُ كأنّها مَصابيحُ رُهْبانٍ تُشَبُّ لقُفَّالِ (٣)

كأنَّ الصِّوارَ ، إذْ يُجاهِدْنَ غُدْوَةً على جَمَزَى ، خَيْلٌ تجولُ بأجلالِ (٤)

(١) مضى صدر هذا البيت فى التعليق الماضى . والعجلزة : الفرس الصلبة الشديدة الأسر — صفة للأنثى ، لا يوصف به الذكر . وأترز الجرى لحم الفرس : أيبسه وشده ونفى رخاوته . والكميت : صفة للفرس ، لونها بين الأحمر والأسود ، والعرب تجد الكميت أقوى الخيل وأشدها حوافر . والهراوة : العصا . والمنوال : النساج الذى ينسج على النول . والمنوال أيضاً : نول النساج . وهو يتخذ عصاه من أصلب الخشب وأملسه ، ويزيدها العمل املاساً . شبه فرسه بها فى اندماجها وصلابتها وملاسة أديمها .

(٢) يصف فرساً آخر ذكراً كان يركبه للغارة . الواو عاطفة على صفات أخرى لهذا الفرس سبقت . والصم جمع أصم . حافر أصم وحجر أصم : صلب مصمت . الحوامى جمع حامية ، وحوامى الفرس : ميامن حوافره ومياسرها أى حروفها عن يمين وشمال . ويروى « وصم صلاب » . ووقى الفرس من السير يقى : إذا هاب السير من وجع يجده فى حافره حين رق من صلابة الأرض . وصلابة الحافر من أحمد ما فى الخيل . الوجى ما يصيب باطن الحافر الرقيق من الحفا فيظلع . مكان الردف : من كفل الفرس ، حيث يركب الردف خلف الفارس . والرال مخفف الرأل : وهو ولد النعامة . يعنى أنه مشرف ، ويستحب من الفرس إشراف عنقه وإشراف ردفه .

(٣) هذا من أبيات امرىء القيس التى صرفها الشراح إلى غير معناها . والضمير فى قوله « نظرت إليها » للمرأة التى وصفها كأنها نار من جمالها وتوقدها ، كأنها تهديه وتقوده إليها . وذلك فى ليلة غاب قمرها ، فاشتد لألاء نجومها ، فكأنها مصابيح رهبان فى دير مفرد فى الصحراء ، فرقوها وشبوها ليهتدى بها المسافرون من بعد . والقفال جمع قافل : وهو الراجع من سفره . وأراد المسافرين ، بلا قيد ، ذاهبين أو آيبين .

(٤) البيت فى حديث صيد بقر الوحش ؛ والصوار : القطيع من البقر ، يجاهدن : يجتهدن فى العدو لما روعهن . وهكذا روى « على جمزى » ، وجمزى : عدو شديد فيه نزو . وأجود الروايتين : « على جمد » . والجمد والجمد : المكان الصلب الغليظ ، وذلك أجهد لهن . والأجلال جمع جل : وهو ما يوضع على متن الفرس يصان به . وبقر الوحش بيض الظهور سود القوائم ، فهو يشبهها وهى تعدو من بعيد ، بخيل مجللة قد أسرعت الحضر فجالت عليها أجلالها البيض . وإنما أراد تشبيه حركة عدوها وهى تخطف خطفاً .

وقولَه :

[أيقتُلُنِي والمشْرَفِيُّ مُضاجِعِي] ،   ومَسْنونَةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أغْوالِ ؟ (١)

٧٦ — وقولَه :

كأنِّى غداةَ البَيْنِ يَوْمَ تحمَّلوا   ، لَدَى سَمُرَاتِ الحىِّ ، نَاقِفُ حنْظَلِ (٢)

وقولَه :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً   كجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ (٣)

---

(١) هذا فى حديث آخر ، يهزأ ببعل امرأة دب إليها ، ويصف الهول الذى وقع فى قلبه من الإقدام على قتله ، مع شدة غيرته . المشرفى : السيف ينعت بالجودة ، منسوب إلى مشارف الشام أو اليمن ، وهى التى تشرف على حد الريف . والزرق : نصال الرماح والسهام ، نعتت بالزرقة لشدة التماعها وبريقها فهى ترى زرقاً .

(٢) فى هذه الفقرة شواهد التشبيه من معلقته ، على غير ترتيب السياق . البين : الفراق . وتحملوا : حملوا متاعهم وهوادجهم على الإبل استعداداً للرحيل . والسمرات جمع سمرة : وهى من شجر الطلح . ونقف الحنظل ينفقه : شقه بظفره ليستخرج حبه . والحنظل شديد الرائحة تدمع معها العين . يصف هيئة وقوفه تحت ظلال السمرات ، ينظر إلى أهل صاحبته وهم على وشك الرحيل ، فهو منكس الرأس ، مستسلم لما هو فيه ، يفتل أصابعه ليخفى لواعج قلبه ، ودمعه يتحدر لا يملك رده ولا يحاول كفكفته بيد أو رداء . ولذلك شبه نفسه بناقف الحنظل .

(٣) يصف الفرس الذى خرج عليه للصيد . وهو من الأبيات التى تعاورها الشراح ليزيلوا تناقضها لقوله « مكر مفر معاً » ، وهما صفتان لا تجتمعان معا . والمكر : الحسن الكر ، أى العطف والرجوع إلى ما انصرف عنه . والمفر : الحسن الفرار عما يريد أن ينصرف عنه . وما أراد امرؤ القيس إلا ما ظنوه تناقضاً يجب أن يزيلوه . فهو يصور سرعة انفتال فرسه من كر إلى فر ومن إقبال إلى إدبار حتى يعجز رائيه أن يفرق بين كرته وفرته ، لا يكاد يقول كر حتى يراه فر . ثم شبه اجتماع بدنه وقوائمه وسرعته فى نزوه ، وشدة اندماجه فى ذلك ، بجلمود صخر حطه السيل من رأس الجبل فتدهدى يخطف على صفحة الجبل خطفاً ، يمسها مسة ثم ينقذف فى الهواء حتى يمس صفحة الجبل مرة أخرى ، وهكذا دواليك ، وفى خلال ذلك تبدو صفحة منه وتخفى أخرى مرة بعد مرة .

وقوله :

لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ، وساقَا نَعامَةٍ ، وَإرخاءُ سِرْحانٍ،وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ (١)

وقولَه :

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ ، أَمَرَّهُ تَتابُعُ كفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ (٢)

وقولَه :

كُمَيْتٍ ، يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حالِ مَتْنِهِ كَما زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزِّلِ (٣)

وقولَه :

كأنَّ دِماءَ الهادِياتِ بِنَحْرِهِ ، عُصارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلِ (٤)

---

(١) الإطل والأيطل : منقطع الأضلاع من الخاصرة . والظبى ضامر الخاصرتين ، وهذا مما يستجاد فى الخيل . وشبه ساقيه بساقى النعامة فى الطول وعريهما من الشعر وصلابتهما . الإرخاء : هو أعلى التقريب ، والتقريب : أن يرفع الفرس يديه معاً ويضعهما معاً ويرجم الأرض رجماً . والسرحان : الذئب . وإرخاؤه : عدوه. والتتفل : الثعلب. وعدوهما يشبه به هذان الضربان من العدو. وهو مما يمدح فى الخيل.

(٢) فرس درير : مدمج الخلق يعدو عدواً شديداً لاينقطع . والخذروف : عود مشقوق فى وسطه ، يشد بخيوط ثم يدخل الصبى أصابعه فى أطراف الخيوط ، ثم يجذبها تارة ، ويرخيها تارة ، فيدور حتى لا تضبطه العين منشدة دروره ، ويسمع له حفيف ورنين . يلعب به الصبيان . وأمر الحبل : فتله ، وأراد به إدارة الخذروف . والخيط الموصل : وصفه بذلك ، لأن الصبى قد لعب به حتى تقطع فوصله، وصار أملس ، وذلك أشد لسرعة دوران الخذروف . وإنما شبه فرسه بالخذروف فى سرعته واجتماع خلقه ، وصوت مروره فى الريح .

(٣) الكميت من أشد الخيل ، ولونه حمرة يخالطها سواد . زل يزل : زلق . والحال من الفرس : موضع اللبد على ظهره وعنده مجتمع لحم المتنين ، والمتن : أراد متنيه ، وهو ما يكتنف الصلب عن يمين وشمال . والصفواء والصفوان والصفاة : الصخرة الملساء . والمتنزل : الذى ينزل عليها متجشما حذراً . يصف ملاسة ظهره وارتفاع لحم المتنين على الصلب ، فلا يكاد لبد السرج يستقر عليه ، فهو يزل مرة بعد مرة ، كالنازل على الصخرة الملساء ينزلق مرة هنا ومرة هنا ويتماسك .

(٤) الهاديات : أوائل الوحش التى خرج لصيدها . والعصارة والعصير : ما يتحلب من الشىء إذا عصرته . والمرجل : المسرح . وهذا البيت أيضاً مما حير الشراح فدلسوا معناه . ذكر امرؤ القيس طول جرى فرسه حتى لحق أوائل الصيد الشارد ، فنضح عرقه وخالطه دم الصيد . وعرق الفرس يبيض إذا يبس ، فلما در عرقه ثانية شابت حمرة الدم بياض يبيس العرق وتحدر على نحره ، فهو كشيب يخضب

وقوله :

وليلٍ كمَوْجِ البَحْرِ – أرْخى سُدُولَهُ عَلَيَّ – بأنْواعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلى (١)

وقوله :

فَيالكَ منْ لَيْـــلٍ ، كأنَّ نُجومَهُ بأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ (٢)

بعصارة الحناء ويرجل ، وهى تقطر حمراء . ولولا ما أراد من ابيضاض العرق ، لم يكن للبيت ولا للتشبيه معنى. وإنما غرر بهم إدماج امرىء القيس لما يريد من ذكر تحدر العرق المخالط للدم فى قوله « عصارة حناء » . فلما أغفل ذكر العرق ظنوا التشبيه واقعاً على الدماء فى نحره ، وهو خطأ ، لأن الفرس الذى وصفه كميت لا مصدر ، وهو الأبيض الصدر .

(١) وهذا البيت أيضاً مما زعم الشراح أنه شبه الليل فيه بموج البحر فى ظلمته ووحشته وهوله ، وأن قوله « بأنواع الهموم » متعلق بـ « أرخى على » . والتشبيه الذى زعموه هو هنا فاسد فيما أرى . والموج فى البيت مصدر لا اسم . وأصل سياقة البيت « وليل يموج بأنواع الهموم ليبتلى ، موجاً كموج البحر – أرخى على سدوله » . فظلمة الليل فى قوله أرخى على سدوله ، أما التوحش والهول فهو توحش الهموم الطاغية المتضربة عليه فى ظلام الليل. وهذا أحق بامرىء القيس ونبالة معانيه . ومن تأمل عرف ما فيه من الروعة والإيجاز واللمح البعيد القريب للمعانى المختلفة .

(٢) هكذا رواه ابن سلام وبعض الرواة غيره . ورواية سائرهم :

فيا لكَ من ليلٍ . كأنَّ نُجُومَهُ بكلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّت بيَذْبُلِ

كأنَّ الثريَّا عُلِّقَتْ فى مَصامِها بأمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

أغار الحبل : فتله فتلا شديداً محكماً فهو مغار . ويذبل : جبل فى نجد . والثريا : ستة نجوم ظاهرة ، وبينها كواكب خفية كثيرة العدد ، وهى جميعاً تسمى : النجم ، جعلوه كالعلم لها . ومصام النجم : معلقه ومكانه فى السماء ، من الصوم : وهو القيام بلا عمل ولا حركة . والأمراس جمع مرس : وهو الحبل الشديد الفتل . والصم جمع أصم : وهو الصلب . والجندل : الصخور العظام الشداد .

ويكاد المتعجل يرى أن معنى البيتين واحد ومكرر ، وهو فساد فيه . بيد أنى أرى أن امرأ القيس رمى فى البيت الأول إلى غير ما رمى فى الثانى : والبيتان تابعان لما تقدم فى أبياته عن الليل ، مع ما احتدم فى صدره من الهم المتلاطم ، والليل لا يزال « يتمطى بصلبه » أى يمتد ويتطاول ، ويتمنى صاحبنا أن ينجلى بصبح ؛ وكل ذلك فى أوسط الليل وبعده . فنظر فى النجوم عامة فرآها مبهمة لا تسير ولا تتحرك ولا يكاد يختلف مكانها من السماء ، فشدها بالحبال الغليظة إلى شىء ضخم ثابت مبهم أيضاً لا يزول من مكانه ، وهو يذبل (الجبل) . هذا البيت الأول . أما الثانى ، فإنه رأى الثريا تزهر وتتلألأ ، وهى تنصب للمغيب قبيل الفجر ، ولكنها حركة خفية ثقيلة بطيئة ، فأخرج من جميع ذلك تشبيهه ، فرآها كأنها شدت بأمراس من الكتان الأبيض إلى صخور ضخام تجرها ، فلا يكاد يرى حركة هويها للمغيب إلا بطيئة ثقيلة ، ولكنها حركة على كل حال .

ومن أجل ما يعرض من توهم التكرار ، اختصر بعض الرواة رواية البيتين ، فجعلهما بيتاً واحداً ، كما رأيت فى صنيع ابن سلام أو من روى عنه .

خَيَّرُوا بينه وبين قول النابغة :

فَإِنَّك كاللَّيْلِ الذى هُوَ مُدْرِكى ... وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عنكَ واسِعُ (١)

فزعم بعضُ الأشياخ أن بيت النابغة أحكمُها . وقوله :

. . . . تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ (٢)

هى المرآة بالرومية .

(١) ديوانه : ٤١ . لا أرى وجهاً للتخيير والموازنة ، ويا بعد ما بين موقع كل منهما من سياقه ومعناه . فامرؤ القيس أراد ما رأيت من بطء الليل وثقله عليه . والنابغة أراد شيئاً يخالفه كل المخالفة حين ذكر الليل . وللشراح كلام كثير ، ولكنه كلام ! قال بعضهم : لا معنى لتخصيص الليل ، لأن النهار يدركه كما يدركه الليل . ثم تراجعوا القول بينهم بما لا غناء فيه . فإن النابغة يقول للنعمان ابن المنذر :

فإن كنتُ لا ذُو الضِغْنِ عنّى مكذَّبٌ ... ولا حَلِفى على البراءة نافِعُ

ولا أنَا مأمونٌ بشىءٍ أقولُهُ ... وأنت بأمرٍ لا محالةَ واقع

فإنك كالليل . . . . .

يقول : فإن كان شأنى أنا – فيما رمانى به عدوى عندك – أن لا أجد منك إنصافاً ولا حيلة : فلا الواشى المضطغن مكذب لما تعرف من ضغنه وعداوته ، ولا حلفى لك على براءتى مما قرفنى به ينفع ، ولا حسن ما أحتال به من القول يجدى على فى ابتغاء مرضاتك حتى أنال الأمن من سطوتك ، وكان شأنك أنت أنك قد طويت عزمك على الإيقاع بى لا محالة ، ولا مهرب لأحد مما تريد – فإنما مثلى فى كل هذا ومثلك : كالسائر نهاراً فى أرض مرهوبة مخوفة ، لا ينجو أحد من غوائل ليلها مهما حرص واحتال ، وإنه ليبصر فى نهارها كل حيلة تنجيه من مخاوفها ، وكلما نجا من مخوف أوهمته نجاته أن الليل بعيد وأنه خليق أن يخلص منها قبل أن يدركه ، ولكن الليل مدركه لا محالة بغوائل لا ينجو عليهن ناج أبداً. بهذا تعلم أنه لا وجه للتخيير بين البيتين ، إلا أن يراد بالتخيير الموازنة بين قدرة الشاعرين فى البيان وحده.

(٢) الترائب جمع تريبة : وهى أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته ، وهى موضع القلادة من الصدر. وصقل الشىء: جلاه. والسجنجل كما قال – المرآة بالرومية، وكانت الروم تصنع المرآة من خليط النحاس والقصدير أو الرصاص المعروف بالبرنز ، فإذا جلى صار بين الفضة والذهب فى لونه ، وكان من أجود صناعتهم. ومن أجل هذه الصفة خلط اللغويون فقالوا : السجنجل : قطع الفضة وسبائكها ، وقالوا : هو ماء الذهب ، وقالوا : الزعفران ، وإنما جاء هذا الأخير من نفس هذا التشبيه ، لأن نساء العرب كن يطلين بالزعفران ، ولونه عندئذ كلون البرنز المجلو ، قال المخبل :

والزَّعْفرانُ على تَرَائِبِها ... شَرِقٌ به اللَّبَّاتُ والنحرُ

وقوله :

إذَا ما الثُّرَيَّا فى السَّماءِ تَعرَّضَتْ تَعرُّضَ أَثْناءِ الوِشَاحِ المُفَصَّلِ (١)

قال : فأنكر قومٌ قوله : « إذا ما الثُّرَيا فى السماء تعرَّضَت » (٢) ، وقالوا : الثريَّا لا تتعرَّض . قال بعض العلماء : عَنَى الجَوْزَاء . وقد تفعل العربُ بعضَ ذلك (٣) قال زهير :

ولا أظن أن تشبيه امرىء القيس قد جاء إلا بعد الصفة التى وصف بها الترائب بقوله « مصقولة » فإن هذا النعت يحمل من معانى النعمة والترف وحسن الغذاء والصحة والامتلاء وغضارة البشرة ونضارتها واستوائها وخفاء العظام من تحتها ، وخلوها من الخشونة والمسام التى تكون كمغارز الإبر فى الأديم ، ما لا يدرك إلا بالتأمل . والمرأة تعلم موضع الفتنة من هذا المكان ، فهى تحتال للكشف عنه بما يزيده لألاء وبهجة ، والرجل يرى فيه من روائع الجمال ما لا يراه فى غيره ، ولذلك أمر الله نساء المؤمنين أن يضربن بخمرهن على جيوبهن .

(١) ذكر ابن منظور فى كتابه « نثار الأزهار : ١٠٩ » هذا البيت ثم قال :

[قال محمّد بن سلام : أنشدت يُونس النحوى هذا البيتَ الذى لامرئ القيس ، فزَوَى وَجْهَه وجمع حاجبيه وقال : أخطأَ مع إحسانه . إن الثريَّا لا تعترض ، إنما الاعتراض للجوزاء ، هَلاَّ قال كما قال ذو الرمة :

وَرَدْتُ اعتِسَافاً والثُّرَيَّا كأَنَّها على قِمَّة الرأْسِ ابنُ ماءٍ مُحَلِّقُ]

وقال الوزير أبو بكر فى شرح ديوانه : [قال ابن سلام : الثريَّا تتعرَّض عند السقوط ، كما أن الوِشَاح إذا طُرِح تلقاكَ بناحيته] .

ونقلت هذين هنا ، لأنى أظنهما من أصل ابن سلام فى هذا الموضع أو فى موضع غيره مما سقط من كلامه عن شعراء هذه الطبقة .

تعرضت : تحرفت وأبدت عرضها . والأثناء جمع ثنى : وهى ما انثني من الوشاح . والوشاح : قلائد يضم بعضها إلى بعض ، تكون من لؤلؤ وجوهر منظومين مخالف بينهما ، معطوف أحدهما على الآخر ، تتوشح به المرأة ، فتشده بين عاتقها وكشحها . والمفصل : المرصع ما بين كل خرزتين منه بلؤلؤة أو ذهب . وتعرض الثريا يكون عند انصبابها للمغيب فى زمان الدفء ، وذلك منها فى أول الليل أو بعده ، لقوله بعد « فجئت وقد نضت لنوم ثيابها » . والذى قاله يونس وغيره رأى منقوض .

(٢) هذا رأى يونس كما رأيت فى التعليق السابق .

(٣) وهذا رأى أبي عمرو بن العلاء كما جاء فى كتب كثيرة منها شرح ديوان امرىء القيس : ٢٧

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلمانَ أَشْأَمَ ، كُلُّهُمْ كأحمرِ عادٍ ، ثم تُرْضِعْ فتفطِمِ (١)

يعنى : أحمرَ ثمود . وقوله :

فَظَلَّ العَذارى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِها وشَحْمٍ كهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ (٢)

٧٧ — وقال يصف فرسًا :

بِذِى مَيْعَةٍ ، كأنَّ أدنَى سِقاطِه وتقريبه ـ وَهْنًا ـ دآليلُ ثَعْلَبِ (٣)

عظيمٌ ، طويلٌ ، مُطمَئِنٌّ ، كأنه ـ بأسْفَلِ ذى ماوانَ ـ سَرْحَةُ مَرْقَبِ (٤)

---

(١) ديوانه : ٢٠ فى صفة الحرب وشبهها بالناقة ينزو عليها الفحل ثم تضع ، فوصف ما تلد لهم. غلمان أشأم : يعنى غلمان شؤم أشأم من كل مولود ، فاختصر . وقوله ثم ترضع فتفطم : أى ترضع أهلها العداوة والفجور والبغى ، ثم تفطمهم ، فيتم أمر الحرب .

(٢) يذكر ناقته التى عقرها للعذارى بدارة جلجل . وترامى القوم بالشىء وارتموا : رمى به بعضهم بعضاً ، أو إلى بعض. هدب الثوب وهدبته وهدابه : ما تدلى من طرفه وخمله . والدمقس : الإبريسم والخز ، كالحرير. والمفتل : الذى لوى بعضه على بعض فتلا غير محكم . وإنما أراد خيوط الدمقس المتدلية التى جمعت ولويت ، فى بياضها وامتلائها ولينها . ولم يرد امرؤ القيس أنهن يتقاذفن الشحم واللحم بينهن ، كما قالوا فى تفسيره ، بل أراد باختياره هذه الكلمة « يرتمين » أن يدلك على اجتماعهن حول ناقته وشوائها من هنا وهنا ، وأنهن لم يدعن الضحك والبهجة واستغرقهن اللهو والمزاح والتندر به ، وأن الضحك يميل بهذه ناحية وبأختها ناحية ، وهن يتهادين بينهن أطايب لحمها وشحمها ، تقول هذه : خذى ! وتلك : خذى أنت ! وهن يتعابثن ويتهاتفن ، غيظاً له وعبثاً به .

(٣) اختلفت الروايات فى هذه الأبيات ، وهى من القصيدة التى عارضه بأختها علقمة الفحل فى قصة التحكيم ، ودخل شعر أحدهما فى شعر صاحبه ، حتى صعب تخليص القصيدتين تخليصاً يطمأن إليه . « بذى ميعة » : متعلق بقوله فى البيت قبله « وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل ... » . ميعة الشباب والسكر والنهار وحضر الفرس : أوله وأنشطه وأسهله . وساقط الفرس سقاطاً فى عدوه : جاء مسترخياً . والتقريب ضرب من عدو الفرس ، والتقريب الأدنى يقال له الثعلبية . ودآليل جمع دألان : وهو عدو مقارب فيه نشاط وسرعة. ويروى « ذآليل » بالذال جمع ذألان ، وهو مثله فى المعنى . وكان حق جمعهما ذآلين ودآلين ، ولكنهم أبدلوا من النون لاماً ، اقتداراً على لغتهم . وقوله ، وهنا : أراد تقريباً ليناً غير مبالغ فيه ؛ ويروى « هوناً » و « رسلا » وهى متقاربة المعانى .

(٤) أراد بالاطمئنان ههنا : سكونه فى صيامه وقيامه . وذو ماوان : مكان فى طريق مكة ، وهو واد . والسرح واحدته سرحة : شجر طوال عظام يستظل بها ، ينبت بنجد فى السهل والغلظ ولا ينبت فى رمل ولا جبل ، وهو مائل النبتة أبداً ، وميله من بين جميع الشجر فى شق اليمين . والمرقب هنا : الأرض المشرفة على ما حولها . شبه فرسه هذا بالسرحة الباسقة فى المكان المشرف .

لهُ أيطلاَ ظبْيٍ ، وسَاقا نَعامَةٍ ، وَصَهْوَةُ عَيْرٍ قائِمٍ فوقَ مَرْقَبِ (١)

لهُ جُؤْجُؤٌ حَشْرٌ ، كأنّ لِجامَهُ يُعالَى به فى رأسِ جِذْعٍ مُشَذَّبِ (٢)

وَعَيْنانِ كالماوِيَّتَيْنِ ، ومَحْجِرٌ إلى سَنَدٍ مثلَ الرِّتاجِ المُضَبَّبِ (٣)

إذَا ماجَرَى شَأْوَيْنِ وابتلّ عِطْفُهُ تَقُولُ هَزِيزُ الرِّيحِ مَرَّتْ بأَثْأَبِ (٤)

كأنّ دِماءَ الهادياتِ بنَحْرِهِ عُصارةُ حِنَّاءٍ بشَيْبٍ مُخضَّبِ (٥)

---

(١) مضى تفسير صدر البيت فى فقرة ٧٦ ص ٧٠ ، والصهوة : موضع اللبد من الفرس ، وهو مقعد الفارس منه . والعير : حمار الوحش . والمرقب هنا : ربوة أو علم يوفى عليه المرء لينظر من بعد . وقال أصحاب الصفات : إنه ليس فى الدواب أحسن صهوة من حمار الوحش إذا قام واستوى فى موقفه ، وإنما يفعل ذلك عند إرادة الماء ، فهو يجمع أتنه ويحوطها ، ثم يوفى على ربوة يقلب طرفه فى الأرجاء حتى تدنو ساعة انطلاقه إلى الماء بصواحبه .

(٢) الجؤجؤ : ملتقى الفهدتين من الفرس ، من أسافلهما إلى أعاليهما ، والفهدتان : اللحم الناتىء فى صدره. والحشر : اللطيف الدقيق الطرف . ولم أعرف وصف الجؤجؤ بأنه حشر . ورواية أبى عبيدة : « له عنق حشر » ، وهى أجود . ويعالى : يمد به إلى أعلى ويرفع . والمشذب الذى استؤصل ما عليه من الأغصان ، فاستوى وبان طوله . وطول العنق واستواؤه مما يمدح به الفرس .

(٣) الماوية : المرآة ، كأنها نسبت إلى الماء لصفائها ، وأن الصور ترى فيها كما ترى فى الماء الصافى . المحجر : ما دار بالعين من العظم الذى فى أسفل الجفن . والسند : ما ارتفع من الأرض فى قبل الجبل ، وعلا عن السفح . والرتاج : الباب العظيم المغلق يكون فيه باب صغير وبابان . والمضبب : الذى ألبس الحديد. يرى موقع عينيه الصافيتين ومحجره من رأس مشرف صلب ، كأنه باب مضبب بالحديد

(٤) الشأو : الشوط والمدى . والعطف : الجانب ، وهما عطفان لكل إنسان ودابة ، وأفرد على إرادة الاثنين . وتقول : تظن ، كقول عمر : « فمتى تقول الدار تجمعنا » أى تخال وتظن . وهزيز الريح : صوت حركتها . الأثأب : شجر واسع الظلال ينبت فى بطون الأودية ، يستظل تحته الألوف من الناس . ويستحب من الفرس أن يعرق مرة ويجف مرة ، لأنه لو دام العرق لأضعفه ، وأن لا يعجل عرقه ولا يبطىء . ولذلك قال « إذا ما جرى شأوين . . . » وذلك عندئذ أشد لجريه ، فإذا اضطرم فى عدوه سمع له حفيف كحفيف الريح فى الشجر المتكاثف .

(٥) مخضب أراد ، يخضب ، كما مضى فى تفسيره بيته الآخر ص ٧٠ رقم ٤

٧٨ — وقال أيضاً :

تَرُوحُ كأنَّها مِمَّا أصابَتْ ... مُعلَّقَةٌ بأَلْحِيها الدُّلِىُّ (١)

إذَا ما قامَ حالِبُهمْ أَرَنَّتْ ... كأنَّ الحىَّ صبَّحَهمْ نَعِىُّ (٢)

٧٩ — أخبرنى يونس بن حبيب ، قال : قيل لذى الرُّمَّة : مَنْ أحسن الناس وصفاً للمطر ؟ فذكروا قولَ عَبيد :

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُه ... يَكادُ يَدْفَعُهُ من قامَ بالرَّاحِ (٣)

فَمَنْ بنَجْوَتهِ كَمَنْ بِمَحْفِلِهِ ... والمُسْتكِنُّ كمَنْ يَمْشِى بقِرْوَاحِ (٤)

---

(١) هما فى صفة المعزى ، وذكر قبلهما أنها رعت الربيع حتى حفلت ضروعها باللبن . تروح : تؤوب بعد المرعى عشياً . مما أصابت : من الربيع ، فامتلأت ضروعها . والألحى جمع لحى : واللحى : حائط الفم من العظم الذى تنبت فيه الأسنان ، وهما لحيان فى الإنسان والدابة . وليس له معنى مستقيم هنا . والرواية « بأحقيها » جمع حقو : وهو الخصر والجانب . والدلى جمع دلو . يقول : هى تعود من المرعى حافلة الضروع ، كأن دلاء علقت بجنوبها .

(٢) الضمير فى «حالبهم» يعود إلى مذكور بعد، هوالحى. وأرادبالحالب: جماعة الحالبين، لا واحداً . أرنت ، من الرنة والإرنان : وهو الصيحة الحزينة عند البكاء . جعل ثغاء الشاء عند الحلب ، واختلاط أصواتها كأنه صوت مأتم فجأهن نعى عزيز عليهن مع الصبح ، فهو أشد لبكائهن واختلاط أصواتهن .

(٣) هو عبيد بن الأبرص، ديوانه : ٧٥ يصف السحاب والمطر . دان: سحاب قريب من الأرض . مسف : منأسف الطائر إذا دنا منالأرض دنواً شديداً وهو يرفرف بجناحيه، يصف شدة تدليه كأنه طائر مسف . والهيدب : ما تدلى منه كهدب الثوب وخمله ، يخيل للمرء لشدة دنوه وإطباقه أنه لو استوى قائماً لنالته يده .

(٤) يذكر مطره وكثرته ، ومكان البيت فىآخر القصيدة ، وإن رواه أكثر الرواة تالياً لسابقه . والنجوة نجوة الوادى : فهى سنده المشرف الذى لا يعلوه السيل . والمحفل : حيث يحتفل السيل أى يجتمع ماؤه . والضمير فى «نجوته» و « محفله » للوادى وإن لم يذكر فى الشعر . والمستكن : الذى استكن فى بيته ، والكن : البيت . والقرواح : الأرض البارزة للشمس لا يسترها شىء . فمن شدة مطره وتدفقه وكثرته لا يجد الذى فى سند الوادى أو فى بطنه مخلصاً من سيله ، والمستكن فى بيته والسائر تحت السماء سواء فيما ينالهما من مائه .

والقصيدة من روائع الشعر ، فاطلبها فى الديوان ، أو فى مختارات ابن الشجرى .

فجعلها يونس لعَبيد ، وعلى ذلك كان إجماعُنا ، فلما قدِم المفضَّل صَرَفها إلى أوْس بن حَجَر(١)

وذكروا قول عبد بنى الحَسْحاس(٢) :

تَعبْتُ به ظَنًّا ، وأيقنْتُ أنه يَحُطُّ الوُعُولَ والصُّخورَ الرَّواسيا(٣)
وما حَرّكتْه الرِّيحُ ، حتَّى ظَنَنْتُه بحَرّةِ ليلَى أو بنَخْلَةَ ثاوِيا(٤)
فَدَرَّ على الأَنْهاءِ أوَّلَ مُزْنةٍ فعَنَّ طَويلاً يَسْكُبُ الماءَ ساجِيا(٥)
رُكامٌ يَسُحُّ الماءَ عن كُلِّ فِيقةٍ ويُغْدِرُ فى القِيعانِ رَنْقاً وصَافيا(٦)

---

(١) ديوان أوس بن حجر القصيدة رقم : ٤

(٢) هو سحيم ، عبد بنى الحسحاس ، أحد أغربة العرب ، كان شديد السواد ، وأدرك الجاهلية ، يذكرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل بشىء من شعره – إن صح – فى خبر مذكور . وقد قتله مواليه فى خلافة عثمان لتعرضه لنسائهم .

(٣) ديوانه : ١٦ – ٣٣ ، وهى قصيدة من مستجاد أشعار الناس . وأرقام الأبيات التى أنشدها من ٨١ – ٨٦ ، ٩٠ .تعبت به ظنا : يعنى كثرت ظنونه فى مساقط غيثه هنا أو هنا أو هنا حتى كل . والضمير فى« به » للسحاب الذى ذكره فى أبيات سبقت . والوعول جمع وعل : وهى الأروى ، تيس الجبل ، لا يرى إلا فى رؤوس الجبال ، فإذا التج المطر نزل إلى السفح . والصخور الرواسيا : الثابتات يقتلعها ويدهديها من شدته .

(٤) حرة ليلى القصوى ، حرة بنى سليم ، من الحجاز ناحية المدينة . ونخلة : قريب من مكة . ثوى بالمكان : حل به وأقام . يقول : ولم تكد الريح تحركه لثقله ، حتى ظننته سيلقى ماءه فى هذا المكان أو ذاك .

(٥) در المطر يدر : صب ماءه مطرة بعد مطرة واندفق . والأنهاء جمع نهى (بفتح أو كسر فسكون) : وهو حيث يجتمع الماء فى طرف الوادى ، فيصير غديراً . ولعله عنى بها هنا مكاناً بعينه كثير الغدران . والمزنة : المطرة هنا لا السحابة البيضاء . وعن يعن : اعترض فى الأفق . ويروى « فعق » : أى انشق بمائه واندفق. الساجى: الساكن ، لا يتحرك . يذكر سكون هذا السحاب وهو يريق ماءه .

(٦) الركام : السحاب الغليظ المتراكم بعضه فوق بعض ، وذلك أشد لمطره . سح الماء يسحه : صبه صباً شديداً متتابعاً . و«عن» هنا بمعنى «بعد» . والفيقة : أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع لبنها ، ثم يعاد حلبها . فأراد أن السحاب يسح المطر ثم يسكن شيئاً ثم يسح أخرى ، فما بين السحين هو الفيقة. وغادر الشىء وأغدره : تركه ، ومنه سمى الغدير ، وهو مستنقع ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً . القيعان جمع قاع : وهو أرض سهلة واسعة مستوية مطمئنة ، لا حزونة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط ،

وَمَرَّ على الأجبالِ أجبالِ طيّئٍ　كماسُقْتَ مَنكوبَ الدّوابرِ حافيا[١]
أجشُّ هزيمٌ سَيْلُهُ معَ وَدْقِهِ　تَرى خُشُبَ الغُلّانِ فيه طَوافيا[٢]
بَكى شَجْوَه واغتاظَ حتّى حَسِبْتُه　من البُعْدِ لمّا جلجلَ الرّعدُ حادِيا[٣]

فقال : بل قولُ امرىء القيس أجودُ حيث يقول[٤] :

دِيمةٌ هَطْلاءُ فيهــــا وَطَفٌ　طَبَقَ الأرْضِ تحرّى وَتدِرّْ[٥]

لا حصى فيها ولا حجارة ، ولا تنبت شجراً ، وما حواليها أرفع منها ، يصب فيها ماء المطر ، ويصير غدراناً . الرنق : الماء الكدر من التراب والقذى . يصف شدة وقعه وتتابعه مرة بعد مرة ، فجرف الأرض ، فغادر فى القيعان غدراناً بعضها كدر وبعضها صاف .

(١) جبال طيء معروفة، أشهرها سلمى وأجأ. المنكوب: الفرس الذى نكبت الحجارة حافره ، أى أثرت فيها فظلع وضعف مشيه . ودوابر الفرس : مؤخر حوافره ، جمع دابرة ، وهى ما حاذى موضع رسغه . وحفى حافر الفرس حفاً ، فهو حاف : رق حافره من كثرة العدو وشدته ، فهو أشد لظلعه إذا نكبته الحجارة . يصف ثقل السحاب وبطء سيره من ثقل مائه وتراكمه ، شبهه بالفرس البين الحفا والظلع يساق سوقاً ليناً رفيقاً بطيئاً .

(٢) الأجش : السحاب الغليظ صوت الرعد ، كصوت الطحن بالرحا . والهزيم : السحاب الذى يكون وعده متشققاً كأنه صخر يتقصف بعضه على بعض ويتكسر . والودق : قطر المطر إذا عظم واندفق . والغلان جمع غالّ : وهو بطن الوادى الذى ينبت الطلح والسلم . والطوافى جمع طاف : وهى تعلو الماء طافية عليه . يصف شدة رعده ، وذلك من تراكمه واحتفاله ، وأن ما نزل منه صار سيلا ، ومع ذلك لم ينقطع ودقه بعد ، حتى اجترف شجر الوادى فهو طاف على وجه السيل .

(٣) الشجو : الهم أو الحزن يعترض فى القلب والنفس حتى يختنق صاحبه بالبكاء. وبكى شجوه : بكى حتى أنزف ما اختنق به من الدمع ، كأن السحاب كان قد اختنق بمائه فبكى حتى زال شجوه . واغتاظ من الغيظ : وهو أشد الغضب يعتلج فى النفس ، يريد أنه حمى واشتد وعنف فجلجل بالرعد كما يهدر المغيظ المحنق . فحسب صوته من البعد البعيد حادياً يحدو بإبل معيية حداء يجلجل فى أرجاء المفاوز . وهو كلام حسن يجود على التأمل .

(٤) قوله «فقال» يعنى ذا الرمة . قال الشنتمرى فى شرح ديوان امرىء القيس : « كان الأصمعى يحدث عن أبى عمرو بن العلاء أنه سأل ذا الرمة فقال : أى الشعراء الذين وصفوا الغيث أشعر ؟ فقال : امرؤ القيس. قال أبو عمرو ، فأنشدنى قوله : ديمة هطلاء . . . » . وفى نسختنا بعد البيت الثانى خرم طويل ، يستغرق سائر شعراء هذه الطبقة ، إلى أول الطبقة الثانية . فمن أجل ذلك أتممت سائر أبيات امرىء القيس من ديوانه ، لجودتها وسبقها .

(٥) الديمة : مطر ساكن ليس فيه رعد ولا برق ، ولكنه يشتد ويدوم ، وأقل ما يسمى منه ديمة ما يدوم ثلث النهار أو ثلث الليل ، ثم يبلغ عدة أيام . والهطلاء ، وصف لها من الهطلان والهطل : وهو المطر

تُخْرِجُ الوَدَّ إذا ما أَشْجَذَتْ وتُوارِيهِ إذا ما تَشْتَكِرْ(١)

[وَتَرى الضَبَّ خَفِيفاً ماهِرًا ثانيًا بُرْثُنَهُ ما يَنْعَفِرْ(٢)

وتَرَى الشَّجْراءَ فى رَيِّقِها كَرُءُوسٍ قُطِّعَتْ فيها الخُمُرْ(٣)

ساعةً ، ثُمَّ انْتَحاها وَابِلٌ ساقِطُ الأَكْنافِ واهٍ مُنْهَمِرْ(٤)

المتفرق العظيم القطر المتتابع المسترخى . والوطف فى السحاب : أن يتدلى ويتساقط من نواحيه مسترخياً كأنه يحمل حملا ثقيلا من كثرة مائه ، وتكون فى السحابة أهداب كأهداب الخميلة . وطبق الأرض : وجهها وأديمها الواسع المتراحب . وهو منصوب بقوله « تحرى » ؛ ويروى بالرفع بمعنى الغشاء ، أى عم الأرض وشملها كأنه طبق — أى غطاء ، والنصب أحب إلى . وتحرى الشىء : قصده واجتهد فى طلبه وعزم على بلوغه . ودرت السحابة : صبت ماءها صبا كالدرة . يقول هذه الديمة التى وصفها تتحرى وجه الأرض تحريا كأنها طالبة جاهدة ساعية سعى صاحب العزم على بلوغ ما أراد ، وإسناد التحرى للديمة عجب فى البيان .

(١) الود : جبل قرب جفاف الثعلبية . وجفاف الثعلبية من جفاف الطير ، وهى الطريق بين مكة والكوفة من أرض نجد. وأشجذ المطر : سكن وضعف ثم أقلع . واشتكر المطر : حفل واشتد وقعه . يقول إن هذه الديمة من كثافة ودقها إذا احتفلت طمست الود على ضخامته فلا يكاد يرى منه شىء ، فإذا أقلعت ، فكأنما هى تخرجه بعد أن احتوت عليه . وهذه أحسن عبارة عن كثافة المطر وظلمته .

(٢) الماهر : الحاذق الجيد السباحة ، هنا . وبرثن الضب : بمنزلة الأصابع من الإنسان ، والضب أشبه الحيوان كفا بكف الإنسان . وثنى برثنه : قبضه وبسطه فى سبحه . والضب أحسن الحيوان سباحة . وقوله : ما ينعفر : أى لا يجد عفراً (وهو التراب) فينعفر برثنه ، أى يصيب التراب ، وذلك من عظم السيل وارتفاعه . وكأنه ذكر العفر ههنا ليدل على تباعد جانبى السيل ، فكأنه لو طلب اليابسة لما وجدها .

(٣) الشجراء : أسم لجماعة الشجر واحدته شجرة . ولم يأت من الجمع على هذا المثال إلا أحرف يسيرة ، وإنما نظر فى الإتيان به إلى معنى الصفة للدلالة على تكاثف الشجر وتراكبه . وريق المطر : أول شؤبوبه قبل أن يشتد ويظلم . والخمر جمع خمار : وهو ما تغطى به المرأة رأسها ، والذى يغطى به الرجل رأسه هو العمامة . يقول إن الأشجار المتكاثفة يعلوها السيل حتى يبلغ رؤوسها فيتضرب موجه ويكثر زبده وغثاءه ، فتراها على وجه السيل كأنها رؤوس قطعت وعليها عمائمها البيض .

(٤) « ساعة » ترد إلى البيت الأول ، أى ديمة تحرى وتدر فعلت ذلك فى الشجراء ساعة ، ثم انتحاها وابل . انتحى الشىء : قصده واعتمد ناحيته . والوابل : المطر الشديد الضخم القطر الحثيث . الأكناف جمع كنف : وهى النواحى والجوانب . وساقط الأكناف ، كأنه يدنو من الأرض ويتهدم عليها ساقطاً لا يحبسه شىء. واه : قد استرخى من ثقله وشدته فهو لا يتماسك . منهمر : سريع السكب متتابع متدفق .

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ، ثم انْتَحَى   فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْفَجِرْ (١)

ثَجَّ حتى ضَاقَ عن آذِيِّهِ   عَرْضُ خَيْمٍ فَخُفَافٌ فَيُسُرْ (٢)

قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِى فى أَنْفِهِ   لَاحِقُ الأَيْطَلِ مَحْبُوكٌ مُمَرّْ] (٣)

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

---

(١) راح : أى عاد فى آخر النهار بالمطر . ومرى ضرع الشاة يمريه : مسح ضرعها مسحاً متتابعاً حتى يدر لبنها . والصبا : ريح تأتى من قبل الشمال ، وتناوحها الدبور . والعرب تقول : إن (الدبور) تزعج السحاب وتشخصه فى الهواء ثم تسوقه ، فإذا علا كشفت عنه واستقبلته (الصبا) فوزعت بعضه على بعض حتى يصير كسفاً واحداً ، و (الجنوب) تلحق روادفه به وتمده . ولذلك جمع امرؤ القيس بين الصبا والجنوب ، فجعل الصبا تمريه وتمسحه حتى يجتمع ماؤه كما يجتمع اللبن فى الضرع ، ثم اعتمدته الجنوب ففتحته وشققته بشؤبوب منفجر ، والشؤبوب : دفعة المطر وشدته . والمنفجر : المتدفق المنسكب بأشد قوة .

(٢) ثج المطر : صبّ صبا غزيراً مصمت الصوت من كثرته . والآذى : الموج الملتطم . وخيم وخفاف ويسر : أودية عظيمة من ناحية البحرين واليمامة إلى نجد . يقول : إن المطر ثج ثجا حتى سالت بالسيل هذه الأودية العظيمة وضاقت عن مائه المتلاطم تلاطم أمواج البحر .

(٣) أنف البرد وأنف العدو : أوله وأشده . والضمير فى أنفه راجع إلى السيل ، وإن لم يذكر مبيناً ، ويعنى أشد سيلانه فى الوادى وتدفقه . لاحق : ضامر . والأيطل : الخاصرة والكشح . والمحبوك : المدمج الخلق . والممر : المفتول فتلا شديداً كأنه حبل محكم الفتل . يصف فرساً . يقول : إن هذا الفرس الضامر قد عدا به فى الوادى ، والسيل المتدفق من ورائه يتبعه على الأثر فلا يدركه . فانظر كيف هول أمر المطر ، وهول سرعة السيل المتلاطم فى سبعة أبيات ، لكى يصف سرعة فرسه وشدة حضره فى بيت واحد ؟! صورة واضحة لا تحول ألوانها أبداً .

الطبقة الثانية

٨٠ — أَوْس بن حَجَر بن عَتَّاب بن عبد الله بن عَدِىّ بن نُمَيْر بن أُسَيِّد بن عَمْرو بن تَمِيم ، وهو المقدَّم عليهم[١] .

٨١ — وبِشْر بن أبى خَازمٍ الأَسَدىّ .

٨٢ — وكعبُ بن زُهَيْر بن أبى سُلْمَى .

٨٣ — والحُطَيْئة ، أبو مُلَيْكَة ، جَرْوَلُ بن أَوْس بن مالك بن جُؤَيّة بن مَخْزُوم بن مالك بن غَالب بن قُطَيْعَة بن عَبْس بن بَغِيض بن ريْث بن غَطفَان .

* * *

٨٤ — وأوْس نظيرُ الأَربعة المتقدِّمين[٢] ، إلَّا أَنَّا اقتصرنا فى الطَّبقات على أربعةِ رهْطٍ . وقال يونُس ، قال أبو عمرو بن العَلاء : كان أوْسٌ فَحْلَ مُضَر ، حتى نشأ النابغةُ وزهيرٌ فأخْمَلاهُ . وكان زُهَيْرٌ راويَتَه . وقال أبو على الحِرْمازىّ : كان أوس زوجَ أمِّ زُهَيْر . قلتُ لعمرو بن

(١) اختلف فى نسبه ، انظر الأغانى ١١ : ٧٠ ، وساقه على رواية ابن سلام فى الجمهرة : ٢٠٠

(٢) يعنى أهل الطبقة الأولى .

مُعاذ التَّيْمىّ[١]، وكان بَصيرًا بالشعر : من أشعرُ الناس ؟ قال أَوْس . قلت : ثم منْ ؟ قال : أبو ذُؤَيْب . قال : فأوسٌ شاعر مُضر ، والأَعْشَى شاعر ربِيعة][٢] .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

---

(١) ذكره المرزبانى فى معجمه : ٢١٧ وروى هذا الخبر نفسه عن ابن سلام فى التعريف به .

(٢) فى نسختى خرم بعد هذا الموضع إلى رقم : ١٣٠

. . . .

٨٥ — منه ، وقد أَوْعَدَ رِجالًا بمكة فقتلهم ، وهو وَاللهِ قاتِلُك أو تأتيَه فتُسْلِم » ؛ فَاسْتُطِيرَ ولَفَظَتْهُ الأَرْضُ[١] .

٨٦ — نا[٢] أبو خليفة ، نا ابن سَلّام ، قال: وأخبرَني محمد بن سُلَيْمان ، عن يَحْيَي بن سَعيد الأنصارى ، عن سَعِيد بن المُسَيّب قال :

قَدِمَ كَعْبٌ مُتَنكِّراً حين بلغه عن النَّبيِّ ما بَلَغَه[٣] . فأتى أبا بكرٍ ، فلمّا صلَّى الصبحَ أَتَى به وهو مُتَلَثِّم بعِمامَتِه ، فقال : يا رسولَ الله ! رجلٌ يُبَايعك على الإسْلام . وبَسَط يَدَه وحَسَر عن وَجْهه ، وقال : بأبى أنْتَ وأمّي يا رسولَ اللهِ ، [هذا] مكانُ العَائِذِ بك ، أنا كَعْبُ بنُ زُهَيْرٍ[٤] .

---

(١) هذا جزء من خبر لم أجد نصه ، ولكنه فى حديث إسلام كعب بن زهير ، وأخيه بجير بن زهير . والخبر مشهور انظر الأغانى ١٥ : ١٤٠ وغيره فى ترجمة كعب . وهذه البقية من نص ابن سلام ، قطعة من رسالة بجير إلى أخيه ينذره أنه غير مفلت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد الذى قال فى شعره ، ويدعوه إلى أن يسلم .

استطير الرجل يستطار (بالبناء للمجهول) : ذعر ذعراً شديداً فرق قلبه واستخفه وطار به فى كل وجه . ولفظ الشيء من فمه : رماه كارهاً . ولفظته الأرض : رمت به ولم تقبله .

(٢) « نا » اختصار فى الخط دون النطق لقول الراوى حدثنا . وهذا الاختصار فى الأصول المطبوعة أما المخطوطة فلم يوجد فيها منه شيء .

(٣) يعنى ما أنذره به أخوه بجير فى كتابه إليه .

(٤) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق ، وانظر الشعر والشعراء لابن قتيبة : ١٠٤ العائذ : اللاجيء من مكروه يخافه ويرجو النجاة .

فتجهَّمَتْه الأنْصار وغَلَّظَتْ عليه ، لما ذكر به رَسُولَ الله ؛ ولاَنَتْ لهُ قريش وأحبُّوا إسْلامَه وإيمَانَه(١) . فأَمَّنَه رسول الله ، فأنشدَ مِدْحَته التى يَقُول فِيها :

بانتْ سُعادُ ، فقلبى اليومَ مَتبولُ   مُتَيَّم إثْرَهَا - لم يُفدَ - مَكْبُولُ(٢)

حتى انتهى إلى قوله :

وقالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ آمُلُه :   لاَ أُلْفِيَنَّكَ ؛ إنّى عنكَ مَشْغُولُ(٣)

فقلتُ : خَلُّوا سَبِيلِى لا أبَالَكُم ،   فكلُّ ما وَعَدَ الرَّحْمنُ مَفْعُولُ(٤)

---

(١) إيمانه هنا من قولك : آمنت العدو المستجير إيماناً فأمن : أى ضمنت له الأمن والأمان . وأمنه بالتشديد مثله .

(٢) ديوانه : ٦ وما بعدها . بانت فارقت وبعدت . والمتبول : الذى غلبه الحب وهيمه وأسقمه . والتبل : أن يسقم الهوى الإنسان . تيمه الحب فهو متيم : استولى عليه واستعبده وجعل عقله تبعاً لهواه . والمكبول : المحبوس فى كبل ، وهو القيد ، وهو المكبل أيضاً ، يقول إن قلبه متبول متيم مكبول ذليل. لم يفد : أى لم يجد ما يطلقه من إسار الهم والشوق والصبابة ، كالأسير الذى لم يفده أهله ، فهو ذليل يائس لا يملك إلا طاعة آسره .

(٣) لا ألفينك : من قولهم : ألفى الشىء : وجده وصادفه . ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمرى ، مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » . أى لا أجد ذلك من أحدكم ، يحمل معنى الإنكار والنهى الشديد . وحذف كعب كأنه قال له : لا ألفينك قاعداً تتطلب منى النصرة وتأمل المعونة ، فدعنى ، إنى عنك مشغول . وقال السكرى فى شرحه : « لا ألفينك : أى لا أكون معك ، وقال غيره : لا أنفعك فاعمل لنفسك » .

(٤) يروى « ما قدر الرحمن » ، وهما سواء فى المعنى . وخلى سبيله : أى أرسله وتركه . ويقول الشراح إنه لما رأى أخلاءه لا يغنون عنه شيئاً ، يئس من نصرتهم ، وأمرهم أن يخلوا طريقه ولا يحبسوه عن المثول بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمضى فيه حكمه ، فإن نفسه أيقنت أن كل ما قدر الله واقع . ولا أرتضى هذا السياق فى معنى الشعر . فإنه ذكر قبل أن كل خليل قال له : إنى عنك مشغول ، فليس أحد منهم يحبسه أو يمسكه ، حتى يصح سياق هذا الشرح . وأرى أن معنى « خلوا سبيلى » هو الاستنكار والاستهزاء والأنفة من التجائه إليهم ، والتحقير لشأنهم . فيقول افسحوا طريقى وابتعدوا عنه أيها الجبناء . وليس منهم إمساك ولا حبس له عن المثول بين يدى رسول الله . وقوله : لا أبا لكم مما يستعمله العرب على وجه الذم الشديد ، ويأتون به فى المدح على طريق التعجب .

كلُّ ابنِ أُنْثَى -وَإنْ طَالَتْ سَلَامتُه- يَوْماً على آلةٍ حَدْباءَ مَحْمُولُ[١]

نُبِّئْتُ أن رَسولَ اللهِ أوْعَدَنى ، والعَفْوُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ مأمُولُ

إن الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُستضاءُ بهِ : مُهَنَّدٌ من سُيُوفِ اللهِ مسْلُولُ[٢]

فى فِتْيَةٍ من قُرَيْشٍ قالَ قائِلُهُمْ ببَطْنِ مَكَّة، لمَّا أسْلَموا : زُولُوا[٣]

زَالُوا ؛ فمازالَ أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ يَوْمَ اللِّقَاءِ ولا سُودٌ مَعازِيلُ[٤]

لا يَقعَ الطَّعنُ إلَّا فى نُحُورِهِمُ وما بِهِمْ عن حِيَاضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ[٥]

فنظَرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى من عنده من قُرَيش أنِ : اسمعُوا ؛ حتى قال :

---

(١) الآلة : النعش ، واحد الآل وهو الخشب والأعواد . ويسمون النعش : الأعواد لأنهم يضمون عوداً إلى عود فيحمل الميت عليه . والحدباء : الشاقة الصعبة الغليظة التى لا يطمئن عليها صاحبها .

(٢) بين البيت والذى قبله أبيات كثيرة جياد . والمهند ، والهندى والهندوانى : السيف يعمل ببلاد الهند مطبوعاً من حديد الهند ، وهو عندهم أجود السيوف وأحكمها صنعة . يقول السكرى وغيره : الهاء فى « به » راجعة على النبى صلى الله عليه وسلم . وهو قول ليس بشىء عندى . ومن أعجب البيان قوله « سيف يستضاء به » . وقطع ثم قال : مهند ، فهو خبر لمحذوف لا صفة لقوله « لسيف » . ولذلك يجب الوقف عند آخر الشطر الأول .

(٣) قال قائلهم : يعنى عمر بن الخطاب ، فاروق هذه الأمة ، رضى الله عنه . وكان المسلمون قد اشتد عليهم الأذى من قريش ، فأذن الله لهم فى الهجرة إلى المدينة ، فجعلوا يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون أفراداً ويخفون مخرجهم ، حتى هاجر عمر ، فخرج جهرة فى عشرين راكباً من أهله وقومه وحلفائهم . زولوا ، من زال عن مكانه يزول : فارقه وتنحى عنه . يأمرهم بالهجرة من مكة إلى المدينة .

(٤) الأنكاس جمع نكس (بكسر فسكون) : وهو الضعيف العاجز الهياب الذى ينقلب راجعاً من الخوف والذلة . والكشف جمع أكشف : وهو الذى لا يثبت فى الحرب ولا يصدق القتال ، فينكشف وينهزم . والميل جمع أميل : وهو هنا الجبان ، كأنه يميل عن عدوه من الخور . والمعازيل هنا جمع معزال : وهو الذى ينزل ناحية من رفقته فى السفر ويعتزل وحده ، وهو ذم . وأراد به هنا اعتزال المقاتل عن حومة الحرب لا يعين من يدعوه لنجدته .

(٥) هذا البيت آخر القصيدة ، وبينه وبين السابقة أبيات . حياض الموت : موارد الهلاك ، كأن الشجاع يأتيها وارداً كالظامئ إليها . وهلل عن عدوه : جبن وفزع وولى ناكصاً . وقوله : لا يقع الطعن إلا فى نحورهم ، أى لا يفرون بل يواجهون القتال لا يرتدون ولا يميلون .

يَعْشُونَ مَشْيَ الجمالِ الزُّهْرِ، يعْصِمُهمْ ضرْبٌ، إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابيلُ(١)

يُعرِّض بالأنصار ، لِغلْظَتِهم - كانَتْ - عليه . فأنكرتْ قُرَيش ما قال . وقالوا : لم تمدحْنا إذْ هجوتَهُمْ ! ولم يقبلُوا ذلك حتَّى قال :

من سَرَّهُ كَرَمُ الحياةِ ، فلا يَزَلْ في مِقْنَبٍ من صالِحِي الأَنْصارِ(٢)

البـاذِلينَ نُفوسَهُمْ لنَبِيِّهم يَوْمَ الهِياجِ وسَطْوَةِ الجَبَّارِ(٣)

يَتَطهَّرُونَ - كأنهُ نُسُكٌ لَهُمْ - بدِماء من عَلِقُوا من الكُفَّارِ(٤)

صَدَمُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ صَدْمَةً ذَلَّتْ لوَقْعَتِها جَمِيعُ نِزارِ(٥)

---

(١) هذا البيت ، فى رواية الديوان وغيره ، واقع قبل البيت الماضى ببيت أو بيتين فى بعض الرواية . الزهر جمع أزهر : وهو الأبيض المستنير المشرق ، والجمال الزهر : هى الهجان ، وهى خالصة اللون كريمة عتيقة . وشبههم بالجمال الزهر ، فى اطمئنانها فى مشيها وإشراف هاماتها ، وكأنها لا تحفل بشىء ، من وقارها وعتقها. يعنى أنهم كرام أهل سؤدد ووقار وركانة ورزانة ، إذا لبسوا الدروع ومشوا إلى الحرب لم يفارقهم شىء من ذلك . يعصمهم : يمنعهم ويحميهم ويكفيهم عدوهم . ضرب : يعنى ضرب بالسيوف فى الملحمة . ونكره زيادة فى تعظيمه وتهويله ، كأنه قال ضرب معلوم مشهور لا مثيل له . وعرد الرجل عن قرنه : أحجم ونكل وفر منهزماً . والتنابيل جمع تنبال : وهو القمىء القصير . والسود : ذم لهم ، لم يعن سواد الألوان على الحقيقة ، بل ما يطمس المحاسن من ذميم الأخلاق والأفعال .

(٢) ديوان : ٢٥. الكرم : العزة والشرف ، يريد ، أن يعيش حياة عزيزة مكرمة. والمقنب . جماعة الخيل والفرسان . يذكر أنهم أهل حرب وبأس وعدة .

(٣) هذا البيت يأتى بعد أبيات فى صفة الأنصار . يوم الهياج : هياج الشر ، وهو يوم الحرب . والسطوة : شدة البطش ، وذلك يوم الحرب أيضاً حين تستحر ولا يبقى إلا جبار يبطش بجبار.

(٤) وهذا يأتى بعد أبيات كثيرة أيضاً . التطهر هنا : هو التطهر من الذنوب بتوبة أو ذبيحة يذبحها قرباناً يفتدى به من معصيته . والنسك : العبادة والطاعة وكل ما تقرب به إلى الله . ومنه سميت الذبيحة نسك . علق الشىء وعلق به : نشب فيه وتعلق به ولزمه . يعنى من وقع فى المعترك من الكفار فألحموه القتال فلم يجد مخلصاً .

(٥) الصدم : فى الأصل ، ضرب الشىء الصلب بشىء صلب مثله . ونزار بن معد بن عدنان ، تفرعت منه قبائل عدنان ، ومنهم قريش وبنو كنانة .

يعنى بنى عَلِىّ بن مَسْعود ، وهم بنو كِنَانة(١) .

فكساهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بُرْدَةً اشتراهَا معاويةُ من آلِ كعب ابن زهير بمال كثير قد سُمِّى . فهى البُرْدة(٢) التى تلبَسُها الخلفاء فى العِيدَيْن . زَعم ذٰلك أَبَان(٣) .

* * *

٨٧ — وكان الُحطَيْئةُ مَتِينَ الشعْر شَرُود القافية(٤) ، وكان راويةً لزُهَيْرٍ وآلِ زهير ، واستفْرغَ شعرَه فى بنى قُرَيْع(٥) .

وقال لكعب بن زُهير : قد علمتَ رِوَايتى لكُمْ أهلَ البيتِ وانقطاعى إليكم ، وقد ذهبت الفحولُ غيرِى وغيرَك ، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضَعنى موضعاً [بعدك] ، فإن الناس لِأشعارِكم أرْوَى وإِليها أسْرَع . فقال كعب :

---

(١) إنما عنى قريشاً ، وأهل مكة جميعاً من بنى كنانة بن خزيمة . وقوله كنانة هم بنو على بن مسعود ، يعنى بنى عبد مناة بن كنانة أخو النضر بن كنانة جد قريش . وإنما سموا علياً لأن عبد مناة ابن كنانة كان له أخ لأمه ، وهى امرأة من بلى ، هو على بن مسعود الغسانى ، فلما مات عبد مناة بن كنانة حضن على بن مسعود على ولد أخيه فسموا : بنى على . وأطلق كعب التسمية على قريش كلها ، لأن بنى كنانة كانوا ولاة البيت قبل قريش ، ثم كانوا معهم فى مكة .

(٢) البردة : شملة مخططة مربعة من صوف لها هدب .

(٣) يعنى أبان بن عثمان البجلى

(٤) قافية شرود : سائرة نزالة فى مواسم الناس ، تشرد كما يشرد البعير ويبعد الذهاب فى الأرض . والقافية هنا : القصيدة .

(٥) قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ؛ وابنه جعفر بن قريع ، أنف الناقة . مدح الحطيئة ولده ، حتى صار هذا اللقب فخراً لهم بعد أن كان نبزاً يغضون منه .

فَمَنْ للقوافِي؟ شانَها مَنْ يحوكُها ... إذا ما ثَوَى كَعْبٌ وفوَّزَ جَرْوَلُ (١)

[يقولُ ، فَلا يَعْيَى بشيءٍ يقولُه ... ومِنْ قائليها مَن يُسِيء ويعمَلُ (٢)]

كَفَيْتُكَ ، لا تلقَى من النّاسِ واحداً ... تَنَخَّلَ منها مثلَ ما يتَنَخَّلُ (٣)

يُثَقِّفُها حتى تَلِينَ مُتُونُها ... فيَقْصُرُ عنها كلُّ ما يُتَمَثَّلُ (٤)

٨٨ — فاعترضه مُزَرِّدٌ [بن ضِرار ، واسمه يزيد ، وهو] أخو الشمّاخ ، وكان عِرِّيضاً — [أى شديدَ العارضة كثيرها (٥)] — فقال :

وَباسْتِكَ ، إذْ خَلَّفتنى — خَلْفَ شاعرٍ ... من الناسِ — لم أُكْفِئْ ولم أَتنحَّلِ (٦)

---

(١) ديوانه ٥٩ . وفى بعض الكتب وفى الأصل المطبوع « شأنها » وهو خطأ صرف . وشانها : جاء بها شائنة معيبة ، وحاك الثوب يحوكه : نسجه . يريد نسج الشعر وتجويده . وثوى : هلك ، وأقام فى المنزل الذى لا يبرح نازله — القبر . وفوز وفاز : مات ، وكأنهم جعلوه نجاة للمرء من شر هذه الدار . يقول إذا ماتا فلن تسمع من الشعر إلا كل شائن معيب . وجرول : هو الحطيئة .

(٢) هذا بيت لا غنى عنه . والضمير فى « يقوله » راجع على الحطيئة. والرجل يتكلف عملا فيعيى به وعنه : إذا لم يهتد لوجه عمله . وقوله « من يسيء ويعمل » مقلوب ، ويريد من يعمل ويسيء ، وعنى بالعمل هنا الاجتهاد فى العمل ومنه قولهم : فلان ابن عمل ، إذا كان قوياً عليه مجتهداً فيه . وفى بعض نسخ الأغانى « ويعجل » ، و « ويجمل » وليستا بشيء .

(٣) كفيتك هنا : بمعنى حسبك وكفاك . تنخل الشيء : اختاره واصطفاه ، ونقاه مما يعيبه .

(٤) التثقيف للرماح : أن يسوى بالثقاف ، وهى خشبة صلبة فى طرفها خرق يتسع للرمح أو القوس ، فيدخل فيها حتى يقوم ويلين. والمتون جمع متن : وهو جنب الظهر ، ومتن الرمح والسهم : وسطهما . يقول إنه يجود صنعة الشعر حتى يستوى فلا يبقى فيه عوج ولا تعقيد . وقصر عن الشيء : وقع دونه ولم يبلغه . يقول : أجود ما يتمثل به لا يدانى جيد شعر الحطيئة .

(٥) العريض : الذى يكثر أن يتعرض للناس بالشر ، ولا يكون ذلك إلا من جلد وصرامة ، ولذلك جاء فى الشرح : شديد العارضة ، وهو الرجل الشديد ذو الجلد والصرامة والقدرة على الكلام .

(٦) وباستك : سب قبيح . وقوله : خلف شاعر من الناس ، نداء يعنى ياخلف شاعر . يقال : هذا خلف سوء لناس : إذا كان رديئاً خسيساً لا خير فيه . يقول : كيف تتركنى ، يا خلف السوء ، وأنا لم أكفيء ولم أتنحل ؟ والإكفاء ، وهو الإقواء : اختلاف إعراب القوافى ، مضى تفسيره فى رقم : ٦٩ من كتابنا هذا . وتنحل الشعر وانتحله : ادعاه لنفسه وهو من كلام غيره .

فَإن تَجْشِبَا أَجْشِبْ، وإن تتنخَّلا — وإنْ كنتُ أفْتَى مِنْكُما — أتنخَّلِ[(١)]

وَلَسْتَ كَحَسَّانَ الحُسَامِ بن ثَابِتٍ — ولستَ كشمَّاخٍ، ولا كالمُخَبَّلِ[(٢)]

وَأَنْتَ امْرُؤٌ من أَهْلِ قُدْسِ أُوَارَةٍ — أَحَلَّتْكَ عَبْدُ الله أَكْنَافَ مُبْهِلِ

٨٩ — مُبْهِل : جبَل لعبد الله بن غطَفَان . وقُدْس أُوَارة : جبل لمُزَيْنَة[(٣)] . فعزَاهُ إلى مُزَيْنة . وكان أبو سُلْمَى وأهلُ بيته فى بنى عبد الله بن غطفان ، فبهمْ يُعْرَفونَ ، وإليهم يُنسَبون . فقال كعبُ بن زُهَيْر يثبت أنه من مُزَيْنة :

أَلَا أَبْلِغَا هٰذَا المُعَرِّضَ آيَةً : أَيَقْظَانَ قَالَ القَوْلَ إِذ قَالَ أَوحَلَمْ[(٤)]

يقال : حَلَمَ فى المنام ، وحَلُم [من الحِلْم][(٥)] — إلى قوله :

[أعيَّرتَنِى عِزًّا عزيزاً ، ومَعْشَراً — كِرَاماً بَنَوا لِى المجدَ فى بَاذِخٍ أَشَمّْ ؟

---

(١) إن صحت الرواية ، فهى من قولهم كلام جشيب أى غليظ جاف ، فقوله : تجشبا ، أى تأتيا بكلام غليظ جاف لم يثقف ولم ينق . والرواية الأخرى « فإن تخشبا أخشب » . يقال : خشب الشعر يخشبه : أى أمرّه كما يجيئه ، لم يتأنق فيه ولم يتعمل فيه ، ولم يحكمه ولم يجوده . وقوله : أفتى منكما : أى أصغر منكما سناً وأطرى عوداً .

(٢) الخطاب لكعب بن زهير . والمخبل : هو المخبل السعدى ، يأتى ذكره فى الطبقة الخامسة رقم : ١٣٤ وما بعده .

(٣) الخلاف فى قدس أوارة طويل . انظر معجم ما استعجم : ١٠٥٠ فهو يرويه ويصححه « قدس وآرة » ويقول : قدس : جبل لمزينة . وآرة جبل لجهينة . وهما بين حرة بنى سليم وبين المدينة .

(٤) ديوانه : ٦٤ . وروايته ورواية الاستيعاب ١ : ٢٢ « أنه » مكان « آية » ، فلو صح نص الطبقات ، فهو أجود ، ولذلك أبقيته . والآية : العبرة يعتبر بها أو العلامة يهتدى بها كما يهتدى بآيات الأرض ، وهى أعلامها . ورواية الديوان « أم حلم » . والمعرض : أراد به هنا المتعرض بالشر المتهجم .

(٥) هذه زيادة لا بد منها ، وسياق الكلام يدل عليها .

هم الأصلُ منّي حيثُ كنتُ، وإنّني] من المزَنيِّين المُصفَّيْنَ بالكَرَمْ(١)

* * *

٩٠ — وقد كانتِ العرب تفعَلُ ذلك ، لا يُعزَى الرّجل إلى قبيلةٍ غيرِ التى هو منها إلاّ قالَ : أنا من الّذين عِبْتَ(٢) .

كان أبو ضَمْرَةَ ، يزيد بن سنان بن أبى حَارِثَة ، لاحَى النابغة فَنَماه إلى قُضاعة(٣) فقال النابغة :

جَمِّعْ مِحاشَكَ ، يا يزيدُ ، فَإِنَّنى أعددْتُ يَرْبُوعاً لكم وتَمِيما(٤)

---

(١) وزدت ما بين القوسين لأنى أظنه كان ثابتاً فى أصل ابن سلام ، ويدل على ذلك كلامه بعده . وليس من عادته أن يختصر هذا الاختصار المخل . والكرم : العتق والعز ، صفاهم عتق أصولهم وعز أوائلهم .

(٢) فى الأصول المطبوعة : « الذين عنيت » ، وليس له معنى يطمأن إليه . ويؤيد ما ذهبنا إليه قول كعب : « أعيرتنى عزا » وقول النابغة بعد « بالنسب الذى عيرتنى » ، أى عبتنى به . ومن هذه الفقرة إلى أول رقم ٩٢ ، استطراد وبيان .

(٣) أبو ضمرة ، هو أخو هرم بن سنان ، الذى مدحه زهير بن أبى سلمى . ويأتى ذكره فى بعض الكتب بلقبه : « ذو الرقيبة المرى » أو « الأشعر المرى » أو نبزه « المقشعر » ، لأنه كان إذا حضر حرباً اقشعر . ولاحى فلان فلاناً : نازعه وسابه . ونماه وعزاه ونسبه إلى كذا ، واحد فى المعنى .

أبو ضمرة من بنى نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . والنابغة من بنى يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف . . . وكانت أخت النابغة تحت أبى ضمرة فطلقها ، وهاج الشر بينه وبين النابغة ، فكان يقول له : والله ما أنت من قيس عيلان ، وما أنت إلا من قضاعة . وكانوا يزعمون أن رهط النابغة بنى يربوع بن غيظ بن مرة ، إنما هم بنو يربوع بن تميم بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد هذيم ، من قضاعة .

(٤) ديوانه : ٧٣ . كان أبو ضمرة قد جمع بنى نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف ، وبنى صرمة بن مرة بن عوف ، وبنى مالك بن مرة ، وبنى سهم بن مرة ، وبنى خصيلة بن مرة على أبناء عمومتهم بنى يربوع بن غيظ بن مرة (رهط النابغة) ، فأوقدوا — على عادتهم — ناراً وتحالفوا لديها على بنى يربوع ، فسماهم « المحاش » سخرية بهم وهزءاً ، جعلهم كالشىء الذى محشته النار فأصبح رماداً لاخير فيه . ومحشتهم النار : أحرقتهم حتى صاروا حمما

وقوله : «أعددت يربوعا لكم وتميما » يعنى قومه بنى يربوع بن غيظ بن مرة الذين نسبهم أبو ضمرة إلى قضاعة ، وبنى تميم بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة ، الذين نسب إليهم ، كما ترى فى التعليق السابق .

وَلَحِقْتُ بالنَّسَبِ الَّذِى عَيَّرْتَنِى ... وَوَجَدْتُ نَصْرَكَ، يا يَزِيدُ، ذَمِيماَ

* * *

حَدِبَتْ علىَّ بُطُونُ ضِنَّة كُلُّها ، ... إنْ ظَالِماً فِيهِمْ وإِن مَظْلُوماَ(١)

لَوْلاَ بنو نَهْد بن عَوْف أصْبَحَتْ ... بالنَّعْفِ أمُّكَ ، يا يَزِيدُ، عَقِيماَ(٢)

ضِنَّة بن كَبِير بن عُذْرَة(٣) .

٩١ — وكان رهطُ الزِّبْرِقان بن بَدْر يُخْلَجُون إلى بنى كَعْب بن

---

(١) حدب على فلان وتحدب : تعطف وحنا عليه ، وصار له كالوالد الحدب الشفيق . وظالماً ، منصوب على حذف كان ، ويكثر فى مثله حذفها ، ويقول : إن كنت فيهم ظالماً أو مظلوماً .

(٢) رواية الديوان « لولا بنو عوف بن بهثة » يعنى عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان . أما بنو نهد بن عوف ، فلم أعرفهم ،ولعله زيد بن عوف كما سيأتى . والنعف : ما انحدر من غلظ الجبل ، وارتفع عن مجرى السيل فى بطن الوادى . وروى الوزير أبو بكر البطليوسى فى شرح ديوان النابغة : « عيره بهذا اليوم ، وهو يوم قراقر ، وكان عمرو بن كلثوم أغارفأصاب نشبة بن غيظ ابن مرة ، فأغاثهم زيد بن عوف فى قومه بنى عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان ، فاستنقذوا ما فى يد عمرو بن كلثوم وأسروه » .

وفى الأغانى ج ١١ : ١٠٨ وما بعدها خبر فيه ذكر أم أبى ضمرة ، وهى سلمى بنت كثير ابن ربيعة ، من بنى غنم بن دودان بن أسد (وبنو أسد حلفاء بنى غطفان) ، وكانت دفعت شرحبيل ابن الأسود بن المنذر (أخا النعمان بن المنذر) ، إلى الحارث بن ظالم المرى فقتله ، فغزا الأسود بنى ذبيان وبنى أسد ، وأخذ سنان بن أبى حارثة المرى (أبو هرم بن سنان ، وأبى ضمرة بن سنان) فأتاه الحارث بن سفيان أحد بنى الصارد (وهم من بنى مرة بن عوف من غطفان) ، فاعتذر إليه أن يكون سنان علم أو اطلع على مافعلته امرأته ، وحمل دية شرحبيل عن سنان ، فخلى الأسود سبيله .

فلعل بيت النابغة يشير إلى هذه الحادثة ، وهو أقرب إلىالسياق ، وتؤيدها رواية الديوان « بالنعف أم بنى أبيك عقيما » . يقول له : لولا هؤلاء الذين نصروا أباك واستنقذوه لبقيت أمك عاقراً لم تلدك أنت ولا إخوتك .

(٣) فى الأصل : « كثير » وهو خطأ .

يَشْـكُر، ثم إلى ذِى المَجَاسِدِ، عَامر بن جُشَم بن كَعْب[١]، فقال الزبرقان :

فَإن أَكُ من كعبِ بن سَعْدٍ فإِنَّنى ... رَضِيتُ بِهِم من حَىٍّ صِدْقٍ ووَالِدِ[٢]

وإن يكُ مِنْ كَعْبِ بن يَشْكُر مَنْصِبِى ... فَإنَّ أَبَانا عامرٌ ذُو المجاسِدِ[٣]

* * *

٩٢ — قال ابنُ سَلّام[٤]، ولقد أخبرَنى بعضُ أهل العِلم من غطفَان أَنَّهم من بَنى عبدِ الله بن غَطَفان، وأَنَّ اعتزاءَه إلى مُزَيْنة كقوْلِ هؤلاء، وأما العامة فهو عندهم مُزَنىّ[٥]. وليس لزُهَير ولا لِبَنِيه صَلِيبةً[٦]، شعرٌ

---

(١) خلجه : إذا جذبه وانتزعه . ويستعمل فى النسب إذا نوزع فيه ، كأنه جذب من قوم إلى قوم وانتزع . ومنه قوم خلج (جمع خليج) : إذا شك فى أنسابهم ، فتنازع النسب قوم وتنازعه آخرون . والزبرقان بن بدر ، من بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم من مضر بن نزار . وأما بنو كعب ، فهم بنو كعب بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط من ربيعة بن نزار. وذو المجاسد : سيد بكر بن وائل فى الجاهلية وصاحب مرباعهم . وهو أول من أعطى الذكر حظين والأنثى حظاً ، كأنه عاد بهم إلى الحنيفية شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام . ويسمى ذا المجاسد ، لأنه كان يصبغ ثيابه بالجساد وهو الزعفران . ومنه ثوب مجسد (بضم الميم وفتح السين)، وجمعه مجاسد : أى أشبع صبغه الزعفران أو من الحمرة .

(٢) فى الأصول المطبوعة « من سعد بن كعب » ، وهو خطأ محض ، كما ترى من سياق نسبه آنفاً . وأتى على الصواب فى الاشتقاق : ٢٠٦ . حى صدق ، بالإضافة ، أى يلزمون الصدق فى المودة وفى العمل وفى الحروب ، من جلدهم وشدتهم وعتقهم .

(٣) المنصب والنصاب : الأصل والمنبت الذى يرجع إليه النسب . يقال فلان يرجع إلى منصب صدق ونصاب صدق ، أى هو كريم المحتد والأصل .

(٤) رجع إلى إتمام حديثه فى الفقرة : ٨٩ . والضمير فى الكلام يرجع إلى بيت أبى سلمى وولده.

(٥) يعنى أن اعتزاء كعب إلى مزينة ، كاعتزاء الذين ذكرهم فى استطراده ، حين عيروا أو اختلجوا عن قومهم إلى قوم آخرين ، فقالوا : نعم ، نحن منهم ، وأثنوا عليهم . والعامة : يعنى عامة أهل العلم والأدب لا أهل الجهالة من أغفال الناس .

(٦) فى الأصول المطبوعة « أصلية » ، وليس لها معنى . يقال عربى صليب ، أى خالص النسب من صلب العرب . وامرأة صليبة : كريمة المنصب عريقة . وصليبة الرجل : من كان من صلب أبيه . ومنه قولهم : آل النبى صلى الله عليه وسلم ، الذين تحرم عليهم الصدقة ، هم صليبة بنى هاشم وبنى المطلب ، أى الذين من صلبهم .

يَعْتَزُون فيه إلى غطَفان ولا مُزَيْنة ، إلاّ بيتُ كعبٍ ذاك، وقولُ بُجَير :

[صَبَحْناهم بسَبْعٍ من سُلَيْم] وألفٍ من بَنِى عُثْمانَ وَافِ (١)

وقد يجوز أن يكون يعنى غيرَ قومه من المُزَنيِّين، فذكرهم كما ذكر سُلَيْماً (٢) .

ولم يزل فى ولد زُهَير شعرٌ . ولم يتَّصلْ فى ولد أحدٍ من فحول الجاهلية ما اتَّصل فى وَلد زُهير ، ولا فى وَلَد أحدٍ من الإسلاميين ما اتَّصل فى ولد جَرِيرٍ .

٩٣ — وكان الُحطَيئة قد عُمِّر دَهْراً فى الجاهلية ، وبقى فى الإسلام حيناً ، وكان جَشِعاً سَؤُولاً (٣) .

* * *

٩٤ — وكان مع عَلْقَمة بن عُلاثَة حين نَافر عَامِر بن الطُّفَيْل ، فقال يفضِّل عَلْقَمة :

ياعَامِ ، قد كنتَ ذا بَاعٍ ومَكْرُمةٍ لَوْ أَنَّ مَسْعاةَ مَنْ جَارَيْتَهُ أَمَمُ (٤)

---

(١) تمام البيت من سيرة ابن هشام ٤ : ٦٨ . وهذا شعر بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم فتح مكة، وكانت بنو سليم بن منصور سبعمئة ، وهو قوله : سبع من سليم . وكانت بنو مزينة ألفاً ، وهم بنو عثمان بن عمرو بن أد ، فنسب إلى أمه مزينة بنت كلب بن وبرة .

(٢) يعنى أنه ذكر مزينة ، وهم بنو عثمان ، كما ذكر بنى سليم بن منصور ، وهو ليس منهم .

(٣) رقم ٩٤ ، ٩٥ استدلال على قدمه فى الجاهلية ، ثم رقم ٩٦ استدلال آخر على أنه كان جشعاً سؤولا . والجشع : هو شديد الحرص ، الذى يأخذ نصيبه ويطمع فى نصيب غيره . والسؤول : الملحف فى السؤال .

(٤) ديوانه : ٤٦ . يا عام : ترخيم يا عامر . والباع : السعة فى المكارم والشرف ، وأصله من الباع : وهو قدر مد اليدين إذا بسطتهما وما بينهما من البدن . والمسعاة وجمعها المساعى ، هى مآثر أهل الشرف والفضل لسعيهم فيها ، كأنها مكاسبهم وأعمالهم التى أنصبوا أنفسهم فى طلبها . وأمم : قريب مقارب .

جَارَيْتَ فَرْعاً أجادَ الأحْوصانِ بِهِ ، ضَخْمَ الدَّسِيعَةِ، فى عِرْنِينِهِ شَمَمُ[١]
لا يُصْعِبُ الأمْرُ إلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ، ولا يَبِيتُ على مالٍ له قَسَمُ[٢]

وكان الأعشى مع عامر بن الطفيل ولَبِيد بن ربيعة .

٩٥ — وشَهِد الحطيئة نِفارَ عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيْفة بن بَدْر ، أحد بنى عدِىّ بن فَزَارة[٣] ، وزَبّانِ بن سَيَّار بن عَمْرو بن جابِر ، أحد بنى مازن بن فَزَارة ، فقال يفضِّل عُيَيْنة على زَبَّان :

أَبَى لكَ أُبَّاءٌ ، أبَى لكَ مَجْدُهُم
سِوَى المَجْد ، فانظُرْ صاغراً من تُنَافِرُه[٤]

قُبُورٌ أَصابَتْها السُّيُوفُ ثلاثَةٌ نُجُومٌ هَوَتْ فى كلِّ نَجْمٍ مَرَائِرُه[٥]

---

(١) الفرع : الشريف الذى يعلو قومه بكرمه وفعاله . والأحوصان : الأحوص بن جعفر ابن كلاب ، وولده عمرو بن الأحوص ، وساد قومه ، فلما قتل مات أبوه وجداً عليه . وعلقمة بن علاثة ابن عوف بن الأحوص . والذى فى شعر الحطيئة يدل على أنه عنى بالأحوصين : الأحوص بن جعفر وابنه عوف بن الأحوص ، وبنو الأحوص يسمون جميعاً الأحاوص . ويقال . أجاد به أبواه : إذا ولداه جواداً شريفاً . الدسيعة : العطية الواسعة أى يعطى فيجزل العطية : وعرنين الأنف : ما تحت مجتمع الحاجبين وهو أول الأنف حيث يكون الشمم . والشمم عند آبائنا دليل على العتق والأصالة ، ولذلك يوصف به الأحرار الذين لا يقبلون ضيما .

(٢) أصعب الأمر : وافقه صعباً أو وجده شاقا . يقول لا يكاد ينظر فى أمر فيجده صعباً وعراً فيتوقف فيه إلا بقدر ساعة ركوبه ، من شدة بأسه وجلده وقدرته على التصرف . ولا يفعل فعل اللئام ، فيقسم على أن لا يجود بشىء من ماله فى غضب أو خصام .

(٣) عيينة بن حصن ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأحمق المطاع ، فى خبر طويل

(٤) الأباء والأباة : جمع آب ، وهو الذى ينفر من الضيم ويأباه . والمجد : الكرم والشرف القديم فى الآباء . والصاغر : الذليل المهان . والمنافرة : أن يفتخر كل رجل على صاحبه، أيهما أعز نفراً ، ثم يحتكمان إلى حكَم يغلب أحدهما على صاحبه . ويقول : يمنعك أن تطاول هؤلاء الأباة فى مجدهم ، ما أنت فيه من الذلة ، فانظر من تفاخر ؟

(٥) « فى » هنا بمعنى « مع » . والمرائر جمع مريرة ، وهى عزة النفس . يقول : قتلوا فهوت نجوم مع كل نجم عزة نفسه ، لم يقبل ضيما ولا ذلا ولا مات على فراشه .

فقبرٌ بأجْبالٍ ، وقبرٌ بحاجِرٍ ، وقبرُ القليبِ أسْعرَ الحربَ ساعِرُه[١]

وشرُّ المَنايا هالكٌ وَسْطَ أهْلِهِ كهُلْكِ الفَتاةِ أيقظَ الحيَّ حاضِرُه[٢]

قبرٌ بأجْبال : يريد قبر بَدْر بن عَمْرو ، قتيلِ بنى أَسَد بن خُزَيْمة . وقبر القليب ، وهو الهَبَاءَة : قبر حُذَيْفة بن بدر بن عمرو ، قَتِيل بنى عَبْس . وقبرٌ بحاجِر : يعنى قبر حِصْن بن حُذَيْفة بن بدر ، قتيل بنى عقيل بن كَعْب و نُمَيْر بن عامر .

* * *

٩٦ — قال : وقدم الحطيئة المدينة وقد أَرْصَدتْ له قريش العَطايا ، [والناس فى سنة مُجْدِبةٍ ، وسَخْطَةٍ من خَلِيفة[٣] . فمشى أشْرافُ أهلِ المدينةِ بعضُهم إلى بعضٍ ، فقالوا : قد قَدِم علينا هذا الرجُل ، وهو شاعرٌ ، والشاعرُ يظنُّ فيحقّقُ ، وهو يأتى الرجُلَ من أشْرافِكم يسألُه . فإن أعطاهُ جَهْدَ نَفْسِه بَهَرَها[٤] ، وإن حَرَمه هجاهُ . فأجمعَ رأيُهم على أن يجعلوا له شيئاً مُعَدًّا يجمعونه بينهم له ، فكان أهلُ البيت من قُرَيْش

---

(١) روى فى معجم ما استعجم : ١١٢ « أسعر القلب » . يقول : أسعر نار الحرب من أسعر فى هذا القبر أحقاد المطالبين بثأر هذا القتيل .

(٢) يقول : شر المنايا موت هالك وسط أهله ، وذلك موته حتف أنفه على فراشه ، لا يشهد حرباً حمية ولا حفاظاً ، إنما يموت كما تموت الفتاة المقصورة فى بيت أهلها ، تموت فتبكى ، فيستيقظ الناس من صوت الباكين عليها .

وقوله « حاضره » الضمير عائد إلى الموت وإن لم يذكر بلفظه ، يعنى نازل الموت . ومنه حضره الهم والموت ، وحضر المريض واحتضر (بالبناء للمجهول) : إذا نزل به الموت .

(٣) أرصد له شيئاً : أعده له . وقوله : سخطة من خليفة ، أى غضبة منه على أهل المدينة ، ولعل ذلك كان فى زمن معاوية رضى الله عنه ، وقد مات الحطيئة سنة ٥٩ من الهجرة .

(٤) بهر نفسه : تكلف الجهد حتى يضيق عنه ذرعه ، وينقطع من الجهد .

والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً حتى جمعوا له أربعمئة دينار ، وظنُّوا أنهم قد أغنَوْهُ ، فأتوه فقالوا له : هذه صِلَةُ آل فلانٍ ، وهذه صلةُ آل فلانٍ . فأخذها ، فظنُّوا أنهم قد كفَّوْهُ عن المسئلة ، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل الإمام ماثلا يُنادِي] بعد الصَّلاة فقال : مَنْ يَحْمِلُنى على نَعْلين [وقاه الله كَبَّةَ جهَنَّمَ](١) .

٩٧ — أنا أبو خليفة ، أنا ابن سلّام ، قال أخبرنى يونس النحوىّ ، قال : خرَج الحطيئةَ مع ابنتهِ مُلَيْكَة ، وامرأتِه أُمامة ، على ذَوْدٍ له ثلاثٍ ، فنزلَ منزِلاً وسَرَحَ ذَوْدَه . فلما قام للرَّوَاح فقَدَ إحْداهنَّ(٢) ، فقال :

أَذِئْبُ القفْرِ أم ذئبٌ أَنيسٌ ... أَصابَ البَكْرَ، أم حَدَثُ اللَّيالى ؟(٣)

ونَحنُ ثلاثةٌ وثلاثُ ذَوْدٍ ، ... لقد جَارَ الزَّمانُ على عِيالى !

٩٨ — وكان سببَ هجائِه الزِّبرقان . أنَّه صادفَه بالمدينة ، وكان قَدِمَها على عمرَ رضى الله عنه ، فقال الحطيئة(٤) : وَدِدْتُ أَنّى أَصَبْتُ رجلا

---

(١) كبة جهنم : شدتها وصدمتها حين يكب فيها لوجهه ، أى يقلب ويلقى فيها .

(٢) الذود : القطيع من الإبل من الثلاث إلى التسع ، وجاء فى الحديث : « ليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة » . كما قيل هنا ثلاث ذود ، جعلت الناقة الواحدة ذوداً ، كما قالوا : ثلاثة نفر وتسعة رهط . وسرحت الماشية ، وسرحها صاحبها ، يتعدى ولا يتعدى : أسامها فى المرعى .

(٣) الأنيس : الذى يؤنس به ، يعنى ذئباً من ذئاب البشر ، وما أكثرهم . والبكر : من الإبل بمنزلة الفتى من الناس . وحدث الليالى : نوائبها ونكباتها .

(٤) هذا الخبر فى الأغانى ٢ : ١٧٩ — ١٨٥ عن ابن سلام وغيره مستقصى بأوضح مما هو هنا ، ولم أستطع تخليص نص ابن سلام منه . ونص الطبقات هذا فاسد مختلط شديد الاختصار ، كما سترى .

يَحْمِلُنى وأُصْفِيه مديحى وأَقْتَصِر عليه[١] . قال الزبرقان : قد أصبْتَه ، تَقْدَمُ على أَهْلى فإنِّى على أَثَرِك . فقدم فنزل بِحِماه ، وأرسَلَ الزِّبرقان إلى امرأتِه أَنْ أَكْرِمى مَثْواه . وكانت ابنتُه مُلَيْكةُ جَميلةً ، فكرهتْ امرأتُه مكانَها ، فظهرتْ لهم منها جفوةٌ — وبَغيض بن عامر بن لأيِ بن شَمَّاس أحد بنى قُرَيْع بن عَوْف ، يُنازع يومَئذٍ الزِّبرقانَ الشَّرَفَ ؛ والزِّبرقان أحدُ بنى بَهْدَلَة بن عَوْف ، وبَغيضٌ أرسخُ فى الشَّرفِ من الزِّبرقان ، وقد ناوَأَه الزِّبْرقان ببَدَنِه حتى ساوَاه بل اعْتَلَاه[٢] — فاغتنم بَغيضٌ وأخَوَاه ، عَلْقمة وهَوْذَةُ ، ما فيه الحطيئة من الجَفْوة ، فدعوَاه إلى ما عِنْدَهُما ، فأسْرَع . فبَنَوْا عليه قُبَّةً ، ونَحَرُوا له ، وأكْرَمُوه كلَّ الإكْرام ، وشدُّوا بكل طُنُبٍ من أطْناب خِبائه حُلَّةً من بَزِّ هَجَر[٣] — قال : والمُخَبَّل شاعرٌ مُفْلِق ، وهو ابنُ عمهم يَلْقاهم إلى أنفِ الناقة ، وهو جعفر بن قُرَيع[٤] قال : وقَدِم الزِّبْرقانُ أسِيفاً عاتباً على امرأتِه . فمدح الحُطَيْئة بَنِى قُرَيْع ، وذَمّ الزبرقانَ ، فاستَعْدَى عليه الزبرقان عُمَرَ[٥] ، فأقدمه عمر ، وقال للزبرقان : ما قال لك ؟ فقال قال لى :

---

(١) يحملنى : يريد يكفينى مؤونة العيش . وأصفاه مودته ، أو مديحه : أخلصه له وأعطاه صفوه.

(٢) البدن : نسب الرجل وحسبه . والحسب : الفعال الصالح الحسن الذى يحسب فى مناقبه .

(٣) الطنب : حبل طويل يشد به الخباء (بيت من وبر أو صوف) بين الأرض والطرائق . والبز : الثياب . وهجر : مدينة ، بالبحرين ، كانت لها شهرة فى الثياب وغيرها .

(٤) ذكر المخبل هنا ، مقحم فيما يظهره هذا النص ، رقد جاء فى موضعه فى الأغانى ٣ : ١٨١ حيث جاء فى الخبر أنه كان أحد رسل بنى أنف الناقة إلى الحطيئة لكى يتحول إليهم . وانظر ماسيأتى بعد فى رقم ٩٩ .

(٥) الأسيف : الكئيب الحزين الغاضب . والعاتب : الغاضب . واستعدى فلاناً على فلان فأعداه : استنصره واستعانه ، فنصره وأعانه .

دَعِ المكارمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها وَاقْعُدْ، فإنَّك أنتَ الطَّاعِمُ الكاسِى[١]

فقال عمر لحسّان : ما تقول ؟ أهجاه ؟ - وعُمر يعلم من ذلك ما يعلم حسَّان، ولكنه أرادَ الحُجَّة على الحطيئة - قال : ذَرَقَ عليه ! فألقاه عُمر فى حُفْرةٍ اتَّخذها مَحْبِسًا[٢]، فقال الحطيئة :

ماذا تقولُ لِأَفْراخٍ بذى مَرَخٍ حُمْرِ الحواصلِ، لا ماءٌ ولا شَجَرُ ؟[٣]
أَلْقَيْتَ كاسِبَهُمْ فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ، فاغفر، عليكَ سَلامُ اللهِ يا عُمَرُ[٤]
[أنتَ الإمامُ الذى من بعد صاحبه ألقى إليكَ مَقاليدَ النُّهى البشرُ[٥]]
ما آثَرُوكَ بها إذْ بايَعُوكَ لها لكِنْ لِأَنْفُسِهِم كانتْ بِكَ الإِثَرُ[٦]

٩٩ — وكان الزِّبرقان شاعرًا مُفْلِقًا، وكان يُعاتبهم، ولم يكن يهجوهم،

---

(١) بغى الرجل الشىء يبغيه بغية بكسر الباء وضمها : طلبه وسعى إليه . والطاعم والكاسى ، أتى به على النسب ، أى صاحب طعام تشتهيه وكسوة تتخيرها وتأنق فيها . ولذلك قال الزبرقان لعمر إذ قال له : ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة . فقال الزبرقان : أوما تبلغ مروءتى إلا أن آكل وألبس .

(٢) ذرق عليه ، من الذرق : وهو ما يلقيه الطائر من ذى بطنه . والمحبس : السجن .

(٣) ديوانه : ٨٠ قال ياقوت فى مادة (مرخ) : الرواية المشهورة « بذى أمر » . وذو أمر : موضع بنجد من ديار غطفان . ولعله أصاب ، فإن أولاد الحطيئة كانوا حين أتى به ، فى ديار غطفان وفزارة . والأفراخ : صغاره ، شبههم بصغار الطير ، حمر حواصلهم ، لم تكس الريش بعد ، إنما هو اللحم بادياً . ويروى « زغب الحواصل » ، عليها الزغب الناعم ، لم تستحكم ، ولا تقوى على طيران .

(٤) الكاسب : الذى يكسب لهم طعامهم . والمظلمة : البئر التى احتفرها عمر وجعلها سجناً .

(٥) النهى جمع نهية : وهى غاية كل شىء وآخره . والمقاليد : المفاتيح . يريد : فوضوا إليه التصرف فى الأمور العظام التى لا يطيق الناس التصرف فيها . وإنما عنى الخلافة .

(٦) آثروك : فضلوك وقدموك على أنفسهم وأكرموك بخيرها . والإثر (بكسر ففتح) جمع إثرة : وهى الخيرة والإيثار . أى آثروا أنفسهم وضمنوا لها الخير بولايتك ، تحمل عنهم المؤونة ، وترد عليهم فضل تدبيرك وعقلك وحزمك .

وكان حليماً (١) . وكانا فى عداوتهما مُجْمِلين (٢) ، وقد تقدّم عليه المخبَّل بالهجاء ، فقال :

لَعَمْرُكَ إنّ الزِّبْرِقانَ لدائبٌ على النَّاس يَعْدُو نُوكُه ومَجاهِلُهْ (٣)
ولمَّا رأيتَ العِزَّ فى دارِ أهْلِهِ تمنَّيْتَ ، بعدَ الشّيبِ ، أنَّك ناقِلُهْ (٤)
ولمَّا نَرَ الأَخْفافَ تَمْشِى على الذُّرَى ، ولمَّا يَكُنْ أَعْلَى العِضَاهِ أَسافِلُهْ (٥)
ولمَّا يَزُلْ عن رَأْسِ صَهْوةَ عُصْمُها ، ولما يَدَعْ وِرْدَ العِرَاقِ مَنَاهِلُهْ (٦)

---

(١) مجىء هذا الحديث فى هذا الموضع غريب غير متسق . والضمير فى قوله « يعاتبهم ... يهجوهم » إلى بنى أنف الناقة وعلقمة وهوذة ، كما مضى فى رقم : ٩٨ .

(٢) وهذا أيضاً مما يدل على فساد النص واختلاطه . فالضمير فى « كانا » ، فيما أظن ، راجع إلى الزبرقان والمخبل ، الذى أقحم ذكره فى رقم : ٨٩ كما أشرنا إليه قبل

(٣) كان من سبب الهجاء بينهما ، أن المخبل خطب إلى الزبرقان أخته خليدة ، فمنعه إياها ورده لشىء كان فى عقله . والأبيات بعضها فى الأغانى ، ساسى ، ١٢ : ٤٠ ، وفيها سفه . والنوك : أبلغ الحماقة . والمجاهل ، جمع ليس له واحد ، كقولهم محاسن وملامح ، وهى مثل الجهل : ومعناه الطيش والغضب الأحمق وإلحاق الأذى بالناس . ويعدو ، من العدوان : وهو الاعتداء والظلم .

(٤) يعنى : لما رأيت العز والشرف ونحن أهله ، قد استقر فى دارنا ، ظننت بهجائك إياى أن تنقله إلى دارك .

(٥) الأخفاف جمع خف : وهو للبعير كالحافر للفرس . والذرى جمع ذروة : وهى أعلى سنام البعير ، وهى من كل شىء أعلاه . والعضاه : شجر عظام له شوك . يقول : كيف يتم هذا لك ، ولم ينقلب أمر الدنيا بعد ، حتى نرى القدم تمشى على الرأس ، وحتى يصبح الشجر منكوساً فى مغارسه .

(٦) صهوة : فيما أرى ، اسم جبل عال ، وصهوة كل شىء : أعلاه . ولكنى لم أجده جبلا . والعصم جمع أعصم : وهو الوعل ، سمى بذلك لبياض فى ذراعيه . وهو يسكن أعلى الجبال لا يكاد يفارقها . ورد العراق : نهرها الأعظم . والمناهل : منازل السفار وغيرهم على الماء . يقول : وكيف يتم لك ما تريد ، والوعول فى جبالها الشم لم تفارقها بعد ، ولم يجف ماء الفرات بعد ، فلا تجد عنده وارداً ولا مستقياً ؟ وكل ذلك كناية عن شرفه وكرمه وسخائه ، لم يتغير منها شىء ، كما لم تتغير هذه جميعاً ولم تنقلب أحوالها ، وأن الزبرقان لا يبلغ مبلغه ، إلا إذا تبدل كل شىء عن حالته إلى نقيضها .

فإن كُنْتَ لا تُمْسِى بحَظِّكَ راضِيًا فدَعْ عَنْكَ حَظِّى، إنَّنِى اليَوْمَ شَاغِلُه(١)

أَتيتَ امْرَأً أَحْمَى عَلَى النَّاسِ عِرْضَهُ فما زِلتَ، حتَّى أنتَ مُقْعٍ، تُناضِلُهْ(٢)

فَأَقْعِ كما أَقْعَى أبُوكَ على اسْتِهِ رَأَى أنَّ رَيْمًا فوقَهُ لا يُعادِلُهْ(٣)

ويَنْفَسُ فِى ما أوْرَثَتْنِى أوَائِلى ويَرْغَبُ عمّا أَوْرَثَتْه أوائِلُهْ(٤)

١٠٠ — ومدح سَعِيدَ بن العاص ، وكان سعيدٌ لا تأخُذُه العينُ ، كان يقال له « عُكَّةُ العَسَل »(٥)، فقال:

خَفِيفُ المِعَى، لا يَمْلأُ الهَمُّ صَدْرَهُ، إذَا سُمْتَهُ الزَّادَ الخَبِيثَ عَيُوفُ(٦)

---

(١) أجود الروايتين « إننى عنك شاغله » ، فى اللسان (قعا) ، يقول : إن كنت لا تقنع بحظك من المنزلة التى أنزلكها الله فى الناس ، وتطمع فى أن تنال عز غيرك ، فلا تمن نفسك الطمع فى عزى وشرفى ، فإنى مانعه منك وشاغلك بما يمضك ويؤذيك . وفيه قلب وأصله « إننى عنه شاغلك » . وأما رواية الأصل ، فكأنه أراد بالشاغل : المانع لحوزته .

(٢) أحمى المكان : جعله حمى لا يقربه أحد . وأقعى الكلب وغيره : جلس على استه مفترشاً رجليه وناصباً يديه . وهو فى الناس مجاز : أن يلصق الرجل أليتيه بالأرض ، وينصب ساقيه وفخذيه ، ويضع يديه على الأرض كما يقعى الكلب . وهى جلسة الذليل المكروب المغيظ يهم بشىء . يقول له : جئت تنازع الشرف كريماً حمى عرضه على كل طامع ، فما زلت تجهد جهدك حتى أقعيت إقعاء الكلب الذليل ، من الكرب والحسد ، تحسب أنك قادر على أن تناضله وتساميه .

(٣) الريم : الفضل والزيادة . يقول له : اقنع بما قنع به أبوك من الذل ، حين رأى الشرف أمراً لا يطيق أن يناله ، وأنه ليس بكفء له ، فأقعى إقعاء الكلب المطرد .

(٤) نفس فى الأمر : طمع فيه ورغب ، وهو أمر منفوس فيه ، مرغوب فيه . ورغب عن الشىء : تركه وأعرض عنه زهدا فيه أو ازدراء له . وأعاد الضمير إلى الغائب ، تعجبا وزيادة فى تحقيره ، كأنه قال : ويطمع هذا الذليل فيما ورثت من مجد آبائى ، ويزهد فيما خلف له آباؤه من الضعة والهوان !

(٥) لا تأخذه العين : تتخطاه ولا تقف عليه ، وقد كان سعيد آدم نحيلا خفيف اللحم . ومن أجل ذلك سمى « عكة العسل » . والعكة : زق صغير جدا ، أصغر من قربة السمن . وفى تسميته أيضاً ما يشير إلى ما كان عليه من السخاء العجيب ، لا يرد سائلا .

(٦) ديوانه : ٤٢ . المعى وجمعه الأمعاء : أعفاج البطن ، وصفه بخفة المعى ، لزهده وقلة اكتراثه بطعام بطنه، ولا يبيت مهموماً لقلة مال ، إذا استهلكه فى سخائه وجوده . وسامه على شىء: أراده عليه . يقول : إنه يعاف المكسب الخبيث لا يقربه ، وإن اضطر عليه اضطراراً .

١٠١ — وقال له أيضاً :

سَعِيدٌ ، فَلَا يَغْرُرْكَ خِفَّةُ لَحْمِه ؛ تَخَدَّدَ عنه اللَّحْمُ ، وَهْوَ صَلِيبُ (١)

وهو أحدُ من اتَّصَل به الشَّرف من خمسة آباء ، وابنُه عَمْرُو ابن سَعيد(٢) .

(١) ديوانه : ٤٢ . تخدد اللحم : هزل ونقص . وقوله تخدد عنه اللحم ، ضمنه معنى زال وسقط . يقول : هو مع نحوله صليب العود لا يكسر . وكان سعيد أحد الشجعان وأهل البأس فى الحروب . ورواية الديوان « فهو صليب » ، وهى أجود .

(٢) هو عمرو بن سعيد الأشدق ، كان كأبيه سخياً سيداً لسناً شجاعاً .

الطَّبقة الثّالثة

١٠٢ — أبو ليلى ، نابغةُ بنى جَعْدَة : وهو قَيْسُ بن عبد الله بن عُدَس بن رَبيعة بن جَعْدة بن كعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة .

١٠٣ — وأبو ذُؤَيْب الهُذَلىّ ، وهو خُوَيْلد بن خالد بن مُحَرِّث بن زُبَيْد بن مَخْزُوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم بن سَعْد ابن هُذَيل .

١٠٤ — والشَّمَّاخُ بن ضِرَار بن سِنَان بن أُمامة أحد بنى سَعْد ابن ذُبْيان .

١٠٥ — ولَبِيدُ بن رَبيعة بن مالك بن جَعفر بن كِلاب بن رَبيعة ابن عامر .

* * *

١٠٦ — وكان النابغة قديمًا ، شاعراً مُفْلِقًا ، [طويل البَقاء] فى الجاهلية والإسلام ، وكان أَكْبرَ من النَّابغة الذُّبْيانى ، ويدلُّ على ذلك قوله :

فَمَنْ يكُ سائلًا عَنِّى ، فإنِّى ... من الفِتيانِ أيّامَ الخُنانِ

أَتَتْ مِئَةٌ لِعَامَ وُلِدْتُ فيــهِ وَعَشْرٌ بعدَ ذَاكَ وحِجَّتانِ (١)

وَقَدْ أَبْقَتْ خُطُوبُ الدَّهْرِ مِنِّى، كما تُبْقِى مِنَ السَّيْفِ اليَمانِى

[تفلَّلَ وَهْو مأْثُورٌ جُرَازٌ إذا اجتَمعتْ بقَائِمِهِ اليَدانِ] (٢)

[قال : وعُمِّر بعد ذلك عُمْرًا طويلا . سئل محمد بن حبيب عن أيام الخُنان : ماهى ؟ فقال : وَقْعةٌ لهم ؛ فقال قائلٌ منهم ، وقد لقُوا عدوَّهم : خُنُّوهم بالرِّماحِ . فسمى ذلك العامُ : الخُنان (٣) . ويدلُّ على أنه أقدم من النابغة الذبيانىّ ، أنه عُمِّر مع المنذر بن المُحرِّق ، قبل النعمان بن المنذر ، وكان النابغة الذبيانى مع النعمان بن المنذر وفى عَصْره ، ولم يكن له قِدَمٌ ، إلا أنه مات قبل الجَعْدىّ ولم يدركْ الإسلام . والجعدىّ الذى يقولُ :

تذكَّرْتُ شيئًا قد مَضَى لِسبيلِه ، ومن عادةِ المحزُونِ أن يتذكَّرَا]

---

(١) الحجة : السنة . والأبيات مختلفة الرواية انظر المعمرين : ١٦٤

(٢) زدت البيت من أمالى المرتضى ١ : ١٦١ لأنه تمام المعنى . السيف اليمانى : منسوب إلى اليمن وهم ، يعدونه من أجود السيوف ، يريد : أبقت الأيام له مضاء كمضاء السيف اليمانى ، وإن تقادم عهده بالضراب . وتفلل : تثلم حده من طول القراع . مأثور : باق فيه أثره ، وهو فرنده ورونقه وتسلسله . وقيل : المأثور الذى يقال إنه تعمله الجن ، وليس من الأثر الذى هو الفرند . والجراز : الماضى النافذ فى الضريبة . وقائم السيف : مقبضه . يقول : هو وإن تفلل لا يزال حياً كعهده مذ صنعته الجن ، إذا أخذته كف الضارب مضى فى ضريبته . وأراد باليدين هنا كف اليد الواحدة . وثنى للدلالة على أنه يؤخذ بقوة .

(٣) قال ابن دريد : وزمن الخنان ، زمن معروف عند العرب ، وقد ذكروه فى أشعارهم ، ولم أسمع له من علمائنا تفسيراً شافياً . وقال أبو حاتم السجستانى فى المعمرين : ٦٥ : مرض أصاب الناس فى أنوفهم وحلوقهم ، وربما أخذ النعم ، وربما قتل . وأما المسعودى فى التنبيه والإشراف : ٢٠٤ فقد روى هذا بنص آخر : « وذهب أبو جعفر بن حبيب ، فى آخرين ، إلى أنه سمى عام الخنان : أن بنى عامر صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان ، كانت لهم وقعة مع بعض العرب ، فلم يصل بعضهم إلى بعض من كثرة الحديد فقال قائل : يابنى عامر خنوهم بالسيف . فلقب ذلك عام الخنان » . وفى الفيروزبادى : أنه كان فى عهد المنذر بن ماء السماء .

ندامایَ عنــد المنْذِرِ بن مُحَرِّقٍ فأَصْبَحَ منهم ظاهِرُ الأرض مُقْفِرَا
[كُهُولٌ وفِتْيانٌ كأنّ وجوهَهُمْ دَنَانِيرُ مِمَّا شِيفَ فى أرْضِ قَيْصَرا](١)

١٠٧ — وكان الجَعْدىُّ مُختلِفَ الشّعر مُغلَّباً ، فقال الفرزدق : مَثَله مثلُ صاحب الخُلْقان : يُرَى عنده ثَوْبُ عَصْبٍ وثَوْبُ خَزّ وإلى جنبه سَمَلُ كِسَاء(٢). [وكان الأصمعى يمدحه بهذا وينسبه إلى قلة التكلّف ، فيقول: عنده خِمارٌ بواف ٍ ومُطرَف بآلاف . بواف : يعنى بدرهم وثلث] .

وإذا قالتِ العرب : مُغَلَّبٌ ، فهو مغلوب . وإذا قالوا : غُلِّب ، فهو غالبٌ .

وغُلِّبتْ عليه لَيْلَى الأَخْيَلِيَّة وأوسُ بن مَغْراء القُرَيْعىّ ، [ولم يكن إليه فى الشعر ولا قريباً] . [وغُلِّبَ عليه] عِقَال بن خالد العُقَيْلىُّ ، وكان مُفْحَماً ، بكلامٍ لا بشعر(٣) .

وهجاه سَوَّار بن أَوْفَى القشيرى وفاخره ؛ وهجاه الأخطلُ بأَخَرَةٍ(٤) .

---

(١) شاف الدرهم والدينار يشوفه شوفاً ، فهو مشوف : جلاه . يريد : مما صنع وجلى فى أرض الروم ، وهى أجود الدنانير وأكثرها بريقاً وصفاء فى زمانهم .

(٢) صاحب الخلقان : هو الذى يبيع قديم الثياب فى السوق . والعصب : من أجود برود اليمن ، سمى بذلك لأن غزلها كان يعصب – أى يجمع – ويدرج ويشد ثم يصبغ ثم ينسج ويحاك ، فيأتى موشياً ، لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ . والخز : الحرير . والسمل : الخلق من الثياب ، أكثر ما يأتى هكذا على الإضافة ، ومنه قول عائشة : « ولنا سمل قطيفة » .

(٣) المفحم : الذى لا يقول الشعر . وأفحمه الهم وغيره : أعجزه عن قول الشعر .

(٤) يقال لقيته بأخرة : أى أخيراً .

١٠٨ — نا ابن سلّام قال، قلت ليونس: كيف تقرأ: « وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ » (سورة النمل: ٢٢). فقال: قال الجعدىّ، وهو أفصح العرب:

مِنْ سَبَأَ الحاضِرِينَ مَأْرِبَ إذْ   يَبْنُونَ مِن دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا[١]

— وهو على قِرَاءَةِ أبى عمرو ويونس — فجعل يونس القصيدةَ للجَعْدىّ. وسمعتُ أبا الوَرْد الكِلابىّ سأل عنها أبا عُبَيْدة فقال: لأمية. ثم أتينا خلفاً الأحمر فسألناه، فقال: لِلنَّابغة، وقد يقال لأميَّة.

١٠٩ — نا ابن سلَّام قال: ذكر مَسْلمة بن مُحارب عن أبيه، قال: دَخَل النابغةُ على عُثْمانَ بن عفَّان فقال: أَسْتودِعُك الله يا أمير المؤمنين وأَقرأ عليك السَّلام. قال: لِمَهْ؟ قال أنكرْتُ نَفْسِى فأردْتُ أن أخرُجَ إلى إبلى فأشرب من ألْبانِها وأشَمّ من شِيحِ البادِيَة[٢]. وذَكَرَ بلده. فقال: يا أبا لَيْلى: أما علمتَ أن التعَرُّبَ بعد الهِجْرَة لا يصْلُح[٣]؟ قال: لا واللهِ ما علمتُ، وما كُنْتُ لأخرُجَ حتى أَسْتأذِنَك. فأذن له، وضرَبَ له أجلاً. فخرجَ من عنده فدخلَ على الحَسَن بن علىّ فودَّعه، فقال له الحسن: أنشدنا من بعض شِعْرِك. فأنشدَه:

---

(١) العرم: الأحباس والسدود تبنى فى أوساط الأودية تمسك الماء. وأمر سبأ ومأرب وسد مأرب وسيل العرم مشهور.

(٢) أنكرت نفسى: أى تغيرت نفسه من غربته حتى أنكرها ولم يكد يعرفها من شدة التغير. وفى الأصل: « وأشرب من شيح البادية » وهو خطأ ولا شك، والشيح من أمرار البادية، طيب الرائحة، يجد أهل البادية راحة فى تنسمه.

(٣) التعرب: أن يرتد أعرابياً ويعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً، وكان من رجع بعد هجرة إلى موضعه من غير عذر يعدونه كالمرتد. وروى الحديث: ثلاث من الكبائر، منها: التعرب بعد الهجرة.

الحمدُ للهِ لا شَريكَ لهُ ، من لم يقُلْها فنفسَهُ ظَلَما

فقال له : يا أبا لَيْلى ! ما كُنَّا نروِى هذه الأبيات إلاّ لأُمَيّة بن أبى الصَّلْت ! قال : يا ابنَ رَسُولِ الله ، والله إنِّى لأَوَّلُ النَّاس قالَها ، وإِن السَّرُوق من سَرَقَ أمية شِعْرَه[١] .

١١٠ — وقال يونس : كان الجعدىُّ أوْصَفَ الناسِ لِفرَسٍ ، أنشدت قولَه رُؤْبَةَ :

فَإنْ صَدَقُوا قَالُوا : جَوادٌ مُجَرَّبٌ ضَلِيعٌ ، ومن خَيْرِ الجِيادِ ضَلِيعُها[٢]

قال رؤبة : ما كنتُ أَرَى المُرْهَفَ مِنها إلّا أسْرَع[٣] . ولم يكن رؤبةُ والعجَّاج صاحبَىْ خيلٍ ، ولكن كانا صاحبى إبل ونَعْتِها[٤] .

١١١ — نا ابن سلام ، قال : أخبرنى ابن دَأْبٍ ، قال : تَزَوَّجَ النابغةُ امرأة من بنى المجنُونِ ، وهم عَدَدُ بنى جَعْدة وشَرَفهم ، فنازعته وَادَّعتِ الطلاقَ ، فكان يرَاها فى مَنامِهِ[٥] ، فقال :

مَالِى ومَا لِأُبْنَةِ المجنون تطرُقُنِى باللَّيلِ ؟ إنَّ نهارِى مِنكِ يَكْفِينِى

---

(١) السروق : الخبيث السرقة ، مبالغة فى السارق . وعدى سرق إلى مفعولين ، حمله على معنى سلب . وهى عربية محكمة .

(٢) فرس ضليع : تام الخلق ، مجفر الأضلاع ، واسع الجنبين ، عظيم الصدر ، غليظ الألواح ، كثير العصب . وهو محمود .

(٣) فرس مرهف : لاحق البطن خميصه ، متقارب الضلوع ، وهو عيب .

(٤) النعت : وصف الشىء وصفاً دالا بليغاً .

(٥) يراد بالعدد ههنا كثرة العدد . وفى كتب الأنساب يقولون : « فيهم البيت والعدد » فالبيت الشرف . والعدد الكثرة . وادعت الطلاق : تمنته وطلبته ، ومرجعه إلى الدعاء ، وهو الرغبة والطلب .

لَا خَيْـدَعَ البَوِّ بَوِّ الرَّغْمِ أَرْأَمُهُ ... وَلَا أُقِيمُ بِدَارِ العَجْزِ والهُونِ (١)
وشَرُّ حَشْوِ خِبَاءٍ أَنْتَ مُولِجُهُ : ... مَجْنُونَةٌ هُنَّبَاءٌ بِنْتُ مَجْنُونِ (٢)
تَسْتَخْنِثُ الوَطْبَ لَمْ تَنْقُضْ مَرِيرَتَهُ ... وتَأْكُلُ الحَبَّ صِرْفاً غَيرَ مَطْحُونِ (٣)

١١٢ — قال ابن دَأْب : وكان النابغةُ عَلَوِيَّ الرأي ، وأخذ مَرْوان ابنه وإبله بالمدينة ، فخرج ومَدَح مَرْوانَ بن الحكم بأبيات (٤) .

---

(١) فى الأصل « لا أخدع البو » ولم أجد لها وجهاً ولا معنى . والخيدع : الشديد الخداع ، وأضاف الصفة إلى موصوفها . والبو : جلد حوار (وهو ولد الناقة) يؤخذ فيحشى تبناً ثم يلطخ بما يخرج من أذى الرحم . ويفعلون ذلك بالناقة إذا ألقت ولدها لغير تمام فخيف انقطاع لبنها ، فيشدون على عينيها وأنفها غمامة ، وتدس فى رحمها خرقة مدرجة ، فتظن أنها قد مخضت للولادة ، ثم تنزع الخرقة ، ويقرب منها البو الملطخ برائحة الرحم ، وتنزع الغمامة عن عينيها وأنفها ، فترى البو فتخدع وتظن أنها قد ولدت فيدر لبنها أو يمسك . ويقال رأمت الناقة ولدها ترأمه : شمته وعطفت عليه . والرغم : القسر والذلة والهوان يكره المرء عليها . يقال : رئمت لفلان بو ضيم أو رغم ، وفلان رؤوم للضيم : إذا كان ذليلا راضياً بالخسف . والهون والهوان : الخزى والقهر . يقول : لست أخدع عن نفسى فأهينها فى مرضاتك ، فما من شيمتى أن أرضى بضيم ، ولا أن أقيم حيث يراد قهرى وإذلالى .

(٢) فى الأصول « مجنونة هيبان » ، وهو خطأ . وقد جاء على صحته منقولا عن ابن سلام فى اللسان وتاج العروس وجمهرة ابن دريد « هنب » . وهنباء بضم الهاء وتشديد النون المفتوحة وزن لا نظير له فى العربية . وامرأة هنباء : شاذة الحمق فى حماقات الناس ، كشذوذ وزنها فى قياس العربية . والضمير فى قوله « مولجه » ، إلى حشو الخباء ، وهى هذه المرأة ، كأن قال : أنت مولجه خباءك تحشوه به . وقد أجاد فى صفة هذه البغيضة ، حين سماها « حشو خباء » !

(٣) خنث القربة وخنثها (بتشديد النون) واختنثها : ثنى فاها إلى خارج فشرب منه . وجاء النابغة به على وزن استفعل . وهو حسن . والوطب : سقاء اللبن خاصة ، وهو قربة من جلد . والمريرة : الحبل المفتول ، أراد عصام القربة الذى يربط به فمها . يقول : هى من شرهها وجوعها ولؤمها وجنونها ، تعجل إلى وطب اللبن فتثنى فمه قبل أن تحل رباطه ، لا تتحرج من شىء ، ولا تحذر أن يكون فى فم الوطب أذى أو حشرة أو قذر . وقوله : «تأكل الحب» ، أجود الرواية « وتقضم الحب » ، وهى فى تاج العروس « هنب » . وهذا جنون آخر ، وشره مفرد . والصرف : الخالص من كل شىء ، لم يمزج ولم يخلط ، كما يقولون : شرب الخمر صرفاً . وجعل الحب صرفاً ، استهزاء وإغراباً وتعجيباً من شأن هذه المجنونة . وإنما أراد أنه لم يهيأ ولم يعالج . بطحن أو طبخ حتى يستساغ .

وهى أبيات جيدة محكمة ، أتمنى أن أعرف سائرها .

(٤) ليس فيه مدح لمروان ، ولا أثق بنص الطبقات المطبوع . والذى فى الأغانى ٥ : ٣١ أن النابغة دخل على معاوية ، وعنده عبدالله بن عامر ومروان فأنشده . . . وهو أقرب إلى الصواب .

قال أبن سلام : وأنا منها فى شكٍّ ، ولكنه قال ما لا أشكُّ فيه[١] :

فَمَنْ راكبٌ يأتى أبْنَ هِنْدٍ بحاجَتِي ... ومَرْوانَ ، والأنباءُ تُنْمَى وتُجْلَبُ[٢]

ويُخْبِرُ عَنِّى مَا أقولُ ابنَ عامرٍ ... فنِعْمَ الفتَى - يأْوِى إليهِ - المُعَصَّبُ[٣]

فَإنْ تأْخُذُوا مالِى وأهلى بِظِنَّةٍ ، ... فإنّى لَحرّابُ الرِّجالِ مُحَرَّبُ[٤]

صَبُورٌ على ما يَكْرَهُ المرءُ كُلِّهِ ، ... سِوَى الظُّلْمِ ، إنّى إنْ ظُلِمْتُ سأَغْضَبُ[٥]

أُصِيبَ أبنُ عَفّانَ الإمامُ ، فلم يَكُنْ ... لِذِى حَسَبٍ بَعْدَ أبنِ عفّانَ مَغْضَبُ[٦]

---

(١) هكذا جاءت العبارة ، ولا أعرف لها معنى ، وأظن الصواب : « ولكنه قول من لا أشك فيه » . والخبر فى الأغانى ٥ : ٣١ .

(٢) رواية الأغانى « على النأى والأنباء ... » . نمى الحديث ينميه : رفعه وبلغه وأذاعه على وجه الإصلاح والخير . ويجلب : يحمل من بلد إلى بلد . وابن هند : هو معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما .

(٣) يعنى عبدالله بن عامر بن كريز ، ولد بمكة بعد الهجرة بأربع سنين ، وحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عام عمرة القضاء ، وهو ابن ثلاث سنين ، فحنكه رسول الله ، فلم يزل عبد الله شريفاً ، وكان سخياً كريماً كثير المال والولد . وهو ابن خال عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقال فيه على بن أبى طالب رضى الله عنه : هو سيد فتيان قريش غير مدافع . وقال فيه معاوية حين مات : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر ! وبمن نباهى ! وهو الذى فتح عامة فارس وخراسان وسجستان وكابل . وأخباره تدل على شرفه وسؤدده ونبالته ، وسخائه الدائم ، ونفعه الذى لا ينقطع .

وقوله : يأوى إليه : أى يلجأ إليه ويعتصم به . والمعصب : الرجل الذى سوده قومه ، ومثله المعمم . مأخوذ من العصابة ، وهى العمامة . وكانت التيجان للملوك والعمائم الحمر لسادة العرب وأشرافهم . وأما ما جاء فى شرح الأبيات فى الأغانى ٥ : ٣١ ، فهو خطأ محض .

(٤) الظنة : التهمة تظن ولا تحقق . الحراب مبالغة من الحارب : وهو الذى يسلب أموال أعدائه فى الحرب والغارة ، يريد أنه أخو حرب وغارة . ومنه سمى الحارث الحراب ملك كندة جد امرىء القيس . والمحرب : من قولهم حربته أى أغضبته ، يقال أسد محرب : مغضب مغيظ قد هيج وأغضب ، وهو عندئذ أشد بأساً وأجرأ شراً . يهدد النابغة بالشر ، وأنه لا يهاب حرباً لإلفه لها وتمرسه بها .

(٥) بيت نبيل . وبعده فى الأغانى ما نصه : « فالتفت معاوية إلى مروان ، فقال : ما ترى ؟ قال : أرى أن لا ترد عليه شيئاً . قال : ما أهون والله عليك أن ينجحر هذا فى غار ، ثم يقطع عرضى على ، ثم تأخذه العرب فترويه . أما والله إن كنت لممن يرويه . اردد عليه كل شىء أخذته منه » .

(٦) هذا البيت لم يروه صاحب الأغانى ، وكأنه بيت مفرد من القصيدة وضع فى غير موضعه . والمغضب ، مصدر ميمى من الغضب . يقول : بعد الذى أصاب عثمان على شرفه ومنزلته من ظلم الناس له وعدوانهم عليه ، لم يبق لذوى الشرف والحسب نجاة من نزول الظلم بهم ، ولو تركوا الحمية لأحسابهم فى عثمان أسوة للمؤتسى .

١١٣ — وكان أَبو ذُؤَيْب شاعراً فَحْلاً لا غَمِيزَةَ فيه ولا وَهْن[١].

قال أبو عمرو بن العَلاء : سُئل حسّان : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : حيًّا أو رجلًا ؟ قال : حيًّا . قال : أشعر الناس حيًّا هُذَيل . وأشعر هُذَيل غير مُدافَعٍ أبو ذُؤيب . [قال ابن سلام : ليس هذا من قول أبي عمرو ، ونحن نقوله] .

١١٤ — [أخبرني أبو خليفة قال : حدثنا محمد بن سلام قال : أخبرني محمد بن مُعاذ المَعْمَرىّ ، قال : فى التوراة : أبو ذؤيب مؤلِّف زُورا[٢]. وكان اسم الشاعر بالسُّريانية « مؤلف زورا » . فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية ، وهو كَثِير بن إسحق ، فعجب منه ، وقال : قد بلغنى ذاك .

وكان فصيحاً ، كثير الغريب ، متمكّنا فى الشعر][٣].

١١٥ — فأما الشماخ ، فكان شديد مُتُونِ الشِّعر ، أشدَّ أسْرَ كلامٍ من لبيد ، وفيه كَزَازةٌ ، ولبيدٌ أسهلُ منه مَنْطِقاً[٤].

---

(١) يقال لاغميزة فى الشىء ولامغمز : أى ما فيه عيب يغمز به ويعاب ويطعن . والوهن : الضعف.

(٢) فى العربية أم الألسنة : كلام زور ومزور : محسن مثقف ، يزوقه المتكلم ويهيئه قبل أن يتكلم به .

(٣) يعنى بهذا محمد بن معاذ بن عبد الله بن معمر التيمى المدنى ، وقد ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء : ١٤٥ ، وذكر بعض شعره .

(٤) متون الشعر : يراد بها عباراته وألفاظه وصياغته ، انظر الفقرة ٨٧ رقم : ٣ . والأسر : الشد والعصب ، وأسر الكلام بناؤه وتركيبه ، يعنى أنه غير مسترخ ولا ضعيف متخالف . والكزازة : اليبس والتقبض ، يريد أنه قليل الماء غير لين ولا سهل .

١١٦ — وكان للشَّماخ أخَوَان — وهو أفحلهم — : مُزَرِّد . وهو أشبههما به ، وله أشعار وشُهْرَة .

وجَزْءٌ ، وهو الذى يقول يرثى عُمَرَ بن الخطّاب :

[جَزَى اللهُ خيراً من أميرٍ ، وبَاركتْ … يَدُ اللهِ فى ذاكَ الأديمِ الممزَّقِ[1]

فمن يَسْعَ أو يركَبْ جَنَاحَىْ نَعامةٍ … ليُدْرِكَ ما حَاولْتَ بالأمسِ يُسْبَقِ

قَضَيْتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها … بَوَائِقَ فى أكْمَامها لم تَفَتَّقِ[2]

وما كُنْتُ أخشَى أن تكونَ وفاتُه … بكَفَّىْ سَبَنْتَى أزرقِ العَيْنِ مُطْرِقِ[3]]

---

(١) الأديم : الجلد ، وذلك حين طعنه الكلب أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، وطعن معه اثنى عشر رجلا من المسلمين فى صلاة الفجر ، فمات منهم ستة هو سابعهم رضى الله عنهم .

(٢) قضى الأمر : قدره وأحكمه ثم أمضاه وفرغ منه . ومنه قوله تعالى : «فقضاهن سبع سموات فى يومين» . والبوائق جمع بائقة : وهى الغوائل والدواهى العظام . والأكمام جمع كم (بضم الكاف وكسرها) : وهو وعاء الثمر وغلاف الزهر قبل أن ينشق عنه ويظهر . وقوله « لم تفتق » ، أصلها لم تتفتق ، حذف إحدى التاءين . وتفتق الكم عن الزهر : انشق وتفطر . وصدق ، فقد غادر عمر بعده أكماماً تفتقت عن أشد الدواهى .

(٣) السبنتى : النمر ، وهو لئيم خبيث الطبع ، لا يملك نفسه من شدة الغضب ، وإذا شبع نام ثلاثة أيام . وقدماء علمائنا يقولون : يشبه أن يكون سمى بذلك لجرأته . وأنا أرى أنه مأخوذ من الإسبات : هو أن تطرق الحية فلا تتحرك . والمسبوت : العليل إذا بقى كالنائم يغمض عينيه فى أكثر أحواله . وذلك صفة النمر كما رأيت ، ولا معنى للجرأة هنا ، فإنه أراد الذم ، وسائر البيت دال عليه . وأزرق العين ، من صفة عين النمر . والعرب تعد كل أزرق العين لئيما يتشاءمون به . والمطرق : من الإطراق : وهو السكوت والسكون وإرخاء العين ينظر إلى الأرض ، وهى صفة المترصد بالشر . توصف به الحية ، وكل خبيث شديد المكر ، ولله در الذى قال ، يصف الحقد الخبيث والنكراء المترصدة :

مُطْرِقٌ يرشَحُ سَمًّا ، كما أَطْـــرَقَ أفعَى ينفُثُ السَّمَّ صِلٌّ

وقوله : « وما كنت أخشى » ، أى ما كنت أظن ذلك فأخشاه على عمر ، أن يفتك به عبد لئيم ذليل ، متخشع مطرق بالغدر والغيلة . والأبيات جيدة رواها أبو تمام فى حماسته ٣ : ٦٥ ، ونسبها للشماخ ، ونسبها أبو محمد الأسود الغندجانى لجزء بن ضرار أخى الشماخ . وينسبها ناس للجن ، نعت بها عمر ؛ وانظر ابن سعد ٣ : ٢٤١

١١٧ — أنا ابن سلام ، قال : أخبرنى شُعَيب بن صَخْر قال : كانت عند الشماخ امرأة من بنى سُلَيْم [أحد بنى حَرَام بن سِماك] ، فنازعته وادَّعَتْهُ طَلاقاً(١) ، وحضَر [معها] قومُها فأعانوها ، واخْتصَمُوا إلى كَثِير ابن الصَّلْت — وكان عثمانُ أقْعدَه للنَّظَر بين الناس ؛ وهو رجل من كِنْدة ، عِدَادُه فى بنى جُمَح ، [وقد ولدتهم بنو جمح] ، ثم تحوّلوا إلى بنى العبَّاس ، فهُمْ فيهم اليوم — فرأى كَثِير عَلَيْهِ يميناً ، فالتوَى [الشماخ باليمين ، يحرِّضهم عليها(٢)] ، ثم حَلَف . وقال :

أَتَتْنِى سُلَيْمٌ قَضَّها وقَضِيضَها ... تُمَسِّحُ حَوْلِى بالبَقِيعِ سِبَالَهَا(٣)

يَقُولُونَ لى : يا احْلِفْ ! ولستُ بِحالِفٍ ... أُخَاتِلُهُمْ عَنْها لكَيْمَا أَنالَهَا(٤)

---

(١) فى المطبوعتين « وادعت عليه طلاقاً » . وليست بشىء ، وهذا نص الأغانى ٩ : ١٦١ . وادعت الطلاق : سألته وطلبته ملحة . وعدى « ادعى » إلى مفعولين ، لأنه ضمنه معنى : سألته طلاقاً . وانظر ماكتبته فى فقرة : ١١١ رقم : ٤

(٢) النظر بين الناس فى الخصومات ، وليس قضاء . والتوى بدينه أو يمينه : تعسر بها وماطل .

(٣) ديوانه : ١٩ — ٢٠ . ضرب الشماخ امرأته هذه فكسر يدها ، وهجا قومها . فلما شكوه إلى عثمان أنكر ، فأمر عثمان كثير بن الصلت أن يستحلفه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقال : جاء القوم قضهم وقضيضهم ، وقضهم بقضيضهم ، وبقضهم وقضيضهم ، إذا جاءوا مجتمعين كأنما ينقض بعضهم على بعض من التزاحم . والبقيع : هو بقيع الغرقد ، كانت فيه مقبرة أهل المدينة . والسبال : جمع سبلة (بفتحتين) ، وهى مقدم اللحية ، وما أسبل منها على الصدر . وتمسح : تمر أكفها عليها كفعل المغيظ المتوقع أن يجد شفاء غيظه من عدوه . ويروى « تنشر حولى » . يقال : جاء فلان ناشراً سبلته : إذا جاء يتهدد ويتوعد .

(٤) يا احلف : « يا » صوت يستجلب لمعان كثيرة منها الزجر ، يتقدم فعل الأمر فى بعض المواضع . وللنحاة فيه ثرثرة ولجاجة . ولست بحالف : كأنه قال ، وأقول لهم : لست بحالف ، فحذف . يقول : هذا قولهم لى ، وهذا قولى لهم . أخاتلهم : أخادعهم عن اليمين ، أوهمهم بتشددى وورعى ، أنها لا تهون على ، ولا يهون على طلاق المرأة ، حتى إذا ظنوا شدتها على رميتهم باليمين . والهاء فى قوله : « أنالها » راجع على الطلقة ، ولم تذكر فى الكلام ، لدلالة القصة عليها .

فَفَرَّجْتُ هَمَّ النَّفْسِ عَنِّى بِحَلْفَةٍ كَمَا شَقَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْهَا جِلَالَهَا[١]

١١٨ — وكان لَبيد بن رَبِيعة ، أبو عَقِيلٍ ، فارساً شاعراً شُجاعا ، وكان عذبَ المَنْطِق ، رَقيقَ حَوَاشِى الكلام[٢] ؛ وكان مُسْلِماً رجُلَ صِدْقٍ .

قال : وكتَبَ عُمر إلى عامِلِه ، أنْ : سَلْ لبيدًا والأَغْلَب ما أحْدثا من الشعر فى الإسْلام . فقال الأغلب[٣] :

أَرَجَزًا سَأَلْتَ أَمْ قَصِيدَا ؟ فَقَدْ سَأَلْتَ هَيِّنًا مَوْجُودَا

وقال لبيد : قد أَبْدَلَنِى اللهُ بالشعر سُورَةَ البَقَرة وآلِ عِمْرَان . فزاد عُمر فى عَطَائِه ، فبلغ به أَلْفَين . فلمَّا وَلِى مُعَاوية قال : يا أَبا عَقِيلٍ ، عَطائِى

(١) قال ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير : ٨٤١ « أى كما وطئت فرس شقراء على جلالها ، فخرجت منها . وكذلك خرجت أنا من هذه ايمين » . والجلال ، كما يرى ابن قتيبة ، جمع جل : وهو كساء تلبسه الدواب تصان به . وهذا عندى تفسير غير حسن . وأرى أن الشقراء هنا : هى المرأة الحسناء البيضاء ، يعلو بياضها حمرة صافية . وجلال كل شىء : غطاؤه كالحجلة ونحوها ، والحجلة : هى قبة العروس والعذارى المقصورات ، توضع عليها ثياب مزينة موشاة تسترها . وذلك أنهم كانوا طمعوا منه فى اليمين التى تطلق بها هذه المرأة ، فلما أقبلوا يحثون : يا احلف ، ويقول لهم : لست بحالف ، مرة وأخرى وثالثة ، يخادعهم حتى يستيقنوا أنه لن يحلف ، وأنه يعز عليه طلاقها ، فلما استيقنوا ويئسوا أن يسمعوا ايمين خارجة من فيه ، فرج كرب نفسه بهذه المرأة البغيضة ، بيمين شقت يأسهم من سماعها ، أرسلها عليهم فجأة واضحة بينة سريعة خاطفة ، أذهلت السامعين ، كما تذهل الناظرين حسناء محجبة منيعة ، قد يئس المترقبون من رؤيتها ، فإذا بها تشق حجابها فجأة فتطيش أبصارهم من رؤيتها واضحة المحيا مشرقة الوجه .

(٢) حاشيتا الثوب : جنبتاه الطويلتان يكون فيهما الهدب ، ومنهما تعرف جودة حوكه ورقة نسجه . فقولهم رقيق الحواشى ، يريدون أن الناظر المتأمل يعرف جودته وحسن ديباجته من عند أول النظر .

(٣) هو الأغلب العجلى الراجز ، وترجم له ابن سلام فى أول الطبقة التاسعة من الشعراء الإسلاميين ، فى آخر الكتاب .

وعَطاؤكَ سَواء ! لا أُرانى إلا سأحُطُّك(١) ! قال : أوْ تَدَعُني قليلاً، ثم تضُمُّ عَطَائى إلى عطَائِك فتأخذه أجمعَ .

قال : وعُمِّر عُمْرًا طويلاً . وكان فى الجاهلية خيرَ شاعرٍ لقومه : يمدحُهم ، ويرْثيهم ، ويَعُدُّ أيامَهم وَوَقائعهم وفُرْسانهم . وكان يُطْعم ما هَبّتِ الصَّبَا . وكان المُغيرةُ بن شُعْبَة إذا هبّت الصَّبَا قال : أَعِينُوا أبا عقيل على مُرُوءَته(٢)

(١) العطاء : هو الفريضة التى كانت تفرض للمسلمين على مراتبهم من بيت المال ، وللخليفة حظ منها فى مرتبته كسائر حظوظ الناس . وحط عطاءه : نقصه عما قدر له .

(٢) بيان هذه الأخبار ، فى الأغانى ١٤ : ٩٤

الطَّبقة الرّابعة

١١٩ — وهم أربعةُ رَهْطٍ فحولٌ شعراء، موضعُهم مع الأوائل، وإنما أخلَّ بهم قلَّة شِعْرِهم بأيْدِى الرُّوَاة.

١٢٠ — طَرَفة بن العَبْد بن سُفْيان بن سَعْد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثَعْلَبة.

١٢١ — وعَبِيدُ بن الأبْرَص بن جُشَم بن عَامِر، أحدُ بنى دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمة.

١٢٢ — وعَلْقَمة بن عَبَدَة بن نَاشِرة بن قيس بن عُبَيْد بن رَبِيعة بن مالك بن زَيْدِ مَنَاة بن تَمِيم.

١٢٣ — وعَدِىّ بن زَيْد بن حَمَّاد بن زَيْد بن أيُّوب، أحدُ بنى امِرِئ القَيْس بن زَيدِ مَنَاة بن تَمِيم.

١٢٤ — فأما طَرَفَة فأَشْعَرُ النَّاس واحدةً، وهى قوله[1] :

لِخَوْلَةَ أطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ... وَقَفتُ بها أَبْكِى وأُبْكِى إلى الغَدِ[2]

---

(١) أشعر الناس واحدة، يعنى ما نسميه المعلقة، انفردت من شعر كل واحد من أصحاب السبع الطوال.

(٢) ديوانه : ٢١ . وهكذا روى ابن سلام عجز البيت . وفى الرواية المتداولة : « تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد » . ثم يروى بعده :

فَرَوْضَةِ دُعْمِىٍّ فأكْنَاف حَائِلٍ ... ظَلِلْتُ بها أَبْكِى وأُبْكِى إلى الغَدِ

وتليها أُخرى مثلُها وهى :

أصحوتَ اليومَ أم شاقَتْكَ هِرّْ ... ومن الحُبِّ جُنُونٌ مُسْتَقِرّْ (١)

ومن بعدُ له قصائد حِسانٌ جيادٌ .

١٢٥ — وعَبِيدُ بن الأبْرَص ، قديم الذِكْر عظيمُ الشُّهرة ، وشِعْرُه مُضْطرب ذاهِبٌ ، لا أعرف له إلاّ قوله :

أَقْفَرَ من أهْلِهِ مَلْحُوبُ ... فالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ (٢)

ولا أدرِى ما بعد ذلك .

١٢٦ — وعَلْقَمَةُ بن عَبَدَة ، وهو عَلْقمة الفَحْل . وعلقمةُ الخَصِىُّ من رَهْط علقمة الفَحْل . ولابن عَبَدَة ثلاثٌ رَوَائع جيادٌ ، لا يفُوقُهُنَّ شِعر (٣) :

ذَهَبْتَ مِنَ الهِجْرانِ فى كلِّ مَذْهَب ... ولمْ يَكُ حقًّا كلُّ هذا التَّجَنُّبِ

والثانية :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فى الحِسَانِ طَرُوبُ ... [بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ]

---

(١) ديوانه : ٦٣ . مستقر : دائم ثابت قد استقر فى صاحبه لا يتحول . ورواية الديوان « مستعر »

(٢) ديوانه : ٥ . والذى فى الشعر أسماء مواضع ومياه . وقصيدته هذه من أجود الشعر .

(٣) سمى علقمة الفحل فى خبره فى مماتنة امرئ القيس وتحكيم أم جندب ، وكانت تحت امرئ القيس ، فلما غلبت عليه علقمة فى قصيدته البائية ، طلقها امرؤ القيس ، وخلف عليها علقمة ، فسمى علقمة الفحل . أما علقمة الخصى ، فهو علقمة بن سهل ، من ربيعة الجوع رهط علقمة الفحل . وكان قد خصى إذ أسر باليمن فهرب ، فظفر به ، فهرب ثانية ، فأخذ فخصى . وكان امرأ له إسلام وقدر .

والثالثة :

هَلْ ماعلِمْتَ وما استُودِعْتَ مَكتُومُ [أمْ حَبْلُها إذْ نَأتْكَ اليومَ مصرومُ](١)

١٢٧ — نا أبو خليفة ، نا أبو عثمان المازنىّ ، عن الأصمعىّ ، عن نافع بن أبى نُعَيْم قال(٢) : مرَّ رجلٌ من بنى مُزَيْنةَ بباب رجلٍ من الأنصار ، وقد كان يُتَّهم بامرأته ، فتمثل :

* هل ما علمتَ وما استُودِعْتَ مَكتُومُ *

فاستَعْدَى ربُّ البيتِ عليه عُمَر ، فقال له عمر : ما أرَدْت ؟ قال : شعراً ! قال : قد كان له موضعٌ غير هذا . ثم أمر به فَحُدَّ .

ولا شىء بعدَهُنَّ يُذكر(٣) .

١٢٨ — وعدىُّ بن زيدٍ كان يسكُنُ الحِيرَةَ ومَراكِزَ الرِّيف ، فلان لسانُه وسهُل مَنْطِقه ، فحُمِل عليه شىء كثيرٌ ، وتخليصه شديدٌ . واضطرَب فيه خَلَف [الأحمر](٤) ، وخلَّط فيه المُفضَّل فأكثر .

١٢٩ — وله أربع قصائد غُرَر رَوائع مُبرِّزاتٌ ، وله بعدَهُنَّ شعرٌ حَسَن ، أوَّلهن :

---

(١) الأولى ديوانه : ٨٣ ، والثانية : ١٧ ، والثالثة : ٤٣ . طحا همه : ذهب به كل مذهب .

(٢) هذا الخبر كما ترى عن أبى خليفة مقحم على نص ابن سلام ، ولم يروه .

(٣) وهذه الكلمة من كلام ابن سلام ، غير شك .

(٤) اضطرب فيه : أى أحدث فيه ما شاء ، لما يتهم به خلف من وضع الشعر فى شعر الأوائل . وانظر مثله فى فقرة : ٢٢٦ .

أرَوَاحٌ مُودِّعٌ أمْ بُكورُ ؟ أنتَ ، فاعْلَم، لأىِّ حالٍ تَصِيرُ

١٣٠ — نا أبو خليفة ، نا ابن سلام ، قال : سمعتُ يونس وقد تمثّل بهذا البيت :

أيُّهــا الشَّامِتُ المُعيِّر بالدَّهْــرِ ، أأَنْتَ المبرَّأُ المَوْفُورُ[١] ؟

[أمْ لديْكَ العَهْدُ الوَثيقُ من الأ يّامِ ؟ بلْ أنْتَ جاهِلٌ مَغْرُورُ]

فقال : لو تمنّيتُ أن أقولَ شعرًا ما تمنّيتُ إلّا هذه ، أو مثلَ هذه .

وقوله :

أتَعْرِف رَسْمَ الدّار من أُمِّ مَعْبَدِ؟ [نَعَمْ ، فرَماكَ الشَّوقُ قَبْلَ التجلُّدِ]

وقوله :

ليسَ شَىْءٌ على المَنُونِ بباقِ غَيْرُ وجْهِ المُسَبَّح الخَلَّاقِ[٢]

وقولَه :

لم أرَ مِثْلَ الفِتيانِ فى غَبَنِ الأ يّام، يَنْسَوْنَ ما عَوَاقِبُها ![٣]

---

(١) انتهى الخرم الذى بدأ فى آخر رقم : ٨٤ ، وتبدأ الخطية بهذا البيت . وضع الدهر هنا موضع مصائب الدهر ، وهو جيد بليغ . الموفور : الذى لم ينل منه شىء ، ولم يرزأ فى مال ولا بدن . ولا يقال ذلك إلا إذا ذكر المرء فى كلامه ما أصيب به غيره . والقصيدة من أجود الشعر. رواها الشجرى فى أماليه ١ : ٩١ والبحترى فى حماسته : ٨٦ والأغانى ٢ : ١٣٨

(٢) رواها صاحب الأغانى ٢ : ١١٦ . والمسبح : المنزه عن كل سوء .

(٣) رواها ابن هشام فى سيرته ١ : ٨٦ . الغبن (بالتحريك) : ضعف الرأى والنسيان والغفلة . يقال : غبن الشىء وغبن فيه (بكسر الباء) نسيه وأغفله وضيعه . وغبن الأيام : ما ينسيهم ما هم فيه من مر الأيام وصروف الدهر ، آخرة الحياة .

الطبقة الخامسة

وهم أربعةُ رَهْطٍ :

١٣١ — خِداش بن زُهَيْر بن رَبيعة ذِى الشَّامة بن عمرو ، وهو فارس الضَّحْياء ، بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة .

١٣٢ — والأسود بن يَعفُر بن عبد الأسْود بن جَندل بن نَهْشل ابن دارم .

١٣٣ — وأبو يَزيد ، المُخَبَّل بن رَبيعة بن عوف بن قَتّال بن أَنْف النَّاقة بن قُرَيْع .

١٣٤ — وتَميم بن أُبَىٍّ بن مُقْبِل بن عوف بن حُنَيف بن العَجْلان بن عَبْد الله بن كَعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة .

١٣٥ — فَخِداشٌ شاعرٌ . قال أبو عمرو بن العَلاء : هو أَشْعَر فى قَرِيحة الشِّعْرِ من لبيد ، وأبَى النَّاس إلَّا تَقْدِمَةَ لَبيد[١] . وكانَ يهجُو

---

(١) قريحة الشعر : جوهره وطبيعته ، والقريحة : خالص الطبيعة ، ومنه اشتقاق الماء القراح ، وهو الخالص غير المشوب . وقد روى ابن قتيبة فى الشعر والشعراء هذا الخبر عن أبي عمرو : ٦٢٧ وفيه « خداش بن زهير أشعر فى عظم الشعر ، يعنى نفس الشعر ، من لبيد . إنما كان لبيد صاحب صفات » . وعظم (بفتح فسكون) . وعلق عليه أخى الأكبر أحمد ، أن الصواب ضم العين وأن ليس

قُرَيْشًا ؛ ويقال إن أباه قَتلته قُرَيْش أيَّامَ الفِجَار[١] ، وهو الذى يقول :

أَبَى فارسُ الضَّحْياءِ عَمْرُو بن عامرٍ ، أبَى الذَّمَّ واختار الوفاءَ على الغَدْرِ[٢]

فَيا أَخَوَيْنَا من أبينا وأُمِّنَا ، إِلَيْكُمْ إليكم ، لا سَبِيلَ إلى جَسْرِ[٣]

١٣٦ — وهو الذى يقول :

يا شَدَّةً ما شَدَدْنا غَيرَ كاذِبَةٍ على سَخِينَةَ ، لولا اللَّيْلُ والحَرَمُ[٤]

لفتحها معنى . وكأنه اتبع فى ذلك قول الراجكوتى فى التعليق على اللآلىء : ٧٠١ — ٧٠٢ ، لأنه وجده فى أصل اللآلىء مضموم العين ، قال «وهو الصواب» . ولا صواب ، وإنما هو بفتح العين لا غير ، وقد عقد ابن قتيبة فى كتابه أدب الكتاب : ٢٢٧ باباً سماه « باب الحرفين اللذين يتقاربان فى اللفظ والمعنى ويلتبسان ، فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر » . وأول كلمة فيه هى : « قالوا عظم الشىء (بضم فسكون) : أكثره . وعظمه (بفتح السكون) : نفسه » . ورواية الطبقات قاطعة بأن المراد من قوله « فى عظم الشعر » : فى طبيعته ونفسه وجوهره .

(١) أيام الفجار : خمسة أيام فى أربع سنين (انظر العقد الفريد ٥ : ٢٥١ — ٢٦٠) معروفة معدودة . وقد أوهم هذا السياق بعض الناقلين أن الشعر الآتى قيل فى أيام الفجار ، وليس كذلك كما سيأتى . بل الشعر الذى يليه هو الذى قيل فى يوم الفجار الآخر ، وهو بين قريش وكنانة كلها ، وبين هوزان . وهو من الأيام التى شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فيه : كنت أنبل على أعمامى يوم الفجار ، وأنا ابن أربع عشرة سنة (انظر فقرة : ٧٢ رقم ١٠) .

(٢) القصيدة من المجمهرات ، رواها أبو زيد بن أبى الخطاب فى جمهرة أشعار العرب : ١٠٧ — ١٠٩ . قالها فى يوم شواحط ، وهو يوم لبنى محارب بن خصفة ، على بنى عامر بن صعصعة . والضحياء : فرس عمرو بن عامر جد خداش .

(٣) « فيا أخوينا » يعنى بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وبنى أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وذلك أنهما بعد يوم شواحط أرادا أن يميلا على حلفاء بنى عمرو ابن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (رهط خداش) . وهؤلاء الحلفاء هم بنو جسر من بنى محارب ابن خصفة ، وكانوا قد خرجوا على سائر بنى محارب بن خصفة وحالفوا رهط خداش . فمنعهم خداش ، وحذر بنى عقيل وبنى أبى بكر بن كلاب عاقبة فعلهم ، وأنه فاعل ما فعل جده من اختيار الوفاء والموت على الغدر والمذمة الباقية ، فهو مقاتلهم إن فعلوا وعدوا على حلفائه . إليكم إليكم : أى تنحوا وابتعدوا عن ذلك

(٤) شد على القوم فى القتال : حمل عليهم فقتلهم . والشدة : الحملة الشديدة . وهذا هو الشعر الذى قاله خداش فى يوم نخلة ، وهو الفجار الآخر . العقده : ١٥٥ والأغانى ١٩ : ٧٦ . وقوله « لولا الليل والحرم » ، وذلك أن قريشاً فى هذه الحرب ظلت تقاتل حتى دخلت الحرم وجن عليهم الليل ، فكفوا عن القتال . ويروى « لولا البيت » ، وليست بشىء .

إذْ يَتَّقِينا هِشَامٌ بالوَلِيد ، ولوْ   أَنَّا ثَقِفنَاهِشَامًا، شَالَتِ الخدَمُ[١]

[سَخينة: شيءٌ تعيَّرُ به قريش ، فجعله اسمًا لها][٢]، وهِشَامٌ والوليد ابنا المُغيرة المخزوميَّان .

١٣٧ — وقال القصيدةَ المُنْصِفَة[٣] :

فَأَبلغْ - إنْ عَرَضْتَ - بنا هِشَامًا   وعبدَ الله أبْلِغْ والوليدَا[٤]
أُولئِكَ ، إن يَكُنْ في النَّاسِ خَيْرٌ ،   فإنَّ لَدَيْهِمُ حَسَبًا وَجُودَا
هُمُ خَيرُ المَعاشِرِ من قُرَيْشٍ   وَأَوْرَاهُمْ - إذا قَدَحتْ - زُنُودَا[٥]
بِأَنَّا يوم شَمْطَةَ قَدْ أقَمْنَا   عَمُودَ المَجْدِ ، إنَّ له عَمُودَا[٦]

---

(١) ثقف فلاناً فى موضع كذا : صادفه وظفر به . وفى الأصلين « الجذم » بالجيم والذال ، ولا أراه صواباً . والخدمة وجمعها خدم : حلقة القوم حيث يجتمعون ويستديرون ، مأخوذ من الخدمة وهى الخلخال الذى يستدير على الساق . وهو تشبيه . وفى حديث خالد إلى مرازبة الفرس : « الحمد الله الذى فض خدمتكم » ، أى فرق جماعتكم . ومثله فى معناه : « شالت نعامتهم » ، شالت : تفرقت . يقول : لو ثقفناهم لأنزلنا بهم ما يفرق جموعهم ، ويبيد خضراءهم ، ويذهب عزهم .

(٢) السخينة : طعام يتخذ من الدقيق ، دون العصيدة فى رقته وفوق الحساء ، وإنما كانت تؤكل فى شدة الدهر وغلاء السعر وهزال الأنعام . فعيروا بأكلها .

(٣) المنصفة : هى القصيدة التى يمدح فيها الشاعر أعداءه ، ويذكر ما أوقعوا بقومه وما أوقع قومه بهم ، إنصافاً وعدلا . ورواها صاحب الأغانى ١٩ : ٧٨ .

(٤) قوله عرضت : أى أتيت العروض ، وهى مكة والمدينة وما حولها ، أو أعراض المدينة وقراها . ثم استعملت بمعنى مررت بهم ونزلت . وأبلغ بنا : ضمنه معنى أخبر فعداه بالباء ، يقول : أخبر هؤلاء بما كان من أمرنا .

(٥) الزنود جمع زند : وهو ما تستقدح به النار . ورى الزند : خرجت ناره . يقال : وريت بك زنادى ، وهو أوراهم زنداً : فى النصرة والنجاح والظفر والمعونة المؤدية إلى قضاء الحاجة . قدح : ضرب الزند بالزندة ليستخرج النار ، والضمير فى « قدحت » عائد على قريش .

(٦) شمطة : مكان من مواقع حروب الفجار . ويروى « شمظة » بالظاء المعجمة . وفى الأغانى « سمطه » وفى المخطوطة « سمط » وهى خطأ .

فَجَاءُوا عارِضًا بَرِدًا ، وَجِئْنَا ... كما أَضْرَمْتَ فى الغابِ الوَقُودَا[١]

فَعانَقْنَا الكُماةَ وعَانَقُونَا ، ... عِراكَ النُّمْرِ وَاجَهتِ الأُسُودَا[٢]

فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُمْ هُزِمُوا وَفُلُّوا ، ... ولا كَذِيادِنَا عُتُقًا نُجُودَا[٣]

[هشام والوليد : أبنا المغيرة] ، وعبد الله: أبن جُدْعان. وكان يعتمد على أبن جُدعان بالهجاء[٤] ؛ فزعموا أنه لمَّا رآه ورأى جماله وجَهارَته وسِيماه قال : والله لا أهجوه أبداً[٥] .

* * *

١٣٨ — والأسود بن يَعْفُر يُكنى أبا الجَرَّاح . أخبرنى يونس : أن رُؤْبة كان يقول : يُعْفُرُ بضم الياء والفاء ، فقال يونس : يقال يُونُس ويُونِس، ويُوسُف ويُوسِف[٦] .

---

(١) فجاءوا ، يعنى قريشاً . العارض : السحاب يعترض فى أفق السماء حتى يسده . والبرد : ذو البرد الشديد ، أو الذى يرمى بالبرد . يذكر كثرتهم التى سدت الأفق ، ويصف بأسهم الذى لا يتقى ولا يرد .

(٢) الكماة جمع كمى : وهو الشجاع الذى لا يحيد عن قرنه ولا يهاب . والنمر جمع نمر : وهو الأرقط المعروف . وبين الأسد والنمر عداوة متمكنة ، وكلاهما ذو بأس شديد .

(٣) فل الجيش : كسرهم فانقلبوا منهزمين متفرقين . والفل المنهزمون . وذاد الشىء عن نفسه ذياداً وذوداً : دفعه ورده . فى الأصل « عنقاً مجوداً » وفى الأغانى ١٩ : ٧٨ « عنقاً مذوداً » وفى معجم البلدان (شمطة) « عتقاً مدوداً » وفى العينى ٢ : ٣٧١ « عنقاً مدوداً » . وكلها لا يكاد يكون لها معنى . وهكذا قرأتها . والعتق جمع عتيق : الذى بلغ الغاية فى الحرية والكرم والشرف . والنجود جمع نجد : وهو الشجاع الشديد البأس ، السريع الإجابة لمن استغاث به .

(٤) اعتمد عليه فى كذا : قصده به واشتد عليه فيه وأثقل . وانظر الحيوان ١ : ٣٦٤ بكاء عبد الله بن جدعان من بيت لخداش بن زهير . وهجاءه فى الشعر والشعراء : ٦٢٨ .

(٥) الجهارة : ما يجهر العين ويروعها من حسن منظره وأبهته . ورجل جهير وامرأة جهيرة : تروع الناظر . والسيما : أمارة الخير أو علامة الشر تعرف فى وجوه الناس .

(٦) وفيهما أخرى ثالثة : يونس ويوسف بفتح النون والسين فيهما .

١٣٩ — وكان الأسْوَدُ شاعرًا فَحْلًا ، وكان يُكثِر التنقُّل فى العرب يُجاوِرهم ، فيَذمُّ ويَحْمَد ، وله فى ذلك أشعار . وله واحدةٌ طويلةٌ رائعةٌ لاحقةٌ بأجْوَدِ الشعر ، لو كان شَفَعها بمثلها قدَّمناه على مرتبته ، وهى :

نامَ الخَـلِيُّ وما أُحِسُّ رُقادى   [والهَمُّ مُحْتَضِرٌ لدَىَّ وِسَادِى][1]

١٤٠ — وله شعرٌ كثيرٌ جيد ، ولا كهذه . وذكر بعضُ أصحابنا أنه سمِع المفضَّل يقول : له ثلاثون ومئة قصيدةٍ . ونحن لا نَعْرِفُ له ذلك ولا قريباً منه ؛ وقد علمتُ أن أهلَ الكوفة يَرْوُون له أكثر مما نروِى ، ويتجوَّزون فى ذلك بأكثرَ مِن تجوُّزِنا .

[وأسمعنى بعضُ أهل الكوفة شعرًا زعم أنه أخذه عن خالد بن كُلْثوم ، يرثى به حاجبَ بنُ زُرَارة . فقلت له : كيف يروى خالد مثل هذا ، وهو من أهل العلم ، وهذا شعرٌ مُتَداعٍ خبيثٌ ؟ فقال : أَخذْناه من الثقات . ونحن لا نعرِفُ هذا ولا نقبلُه] .

١٤٢ — وقال يمدحُ الحارثَ بن هِشَام بن المُغيرة — وكانت أسماء بنت مُخَرِّبَة النَّهْشلية عنـد هِشَام بن المغيرة[2] ، فولدت له أبا جهل والحارث ، ثم تزوَّجها أبو رَبيعَة بن المغيرة فأولدَها عبد الله وعَيَّاشاً ، وكان الحارث [بن هشام] قام بغزوة أحد ، وكان له فيها أثر . [فقال] :

---

(١) رواها المفضل فى مختاره ، المفضليات رقم : ٤٤

(٢) فى المطبوعتين : « مخرمة » ، والذى أثبتناه هو الذى فى كتب التراجم والسير ، وقال أبو الفرج فى أغانيه ١ : ٦٤ وقيل : « مخرمة » . وكانت عطارة تبيع العطر من اليمن . وتعرف أسماء أيضاً بالحنظلية ، لأنها من بنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ، رهط الأسود بن يعفر .

إنَّ الأكارِمَ من قُرَيْشٍ كلِّها ... قامُوا، فرامُوا الأمْرَ كلَّ مَرَامِ[(١)]
حَتَّى إذا كَثُرَ التَّجاوُلُ بَيْنَهم ... فَصَلَ الأُمُورَ الحارِثُ بن هِشَامِ
وَسَما لِيَثْرِبَ لا يُرِيد طَعَامَها ... إلَّا لِيُصْلِحَ أهلَها بِسُوَامِ[(٢)]
وغَزَا اليَهُودَ فأَسْلَمُوا أَبْنَاءَهُمْ، ... صَمِّى، لِما لَقِيَتْ يَهُودُ، صَمامِ![(٣)]

١٤٣ — والمُخَبَّل شاعر فحلٌ وهو أبو يَزيد، [وله يقول الفرَزْدق:

وَهَبَ القَصائدَ لِى النَّوابغُ إذ مَضَوْا ... وأَبُو يزيدَ وذُو القُرُوحِ وجَرْوَلُ[(٤)]

وللمخبّل شعر كثيرٌ جيّد؛ هجا به الزبرقان وغيره؛ وكان يمدحُ بنى قُرَيعٍ ويذكر أيام سَعْدٍ. وشعره كثير][(٥)].

---

(١) ديوان الأعشين، أعشى نهشل: ٣٠٩. الأكارم جمع كرام، والكرام جمع كريم.

(٢) سما إليه: شخص إليه، يريد خروج قريش من مكة إلى أحد لقتال المسلمين. السوم والسوام: عرض السلعة على البيع، ومنه أخذ: سمته الخسف: جشمته إياه وألزمته به، وأكثر ما يستعمل فى العذاب، يقول سبحانه وتعالى: «يسومونكم سوء العذاب»، فكأنه أراد بالسوام هنا: العذاب والنكال.

(٣) رواية ابن سلام غير جيدة، وفى اللسان وغيره (صمم): «فرت يهود وأسلمت جيرانها»، ويروى «حلفاءها». ويعنى بالجيران، المهاجرين الذين نزلوا المدينة على الأنصار. وأسلم فلان صديقه: خذله فى مكروه وفر ليسلم هو. ويهود لم تفر فى غزاه أحد — وهم أهل الفرار والغدر — ولكن ردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما خرجوا مع عبد الله بن أبى ابن سلول وقال: لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك. ثم جاء آخرون من الأنصار فذكروا لرسول الله الاستعانة بحلفائهم من يهود، فأبى من أن يستعين بمشرك. ويروى «صمى لما فعلت يهود». وصمى صمام: كلمة تقال عند استفظاع أمر بشع قبيح، كأنه يقول: اخرسى يا داهية، فإن الذى أرى أكبر منك. وصمام: اسم الداهية الشديدة.

(٤) ديوانه: ٧٢٠ والنقائض: ٢٠٠. والنوابغ: نابغة بنى ذبيان ونابغة الجعدى ونابغة بنى شيبان. وذو القروح: امرؤ القيس بن حجر، وجرول: الحطيئة. ولم أحقق بعد نسبه إلى هؤلاء جميعاً، ولكنه يعنى أن أمهاته فى بنى مجاشع بن دارم من هؤلاء الذين ورثوه الشعر.

(٥) انظر ما مضى فقرة: ٩٩

١٤٤ — وتَمِيم بن أُبَىّ بن مُقْبِل ، شاعر خِنْذِيذٌ مُغَلَّب [غُلِبَ] : غَلَبه النَّجاشىُّ(١) ، ولم يكُنْ إليه فى الشِّعْر ، وقد قَهَرَه فى الهجاءِ فقال :

إِذَا اللهُ عادَى أهْلَ لُؤْمٍ ودِقَّةٍ ... فعادَى بنى العَجْلانِ رَهْطَ ابنِ مُقْبِلِ(٢)

ثم هاجى النَّجَاشىُّ عبدَ الرحمن بن حسان بن ثابت ، فغلَبه عبد الرحمن [ابن حسان بن ثابت] .

١٤٥ — وكان أُبن أُبىّ [بن] مقبل جَافياً فى الدِّين ، وكان فى الإسْلام يَبْكى أَهلَ الجاهِلِيَّة ويَذْكُرها ، فقيل له : تَبْكي أهلَ الجاهليَّةِ وأنت مُسْلِم ؟ فقال :

وَمَا لِىَ لاَ أَبْكِى الدِّيَارَ وأهْلَهَا ، ... وقَدْ زَارَهَا زُوَّارُ عَكٍّ وحِمْيَرَا ؟(٣)

وجَاءَ قَطَا الأَجْبَابِ من كلِّ جانبٍ ... فَوَقَّعَ فى أَعْطَانِنا ثُمَّ طَيَّرَا(٤)

---

(١) الخنذيذ : الشاعر المجيد المنقح للكلام المفلق . وانظر فقرة : ١٠٧ . والنجاشى الحارثى : قيس بن عمرو بن مالك ، وخبره مع تميم بن أبى فى كتب كثيرة مشهور . انظر الشعر والشعراء : ٢٩٠ .

(٢) الدقة : الخسة البليغة .

(٣) يعنى ملوك عك وحمير باليمن ، وانظر ما قاله ابن سلام فى عك فقرة : ٩ . وهذا البيت فى آخر قصيدته .

(٤) هذا البيت من أوائل أبيات القصيدة ، وحرفه ابن سلام أو من روى عنه ، وصواب روايته « أتاه قطا الأجباب » « ونقر فى أعطانه » والضمير فى « أتاه » و « أعطانه » عائد على منهل قديم باد أهله ذكره قبل . والأجباب جمع جب : وهى البئر الكثيرة الماء .

الطبقة السادسة

أربعةُ رهْطٍ ، لكل واحدٍ منهم واحدةٌ :

١٤٦ — أوّلهم عمرو بن كلثوم بن عتَّاب بن سَعْد بن زُهَيْر بن جُشَم ابن بَكْر بن حبيب بن عَمْرو بن غَنْم بن تَغْلب . وله قصيدةٌ ، التى أوّلها :

أَلَا هُبِّى بصَحْنِك فاصْبَحِينا [ولا تُبْقِى خُمُورَ الأنْدرِينا](١)

١٤٧ — والحارث بن حِلِّزَة بن مَكْرُوه بن بُدَيْد(٢) بن عَبْدِ الله بن مَالك بن عَبْدسَعد بن جُشَم بن زَبَّان(٣) بن كِنانة بن يَشْكُر بن بكْر بن وَائل . وله قصيدةٌ ، التى أولها :

آذنَتنا بِبَيْنِها أسْمَاءُ [رُبَّ ثاوٍ يُمَلّ مِنْه الثَّوَاءُ](٤)

وله شعر سوى هذا ، وهو الذى يقول فى شِعْرِه :

---

(١) هى طويلته المشهورة فى المعلقات

(٢) فى الأصول « يزيد » ، وقد نص على صوابه الفيروزبادى فى (بدد)

(٣) هكذا فى الأصول ، وفى المخطوطة . والذى فى نسبه ونسب سويد بعد فى الجمهرة والمفضليات وغيرهما « ذبيان » ، ولم أجد ما أرجح به .

(٤) طويلته المشهورة فى المعلقات .

لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بأَغْبَارِهَا ، إِنَّك لاَ تَدْرِى مَنِ النَّاتِجُ(١)

١٤٨ — وعَنْتَرة بن شَدَّاد بن مُعاوية بن قُرَاد بن مَخْزوم بن مالك ابن غَالب بن قُطَيْعة بن عَبْس . وله قصيدةٌ ، وهى :

يا دَارَ عَبْلَةَ بالجِواءِ تَكَلَّمى ، وَعِمِى صَباحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِى(٢)

وله شعرٌ كثيرٌ ، إلّا أن هٰذه نادِرَةٌ ، فألحقوها مع أصْحَاب الواحِدة.(٣)

١٤٩ — وسُوَيْد بن أبى كاهل بن حَارثة بن حِسْل(٤) بن مالك [بن عبد سَعْد بن جُشَم بن زَبّان بن كنانة بن يشكر بن بَكْر بن وائل] وله قصيدةٌ ، أولها :

بَسَطَتْ رَابِعَةُ الحَبْلَ لَنا ، فمَدَدْنا الحبل مِنْها ، فانقَطَعْ(٥)

---

(١) ديوانه : ٢٧ وشرح المفضليات : ٨٨٥ . والبيت مثل سائر . الشول جمع شائلة : وهى من الإبل ما أتى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها ، فلم يبق فى ضروعها إلا شول : أى بقية . والأغبار ، جمع غبر : وهى بقية اللبن فى الضرع . وكسع الناقة بغبرها : تركه فى خلفها ليغزر لبنها وتشتد ، وربما نضحوا ضرعها بالماء البارد فيرتد اللبن فى ظهرها ، فيكون ذلك أسمن لأولادها التى فى بطونها وأقوى لها . يقول لا تفعل ذلك رجاء أن تستجيد نتاج إبلك ، فإنك لا تدرى أتموت فيرثها وارث ، أو يغير عليها مغير ، فيأخذها منك . يحضه على الكرم ، وأن يحلب لأضيافه ولا يبخل ، كما تم ذلك فى البيت الذى يليه :

واحلُبْ لأضيافك ألْبَانَها فإن شرَّ اللَّبنِ الوالجُ

(٢) طويلته المشهورة فى المعلقات .

(٣) قوله أصحاب الواحدة : هم الذين عرفناهم بعد بأصحاب المعلقات .

(٤) فى المخطوطة « جل » بفتح الجيم المعجمة التحتية ، ولا أدرى ما هو ، والذى هنا هو الثابت فى جميع كتب النسب .

(٥) رواية المفضليات « فوصلنا الحبل منها ما اتسع » .

وله شعر كثير ، ولكن برَّزت هذه على شعره . وهو الذى يقول :

جَرَرْتُ عَلَى راجِى الهَوادةِ منهم [وقد تَلْحَق المَوْلَى العَنُودَ الجرائِرُ][1]

١٥٠ — قال وحَدَّثنى أبُو بَكر عبد الله بن مُصْعَب قال : لما خَلَع ابنُ الزُّبير يَزِيدَ بن مُعاوية ، والمُنْذِرُ بن الزُّبير يومئذ بالبصرة ، وعُرْوَةُ بن الزُّبير يومئذ بمصر ، شَخَصَا إليه — [ومَسافَتُهما يومئذٍ غير مُتَقاربة] — فلما رآهما تمثل ببَيت سُوَيد :

جَرَرْتُ على راجى الهَوادةِ منهم وقد تَلْحَقُ المولَى العَنُودَ الجَرائِرُ

---

(١) جررت على فلان جريرة : إذا جنيت جناية . وراجى الهوادة : طالب الموادعة والصلح . والعنود : الرجل الذى يحل ناحية ولا يخالط الناس . يقول : أنزلت جرائرى بأهل المصالحة منهم ، ورب معتزل عن الناس لم ينج من أذى يلحقه . وراوية اللسان غير منسوبة فى (عند) : « مولى عنود ألحقته جريرة » ، وما أدرى أهو هو ؟

الطبقة السابعة

أربعة رهط محكمون [مقلون]، وفى أشعارهم قلة، فذاك الذى أخرهم .

١٥١ — منهم سلامة بن جندل [بن عبد الرحمن بن عبد عمرو بن الحارث، وهو مقاعس، بن عمرو بن كعب بن سعد][١] .

١٥٢ — وحصين بن الحمام المرى، [بن ربيعة بن حسان بن حرام بن وائلة بن سهم بن مرة، وهو فارس شاعر شريف][٢] .

١٥٣ — والمتلمس، وهو جرير بن عبد المسيح [بن عبد الله بن دوفن بن حرب بن وهب بن جلى بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة]، ويقال: ضبيعة أضجم، والأضجم: الحارث الخير بن عبد الله بن ربيعة ابن دوفن، وبه ضجمت ربيعة، [وكان سيدا][٣]. والمتلمس خال طرفة

---

(١) سياقة نسبه هنا غريبة، وهى فى ديوانه «سلامة بن جندل بن عبد بن عبيد بن الحارث» وفى هامشها «بن عمرو بن عبد الحارث» وفى الجمهرة ٢٠٧ «... جندل بن عبد عمرو بن عبيد» وفى شرح المفضليات: ٢٢٤ «جندل بن عمرو بن عبيد». ومحكمون: من إحكام القول. وانظر هذه الصفة فى الفقرة: ١٨٦ .

(٢) فى شرح المفضليات ١٠١ : «ربيعة بن مساب بن حرام» وأظنه الصواب. وفى الجمهرة: ٢٤٢ «بن أبى سباب بن حزام» وهو خطأ .

(٣) الأضجم: المائل الأنف إلى أحد شق الوجه، وربما كان معه ميل فى الشدق .

ابن العبد ، [وإنما سُمِّى المتلمِّس لقوله :

فَهذا أوانُ العِرْضِ حَىَّ ذُبابُه　　زَنابيرُه والأَزْرَقُ المتلمِّسُ] (١)

١٥٤ — والمُسَيَّبُ بن عَلَس [بن عمرو بن قُمامة بن زيد بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن جشم بن بلال بن جُماعة بن جُلَىّ بن أحمس بن ضُبَيْعة] (٢) واسم المسيَّب : زُهَير ، وإنما سُمِّى المسيَّب حين أوْعَد بنى عامر بن ذُهْل فقالت بنو ضُبَيْعة : قد سَيَّبْنَاكَ والقومَ . وهو خَالُ الأعشى ، وهو الذِى يقول فى القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة

فلأُهْدِيَنَّ مَعَ الرِّياح قَصِيدةً　　مِنِّى ، مُغَلْغِلَةً إلى القَعْقَاعِ (٣)

أَنْتَ الذِى زَعَمَتْ مَعَدٌّ أنه　　أهلُ التَّكَرُّم والنَّدَى والباعِ (٤)

---

(١) من أبيات جياد فى ديوانه رقم : ٥ . والعرض : واد مريع باليمامة ، حى ذبابه : يريد أن الأرض أمرعت وكثر ذبانها فى الرياض . والمتلمس : المتطلب للشىء من هنا وهنا . والأزرق ضرب من ذباب الرياض . وهو يسخر فى هذه الأبيات بعظيم بنى حنيفة أصحاب اليمامة . ويقال إنه هجا عمرو بن هند بذلك . الاشتقاق : ١٩٢ .

(٢) هكذا هنا « ثعلبة بن عمرو بن مالك » ، وفى الجمهرة : ٢٧٥ وشرح المفضليات : ٩١ « ثعلبة بن عدى » ، وأراه الصواب .

(٣) شرح المفضليات : ٩١ — ١٠٠ . مغلغلة : تتغلل مسرعة فى الأرض وتذهب كل مذهب .

(٤) زعمت : قالت وذكرت حقاً ، لا بمعنى ظنت باطلا . والباع : السعة فى المكارم ، من قولهم للكريم : رحيب الباع ، وهو مد ما بين الكفين إذا بسطتها .

الطبقة الثامنة

أربعةُ رَهْطٍ :

١٥٥ — عَمْرو بن قَمِيئَة بن سَعْد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثَعْلَبة .

١٥٦ — والنَّمِرُ بن تَوْلَب [بن أُقَيْش بن عبد الله بن كعب بن عَوْف بن الحارث بن] عدى بن عوف بن عَبْد مَناة بن أُدّ ، وهو عُكْل .

١٥٧ — وأَوْس بن غَلْفَاء الهُجَيْمِىّ .

١٥٨ — وعوف بن عَطِيَّة بن الخَرِع ، [والخَرِعُ يقال له : عمرو بن عَبْس بن وَديعة بن عبد الله بن لُؤَىّ بن عَمْرو بن الحارث بن تميم][1] ابن عَبدِ مَناة بن أُد .

* * *

١٥٩ — حدثنى مِسْمَع بن عَبْدِ الملك ، وهو كِرْدِين[2] ، قال : قولُ أمرئ القيس :

---

(١) فى المخطوطة « عمرو بن علس » وتبعنا ما فى سائر الكتب .

(٢) فى المطبوعتين وفى غيرها « حردبر » وهو تحريف شنيع ، وقد مضى ذكره فى فقرة : ٦١ . رقم : ٢ .

بَكى صاحبي لمّا رأى الدَّرْبَ دُونَه [وأَيْقَنَ أنَّا لاحِقَانِ بقَيْصَرا]

قال : صاحبه الذى ذكر ، عمرو بن قميئة . وبنو قيس[1] تدَّعى بعض شعر أمرئ القيس لعَمْرو بن قميئة ، وليس ذلك بشىء .

* * *

١٦٠ — والنَّمر بن تَوْلَب جَوادٌ لا يُلِيق شيئاً[2]، وكان [شاعراً] فصيحاً جريئاً على المَنْطِق .

وكان أبو عمرو بن العلاء يسمِّيه : الكَيِّس ، لحُسْن شعره .

١٦١ — وهو الّذى يَقول :

لا تَغْضَبَنَّ على امْرِئٍ فى مَالِهِ وعَلَى كَرائِمِ صُلْبِ مَالِكَ فَاْغْضَبِ[3]

وإذا تُصِبْكَ خَصاصَةٌ فَاْرجُ الغِنَى وَإلى الّذِى يُعْطِى الرَّغائبَ فَاْرغَبِ[4]

---

(١) فى المطبوعتين : « بنو أقيش » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) ما يليق شيئاً : لا يحبس شيئاً ولا يمسكه . ولا يبقى عليه ، من سخائه وبذله .

(٣) كريمة مال الرجل : خياره وما يضن به ويكرم عليه . والجمع كرائم . وقوله : صلب مالك ، لأن أموالهم كانت الإبل ، يعنى التى ولدت عنده من أصلاب ماله ، يقول : لا يحم أنفك فى أمر تحمل فيه غرماً ، وأنت تؤمل أن يعينك أحد عليه ، فإن كنت فاعلا فلا تثقن إلا بمالك تبذل من حره فى نصرة من تنصره . وذلك أن النمر كان لجأ إلى صديق فى دية احتملها هو وقومه ، فلما سألوه تبسم وقال لهم : إن لى نفساً تأمرنى أن أعطيكم ، ونفساً تأمرنى أن لا أفعل . فقال النمر لقومه : لا تسألوا أحداً ، فالدية كلها على .

(٤) الخصاصة : الفقر والحاجة واختلال الحال . والرغائب جمع رغيبة : وهى العطية الواسعة . وجعل « إذا » جازمة هنا ، وهى عربية جيدة ، ورواية آخرين « ومتى تصبك » .

١٦٢ — وقال أيضاً :

عَلَيْهِنَّ يَوْمَ الوِرْدِ حَقٌّ وحُرْمةٌ ... وهُنَّ غداةَ الغِبِّ عندكِ حُفَّلُ (١)

١٦٣ — وقال أيضاً :

أَقِى حَسَبِى بِه ، ويَعِزُّ عِرْضى ... علىَّ ، إذا الحَفِيظَةُ أدركَتْنِى (٢)

وأَعْلَمُ أنْ سَتُدْرِكُنِى المَنَايا ... فَإِلَّا أَتَّبِعْهـــا تَتَّبِعْنِى

١٦٤ — وقال أيضاً :

أَعاذِلَ إنْ يُصْبِحْ صَدَاىَ بقَفْرةٍ ، ... بَعِيدٌ نَأَى بِى صاحِبِى وقَرِيبِى (٣)

تَرَىْ أنَّ ما أنفقْتُ لم يَكُ ضَرَّنى ... وأنَّ الذِى أفنيتُ كانَ نصيبى (٤)

١٦٥ — وعُمِّرَ عُمْرًا طويلًا ، فكان هِجِّيراهُ : أَصْبِحُوا الرَّكْبَ !

---

(١) يذكر إبله ، وكانت أمه تلومه على إعطاء من يحضره من ألبانها . والغب : فى ورد الإبل ، أن تشرب يوماً ويوماً لا . والحفل : الممتلئات الضروع . يقول لها إن على الإبل حقاً يوم وردها وحرمة ، تسقى من ألبانها أهل المجلس والولدان الذين أعانوا فى سقيها ، فإذا كان يوم غبها ، فهى عندك حافلة أخلافها بألبانها ، فاشربى ما شئت أنت وعيالك .

(٢) أقى حسبى به : الضمير فيه إلى ماله . والحفيظة : الغضب لحرمة تنتهك ، أو جار يظلم ، أو ذى قرابة يضام ، أو عهد ينكث ، فأنت تغضب محافظة عليه .

(٣) يقول ذلك لعاذلته ، فناداها ورخمها . والصدى هنا : هوما يبقى من الإنسان فى قبره بعد موته ، وهو جسده الملقى . وقوله « بعيد نأى بى » ، هى فى المطبوعتين والمخطوطة ، وفى الأغانى ١٩ : ١٦١ ورواية أبى العباس فى الكامل ١ : ٢١٩ وغيره « بعيداً نآنى » ، وأنا أستجيد الرفع فى قوله « بعيد » ، وهو عندى أبلغ أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف ، من أن يكون خبر « يصبح صداى » . وإذا صح أصل الطبقات فقوله : « نأى بى » ، فكأنه أشمه معنى ضجر بى فنأى . وأما رواية « نآنى » ، فأصله نأى عنى : أى بعد ، فأخرجوه بجراءتهم وفصاحتهم مخرج المتعدى .

(٤) رواية المطبوعتين ، وكتب كثيرة « ما أبقيت لم أك ربه » . وهذه رواية جيدة جداً .

أُغْبِقوا الرَّكب[1] ! لعادته التى كان عليها. [قال : وخَرِفَتْ امرأة من العرب — عَرَبٌ كرامٌ لا أُبالى أن لا أسمِّيهم — وكانت تقول : زَوِّجونى . فقال عمر : ما لَهِجَ به أخو عكل أسْرَى ممّا لهجتْ به صاحبتكم] [2].

١٦٦ — وذكر خَلَّاد بن قُرّة بن خالد السَّدُوسى عن أبيه ، وعن سَعيد بن إياس الجُرَيْرىّ ، عن أبى العَلاء يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير — أخى مُطَرِّف [بن عبد الله] — قال[3] :

بينما نحن بهذا المِرْبَد[4] جلوسٌ ، [يعنى مِرْبَد البصرة] ، إذْ أَتى علينا أعرابىٌّ أَشْعَثُ الرأسِ [فوقف علينا] . فقلنا : واللهِ لَكأَنّ هذا ليس من أهلِ [هذا] البلد ! قال : أَجَلْ والله ! وإذا مَعَه قطعة من جِرَابٍ ، أو أَدِيمٍ ، فقال : هذا كِتاب كَتَبه [لى محمدٌ] رسُول الله صلى الله عليه وسلم . فأخذناه فقرأناه ، فإذا فيه :

بِسْمِ الله الرَّحْمٰن الرَّحِيم

« هذا كتاب من محمد رسول الله [صلى الله عليه وسلم] لبنى زُهَير بن أُقَيْش — قال الجُرَيْرىّ : [هو] حَىٌّ من عُكل — ، إنكم

(١) هجيراه : دأبه وديدنه . صبح فلاناً يصبحه : سقاه الصبوح (بفتح الصاد) ، وهو ما يشرب بالغداة من لبن وخمر . وغبقة : سقاه الغبوق (بفتح الغين) ، وهو ما يشرب بالعشى .

(٢) أسرى : أنبل وأشرف ، من السراء : وهو المروءة والشرف . ورواه صاحب الأغانى ١٩ : ١٦٠ بغير هذا اللفظ ، والحيوان ٥ : ٥٨٧ بقريب منه .

(٣) هذا الخبر كله رواه ابن سعد فى الطبقات الكبير ١ / ٢ : ٣٠ ، وأبو عبيد القاسم ابن سلام فى كتاب الأموال : ١١ ، وابن عبد البر فى الاستيعاب ١ : ٣٠٩ ، وفى ألفاظها جميعاً بعض الاختلاف . ثم فى الأغانى ١٩ : ١٥٧ عن ابن سلام وغيره .

(٤) المربد : سوق كانت بها ، ثم صار محلة عظيمة ، تجتمع فيه الشعراء والخطباء ، وقد شهد المربد ما لم يشهده عكاظ .

إن شَهِدتم أن لا إلٰهَ إلا الله [وأنِّى رسولُ الله] ، وأقمتم الصلاةَ ، وآتيْتمُ الزكاة ، وفارَقْتم المشرِكين ، وأعطيْتم الُخمُسَ من الغنائم ، وسَهْمَ ذى القُرْبى ، والصَّفِيَّ — [وربما قال : وصَفِيَّه] —[١] فأنتم آمِنون بأمانِ الله وأَمان رَسوله » .

فقال له القوم : حدِّثنا ، أصْلحَك اللهُ ، بما سمعتَ من رَسولِ الله [صلى الله عليه وسلم] . قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْر ، وصومُ ثلاثةِ أيَّام [من كلّ شَهر] ، يُذهبْنَ وَحرَ الصّدْر[٢] . قال له القوم : أأنتَ سَمِعتَ هذا من رسولِ الله [صلى الله عليه وسلم] ؟ قال : أراكم تخافُونَ أنْ أَكْذِبَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ لا حَدَّثتكم حديثاً[٣] ! ثمّ أومَأَ إلى صَحيفتِه ، ثم انْصَاع مُدْبِراً[٤] .

ففى حديث قُرّة عن يَزيد ؛ فقيل لِى لمَّا وَلَّى : هذا النَّمِر بن تَوْلب [العُكْلىّ الشَّاعر] .

---

(١) سهم ذى القربى : سهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وهكذا جاء فى أكثر الروايات الأخرى . والصفى : ما اختاره رسول الله واصطفاه من الغنيمة .

(٢) وحر الصدر : ما يكون فيه من الغش والوساوس والغيظ والحسد والغضب . وفى رواية الجريرى : « وغر الصدر » : وهو الغل والعداوة والحقد والغيظ . وكلاهما فيه معنى الشدة والتوقد .

(٣) هكذا كانت صحابته صلى الله عليه وسلم ، ولا عجب ، فهم الذين نزل عليهم كتاب ربهم ليزكيهم ويطهرهم .

(٤) أومأ إلى صحيفته : أشار إليها ، فمد يده ليأخذها . ورواية الأغانى « ثم أهوى .. » . وانصاع الرجل : انفتل راجعاً ومر مسرعاً ، غضباً لدينه رضى الله عنه أن يجعل هدفاً للشكوك .

* * *

١٦٧ — وعَوْف بن الخَرِع جيّد الشّعر ، وهو الذى يَرُدّ على لقيط ابن زُرارة قِيلَه :

أَحَقُّ مالٍ - فَكُلُوهُ - بِأَكلْ ... أَمْوالُ تيمٍ وعَدِىّ وعُكَلْ (١)

ياضَبُّ، كُنْ عمًّا كَرِيمًا واعْتَزِلْ ... ذَرْنا و تيمًا وعَدِيًّا نَنْتَضِلْ (٢)

١٦٨ — وقال :

فأَمَّا الأَلأَمانِ بنُو عدِىٍّ ... وتَيْمٌ حِينَ تَزْدَحِمُ الأُمُورُ

فَلاَ تَشْهَدْ بِهِمْ فِتيانَ حَرْبٍ ... ولكن أَدْنِ مِنْ حَلَبٍ وَغِيرِ (٣)

إذا دَهَنُوا رِماحَهم بزُبْدٍ ... فإنّ رِماحَ تَيْمٍ لا تَضِيرُ

١٦٩ — فقال عوفُ بن الخَرِع :

هَلَّا غضِبْتَ على ابن أُمِّكَ مَعْبَدٍ ... والعامرىُّ يَقُودُه بِصِفادِ (٤)

---

(١) يقول : أحق مال بأن يؤكل أموال هؤلاء ، فكلوه ، وفر من التقاء الساكنين فكسر الكاف .

(٢) جعله ضباً ، لأن الضب يذكر بالمكر والخبث والزهو الفارغ . وربما كان الأنسب أن يعنى بنى ضبة بن أد ، وهم عمومة بنى تميم بن أد ، قوم لقيط بن زرارة ، وضبة أيضاً أخو عبد مناة بن أد ، جد تيم وعدى وعكل . وانتضل القوم : إذا استبقوا فى رمى الأغراض . وإنما قال له ذلك استجهالا وسخرية ، فإن الانتضال غير القتال .

(٣) هذا شعر لقيط أيضاً . الحلب والحليب : اللبن المحلوب . والوغير : لبن ترمى فيه الحجارة المحماة ثم يشرب . وفى البيت إقواء . وفى رواية العقد ٥ : ١٣٩ ، مكان هذا الشطر : « إذا ما الحى صبحهم نذير » . يقول : لا تحسبهم فتيان حرب فتشهد بهم المعارك ، فهم ليسوا إليها ، ولكن قربهم إلى اللبن والحلب ، فهم رعاة لا يحسنون غير المهنة فى مثل ذلك . والبيت الذى يليه ، سخرية بهم وكلام مر .

(٤) خبر هذه الأبيات فى النقائض : ٢٢٨ والأغانى ١١ : ١٢٩ وسواهما . وقوله : « هلا غضبت على ابن أمك » ، أى هلا غضبت من أجله ، و« على » هنا بمعنى « من أجل » ، وهى جيدة فى العربية . والروايات الأخرى « هلا كررت » و « هلا عطفت » ، ورواية ابن سلام أجود . ومعبد ابن زرارة أخو لقيط بن زرارة ، وكان الأحوص بن جعفر العامرى قد أسره يوم رحرحان (انظر فقرة

أَذَكَرْتَ مِن لَبَنِ المُحَلَّقِ شَرْبَةً ... وَالخَيلُ تَعْدُو فى الصَّعِيدِ بَدَادِ (١)

هَلَّا فَوَارِسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتَهُمْ؟ ... عُشَرًا تَنَاوَحُ فى سَرَارَةِ وَادِ (٢)

لا تَأْكُلُ الإبِلُ الغِرَاثُ نَبَاتَهُ ... كَلَّا ، وَلَيْسَ عِمَادُه بِعِمَادِ (٣)

١٧٠ — وعَوْف يقول أيضاً :

يَاقُرَّةَ بنَ هُبَيْرَةَ بنِ أُقَيْشِرٍ ، ... يَاسَيِّدَ السَّلِمَاتِ ، إنَّكَ تَظْلِمُ ! (٤)

---

٥٩ : ٢ص٤٩) ، وأبت بنو عامر إلا أن تأخذ فداءه دية ملك — ألف بعير ، فزعم لقيط بن زرارة أن أباهم أوصاهم أن لا يؤكلوا العرب أنفسهم فيزيدوا فى الفداء على فداء رجل من قومهم . وقال لأخيه : ما أنا بمعط عنك شيئاً يكون على أهل بيتك سنة . وبقى معبد فى أسره حتى مات . والصفاد : حبل يوثق به ، أو قد من جلد يقيد به . وقال أبو عبيدة : « ليست أمهما واحدة ، ولكن لهما أمهات تجمعهما فوق ذلك » .

(١) المحلق : إبل سماتها على هيأة الحلقة فى أفخاذها ، وكانت تلك سمة إبل زرارة . والصعيد : الأرض المستوية . بداد : متبددة متفرقة . يصفه بالبخل ، وأن ذكره لبن إبله جعله يضن بفداء أخيه .

(٢) العشر : شجر كبار له شوك ، عريض الورق ينبت صعدا فى السماء ، ويخرج له نفاخ كأنها شقائق الجمال التى تهدر فيها ، وله نور وزهر مشرق حسن المنظر ، وتتخذ منه العمد وخذاريف لعب الصبيان لخفته وخوره . تناوح ، تتناوح : أى تتقابل . وسرارة الوادى : وسطه ، وهو مكرمة للنبات يجود فيها ويحسن . ونصب « عشراً » على الذم ، أذم عشراً . يقول : هلا هجوت أنت وقومك فوارس رحرحان الذين أسروا أخاك ؟ كلا ، فما أنتم إلا عشر حسن المنظر ، وليس له مخبر ، بل هو الضعيف الخوار .

(٣) غرث (بكسر الراء) فهو غرث وغرثان : جاع أشد الجوع ، والجمع غرثى وغراث . يقول : إنما أنتم عشر حسن المنظر قبيح المخبر ، لا تأكله الإبل على شدة جوعها ، وعماده للبيت أضعف العماد . وهذا هجاء وجيع لمن كانت له مروءة .

(٤) يقوله فى يوم النسار : وهى جبال صغيرة لبنى عامر بن صعصعة . وقرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وأقيشر تصغير أقشر ، وقشير جده تصغير أقشر أيضاً ، ولكنه تلعب باسم جده فصغره على غير تصغيره . هزءاً به . والسلمات : يعنى بنى قشير ، ومن ولد قشير : سلمة الخير بن قشير ، وسلمة الشر بن قشير ، أمّ هذا غير أمّ ذاك .

وبعده بيت يبين عنه ، وهو سخرية جديدة :

يا قُرَّ ! إن تَشْعُرْ ، فإنّى شاعِرٌ ! ... أو إن تُكَارِمْنى ، فغيرُك أكرَمُ !

* * *

١٧١ — وأوسُ بن غَلْفاء الذى يقول :

أَلا قالتْ أُمامةُ يومَ غَوْلٍ : تَقَطَّعَ بابن غَلْفاءِ الحِبالُ[1] !

ذَرِينِي ، إنَّما خَطَأِي وصَوْبِي عليَّ ، وَإنّما أهلَكتُ مالُ[2]

١٧٢ — وهو الذى رَدَّ على يَزِيد بن الصَّعِق قولَه :

إذا مَا مات مَيْتٌ من تَميمٍ فَسَرَّكَ أنْ يَعِيشَ ، فجئْ بزادِ

١٧٣ — وقولَه :

أَلا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِى تميمٍ بِآيَةِ ما يُحِبُّونَ الطَّعامَا

١٧٤ — فقال [أوس] بن غَلْفاء :

فَإنّكَ من هِجاء بنى تَميمٍ كَمُزْدادِ الغَرَامِ إلى الغَرامِ[3]

هُمُ ضَرَبوكَ أُمَّ الرّأس حتَّى بدَتْ أُمّ الشُّؤُون عن العِظَامِ[4]

---

(١) يقوله لامرأته ، وكانت تلومه على إهلاك ماله فى الشراب حتى قل ، وألهاه ابتذاله ولهوه عن الغزو والغارة . ويروى « يا ابن غلفاء » . وتقطعت حباله : افتقر ولم يجد ما يستمسك به من أسباب العيش .

(٢) الصوب : الصواب . يقول لها : ذريني ، فعلى وحدى عاقبة ما أرتكب من خطأ وصواب . وإن هذا الذى تلومينني على إهلاكه وإتلافه ، إنما هو مال يستخلف ، ولم أهلك العرض والمروءة والسراء ، أى ما لا يستخلف .

(٣) قصيدته فى شرح المفضليات : ٧٥٦ – ٦٧٢ . والغرام : العذاب الشديد . يقول له : أبعد الذى أنزلوه بك من شج رأسك وأسرك ، تهجوهم ، تريد أن تزداد عذاباً ونكالا إلى عذاب ونكال ؟

(٤) أم الرجل يؤمه أماً : شجه فأصاب أم رأسه ، ويروى «ذات الرأس» وهى الآمة : التى تبلغ أم الدماغ ، حتى يبقى بينها وبين الدماغ جلد رقيق . وأم الشؤون : مجتمع شؤون الرأس ، والشؤون : هى العروق التى تجمع قبائل الرأس .

إذا يأسُونَها ، نشزَتْ عليهِمْ شرَنبثَةُ الأصابع أمُّ هامِ (١)
وهُمْ تركُوكَ أسْلحَ من حُبَارى وهُمْ تركوكَ أشْرَدَ من نعامِ (٢)

١٧٥ — وقال أيضاً :

هُمُ قتـلُوا أباكَ ، فلمْ تبيَّنْ لِحمْقٍ : مَا الأغرُّ مِنَ البهيمِ (٣)
وَهُمْ منُّوا عليْكَ فلَمْ تُثِبْهُمْ ثَوَابَ المرءِ ذي الحسَبِ الكريمِ (٤)

---

(١) أسى الطبيب الجرح يأسوه أسواً : عالجه وداواه . نشزت : استعصت عليهم وخرجت عن طاعة الطبيب . ورجل شرنبث : غليظ الكفين والقدمين خشنها . وجعل المزق المتفرقة فى الشجة كأنها أصابع شرنبثة : منتفخة متقبضة خشنة : تعيى الطبيب . والهام جمع هامة : وهى أعلى الرأس . جعلها أم هام : يعنى أن هذه الشجة لو أصابت هامات كثيرة لوسعتها من بشاعة شجتها .

(٢) الحبارى : طائر كالإوز جبان ، إذا رأى صقراً سلح ، أى رمى بذى بطنه . وقال الجاحظ (الحيوان ٥ : ٤٤٦) إن له خزانة بين دبره وأمعائه ، له فيها أبداً سلح رقيق لزج ، فمتى ألح عليه الصقر سلحت عليه» . ورواية عجز البيت فى غير ابن سلام « رأت صقراً ، وأشرد من نعام » . والنعام : أقل الوحش أنساً ، فإذا أحس نبأة شرد ونفر . يصفه بالخور والضعف والجبن ، وسرعة الفرار من شدة الخوف .

(٣) أبوه ، هو عمرو بن الصعق ، قتلته تميم ، وأما الصعق فهو خويلد بن نفيل بن عمرو ابن كلاب ، وإنما سمى الصعق لأنه اتخذ طعاماً لقومه بالموسم فى الحج فهبت الريح فألقت فيه التراب ، فلعنها ، فرمى بصاعقة فمات ، فيقول فيه الشاعر :

وإنَّ خُوَيْلِداً فابكُوا عَلَيْه قتيلُ الرِّيحِ فى البَلَدِ التِّهَامِى

وقوله « لحمق » هو فى المطبوعتين « بحق » وفى المخطوطة « لحق » ، ولا أعرف لهما معنى ولا أظنه إلا خطأ ، وأن الصواب « لحمق » . وابن غلفاء يصف يزيد بن الصعق بالحمق فى قصيدة أخرى ، يقول :

وإنَّ الناسَ قد عَلِموك شيخاً تهوَّكُ بالنَّواكة كل عامِ

والأغر : الأبيض الواضح . والبهيم : الأسود المظلم . ويضربون ذلك مثلا للأمر إذا أشكل ولم تتضح جهته ولا استقامته ، يقول الشاعر :

أعْيَيْتِنِى كل العَيَاءِ فلا أغـرُّ ولا بَهِيمْ

يقول له : هم الذين قتلوا أباك ، ولكنك لحمقك اختلط عليك الأمر ، فلم تعرف لهم بأسهم ، وأنك سوف تلقى ما لقى ، فاجترأت عليهم ، ولست لهم بند ولا نظير .

(٤) منوا عليك : أنعموا عليك فأطلقوك من إسارك ، فجزيتهم بالغدر والهجاء للؤمك ، ولم تفعل فعل ذوى المروءة .

الطبقة التاسعة

[أربعة رهْطٍ] :

١٧٦ — ضابئ بن الحارِث بن أَرْطَاة [بن شِهاب بن عُبَيْد بن خاذل ابن قَيْسِ القَبيلة بن حَنْظلة بن مالك ، من البَرَاجم] [١] .

١٧٧ — وسُوَيْد بن كُرَاع العُكليّ .

١٧٨ — والحُوَيْدِرة ، واسمه قُطْبَة بن مِحْصَن بن جَرْوَل [بن حَبيب الأَعْظَم بن عبد العُزَّى بن خُزَيْمَة بن رِزَام بن مازن بن ثَعْلبة بن سَعْد بن ذُبْيان] .

* * *

١٧٩ — وسُحَيْمٌ ، عَبْدُ بني الحَسْحاس [بن هند بن سُفْيان بن عتّاب بن كَعْب بن سَعْد بن ثَعْلبة بن دُودان بن أَسَد بن خُزَيْمة] [٢] .

---

(١) نقل ابن عبد البر فى « الإنباه على قبائل الرواة » : ٧٧ ما نصه :

قال محمّد بن سلّام : قال لى وَاصل بن شَبِيب من بنى دارم : البَرَاجم خمسُ قَبائل ، وإخوتهم أكثرُ منهم . وقيل لهم البَرَاجم ، لأنهم تجمّعوا كالأصابع ، فسُمُّوا البراجمَ ببراجم الأصابع . وهم عمرٌو ، وقيسٌ ، وغالبٌ ، وكلفة ، [وظُلَيْم] بنو حَنْظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم » .

(٢) فى الجمهرة : ١٨٣ « سفيان بن غضاف بن كعب » ، ولم أوفق لمعرفة الصواب ، والنسب مختلف فيه . انظر ديوان سحيم ، والأغانى ٢٠ : ٢ .

١٨٠ — قال وكان ضابئ بن الحارِث رجلًا بَذِيًّا كثير الشَّرّ ، وكان بالمدينة ، وكان صاحبَ صَيْدٍ وصاحبَ خَيْل ، فركِبَ فرسًا له يقال له قَيَّارٌ ، وكان ضَعِيفَ البَصَر — ولِقَيَّارٍ [هذا] يقول :

فمن يكُ أَمْسَى بالمدينةِ رَحْلَه، فإنِّى وَقَيَّارًا بهـا لَغَرِيبُ

[يقول : إنّي بها لَغريبٌ وقيارًا أيضًا] .

١٨١ — ثم إنه وَطِئَ صبيًّا دَابَّتُه فَقَتَلَه ، فرُفع إلى عثمان بن عَفّان ، فاعتذرَ بِضَعْف بَصره وقال : لم أرَهُ ولم أَعْمِدْه . فحَبَسه عثمان ما حَبَسَه ، ثم تخلَّص (١) .

١٨٢ — وكانَ اسْتعار كلْبَ صيدٍ من قوم من بَنِي نهشل [يقال له قُرْحَان ، فحبسه] حَوْلًا ، ثم جاؤوا يطلبونه وألَحُّوا عليه حتى أخذوه .

فقال ضابئ :

[تجشَّمَ دُونى وَفْدُ قُرْحَانَ خُطّةً تظَلُّ بها الوَجْناءُ وهى حَسِيرُ (٢)

فأَرْدَفْتُهم كلبًا ، فراحُوا كأنّهم حَبَاهُمْ بتـاجِ المَرْزُبَانِ أميرُ (٣)

فأمَّكُمُ لا تترْكوها وكَلْبَكُمْ فإنّ عُقُوقَ الوالداتِ كبيرُ

---

(١) الدابة ، يطلق على المذكر والمؤنث . وعمده وعمد إليه : سواء .

(٢) الخطة هنا : الطريق . والوجناء : الناقة التامة الخلق ، الصلبة الشديدة . حسير : انقطع سيرها من الإعياء والكلال .

(٣) أردفته شيئاً : أتبعته . وحباه يحبوه حباء : أعطاه وأكرمه . والمرزبان : الرئيس من الفرس . يذكر شدة فرحهم .

إذا عَثَنَتْ من آخر الليل دُخْنَةٌ ، يظلُّ لها فوقَ الفِراش هريرُ[(١)]]

فاستعْدَوْا عليه عند عثمان ، فقال : وَيْلَكَ ! ما سمعتُ أحداً رَمَى امرأة من المُسْلِمين بكلب غيْرِك ، وإنّى لأَرَاك لو كنتَ على عَهْدِ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم لأَنْزَل الله فيك قُرْآناً ، ولو كان أحدٌ قبْلى قطَع لسانَ شاعرٍ فى هِجاء لقطعتُ لسانَكَ . فحبسَه فى السِّجْن .

١٨٣ — فعَرَضَ أهلَ السِّجن يوماً ، فإذا هو قَدْ أعَدَّ حديدةً يُريدُ أن يَغتال عُثمان بها ، فأهَانَه ورَكَسَه فى السجن[(٢)] ، فقال :

فَلاَ يُعْطِيَنْ بعدى امرُؤٌ ضَيمَ خُطَّةٍ حِذارَ لِقاءِ المَوْتِ، والموتُ قاتِلُهْ[(٣)]
فلا تُتْبِعَنّى إِنْ هَلَكْتُ مَلَامةً ، فليس بعارٍ قَتْلُ من لا تُقاتِلُهْ[(٤)]
هَمَمْتُ، ولمْ أفعلْ،وكِدْتُ ، وَليْتنى تَرَكْتُ على عُثمانَ تبْكى حَلاَئِلُهْ[(٥)]
وَمَا الفتْكُ ما آمرْتَ فيه،ولاَ الّذى تُخبِّرُ مَنْ لاَقيْتَ أَنَّك فاعِلُهُ[(٦)]
وقائلةٍ : لاَ يُبْعِد اللهُ ضابِئاً ، إِذَا القِرْنُ لم يُوجَدْ لهُ مَنْ يُنازِلُهُ[(٧)]

---

(١) عثنت : دخنت ، والعثان (بضم العين) الدخان . والدخنة : بخور يدخن به البيت والثياب . يريد : إذا استيقظ الناس فى آخر الليل ، وظهر الدخان فى الحى . وهرير الكلب : صوت دون النباح . يصف أمراً قبيحاً .

(٢) ركسه : رجعه ورده إلى السجن . وقوله « فأهانه » ، وذلك أن عثمان ضربه بالسياط .

(٣) أجود الروايات « فالموت نائله » . ويقال أعطى فلان خطة خسف : أى أعطى الرضا بها وقبلها .

(٤) ليس بعار أن يقتلك من لا تملك أن تقاتله أو تقتله ، كالسلطان الغالب .

(٥) الحلائل جمع حليلة : وهى زوج الرجل وأهل بيته . يقول : وليتنى وفقت لقتله ، فتركت أهله يبكون عليه .

(٦) آمرت فيه : شاورت فيه ، وكان ضابىء قد شاور ابن عم له يقال له فراس .

(٧) هذه القائلة أمه ، تفخر بولدها إذا حمى القتال وتراجعت الأبطال . والقرن : الشجاع ذو البأس.

وقَائلةٍ: إنْ مَات فى السِّجْن ضَابِئٌ، لَنِعْمَ الفتَى تَخلُو به وتُداخلُه[١]

وقائلةٍ: لا يُبْعِـدِ الله ضَابئًا إذا أحْمَرَّ من حَسِّ الشِّتاءِ أَصائلُه[٢]

ولم يزَلْ ضابئٌ فى السِّجن حتى مات.

١٨٤ — فلما قُتِل عُثْمان وَثَبَ عُمَيْر ٱبنُهُ على عُثْمَان بعد أن قُتِلَ، فيُقال إنه كَسَر ضِلْعًا له أو كَسَر صُلْبَه.

[فلما قَدِم الحجاجُ العراقَ، والمهلَّب بإزاء الأَزارِقة قد ٱرفَضَّ عنه أصحابُه، فنادَى الحجاجُ فى بَعْثِ المهلَّب وأَجَّلهُم ثلاثًا[٣]. فجاء عُمَيْر بن ضَابِىء، وقد كَبِرَ يومئذٍ، بٱبنٍ له شابٍّ للحجّاج، فقال: أيُّها الأمير، إنِّى قَدْ كَبِرتُ، وهٰذا ٱبْنِى شابٌّ جَلْدٌ يقومُ مَقامى. فهمَّ الحجاج بقَبُوله، فقال له عَنْبَسَة بن سَعِيد بن العاص: أيُّها الأمير، هذا عُمَـيْر، صاحبُ أمير المؤمنين عُثمان! فقدَّمه فَضَرب عنقه. فذُعِرَ الناس، فخَرجوا إلى المهلّب. فلما تَساقطوا عليه قال: لقد قَدِمَ العِراقَ أميرٌ ذَكَرٌ[٤].

١٨٥ — وقال فى ذلك عَبْد الله بن زَبِيرٍ الأَسدِىّ:

تَجَهَّزْ، فإمّا أَنْ تَزُورَ ٱبنَ ضَابِئٍ عُمَيراً، وَإمّا أَنْ تَزُورَ المُهَلَّبَا

---

(١) وهذه القائلة امرأته، تذكر حلاوة خلقه فى الخلوة والمعاشرة.

(٢) وهذه القائلة أخته تمجد كرمه وسخاءه فى زمن القحط (وهو الشتاء عندهم)، حين تهلك الأنعام من جدب الأرض. حس الشتاء: شدة البرد وإضراره بالأنعام والكلأ. والأصائل جمع أصيل: وهو وقت العشى. واحمرار الأصيل: عند مغرب الشمس، يحمر الأفق.

(٣) الأزارقة: الخوارج من أتباع نافع بن الأزرق. بإزائهم: فى مقابلهم يقاتلهم، وارفض: تفرق وتبدد. والبعث الجند يبعثون إلى الغزو. وأجله: أخره إلى أجل.

(٤) تساقطوا عليه: تكاثروا آتين فرقة بعد فرقة. أمير ذكر: لا لين فيه ولا ضعف.

هُما خُطّتا خَسْفٍ ، نَجاؤكَ منهما رُكوبُكَ حَوْلِيًّا من الثَّلْجِ أَشْهَبا] [١]

***

١٨٦ — وسُوَيْد بن كُراع العُكْلِيّ ، وكان شاعراً مُحْكِماً [٢] ، وكان رجُلَ [بنى عُكْل ، وذا الرأى والتقدُّم فيهم .

١٨٧ — قال : وكان بعض] بنى عَدِىّ [تَيْمٍ] ضرب رجُلا من بنى ضَبَّة ، [ثم] من بنى السِّيد — وهم قوم نُكُدٌ شُرُسٌ ، وهم أخوالُ الفرَزْدق [٣] — فتجمَّعوا حتى أَلَمَّ أن يكونَ بينهم قتالٌ . فجاء رجُل من بنى عدىّ ، فأعطاهُ يَدَه رهينةً لينظُرَ إلى ما يصنعُ المضروبُ ، فقال خالد بن عَلْقمة أبن الطَّيْفان ، أحدُ أحْلاف بنى عبد الله بن دَارِم [٤] :

أَسالِمُ ، إنِّى لا إخالُكَ سالِماً أتيْتَ بنى السِّيدِ الغُواةَ الأشائِما
أسالِمُ ، إن أفْلَتَّ من شرِّ هٰذه ، فَنَحِّ فِراراً ، إنما كُنْتَ حالِما [٥]

---

(١) تجهز : أعد جهازه للخروج فى البعث . خطتا خسف : أمران فيهما الهوان والبلاء والمكروه والموت ، لا ينجى منهما إلا مهلكة ثالثة : هى أن تعتصم بذروة جبل بعيد شامخ يلبسه الثلج الأشهب حولا كاملا . فأين المفر ؟ الحولى : الذى يأتى عليه حول كامل . والأشهب : الأبيض : كلون الثلج والحديد الصافى . ومنه السنة الشهباء : أى البيضاء لكثرة ثلجها القاتل للنبات .

(٢) محكم ، انظر وصف الشعراء به فى مقدمة الفقرة : ١٥١

(٣) النكد ، جمع أنكد : وهو الرجل العسر الشديد الشر والشؤم . والشرس جمع أشرس : وهو النفور السيء الخلق .

(٤) أعطى يده رهينة : أسلم نفسه للقيد والأسر . ليكون رهينة . هو خالد بن علقمة بن مرثد ، والطيفان أمه . والخبر كما قال أبو الفرج الأصبهانى فى أغانيه ١١ : ١٢٢ ، غير واضح ، فرواها برواية أتم وأبين .

(٥) فى المخطوطة « فنح نزاراً » ، وهو خطأ محض . ويروى « فوائل فراراً » . ونح : ابتعد وفر . ووائل : انج بنفسك . يقول له : إذا كنت قد أسلمت نفسك رهينة ثقة بهؤلاء ، فإنما هو حلم ، فإنهم قوم غدر سوف يقتلونك .

أسَالِمُ ما أعطَى ابنُ مامةَ مِثلَها ، ولا حاتمٌ ، فيما بَلا النَّاسُ حاتِما(١)

١٨٨ — فقال سُوَيْد بن كُرَاع — [وعُكل وتيم وعدِىٌّ وضَبَّة إخوةٌ ، وهم الرِّباب — يردّ على ابن الطَّيْفان دُخولَه بينهم] :

أشاعرَ عَبْدِ الله، إن كنتَ لائِماً فإنى لِمَا تأتِى من الأَمرِ لائِمُ

تُحَضِّضُ أفناءَ الرِّبابِ سَفاهةً وعِرضُك موفورٌ وليلُكَ نائمُ(٢)

وهل عجبٌ أن تُدْرِكَ السِّيدُ وِتْرَها، وتَصْبِرَ للحقِّ السَّراةُ الأكارمُ؟(٣)

رأيتُكَ لم تَمنعْ طُهَيَّةَ حُكمَها، وأعطيتَ يَرْبوعاً،وأنفُكَ راغمُ(٤)

وأنتَ امرؤٌ لا تقبَلُ الصُّلحَ طائعاً، ولكن متى تُظأرْ ، فإنكَ رائِمُ(٥)

١٨٩ — [وقال أيضاً :

خليلىَّ قوما فى عُطَالَةَ فانْظُرا أناراً تَرى من ذى أبانَيْنِ أم بَرْقا؟(٦)

---

(١) كعب بن مامة الجواد ، الذى آثر صديقه بالماء فهلك . وحاتم الطائى الجواد . بلاه يبلوه بلاء : جربه واختبره وعرفه . يقول : لم يفعل ما فعلت أحد من الأجواد الذين جادوا بأموالهم وأنفسهم فى المروءات ، إنما هذه مذلة لك ولقومك ، وهوان يرغمون عليه ، فإن بنى ضبة قوم لئام لاعهد لهم .

(٢) تحضض : تحرض ، وأفناء القبائل : أخلاطها ، وهم النزاع يأتون من هنا وهنا .

(٣) تصبر للحق : يعنى ترضى به صابرة . والحق هنا يريد به القصاص .

(٤) طهية ، من بنى حنظلة ، سموا باسم أمهم طهية بنت عبشمس بن سعد بن زيد مناة . وبنو يربوع بن حنظلة ، أبناء عمومتهم . يقول لم تمتنع أن تقبل الضيم من طهية ، ولا أن ترضى بما أنزلته بك يربوع ، وأنت راغم الأنف .

(٥) ظأر الناقة يظأرها ظأراً : عطفها على الفصيل أو البو (راجع الفقرة : ١١١ رقم : ٥) . وفى المثل : الطعن يظئره : أى طعن الرماح يعطفه إلى الصلح مكرها . وهذا ما أراد هنا .

(٦) عطالة : جبل منيف فى بلاد بنى تميم . وأبانان : جبلان شامخان فى ديار بنى عبد مناف بن دارم ، أحدهما أسود والآخر أبيض . ورواية الأغانى ١١ : ١٢١ « أناراً أرى من نحو يبرين » .

فإن يكُ بَرْقٌ ، فهو بَرْقُ سَحابةٍ   تُغادِرُ ماءً لا قليلاً ولا رَنْقَا[١]
وإن تك نارٌ ، فهى نارٌ بمُلْتَقًى   تحرِّكُها رِيحٌ وتَعْفِقُها عَفْقَا[٢]
لأُمِّ علىٍّ ، أوْقَدتْها طَمَاعةً   بأَوْبةِ سَفرٍ : أن تكونَ لها وَفْقَا][٣]

١٩٠ — وهو الذى يقول :

فَإنْ تَزْجُرانى يا ابْنَ عَفَّانَ أَزدجِرْ   وإنْ تَتْرُكانى أحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعا[٤]

* * *

١٩١ — [وقوله : تزجُرانى ، وتَتْرُكانى] ، إنما يريد واحداً ، وقد تَفْعلُ هذا العرَبَ ، قال الفرزدق :

عَشِيَّةَ سَال المِرْبَدَانِ كِلاهُما   عَجَاجةَ مَوْتٍ بالسُّيوفِ الصَّوارِمِ

وقال أيضاً :

أخَذْنا بآفاقِ السَّماء عليكُمُ ،   لَنا قَمَراها والنُّجُوم الطَّوالعُ[٥]

---

(١) الرنق : الماء القليل الكدر . يعنى أنها سحابة عظيمة الغيث ، فهو أعظم لبرقها . ورواية الأغانى : «وإن يك برقاً فهو فى مشمخرة ، . . . ولا طرقاً» .

(٢) رواية الأغانى : «من الريح تسفيها وتصفقها صفقاً» وقال : «ويروى : تزهاها وتعفقها عفقاً» . والمخطوطة مختلطة الأحرف ههنا ولكنى قرأتها كما ترى . وعفق الشىء : لطمه وضربه . يقول : تحرك الرياح النار فى هبوبها وتلطمها ، فيكون ذلك أشد لتسعرها والتهابها .

(٣) لأم على : أى فهى نار لأم على ، وأم على صاحبته . أوقدتها طمعاً أن تجد سفراً آيبين ، توافق أوبتهم إيقاد نارها . والسفر يعنى نفسه وأصحابه . يذكر أنها تشتاق إليه كما يشتاق إليها ، فهى توقد النار رجاة أن يهتدى بها إذا كانت أوبته فى الليل .

(٤) أبيات جيدة رواها صاحب الأغانى . وروى خبرها فى ١١ : ١٢٣ . والشعراء : ٢٣ ، ٦١٦ وسواهما .

(٥) البيتان فى ديوانه : ٨٦١ ، ٥١٩ .

وقال أبو ذُؤَيْب :

وحتَّى يؤُوبَ القارِظَان كِلاهُما ، ويُنْشَرفى القَتْلى كُلَيْبٌ لِوَائِلِ[١]

وهو رجل واحد [من عَنزَة ، ذهب أن يجتنى القَرَظ ، فلم يثبت أنه رجع] .

وقول بِشْر بن أبى خازم [يدل على أنه واحد] :

فرَجِّى الخيْرَ وانْتَظِرى إيابى إذا ما القارظُ العَنَزِىُّ آبا[٢]

وقال العَجّاج :

« لا تحسَبنّ الخَنْدَقَيْن والحُفَرْ[٣] »

وهو خَنْدق واحدٌ .

* * *

١٩٢ — أخبرنى يونُس بن حبيب[٤] : أنَّ رجُلًا من بنى السِّيد قَتَل رجلا من قَوْمِه ، فأتاهم الفرزدقُ ، وهُمْ أخْوالُه ، فعرَضَ عليهم الدِّيَةَ وأن يرهَنَهُم بذلك اُبنَه ، فخافوا شَرَّه وأن لا يستطيعوا الإقْدامَ عليه ، فأَبَوْا . فقال الفرزدق :

ألَمْ تَرَنى أزْمَعْتُ وَثْبَةَ حازِمٍ لأَفْدِىَ بِاُبنِى من رَدَى المَوْتِ خالِيا[٥]

---

(١) ديوانه : ١٤٥ .

(٢) مختارات ابن الشجرى ٢ : ٣٢ من قصيدة جيدة قالها وهو يجود بنفسه .

(٣) ديوانه : ٢٠ .

(٤) هذه الفقرة والتى تليها ، استطراد فى شأن بنى السيد .

(٥) ديوانه : ٨٩٣ مع اختلاف فى الرواية وفى ترتيب الشعر . وعرضه الدية ، هو أن يسعى فيها حتى يرضى بها قومه ، فلا يطلبون القصاص من خال الفرزدق .

وكنتُ ابنَ أشياخٍ يُجيرون مَن جَنى ... ويُحْيُون، كالغيثِ، العِظامَ البَواليا[١]
ولمّا دعانى، وهو يَرْسُفُ، لم أكنْ ... بَطيئًا عن الدّاعى ولا مُتَوانِيا
شَدَدْتُ على نِصْفى إزارى، ورُبّما ... شَدَدْتُ لأَحْناءِ الأُمور إزاريا[٢]
وقلتُ أَشِطّوا يا بنى السِّيدِ حُكْمَكُم ... عَلَىَّ، فإنى لا تَضيقُ ذِراعِيا[٣]
عَرَضْتُ على السِّيد الأَشائِمِ مُوفِيًا ... بمَقْتولهم عند المَثالةِ غالِيا[٤]
غُلامًا أبوهُ المُسْتجارُ بقَبْرِه ... وصَعْصَعَةُ الفَكّاكُ من كان عانِيا[٥]
إذا خُيِّر السِّيدِىُّ بين غَوايةٍ ... ورُشْدٍ، أتى السِّيدِىُّ ما كان غاوِيا

* * *

فإنْ تَنْجُ منها، تَنْجُ من ذى عَظيمةٍ، ... وإلّا فإنى لا إخالُكَ ناجِيا[٦]

---

(١) يحيون : بإجارتهم الجانى من أصحاب الدم فيحيونه ، وقد كان لولاهم ميتاً قد بليت عظامه ، كما يحيي الغيث الأرض الميتة .

(٢) وذلك أن هذا القاتل لما أريد أن يقاد به ويقتل نادى : يا غالباه ! يا فرزدقاه ! فخرج الفرزدق من العجلة إلى المستغيث به قد شد إزاره على نصفه . يقول : هذه عادتى ، فكثيراً ما يشد إزاره كذلك لإغاثة المستغيث . أحناء الأمور : الأمور المتشابهة التى يعسر حلها وقضاؤها .

(٣) أشطوا ، من الشطط : وهو مجاوزة القدر والجور . يقول : غالوا ماشئتم ، فإنى لا أضيق بشيء مما أحتمل .

(٤) فى المطبوعتين « عند المقالة » وفى الديوان « عند المفاداة ». وهى غير واضحة فى المخطوطة . وأظن الصواب ما أثبته . والمثالة : الشرف والفضل . يقول : إنى عرضت ولدى ، وهو يوفى بمقتولها ويزيد عليه ، عند المفاضلة . وقال ذلك لأنهم أخواله .

(٥) غلاماً : بدل من قوله «موفياً» . والمستجار بقبره ، هو غالب بن صعصعة ، أبو الفرزدق . وكان الجانى والخائف يستجير بقبره فيجيره ولده وقومه . وصعصعة بن ناجية ، جده ، كان شريفاً ، وكان يفتدى الأسرى بماله . وافتدى الموؤدات ، وأسلم . والعانى : الأسير .

(٦) لا أعرف هذا البيت للفرزدق وليس فى ديوانه ، وإنما هو للأسود بن سريع التميمى ، صحابى ، وكان شاعراً محسناً . وذكره ابن قتيبة فى المعارف : ٢٧٦ ، والجاحظ فى البيان : ٣٦٧ . واللسان (عظم) وسيأتى فى رقم : ٤٢٦ . من ذى عظيمة : من أمر ذى داهية عظيمة. والضمير فى قوله : تنج منها ، لنار الجحيم ، أعاذنا الله كبتها .

[وقال بعد ذلك يفتخر بهم :

بنو السِّيد الأَشائم للأعادى نمَوْنى للعُلَى وبنو ضِرَارِ][١]

١٩٣ — حدثنى حاجب بن يَزيد عن أبيه قال : إِنّ جَريراً كان يُنشِد هٰذه الأبياتَ وشيخٌ من ثَعْلبة بن يرْبوع ، يقال له النَّحَّار بن العَقَّار — أو العَقَّار بن النحَّار[٢] — ، قاعدٌ بالماء قد شُدَّ له حاجباه من الكِبَر ، [حين قال جرير — فذَكر أخوالَ الفرزدق ، وضَبَّة كُلُّها ثَعْلبة وبَكر أبناء سَعْد بن ضبة] — :

أَثعْلبَ ، أُولِى حَلْفَةً ما ذَكرتُكم
بسُوءٍ ، ولكِنّى عَتَبْتُ عَلَى بَكرِ[٣]

أَثعْلبَ ، إنى لَم أزَلْ مُذْ عَرَفْتُكم
أَرَى لكم سِترًا ، فلا تَهْتِكُوا سِتْرِى[٤]

---

(١) ديوانه : ٤٤١ . أم الفرزدق : لينة بنت قرظة ، من بنى السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة . وضرار بن عمرو بن مالك من ولد ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة . جعلهم ههنا شؤماً على أعدائهم ، تمدحاً بهم ، لا هجاء لهم كما قال فى الأبيات السالفة . نمونى للعلى : رفعونى إليها ومدوا بينى وبينها نسباً .

(٢) حاجب بن يزيد : انظر ما سيأتى رقم : ٤٨٣ . وذكر أبو عبيدة فى النقائض : ٧٣ ، ٥٤٣ عصمة بن النحار من بنى ثعلبة بن يربوع ، فلعله هو .

(٣) ديوانه : ٢٧٧ — ٢٧٩ ، والأبيات ملفقة غير متتابعة . آلى يؤلى إيلاء : حلف وأقسم مجتهداً فى القسم . عتبت : سخطت عليهم ولمتهم على فعلهم . يبرئ بنى ثعلبة بن سعد من مذمة إخوتهم بنى بكر بن سعد .

(٤) أرى لكم ستراً : أى أعرف لكم ذلك الستر ، فأحفظه ولا يصيبه منى مكروه . يقال رأى له كذا وعرف : أى أقر به .

ولا تُوبِسُوا بَيْنِي وبَيْنَكمُ الثرى ،
فَإِنَّ الذى بينى وبينكم مُثْرِى[١]

فَما شَهِدَتْ يومَ النَّقَا خَيْلُ هَاجِرٍ
ولا السِّيدُ ، إذْ يَنْحِطْنَ فى الأَسَلِ السُّمْرِ[٢]

وما شَهِدَتْ يوم الغَبيطِ مُجَاشِعٌ
ولا نَقَلانَ الخَيْلِ من قُنَّتَىْ يُسُرِ[٣]

ويومُ النَّقَا : يومٌ قُتل فيه [بِسْطَام بن] قَيْس بن مَسْعود بن قَيْس بن خَالد [بن] ذى الجَدَّيْن ، قتلته ثَعْلبة بن سعد بن ضَبَّة دون بَكْر[٤] ، والغَبيط : [يوم] أسرتْ فيه يربُوعٌ بسطامًا .

قال حاجبٌ فى حَديثه : فلما أنشد جرير :

* وما شهدتْ يومَ الغَبيطِ مُجاشع *

قال الشَّيخُ التَّغْلبى : مَن المُنْشد ؟ قالوا : أحدُ بنى الخَطَفَى . قال الشيخ :

---

(١) أيبس الشيء يوبسه : جففه وأذهب ماءه . يقول : لا تهلكوا ما بينى وبينكم من المودة ، كالأرض إذا يبست مات نباتها . وقوله « فان الذى بينى وبينكم مثرى » مثل ، أى أنه لم ينقطع ولم يفسد ، وأصله من أثرت الأرض : كثر ثراها وبلها الندى ، وكانت خليقة بالنبات .

(٢) هاجر : بطن من ضبة . نحط الفرس ينحط نحطا ونحيطا : زفر زفرة من بين الحلق والصدر ، تكون من الثقل والإعياء . والأسل السمر : الرماح . والأسل : شجر له شوك طوال دقاق ، سميت به الرماح . وسميت الرماح سمرا : لأنها تلوح على النار فى تثقيفها فتصير إلى السمرة . ذكر شدة المعركة .

(٣) مجاشع بن دارم رهط الفرزدق . نقلان الخيل ونقلها : سرعة نقلها قوائمها فى الأرض ذات الحجارة . والقنة والقلة : رأس الجبل . ويسر (بضمتين) : جبل .

(٤) فى الأصول « قتل فيه قيس بن مسعود . . الخ » ، وهو خطأ . صوابه ما أثبته . قيس بن مسعود ، فمات فى يد كسرى رهينة . وفيها « قتله ثعلبة بن أسد » . انظر ما سيأتى رقم : ٤٨١ .

ولا كليبٌ والأجلِّ ما شهدتُ(١) ؛ ما كنا إلا سبعة فوارسَ من ثَعْلبة أبن يَرْبُوع .

* * *

١٩٤ — [وقال مُعَاوية الضَّبّى :

فَهٰذا مكانى، أوْ أرى القارَ مُغْرَباً، وحتّى أَرَى صُمّ الجبالِ تكلَّمُ(٢)

يريدُ أنه لا يبرَحُها أبدًا ، كما أن القارَ لا يكون مُغرَباً ، والجبالُ لا تكلّم . وقد تقول العرب : حتى يكون كذا و كذا ، لما لا يكون أبدًا ، فيقولون : « حتى تطلع الشَّمْس من مَغْرِبها » و « حتى تَقع السماء على الأرضِ » و « حتى يرجِعَ الدَّرُّ فى الضَّرْع » . وهذا كله عندهم ممّا لا يكون . وقال الله عزّ وجل : « حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِى سَمِّ الخِيَاط » (سورة الأعراف : ٤٠) لما لا يكون . وقال النابغة الذبيانى لعامر بن طُفَيْل :

وإنك سوف تَحْلُمُ أو تناهَى ، إذا ما شِبْتَ أو شابَ الغُرابُ(٣)

---

(١) كليب بن يربوع ، رهط جرير . وقوله « والأجل » قسم ، وهو من أيمان أهل الجاهلية .

(٢) المغرب : الأبيض . وهذه الفقرة رجوع واستطراد وتعليق على بيت أبى ذؤيب ، وبيت بشر بن أبى خازم ، اللذين ذكرهما فى الفقرة : ١٩١ . ولذلك ، أعاد البيتين هنا كما ترى ، لأنه باعد بين طرفى الكلام ، فاستحسن أن يعيدهما ليذكر ويفهم .

(٣) ديوانه : ٧٥ . ويروى « سوف تحكم » حلم (بضم اللام) يحلم : صار حليما بعيد السفه ، قريب الأناة والعقل . وحكم : صار حكيما . وتناهى ، وأصلها تتناهى ، حذف إحدى التائين : أى تكف عن جهالتك وطيشك . يهزأ به ، ويقول له إنك لن تفلح أبداً ، بل أنت راسخ فى الحمق والطيش .

وقال النَّمِر بن تَوْلَب :

وقَوْلى، إذاما أطلقوا عن بعيرهم: ... تُلاقُونَه حتى يؤُوبَ المُنَخَّلُ(١)

أى لا يلاقونَهُ أبدًا ، وكذلك قول أبى ذؤيب :

وحتّى يؤُوبَ القَارِظانِ كلاهُما ... ويُنْشَرُ فى القَتْلى كليبٌ لوائلِ

وقال بشر بن أبى خازم :

فَرَجّى الخيرَ وانْتَظِرى إيابِى ... إذَا ما القَارِظُ العنَزِىُّ آبا

فهذا عندهمْ مما لا يكون ، لأنّ الغراب لا يشيبُ ، ومن مات عندهُمْ لم يرجعْ .

* * *

١٩٥ — والثالث : الحُوَيْدِرة ، وهو شاعرٌ، وهو يقول فى كلمة له طويلة:

رَحلتْ سُمَيّــةُ غُدْوةً فتَمتّعِ ... وَغدتْ غُدوَّ مُفارقٍ لم يَرْبَعِ(٢)

وتزوَّدت عَيْنى ، غَـداةَ لَقِيتُها ... بِلوَى عُنيزةَ ، نظرةً لم تنقعِ(٣)

---

(١) هذا من شعره الجيد . الذى يقول فيه :

لعمرى لقد أنكرتُ نفسى ، ورابنى ... مع الشيب أبدالى التى أتبدَّلُ

وعدد أشياء لما رابه ثم عطف « وقولى . . . » . أراد « لا تلاقونه » فحذف للقسم. والمنخل : رجل أرسل فى حاجة فلم يرجع ، ضرب به المثل فى الغيبة المنقطعة .

(٢) ديوانه : قصيدة رقم : ١ ، وشرح المفضليات : ٤٨ . يقول رحلت صاحبتك بكرة فالحقها وتمتع منها بنظرة أو بسلام أو بحديث ، فإنها فارقت فراق عجول ، لم يتلبث ولم ينتظر . ربع يربع : تأنى وانتظر .

(٣) يقول : إنه تزود منها نظرة لم تروه ريا ينفع . نقع الماء والعطش ينقعه : أذهبه وسكنه .

وَتَصَدَّفَتْ حتّى ٱسْتَبَتْكَ بواضِحٍ صَلْتٍ كمُنْتَصَبِ الغَزالِ الأَتْلَعِ (١)
أو مُقْلَةٍ حَوْراءَ تَحسَبُ طَرْفَها وَسْنانَ ، حُرّةِ مُسْتَهَلِّ الأَدْمُعِ (٢)

* * *

١٩٦ — والرَّابعُ] عَبْدُ بنى الحَسْحَاس . وهو حُلْوُ الشّعر ، رقيق حَواشِى الكلام .

١٩٧ — ذَكروا عن عُثْمان بن عفان [أنه] أُتِىَ بعَبْد من عَبِيد العرب [نافذٍ] فأراد شِرَاءه ، فقيل له : إنه شَاعِرٌ . قال : لا حاجة لى به ؛ إن الشّاعر لا حَرِيمَ لَهُ (٣) . ويقال إِنه عبدُ بنى الحسحاس ، [وذلك قبل خلافة عثمان] .

١٩٨ — وأَنْشَدَ عُمَرَ [بنَ الخطاب] قولَهُ :

عُمَيرَةَ وَدِّعْ ، إن تَجَهَّزْتَ غادِيا كَفَى الشَّيْبُ والإسْلامُ للمرءِ ناهِيَا (٤)

فقال : لو قلتَ شعرَكَ مثلَ هٰذا أعطيتُكَ عليه . فلما قال :

---

(١) تصدفت : تكلفت الإعراض دلالا وتمنعاً . من صدف عنه : أعرض . سباه واستباه : أسره يقول : استولت على عقلك حتى صرت عندها كالأسير المقيد . الواضح : الجيد المشرق . والصلت : الأملس . ومنتصب الغزال : جيده وعنقه . من انتصب الشيء : إذا استوى واستقام . والأتلع : الطويل العنق . وهو من أجمل ما فى النساء .

(٢) الحوراء : التى اشتد بياض عينها وسواد سوادها ، واستدارت حدقتها ورقت جفونها . وذلك هو الحور . وهو آية الصحة والسلامة والنبل . الوسنان : الذى أخذه الوسن ، وهو أول النوم . يصف فتور عينيها من حيائها وقلة طموحها بطرفها . الحر والحرة من كل شيء : أعتقه وأكرمه وأصفاه . يذكر صفاء مجرى دموعها ، وأسالة خدها ، حيث تستهل الدموع ، أى تجرى .

(٣) نافذ : ماض فى جميع أمره شهم الفؤاد ، كأنه سهم نافذ . والحريم : الذى حرم مسه أو دخوله فلا يدنو أحد منه . يقول : إن الشاعر لا يتقى المحارم ، من جرأته وتهوره على أعراض النساء .

(٤) ديوانه : ١٦ — ٢٠ . غادياً : مبكراً بالرحيل .

فبات وِسادانا إلى عَلَجانةٍ وحِقْفٍ تَهاداه الرِّياح تَهادِيا(١)

وَهبَّت شَمالًا آخرَ اللّيلِ قرَّةً وَلا ثوبَ إلا دِرْعُها ورِدائيا(٢)

فما زالَ بُرْدِى طَيِّباً من ثِيابها إلى الحَوْلِ حتّى أَنْهَجَ الثَّوبُ بالِيا(٣)

فقال [له] عمر : وَيْلك ! إنّك مقتول !

١٩٩ — وقال أيضاً :

ولقد تحدَّر من كرِيمَة بَعْضِهِم عَرَقٌ على مَتْنِ الفِراشِ وَطِيبُ(٤)

فأخذوه شَارِباً ثَمِلًا ، فعرَضوا عليه نسوةً ، حتّى مَرَّت عليه التى يظُنُّونها به فأهْوَى لها ، فقتلوه لِمَا تَحَقَّقَ عِنْدَهم .

---

(١) الوساد والوسادة : ما تتوسده وتجعله تحت رأسك . والعلجانة : شجرة خضراء مظلمة الخضرة ، ليس لها ورق ، وإنما هى قضبان كالإنسان القاعد ، ومنبته فى السهول . والحقف : ما استطال واعوج وأشرف من الرمل . تهاداه : أصلها تتهاداه ، وحذف إحدى التاءين ، يصف الرمل بالنعومة والسهولة ، حتى تنقله هذه الريح ، وترده هذه الريح ، كأنما هى تتهاداه بينها .

(٢) الشمال : ريح الشمال الباردة . والقرة : الشديدة البرد . ودرع المرأة : ثوب ذو يدين تلبسه العواتق . يقول : إن شدة البرد ألجأت كل واحد إلى حضن صاحبه ، إذ لا غطاء معهما . ثم ذكر فى البيت التالى : أن طيبها وطيب ثوبها عبق بثوبه عاماً كاملا .

(٣) أنهج الثوب : بلى وأخلق وتخرق .

(٤) ديوانه : ٦٠ . الكريمة : المرأة التى يصونها أهلها ويضنون بها . وقد أفحش .

الطَّبقةُ العَاشِرَة

[وهى آخر الطبقات] ، وهم أربعَةُ رهط :

٢٠٠ — [أولهم] : أُمَيَّة بن حُرْثَان بن الأسْكَر بن عَبدِ الله — سَرابِيلِ الموتِ ، كان شاعرًا سيِّدًا — [بن زُهرة بن زُبَيْنَة بن] جُنْدُع بن ليث بن بَكْر بن عبدِ مَناةَ بن كِنانة .

٢٠١ — وحُرَيْث بن مُحَفّظ[١] .

٢٠٢ — والكُمَيْت بن مَعْرُوف بن الكُمَيت [بن ثَعْلَبة بن نوفَل ابن نَضْلة بن الأشْتَر بن حَجْوان بن فَقْعَس بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَيْن ابن الحارث بن ثَعْلبة بن دُودَان بن أسد بن خُزيمة] .

٢٠٣ — وعَمْرو بن شَأس بن أبى بَلِىّ ، [واسمه عُبَيْد ، بن ثَعْلبة بن رُوَيْبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودَان بن أسد بن خُزَيْمة] .

---

(١) فى جميع المواضع من نسختى (محفظ) ، والذى فى الخزانة ٢ : ٥٠٩ والإصابة وغيرهما « محفض » . وفى الكامل لأبى العباس ١ : ٤٨ وذكر المكعبر الضبى ، فعلق أحد الرواة فقال (اسمه حريث بن عفوظ) ، وهو خلط . إلا أن ابن الأنبارى نسب بيتاً من هذا الشعر فى شرح المفضليات : ١٤ لحريث بن محفض . وروى القالى فى أماليه ٣ : ٨١ « حريث بن سلمة بن مرارة بن محفض ، أحد بنى خزاعى بن مازن » ، يعنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . وانظر الشعر والشعراء : ٦٢٤

* * *

٢٠٤ — وكان أميّة بن حُرْثان بن الأَسْكر قديمًا، وعُمِّر في الجاهلية [عمرًا طويلًا] ، وأَلفاه الإسْلام هَرِماً . وله شعرٌ في الجاهليةِ ، وشعرٌ في الإسلام .

٢٠٥ — وكان ابنَاه كِلابٌ وأخوه هَاجَرَا إلى البَصْرة أيّامَ عمر ، بعد ما كَبِرَ [الشيخ] وكُفَّ بَصَرُه فقال :

لِمَنْ شَيْخَانِ قَدْ نَشَدا كِلَابا ... كِتابَ الله، إنْ حَفِظَ الكِتابا[1] ؟

إذَا هَتَفَتْ حَمامَةُ بَطْنِ وَجٍّ ... عَلَى بَيْضَاتِها، ذَكَرَا كِلَابَا[2]

تَرَكْتَ أباكَ مُرْعَشَةً يَدَاهُ ، ... وأُمَّكَ ما تُسِيغُ لَهَا شَرَابا

٢٠٦ — وقال [أيضاً] :

سأسْتأْدِي على الفَاروق رَبًّا ... لَهُ عَمَدَ الحَجِيجُ إلى بُصَاقِ[3]

إنِ الفارُوق لم يَرْدُدْ كِلَابًا ... إلى شَيْخَيْن هامُهُما زَوَاقِ[4]

فكَتَبَ عُمر إلى أبي موسى بإشْخاصه ، فلم يُرَعْ أميَّة إلا ببابِهِ يُقرَع ، فقال : إن كان [كلابٌ] في الناسِ حيًّا إنه هو .

---

(١) الأبيات في الأغاني ١٨ : ١٥٧ وغيره . لمن شيخان : يعني لمن ترك شيخان كبيران . ونشده كتاب الله ونشده الله : استحلفه وذكره به . حفظ كتاب الله : رعى له حرمته وأطاعه .

(٢) وج : الطائف ، وهي كثيرة الشجر كثيرة الحمام . على بيضاتها ، يقول : إذا هتفت تعطفاً وسروراً وحناناً على بيضاتها ، يذكران عندئذ ولدهما كلاباً .

(٣) القصيدة في الأغاني أيضاً ١٨ : ١٥٧ وغيره . استأدى السلطان على فلان فآداه : استعان به فأعانه . ويروى « سأستعدى » ، وهي مثلها في المعنى . وبصاق وبساق : موضع قريب من مكة.

(٤) يقال زقت هامته : أي دنت منيته وهلاكه . يقول : قد دنا أجلهما . وأهل الجاهلية كانوا يزعمون أن أرواح الموتى تصير هائماً ، وهو طائر يكون عند المقابر يزقو ، أي يصيح . وقد أكذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لا عدوى ولا هامة ولا صفر » .

٢٠٧ — وخِطَّةُ كِلاب [بالبصرة] فى بَنى سُلَيم ، يقال لها مُرَبَّعة كِلاب ، وتقول لها العامة : مُرَبَّعة الكِلاَب [بلا عِلْمٍ] (١) .

٢٠٨ — ومَرَّ بأمية غلام له ، وهو يحثُو التُّراب على رأسه دَلَهاً وهَرَماً (٢) ، فقامَ ينظرُ إليه ، فأفاق إفاقة فرآه قائماً ينظر إليه ، فقال :

أصبحتُ فَنًّا لرَاعِى الضَّأنِ أُعْجِبُهُ ماذا يَرِيبُكَ مِنّى رَاعِىَ الضَّانِ (٣)

إنْ تَرْعَ ضأناً ، فإنِّى قَدْ رُزِئْتُهُمُ بيضَ الوُجُوهِ ، بَنِى عَمِّى وإِخْوانى (٤)

يا ابنَىْ أُمَيَّـةَ ، إنِّى عنكما غانى وما غِنَـائِىَ إلَّا أنَّنى فانِى (٥)

يا ابنَىْ أُمَيَّة إلاّ تَشْهدا كِبَرِى ، فإنَّ نَأيَكُما والمَوْتَ سِيَّانِ

٢٠٩ — [الثانى] : حُرَيث بن مُحفِّظ المازنى [وهو] جاهلى إسْلامى ، له فى الجاهلية أشعارٌ . وهو الذى يقول :

[ونحنُ طَرَدْنا الحىَّ بكرَ بنَ وائلٍ إلى سُنَّةٍ مِثْلِ السِّنانِ ونارِ (٦)

---

(١) الخطة : أرض يختط فيها القوم دوراً ومساكن . والمربعة : الناحية من الدور تكون على شكل التربيع .

(٢) الدله : ذهاب العقل من هم أو عشق . ومنه دلهه الحب : حيره وخبله .

(٣) الأبيات فى الأغانى ١٨ : ١٥٨–١٥٩ . فى الأوربية « فتى » ، وفى المصرية « فنا » وكلاهما خطأ . ورواية الأغانى « قردا » . والفن : الأمر العجب . وأعجبه الشىء يعجبه : حمله على التعجب منه . ورابنى الشىء يريبنى : إذا رأيت منه ما يحملك على الريبة والشك فى أمره .

(٤) يقول : إن كان كل همك فى الدنيا أن ترعى الضأن خالى البال ، فهمى أنا أن أرعى ذكر من أصبت بفقدهم من كرام بنى عمى وإخوانى ، فانظر فى خسيسة أمرك . ودعنى وما ابتليت به .

(٥) غنى عن الشىء غنى : استغنى عنه . والغناء هنا : الاستغناء ، جاء به على هذا الوجه ممدوداً ، ولا بأس به .

(٦) القصيدة كلها فى أمالى القالى ٣ : ٨١ والجاحظ فى الحيوان ٣ : ٧٧ – ٧٨ . السنة : الطريق ، وقد ضبطت فى الأمالى وفى الحيوان « سنة » بفتحتين ، يعنى العام ، ولم يرد الجدب . ولعله أراد المكان ، كما ترى فى شرح ابن سلام . وفى شرح القالى للبيت قال : « سنة » أراد أسكناهم السواد ، وهو بلد وباء .

ومُومٍ وطاعونٍ وحَصْبَة قاتِلٍ ... وَذِى لِبَدٍ يَغشَى المُهَجْهِجَ ضارِى[(١)]
وحُكْمِ عَدُوٍّ لا هَوادةَ عِنْدَهُ ... ومَنْزِلِ ذُلٍّ فى الحياةِ وعارِ

يعنى مَحلَّ بكر بن وائل، وهو السَّواد، والسواد أوبأ البلاد على الرجال والإبل من البرّ. وقوله: «وحكم عدوّ» يعنى حكماً للعَجَم على بَكْر بن وائل، فذلك قوله: «وحكم عدوّ لا هوادة عنده».

٢١٠ — وقال أيضاً:

تَقُولُ ابنةُ الضبىِّ يوم لَقِيتُها: ... تغيَّرتَ، حتى كِدْتُ مِنْكَ أُهالُ[(٢)]
فإن تعْجَبى منّى عُمَيْرُ، فقد أتتْ ... ليــالٍ وأيامٌ علىَّ طِوالُ
وإنى لمن قوم تَشِيبُ سَراتُهُم ... كذاكِ، وفيهِمْ نائلٌ وَفعالُ][(٣)]

٢١١ — وقال]:

أَلَمْ تَرَ قَوْمِى إنْ دعاهُمْ أخُوهم ... أجابُوا، وإنْ يَغْضَبْ عَلَى القَوْمِ يَغضَبُوا[(٤)]
هُمُ حفِظُوا غَيْبِى، كما كُنْتُ حافظاً ... لِقَوْمِى أُخرَى مِثْلَها، إن تَغَيَّبُوا
بَنُو المَجْدِ، لم تقْعُدْ بهم أُمَّهاتُهُمْ، ... وآباؤهم آباءُ صِدْقٍ، فأَنْجَبُوا[(٥)]

---

(١) الموم: الجدرى. ورواية القالى والجاحظ «وموم وطاعون وحمى وحصبة». وذى لبد: يعنى الأسد. والمهجهج: الذى يزجر السبع ويصيح به ليكف عنه، ولكنه يغشاه لضراوته وتوحشه.

(٢) الأبيات فى البيان ٣: ٣١٦ مع اختلاف فى الرواية. هاله الأمر يهوله: أفزعه وأخافه أشد الخوف.

(٣) يشيب أهل الشرف منهم والمروءة فى شبابهم لطول انغماسهم فى الحروب. والنائل والنوال: بذل المعروف. والفعال (بالفتح): الكرم والجود والمساعى الحسان.

(٤) أمالى القالى ٣: ٨١ والشعر والشعراء: ٦٢٤.

(٥) يقال: قعد بالرجل آباؤه وأقعدوه وتقعدوه: حبسته منزلة أمهاته وآبائه من اللؤم عن بلوغ المكارم.

٢١٢ — قال : قال ابن دَأْب : أدْخَل الحارث بن نوْفَل بن الحارث ابن عَبْدِ المطَّلِب على معاوية ، [فِتْياناً من] فتيانِ بنى عبد مناف ، فقال معاوية : هؤلاء كما قال أخو بنى مازن :

بَنُو المَجْد ، لم تقعُدْ بهم أمَّهاتُهم ، وآباؤهم آباءُ صِـدْقٍ فأنْجَبُوا

٢١٣ — [قال أبو عبد الله ، قال الحجَّاج وهو على المنبر : أنتم والله يا أهل الشام كما قال القائل :

بنو المجد لم تقعُد بهم أمَّهاتُهُمْ وآباؤهم آباءُ صدْق، فأنجبوا]

وحريث تحت مِنْبَرِه ، فقال : أنا قائله أيها الأمير . فقال : كذَبْتَ ، ذاك حُرَيث بن مُحَفِّظ . قال : فأنا حُرَيْث بن محفِّظ ! قال : فما حملك على الرَّد علىّ هكذا ؟ قال : ما ملكتُ حين تمثَّل الأميرُ بِشِعْرِى أنْ أخبرْتُهُ بمكانى .

* * *

٢١٤ — [والثالث] الكُمَيْت بن مَعْروف ، وهو شاعر . وجدُّه الكميتُ بن ثَعْلَبة شاعر . والكميتُ بن زيدٍ الآخِرِ شاعر . والكميتُ بن معروف الأوسَطُ أشعرُهم قَرِيحةً ، والكميتُ بن زيدٍ أكثرُهم شِعْرًا .

٢١٥ — [قال الكميت بن معروفٍ :

أقُولُ لنَدْمانَىَّ ، والحَزْنُ بيننا ، وغُبْرُ الأعالى من خُفافٍ فَوَارِعُ :[1]

---

(١) الأبيات الأولى وردت فى معجم البلدان رسم (المسناة) ، الندمان : النديم ، والمفرد والجمع فيه سواء . والحزن : موضع مربع فى بلاد بنى أسد تربع فيه العرب لكثرة رياضه . وخفاف : مكان بنجد . وغبر الأعالى : الجبال ، قد اغبرت أعاليها لشموخها . والفوارع جمع فارع : وهو الشامخ .

أَنارٌ بَدَتْ بَيْنَ المُسَنَّاةِ والحِمى ... لِعَيْنَيْكَ أم بَرْقٌ من اللَّيْلِ لامعُ؟(١)
فإن يكُ بَرْقاً، فهو بَرْقُ مَخِيلةٍ ... لها رَيِّقٌ لم يُخْلِفِ الشَّيْمَ رائعُ(٢)
وإن تَكُ نارٌ، فَهِيَ نارٌ تَشُبُّها ... قَلُوصٌ، وتَزْهاها الرِّياحُ الزَّعازِعُ(٣)
وما مُغْزِلٌ أدْماءُ، مَرْتَعُ طِفْلِها ... أراكٌ وسِدْرٌ بالمَراضَيْنِ يانِعُ،(٤)
بأحْسَنَ منها يوم قالتْ لِتِرْبِها: ... سَلِيه يُخَبِّرْنا مَتى هو راجعُ؟(٥)
فقلتُ لها: والله ما مِنْ مُسافِرٍ ... يُحيطُ لَهُ عِلْمٌ بما اللهُ صانِعُ]

* * *

٢١٦ — [والرابع] عَمْرو بن شَأْس، كثيرُ الشِّعر في الجاهلية والإسلام؛ أكثر [أهل] طبقتِه شعراً. وكان ذا قَدْر وشَرَف ومنزِلة في قومه.

---

(١) المسناة: مكان، والحمى: حمى ضرية بنجد. في المعجم: «من الليل ساطع». سطع البرق: شق السحاب واستطال وارتفع ضوءه.

(٢) المخيلة (بضم الميم وفتحها): هي السحابة إذا رأيتها حسبتها ماطرة، والخال: سحاب لا يخلف مطره. ريق المطر: أوله من أطرافه ونواحيه. والشيم: النظر من بعيد إلى البرق والسحاب لترى أين يقصد وأين يمطر. شام البرق والسحاب يشيمه. «لم يخلف الشيم»: لم يخلف الظن بمطره وكثرته. وقد جاء في معجم البلدان موغلا في التحريف: «لم يخل في الشم لامع».

(٣) القلوص: الفتية من الإبل، بمنزلة الفتاة من النساء. وزهت الريح النار: حركتها ورفعت ألسنتها وأزهرت لونها. والزعازع جمع زعزع: وهي الريح الشديدة. يقول: إن تلك نار فهي نار أوقدها قوم صاحبته لقلوص عقروها لأضيافهم، وذلك أعظم لها، وحركتها الرياح الشديدة في زمن الشتاء، وذلك أرفع لنارها.

(٤) المغزل: الظبية يكون معها غزالها، وهو طفلها. وهي عندئذ أجمل شيء وأرقه وأسرعه حركة، لخوفها على ولدها. والأراك: شجر طويل أخضر ناعم الورق، تتخذ منه المساويك، وترعاه الظباء وتألفه، وهو أطيب ما ترعاه الماشية رائحة لبن. والسدر: من شجر النبق، طيب الريح ترعاه الظباء. والمراضان: واديان مريعان. والمرتع: المرعى، حيث ترتع في الخصب تذهب وتجيء وتأكل ماشاءت.

(٥) ترب المرأة: صاحبتها التي ولدت معها، لدتها، وقد يقال للرجل والرجل. يقول: هذه الظبية المغزل العاطفة على ولدها، لا تكاد تدانيها في رشاقتها ورقتها ودلالها وحسن حركتها حين قالت لتربها: سليه.

٢١٧ — جاوَرَهُ رجلٌ من بنى عامر بن صَعْصَعة ، ومع العامرىّ بنت له جميلة ، فخطبها . فقال العامرىّ : أمَّا ما دُمْتُ فى جوارِك فلا تَنْزِل ذلك منّى إلَّا على الاقْتِسار والقَهْر ، ولكن إذا رجَعْتُ إلى قومِى فاخطُبْها . فغَضِب عمرٌو وآلى [يميناً] أن لا يتزوَّجها أبداً إلا أن يُصيبَها سِباءً[١] . فلما رجَع الرجل إلى قومِه أراد عمرٌو غزْوَهم ؛ ثم قال : قَدْ كان بَيْنى وبَيْنَ الرَّجُل عَهْد ومِيثاقٌ وجِوارٌ ! فاستحىَ وتذَمَّم أنْ يَفعل ، فقال[٢] :

إذا نحنُ أدْلَجْنا وأنْتِ أمامَنا ، كَفَى لِمَطايانا بِرَيَّاكِ هادِيا[٣]

ولولا اتِّقاءُ اللهِ والعَهْدُ ، قد أرى مُبيِّتةً مِنَّــا تُثيرُ النَّوادِيا[٤]

[ونحنُ بنو خَيْرِ السِّباعِ أَكِيلةً وأحْجَرُهُ لِما تَحَفَّظَ ، عادِيا[٥]]

لنا حاضرٌ لم يَحْضُرِ النَّاسُ مثلَهُ ، وبادٍ ، إذا عَدُّوا ، فأَكْرَمُ باديا[٦]

---

(١) السباء والسبى : الأسر ، أى ينالها سبية فى غزوة .

(٢) روى صاحب الأغانى هذه القصة بغير لفظ ابن سلام ١١ : ٢٠١

(٣) الإدلاج : سير الليل . وريا كل شىء : طيب رائحته . وامرأة : طيبة الريا : عطرة الجرم . يقول : كفى برياك هادياً لمطايانا .

(٤) يعنى : غزوة مبيتة ، من قولهم : بيت العدو أوقع به ليلا وأتاهم بياتاً فى جوف الليل بغتة وهم غارّون لا يشعرون . والنوادى جمع نادية : وهى قواصى الإبل البروك ، تتفرق فى نواحى مبركها . فإذا سمعت حساً ثارت .

(٥) أكيلة السبع : فريسته التى يأكلها وربما استنقذت منه . يعنى أن أباه لا ينزل وقيعته إلا بأهل الشرف والسراء . وأحجره : وأمنعه لما يحفظ ، من حجر على الشىء : منع من أن يوصل إليه . وتحفظ : حفظ وحمى . والعادى : السبع المفترس يعدو على من ينتهك حريمه .

(٦) الحاضر : القوم يحضرون الماء ، ينزلون عليه فى حمراء القيظ ، وهو موضع إقامتهم . فإذا جاء الربيع وبرد الزمان فارقوا الماء وبدوا فى طلب الكلأ فى المراعى والصحارى . فهذا هو البادى . يريد أن يذكر كرمهم فى حاضرهم ، ومنعتهم وعزتهم إذا بدوا فى طلب الكلأ ، وتنازع المنتجعون عليه .

٢١٨ — [قال : ونزل رجلٌ من بنى حنظلة بإبل له عظيمة فى جوار بنى سَعد بن ثعلبة بن دُودَان بن أسَد بن خُزيمة ، رهط عمرو بن شأْس ، فأقام فيهم سنوات ثم رحل عنهم. فأغارت طيّئ على إبله فذهبوا بها ، فرجع إلى بنى سعد بن ثعلبة ، فقال : قد برِئتْ ذِمَّتكم ، ولكنّى أُصِبْتُ ، وقد عَدَتْ علىّ طيِّئ . فركب معه بنو سعدٍ إلى طيِّئٍ ، فأخذوا أكثر إبله وأَدَّوْهُ إلى مَأمَنه ، فقال عمرو بن شأسٍ :

أَبَأْنا لِقاحَ الحَنْظَلىّ بِمِثْلِها ... لِقاحًا — وقُلْنا: دُونكَ ابْنَ مُكَدَّمِ [1]

وَفاءً ، ولم تُشْرِفْ عليه نُفوسُنا — ... حَناجِرُها كأنَّها صُوعُ حَنْتَمِ] [2]

٢١٩ — وكان لعمرو بن شأس ابنٌ يقالُ له عِرَارٌ ، من أمَةٍ سَوْداء ، وكانت امرأته تُؤْذيه وتَسْتَخِفُّ به ، فقال عمرو فى كلمة له :

أرادتْ عِرَارًا بالهَوَانِ ، ومَنْ يُرِدْ ... عِرَارًا — لعمْرِى — بالهوان فقد ظَلَمْ [3]

---

(١) اللقاح جمع لقوح : وهى الحلوب ، فسميت الإبل لقاحاً . وأباءها ، من البواء : وهو المثل بالمثل يقتل به ، أورد المثل بالمثل . ودونك : خذه فهو ممكن لك حاضر . يقول : رددنا على الحنظلى مثل إبله من إبلنا ، وفاء بجواره . والخبر السابق يدل على أنهم استردوه أكثر الإبل من طئ ، إلا أن يكون جعل بعضها بمنزلة الكل .

(٢) أشرفت على الشيء نفسه : حرصت وأشفقت . والضمير فى « عليه » إلى المال ، وهو اللقاح . وسياق الشعر « بمثلها لقاحاً ، حناجرها . . . » وما بينهما اعتراض . والحناجر جمع حنجرة : وهى الحلقوم من العنق . والحنتم : جرار خضر (جمع جرة) أو حمر طويلة كانت تحمل فيها الخمر ، ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم . وقوله « صوع حنتم » غير بينة فى نسختى ، أهى بالغين ، بمعنى الصيغة ، أو هى « صوع » بضم الصاد جمع صواع : وهو إناء مستطيل ضيق الأعلى واسع الوسط تشرب فيه الخمر . شبه به أعناقها . وهو عندى أجود ، ولذلك أثبتها . وأراد بالحنتم الخزف .

(٣) قصيدة شريفة من الكلام المنيف ، روى أكثرها صاحب الأغانى ١١ : ١٩٤ ثم ص ١٩٦ — ١٩٨ .

وإنَّ عِراراً إن يَكُنْ غيرَ وَاضِح ، فإنى أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنكِبِ العَمَمْ (١)
وإنَّ عِراراً إن يكُنْ ذا شكيمةٍ تلقَّيْنَها منهُ ، فما أَملِكُ الشِّيَمْ (٢)
فإن كُنْتِ مِنّى، أو تُرِيدين صُحْبَتِى ، فكُونى له كالسَّمْنِ رُبَّتْ لَهُ الأَدَمْ (٣)
وَإِلَّا فَسِيرِى مثلَ ما سارَ راكِبٌ تَعَجَّلَ خِمْسًا لَيْسَ فى سَيْرِهِ أَمَمْ (٤)

٢٢٠ — وقال [عمرو] فى كلمة له طويلة :

مَتى تعرفِ العَيْنانِ أَطْلالَ دِمْنةٍ لِلَيْلَى بأعْلَى ذى مَعارِكَ تَدْمَعا (٥)
عَلَى النَّحْرِ والسِّرْبَالِ حَتَّى تَبُلَّه رَشَاشًا، ولم تجْزَع إِلَى الدَّارِ مَجْزَعا (٦)

---

(١) واضح : أبيض اللون . والجون : الأسود المشرب حمرة . والعمم : التام الخلق الممتلىء. يصف شدته وقوته لتمام منكبيه واستوائهما .

(٢) الشكيمة : شدة النفس وإباؤها وأنفتها ، وتلقى الشىء : لقيه واستقبله . وأراد به ههنا المكروه ، ومنه قيل: فلان ملقى بالرزايا ، لا يزال يلقى المكروه مرة بعد مرة . ويروى « تقاسينها » و « تعافينها » أى تكرهينها . والشيم : جمع شيمة ، الطبيعة والسجية ، يعنى شراسته وذرب لسانه .

(٣) فإن كنت منى : يريد ، فإن كنت من أهل مودتى وحبى وسيرتى . ومثله : من غشنا فليس منا. وقولهم : لست منك ولست منى ، أى برئت من مودتك و برئت من مودتى. ثم قال : أو تريدين صحبتى ، يريد أو كان لك أرب فى عشرتى كما يتعاشر الأزواج . والأدم جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ تتخذ منه الزقاق والأوعية ونحوها . ووعاء السمن خاصة يقال له نحى (بكسر فسكون). ورب النحى : دهنه بالرب (بضم الراء وتشديد الباء) وهو خلاصة التمر بعد طبخه وعصره . وكانت العرب تدهن وعاء السمن بالرب ليمنع فساده . يقول لها : إن كنت منى أو مبقية على عشرتى ، فارفقى بعرار وأحسنى إليه ، وحاذرى أن تغضبيه بشىء ، كما تستصلحين وعاء السمن حتى لا يفسد عليك .

(٤) الخمس : ورود الإبل فى اليوم الرابع بعد اليوم الذى وردت فيه ، فهى حينئذ ظماء فيعجل بها صاحبها إلى شريعة الماء أشد عجلة . والأمم : المقاربة واليسر . والرواية الجيدة : « يتم » ، واليتم : الإبطاء والفتور .

(٥) روى أبو الفرج الأربعة الأولى فى ١١ : ٢٠٠ ، مع بعض الاختلاف فى اللفظ .

(٦) الرشاش : ما ترشش من الدمع وقطر . الجزع هنا : الحزن الشديد ، وقال : لم تجزع إلى الدار ، ضمن جزع ، معنى حن واشتاق . يقول : لم يكن ما أصابه شوقا إلى نفس الديار وحزناً عليها ، بل كان شوقه وحزنه إلى ساكنيها الذين فارقوها .

خَلِيلَىّ عُوجَا اليومَ نَقْضِ لُبانَةً ، وإلّا تعُوجَا اليَوْمَ لا نَنْطَلِقْ مَعا(١)
وإنْ تَنْظُرَانِى اليَوْمَ، أَتْبَعْكُما غَدًا أَذَلَّ قِيادًا من جَنِيبٍ وَأطْوَعَا(٢)
وَقَدْ زَعَما أن قَدْ أَمَلَّ عليهِمَا ثَوائِى، وقَوْلِى كُلّما ارْتَحَلا أَرْبعَا(٣)
وَما لَبثْتُ فى الحىِّ يَوْمًا وليلةً بِزَائِدِ ما قَدْ فاتَ صَيْفاً وَمَرْبعَا(٤)
فَجُودا لِهِنْدٍ فى الكَرَامةِ مِنْكُمَا ، وإن شِئْتُما أَن تَمْنَعا بعدُ فَامْنَعا(٥)

* * *

انقضى خبرُ العَشْرِ طبقات .

---

(١) عاج بالمكان : عطف عليه ومال ، ثم أقام فيه قليلا أو كثيراً . واللبانة : حاجة النفس التى تهمها ، لا من فاقة .

(٢) نظر الرجل أخاه وانتظره : أمهله ولم يعجله . والجنيب : الفرس أو الأسير تقوده إلى جنبك ، وكل طائع منقاد جنيب .

(٣) أمل الأمر عليه: طال عليه حتى أبرمه وأضجره . والثواء بالمكان طول الإقامة به ، ثوى به يثوى ثواء . وارتحل : وضع الرحل على بعيره وشده لكى يذهب . وربع يربع : انتظر وتأنى .

(٤) لبث بالمكان : مكث ، لبثا (بضم فسكون)ولبثا (بفتح فسكون) ، ولبثا (بالتحريك) ، وقد كثر فى الشعر وهو الأصل ، ولكن الأولان أكثر فى الكلام ، والصيف : حيث يجتمعون على ماء الحى فى القيظ . والمربع : فى زمن الربيع حيث يجتمعون فى البادية طلباً للمرعى .

(٥) فى الكرامة منكما : فى إكرامكما لى من أجلها .

طبقة أصحاب المراثى

وصيَّرْنا أَصْحابَ المراثى طبقةً بعد العَشْر طَبقات .

٢٢١ — أولهم مُتَمّم بن نُوَيْرة بن جَمْرة بن شَدَّاد بن عبيد بن ثَعْلبة بن يربوع ؛ رَثَى أخاه مالكا .

٢٢٢ — والخَنْساء بنت عَمْرو بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظَة بن عُصَيَّة بن خُفَاف بن أمرئ القيس بن بُهْثَة ؛ رثَتْ أخوَيْها صَخْرًا ومُعَاوية .

٢٢٣ — وأعْشَى باهلة – وأسمه عامر بن الحارث بن رِياح [بن عبد الله أبن زَيْد بن عَمْرو بن سَلَامة بن ثعلبة بن وائل بن مَعْن] – رثى المُنْتَشِر ابن وَهْبَ بن عَجْلَان [بن سَلَمة بن كرابة بن هِلَال بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن مَعْن][1] .

٢٢٤ – وكعب بن سعد بن عمرو بن عقبة [أو عُقْبة بن عوف بن رفاعَة ، أحد بنى سالم بن عُبَيْد بن سعد بن جِلّان بن غَنْم بن غَنِىّ بن أَعْصُر] ، رثى أخاه أبا المِغْوار .

---

(١) فى الجمهرة : « عجلان بن سلمة بن كراثة » .

٢٢٥ — والمقدَّمُ عندنا مُتمِّم بن نُوَيْرة ، ويكنَى أبا نَهْشل ، [رثَى أخاه مالك] ، وكان [قتله] خالدُ بنُ الوليد [بن المغيرة] ، حين وجَّهَه أبو بكر [رضى الله عنه] إلى أهل الرِدَّة . فمِنَ الحديث ماجاء على وَجْهه ، ومنه ما ذَهَب معناه علينا ، للاختلاف فِيه . وحديثُ مالكٍ مما اختُلِفَ فيه فلم نقفْ منه على ما نُرِيد . وقد سمعتُ فيه أقاويلَ شتَّى ، غيرَ أن الذى استْقرَّ [عندنا] أن عُمَر أنْـكَرَ قتلَه ، وقامَ على خالد فيهِ وأغْلَظ لَه ، وأن أبا بكر صَفَح عن خالد وقَبِلَ تأوُّلَه .

٢٢٦ — وكان مالكٌ رجُلاً شريفاً فارسًا شاعراً ، وكانت فيه خُيَلاء وتقدُّمٌ ؛ وكان ذَا لِمَّة كبيرة ، وكان يقال له الجَفُول[١] . وقدِمَ على النّبى صلى الله عليه وسلم فيمن قَدِمَ من أمثاله من العَرَب ، فولَّاه صَدَقاتِ قَوْمه بنى يربوع . فلمّا قُبِض النبىُّ صلى الله عليه وسلم اُضْطَرَب فيهـا فلم يُحْمَد أمرُه ، وفرّق مافى يديه من إبل الصَّدَقة[٢] ؛ فكلَّمه الأقرَعُ بن حَابِس المُجاشِعِىّ والقَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة الدَّارِمى[٣] ، فقالا له : إنّ لهذا الأمرِ قائمًا وطالبًا ، فلا تعجَلْ بتَفرِقَة مافى يدَيك . فقال :

(١) الخيلاء : الكبر والعجب . والتقدم : الإقدام والجرأة . قدم وأقدم وتقدم واستقدم ، فى الحرب وغيرها ، كلها بمعنى واحد . واللمة : شعر الرأس إذا جاوز شحمة الأذنين وألم بالمنكبين . وفى معجم الشعراء للمرزبانى : ٣٦٠ ، أنه سمى الجفول ، لأنه جفل إبل الصدقة ، أى ذهب بها . وفى هامشه القديم : «المعروف أنه سمى الجفول لكثرة شعره» قلت : ولعله سمى الجفول لجرأته وإقدامه ، كالريح الجفول ، وهى السريعة تجفل السحاب وتسوقه . وكان مالك من فرسان العرب وشجعانها .

(٢) اضطرب فيها : أفسد أمرها وفعل ما شاء . من قولهم اضطرب : أى تحرك ما شاء . وقد مضى مثل هذا فى فقرة : ١٢٨ رقم : ٤ .

(٣) بعد هذا الموضع إلى فقرة : ٢٣٦ خرم فى نسختى .

أَرَانِي اللهُ ذَا النَّعَمَ المُنَدَّى بِبُرْقَةِ رَحْرَحَانَ ، وقد أَرَانِي(١)
تُمَشِّي يَا ابْنَ عَوْذَةَ فى تَمِيمٍ وَصَاحِبُكَ الأُقَيْرِعُ ، تَلْحَيَانِي(٢)
حَمَيْتُ جَمِيعَهَا بالسَّيْفِ صَلْتًا ولم تَرْعَشْ يَدَاىَ ولا بَنَانِي(٣)

عَوْذَةُ : يعنى أمَّ القعقاع ، [وهى مُعاذة بنت ضِرار بن عمرو] .

٢٢٧ — وقال :

وقُلتُ : خُذُوا أَمْوَالَكم غيرَ خائفٍ ، ولا ناظرٍ فيما يَجِيءُ مِنَ الغَدِ
فَإِنْ قامَ بالأمر المُخَوِّفِ قائمٌ مَنَعْنا ، وقلنا : الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدِ(٤)

٢٢٨ — فطَرَقَ خالدٌ مالكاً وقومَهُ – وهم على ماءٍ لهم يُقال له البَعُوضَةَ – تحتَ اللَّيْلِ ، فذَعَرَهُم ، وأَخَذُوا السِّلاحَ . فكان من حُجَّةِ خالد عليهم ، أنه أَنْظَرَهم إلى وَقْتِ الأذانِ فلم يَسْمَعْ أَذانًا . وتقول بنو تميم : إنَّه لمَّا هَجَم عليهم خالدٌ قال : من أَنْتُم ؟ قالوا : المسلمون . قال : ونحنُ المسلمون ، فما بَالُ السلاحِ ؟ قالوا : ذَعَرْتُمُونا ! قال : فَضَعُوا السِّلاحَ .

---

(١) ندى الإبل تندية : هو أن يوردها الراعى فتشرب قليلا ، ثم يجىء بها ترعى ، ثم يردها إلى الماء . برقة رحرحان : مكان إلى جوار جبل رحرحان . والبرقة : أرض ذات حجارة وتراب ، وتنبت أسنادها وظهرها البقل والشجر نباتاً كثيراً ، يكون إلى جنبها الروض أحياناً ، فترعى فيه النعم . وقوله : « أرانى الله . . » يدعو أن يرى نفسه قادراً على التصرف فى هذه الأنعام كما يشاء ، ثم يقول : وقد كان ، فأنا أفعل به ما أشاء .

(٢) لحيت الرجل ألحاه : لمته وعنفته وقبحت فعله .

(٣) صلتا : مصلتا من غمده . رعشت يده ترعش ، غير مبنى للمجهول : ارتعدت واضطربت من الخوف أو غيره . ولعلّ صواب الرواية « جميمها » ، والجميم : النبت الحسن الكثير المنتشر ، كأنه جمة شعر .

(٤) الأمر المخوف : الذى خوفتمونى به . والدين هنا : الطاعة ، يقول : نمنع أن نعطى بأيدينا ، ونقول لهذا القائم بالأمر : إنما كانت الطاعة لمحمد وحده . وكذب .

٢٢٩ — والمُجْمَع عليه: أن خالداً حَاوَره ورَادّه(١)، وأن مالكاً سَمَح بالصَّلاةِ وَالْتوَى بالزكاة. فقال خالد: أما علمتَ أَنَّ الصلاةَ والزَّكاةَ معاً، لا تُقْبَل واحدةٌ دُون الأُخْرى؟ قال: قَدْ كان يقولُ ذٰلك صاحِبُكم! قال: أَوَ ما تَراه لك صَاحِباً؟ والله لقد هَمَمْتُ أن أضرِب عُنُقك. ثم تَجاوَلاَ(٢)، فقال له خالد: إِنّى قاتِلُك. قال: وبذا أَمَرَكَ صاحِبُك؟ قال: وهذهِ بعدُ! والله لا أُقيلُك.

٢٣٠ — فيقول من عَذَرَ مالكاً: إنه أراد بقوله: «صاحبُك»، أنه أراد القُرَشِيَّة(٣). وتأوَّل خالد غير ذلك فقال: إنّه إنكارٌ منه للنُّبُوَّة. وتقول: بنو مَخزوم: إنّ عمرَو بنَ العاص قال لخالد — وقد كان لقِيه وهو مُنْصرِف من عُمان، وكان النبى صلى الله عليه وسلم وجَّهه إلى أبنِ الجُلُنْدَى — فقال لخالد: يا أبا سُلَيمان إن رَأَتْ عيْنك مَالِكاً فلا تُزَايِلْهُ حتى تَقْتُلَه(٤).

٢٣١ — وكان خالد يحتجُّ على مالكٍ بأشعارِه التى كتبْنا. وكلَّم أبو قَتَادة الأَنصارىّ خالداً فى ذلك كلاماً شَدِيداً فلم يقبله، فآلَى يَميناً أن

---

(١) راده القول: نازعه ورد عليه وراجعه فيه.

(٢) تجاول القوم فى الحرب: صال بعضهم على بعض، وجالت بهم الخيل ودارت.

(٣) يعنى أنه أراد أنه صاحبك من قريش، كما يقال: أخوك، إذا كان من أهل بلدك أو قبيلتك.

(٤) لا تزايله: لا تدعه ولا تفارقه. وقد صح فى كتب السير وغيرها أن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص، إلى جيفر بن الجلندى ملك عمان وأخيه عبد بن الجلندى كانت فى ذى القعدة سنة ثمان من الهجرة، فقرآ كتاب رسول الله وأسلما، وبقى عمرو بن العاص هناك، يحكم بين الناس ويجمع الصدقات، يأخذها من أغنيائهم ويردها على فقرائهم، وبقى مقيماً حتى توفى رسول الله.

لا يسير تحتَ رايةٍ أميرُها خالدٌ أبداً . وقال له عبد الله بن عُمر ، وهو في القوم يومئذٍ : يا خالدُ ، أبعْدَ شهادة أبي قتادة ؟ فأعرض عنه . ثم عاوده ، فقال : يا أبا عبد الرَّحمن . اُسكُتْ عن هذا ، فإنّى أعلمُ ما لا تَعْلم . فأمر ضِرارَ بن الأزْوَر الأَسدىّ بضَرْب عُنُقه ، ففعل .

٢٣٢ — قال ابن سلّام : سمعنى يونس يوماً أُرادُّ التَّمِيمية فى خالدٍ وأَعْذِرُه ، فقال : يا أبا عبد الله ، أما سمعتَ بساقَىْ أم تميم ؟ — يعنى زوجة مالكٍ — أوَصارت أمُّ تميم إلى خالدٍ بنِكاحٍ أو سِباء ؟ وما عابهُ عليهِ عمرُ ابن الخطاب قال : قتَلتَ امرأً مسلِماً ووَثَبْتَ على امرأته بعَقْرَباء ، يوم بنى حَنيفة(١) .

٢٣٣ — قال : ومِن أحسنِ ما سمعت من عُذرِ خالدٍ ، ما ذكروا أنَّ عمر قال لمُتمِّم بن نُوَيْرة : ما بلغ من جَزَعِك على أخِيك ؟ — وكان متمِّم أعْوَر — قال : بكيتُ عليه بعَيْنِيَ الصَّحيحة حتى نَفِدَ ماؤُها ؛ فأَسْعَدَتْها أُختُها الذَّاهبة(٢) . فقال عمر : لو كنتُ شاعراً لقُلْتُ فى أخِي أجْود مما قُلْتَ(٣) . قال يا أمير المؤمنين ، لو كان أخى أُصيبَ مُصابَ أخِيكَ

---

(١) عقرباء : فى طرف من أرض اليمامة ، خرج إليها مسيلمة كذاب بنى حنيفة ، لما سمع بمسرى خالد إليه . وبها وقعت وقائع أيام الردة .

(٢) أسعده : أعانه وساعده على جهة المشاركة والمجاملة .

(٣) روى المبرد فى التعازى والمراثى ما يوضح هذه العبارة أن عمر قال : « لو وددت أنك رثيت أخى بما رثيت به أخاك . فقال له : يا أبا حفص ، لو علمت أن أخى صار حيث صار أخوك ما رثيته ! يقول إن أخاك قتل شهيداً » . ثم قال أبو العباس : « وفى حديث آخر أنه رثى زيد بن الخطاب فلم يجد ، فقال عمر : لم أرك رثيت زيداً كما رثيت أخاك مالكا ؟ فقال : إنه والله يحركنى لمالك مالا يحركنى لزيد » . وانظرا أمالى اليزيدى : ٢٥ — ٢٦ .

ما بكيتُه . فقال عمر : ما عَزَّانى أحدٌ عنه بأحسنَ ممّا عَزَّيْتَنى .

٢٣٤ — وبَكى مُتمِّمٌ مالكا فأكثرَ وأجادَ ، والمقدَّمة منهنّ قوله :

لَعمْرِى ومَا دهْرِى بتأبينِ هَالكٍ [ولا جَزَعٍ ممّا أصابَ وأوْجَعَا][1]

قال ابن سلّام : وأخبرنى يونس بن حبيب : أنّ التأبينَ مَدْحُ الميِّت والثناء عليه . قال رؤبة :

* فامدَحْ بلالاً غيرَ مَا مُؤَبَّنِ[2] *

والمَدْح للحَىّ .

* * *

٢٣٥ — وبَكتِ الخنساء أخوَيْها صَخْراً ومُعاوية . فأما صخر فقَتَلتْهُ بنُو أَسَد ، وأما مُعاوية فقتلته بنو مُرَّة بن غطفان . فقالت فى صخر كلمتها التى تقول فيها :

وإنّ صَخْراً لتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِه [كأنّه عَلَمٌ فى رَأْسه نارُ][3]

وقالت فى مُعاوية :

ألاَ مَا لِعَيْنِكِ أمْ مَالَهَا ؟ لَقَدْ أَخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبَالَهَا[4]

وقالت فى صَخْر الكلمةَ الأُخْرَى :

---

(١) المفضليات : ٥٢٦ ، وأمالى اليزيدى : ١٨ .

(٢) ديوانه : ١٦٢ ، وقوله : « غير ما مؤبن » أى غير هالك ، يدعو له بطول البقاء .

(٣) ديوانها : ٨٠ .

(٤) ديوانها : ٢٠١ .

أَمِنْ حَدَثِ الأَيَّامِ عَيْنُكَ تَهْمُلُ ... وَتَبْكِى على صَخْرٍ ، وفى الدَّهْرِ مَذْهَلُ[١]

* * *

٢٣٦ — وأعشى باهلة ، رثى المنتشر بن وَهْب الباهلىّ ، قتيلَ بنى الحارث بن كَعْب فقال فى كلمته[٢] :

لا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ ، ... مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وإنْ لم يَغْزُ ، يُنْتَظَرُ[٣]

لا يَغْمِزُ السَّاقَ من أَيْنٍ ولا وَصَبٍ ... ولا يَزَالُ أَمامَ القَوْمِ يَقْتَفِرُ[٤]

إنِّى أَشُدُّ حَزِيمِى ، ثُمَّ يُدْرِكُنِى ... مِنْكَ البَلَاءُ ومِنْ آلائِكَ الذِّكَرُ[٥]

---

(١) ديوانها : ١٨٣ هملت عينه تهمل : أذرت دمعها . مذهل : سبب للتسلية والذهول عن المصيبة .

(٢) هذا آخر الحزم الذى بدأ فى الفقرة : ٢٢٦ .

(٣) قصيدة عربية محكمة فى ديوان الأعشين : ٢٦٦ والأصمعيات : ٣٢ واليزيدى فى أماليه : ١٣ — وشرحها أبو العباس المبرد فى الكامل ٢ : ٢٩١ وسواها . والأبيات هنا على غير سياقة الرواية . جاءوا من كل أوب : أى من كل طريق وناحية ، يقول : إن الناس أبداً فى خوف من أن يمسيهم أو يصبحهم بغزوة ، فهم يتوقعون سقوطه عليهم من كل ناحية ، وإن كان هو وادعاً فى مكانه لم يهم بغزو ولا خروج . وهذا وصف لهيبته فى كل أرض ، وإيلافه مفاجأة أعدائه .

(٤) غمز ساقه وغيرها : عصرها وكبسها بيده ، من وجع أو تعب يرجو الراحة ويعين على زوال ما يجد . والأين : الإعياء والتعب . واقتفر الأثر : اقتفاه وتتبعه ، وهو من فعل الأدلاء فى البوادى . يصفه بالجلد والقوة والهداية والبصر ، فهو إذا أعيى أصحابه وتعبوا ، لم يجد تعباً يحوجه إلى غمز ساقه وتكبيسها ، وهو إمامهم وهاديهم فى الفلاة المجهولة ، لا يكل ولا يضعف ولا ينام .

(٥) هذا من رثائه وبكائه على أخيه — والمنتشر أخوه لأمه . الحزيم والحيزوم : الصدر والوسط حيث تلتقى الجوانح ويشد الحزام . يقال : شد للأمر حزيمة أو حيازيمه ، إذا استعد له كما يفعل الناس من شد الحزام عند التأهب لعمل شىء . ومآله أنه وطن نفسه عليه وصبر له . بلوت الرجل أبلوه بلاء : اختبرته وجربته . وسمى ما اعتاده الرجل نفسه من صنع جميل ومعروف وصبر فى القتال ، بلاء ، لأنه يجرب منه ويعرف . والآلاء : النعم والمكارم . يقول : لا أزال أوطن نفسى على الرزيئة فيك ، والصبر على فقدك ، ثم يغلبنى على تصبرى ما بلوته من دفاعك وذيادك عن أهلك وعشيرتك ، ثم يردنى إلى الجزع عليك ما يذكرنى بك من إحسانك ومعروفك .

فإن جزِعْنا ، فمثلُ الشَّرِّ أَجزَعَنا ؛ وإنْ صَبَرْنا ، فإنَّا معشَرٌ صُبُرُ (١)
إمَّا سَلَكْتَ سبيلاً كُنْتَ سالِكَها فاذهبْ فلا يُبْعِدَنْك اللهُ مُنْتَشِرُ (٢)
لا يُصْعِبُ الأَمْرَ إلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ ، وكُلَّ أَمْرٍ سِوَى الفَحْشاءِ يَأْتَمِرُ (٣)

* * *

٢٣٧ — [والرابع] كَعْبُ بن سَعد [الغَنَوِىّ] رثى أَخاهُ أبا المِغْوار بكلمة قال فيها :

فَخَبَّرْتُمانى أَنَّما الموتُ بالقُرَى ، فكيف ، وهذا ، رَوْضَةٌ وكَثِيبُ ؟ (٤)
وماءُ سَماءٍ كان غيرَ مَحَمَّةٍ [بِداوِيَّةٍ تَجْرِى عليه جَنوبُ] (٥)

---

(١) يقول : لا عار علينا فى الجزع عليك ، فأى بلوى شر أعظم من الفجيعة فيك . وإن اعتصمنا بالصبر ، فإننا من قوم بنوا على الصبر والجلد ، فهو أشرف بنا من الجزع إلا فى مثلك .

(٢) يعنى سبيل الموت التى لا محيد لأحد عنها . وقوله « فلا يبعدنك الله منتشر » دعاء جار على ألسنة العرب فى ذكر الموتى ، يراد به لا يبعدك الله عن خير جزائه وفضله ، كما كنت فى حياتك أهلا للخير والفضل .

(٣) هذا بيت فى غير موضعه ، فإنه عاد إلى صفة المنتشر . أصعب الأمر يصعبه ، وجده صعباً . وقد مضى مثله فى الفقرة : ٩٤ ، يقول : لا يتوقف فى النظر إلى أمر يوافقه صعباً إلا بقدر ما يعجل إليه فيركبه ، كأن قال لا يتوقف قليلا ولا كثيراً .ائتمر بالشىء : هم به وعزم عليه نفسه فأمرته فائتمر بأمرها ، أى أطاعها . يقول : هو لبعد همته يهم بكل خير ، ولا يهم بفحشاء ولا تؤامره نفسه عليها .

(٤) وهذه أخرى من بارع كلام العرب ونبيله . رواها الأصمعى فى الأصمعيات : ١٣ وصاحب جمهرة أشعار العرب : ١٣٣ والقالى فى أماليه ٢ : ١٤٧ وما بعدها . وكان خرج بأخيه من المدن إلى البادية لمرض كان بالمدينة ، كما يستظهر من الشعر . يقول : زعمتم أن القرى وبيئة ، وأن الموت كامن فيها ، فكيف مات إذن وهذه روضة ، وهذا كثيث رمل ، فى حيث لا يكمن الموت فى البنيان ؟

(٥) أرض محمة : ذات حمى . والداوية : الفلاة المتباعدة التى تدوى فيها الرياح . يقول : وهذا أيضاً غدير من ماء السماء ، فى فلاة متراحبة تصفق ماءه ريح الجنوب ، ولم تكثر عليه غاشية الناس ومساكنهم ، فتطمئن عندئذ عليه الحمى وتتلبس به . وما بين القوسين هنا زيادة من حق معنى الشعر.

[ومنزلةٍ فى دار صِدقٍ وغِبْطَةٍ] وما أُقْتَال فى حُكْمٍ على طَبِيبُ(١)

[فلو كانَت المَوْتَى تُباعُ أَشْتَرِيتُه بما لم تَكُنْ عنه النُّفُوس تَطِيبُ(٢)

بعَيْنَىَّ أو كِلْتَا يدَىَّ ، وقيل لى : هُوَ الغانِمُ الجذْلَانُ حين يَؤُوبُ(٣)

وداعٍ دَعَا : يا مَن يُجِيبُ إلى النَّدَى ؟ فَلَمْ يَسْتَجِبْه عند ذَاكَ مُجِيبُ(٤)

فَقلْتُ : أُدْعُ أُخْرَى وأرْفَعِ الصَّوْتَ دَعْوَةً

لعـــلَّ أبَا المِغْوارِ مِنْكَ قَرِيبُ

---

(١) اقتال : تحكم . وهذا أيضاً منزل نزلناه فى أرض بريئة من العيب ، فى غبطة من العيش ، ولا طبيب بها يتحكم ويدعى ، فكيف إذن غاله الموت وقد أبعدنا المذهب عنه ؟

(٢) يقول : لو كان ميت يفتدى بأغلى مال لافتديته بكرائم ما تضن بها النفوس . ثم ذكرها بعد .

(٣) يقول : لافتديته بعينى أو كلتا يدى . ولقال الناس إذا فعلت : هذا الذى غنم وفاز بما اشترى ، وإذا آب إلى أهله ، فقد آب بالخير كله ، فهو خليق أن يفرح ، وإن فقد عينيه ، أو كلتا يديه ، فهو كفاء لهما ويزيد .

(٤) دعانى فاستجبته : أى أجبت دعاءه . والندى : السخاء والكرم .

طبقة شعراء القرى العربية

٢٣٨ — وهى خمسٌ : المدينةُ ، ومكَّةُ ، والطائفُ ، واليمامة ، والبَحْرَين . وأشعرُهُن قرْيةً المدينةُ . شُعَراءها الفحولُ خمسة : ثلاثةٌ من الخزْرَج ، واثنان من الأوْس .

٢٣٩ — فمن الخزْرَج من بنى النَّجَّار : حَسّانُ بن ثابت .

٢٤٠ — ومن بنى سَلِمَةَ : كعبُ بن مالك .

٢٤١ — ومن بَلْحارث بن الخزْرج : عبد الله بن رَواحة .

٢٤٢ — ومن الأوس : قَيْسُ بن الخطِيم من بنى ظَفَر .

٢٤٣ — وأبو قَيْس بن الأسْلَت من بنى عَمرو بن عَوْف .

* * *

٢٤٤ — وأشعرهم حسّان بن ثابت . وهو كَثِيرُ الشعْر جيِّدُه ، وقد حُمل عليه ما لم يُحْمل على أحَد . لمّا تعاضَهتْ قريش وَاسْتَبَّتْ ، وضَعوا عليه أشعاراً كَثِيرةً لا تُنَقَّى(١) .

---

(١) حمل عليه : نسب إليه وليس له . وتعاضهوا : تناهشوا ورمى بعضهم بعض بالعضيهة ، وهى الإفك والبهتان والشتيمة .

٢٤٥ — وكان أبوه ثَابت بن المُنْذِر بن حَرَام ، من سادة قَوْمِه وأشرافهم . والمُنْذِر كان الحاكِمَ بين الأوس والخَزْرَج فى يوم سُمَيحة — وهو يومٌ من أيامهم [مشهور] ، وكانوا حكَّموا فى دِمائهم يَوْمَئذ مالكَ أبن العَجْلان بن سالم بن عَوْف ، فتَعَدَّى فى مَوْلًى له قُتِلَ يومَئذٍ ، وقال : لا آخذ [فيه] إلا دِيَةَ الصّرِيح(١) . فأبَوْا أن يرضَوْا بحُكْمه ، فحكّموا المُنْذِر بن حَرَام ، فحكم بأن أَهْدَر دِماء قَوْمه الخَزْرج واحتَمل دِماء الأَوْس . فذكره حَسّان فى شِعْره فى قصيدتِهِ التى قال فيها :

مَنَع النّوْمَ بالعِشاءِ الهُمُومُ(٢)

٢٤٦ — وأَسَرت مُزَيْنة ثابتاً ، أبا حسّان ، فعرَض عليهم الفِداءَ ، فقالوا : لا نُفَادِيكَ إلا بتَيْس ! — ومُزَيْنَة تُسَبُّ بالتُّيُوس — فأبَى وأَبَوْا ؛ فلمّا طَال مُكْثُه ، أَرسل إِلَى قومِه : أَنِ أُعطُوهم أَخاهُم ، وخُذُوا أخاكُم .

٢٤٧ — [وحدثنى يَزيد بن عِياض بن جُعْدُبَة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما قدِمَ المدينةَ ، تناولَته قريشٌ بالهِجاء ، فقال لعبد الله بن رَوَاحة : رُدَّ عنّى . فذهب فى قَدِيمهم وأَوَّلهم ، فلم يصنع فى الهجاء شيئاً . فأمر كَعْب بن مالك ، فذَكَر الحرب ، كقوله :

---

(١) تعدى فى حكمه : جاوز الحق وجار واشتط . وقوله : « فى مولى » : « فى » للتعليل ، أى بسبب مولى . والصريح : الخالص النسب ، من أنفسهم .

(٢) ديوانه : ٣٧٦ ، وسيرة ابن هشام ٣ : ١٥٦ ، يهجو ابن الزبعرى ، ويذكر فيها عدة أصحاب اللواء يوم أحد . والبيت الذى عناه قوله :

وأبى فى سميحة القائل الفا صل يوم التقت عليه الخصوم

التقت عليه : رضيت به وأجمعت على تحكيمه .

نَصِلُ السُّيوفَ إذا قَصُرنَ بخَطْونا قُدُماً ، ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ

فلم يصنع فى الهجاء شيئاً . فدعا حسَّان بن ثابت فقال : أُهْجُهم ، وأْتِ أبا بكر يُخْبِرْكَ . أىْ بمعائِبِ القَوْم . وكان أبو بكر عَلاَّمةَ قُرَيش ، وكان جُبَيْر بن مُطْعِمٍ أَخذ العلمَ عن أبى بكر .

٢٤٨ — شعبة ، عن عدىّ بن ثابت الأنصارىّ : أنه سمع البَرَاءَ بن عازب الأنصارىّ يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُهجُهم — أو هاجِهِمْ — وجبْرِيلُ معك .

٢٤٩ — قال ابن جُعْدُبة فى حديثه : وأَخْرَج حسّان لسانه حتى ضَرَبَ على صَدْرِه وقال : والله يا رسُولَ الله ، ما أحبُّ أنّ لِى به مِقْوَلاَن فِى العَرَب . فصَبَّ على قريشٍ من شآبيبَ شرّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُهجُهُم ، كأنّك تنضَحُهم بالنَّبْلِ](١) .

٢٥٠ — ومن شعره الرائع الجيِّد ، ما مدحَ به بنى جَفْنة من غَسَّانَ ، ملوكَ الشّام فى كلمة :

للهِ درُّ عِصابةٍ نادَمْتُهُمْ يوماً بجِلَّقَ فى الزّمان الأوّلِ(٢)

---

(١) المقول : اللسان يقول فيجيد القول . الشآبيب جمع شؤبوب : وهو دفعة المطر فيها برد . نضح القوم بالنبل نضحاً : رشقهم به رشقاً متفرقاً . أمره بأن يجرحهم جرحاً لا يبلغ الطعن البعيد الفاحش . وهذا أكرم الأدب فى الهجاء .

(٢) ديوانه : ٣٠٨ فى خبر ساقه فى شأنها . جلق : دمشق أو ربض من أرباضها ، كثيرة الحدائق

يَسْقون مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهمُ ... خمرًا تُصَفَّق بالرَّحِيق السَّلْسَلِ (١)

يُغشَوْن ، حتَّى ما تَهِرُّ كِلابُهُمْ ، ... لا يَسْأَلون عن السَّوادِ المُقْبِلِ (٢)

أوْلادُ جَفْنةَ عِنْدَ قَبْرِ أبِيهِمُ ... قَبْرِ ابْنِ مارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ (٣)

٢٥١ — وقال فى الكلمة الأخرى الطَّوِيلة :

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمعْنَ فى الضُّحَى ، ... وأسْيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمًا (٤)

[أبَى فِعْلُنا المعروفَ أنْ نَنْطِقَ الخنا ... وقائِلُنا بالعُرْفِ إلَّا تَكَلُّمًا] (٥)

٢٥٢ — وقوله :

وإن امْرءًا أمْسَى وأَصْبَح سَالِمًا ... من الناس ، إلَّا ما جَنَى ، لَسَعِيدُ (٦)

---

(١) البريص : نهر دمشق ، أو الغوطة . صفق الشراب : حوله من إناء إلى إناء حتى يصفو . والرحيق : أعتق الخمر وأفضلها . والسلسل : اللين الصافى ، الذى إذا شرب تسلسل فى الحلق من لطفه . وكأنهم كانوا يمزجون بعض الخمر بالخمر ، لاختلاف أنواعها . وفى البيت روايات أخرى .

(٢) هر الكلب يهر هريراً : نبح ، وهو يفعل ذلك إذا رأى غريباً لم يألفه . والسواد : شخص كل شىء ، تراه من بعيد لا تكاد تتبينه ما هو . يذكرهم بالكرم ، حتى ألفت كلابهم غشيان الضيوف فهى لا تنبح أحداً . وبالسماحة والنبل والرزانة ، فلا يشغلهم سواد مقبل من بعيد ، فيسألون ما هو ، فإنه ضيف على الرحب والسعة .

(٣) جفنة بن عمرو مزيقياء ، جد ملوك غسان . وأبوهم هنا الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ملك الشام . وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة . والمفضل ، من أفضل الرجل على فلان : إذا أحسن وأنال من فضله وتطوله ، حتى يبلغ الغاية .

(٤) ديوانه : ٣٧١ . الجفنات جمع جفنة : وهى القصعة الكبيرة . والغر : البيض المتلألئة . يذكر كرمهم وعناية طباخيهم بإعداد أداة الطعام للناس عامة . والنجدة : الشجاعة وسرعة المبادرة إلى من استغاث بك . يذكر بأسهم وكثرة قتالهم ، وإجابتهم دعوة كل ملهوف أو مهضوم .

(٥) الخنا : الفحش وقبيح الكلام . المعروف : الإحسان الجميل وكل ما تعرفه النفس من الخير والمروءات ، فتطمئن إليه وترتاح . يقول : نزهنا فعل المعروف عن فحش الألسنة ، فلا ينطق ناطق منا إلا بجميل القول وكريمه .

(٦) لهذا البيت قصة مذكورة فى ديوانه : ١٤١ — ١٤٢ ، وهو من الأبيات التى تنازعتها الشعراء .

٢٥٣ — ولما قال للحارث بن عوف بن أبى حارثة [المرّىّ]:

وأمانة المرّىّ حيث لقيته   مثل الزجاجة صدعها لم يجبر (١)

قال الحارث: يا محمد، أجرنى من شعر حسّان، فوالله لو مزج به ماء البحر مزجه. وأشعار حسّان وأحاديثه كثيرة.

* * *

٢٥٤ — وكعب بن مالك، شاعر مجيد. قال يوم أحد فى كلمة:

فجئنا إلى موج من البحر وسطه   أحابيش، منهم حاسر ومقنّع (٢)
ثلاثة آلاف، ونحن نصيّة   ثلاث مئين، إن كثرنا، وأربع (٣)
فراحوا سراعًا موجفين، كأنهم   جهام هراقت ماءه الريح مقلع (٤)
ورحنا وأخرانا بطاء، كأننا   أسود على لحم ببيشة ظلّع (٥)

---

(١) كان الحرث بن عوف قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً، فأرسل معه رسول الله رجلا من الأنصار إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فقتلوه، ولم يستطع الحارث أن يدافع عنه. فهجاه حسان، فجاء الحارث يعتذر إلى رسول الله، وقال ما قال.

(٢) روى لنا قصيدته ابن هشام فى سيرته ٣ : ١٣٩ — ١٤٢. أحابيش قريش: وذلك أن بنى المصطلق وبنى الهون بن خزيمة اجتمعوا فى الجاهلية عند جبل بأسفل مكة يقال حبشى (بضم فسكون وبياء النسبة) فحالفوا قريشا، وتحالفوا بالله: إنا ليد على غيرنا، ما سجا ليل ووضح نهار، وما رسا حبشى مكانه. فسموا أحابيش قريش باسم الجبل. وقد ساقت قريش أحابيشها لموقعة أحد، وكان مع قريش فى سبعمئة دراع. الحاسر: الذى لا درع له ولا بيضة على رأسه. والمقنع: الدارع الذى دخل فى سلاحه، ولبس البيضة على رأسه.

(٣) ثلاثة آلاف، عدة قريش يوم أحد. وعدة المسلمين: سبعمئة. والنصية: الخيار والأشراف. ومنه انتصى الشىء: اختاره، كأنه اختار نواصيه وأكرم ما فيه.

(٤) أوجف يوجف: أسرع، من الوجيف: وهو سير سريع مضطرب. والجهام: السحاب الخفيف الذى أفرغ ماءه. يقول: انقلبوا راجعين خائفين مسرعين كأنهم سحاب خفيف أراق ماءه، فضربته الريح فانكشف وأقلع مسرعاً.

(٥) وأما نحن فعدنا بعد القتال مطمئنين نسير بطاء، كأننا أسود أكلت حتى تضلعت من فرائسها، فهى تمشى مثقلة تغمز فى سيرها. والظلع: غمز فى المشية كبعض سير الأعرج. وبيشة: مسبعة فى واد كثير الشجر على خمس مراحل من مكة فى طريق اليمن.

٢٥٥ — وقال كعب فى أيّام الخَنْدَقِ :

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُرَعْبِلُ بعضُه ... بَعضًا كَمَعْمَعَةِ الأَبَاءِ المُحْرَقِ (١)

فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً تُسَلُّ سُيوفُها ... بَيْنَ المَذَادِ وبَيْنَ جِزْعِ الخَنْدَقِ (٢)

٢٥٦ — وقال بعد ذلك فى كلمةٍ أيضاً :

قَضَيْنا من تِهامَةَ كلَّ وِتْرٍ ... وخَيْبَرَ، ثُمّ أَحْجَمْنا السُّيُوفا (٣)

نُخَيِّرُها ، ولو نَطَقَت لقالتْ ... قَوَاطِعُهُنَّ : دَوْسًا أو ثَقِيفا (٤)

فَلَسْتُ لِحَاصِنٍ إنْ لَمْ تَرَوْهَا ... بساحَةِ دارِكم مِنَّا أُلُوفا (٥)

---

(١) رواها ابن هشام فى سيرته ٣ : ٢٧٣ — ٢٧٥ ، رعبله بالسيف : قطعه ومزقه . والمعمعة : صوت لهب النار فى القصب والسعف الموقد . والأباء : أجمة القصب . يصف اختلاط أصوات السيوف والكماة ووقع أقدام الخيل وتداعى الناس فى المعركة .

(٢) أرض مأسدة : كثيرة الأسود ، تسكن أجمها وقصبها . والمذاد : موضع بالمدينة عنده حفر الخندق ، فى يوم الأحزاب . وجزع الوادى : جانبه ومنعطفه . ويروى « تسن سيوفها » .

(٣) رواها ابن هشام فى سيرته ٤ : ١٢١ — ١٢٣ . قالها بعد مرجع رسول الله من حنين ، وفى مسيره إلى الطائف . تهامة هى الأرض المنخفضة التى تساير البحر قبل مكة . وأراد موقعة حنين بها . الوتر : الثأر . وقضى وتره : أدركه . وفى ابن هشام « ثم أجمنا » ، أى أرحناها . وفى المطبوعتين « أغمدنا » . والذى فى المخطوطة بين : « أحجمنا »، وإن كان أهل اللغة يقولون : حجمته عن الشىء فأحجم هو : كففته فكف هو . وأنا لا أرى بأساً فى أن يكون جعل « أحجم » متعدياً ، بمعنى حملها على الإحجام والكف . وأظن أن ما نقله صاحب اللسان عن ابن سيده : « وربما قيل فى الشعر فلان يحجم فلاناً عن الأمر ، أى يكفه » . هو هذا نفسه ، وإن كان قد ضبطها فى المطبوعة بفتح الياء والجيم ، مضارع الثلاثى . وانظر التصحيف والتحريف للعسكرى : ٢٦ .

(٤) دوس وثقيف : هما القبيلتان المشهورتان ، ومنزلها الطائف .

(٥) فى المطبوعتين ، وفى السيرة « لحاضن » بالضاد المعجمة . وهى فى المخطوطة بالصاد ، وهذا هو الصواب وسيأتى مثلها فى فقرة : ٢٦٥ والحاصن والحصان : المرأة العفيفة الكريمة . يقول : لست ولد هذه الحصان العفيفة ، إذا لم أحقق ما أتوعدكم به من الشر .

فَننتَزِعُ العُرُوشَ ببطْنِ وَجٍّ ، وَنترُكُ دارَكُم منَّا خُلُوفا[١]

[ونُرْدِى اللَّاتَ والعُزَّى وودًّا] ونَسْلُبُها القَلائِدَ والشُّنوفا[٢]

٢٥٧ — حدثنى عُمر بن مُعاذ التَّيمى المَعْمرى وغيره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك : أترى الله نَسِىَ [لك] قولك :

زَعمتْ سَخِينةُ أنْ ستَغلِبُ ربَّها ، ولَيُغلَبنَّ مُغالِبُ الغَلَّابِ[٣]

٢٥٨ — وكان أحدَ الثَّلاثة الَّذين تخلَّفوا عن تبُوك ، هو وهِلال ابن أُمَيّة ومُرارة بن الرَّبِيع ، فتاب الله عليهم ، كما قصَّ فى سورة بَراءة[٤].

[ويروى أن قومَه قالوا فى ذلك : لو اعتذرتَ إلى رَسُول الله صلى الله عليه وسلّم ببعض ما يعْتذِر به الناس ، عَذَرك . قال : إنى لَأَصْنعُهم لِسانًا وأقدرُهُمْ على ذلك[٥] ، ولكنْ والله لا أَعْتذِر إليه بكَذِب وإن عَذَرنى ، فيُطْلعه الله عليه . فيقال : إن الله عز وجلّ أنزل فيه : « يا أيُّها

---

(١) عرش الكرم : ما تدعم به قضبان الكرم . والجمع عروش . ووج : هى الطائف ونواحيها ، وهى كثيرة الأعناب مشهورتها . يهددهم باقتلاع كرومهم وإحراقها . أما الشطر الثانى فهكذا جاء فى ابن سلام ، وأنا شديد الشك فيه . ورواية السيرة « وتصبح دوركم منكم خلوفاً » ، وهى أجود قليلا . يقال : حى خلوف ، فارقه الرجال ولم يبق غير النساء . يقول سنقتل رجالكم وتئيم نساؤكم فى دوركم .

(٢) أصنام فى الجاهلية ، هدمها الله بالإسلام . والعزى كانت تقلد القلائد ، وهى السموط . والشنوف جمع شنف (بفتح فسكون) ، وهو القرط الأعلى يلبس فى قوف الأذن ، أما القرط فى شحمة الأذن فهو الرعثة ، وجمعه رعاث . وفى المطبوعتين : « ونهدم ما بنات اللات منكم » ، وليست بشىء .

(٣) القصيدة رواها ابن هشام فى سيرته ٣ : ٢٧١ — ٢٧٣ فى أمر الخندق ، ويرد على ابن الزبعرى . وقد مضى الكلام فى تلقيب قريش « سخينة » فقرة ١٣٦ رقم ٥ : .

(٤) سورة التوبة : ١١٨ .

(٥) يقال رجل صنع اللسان (بفتحتين) ، يقال للشاعر ولكل مبين ، أى حاذق بليغ اللسان.

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » (سورة التوبة : ١١٩) .
وشهِد العَقَبة ولم يشهَدْ بدراً] .

* * *

٢٥٩ — وعبدُ الله بن رَوَاحة ، عظيمُ القَدْر فى قومه ، سيِّدٌ فى الجاهليّة ، ليس فى طَبَقته التى ذكرنا أَسْوَدُ منه . شهد بدْراً[١] . وكان فى حروبهم فى الجاهلية يُناقض قَيْسَ بن الخطيم . وكان فى الإسْلاَم عظيمَ القَدَر والمكَانة عندَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٦٠ — [وقال عبدُ الله بن رَوَاحة ، وقد أخذَ بزِمَام ناقةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عُمْرة القَضَاء ، يَقُودها ، وقد اجتمع أهلُ مَكَّة وغِلْمانُهم ينظرُون إليه ، وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الكُفَّار عن سَبيلِهِ ، خَلُّوا، فكلُّ الخيرِ معْ رَسُولِهِ[٢]
نَحنُ ضَرَبنا كُمْ على تَأْوِيلِهِ كما ضَربنَا كُمْ على تَنْزِيلِهِ[٣]

(١) أسود منه : أقعد منه فى السؤدد والشرف . وانظر فقرة : ٣٢ رقم : ٣ .

(٢) عمرة القضاء ، فى ذى القعدة سنة سبع من الهجرة . والرجز رواه ابن هشام بزيادة واختلاف ٤ : ١٣ ، وابن سعد ٣ / ٢ : ٨٠ .

(٣) قال ابن هشام : « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات ، لعمار بن ياسر فى هذا اليوم . والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقروا بالتنزيل . إنما يقتل على التأويل ، من أقر بالتنزيل » . وانظر رجز عمار بن ياسر فى كتاب وقعة صفين : ٣٨٦ . وهذا خطل من القول ، تهاوى فيه المؤلفون على سقطات ابن هشام . ليس المراد بالتأويل فى البيت تفسير الكلام الذى تختلف معانيه ، بل التأويل هنا هو ما يؤول إليه نبأ الله لنبيه ، ومصير المؤمنين إلى ما وعدهم به ، كما فى قوله تعالى « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله » . وقول عبد الله إشارة إلى ما كان فى عمرة الحديبية فى ذى القعدة سنة ست — قبل عمرة القضاء بسنة — من خروج رسول الله إلى عمرته وساق الهدى ، لرؤيا رآها صلى الله عليه وسلم ، أنه دخل البيت آمنا ، وحلق رأسه ، وأخذ مفتاح الكعبة وعرف مع المعرفين . فلما رجع عن دخول مكة بصلح الحديبية ، فتن المسلمون ، وكرهوا

ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عن مَقِيلِهِ   ويُذْهِلُ الخليلَ عن خَلِيلِهِ[١]

٢٦١ — وأرسلَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن رَوَاحة، عند مُنْصَرَفه من العُمْرة، فَخَرَصَ على أهل خَيْبر، فقال لهم لمّا شَكَوْا الخَرْص: فنحنُ نأخُذها بذلك. قالوا: بهذا قامتِ السَّموات والأرضُ][٢].

٢٦٢ — و[قد] روى عُمَر بن أبي زائدة قال سمعت مُدْرِكَ ابن عُمَارة بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط يقول[٣]: قال [عبد الله] بن رواحة: مررتُ بمَسْجِد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى نَفَرٍ من أصحابه، فأَضَبَّ القومُ[٤]: يا عبدَ الله بنَ رواحة! يا عبد الله بن رواحة! فعرفت أنّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم دَعانى، فانطلقتُ إليهم مسرِعاً، فسلمتَ، فقال: هٰهُنا. فجلستُ بين يَدَيه فقال — كأنه يتَعجَّب من

الصلح حتى كرهه عمر بن الخطاب. فأنزل الله على رسوله «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا». فمن عامقابل أمر رسول الله أصحابه أن يعتمروا قضاء عمرتهم، ولا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية. فهذا هو التأويل، وما صارت إليه موعدة الله لرسوله. وسقط قول ابن هشام.

(١) الهام جمع هامة: وهى الرأس. ومقيل الرأس: مغزره بين الكتفين.

(٢) الخرص: تقدير ما على الشجر من الثمار بالظن لا بالإحاطة. ورواية ابن سلام للخبر مختصرة غير واضحة، وهى فى كتب السير وغيرها، ورواها أحمد فى المسند ٣: ٣٦٧ عن جابر بن عبد الله وأن ابن رواحة قال: «يا معشر اليهود، أنتم أبغض خلق الله إلى، قتلتم أنبياء الله عز وجل، وكذبتم على الله، وليس يحملنى بغضى إياكم على أن أحيف عليكم. قد خرصت ألف وسق من تمر. فإن شئتم فلكم، وإن أبيتم فلى. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض. قد أخذنا، فاخرجوا عنا».

(٣) فى الأصول: «مدركة بن عمارة»، والتصحيح من ابن سعد ٣/٢: ٨٠.

(٤) أضب القوم: صاحوا وجلبوا وتكاملوا متتابعاً.

شِعْرِى : كيف تقولُ الشِّعْرَ إذا قُلْتَ ؟ قلتُ : أنظر فى ذلك ثُمَّ أقول . قال : فعلَيْك بالمشركين . قال : فلم أكنْ أعددْتُ شيئًا ، فأنشدته [فلما قلت] :

فَخَبِّرُونى أَثْمانَ العَبَاءِ ، متى
كُنْتُم بَطَاريقَ ، أودَانتْ لكم مُضَرُ[١] ؟

قال : فكأنى عرفْتُ فى وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهةَ أنْ جعلْتُ قومه أَثمانَ العَباء ، فقلت :

نُجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عُرُضٍ فَنَأْسِرُهُم ، فِينَا النَّبىُّ ، وفينَا تَنزِلُ السُّوَرُ[٢]
وقد علمتم بأنَّا ليسَ غالِبَنَا حىٌّ من الناس ، إنْ عَزُّوا وإن كَثُرُوا
يا هَاشِمَ الخيرِ إنَّ اللهَ فضَّلَكم عَلَى البَرِيَّة فَضلاً مَالَهُ غِيَرُ[٣]
إنّى تَفَرَّسْتُ فِيكَ الخيرَ أعرِفُهُ فِراسةً خَالَفتْهم فِى الّذى نَظَرُوا
ولوْ سألتَ أَوِ اسْتَنْصَرتَ بَعْضَهم فى جُلِّ أَمْرِكَ ما آوَوْا وما نَصَرُوا[٤]
فَثبتَ اللهُ ما آتاكَ من حَسَنٍ تَثْبِيتَ مُوسى ، ونَصْرًا كالّذِى نُصِرُوا[٥]

فأقبلَ علىَّ بوجهه متبسمًا . ثم قال : وإيَّاكَ فَثَبَّتَ الله .

---

(١) رواه الآمدى فى المؤتلف والمختلف : ١٢٦ . وابن سعد فى الطبقات ٣/٢ : ٨١ . وهو يهجو بنى عمر بن مخزوم وغيرهم من قريش ، العباء : كساء جاف غليظ ، فجعلهم أثمان العباء ، فى الخسة . البطاريق جمع بطريق : القائد الحاذق بالحرب وأمورها .

(٢) هذا البيت والذى يليه ، لم يرد فى الآمدى ولا ابن سعد . وأما ابن هشام فروى البيت الرابع والسادس فى ٤ : ١٦ . وجالد بالسيف : ضارب به . ويقال : خرجوا يضربون الناس عن عرض : أى عن شق وناحية لا يبالون من ضربوا .

(٣) الغير : التغيير والتغير ، وهو اسم بمنزلة عنب ، وليس له مفرد .

(٤) بعضهم : يريد بنى عمر بن مخزوم ومن هجا من قريش . والأبيات غير متسقة الترتيب .

(٥) رواية ابن هشام والآمدى « فى المرسلين ونصراً كالذى نصروا » .

٢٦٣ — وأرْسَله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى مُؤْتَة ثالثَ ثَلاثةِ أُمَرَاءَ : زيد بن حَارِثة ، وجَعْفر بن أَبى طالب ، وابن رَوَاحة . فلما قُتِل صاحباه كأنه تَكرَّه الإقْدَام فقال :

أقْسمتُ يا نفسُ لَتنزلِنَّهْ ... طائِعةً أوْ لَتُكْرَهِنَّهْ [١]

[وَطَالما قدْ كُنْت مُطْمَئِنَّهْ] ... مَالِى أراكِ تَكرَهِينَ الجنَّهْ ؟

فقُتِلَ يوْمئذٍ .

* * *

٢٦٤ — وأبو قَيْس بن الأَسْلت ، وهو شاعرٌ مُجيدٌ ، وهو الذى يقول فى حَرْب بينهم وبين الخزْرَج :

قدْ حَصَّتِ البَيْضَةُ رأسِى فما ... أَطْعَمُ نوْماً غيرَ تهْجَاعِ [٢]

أَسْعَى على جُلِّ بنى مَالكٍ ، ... كلُّ امْرِىءٍ فى شَأْنه سَاعِ [٣]

٢٦٥ — [وهو يقول فى قصيدة :

فلسْتُ لحاصنٍ إن لم تَرَونَا ... نُجالدكم كأَنَّا شَرْبُ خَمْرِ [٤]

مَلَكْنا الناسَ ، قدعلمتْ مَعَدٌّ ، ... فلم نُغْلَبْ ، ولم نُسْبَق بِوِتْرِ [٥]

---

(١) ابن هشام ٤ : ٢١ ، ابن سعد ٣/٢ : ٨٢ .

(٢) المفضليات : ٥٦٤ . والحرب التي كانت ، حرب بعاث ، حصت رأسه : أذهبت شعره وجردته . والبيضة : من أداة الحرب ، لباس من حديد للرأس . هجع هجوعاً وتهجاعاً : نام نومة خفيفة من أول الليل .

(٣) سعى على عياله : قام بأمرهم وتصرف لهم . وجل الشيء : أكثره . وبنو مالك ؛ هم بنو مالك بن الأوس بن حادثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، قوم أبى الأسلت .

(٤) هكذا رواها ابن سلام ، لأبى قيس بن الأسلت ، ولم أجدها له . بيد أنى وجدتها فى شعر قيس بن الخطيم ديوانه : ٣٣ فى قصيدة له قالها فى يوم مضرس ومعبس. قوله : «لحاصن» انظر رقم : ٢٥٦ .

(٥) لم نسبق بوتر : لم يفلتنا من نسعى فى الثأر منه .

هَمَمْنا بالإقامةِ ثم سِرْنا بسَيْرِ حُذَيْفَةَ الخيْرِ بن بَدْرِ[(١)]

٢٦٦ — وذكَروا أنه أقْبل يُرِيد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له عبد الله بن أُبَيّ : خِفتَ واللهِ سُيوفَ الخزْرج ! قال : لا جَرَم. [والله] لا أُسْلم حوْلاً. فمات في الحوْل.

* * *

٢٦٧ — وقَيْسُ بن الخطِيم شاعرٌ، فمن الناس من يُفضِّله على حَسَّان [شعراً] ؛ ولا أقولُ ذلك. وهُو الذى يقول يومَ بُعَاث :

أتعرفُ رَسْماً كاطِّرادِ المَذاهِبِ لِعَمْرَةَ، قفْراً غيرَ مَوْقِفِ راكبِ[(٢)]

يعنى عَمْرة بنت رَوَاحة، أختُ عبد الله بن رَواحة، وهى أمُّ النُّعْمانِ بن بَشِير [الأنصارىّ] :

دِيارُ الَّتى كادتْ ونَحنُ على مِنًى ، تَحُلُّ بنا، لَوْلا نَجاءُ الرَّكائبِ[(٣)]

تَراءتْ لَنا كالشَّمْسِ تحتَ غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحَاجِبِ

ولَمْ أَرَهَا إلَّا ثَلاثاً عَلَى مِنًى ، وعَهْدِى بها عَذْراءَ ذاتَ ذَوائبِ

---

(١) حذيفة بن بدر الفزارى ، وهذا البيت مدح له ، إلا أنى رأيت قيساً هجاه فى شعره بعد فى ديوانه : ٣٤ .

(٢) ديوانه : ١٠ . الرسم : ما شخص من آثار الديار بعد البلى . والمذاهب جمع مذهب (بضم الميم وفتح الهاء) : جلود تجعل فيها خطوط فيرى بعضها فى إثر بعض فكأنها متتابعة . واطرادها ، تتابعها ، كما يطرد الماء بعضه فى إثر بعض . يستنكر ما أصاب الدار حتى أنكرها ، و بقيت رسومها بعد المطر والرياح ترى من بعيد كأنما يطرد بعضها فى إثر بعض ، وأقفرت لولا موقف هذا الراكب الذى عاج عليها . يعني نفسه .

(٣) تحل بنا : تجعلنا نحل وننزل ، عاقبت الباء الهمزة . حل به المكان وأحله المكان : أنزله . والنجاء : سرعة السير . يقول : كادت عزة أن تحملني على الإقامة أبداً فى منى ، من شدة فتنتى بها وحبي لها ، ولولا نفرة الناس عن منى بعد قضاء حجهم وتفرقهم إلى بلادهم ، لكنت خليقاً أن أقيم .

وَمِثْلِكِ قَدْ أَصْبَيْتُ لَيستْ بكَنَّةٍ ... ولا جارةٍ ولا حَلِيلةِ صاحب (١)
أَرِبْتُ بدَفْعِ الحرْبِ ، حتّى رأيتُها ... عَلَى الدَّفْعِ لا تزْدَادُ غيرَ تقارُبِ (٢)
فلمَّا رأيْتُ الحرْبَ حرْباً تجرَّدتْ ... لبستُ مع البُرْدَيْنِ ثوبَ المُحاربِ (٣)
مُضاعَفةً يغشَى الأَنامِلَ رَيْعُهــا ... كأَنَّ قَتِيرَها عُيُونُ الجنادِبِ (٤)
إذَا ما فَرَرْنَا كانَ أَسْوَا فِرارِنا ... صُدودُ الخُدودِ وازْوِرارُ المناكبِ (٥)

٢٦٨ — وهو الذى يقول :

تَرَاءَتْ لنا يومَ الرَّحيل بمُقْلَتَىْ ... غَريرٍ بمُلْتَفٍّ مِنَ السِّدْرِ مُفْرَدِ (٦)
وَجِيدٍ كجِيدِ الرِّئْمِ حالٍ، يَزِينُهُ ... عَلَى النَّحْرِ مَنْظُومٌ وفَصْلُ زَبَرْجَدِ (٧)

---

(١) أصبى المرأة يصبيها ، فتنها وحملها على الصبوة واللهو والغزل . تمدح بفتنة أمثالها وإصبائهن ، ثم تنزه عن أن يفعل ذلك بكنة ، وهى امرأة الأخ ؛ وبالجارة ، وهى التى نزلت فى جواره وحماه ، وبحليلة صاحبه ، وهى زوجته . وهذا خلق الجاهلية التى يعيبها من لا يحسن الفهم من أهل زماننا .

(٢) أرب بالشىء : بلغ فيه جهده وغاية دهائه وفطنته . يقول بذلت جهدى واجتهدت حيلتى فى دفع هذه الحرب .

(٣) تجردت : تعرت وألقت قناعها وتكشفت عن هولها . البردان : ثياب الناس فى السلم ، وثوب المحارب : درعه . يقول : لما رأيت الحرب قد تعرت بهولها ، عجلت فلم أبال أن أخلع ثياب السلم التى كنت أسعى فيها فى الصلح ، ولبست درعى للقتال .

(٤) رواية المطبوعتين : « ذيلها » وهو خطأ محض ، ورواية الديوان « فضلها » ولا بأس بها . وريع الدرع : فضول كميها على أطراف الأنامل . والقتير رؤوس مسامير الدرع . والجنادب جمع جندب : ضرب من الجراد . وعيون الجراد قائمة بارزة براقة .

(٥) « أسوا » سهل أسوأ . يصف قومه بالصبر فى القتال والجرأة عليه ، وما هو إلا صدود بالخد وميل بالمنكب ، للتمكن من ضرب العدو أو طعنه أو اتقائه .

(٦) ديوانه : ٢٠ . تراءت لنا : تعرضت لنا لنراها . والغرير : ولد الظبية الشادن من الغرة ، وهى قلة التجربة . والسدر : ضرب من شجر النبق . يقول : إنها تنظر إليهم بعينين ساجيتين بريئتين مذعورتين كعينى الشادن الغرير أودعته أمه بين أغصان السدر مفرداً وحيداً ، فذلك أشد لذعره مع غرارته .

(٧) الرئم : الظبى الخالص البياض . والظبى أحسن الحيوان جيداً فى طوله ورقة تلفته . يقول : على جيدها حلى من الدر منظوم يفصل بين حباته حب الزبرجد .

كأنَّ الثُّرَيَّا فوقَ ثُغْرَةِ نَحْرِها ... تَوَقَّدُ فى الظَّلْماءِ أىَّ تَوَقُّدِ (١)
وإنِّى لَأَغْنَى النَّاس عَنْ مُتَكلِّفٍ ... يَرَى النَّاسَ ضُلَّالاً ولَيْسَ بِمُهْتَدِى
أُكَثِّر أهْلِي من عِيالٍ سِوَاهمُ ... وأَطْوِى على الماءِ القَرَاحِ المُبَرَّدِ (٢)

٢٦٩ — وقال :

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ القيس طَعْنَةَ ثائرٍ ... لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا الشَّعاعُ أَضاءَها (٣)

٢٧٠ — وكان قيس مُقيماً على شِرْكه ، وأسْلمت امْرأته ، وكان يقال لها حَوَّاء ، وكان يَصُدُّها عن الإسلام ويَعْبَثُ بها ، يأتيها وهى ساجدةٌ فيَقلبها على رأسها . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكّة قبل الهِجْرة ، يَسْأَلُ عن أمور الأَنصار وعنْ حالهم ، فأُخْبر بإِسْلامها ، وبما تَلقَى من قيس . فلمّا كان المَوْسِم ، أتاهُ النبى صلى الله عليه وسلم فى مِضْرَبه (٤) ، فلما رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رَحَّب به وأعْظَمه . فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : إنّ امرأتك قد أَسْلَمتْ ، وإِنك تُؤْذِيها ،

---

(١) الثريا : نجوم متدانية شديدة البريق . وثغرة النحر : تلك الهزمة التى بين الترقوتين كأنها نقرة . يصف هذا المكان من جيدها ، يكاد يضيء من صفائه عند مجرى الحلق . وهو كذلك إذا رأيته فى المرأة الرقيقة الصافية .

(٢) هذا بيت لم يروفى ديوانه . يتمدح ببره بالفقير والجار فى زمن الجدب والشتاء ، فهو يشركهم مع عياله فى زادهم ، ويجوع هو ، فلا يطوى بطنه إلا على الماء الخالص مع شدة برده زمن الشتاء .

(٣) ديوانه : ٥٠٣ . أبيات مختارة من عيون الشعر ، قالها فى ثأره لمقتل أبيه وجده وهو صغير . قتل أباه رجل من الخزرج ، هو ابن عبد القيس هذا . والنفذ : المنفذ . يعني أنها طعنة نجلاء فتقت جلده فتقاً رغيباً ، لولا الشعاع ، وهو ما يتطاير من سنن الدم وانتشاره ، أضاء جوفها نور النهار . والفاعل فى « أضاءها » مردود إلى مفهوم من السياق ، وهو الضوء والنور .

(٤) المضرب : الفسطاط العظيم .

فأُحِبّ أن لاَ تعرض لَهـا . قال : نَعَمْ وكَرَامة يا أبا القـاسم ، لستُ بعـائدٍ فى شىءٍ تكرهُه . فلما قَدِمَ المدينةَ قال لهـا : إنَّ صاحِبَك قدْ لَقينى فطلَب إلىَّ أن لاَ أَعْرِض لكِ ، فَشَأْنَكِ وأَمْرَكِ .

شعراء مكة

وبمكَّةَ شُعَراءُ ، فأبرعُهم شعراً :

٢٧١ — عبدُ الله بن الزِّبَعْرَى بن قَيْس بن عَدِيّ [بن رَبِيعة بن سَعْد] بن سَهْم(١) .

٢٧٢ — وأبو طَالب بن عبدِ المُطَّلِب ، شاعرٌ .

٢٧٣ — [والزُّبَيْر بن عبد المطَّلِب ، شاعرٌ](٢) .

٢٧٤ — وأبو سُفْيَان بن الحارث ، شاعرٌ .

٢٧٥ — ومُسَافر بن أبى عَمْرو بن أُمَيَّة ، شاعر(٣) .

٢٧٦ — وضِرَار بن الخَطَّاب [الفِهْرِىّ] ، شاعرٌ .

٢٧٧ — وأبو عَزَّة الجُمَحِىّ ، شاعرٌ ، واسمه عَمْرو بن عَبْد الله(٤) .

---

(١) الذى بين القوسين فى المطبوعتين ، وليس فى المخطوطة . وهو نص مشكل ، ولكنى تركته على حاله ، وإن كان خطأ فيما أرجح . وجميع كتب التراجم والرجال والأنساب تقول : « عدى بن سعد ابن سهم » ، وليس فيها « بن ربيعة » .

(٢) ذكر الزبير بن عبد المطلب ، ساقط من المطبوعتين ، وهو مذكور بعد ، رقم : ٢٨٧ .

(٣) مسافر بن أبى عمرو ، مذكور فيها جميعاً . ولكن لم يرد من أخباره شىء فى المطبوعتين ، وأما المخطوطة فلا أدرى ، فإنها انخرمت منذ رقم : ٢٩٨ ، فلعله كان مذكوراً فى موضع هناك .

(٤) فى الأصول : « عمر بن عبد الله » ، وهو خطأ .

٢٧٨ — وعَبْدُ الله بن حُذَافة السَّهمى ، المُمَزِّق[١] .

٢٧٩ — وهُبَيْرَةُ بن أبى وَهْب بن عَامِر بن عَائِذ بن عِمْرَان بن مَخْزُوم .

* * *

٢٨٠ — قال : حدَّثنى شُعَيْب بن صَخْرٍ وأبو بكر الزُّبَيْرِىّ المُصْعَبِىّ . قال : أصبحَ النَّاس يوماً بمكّة وعلى دار النَّدْوةِ مَكتُوب :

أَلْهَى قُصَيًّا عن المَجْدِ الأَسَاطِيرُ   ورِشْوَةٌ مثلَ ما تُرْشَى السَّفَاسِيرُ[٢]

---

(١) صحابى قديم الإسلام ، من مهاجرة الحبشة الهجرة الثانية . بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى بكتابه ، فمزق كسرى كتاب رسول الله . فقال حين بلغه ذلك من فعله : مزق ملكه . وهو الذى سأل رسول الله : من أبى يا رسول الله ؟ قال : أبوك حذافة بن قيس ، أنجبت أم حذافة ، الولد للفراش . فقالت له أمه : أى بنى ! لقد قمت اليوم بأمك مقاماً عظيما ! فكيف لو قال الأخرى ؟ قال : أردت أن أبدى ما فى نفسى . وكانت فيه دعابة ، رضي الله عنه وغفر له. مات فى خلافة عثمان. لم أجد له إلا قليل شعر ورجز . ولم أعرف فيم لقب « الممزق » ولكن ابن سلام أعلم وأوثق . ولم يذكر فى المطبوعتين شيء من خبره أو شعره ، والمخطوطة قد انخرمت منذ رقم : ٢٩٨ ، فلا أدرى أكان فيما سقط منها شيء من خبره أو شعره أو لم يكن .

(٢) قصى : أراد بنى عبد مناف بن قصى بن كلاب ، وكان فى بنى عبد مناف البيت والشرف . والأساطير جمع أسطورة : وهى أباطيل الأحاديث والأقاويل تؤلف وتنمق . ولعله أراد بذلك ما تعارفته قريش من غلبة قصى على أمر مكة بعد إخراجه خزاعة وبنى بكر من مكة ، وولايته البيت ، وتجميعه قبائل فهر فسمى مجمعاً ، وتمليك قومه له ، واتخاذه دار الندوة التى كانت قريش تقضى فيها أمورها ، إلى غير ذلك مما يذكرونه فى مناقبه . والسفاسير جمع سفسير : وهو السمسار الذى يدخل بين البائع والمشترى متوسطاً لإمضاء البيع . وأراد بالرشوة ، ما فرضه قصي على قريش فى أموالها عند كل موسم من الحج ، فكانوا يخرجون كل عام من أموالهم خرجاً يدفعونه إلى قصى فيصنع طعاماً للناس أيام منى ، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد ، فجرى ذلك من أمره أيام الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ، ثم جرى الإسلام عليه ، فيصنع السلطان طعاماً للحاج بمنى حتى ينقضى الحج . وهذا الذى يعرف باسم « الرفادة » . فسمى ابن الزبعرى هذه المكرمة رشوة .

هذا ولم أجد البيتين إلا فى هذا المكان فيما علمت ، إلا البيت الأول رواه صاحب الروض الأنف ١ : ٩٤ عن ابن إسحق فى رواية يونس عنه . ورواية الشطر الثانى :

« ومِشْيَة مثل ما تَمْشِي الشَّقَارِير »

ولم أعرف لقوله « الشقارير » معنى، ولم أتبين له تصحيفاً، ولعله « السفاسير » ، وأراد بقوله ذلك، سعى السمسار بين البائع والمشترى . يعير بنى قصى بهذه الرفادة التى يسعون فى جمعها من قريش .

وأَكْلُها اللَّحْمَ بَحْتاً لا خَليطَ لَهُ   وقَوْلُها: رَحلتْ عيرٌ، أَتَتْ عِيرُ (١)

فأنكر النَّاسُ ذلك، وقالوا: ما قالها إلّا ابنُ الزِّبَعْرَى! وأجمع على ذلك رأْيُهم، فمشَوْا إلى بنى سَهْم — وكان ممّا تُنْكر قريشٌ وتُعاقِبُ عليه، أن يهجُوَ بعضُها بعضاً (٢) — فقالوا لبنى سَهْم: أدفعُوه إلينا نحْكُمْ فيه بحُكمِنا. قالوا: وما الحُكْم فيه؟ قالوا: قَطْعُ لِسانِه. قالوا: فشأْنُكم، واعلَمُوا واللهِ أَنَّه لا يهْجُونا رجلٌ منكم إلّا فَعلْنا به مثلَ ذلك (٣). والزُّبير ابن عبد المُطَّلِب يومئذٍ غائبٌ نحوَ اليَمن. فأنْتجتْ بنو قُصَىٍّ بينهُمْ فقالوا: لا نأمنُ الزُّبير إن بلَغه ما قال هذا، أنْ يقولَ شيئاً، فيُؤْتَى إليه مِثْلُ ما نأتِى إلى هذا! وكانوا أهل تناصُفٍ، فأجمعُوا على تخْلِيَتِه، فخلَّوْه. فقالَ له الناسُ، وحمَّلوه علَى قوْمه: أسلمَكَ قومُكَ ولم يمنعُوك، ولو شاؤُوا منعوك! فقال:

لَعَمْرُكَ ماجاءَتْ بنُكْرٍ عَشِيرَتِي،   وَإِنْ صَالَحَتْ إخوانَها لا أَلُومُها (٤)

---

(١) يقال، أكل اللحم بحتاً: أى صرفاً بغير خبز. يعيرهم بالفقر وقلة المال، لا يجدون غير اللحم. وأما قوله «وقولها: رحلت عير، أتت عير»، يعنى أن أبناء قصى مقيمون فى مكة لا يخرجون إلى التجارة، وإنما هم يتلقون التجار ويترقبونهم، ويسعون بينهم وبين الناس بالسمسرة.

(٢) فليعقل هذا من يتكذبون فيدعون عداوة كانت قائمة فى الجاهلية بين بنى هاشم وغيرهم من أبناء قصى، من قريش. وكذلك الخراصون! انظر قوله بعد: «وكانوا أهل تناصف». وانظر ص ٢١٧ رقم: ١

(٣) ذكر صاحب الروض الأنف ١ : ٩٤ من رواية يونس عن ابن إسحق: «فاستعدوا عليه بنى سهم، فأسلموه إليهم فضربوه، وحلقوا شعره، وربطوه إلى صخرة بالحجون، فاستغاث قومه فلم يغيثوه. فجعل يمدح قصيا ويسترضيهم، فأطلقه بنو عبد مناف منهم وأكرموه، فمدحهم بأشعار كثيرة ذكرها ابن اسحق فى رواية يونس». وهو مخالف لما ترى هنا. وليس من ذلك شىء فى رواية ابن هشام عن ابن إسحق، وهى السير المطبوعة.

(٤) النكر: الأمر المنكر القبيح، نقيض المعروف. وفى التنزيل: «لقد جئت شيئاً نكراً».

يَوَدُّ جُناةُ الغَىِّ أنّ سُيُوفَنَا ... بأَيْمَانِنَا مَسْلُولةٌ لا نَشِيمُها(١)

٢٨١ — وقال فى يوم أُحُدٍ قَصيدةً يقول فيها :

كُلُّ بُؤْسٍ ونَعِيمٍ زَائِلٌ ، ... وبنَاتُ الدّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلْ(٢)

وَالعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَنَا ، ... وسَوَاءٌ رَمْسُ مُثْرٍ ومُقِلّْ(٣)

---

(١) شام الشيف يشيمه : سله ، وأغمده . من الأضداد . وهذا البيتان من أحسن الإنصاف والعقل .

(٢) رواها ابن هشام فى سيرته ٣ : ١٤٣ ، وجاء بها ابن سلام على غير الترتيب . وبنات الدهر : صروفه وحوادثه . ولعب به الدهر وتلعب : اضطرب به فرفع مرة وخفض أخرى . وقوله « يلعبن بكل » أى يلعبن بكل أحد .

(٣) هذه رواية ابن سلام وابن إسحق مع بعض الاختلاف ، ومع تقديم البيت الثانى على الأول . وأما رواية الآمدى فى المؤتلف والمختلف : ١٣٣ فهذه هى :

كُلُّ حُسْنٍ وشبابٍ ذاهبٌ ، ... وسواءٌ قبرُ مُثْرٍ ومُقِـلّْ

والعطيَّاتُ خِسَاسٌ بيننـا ، ... وبناتُ الدَّهْرِ يلعبْنَ بكُـلّْ

لا تَذُمَّنْ بَلَدًا تكرهُهُ ، ... وإذا زَالَتْ بك الدارُ فزُلْ

وقوله : خساس : يعنى حقيرة قليلة لا خطر لها مهما عظمت ، فإن الأمر كله إلى الفناء ، ولا شىء غير الفناء . هكذا مذهب ابن الزبعرى فى جاهليته قبل أن يسلم ويؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر . وروى صاحب المخصص ٣ : ٩٣ : « والعطيات خسال » قال : أى : خساس . وقال : الخسيل من كل شىء الرذال ، والجمع خسال ، وأنشد البيت . وأما صاحب القاموس فقال : « وهذه الأمور خساس بينهم — ككتاب — أى دول » وقال ابن فارس فى المقاييس ٢ : ١٥١ « تخاس القوم الأمر ، إذا تداولوه وتسابقوه أيهم يأخذه . ويقال : هذه الأمور خساس بينهم ، أى دول » وأنشد بيت ابن الزبعرى . ولا أدرى هل يصح نقل ابن فارس أو لا يصح . ولعله مردود إلى المعنى الذى ذكرته ، أعنى أن المال مهما عظم فهو حقير قليل الشأن بينهم يتداولونه لا يمسكونه ولا يحرصون عليه ، يعنى أنهم أهل تباذل وتكارم ، لأن شأن الدنيا قليل فى أعينهم . وأنا لا أطمئن إلى أقوال ابن فارس ، إلا بحجة مؤيدة .

لَيْتَ أَشْيَاخِى بِبَدْرٍ شَهِدُوا ضَجَرَ الْخَزْرَجِ من وَقْعِ الأَسَلْ (١)
حِينَ أَلْقَتْ بِقَنَاةٍ بَرْكَهَا ، وَاسْتَحَرَّ القتلُ فى عَبْدِ الأَشَلْ (٢)

---

(١) أشياخه ببدر ، يعني من قتل من طواغيت الكفر يوم بدر . وأكثر الرواية فى السيرة وغيرها ، وفى المطبوعتين : « جزع الخزرج » . والأسل : الرماح ، وهو فى الأصل نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق ، أطرافها محددة ، وليس لها شعب ولا خشب ، منبته الماء الراكد ، لا يكاد ينبت إلا فى موضع ماء أو قريب من ماء ، يعمل منها الحصر . وإنما سميت الرماح أسلا على التشبيه به فى اعتداله وطوله واستوائه ودقة أطرافه .

(٢) فى جميع ما وقع فى يدى من الكتب « قباء » وهى قرية على ميلين أو ثلاثة من المدينة على يسار القاصد إلى مكة ، فهى إلى جنوب المدينة . وهذا أمر مشكل كل الإشكال ، فلم أر أحداً ذكر أن القتال يوم أحد نشب فى قباء . وجبل أحد فى شمال المدينة بينها وبينه ميل أو نحوه . ويقول البكرى فى معجم ما استعجم ١١٧ : « أحد : جبل تلقاء المدينة دون قناة إليها » . وقناة ، هذه التي ذكرها البكرى ، أحد أودية المدينة ، واد يأتى من الطائف حتى يمر فى أصل قبور الشهداء بأحد . فأكاد أرجح أن فى رواية هذا الشعر خطأ قديماً جداً ، وأن صواب الرواية ما أثبته فى الشعر .

وقد ذكر ابن هشام ٣ : ٦٦ أن قريشاً أقبلوا حتى نزلوا بعينين ، بجبل بطن السبخة ، من « قناة » على شفير الوادى ، مقابل المدينة . فهذا دليل عل أن الموقعة كانت هناك ، وأن ابن الزبعرى يشير إلى ذلك فى شعره .

ولو كان القتال نشب فى جنوب المدينة عند قباء ، ثم ارتفع إلى أحد ، فى شمال المدينة ، لكان أهل السير قد بينوه كل البيان ، بل الذى رووه يخالف هذا الفرض كل المخالفة . فهذا ما أدى إليه اجتهادى ، ولا أزال أرجحه حتى أجد عند أحد حجة أفارق إليها ما أذهب إليه فى تصحيح الشعر .

ويروى البيت : « حين حكت بقباء بركها » . يقال : حكت الحرب بركها بهم ، وألقت بركها بهم : إذا استقر معتركها وحمى وطيسها . وأصل ذلك أن البرك : وسط الصدر ؛ فشبه نزولها بالمكان ، بحلول الناقة حين تلقى كلكلها وتستقر على الأرض ، وتقيم . واستحر القتل : اشتد وكثر ، وهو الحر والحرارة . وعبد الأشل : يعني بني عبد الأشهل . وهم من الأوس ، من الأنصار كانوا أول أهل المدينة إسلاماً أسلموا جميعاً . ولم يقتل يوم أحد من بطون المهاجرين والأنصار ما قتل من بنى عبد الأشهل ، استشهد منهم اثنا عشر رجلا ، وكثرت فيهم الجرحى من شدة بلائهم . وقد سهل ابن الزبعرى « هاء » عبد الأشهل ، ثم حذفها اقتداراً على عربيته .

فقَبِلْنَا النِّصْفَ من سَادَتِهِمْ وعَدَلْنا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعتَدَلْ[١]

وزَعَمَ ابن جُعْدُبَةَ أنه سمع هِشَامَ بن عُرْوة يُنْشِدُ هذا الشعرَ، [وسمعته قال عنه : رويتُه] .

٢٨٢ — وقال [ابن الزِّبَعْرَى] لبنى المُغيرة بن عَبْدِ الله المَخْزُومِيِّين، وكان لهم بَلَاءٌ فى الفِجَارِ[٢] ، وأمُّهم [سَهْمِيَّة] : رَيْطَةُ [بنت سُعَيْد بن سَعْد بن سَهْم ، قال] :

أَلَا لِلّٰهِ قَوْمٌ وَلَدَتْ أُخْتُ بَنِى سَهْمِ[٣]

هِشَامٌ وأبو عَبْدِ مَنَافٍ مِدْرَهُ الخَصْمِ[٤]

---

(١) وهذا أيضاً بيت تكثر روايته فى سائر الكتب « فقتلنا النصف » ، أو « فقتلنا الضعف » ، وهو خطأ كله . فإن المشركين لم يقتلوا يوم أحد نصف المقاتلة ، فإن من شهد القتال من المسلمين فى يوم أحد سبعمئة ، قتل منهم أربعة وسبعون من الشهداء . ولا قتلوا ضعف ما قتل المسلمون يوم بدر من المشركين ، فإن عدة قتلى بدر من المشركين سبعون أو أربعة وسبعون . وإنما أراد ابن الزبعرى أنهم قتلوا من المؤمنين فى أحد مثل الذى قتله المسلمون منهم يوم بدر ، فانتصفوا منهم ، أى أخذوا حقهم كاملا حتى صاروا على النصف سواء . والنصف (بكسر فسكون) ، والنصف (بفتحتين) : العدل والانتصاف . يقال انتصفت من فلان : أخذت حق كملا حتى صرت أنا وهو على النصف سواء . يقول : قبلنا يومئذ العدل واكتفينا به ، فقتلنا من سادتهم فى أحد مثل عدة من قتلوا من سادتنا فى بدر . ويدل على ذلك قوله : « فعدلنا ميل بدر فاعتدل » أى صار سواء لم ترجح كفة على كفة . فرواية ابن سلام فى الطبقات هى أحق الروايات بالصواب ، وأما الروايات الأخرى فهى خطأ قديم كالخطأ فى رواية البيت السابق .

(٢) مضى ذكر حروب الفجار فى ص : ٦٤ رقم : ١

(٣) رواها صاحب الأغانى ١ : ٦٢ ، والقالى فى أماليه ٣ : ١٩٦ وغيرهما .

(٤) المدره : زعيم القوم وخطيبهم المتكلم عنهم ، والمقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال ، والذى يرجعون إلى رأيه . والخصم : المجادل فى الخصومة . وهو للواحد والاثنين والجميع سواء ، وهو هنا للجميع . يقول : هو المنبرى للخصوم عند الجدال يدفع عن قومه . وقال : مدره الخصم ، وإنما عنى هشاماً وأبا عبد مناف معاً ، كما يدل عليه البيت الثالث .

وذُو الرُّمحَينِ، أَشْبَاكَ مِن القُوَّةِ والحَزْمِ (١)
فَهٰذانِ يَذُودَانِ ، وذَا من كَثَبٍ يَرْمِي (٢)
وَإنْ أحلِفْ وبيْتَ اللـــه لَا أَحْلِفْ عَلَى إثْمِ
لَمَا إنْ إخْوَةٌ بَيْنَ دُرُوبِ الرُّومِ والرَّدْمِ (٣)
بأَزْكى مِنْ بَنِي رَيْطَةَ أَوْ أوْزَنَ فى حِلْمِ
هُمُ ، يَوْمَ عُكاظٍ مَنَعُوا النَّاسَ من الهَزْمِ (٤)

وقال : كان الفَزَارِىّ يُنْشِدُهَا [« هِشاماً وأَبا عَبْدِ مَنَافٍ » أى وَلَدَتْ] . وأَبو عَبْدِ مَنَاف : هَاشِم بن المُغيرة (٥) ، جدُّ عُمَر بن الخطاب

---

(١) أشباك : كفاك وحسبك . يقول : حسبك به رجلا فى قوته وحزمه .

(٢) يذودان : أى يدفعان بلسانهما فى الخصومة والجدال . من كثب : من قرب ، يعني يرمى فى المعركة وهو منغمس فى الحرب .

(٣) يروى « دروب الشأم » ، وهما سواء . والدروب جمع درب : المضيق فى الجبال ، فسموا كل مدخل من الشأم إلى ديار الروم درباً . والردم : هو ردم بنى جمح ، كانت فيه حرب بين بنى جمح وبنى محارب بن فهر ، فقتلت بنو محارب بنى جمح أشد القتل ، فسمى ذلك الموضع الردم ، بما ردم عليه من القتلى يومئذ . وعني بالردم مكة .

(٤) يوم عكاظ ، يعنى حرب الفجار بين كنانة وهوازن كما مضى فى ص ٦٤ ، واليوم الرابع منها هو يوم شرب ، وشرب موضع بعكاظ ، فصابرت يومئذ بنو مخزوم وبنو بكر ، فانهزمت هوازن وقتلت قتلا ذريعاً . والهزم : الهزيمة والانكسار فى الحرب .

(٥) أما صاحب الأغانى ١ : ٦٢ فيقول : « أبو عبد مناف : الفاكه بن المغيرة » وأما ابن دريد فيقول فى الاشتقاق : ٦١ : « أبو عبد مناف : الوليد بن المغيرة » ، وأما ابن أبى الحديد فيقول فى شرح نهج البلاغة ٤ : ٢٩٥ : « وأبو عبد مناف ، هو أبو أمية بن المغيرة زاد الركب ، واسمه حذيفة » . وأما صاحب العقد ٥ : ٢٥٨ فيقول : « أبو عبد مناف : قصي » وهو خطأ فاحش . ولم أهتد لترجيح قول على قول .

لأمِّه ، [أُمُّه : حَنْتَمَةُ بنت هاشم بن المغيرة] . وذُو الرُّمْحَين : أبو رَبيعة بن المُغيرة ، أبُو عبدِ الله وعيّاش أبنَىْ [أبى] رَبِيعة .

٢٨٣ — ثم أَسلم أبن الزِّبَعْرَى ، ومَدَح النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأعتذَرَ إليْهِ فأحسَنَ ، فقال :

يَا رَسُولَ المَليكِ إنَّ لِسَانِى ... رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنَا بُورُ[1]
إذْ أُجَارِى الشَّيْطَانَ فى سَنَنِ الغَـــىِّ ، ومَنْ مَالَ مَيْلَه مَثْبُورُ[2]
آمَنَ اللَّحْمُ والعِظَامُ بِمَا قُلْـــتَ ، فَنَفْسِى الفِدَى وأنْتَ النَّذِيرُ

٢٨٤ — وقال [أيْضًا] :

مَنعَ الرُّقَادَ بَلابِلٌ وهُمُومُ ... واللَّيلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بَهِيمُ[3]
مِمَّـا أتانِى أنّ أَحْمَدَ لامَنِى ... فِيـه ، فبتُّ كأنّنِى مَحْمُومُ
يَا خَيْرَ من حَمَلَتْ على أَوْصَالِهَا ... عَيْرَانَةٌ سُرُحُ اليَدَينِ رَسُومُ[4]

---

(١) رواها ابن عبد البر فى الاستيعاب ١ : ٣٥٦ وابن هشام ٤ : ٦١ وغيرهما كثير . رتق الفتق : خاطه . والبور : الرجل الضال الهالك الفاسد الذى لا خير فيه . يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم معتذراً محسناً : إنى سوف أصلح فى إسلامى ما أفسدت فى كفرى .

(٢) السنن : الطريق . مال ميله : ذهب مذهبه عادلا عن الطريق المستقيم . المثبور : الملعون المطرود الهالك ، من الثبور : وهو الهلاك والضياع .

(٣) رواها ابن عبد البر فى الاستيعاب ١ : ٣٥٦ وابن هشام ٤ : ٦١ . البلبال والبلابل : شدة الهم والوسواس يختلط فى الصدر ويتدافع . معتلج : مختلط متداخل . والرواق : طبق الليل وستره ، كأنه رواق البيت وهو سقفه وجانباه . وبهيم : مظلم مصمت لا ضوء فيه إلى الصباح .

(٤) الأوصال جمع وصل (بضم فسكون ، أو كسر فسكون) : وهى الأعضاء ، أو مجتمع العظام كلها . والعيرانة : الناقة الصلبة النشيطة الناجية ، شبهت بالعير (حمار الوحش) فى نشاطها وسرعتها وصلابتها . سرح اليدين : سهلة لينة الحركة سريعة المر . رسوم : شديدة الوطء تؤثر مناسمها فى الأرض .

إِنِّى لمُعْتَذِرٌ إليكَ مِنَ الذِى   أَسْدَيْتُ، إِذْ أَنا فى الضَّلالِ أَهِيمُ [١]

أيَّامَ تأمُرُنى بِأَغوى خُطَّةٍ   سَهْمٌ ، وتأمُرُنِى بها مَخْزومُ [٢]

فاغفِرْ — فِدًى لك وَالِدَىَّ كِلاهُما —   ذَنْبِى ، فإنَّك رَاحِمٌ مَرْحُومُ

وعَليكَ من أَثَرِ المَلِيكِ عَلامَةٌ :   نُورٌ أضاءَ ، وخَاتَمٌ مَخْتُومُ

مَضَتِ العَداوَةُ فَانْقضَتْ أَسْبابُهَا ،   وَدَعَتْ أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وحُلُومُ

٢٨٥ — وحدثنى ابن جُعْدُبَة قال : قدم ضِرَار بن الخطَّاب الفِهْرِىّ وعبدُ الله بن الزِّبَعْرَى المدينةَ أيامَ عُمَر بن الخطاب ، فأَتيَا أبا أَحمد بن جَحْش الأسدِىّ — وكانَ مَكْفُوفًا ، وكان مَأْلفًا يُجْتَمَعُ إليه ويُتحدَّث عندَه ، ويقولُ الشعرِّ — فقالا له : أتيْنَاك لترُسِلَ إلى حسَّان بن ثَابتٍ فنُناشِدُه ونُذاكِره ، فإنه كان يقول فى الإسْلَام ويقول فى الكُفر . فأرسلَ إليه فجاء ، فقال : يا أبا الوَليدِ ! أخَواكَ تطرَّبا إليك [٣] ! ابنُ الزِّبَعْرَى وضِرَار، يُذاكِرانك ويُناشِدانك . قال : نَعَمْ ، إن شئتما بدأتُ وإن شئتُما فابْدَآ ! قالا : نبدأُ . فأنشدَاه ، حتى إذا صار كالمِرْجَل يَفُورُ ، قَعَدَا على رَوَاحِلهما . فخرج حسَّان حتى تلقَّى عُمَر بن الخطاب ، وتمثَّل ببيتٍ

---

(١) أسدى حديثاً : نسجه ، يعنى شعره الذى زوره فى هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وأصله من قولهم : أسدى الحائك الثوب : نسجه وأحكمه .

(٢) سهم : يعنى بنى سهم بن عمرو ، قومه وهم من قريش . وبنو مخزوم : من قريش ، وبينه وبينهم نسب .

(٣) تطرب : اشتاق ، من الطرب وهو الشوق ، يقول الطرماح :

وتطَرَّبتُ للهوَى ، ثمَّ أقصَرْ   تُ رِضًى بالتُّقى ، وذو البِرِّ رَاضِى

ذكره ابنُ جُعْدُبة لا أذكرُه ، فقال عُمر : وما ذاك ؟ فأخبره خَبَرَهما ، قال: لا جَرَمَ ، [والله] لا يَفُوتَانِك . فأرسلَ فى إِثْرِهما فرُدَّا . وقال لحسّان : أَنشِدْهما . فأنشدَ [حسَّان] حاجتَه [حتَّى] قال [له] : أَكْتَفَيْتَ ؟ قال : نعم . قال : شأنَكما الآنَ ، إن شئْتُما فارْحَلا ، وإن شِئْتُما فأقيما .

* * *

٢٨٦ — وكان أبو طالبٍ شاعراً جيِّدَ الكلام ، وأبرعُ ما قال قصيدتُه الّتى مدح فِيها النبىَّ صلى الله عليه وسلم وهى :

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِه ، ربيعُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ للأَرَامِلِ

وقد زِيدَ فيها وطُوِّلت . رأيتُ فى كتاب يُوسُف بن سَعْد صاحِبنا مُنْذُ أكثَرَ من مِئة سَنَة ؛ وقد علمتُ أنْ قَدْ زاد النَّاسُ فِيها ، فلا أدْرِى أيْنَ مُنْتَهاها[١] . وسألنى الأَصْمَعِىُّ عنها فقلت : صحيحة [جيِّدَة] ! قال : أتدْرِى أينَ مُنْتَهاها ؟ قلت : لا [أدْرِى] !

وأشعارُ قُرَيْشٍ أشعارٌ فيها لِينٌ ، فتُشْكِل بعضَ الإشْكالِ .

* * *

---

(١) فى المطبوعتين « رأيت فى كتاب (كتبه) يوسف بن سعد صاحبنا » ، وهوكلام مضطرب لا معنى له . وأما المخطوطة فليس فيها «كتبه » ، والنص عندئذ أقل اضطراباً . وأظن أن صواب العبارة : « رأيتها فى كتاب ليوسف بن سعد صاحبنا : له أكثر من مئة سنة » وإلا فإنى لا أستطيع أن أدرك ماذا يريد ابن سلام .

وقد روى هذه القصيدة ابن هشام ١ : ٢٩١ — ٢٩٩ ، وقد طبعت بأطول من ذلك مفردة ، وفى ديوان أبى طالب .

٢٨٧ — وأجمعَ النّاس على أنّ الزُّبَير بن عَبْدِ المُطّلِب شاعرٌ .

والحاصل من شعرِه قليلٌ ، فمِمَّا صَحَّ عنه قوله :

وَلوْلا الُحبْشُ لَمْ تَلْبَسْ رِجالٌ ثِيابَ أَعِزَّةٍ حَتّى يَمُوتُوا[١]

وقال قومٌ : « ولولا الُحمْسُ » وليسَ بشَىْء ، إنما هِىَ « الُحبْش » . يعنى أنهم أخذوا ثِيَابَهُم ومَتاعَهم ، وذاكَ حينَ جَاؤُوا يريدُون هَدْمَ البيتِ ، فرَمَاهم الله ،وكانت أُمُّ أَيْمَنَ مِنْهُمْ ، غَنِمَتْها قُرَيْش ، وهى أم أُسامَة بن زَيْد .

٢٨٨ — [وهذه أبيات للزُّبَيْرِ بن عَبْد المطَّلب] [٣] . وقلت لِخَلَف من يقول ؟ :

إذا كُنْتَ فى حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَلِيمًا ولَا تُوصِهِ[٢]

فقال : يُقَال للزُّبَيْر بن عبد المطّلب . فقلت : فالخليل يَقُول : هذا خَطَأٌ فى بنَاء القوافِى حين يقول :

وَإِنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ الْتَوَى فشَاوِرْ لبيباً ولَا تَعْصِـهِ[٣]

[لقوله «ولا توصه»] — كان يقول: لا يَتَّفِق هَذا [أبداً] . فقال خلف: أخْطأ الخليل ، نَرَاها جائِزَةً .

---

(١) فى حماسة ابن الشجرى : ٥١ أربعة أبيات منها ، ولم أقف بعد على سائرها . وروى هذا البيت : « ولولا نحن لم يلبس رجال » . ورواه ابن قتيبة فى المعارف : ٥٧ : « ولولا الحمس » وقال : « الحمس كنانة وقريش » ، وهذه هى الرواية التى ردها ابن سلام .

(٢) رواية أكثر الرواة « فأرسل حكيما » . والحليم : العاقل المتثبت فى الأمور .

(٣) كأن ابن سلام روى الأبيات فى أصل الطبقات ، ولكن الناسخ اختصر . وقد روى بعضها أبو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال : ٢٥ .

* * *

٢٨٩ — ولأبى سُفْيان بن الحارث شِعْرٌ كان يَقُولُه فى الجاهليَّةِ ، فسَقَط ولم يَصِلْ إلَيْنا منه إلَّا القليل .

ولَسْنا نعُدُّ ما يَرْوِى ابنُ إسحاقَ لَهُ ولا لِغَيْره شِعْرًا ، ولَأَنْ لا يكُونَ لهم شعرٌ ، أحسنُ من أن يكونَ ذاكَ لهُم . قال أبو سُفْيان :

لَعَمْرُكَ إنِّى يومَ أَحْمِلُ رايَةً ... لِتَغْلِبَ خيلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ[1]

لَكَالمُدْلِجِ الحَيْرانِ أظْلَمَ لَيْلُه ... فهذا أوانُ حِينَ أَهْدِى وَأَهْتَدِى

هَدانِى هادٍ غيرُ نَفْسِى ، وقادَنِى ... إلى الله مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ

[قال] : فبلغنى أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم قال له : أنتَ طَرَّدْتَنِى كُلَّ مُطَرَّد ؟ ! كأنّه ينكرها ، يُرَدِّد ذلك .

٢٩٠ — وقال أبو سُفْيان فى يوم أُحُدٍ يرد على حَسَّان بن ثابتٍ . وكان أصْحابُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم أَصابُوا فى عَقِب بَدْرٍ عِيراً لِقُرَيْش فيها فِضَّة ، فكانُوا تنكَّبوا [بَعْدُ] طريقَ الشَّامِ وأخذوا طريقَ

---

(١) رواها ابن هشام ٤ : ٤٣ . وأبوسفيان هو ابن عم رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضيعه ، ثم لما جاء الإسلام كان شديد العداوة لرسول الله ، ثم أسلم عام الفتح ، وشهد حنيناً فأبلى فيها بلاء حسناً .

العِراق[١] ، فقال حسان :

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ ، قَدْ حَالَ دُونَهَا ⁂ جِلَادٌ كأفْوَاهِ المَخَاضِ الأوارِكِ[٢]

بأَيْدِى رِجَالٍ هاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِم ، ⁂ وأَنْصارِهِ حَقًّا، وأَيْدِى المَلائِكِ[٣]

إِذَا سَلَكَتْ حَوْرَانَ من أَرضِ عَالِجٍ ⁂ فَقُولَا لَهَا : إِنَّ الطَّرِيقَ هُنَالِكِ[٤]

---

(١) العير : القافلة التي تحمل الميرة ، تكون فيها الإبل والحمير والبغال . وخبر ذلك أن عيراً لقريش فيها تجارة لهم ، كان عليها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعبد الله بن أبى ربيعة ، ومعها مال كثير : نقر (سبائك ذهب أو فضة) وآنية فضة ، وزن ثلاثين ألف درهم . وكان دليلهم فرات بن حيان ، فخاف فسلك بهم طريق العراق على ذات عرق ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث زيد بن حارثة فى مئة راكب إلى القردة ، (وهى أرض نجد بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق) ، فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم . وقدم زيد بالعير ، فخمسها رسول الله ، فبلغ الخمس عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقى على أهل السرية (ابن سعد ٢ : ٢٤ — ٢٥).وكانت هذه السرية على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة ، أى بعد بدر بنحو تسعة أشهر ، وقبل أحد بنحو أربعة أشهر . وقد ذكر ابن هشام شعر حسان فى خبر بدر الموعد ، وهى بعد أحد بسنة ، وهذا خطأ كما يتبين من سياق الشعر ، ومن زمن الحادثة المذكورة فيه .

(٢) ديوانه : ٢٩٣ ، وابن هشام ٣ : ٥٤ ، ٢٢١ . الفلجات ، جمع فلجة (بفتحتين) : وهى المزرعة ، أو ما يشق فى الأرض للدبار ، (الدبار : الأنهار الصغار تفجر فى أرض الزرع كالقنوات) ويروى « فلحات » بالحاء ، وهى المزارع أيضاً ، وكلاهما مشتق من الفلج والفلح ، وهو الشق . والجلاد : الضرب بالسيوف فى القتال ، جالد جلاداً ومجالدة . وإنما عنى هنا بالجلاد : طعنات السيوف والرماح . والمخاض : النوق الحوامل ، ليس لها واحد من لفظها . والأوارك جمع آركة ، والإبل الأوارك : التى ترعى شجر الأراك . والأراك : شجر له حمل كحمل عناقيد العنب ، من أطيب ما ترعاه الإبل ، وتتخذ من فروعه المساويك ، وعروقه من أجود ما يستاك به . والأراك حمض ، والحمض من النبات إذا رعته الإبل قلصت مشافرها فبدت حمرة أفواهها الواسعة . فمن أجل ذلك شبه طعنات سيوفهم ورماحهم فى عدوهم ، بأفواه إبل قلصت مشافرها من رعى الأراك ، عنى بذلك اتساع الطعنة وبشاعتها .

(٣) قوله ، وأنصاره : يعنى ، وبأيدى أنصاره ، وبأيدى الملائكة كانت هذه الطعنات النجل الواسعة.

(٤) حوران : جبل عن ميامن حرة ليلى القصوى ، وهو أدنى أعلام الشام ، وهى من منازل العرب الذين تشاءموا . ورمل عالج : رمل محيط بأكثر أرض العرب ، يصل إلى الدهناء ، فيما بين اليمامة والبصرة ، وينقطع طرفه من دون حجاز وادى القرى وتيماء . وقد اختلفت روايات الشطر الأول ، وهى متقاربة . وأما رواية الشطر الثانى ، فيما اشتهر عند الرواة ، فهى :

« فَقُولَا لها : لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكِ »

وأما رواية ابن سلام فلم أجدها عند غيره ، ومعناها صحيح ، يقول : إذا سلكت العير طريق الشام ، فقولا لها : خذى طريق العراق ، أما طريق الشام فقد حمته سيوف المهاجرين والأنصار .

٢٩١ — فلمَّا كانَ يومُ أُحُد ، قال أبو سفيان [بن الحارث يردُّ عليه] [١] :

شَقِيتُمْ بِهَا ، وغيرُكُم أَهْلُ ذِكْرِهَا ،
فَوَارِسُ من أَبْنَاءِ فِهرِ بن مَالِكِ [٢]
حَسِبْتُمْ جِلَادَ البِيضِ حَوْلَ بُيُوتِكُمْ ،
كَأَخْذِكُمُ فِي العِيرِ أَرْطَالَ آنُكِ [٣]

فقالَ أبو سُفيان بن حَرْب لأبى سُفيان بن الحارث : يا ابْنَ أخى ، لِمَ جَعَلتها آنُك !! إنْ كانتْ لَفِضَّةً بَيْضَاءَ جَيِّدَةً .

٢٩٢ — ويرْوِى النَّاسُ لأبي سُفيان بن الحارث ، يَقُول لحسَّان :

أبُوكَ أَبُو سَوْءٍ ، وخَالُكِ مِثْلُه ، ولَسْتَ بِخَيرٍ من أَبِيكَ وخَالِكَا
وَإِنَّ أحقَّ النَّاس أنْ لاَ تَلُومَهُ عَلَى اللُّؤْمِ ، مَنْ أَلْفَى أبَاهُ كَذَلِكَا

---

(١) أظن أنه قالها بعد أحد ، فإن فيها خبراً عنه كما سترى ، ولعل ابن هشام إنما جعل شعر حسان فى خبر بدر الموعد من أجل مناقضة أبى سفيان له فى قصيدته بعد يوم أحد .

(٢) رواها ابن هشام ٣ : ٢٢٢ . وروايته « سعدتم بها وغيركم كان أهلها » . ورواية ابن سلام أجود وأصح . وقوله : « شقيتم بها » يعنى بالحرب ، يريد ما كان من ابتلاء الله المسلمين بالهزيمة فى يوم أحد ، وقد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة نفر أو سبعة ، وقتل من الأنصار (قوم حسان) ، أكثر من خمسة وستين رجلا ، وكثرت فيهم الجراحات . يقول أبو سفيان لحسان : شقيتم بهذه الحرب ، وكان غيركم فرسان الحروب وأحلاسها ، يذكرون بأفعالهم فيها ، ويعنى المهاجرين من قومه قريش .

(٣) الآنك : الرصاص الأبيض ، أو القزدير . وفى الحديث : « من استمع إلى حديث قوم هم له كارهون ، صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة » . وهذا الوزن من العربية ، أفعل بضم العين ، لم يجىء عليه للواحد غير هذا الحرف .

٢٩٣ — وأخبرني أهلُ العِلم من أهلِ المَدينة : أَنَّ قُدامة بن مُوسى أبن عُمَر بن قُدامة بن مَظْعون الجُمَحِيّ قالَها ونَحلها أبا سُفْيان . وقُرَيْش تَرْويه في أَشْعارِها ، تُرِيد بذٰلكَ الأَنصارَ والرَّدَّ على حسَّان .

***

٢٩٤ — وكان ضِرَار بن الخطَّاب بن مِرْدَاس، من مُحارب بن فِهْر[١] ، مِنْ ظَوَاهِر قُرَيْش ، كان لا يكونُ بالبَطْحاءِ إلا قليلًا[٢] . وكان جَمع من حُلَفاء قُرَيْشٍ ومن مُرَّاقِ كِنانَة ناساً ، وكان يأكُل [بهم] ويُغِير ويَسْبِي ويأخذ المال[٣] .

والحارث بن فِهْرٍ بَطْحاوِيّة[٤] .

٢٩٥ — وكان ضِرَارٌ خرج في الجاهليَّة في رَكْبٍ من قُرَيْش، فمرُّوا بِلاد دَوْسٍ ، وهم يُطَالبون قُرَيْشًا بدَم أَبِي أُزَيْهِر — قتله هشام [بن الوَلِيد]

---

(١) في الأصول جميعاً : « مرداس بن محارب بن فهر » وهو خطأ . وهذا نسبه من جمهرة الأنساب ١٦٩ : « ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كَبِير بن عمرو آكل السَّقْب [سمى بذلك، لأن بكراً كان لهم سقب يعبد يعبدونه من دون الله تعالى ، فأغار عليهم ، فأخذه ، فأكله] ابن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر » . وابن سعد ٥ : ٣٣٦ .

(٢) قريش فريقان : قريش البطاح ، وقريش الظواهر . فقريش البطاح أكرمهما ، نزلوا بطحاء مكة ، نزلوا الشعب بين أخشبي مكة (وهما جبلاها) ، وهم جميعاً بنو كعب بن لؤى . وأما قريش الظواهر منهم: الذين سكنوا ظاهر مكة خارج الشعب ، وهم بنو عامر بن لؤى، والحارث بن فهر ، ومحارب بن فهر ، وتيم الأدرم بن غالب بن فهر . هكذا يقول بعض أهل النسب .

(٣) المراق جمع مارق : وهو الذى خرج عن أدب قومه وفسد ، كاللصوص والفتاك وغيرهم .

(٤) الحارث بن فهر ، أخو محارب بن فهر رهط ضرار . يزعم ابن سلام أنهم من قريش البطاح . ولا أدرى كيف يصح ؟ وابن سلام أعلم وأضبط . وفى المطبوعتين « بطخارية » .

أُبن المغِيرة(١) - فثاروا بهم وقتلوا فيهم . [ودَوْسٌ تدّعى شيئاً كثيراً من القتلى ، وليسَ ذلك بمعلوم] . فقاتلهم ضِرارٌ ، ثم لجأ إلى أمرأةٍ منهم يقال لها : أم غيْلان - مُقيِّنَةٌ تُقيِّن العرائِس ، يقال إنها مولاةٌ(٢) لهم - فأدخلته بين دِرْعِها وجِلدها(٣) ، ودافعتْ عنهُ هى وبناتُها ، وصرخت ببنِيها فجاءوا ، فخرجَ معهم ضِرار فجالَد أشدَّ الجِلاد ، فقالت أُمُّ غيْلان : ما رأيتُ نُشْرَةَ أفْـكَلٍ أقربَ إلى حُسْنِ جِلادٍ منه(٤) . وقال ضِرار :

جزَى اللهُ عنّا أمَّ غيْلانَ صالحاً ونِسْوَتَها ، إذ هُنَّ شُعْثٌ عَواطِلُ(٥)
فهُنَّ دفعْنَ الموتَ بعْدَ أقترابه ، وقدْ ظَهرَتْ لِلثّائرينَ مقاتِلُ

---

(١) ساق هذا الخبر كله ابن هشام ٢ : ٥٢ - ٥٧ ، وابن عساكر ٧ : ٣٢ - ٣٣ . وذلك أن أبا أزيهر الدوسى ، وكان من أشراف دوس ، زوج الوليد بن المغيرة بنتاً له وأخذ مهرها ، ثم أمسكها عنه ومطله المهر ، فلم يدخلها عليه حتى مات . فأوصى بنيه ، هشام بن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ، أن لا يضيعوا عقره عند أبى أزيهر الدوسى ، (والعقر بضم فسكون : المهر يدفع للمرأة) . فلم يلبث ولده هشام بن الوليد أن عدا على أبى أزيهر فقتله ، وهو بسوق ذى المجاز . وذلك بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد بدر .

(٢) المقينة : التى تتولى تزيين النساء ، والماشطة . وتقينت الفتاة : تزينت لزفافها .

(٣) درع المرأة : قميصها . وهكذا كانت تفعل نساء الجاهلية ، فيكون ذلك إجارة للمستجير بها .

(٤) فى الأصل « شدة أفكل » ، ولا معنى لها فى هذه العبارة . والنشرة : المهزول الهالك المتساقط ، وهى فى الأصل الرقية التى يعالج بها المجنون والمريض . فقولها « نشرة أفكل » ، كأن الخوف صرعه كما يصرع المجنون . والأفكل : الرعدة تكون من البرد أو الخوف . والجلاد : الصبر فى القتال .

(٥) شعث جمع شعثاء : وهى المتفرقة الشعر ، لم تدهن ولم تمتشط . عواطل جمع عاطل : وهى المرأة ليس عليها حلى ، لم تلبس الزينة ، وليس فى جيدها قلائدها . وجعلهن شعثاً عواطل ، ليظهر مبادرتهن إلى نصرته ، وقد فزعن قبل أن يمسسن طيباً أو يأخذ ن زينتهن ، وذلك قبل الصباح .

وجرَّدْتُ سَيْفِي، ثم قُمْتُ بنَصْلِه؛ وعَنْ أَيِّ نفْسٍ بعدَ نفْسِي أُقَاتِلُ[١]

٢٩٦ — ولقى ضِرار [بن الخطّاب] يوم أُحُدٍ عُمر بن الخطّاب فى الجَوْلة الّتِي جالها المسلمون[٢]، وكان قد آلَى أن لا يقتلَ يومئذ قُرَشيًّا، فضرَبه بعارِضَةِ سَيْفِه[٣]، وقال: أَنْجُ يا أبنَ الخطّاب! فضَرَبَ الدَّهر ما ضَرَب[٤]، وولى عُمَر بن الخطّاب، فسمعت أُمُّ غَيْلان بذِكْر أبن الخطّاب فظنَّتْهُ ضِراراً، فقَدِمت [عليه]. فقال لها قومٌ: قَدِمْتِ وهو غائبٌ! فأتت عُمَرَ فأخبرته بالّذى جاءَتْ له، فأثابها.

٢٩٧ — وحدّثنى أبانُ الأعرجُ بحدِيثها، قال: جاءَتْ فلقيتْ ضِراراً فقالت: قد عرَفْتَ بَلاَئى ويَدِى، وقد وَلِيتَ ما وَلِيتَ. قال ما أَعْرفَنى بذاك! ولستُ أنا بالّذى تولَّى ما توهَّمْتِ، ذاكَ عُمَر بن الخطّاب، ولئِنْ كان لكِ عندِي يَدٌ وبَلاءٌ، إنَّ لى عنده يدًا وبلاءً — يعنى يومَ أُحُد — فاذهَبِي بنا إليْه. فأتاه فقال: يا أميرَ المُؤمنين! هٰذه أُمُّ غَيْلان، وقد عَرَفْتَ ما كان من أمرِها، سَمِعتْ بوِلايتك فظَنَّتْنِي الوالِي، فأتَتْنى

---

(١) قوله: «قمت بنصله» أى أحسنت الضرب به أو أبليت به خير البلاء، من قولهم قام بالأمر: أى تولاه فأحسن تدبيره وإصلاحه.

(٢) جال القوم فى الحرب جولة: إذا انكشفوا ثم كروا على عدوهم. وعنى هنا انهزامة المسلمين يوم أحد.

(٣) عارضة السيف وعرضه (بضم فسكون): جانب السيف وصفحته. وانظر ابن هشام ٢: ٥٧.

(٤) يقال: ضرب الدهر ما ضرب، وضرب الدهر من ضربانه، وضرب ضربانه: كل ذلك معناه تطاول ومضى، ومر مروره، وتغيرت بالناس صروفه.

تَطْلب النَّوال . قال : فتُرِيدُ ماذَا ؟ قال : تُعَجِّلُ عطائى فأُكافِئها . فأعْطَاها نِصْف عطائه ، ونصف عَطاء عُمَر .

وَكان ضِرار على بَنى مُحارب يومَ الفِجار (١) .

* * *

٢٩٨ — وكان أبو عَزّةَ شاعِرًا . وكان مُمْلِقًا ذا عِيالٍ ، فأُسِرَ يوم بَدْر كافرًا ، فقال : يا رسولَ الله ، إنِّى ذُو عِيالٍ وحاجةٍ قَدْ عرفتها ، فامْنُنْ علىّ صَلَّى الله عَلَيْك . فقال : عَلَى أَنْ لا تُعينَ عَلَىَّ ! — يُريد شعرهُ — فعاهده وَأطلقَهُ ، فقال :

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّى النبيَّ مُحَمَّـدًا   بأَنَّك حَقٌّ ، والمَلِيكُ حَمِيدُ (٢)
وأنتَ امْرُؤٌ تَدْعُو إلى الرُّشْد، والتُّقَى   عَلَيْكَ من اللهِ الكَرِيم شَهِيدُ (٣)
ولكنْ إذا ذُكِّرْتُ بَدْرًا وأَهْلَها   تَأَوَّبُ ما بِى حسرةٌ وتَعُودُ (٤)

فلما كانَ يومُ أُحُد ، دَعاه صَفْوان بن أُميَّة بن خَلَف الجُمَحىّ — وهو سَيِّدُهم [يومئذ] — إلى الخروج ، فقال له : إن مُحَمَّدًا قد مَنَّ علىَّ وعَاهَدْته أن لا أُعينَ عَليه . فلم يَزَلْ به ، وكان مُحْتاجًا ، فأطمَعه ، والمُحْتَاجُ

---

(١) انظر أخبار الفجار كلها فى الأغانى ١٩ : ٧٣ وما بعده .

(٢) الأبيات رواها ابن هشام ٢ : ٣١٥ وغيره .

(٣) يقول : ... والتقى شهيد عليك من الله الكريم ، شهيد : شاهد حاضر دال على صدقه وبره .

(٤) آبه الهم وتأوبه : رجع إليه ، من الأوب وهو الرجوع ، وجعله هنا بمعنى جاء . يقول : تأتى حسرة وتعود ، وتغدو على وتروح . ورواية ابن هشام « حسرة وقعود » ، وهى فاسدة المعنى .

يطمعُ[١] . فخرج فسَار فى بَنى كِنانة فحرَّضهم ، وقال :

يَا بَنِى عَبْدِ مَنَاةَ الرُّزَّامْ   أَنْتُم حُماةٌ وأبُوكمْ حام[٢]

لا تَعِدُونى نَصرَكم بعْدَ العَامْ   لَا تُسْلِمُونى ، لَا يحلُّ إسْلَامْ[٣]

٢٩٩ — أخبرنا أبو خليفة ، أخبرنا ابنُ سَلّام ، قال : حدَّثنى أَبانُ ابن عُثمان — وهو قوْلُ ابن إسحاق[٤] — أنَّ أبا عَزَّة أُسِر يوم أُحُد ، فقال : يا رسولَ الله مُنَّ علَىّ ! فقال النبىّ عليه الصَّلاة والسَّلام : لا يُلْسَعُ المُؤْمِنُ منْ جُحْرٍ مرَّتَيْن . وقال أبان : قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : لا تَمْسَحْ عَارِضَيْكَ بمكَّة تقول : خدَعْتُ مُحمَّدًا مرَّتَين ! فقتله[٥] .

فذكرت ذلك لابن جُعْدُبة فقال : ما أُسِر يوم أُحُد هُوَ ولا غيرُه ، ولقدْ كان المُسْلمون يومَئذٍ فى شُغُلٍ عن الأسْر ، ولم يُنْكر قَتْلَه . وكان يُنْكر قَتْل النَّضْرِ بن الحارث فى يوم بدرٍ صَبْرًا[٦] ، فقال : أصابَتْه

---

(١) المحتاج : الفقير المعدم . ومثله المحوج وجمعه محاويج . وهو من الحوج (بضم الحاء) والحاجة : شدة الفقر . وقال له صفوان يومئذ : « لك الله على إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أجعل بناتك مع بناتى ، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر » .

(٢) الرزام جمع رازم : وهو الرجل يثبت فى مكانه من شدته فى الحرب . وبنو عبد مناة بن كنانة ، أخو النضر بن كنانة ، جد قريش . وعند هذا البيت يبدأ خرم طويل فى نسختنا المخطوطة إلى رقم : ٣٢٢ .

(٣) أسلم أخاه : خذله وترك نصرته ومعونته .

(٤) ابن هشام ٣ : ١١٠ — ١١١ .

(٥) يقال فلان يمسح عارضيه ، كناية عن الشماتة وعن الترقب ، وعن فعل المتباهى بما فعل . وهو الذى أراد هنا .

(٦) انظر قتل النضر بن الحارث فى ابن هشام ٢ : ٣٦٧ ورثاء أخته قتيلة بنت الحارث فى ابن هشام ٣ : ٤٤ . يقال قتل صبراً ، من الصبر وهو الحبس ، وذلك أن يقدم الإنسان فينصب فيضرب عنقه . وقال أبو عبيد : كل من قتل فى غير معركة ولا حرب ولا خطأ ، فإنه مقتول صبراً .

جِراحةٌ فأُرْتُثَّ مِنْها[١] ، وكان شَدِيدَ العداوة ، فقال : لا أُطعَمُ طعاماً ولا أشربُ شَراباً ما دُمْتُ فى أَيْديهم ، فماتَ .

فأخبرْتُ أبى — سَلاَّمًا — بِقولِ ابن جُعْدُبة فى أبى عَزة فقال : قد قيل إنّ النَّبىّ صلى الله عليه وسلم لم يَقْتُل أَحدًا صَبْرًا إلا عُقْبَة بنِ أبى مُعَيط يوم بَدْرٍ .

٣٠٠ — قال ابن جُعْدُبة : بَرِص أبو عَزَّة بعد ما أَسَنَّ ، وكانَتْ قُرَيش تَكْرَهُ الأَبْرَصَ وتخافُ العدْوَى ، فكانوا لا يُؤَاكِلونه ولا يُشَاربونه ولا يجَالسونه ، فكَبُرَ ذلك عليهِ ، فقال : الموتُ خيرٌ من هٰذا ! فأخذَ حديدةً وصَعِدَ إلى جَبَل حِرَاءٍ يُريد قَتْلَ نفسِه ، فطعَن بها فى بَطْنه ، فضَعُفَتْ يده لمَّا وجد مَسَّها ، فمَارتِ الحديدةُ بين الصِّفَاقِ والجِلْد[٢] ، فسال ماءٌ أصفرُ ، وذهبَ ما كان به . فقال :

لَاهُمَّ رَبَّ وَائِلٍ ونَهْدِ والتَّهمَاتِ والجِبالِ الجُرْدِ[٣]

---

(١) ارتث (على بناء مالم يسم فاعله) : صرع فى المعركة وقد أثخنته الجراح فأثبته فى الأرض وضعف ، فصار رثيثاً أى جريحاً ضعيفاً ، ثم يحمل وبه رمق ، وهو حى بعد ثم يموت .

(٢) مار السهم وغيره : نفذ فى الجسم ، ومارت الطعنة : مالت يميناً وشمالا . وأصله من المور : وهو الاضطراب والتردد . والصفاق : هو الجلدة الرقيقة تحت الجلد الأعلى الذى عليه الشعر من عند مراق البطن .

(٣) لاهم : اللهم ، فحذف كأنه ظن لام التعريف فى اسم الجلالة فحذف لذلك . وائل : يعنى بنى وائل بن قاسط أبو : بكر بن وائل ، وتغلب بن وائل ، من ربيعة بن نزار . ونهد : يعنى بنى نهد ابن زيد من قضاعة . والتهمات جمع تهمة : وهى الأرض المتصوبة إلى البحر ، ويعنى أرض تهامة من قبل الحجاز . والجبال الجرد : هى الملس التى لا نبات فيها ، كأنه يعنى جبال طيء . انظر المحبر : ٣٠١ .

وربَّ مَنْ يَرْمِي بِيَاضَ نَجْدِ أصبحْتُ عَبْدًا لك وابْنَ عَبْدِ(١)

أبرأتنِي من وَضَحٍ بِجِلْدِي من بَعْدِ ما طَعَنْتُ فى مَعَدّ(٢)

المَعَدُّ : موضع رِجْلى الرَّاكب من الفرَس(٣) .

* * *

٣٠١ — وكان هُبَيْرةُ بن أبى وَهْبٍ شاعراً من رجال قُرَيْش المعدُودين ، وكانَ شَديد العَداوةِ لله ولرسُوله ، فأخْمَله الله ودَحَقَه(٤) ، وهو الذى يقول فى يَوْم أُحُد :

قُدْنَا كِنَانَةَ من أكْنافِ ذِى يَمَنٍ عَرْضَ البِلَادِ على ما كان يُزْجِيها(٥)

قالَتْ كِنَانة : أنَّى تَذْهَبُونَ بِنا ؟ قُلْنا : النَّخِيلَ ! فأمُّوها ومَا فِيهَا(٦)

وله شعر كثير وحديث .

---

(١) رمى الرجل يرمى : سافر ، يعنى سلك هذه الأرض ، ويقال : أين ترمى ؟ أى أى جهة تنوى وتقصد . وبياض نجد : أرض مهلكة فى بادية نجد من سلكها هلك أو كاد . والبياض من أرض بنى عامر بن صعصعة .

(٢) الوضح : البرص . ورواه صاحب اللسان فى (معد) :

« أبرأتَ مِنِّى بَرَصًا بجلدِى »

(٣) المعد : البطن ، هكذا أراد هنا . والذى ذكره ابن سلام صحيح فى الخيل .

(٤) دحقه : أبعده وطرده حتى صار الناس لا يبالون به .

(٥) روى الشعر كله ابن هشام ٣ : ١٣٦ — ١٣٨ . الأكناف جمع كنف : الناحية . وأما ذو يمن فإن يمنا : موضع قريب من مكة ، يذكر فى شعر أهل مكة والحجاز . وأضاف « ذو » إليه ، وهكذا دأبهم . وعرض البلاد : ما اتسع من أرجائها ونواحيها ، ونصب على الظرفية . أزجى القوم : ساقهم ودفعهم. يقول : قدنا كنانه من مكة ، سالكين بهم مفاوز الأرض ، على ما كان يدفعها إلى المسير من حب الغزو والطمع فى الظفر .

(٦) النخيل : يعنى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى كثيرة النخيل . وزعم بعضهم أنها « النخيل » بالتصغير وأنها بئر قرب المدينة ، ولست أحققه . وأموها : قصدوها . يشير إلى غزاة أحد وغلبة المشركين يومئذ .

شعراء الطائف

٣٠٢ — قالَ ابن سَلَّام : وبالطَّائف شِعْرٌ وليس بالكثير ، وإنما كان يَكْثُرُ الشِّعر بالحُرُوب التى تكون بين الأَحْياء ، نحو حَرْب الأوْسِ والخَزْرَج ، أو قَوْم يُغِيرون ويُغَار عليهم . والَّذى قلَّل شِعْرَ قُرَيْش أنه لم يكن بيْنَهُم نائِرةٌ ، ولم يحاربوا(١) . وذٰلك الّذى قَلَّل شِعْرَ عُمانَ . وأَهْلُ الطَّائف فى طَرَفٍ(٢) ، ومع ذٰلك كان فيهمْ :

٣٠٣ — أبو الصَّلْت بن أبى رَبيعة .

٣٠٤ — وابنه أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْت ، وهو أشعرهم .

٣٠٥ — [وأبو مِحْجَن بن حَبِيب بن عَمْرو بن عُمَيْر الثَّقَفِىّ(٣)] .

٣٠٦ — وغَيْلَان بن سَلَمَة .

٣٠٧ — وكِنَانَةُ بن عَبْدِ يَالِيل(٤) .

---

(١) فى المطبوعتين : « ثائرة » ، وهو خطأ . والنائرة : الحقد والعداوة تقع بين القوم ، فتثير شرورهم . وانظر ص ١٩٧ رقم : ٢

(٢) فى طرف : فى مكان ناء بعيد . وهذه صفة الطائف ، فإنها على جبل غزوان ، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً . وكانت تسكنها ثقيف .

(٣) زدت ما بين القوسين ، لأنه مذكور بعد فى رقم : ٣١٥ ، والمطبوعتان ناقصتان ، وهذا من مواضع الخرم فى المخطوطة .

(٤) لم يذكر ابن سلام شيئاً من شعره ولا خبره بعد .

* * *

٣٠٨ — وكان أبو الصَّلت يَمْدح أهلَ فارسٍ حين قتلوا الحَبَشة ، فى كلمةٍ قال فيها :

لِلّهِ دَرُّهُم من عُصْبَةٍ خَرَجُوا ، مَا إنْ تَرَى لَهُمُ فى النَّاسِ أمْثالَا (١)
بِيضاً مَرَازِبَةً ، غُرًّا جَحَاجِحَةً ، أُسْدًا تُرَبِّبُ فى الغَيْضَاتِ أَشْبالَا (٢)
لَا يَرْمَضُونَ إذاحَرَّت مَغَافِرُهُمْ ، وَلا تَرى مِنْهُمْ فى الطَّعْنِ مَيَّالَا (٣)
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وسَابُورِ الجُنودِ لَهُ أومِثْلُ وَهْرِزَ يَوْمَ الجَيْشِ إذْصَالَا (٤)

---

(١) رواه ابن هشام فى السيرة ١ : ٦٧ ، وفى التيجان : ٣٠٥ — ٣٠٧ ، والأزرقى ١ : ٩٣ ، والعقد ٢ : ٢٣ ، وغيرهم كثير ، والاختلاف فى روايتها وفى ترتيبها شديد .

(٢) بيض : لم يعن بياض الألوان ، إنما عنى نقاء الأعراض والشيم مما يعيبها . ومرازبة جمع مرزبان (بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاى) : معرب من الفارسية ، وهو عندهم رئيس القوم الفارس الشجاع المقدم عليهم ، دون الملك . غر جمع أغر : وهو الأبيض الوجه المتلألئ المضىء ، يريد نبلهم وكرمهم . وجحاجحة جمع جحجاح : وهو السيد السمح الكريم . تربب : تربى وترعى وتحفظ ، والتربيب أبلغ من التربية وأوسع معنى . والغيضات جمع غيضة : وهى الأجمة ، عند ماء مغيض يجتمع ، فينبت فيه الشجر الكثيف الملتف ، تألفه الأسود . والأشبال جمع شبل : وهو ولد الأسد إذا شب وبلغ الصيد .

(٣) رمض الرجل (بكسر الميم) يرمض : إذا اشتد عليه الحر أو الوجع فقلق وتململ . وحر الشىء يحر : سخن واشتدت حرارته . والمغافر جمع مغفر : زرد ينسج من حلق حديد على قدر الرأس يلبسه المحارب تحت القلنسوة ، ويسبغ على العنق فيقيه ، وينزل إلى العاتقين . فإذا اشتد الحر وحميت الشمس آذى المحارب بحره . يقول : هم صبر فى الحرب ، قد ألفوا لأواءها فلا يضجرهم حر القتال ولا حر الحديد من طول اعتيادهم .ميال : يميل عن سرج فرسه فى شدة الحرب ، جبناً أو فزعاً . هذا الذى أراد . يصفهم بالثبات والصبر فى اللقاء .

(٤) يروى « . . . كسرى شهنشاه الملوك له » . يقول : من له مثل كسرى وسابور ؟ يعنى : من له من الناس ملوك وأبطال مثل هؤلاء . وكسرى ، ملك الفرس يومئذ أنوشروان . وسابور الجنود : هو كسرى سابور ذو الأكتاف الذى غزا ساطرون ملك الحضر (ابن هشام ١ : ٧٣— ٧٥وغيره) . ووهرز : هو الذى أرسله كسرى أنوشروان مع سيف بن ذى يزن ، وملكه على اليمن لقتال الحبشة وإخراجهم . (ابن هشام ١ : ٦٤ — ٦٦ وغيره) . يذكر صولة وهرز على الحبشة ، وقتله مسروق بن أبرهة الحبشى ملك اليمن يومئذ .

فاشْرَبْ هَنِيئًا ، عليْكَ التَّاجُ ، مُرْتَفِقًا   فى رَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا منكَ مِحْلَالَا (١)
وَاُضْطَمِ بالمِسْكِ إذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ   وَأَسْبِلِ اليَوْمَ فى بُرْدَيْكَ إسْبَالَا (٢)

---

(١) مرتفق : متكئ على وسادة . وكذلك كانوا يفعلون فى مجالس الملوك . وغمدان : قصر عظيم كان بصنعاء اليمن ، كانت ملوكهم تنزله ، يزعمون أن عثمان بن عفان رضى الله عنه أمر بهدمه ، وله أخبار وذكر كثير . وقوله : داراً منصوب على أنه حال . ويقال أرض محلال وروضة محلال : إذا كانت سهلة لينة ممرعة خصيبة جيدة النبات ، مختارة لنزول الناس يكثرون الحلول بها لطيبها . يدعو له بالنعمة وطيب المنزل والرفاهية .

(٢) هكذا رواية ابن سلام « واضطم » ، وهى فى حماسة البحترى : ١٦ « واخطم » ، وكأنها خطأ وتحريف . وروى الأزرقى « والتط » وهذه روايات مشكلة . وسائر الروايات « واطل المسك » و « ثم اطل » ، وهى واضحة المعنى . وعندى أن رواية ابن سلام إذا صحت ، فإنما هى فعل أمر من اضطمخ بالمسك وتضمخ : تلطخ به وتطيب . فلما سكنت الخاء ، طرحها . والعرب تحذف من أواخر كلامها الحرف والحرفين ، كما قال سيبويه ١ : ٨ « اعلم أنه يجوز فى الشعر ما لا يجوز فى الكلام من صرف مالا ينصرف . . . وحذف ما لا يحذف ، يشبهونه بما قد حذف واستعمل محذوفاً ، كما قال العجاج :

قواطناً مكة من وُرْق الحَمِى

يريد الحمام » . وشواهده كثيرة ، ومما استشهدوا به قول لبيد :

دَرَسَ المنا بمُتَالِع فَأَبَان   وتقادمت بالحُبْس فالسُّوبان

أراد المنازل ، فحذف الزاى واللام . وقول الفرزدق :

أَحِينَ التقى نابَاىَ وابيضَّ مِسْحَلِى   وأطرق إطراق الكرا من أحارُبُه

أراد الكروان ، فحذف . وقول علقمة بن عبدة :

كأن إبريقهم ظبىٌ على شَرَفٍ   مُفَدَّمٌ بسبا الكتَّان مَرْثُومُ

أراد بسبائب الكتان . وهو كثير فى شعرهم . وأما رواية الأزرقى : « والتط » فهى أيضاً على حذف آخر فعل الأمر : التطخ . أمر من قولهم التطخ بالطيب وتلطخ به : تطلى أو ادهن . هذا ما استطعت أن أراه رأياً فى تأويل هاتين الكلمتين . ولم أعرف لهما وجهاً غير هذا الوجه .

وقوله : « إذ شالت نعامتهم » ، أى ارتحلوا من منازلهم وتفرقوا أو ذهب عزهم ودرست طريقتهم ، وهلكوا . وأصله من من قولهم : شالت كفة الميزان : ارتفعت لخفتها . والنعامة : الجماعة ، كأنه خف أمرهم حين تفرقوا وذهبت ريحهم (انظر ص ١٢١ رقم : ١) . وأسبل ثوبه : طوله وأرخاه وأرسله إلى الأرض إذا مشى ، يفعل المرء ذلك كبراً واختيالا . وضمن أسبل معنى اختال ، ولذلك عداه بحرف الجر « فى » ، كأنه قال له : سر مختالا فى برديك مرخياً من أذيالك بعد الذى فعلت وبلغت من النصر .

تِلْكَ المَكارِمُ ، لا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ   شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا[١]

* * *

٣٠٩ — وكان أُمَيَّةُ [بن أَبى الصَّلت][٢] كَثِيرَ العَجَائِبِ ، يذكرُ فى شِعْرِه خَلْقَ السَّمٰواتِ والأرْضِ ، ويذكُرُ المَلائكَة ، ويذكُرُ من ذٰلِكَ ما لم يَذْكُرهُ أحدٌ من الشُّعَراء ، وكان قد شَامَّ أهلَ الكِتَابِ[٣] .

٣١٠ — أَخْبَرنَا ابنُ سلّام ، قال : فحدَّث سفيان وابن دَأْبٍ : أَنَّ أُمَيَّةَ مرَّ بزَيْدِ بن عمرِو بن نُفَيْل ، أخِى عَدِىّ بن كَعْب[٤] ، وكان قَدْ طلبَ الدِّينَ فى الجَاهليَّةِ هو ووَرَقَةُ بن نَوْفل . فقال له أميَّة : يا باغِىَ الخير ، هل وجَدْتَ ؟ قال : لا . قال : ولَمْ أُوتَ مِنْ طَلَبٍ[٥] . قال : أَبَى عُلماءُ أَهْلِ الكتاب إلّا أَنه منّا أَو مِنْكم أَو من أَهلِ فِلَسْطِين .

---

(١) القعب : القدح الغليظ الجافى ، من خشب مقعر ، يروى الرجل . وشاب اللبن بالماء : خلطه ومزجه . يقول له : الذى فعلت هو المكارم والمآثر ، إذ بلغت ما بلغت من عدوك ، أما ما يتمدح به المتمدح من بذل شربة لبن إلى ضيف ، فليس بمكرمة تذكر ، وعدوه غالب وهو له مستكين .

(٢) زيادة زدتها للبيان .

(٣) شام الشىء يشامه : دنا منه وقرب ، من الشمم : وهو القرب والدنو ، أو من الشم أيضاً ، كأنه يدنو منه ويشم ما عنده ، أى كأنه يختبره ويذوقه ويعرف ما عنده . ومنه حديث على رضى الله عنه فى ذكر يوم الخندق وخروجه لمبارزته عمرو بن عبد ود قال : أخرج فأشامه قبل اللقاء ، أى أختبره وأنظر ما عنده . ويريد ابن سلام : أنه نال شيئاً من علم أهل الكتاب وأخبار دينهم .

(٤) يعنى أنه من بنى عدى بن كعب بن لؤى بن غالب . وكان زيد أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكل ذبائحهم ، وقد كاد يظله الإسلام ، ولكنها مات قبل البعثة بنحو خمس سنوات . وابنه سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنه .

(٥) هذه عبارة مبهمة ، وهكذا ضبطتها ، ولا أدرى أدخلها تحريف أم هى هى . يقول : لم أظفر بشىء مما طلبت ، وكان أمية أحد الذين خرجوا فى طلب الدين ، وكان هو يطلب النبوة . ولم أجد نص هذا الخبر فيما أتيح لى من الكتب .

٣١١ — وناحَ أميَّةُ علَى قَتْلى بَدْرٍ فقال :

ماذا ببـــدْرٍ فَالعَقَنْــقَلِ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَحَاجِحْ(١)

هَلَّا بَكيْتَ على الكِرَا مِ بَنِى الكِرَامِ أُولِى المَمادِحْ(٢)

٣١٢ — وقال أميَّة :

ومَا يَبْقَى على الحَدَثَانِ غُفْرٌ بِشَاهِقَةٍ له أُمٌّ رَؤُومُ(٣)

تَبيتُ اللَّيلَ حَانِيَةً عَلَيْهِ كَما يَخْرَمِّسُ الأَرْخُ الأَطُومُ(٤)

تَصَدَّى كُلَّما طَلَعَتْ لِنَشْزٍ وَوَدَّتْ أَنَّهَا مِنْه عَقِيمُ(٥)

---

(١) ديوانه : ٢٠ ، وروى بعضها وترك بعضاً ابن هشام ٣ : ٣١ ، وزعم صاحب الأغانى ٤ : ١٣٣ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن روايتها . العقنقل : كثيب رمل ببدر . والمرازبة والجحاجح : مضى تفسيرها فى رقم : ٣٠٨ .

(٢) الممادح : ما يستحسن من الأخلاق ، ضد المقابح ، وهى سيىء الأخلاق . كأنه جمع ممدحة ، وإن لم يستعمل مفرداً ، فيما أعلم .

(٣) ديوانه : ٥٣ — ٥٥ وروى البيتين الأولين صاحب اللسان عن ابن سلام فى مادة (أرخ) . الحدثان : مصائب الدهر ونوبه ، ويريد الموت . والشاهقة : ذروة الجبل ، والوعول تسكن رؤوس الجبال ، ولا تنزل الأرض إلا فى الفرط والندرة . رؤوم : شديدة العطف على ولدها محبة له .

(٤) شرح البيت سيأتى بعد الشعر ، وقد ذكر ابن سلام ما رأى ، ولكنى أرى أن الأرخ هنا : الفتية من بقر الوحش ، لا ولد البقر ، وقوله الأطوم : الضمام بين شفتيه ، حق أيضاً ، ولكن بيانه أنه من قولهم ، أطم : إذا زم شفتيه وسكت على ما فى نفسه من الهم والهلع . يقول : لا ينجو من المنية غفر تحوطه أمه وتحنو عليه ، حنو بقرة وحشية قد لزمت ولدها وتحننت عليه ، وهى متوجسة راهبة خائفة من كل حس ونبأة ، فهى صامتة تقلب طرفها يمنة ويسرة ، تتسمع مخافة ريب يريبها مما تخشى منه على ولدها . وقد تساهل ابن سلام ، كما تساهل أكثر شراح الشعر القديم . غفر الله لهم .

(٥) تصدى ، أصله تتصدى ، حذف التاء ، وتصدى للشىء : رفع رأسه وصدره ينظر ويتسمع متتبعاً صداه ، أى صوته . والنشز (بفتح فسكون ، وبفتحتين) : المتن المرتفع من أرض منهبطة . وبهذا البيت أتم معنى البيت السابق . يقول : إن هذه البقرة الغريرة العاطفة على ولدها مخافة ما يفجؤه من وحش يشكلها إياه ، كلما علت أرضاً مرتفعة ، أخذت تقلب رأسها تتسمع الأصداء ، حذراً على صغيرها ، وتود من شدة ما تلقى من عذاب القلق ، أنها لم تلده .

الغُفْر : ولد الوَعِل . والإِرْخُ : وَلَد البَقَرة . ويَخْرَمِّسُ : أى يتَصَمَّت . والأُطُومُ : الضَّمَّام بين شَفتيْهِ .

٣١٣ — ومَدَح أميَّةُ عبدَ الله بن جُدْعَان التَّيْمِىّ(١) ، فقال :

أأَذْكُر حاجتِى أمْ قَدْ كَفَانى ... حَيَاؤُك ؟ إنَّ شِيمَتَكَ الحَيَاءُ(٢)

كَرِيمٌ لا يُغَيِّرُه صَبَاحٌ ... عَنِ الخُلُق الكَرِيم ولاَ مَسَاءُ

وأَرْضُك كلُّ مَكْرُمَةٍ بَنَتْهَا ... بنُو تَيْمٍ ، وأنْتَ لهمْ سَمَاءُ

قَالَ ابن سلَّام : وأنشدَنِيها أبو بكر بن محمَّد بن وَاسِعٍ السُّلَمِىّ ، وأَنْشدنيها أيضاً أبو بَكْر(٣) ، وذكرتُها لخلَفٍ فعرَفها .

٣١٤ — وقال أميَّة :

عَطَاؤُك زَيْنٌ لِامرِئٍ قد حَبَوْتَه ... بخَيرٍ ، وما كلُّ العطَاء يَزِينُ(٤)

ولَيْسَ بشَيْنٍ لامرِئٍ بَذْلُ وَجْهِه ... إِلَيْك ، كما بَعْضُ السُّؤَال يَشِينُ

---

(١) سيد من قريش، وأحد أجواد العرب ، وكان يسمى «حاسى الذهب» لأنه كان يشرب فى إناء من الذهب . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه شهد فى داره حلف الفضول ، وحضر رسول الله مأدبة من مآدب ابن جدعان ، هووأبوجهل ، وهما غلامان ، فازدحما عليها ، فدفعه رسول الله ، فوقع أبوجهل على ركبته فجحشت جحشاً لم يزل أثره به ، حتى عرفه رسول الله به يوم قتل فى بدر . وكان عبد الله ابن عم أبى بكر الصديق ، فجاء فى الحديث أن عائشة قالت : « قلت يا رسول الله ! ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟ قال : لا ينفعه ! إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » ، رواه مسلم فى صحيحه ٣ : ٨٦ .

(٢) ديوانه : ١٧ ، والأغانى ٨ : ٣٢٨ .

(٣) فى المصرية « أبو بكر محمد بن واسع » ، والتكرار فيها ظاهرة ، وكأن فيها تحريفاً أو سقطاً لم أستطع أن أتبينه ، إذ لم أهتد إلى ترجمته أبى بكر بن محمد بن واسع هذا .

(٤) ديوانه : ٦٣ ، والأغانى ٨ : ٣٢٨ .

٣١٥ — أخبرنا ابن سلّام قال: وذكر عِيسَى بن عُمَر عنْ بعضِ أهل الطَّائف، عن أُختِ أُمَيَّة بن أبى الصَّلْت، قالت(١): إنِّى لَفِى بَيْتٍ فيه أُمَيَّة نَائِمٌ، إذ أَقْبل طَائِران أَبيَضَان فسَقَطا على السَّقْف، فسقط أحدُهما عليه، فشَقَّ بَطنَه وثبتَ الآخر مكانَه. فقال الأعْلَى للأسفل: أَوَعَى؟ قال: وَعَى. قال: أقَبِلَ؟ — ويقال: زَكا — قال: أَبَى. قال: خَسَأَ(٢). فرَدَّ عليه قلبَه وطارَ، والتأمَ السَّقف. قالت: فلما اسْتيقظَ قلتُ له: يا أُخَىّ! أحْسَسْتَ شيئًا. قال: لا! وإنِّى لأَجِد توصيبًا، فما ذاك(٣)؟ فأخبرْتُه. قال: يا أُخَيَّة! أنا رجُلٌ أرادَ اللهُ بِى خيْراً فلم أقبَلْه. قالت: فلما مَرِضَ مَرْضَتَه التى ماتَ فيها، قالت: فَإِنِّى عندَه، إذ نظر إلى السَّماء وشَقّ بَصَرُه، ثم قال(٤):

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما هَا أَنا ذَا لَدَيْكُما

لا ذُو بَرَاءَة فأعتذِر، ولا ذُو قوة فأنْتصِر. ثم أغمى عليه، ثم شَقَّ بَصَرُه ونَظر، وقال:

---

(١) هذه القصة رواها صاحب الأغانى ٤ : ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، وابن كثير فى البداية والنهاية ٢ : ٢٢٤ باختلاف فى ألفاظها ، وهى تباين رواية ابن سلام فى السياق ، وروتها كتب غيرهما بغير هذه الألفاظ . وهذه القصة روتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخته الفارعة بنت أبى الصلت الثقفية ، وكانت امرأة ذات لب وعفاف وجمال ، وكانت قدمت عليه مسلمة .

(٢) هذه الجملة بين الفاصلتين ، كانت فى الأصول بعد قوله : « أبى » ، واستحسنت ردها إلى هذا المكان لأنه مكانها . وزكا يزكو زكاء : صار زاكياً ، أى طاهراً صالحاً نقيا . وخسأ: خاب وخسر ، وأصله من الطرد . والخاسئ : المطرود من رحمة الله .

(٣) التوصيب : الفتور الشديد فى البدن . من الوصب : الوجع .

(٤) شق بصر الميت شقوقاً : انفتحت عيناه وشخص ، كأنه ينظر إلى شىء ، لا يرتد إليه طرفه .

لبَّيْكما لَبَّيْكما   هأنا ذا لديْكما

وقال : لا ذُو عشيرةٍ تحْمينى ، ولا ذُو مال يَفْدِينى . ثمّ أُغْمِى عليه ، فقلنا : قد أَوْدَى[1] ! ثم شقّ بصَرُه ونظَر إلى السَّماء فقال :

[لَبَّيْكما لَبَّيْكما   هأنا ذا لَديْكما]

بالنِّعم مَحْفُود ، من الذّنب مَخْضُود[2] . ثم أغمى عليه ، ثمّ شقّ بصَرُه وقال :

إنْ تَغْفِرِ اللّهُمّ تغفِرْ جَمَّا   وأَىُّ عَبْدٍ لكَ لا أَلَمَّا[3]

ثمّ أُغْمِى عليه ، ثمَ أفاق فقال :

لَيْتَنِى كُنْتُ ، قبْلَ ما قدْ بدَا لى ،   فى قِلال الجِبال أَرْعَى الوُعُولا[4]

كُلُّ عَيْشٍ وإِنْ تطاوَلَ دهْراً   قصْرُهُ مرّةً إلَى أَنْ يَزُولا[5]

ثم خفَتَ فماتَ .

---

(١) أودى : فاضت روحه وهلك .

(٢) فى الأصول : « محفود بالنعم ، مخضود من الذنب » . وسياق ابن كثير فى البداية والنهاية أجود ، فلذلك أثبته هنا . وانظر اللسان أيضاً « خضد » . محفود : مخدوم معان . من قولهم حفده : خدمه وأعانه . ومخضود : منقطع الحجة منكسر ، من قولهم خضدت الشجرة ، وكل شىء لين ، قطعتها أو كسرتها .

(٣) هذا البيت لأبى خراش الهذلى ، وليس فى ديوانه المطبوع ، وإن كان السيوطى نقل نسبته إليه عن السكرى فى شرح أشعار هذيل . (شرح شواهد المغنى : ٢١٣) وكذلك نسبه ابن الشجرى فى أماليه ٢ : ٢٢٨ ، ثم انظر الخزانة ١ : ٣٥٨ ، والعينى (على هامش الخزانة ٤ : ٢١٦) ، وتفسير الطبرى ٢٧ : ٣٩ ، ٤٠ . قال : وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت ويقولون : « إن تغفر اللهم . . . »

(٤) قلال جمع قلة : وهى رأس الجبل . والوعول جمع وعل : وهو تيس الجبل ، يسكن ذرى الجبال لا يفارقها إلا لماماً . والوعول لا ترعى كما ترعى الغنم ، فهى ليست من النعم . ولكنه يريد : ليتنى كنت فى الجبال فأتوحش وأتفرد ويألفنى وحش الوعول ، حتى تطمئن إلى فأرعاها كما يرعى الناس الغنم .

(٥) قصره : غايته ونهايته .

* * *

٣١٦ — قال ابنُ سَلّام[١]: وأبو مِحْجَن رجلٌ شاعرٌ شَرِيفٌ. وكان قَدْ غلَبَ عَلَيْهِ الشَّرابُ، فضُرِب فيه مِراراً، ثمّ حَبَسَه سَعْدٌ بالقادِسِيّة في القَصْر معه، والنّاسُ يَقْتَتِلون، فجالَ المُسلمون جَوْلَةً[٢] وهو يَنْظُر فقال:

كَفَى حَزَناً أن تُطْرَدَ الخيلُ بالقَنا ... وأُتْرَكَ مَشْدُوداً عليّ وَثاقِيا[٣]

إذا قُمْتُ عَنَّانِي الحَدِيدُ، وأُغْلِقَتْ ... مَصارِيعُ مِنْ دُونِي تُصِمُّ المُنادِيا[٤]

وقَدْ كُنْتُ ذا مالٍ كَثيرٍ وإخْوَةٍ، ... فقد تركُونى واحِداً لا أَخا لِيا

أَرِينِي سِلاحِي، لا أَبا لكِ، إنَّنِي ... أَرَى الحَرْبَ ما تَزْدادُ إلّا تَمادِيا

وكان مُقيَّداً يَوْمَئذٍ عند زَبْدٍ[٥]، أمِّ وَلَدِ سعد بن أبي وقّاص، فقال لها:

---

(١) قد مضى فى التعليق على رقم: ٣٠٥ أن اسم أبى محجن كان ساقطاً هناك فى نص المطبوعتين.

(٢) كان ذلك فى ليلة أغواث من أيام القادسية فى سنة ١٤ من الهجرة. جال الناس فى الحرب جولة: انكشفوا منهزمين، ثم يكرون على عدوهم.

(٣) ديوانه: ١٧، وخبر قصته هذه فى الطبرى ٤: ١٢٣، والأغانى ٢١: ١٣٩ وغيرهما. تطرد: تدفع دفعاً شديداً حتى تنقلب منهزمة.

(٤) عناه الشىء: حبسه وبلغ منه غاية العناء. مصاريع جمع مصراع، وللبيت مصراعان: وهما بابان. وأراد أبواب قصر سعد الذى كان فيه. وقوله «تصم المناديا»، أى تجعله أصم، من قولهم: أصمه الله: سد أذنيه فثقل سمعه. وذلك أن الأصم إذا بالغ فى النداء ظن أنه مقصر فيلح فى رفع صوته ولا يقلع. ويقولون من ذلك: دعا دعوة الأصم، إذا بالغ فى النداء. يصف أبواب القصر المغلقة وضخامتها، وقلة نفاذ الصوت منها، فالمنادى إذا نادى من خلالها، احتاج أن يبالغ فى النداء مبالغة الأصم.

(٥) فى الأصول «زبراء، أم ولد سعد ...»، وهو خطأ، والصواب ما أثبته، ويزعم بنوها من سعد بن أبى وقاص أنها: «زبد ابنة الحارث بن يعمر بن شراحيل بن عبد عوف ابن مالك بن جناب بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل، أصيبت سباء» وأما رواية الأغانى والطبرى، فقد ذكر أن التى أطلقته أخرى من نساء سعد هى: «سلمى بنت خصفة ابن ثقف بن ربيعة، من تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة».

أَطْلِقينى ، فَلَكِ اللهُ ، لَئِنْ فَتَحَ اللهُ عَلَى المُسلمين وسَلِمْتُ ، لأَرْجِعَنَّ حَتَّى أَضَعَ رِجْلَىَّ فى القَيْد . فأَطْلَقَتْهُ ، وحمَلَتْه على فَرَسٍ لسعْدٍ ، فأخذ الرُّمحَ فخَرَج فقاتَل ، نَحطَم المُشْرِكين ، وكان سَبَبَ الهزِيمةِ . فقال سعد : لولَا أنَّ أبا مِحْجَنٍ مَحْبُوس لقُلْتُ : الفارِسُ أبُو مِحْجَن ! فلمّا فتَح الله على المسلمين رَجَع إلى مَحْبِسه ، فقال له سعد : لَاضَرَبْتُكَ فى الخمرِ أبدًا . فقال أبو محجن : وأنا وَالله لا أَشْرَبُها أَبداً [١] .

* * *

٣١٧ — قال ابن سلّام : ولِغَيْلَان بن سَلَمَة شعرٌ ، وهو شَرِيفٌ [٢] . وكان قَسَم مَالَه كُلَّه بين وَلَدِه ، وطلَّق نِساءَه . فقال له عُمَر : إن الشَّيطان

---

(١) روى الطبرى ٤ : ١١٤ ، أن سعداً حبس أبا محجن وسواه من الناس وقيدهم فى القصر ، إذ كانوا قد اختلفوا عليه وشغبوا ، فحبسهم . وانظر أيضاً الطبرى ٤ : ١٢٣ — ١٢٤ . وروى ابن عبد البر ، أن عمر حده فى الخمر ثمانى مرات ، فأبي أن يقلع . فلما كان يوم القادسية وقال له سعد ما قال ، قال لسعد : «كنت آنف أن أدعها من أجل جلدكم » . غفر الله له ورضى عنه ، ما كان أنبله !

(٢) لم يذكر له ابن سلام شعراً ، ولعله ساقط من المطبوعتين . فانظر شعره فى الأغانى ١٢ : ٤٣ — ٤٧ . وقد أسلم غيلان زمن الفتح ، ثم أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعروة بن مسعود الثقفى إلى جرش ، يتعلمان صنعة الدباب والضبور والمجانيق ، فلم يشهدا حنيناً ولا الطائف . والضبور : جلد يغشى خشباً فيها رجال تقرب إلى الحصون عند القتال ، لحطم أبوابها وقتال أهلها . وكان غيلان أحد حكماء الناس وعقلاء الرجال . وابنته بادية بنت غيلان ، التى وصفها هيت المخنث .

قد نَفَثَ فى رُوعِكَ أنَّك ميِّتٌ ، ولا أُراهُ إلا كَذلك(١) ، لتَرْجِعَنَّ فى مَالِك ولَتُراجِعَنَّ نِساءَك ، أوْلاَ آمُرَنَّ بقَبْرِكَ أن يُرْجَم كما يُرْجَمُ قبرُ أبى رِغَالٍ(٢) . ففَعل .

---

(١) الروع : القلب والخلد ، نفث فى روعه ، وألقى فى روعه : أوقع فى نفسه . نفث : نفخ ، يعنى ألقى له الشيطان ووسوس . وقوله « لا أراه » بالبناء للمجهول ، أى لا أظنه ، من رأيت : أى ظننت يتعدى لمفعولين .

(٢) حديثه فى سنن أبى داود ٣ : ٢٤٥ ، عن عبد الله بن عمرو : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، حين خرجنا إلى الطائف ، فمررنا بقبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا قبر أبى رغال ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه . وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه ، فابتدره الناس فاستخرجوا الغصن » . وقوم أبو رغال هم ثمود . وقد تكلم على الحديث ابن كثير فى البداية والنهاية ١ : ١٣٧ . وزعم ابن هشام فى روايته عن ابن إسحق ١ : ٤٩ أن أبا رغال هو الذى بعثته ثقيف مع أبرهة والفيل لهدم الكعبة ، فلما نزلوا المغمس ، بين مكة والطائف ، مات أبو رغال هنالك ، فرجمت قبره العرب . وقد كثرت فيه الروايات ، والحديث أثبت ، وإن تكلم فيه .

شعراء البحرين

قالَ ابن سَلّام : وفى البَحْرَيْن شِعْرٌ كَثِيرٌ جَيِّدٌ وفَصاحةٌ[1] ، منهم :

٣١٨ — المُثَقِّب ، وهو عائِذ بن مِحْصَن بن ثَعْلبة بن واثلة بن عَدِىّ بن [عوف بن] دُهْن [بن عُذْرة] بن مُنَبِّه بن نُكْرَة — وهى القبيلة — ابن لُكَيْز بن أَفْصَى بن عبدِ القَيْس[2]. وإنما سُمِّى المُثَقِّبَ لبيتٍ قاله :

رَدَدْنَ تَحِيَّةً وكَنَنَّ أُخرى ، وثَقَّبْنَ الوَصَاوِصَ للعُيُونِ[3]

٣١٩ — وقال أيضاً :

ظَعائِنُ لا تُوفِى بهنَّ ظَعَائنٌ ، ولا الثّاقِبَاتُ من لُؤَىِّ بن غالِبِ[4]

---

(١) البحرين : كانت قديماً اسم مكان جامع لبلاد على ساحل الهند ما بين البصرة وعمان ، وقصبتها هجر . أما المعروفة الآن باسم البحرين ، فهى جزيرة يحيط بها البحر فى ناحية البحرين ، وكانت تعرف قديماً باسم أوال (بضم الهمزة وفتحها) ، كان فيها نخل كثير وليمون وبساتين .

(٢) ما بين القوسين ، زيادة من نسبه ، فى شرح المفضليات : ٣٠٣ ، ٥٧٤ ، وجمهرة الأنساب : ٢٨١ . وفيها جميعاً « واثلة بن عدى » ، وتركت ما فى الأصول على حاله ، لأنى رأيت ابن دريد فى الاشتقاق : ٢٠١ يذكر من بنى عبد القيس : « بنو واثلة » .

(٣) من قصيدته التى ستأتى فى رقم : ٣٢٠ . وصدر البيت اختلفت الرواية فيه . كن الشىء : ستره ، يريد كتمنها ومنعنها . الوصاوص جمع وصواص : وهو ثقب فى الستر ونحوه على قدر العين ينظر منه. يريد ستر الهودج ، قد اتخذن فيه ثقوباً صغاراً ينظرن منها ، وفعلن ذلك حبا له ، يتزودن منه نظرات قبل الفراق .

(٤) الظعائن جمع ظعينة : الجمل يظعن عليه ، أو الهودج تكون فيه المرأة . فسميت المرأة ظعينة ، لأنها تستتر فى هودجها ، فأكرموها عن الذكر بالكناية عنها . ووفى الدرهم المثقال : عادله ، وكذلك أوفى به يوفى . يقول : كريمات لا يساويهن فى الناس كريمات ، الثاقبات : الزاكيات الحسب ، المعروفات المشهورات بكرم المحتد . حسب ثاقب : مشهور متعالم ، كأنه نير متوقد . من قولهم ، ثقب الكوكب : أضاء وتلألأ . ولؤى بن غالب ، جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقريش أكرم العرب حسباً .

ولا ثَعْلَبِيَّاتٌ حَلَلْن عُبَاعِباً ، وَلَا أُسْرَةُ القَعْقَاع من رَهْطِ حَاجِبِ (١)

وتميمٌ تنشد :

ولا نَهْشَلِيَّاتٌ أبُوهُنَّ دارمٌ ، وَلَا أُسْرَةُ القَعْقَاع من رَهْطِ حَاجِبِ (٢)

٣٢٠ — والمثقِّب العَبْدِىّ هو الذى يقول :

أَفاطِمَ قبْـلَ بَيْنِك مَتِّعِينِى وَمَنْعُكِ ما سَأَلْتُكِ أَنْ تَبِينِى (٣)

وَلَا تَعِدِى مَواعِـدَ كاذِبَاتٍ تَمُرُّ بها رِيَاحُ الصَّيْف دُونِى (٤)

فَإِنِّى لَوْ تُخَالِفُنِى شِمَالِى عِنَادَكِ ، ما وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِى (٥)

---

(١) ثعلبيات : يعنى نساء من بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل، وهم من كرام العرب وملوكها . وعباعب : بالبحرين ، ماء لبنى قيس بن ثعلبة . والقعقاع : هو القعقاع ابن معبد بن زرارة بن عدس بن زيد بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . والقعقاع أحد الشجعان والأجواد ، وكان يسمى «تيار الفرات» لسخائه . وعمه حاجب بن زرارة بن عدس، وهو الذى رهن كسرى قوسه ، وضرب بقوسه المثل . وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وأسلم القعقاع أيضاً .

(٢) نهشليات : من بنى نهشل بن دارم بن مالك، من بنى تميم (انظر النسب فى التعليق الماضى) ، وبنو نهشل من سادة العرب ورؤوسهم وأشرافهم . وتنشده تميم هكذا ، لتذهب بالفخار كله !

(٣) المفضليات : ٥٧٤ ، قصيدة طويلة جيدة . الأربعة الأولى متتابعة أول القصيدة فى صاحبته فاطمة ، والأخرى متتابعة من عند آخرها من (٣٤ — ٣٧) فى ذكر ناقته . البين : الفراق . ومتعينى : زودينى حديثاً أو نظرة أو عدة ، من المتاع : وهو كل شىء ينتفع به ويتزود به . ثم يقول : ومنعك ما أسألك من حسن المودة هو الفراق ، لا فراق الأبدان ، بل فراق الأرواح . ويروى هذا الشطر :

« وَمَنْعُكِ ما سألتُ كأَنْ تَبِينِى »

أى هما سواء : منعك وفراقك .

(٤) رياح الصيف : رياح شديدة الهبوب عاصفة ذات عجاج وغبار . وتمر بها : تذهب بها وتفرقها فى كل وجه . وإنما عنى برياح الصيف ، ما يثور بينه وبينها من الخلاف والعناد واليأس ، وكل ما يذهب بالمودة ويعصف بالمواعيد .

(٥) يروى « لو تخالفنى شمالى ، خلافك » و « لو تعاندنى شمالى ، عنادك » ، والخلاف والعناد بمعنى متقارب ، فلذلك أقام المصدر هنا مقام أخيه ، لأنه فى معناه ،كأنه أراد الجمع بين معنى الخلاف والعناد .

إذَا لَقَطَعْتُها ولَقُلْتُ : بِينى ! كَذلكِ أَجْتَوِى مَنْ يَجْتَوِينى (١)

* * *

إذا مَا قُمْتُ أَرْحَلُها بلَيْلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُل الحَزِينِ (٢)

تَقُول إِذَا دَرَأْتُ لهَا وَضِينِى : أَهَـذا دِينُهُ أبَدًا ودِينى (٣) ؟

أَكُلَّ الدَّهرِ حَلًّا وارْتِحالًا ؟ أَمَا يُبْقِى عَلَىَّ وَلَا يَقِينِى (٤) ! !

فَأَبْقَى بَاطِلِى والجِـدُّ مِنهـا كدُكَّانِ الدَّرَابِنَةِ المَطِينِ (٥)

---

(١) اجتوى المكان : كرهه واستثقله وأعرضت نفسه عنه .

(٢) الضمير فى البيت لناقته ، وقد أجاد صفتها فى أبيات سابقة . رحل ناقته : وضع عليها رحلها يتهيأ للرحيل . وهو بيت نبيل ، وإنما تتأوه الناقة حنيناً إلى ديارها .

(٣) فى الأصول : « درأت بها وضينى » ، وهى رواية ، لو صحت ، قريبة المعنى مما سوف نفسره ، والأخرى أجود وأثبت . والوضين : حزام عريض من جلد منسوج بعض على بعض يشد به الرحل على البعير ، ولا يكون إلا منسوجاً ، لأن الوضن : النسج المضاعف ، ومنه قوله تعالى : « على سرر موضونة » ، أى منسوجة بالدر والجوهر ، مداخل بعضها فى بعض . ودرأ الوضين لناقته : بسطه على الأرض ثم أبركها عليه ليشد عليها رحلها به . والدين : الدأب والعادة والديدن . يذكر ضجر ناقته من طول حله وارتحاله فى البوادى لا يريحها ولا يستريح .

(٤) هذا أيضاً مما قالته ناقته ، زعم ، فى تململها من سوء عشرته لها بطول أسفاره . أبقى عليه : رحمه من الجهد والنصب ، فأبقاه واستحياه بالتخفيف عنه ، والاسم منه البقيا ، (بضم فسكون ففتح) . وقاه : صانه فلم يعرضه للتلف والآفات ، وحماه ما يكره .

(٥) باطله : ركوبها فى طلب الشراب والصيد واللهو والغزل . وجده : ركوبها فى الغارات وطلب المعالى والسعى فى دركها . يذكر فتوته فى باطله وجده . الدكان : مرتفع مدكوك يبنى ويسطح أعلاه ، فيصير دكة يجلس عليها أمام البيت . والدرابنة جمع دربان (بفتح فسكون ، أو كسر فسكون) : هو البواب . والمطين : المطلى بالطين أو الشيد ، وهو الجص والبلاط . يقول أبقى منها ارتحالى فى باطلى وجدى ، هيكلا ضخماً كأنه بنيان مدكوك . يصف قوتها وضخامتها بعد أن براها السير . وذهب ابن الأنبارى وسائر الشراح إلى أن الجد هنا جد الناقة فى سيرها . وهو هنا رأى فاسد ، مفسد لتمام الشعر ، ومن قرأ الشعر عرف فساده . إنما أراد أن يتمدح بلهوه وجده معاً .

وهٰذه الأبياتُ بعضُ القَصِيدة ، وإنَّما انتخَبْنا أجودَها أبياتاً[١] .

* * *

٣٢١ — ومنهم : المُمزَّق العبدى ، واسمه : شأسُ بن نَهار بن أَسْود[٢] ، وإنَّما سُمِّى المُمزَّق ببيتٍ قاله :

فإنْ كُنْتُ مأكولًا ، فكُنْ خيرَ آكِلٍ وإلَّا فأَدْرِكْنى ولمَّا أُمَزَّقِ[٣]

قال : وبلَغَنى أن عُثْمان بن عَفَّان بعث به إلى علىّ بن أبي طَالبٍ رحمة الله عليهما ورَضِى عنهما ، حين بُلِغَ منه وأُلِحَّ عليه[٤] .

* * *

٣٢٢ — ومنهم : المُفَضَّل بن مَعْشَر بن أَسْحَم بن عَدِىّ ابن شَيْبَان بن سُوَيْد بن عُذْرَة بن مُنَبِّه بن نُكْرَة[٥] فضَّلْته

---

(١) بل فى القصيدة شعر جيد كثير ، أغفله ابن سلام ، لا أدرى ، أم سقط من أصول النسخ المطبوعة .

(٢) تتمة نسبه « أسود بن جزيل بن حي بن عساس بن حي بن عوف بن سود بن عذرة بن منبه ابن نكرة » . ثم سائر النسب كما مضى فى رقم ٣١٨ ، وهو ابن أخت المثقب العبدى . جمهرة الأنساب : ٢٨٢ ، وشرح المفضليات : ٥٩١ .

(٣) البيت من قصيدة يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر من سعاية بلغته عنه ، رواها الأصمعى فى الأصمعيات : ٤٧ .

(٤) روى رسالة عثمان هذه أبو العباس فى الكامل ١ : ١١ .

(٥) ذكره ابن دريد فى الاشتقاق : ١٩٩ ، فقال : « المفضل بن معشر صاحب المنصفة ، قالها فى حرب كانت بينهم فى الجاهلية : » . وذكره ابن قتيبة فى المعارف : ٤٥ ، فقال : « المفضل بن عامر الشاعر صاحب القصيدة المنصفة » . وفى حواشى الأصمعيات : ٦٧ « وقال غير الأصمعى هى لعامر ابن أسحم بن عدى بن شيبان . . . » ، وكذلك جاء فى الحماسة البصرية كما نقله العينى ٢ : ٢٣٥ ، والسيوطى فى شرح شواهد المغنى : ٦٢ ، وفى جمهرة الأنساب : ٢٨٢ كما هو هنا . وذكر السيوطى فى

قصيدتُه التى يُقال لها المُنْصِفة(١) ، وأولها :

أَلَمْ تَرَ أنَّ جِيرَتَنا اسْتَقلُّوا فنِيَّتُنا ونِيَّتُهمْ فَرِيقُ(٢)

٢٢٣ — وقد اختُلِفَ فى القائل :

هَلْ لِلفَتَى من بَنَاتِ الدَّهْرِ من رَاقِى ؟ أمْ هَلْ لَه من حِمَامِ المَوْتِ من وَاقِى(٣) ؟

شرح شواهد المغنى : ٦٢ أنه « المفضل النكرى من عبد القيس ، واسمه عامر بن معشر بن أسحم » ، وكذلك ذكره أبو عبيد البكرى فى اللآلئ : ١٢٥ ، بيد أن الراجكوتى حين رأى هذا الاختلاف ، تحامل على أبى عبيد فرماه بأنه خلط بين الرجلين تخليطاً قبيحاً . ولا أظنه إلا كما قال ابن سلام . ورأيت ابن دريد فى الاشتقاق : ٢٠٠ ذكر رجلا اسمه جهم بقى بالبصرة بعد أن أجلى أهل البصرة منها ، وقال : « وهو المفضل الذى يقول :

فداءٌ خالَتى لبنى حُبَىٍّ خصوصاً يوم كُسُّ القوم رُوقُ »

والشعر جاهلى لا شك فيه ، وكأن هذا الذى فى الاشتقاق خلط قديم من الناسخ ، ينبغى أن يجىء فى مكانه من ص ١٩٩ فى ذكر المفضل النكرى . والرأى عندى أن اسم المفضل كما يتبين من هذا الاضطراب « عامر بن معشر بن أسحم » كما قال السيوطى وأبو عبيد البكرى ، وأنه سمى مفضلا بقصيدته .

(١) انظر ما كتبناه عن القصيدة المنصفة فى رقم : ١٣٧ .

(٢) الأصمعيات : ٥٣ وحماسة البحترى : ٤٨ . النية : القصد والوجهة ، فريق : متفرقة مختلفة .

(٣) انتهى الخرم الذى وقع منذ رقم : ٢٩٨ ، وبدأت المخطوطة بهذا البيت . وكأن المخطوطة فيما أظن ، كان فيها ذكر يزيد بن خذاق الشنى ، فهو أيضاً من شعراء البحرين ، وهذه الأبيات تنسب له ، وللممزق العبدى ، الماضى ذكره فى رقم : ٣٢١ . وهو : « يزيدُ بن خَذَّاق الشنّى ، من شَنّ بن أفْصَى بن دُعْمىّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان » (شرح المفضليات : ٥٩٣) .

والأبيات فى المفضليات : ٦٠٠ منسوبة للممزق العبدى . وفى الشعر والشعراء : ٣٤٥ ، وفى اللآلئ : ٧١٣ ، وفى أمثال العسكرى : ٢٠٧ ، وغيرها منسوبة ليزيد بن خذاق . فهذا ما ذكر ابن سلام من الاختلاف فى قائلها . وقال العسكرى : « وهى أول مرثية رثى بها شاعر نفسه » . وقال أبو عمرو ابن العلاء : « أول شعر قيل فى ذم الدنيا قول يزيد بن خذاق . . . »

وبنات الدهر : نوائبه ومصائبه . والراقى : الذى يرقى صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات ، فيعوذ المصاب من شرها . الحمام : قضاء الموت وقدره ، من قولهم حم الشىء أى قدر . وهو هنا على أصله . ثم يقال للموت نفسه الحمام .

[ورَجَّلُونِى وما رُجِّلْتُ من شَعَثٍ ... وأَلْبَسُونِى ثِيَاباً غيرَ أَخْلَاقِ (١)

ورَفَّعُونِى وَقالُوا : أَيُّما رَجُلٍ ! ... وأَدْرَجُونِي كأَنِّى طَىُّ مِخْرَاقِ (٢)

وأَرْسَلُوا فِتْيَـةً من خَيْرِهِمْ حَسَباً ... لِيُسْنِدُوا فى ضَرِيحِ التُّرْبِ أَطْبَاقِى] (٣)

خَفِّضْ عَلَيْكَ ولا تُولَعْ بِإِشْفَاقِ ... فَإِنَّما مَالُنا لِلوارِثِ البَاقِى (٤)

* * *

٣٢٤ — ولا أعرِف باليَمَامة شاعراً مَذْكوراً (٥) .

---

(١) رجل شعره : سرحه . والشعث : تفرق الشعر وانتكاثه . والأخلاق : البالية . يريد ما يفعلونه بالميت من تغسيله وترجيل شعره ، وإدراجه فى الكفن الجديد .

(٢) رفعونى : حملونى على أعواد النعش ، على أعناقهم . ويروى : « ورفعونى » ، بغير تشديد . أدرج الشىء : لفه فى ثوب أو غيره ، يعنى طيه فى الكفن . والمخراق : ثوب أو خرق تلف وتلوى ، ثم يضرب الصبيان به بعضهم بعضاً . يذكر لين جسد الميت وتثنيه وسكونه ، فهو يطوى فى الكفن ، كأنه ثوب يطوى على ثوب ليس بصلب ولا متماسك .

(٣) أرسلوا فتية : يعنى أنزلوهم فى شق القبر لكى يتلقوا جثمانه ، فيضجعوه ويسندوه فى التراب . وقوله : من خيرهم حسبا ، ليس على سبيل الفخر ، بل هى الحسرة والسخرية ، وأن ذلك كله ليس يغنى عنه فتيلا ، وما يجدى عليه أن يتولى دفنه خير الناس حسباً ! . والضريح : شق القبر فى جوف الأرض . من الضرح : وهو الشق . والأطباق جمع طبق : وهى فقار الظهر . يريد أوصاله وأعضاءه . وكل ذلك يريد به أن يسخر من شدة عناية الحى بالميت ، حين هو لا يرد عليه شيئاً .

(٤) الإشفاق : التخوف والحرص . وولع بالشىء وأولع به (بالبناء للمجهول) : لج فى حبه أو فى الاهتمام به . وليس قوله « الباقى » بعد ذكر الوارث ، فضولا من القول ، بل هو حسرة أخرى حين يذكر هلاكه وبقاء وارثه من بعده . وفى الأبيات زيادة انظرها فى مراجعها .

(٥) بين اليمامة والبحرين مسيرة عشرة أيام ، وهى تعد من نجد ، وكانت تسمى جوا . وهى من قديم بلاد العرب المذكورة ، كانت منازل طسم وجديس .

طبقة شعراء يهود

وفي يَهُودِ المدينةِ وأكْنافِها شِعْرٌ جيّد، منهم:

٣٢٥ — السَّمَوْأَلُ [بن غَرِيضِ] بنِ عادِياء، من أَهْل تَيْماء[1]، وهو الذى كان امرُؤ القَيْس استَوْدَعه سِلاحَه، فسارَ [إليه] الحارثُ ابن أبى شَمِر [الغَسّانِىّ] فطلبه، فأغْلَق الحصنَ دُونه. وأخَذَ ابنًا له خارجًا من القَصْر، فقال: إمَّا أن تُؤَدِّىَ إلىّ السِّلاح، وإمّا أن أَقْتُلَه. قال: اُقْتُلْه، فلنْ أُؤَدِّيها إليْك. ووَفَى[2]، فضَرَب به الأعْشَى المَثَل، فقال:

كُنْ كالسَّمَوْأَلِ إذْ طَافَ الهُمَامُ بِهِ ... فِى جَحْفَلٍ كَهَزِيعِ اللَّيْلِ جَرَّارِ[3]
بالأَبْلَقِ الفَرْدِ مِنْ تَيْماءَ مَنْزِلُهُ ... حِصْنٌ حَصِينٌ وجارٌ غيرُ غدّارِ

---

(١) ما بين القوسين فى نسب السموأل، عن الأغانى ١٩ : ٩٨، وانظر بعد رقم : ٣٣٠. وتيماء: بلد بين الشام ووادى القرى، وبها نخل وتين وعنب، وهى من بلاد طيئ، وكان يشرف عليه حصن السموأل المعروف بالأبلق الفرد، بناه جده عادياء.

(٢) خالف السموأل غدر قومه ووفى! انظر خبر نزول امرئ القيس عليه الأغانى ٩ : ٩٦ وما بعدها، و ١٩ : ٩٨ وما بعدها.

(٣) ديوانه: ١٢٦، والأغانى فى ٩ : ١١٩، ١٩ : ٩٩ — ١٠٠، وكان الأعشى قد هجا رجلا من كلب، فأغار على قوم كان الأعشى نازلا فيهم فأسره وهو لا يعرفه، ثم مضى الكلبى فنزل بأسراه على شريح بن السموأل بن عادياء، فلما مر بالأعشى، استجار به، وقال له هذا الشعر الذى منه هذه الأبيات، فاستوهبه من الكلبى فوهبه له فأطلقه وأكرمه وحباه. والهمام: يعنى الحارث بن أبى شمر، ويقال بل الحارث بن ظالم المرى، والجحفل: الجيش الكثيف العريض، فيه خيل. لأنه مأخوذ من جحافل الخيل، وهى أفواهها، وسمى الجيش كذلك إذا كثرت فيه الخيل، لشدة عنايتهم بها. والهزيع: الطائفة من الليل، فى ثلث الليل، حين يشتد الظلام ويستوحش. يصف كثافة جيشه، وغبار خيله.

[إذْ سامَهُ خُطّتَىْ خسْفٍ ، فقال له: قُلْ مَا تَشاءُ فإنِّى سامِعٌ حارِ][١]

فقال : ثُكلٌ وغدرٌ أنت بَيْنَهما، فَاُخترْ ، فمَا فِيهمَا حَظٌّ لِمُخْتَارِ

فشكَّ غيرَ طَوِيلٍ ، ثم قالَ له : اُقتلْ أسيرَكَ إنِّى مَانِعٌ جَارِى[٢]

٣٢٦ — والسَّمَوْأَل [بن عَادِيَاء] يقول فى كَلِمَةٍ له طويلةٍ :

إنَّ حِلْمِى إذَا تغيَّبَ عَنِّى ، فَاُعلمِى أننى عَظِيماً رُزِيتُ[٣]

ضَيِّقُ الصَّدْرِ بالِخيانَة ، لا يَنْـ قُضُ فقرى أمَانتى ، مَاحَيِيتُ[٤]

كَمْ فَظِيعٍ سَمِعْتُهُ فتصَامَمْـ تُ ، وَغَىٍّ تَرَكْتُه فَكُفِيتُ[٥]

لَيْت شِعْرِى ! وَأَشْعُرَنَّ ، إذَا مَا قَرَّبُوها مَنْشُورَةً فقَرَيْتُ ![٦]

---

(١) زدت البيت من الأغانى والديوان ، لأن سياق الشعر يتطلبه . الخسف : الظلم والذل وتحميل المرء ما يكره . وسامه خطة خسف : كلفه ما يشق عليه من الظلم المهين .

(٢) شك : تردد ، أى توقف لحظة حتى أصاب يقين نفسه .

(٣) ديوانه : ١٣ ، والأصمعيات : ٢٠ ، رزيت : رزئت ، من الرزء : وهو المصيبة البالغة . يقول : أعظم الرزء رزء المرء فى حكمته وحسن عقله .

(٤) يقول : لا يطيق الخيانة ، وإن افتقر ، فالفقر لا يهدم أمانته ووفاءه .

(٥) كفيت : وقيت ما يجلبه من الشر والمكروه . والغى : الضلال والفساد ، وإنما أراد الشر والجهل .

(٦) ليت شعرى : ليت لى علما حاضراً يحيط بما سوف يكون . وأشعرن : استفهام ، يقول : وهل أشعرن ؟ فحذف أداة الاستفهام . شعر يشعر شعراً : علم . والضمير فى قوله : قربوها ، إلى مفهوم من السياق ، يعنى صحف أعماله يوم القيامة . وذلك قوله تعالى : « وَإذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ » وقوله سبحانه : « وَكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً . اُقرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً » . وقوله : « فقريت » أى فقرأت ، وهى لغة . وفى رواية أخرى « ودعيت » .

أَلِىَ الفَضْلُ أمْ علىَّ إذا حُوسِـ ... بْتُ ؟ إنِّى عَلَى الحِسَابِ مُقِيتُ (١)

مَيْتَ دَهْرٍ قَدْ كُنْتُ ، ثُمَّ حَيِيتُ ، ... وحَيَاتِى رَهْنٌ بِأن سَأَمُوتُ (٢)

* * *

٣٢٧ — ومنهم الرَّبيعُ بن أبى الُحَقَيْقِ من بَنى النَّضِير ، وهو الذى يقول (٣) :

سَائِلْ بِنَا خَابِرَ أَكْفَائِنَا ، ... والعِلْمُ قد يُلْقَى لَدَى السَّائِلِ (٤)

لَسْنَا إذا جَادَتْ دَوَاعِى الهَوَى ... وأُسْتَمِعَ المُنْصِتُ لِلقَائِلِ (٥)

وَأُعتَلَجَ القَوْمُ بأَلْبَابِهِمْ ... بِقَابِلِ الجَوْرِ ولاَ الفَاعِلِ (٦)

---

(١) المقيت : الحافظ للشىء والشاهد له . وقالوا فى تفسيره : أى أعرف ما عملت من السوء ، لأن الإنسان على نفسه بصيرة . ويعجبنى بيان الطبرى فى تفسيره ، ٥ : ١١٩ قال : « وأما المقيت فى قول اليهودى . . . ، فإن معناه : فإنى على الحساب موقوف » . وروى هذا القول عن أبى عبيدة .

(٢) قال الله تعالى : « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » . فقوله « ميت دهر » يعنى الموتة الأولى . ويقولون : أنالك رهن بكذا : أى كفيل ، وأصله من الرهن : وهو الشىء الملزم .

(٣) ترجم له صاحب الأغانى فى ٢١ : ٦١ .

(٤) الأغانى ١٩ : ١٠٠ ونسبها لسعية بن غريض الآتى ذكره فى رقم : ٣٣٠ ومثله فى الخزانة ٣ : ٥٦٧ ، ثم رواها الجاحظ للربيع فى البيان ١ : ٢١٣ وصاحب لباب الآداب : ٣٥٨ . وفى الروايات اختلاف شديد ، من أراده تتبعه . والخابر : العالم المتثبت الذى اختبر حقيقة الشىء ، ومنه الخبير ، ويقول فى مثله ربيعة بن مقروم الضبى :

هَلَّا سَأَلْتِ ، وخُبْرُ قومٍ عِنْدَهم ، ... وشِفَاءُ عِيِّكِ خَابِراً أَنْ تَسْأَلِى

قدم وأخر ، أى « أن تسألى خابراً » . والأكفاء جمع كفء : وهو المثل النظير . وقوله : « والعلم قد يلفى لدى السائل » ، معناه ، ومن سأل علم . وذلك كقول ربيعة بن مقروم ، وما جاء فى الأثر « شفاء العى السؤال » .

(٥) فى المطبوعتين : « جارت » ، وفى بعض الروايات « عالت » . وجاده النعاس : غلبه . وجاده الهوى : شاقه وغلبه . وهى عندى أجود الروايات .

(٦) اعتلج القوم : تدافعوا وتصارعوا . وقوله « بقابل الجور . . . » خبر « لسنا » فى البيت الماضى . يقول : إذا اغلبت الأهواء عند المخاصمة ، واصطرعت عقول أهل الجدال والمنازعة ، فلسنا بالذى يقبل جوراً من عدوه ، أو يرضى أن ينزل الجور بعدوه .

إنَّا إذَا نَحْكُم فِى دِينِنَا ... نَرْضَى بحُكْمِ العَادِلِ الفَاصِلِ
لا نَجْعلُ البَاطِلَ حَقًّا، ولا ... نَلُطُّ دُون الحقِّ بالباطلِ (١)
نَخَافُ أنْ نَسْفَهَ أَحْلامَنَا ... فنَخْمُلَ الدَّهرَ مع الخَامِلِ (٢)

[ويروى: « فنَحْمِلَ الذَّمَّ مع الحَامِلِ »].

* * *

٣٢٨ — وكَعْبُ بن الأَشْرَف، وهو من طَيِّئ، وأمُّه من بنى النَّضِير. وكانَ فى أَخْواله سَيِّداً، وبَكَى قَتْلَى بدرٍ، وشَبَّب بِنِساء رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ونِسَاء المسلمين، فأمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحَمَّد بن مَسْلَمَة ورَهْطاً معه من الأَنْصار بقَتْله، فقَتلوه (٣).
وهو يقول فى كلمة لَهُ:

رُبَّ خَالٍ لِىَ، لَوْ أَبْصَرْتَهُ! ... سَبِطِ المِشْيَةِ أَبَّاءٍ أَنِفْ (٤)

---

(١) لط الشىء: ستره أو كتمه. قال اليهودى خيراً، فكذبه خلف السوء من ذراريه!

(٢) سفه حلمه ونفسه ورأيه (فعل متعد منصوب ما بعده): استخفه حتى طاش، من السفاهة: وهى خفة العقل والجهل. الخامل: الخفى الساقط الذى لا نباهة له ولا ذكر.

(٣) كان مقتل اليهودى بعد بدر، لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، على رأس خمسة وعشرين شهراً من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر ابن سعد ٢: ٢١ وابن هشام ٣: ٥٤.

(٤) الأغانى ١٩: ١٠٥، ومعجم الشعراء: ٣٤٣. خاله من يهود، سبط المشية: سهلها حسنها يسترسل فيها اختيالا، ولا يكون ذلك إلا مع طول الرجل واعتدال قده واستوائه. أباء، من الإباء: وهو كراهة الضيم والامتناع منه، حمية ونخوة. وأنف الرجل يأنف أنفة فهو أنف: إذا حمى وغار لنفسه واستنكف أن يسام خسفاً. وذلك من قولهم فلان حمى الأنف، أخذوا من ذلك الأنفة، لأن الكريم يشمخ بأنفه إذا غضب. وقوله: « لو أبصرته » حذف جواب « لو » ليزيد المعنى قوة كأنه قال: لو أبصرته لراعك روعة لم يغلبك بمثلها إنسان تراهُ!

لَيِّنِ الجَانِبِ فى أَقْرَبِه ، وعَلَى الأعْداء سَمٌّ كالذُّعُفْ(١)

وَلَنَا بِئْرٌ رَوَاءٌ جَمَّــةٌ مَنْ يَرِدْها بإناءٍ يَغْتَرِفْ(٢)

ونَخِيلٌ فى قِلاعٍ جَمَّــةٌ تُخْرِجُ التَّمْرَ كأمْثَالِ الأكُفّْ(٣)

وصَرِيرٌ فى مَحَالٍ خِلْتُهُ آخِرَ اللَّيْلِ أَهَازِيجَ بدُفّْ(٤)

* * *

٣٢٩ — وشُرَيْحُ بن عِمْرَانَ ، الذى يقول فى كلمة(٥) :

آخِ الـكِرَامَ إنِ اسْتَطَعْـ ـتَ إلَى إخائِهِمُ سَبِيلا(٦)

وَاشْرَبْ بكأسِهِمُ ، وإنْ شَرِبُوا بها السَّمَّ الثَّمِيلا(٧)

---

(١) السم : هو ذاك الذى يقتل . والذعف جمع الذعاف : وهو سم ساعة ، قاتل وحى .

(٢) ماء رواء : عذب ، فيه للواردين رى من ظمأ . وبئر جمة : كثيرة الماء مرتفعته .

(٣) الجم والجمة : الكثير من كل شيء ، ومنه مال جم . والتلاع جمع تلعة : وهى مسيل الماء من أعلى الوادى إلى أسفله فى بطون الأرض ، وهى مكرمة للنبات . يصف التمر فى عناقيده ، كأنه أكف سباط الأصابع ، وهو بيت جيد .

(٤) الصرير : صوت ممتد بطيء صافر متزلق ، كصرير الباب . والمحال جمع محالة : وهى بكرة عظيمة تدور على محور ، تكون على الماء فى السانية . فإذا دارت سمع صريرها . والأهازيج جمع أهزاج ، جمع هزج . والهزج من الغناء ، يغنى المغنى بصوت مترنم متدارك خفيف سريع مطول غير رفيع . والدف : ما يضرب به . يصف صوت المحال الكثيرة وهى تدور ، فيأتيه أنينها آخر الليل من بعيد كأنه أهازيج قيان يضربن بالدف . وقد أجاد الصفة وأحسن .

(٥) لم أعرف لشريح ترجمة .

(٦) الأول والثانى فى حماسة البحترى : ٥٧ ولم أجد سائرها .

(٧) السم المثمل ، والثمال (بضم الثاء) : هو السم المنقع ، ترك فى الإناء مستنقعاً أياماً حتى اشتد واختمر . ولم أجد السم الثميل ، وهى عربية جيدة .

أَأُسَيْدُ إنْ مَالٌ مَلَكْتَ فَسِرْ بِهِ سَيْراً جَمِيلَا(١)
أَأُسَيْدُ إنَّ المَالَ لَا يَبْكِى إذا فَقَدَ البَخِيلَا
إنَّ الكَرِيمَ إذا تُوُفِّا خِيهِ وَجَدْتَ له فُضُولَا(٢)

* * *

٣٣٠ — وشَعْيَةُ بن الغَرِيض، القائل فى كلمةٍ له(٣) :

يَالَيْتَ شِعْرِى حِينَ أُنْدَبُ هَالِكاً مَاذَا تُرَثِّينِى بِهِ أَنْوَاحِى(٤) ؟
أَيَقُلْنَ : لا تبعَدْ ، فَرُبَّتَ كُرْبَةٍ فَرَّجْتَها بِيَسَارَةٍ وَسَمَاحِ(٥)

---

(١) لا أدرى أهى : « أسيد » تصغير أسد (بفتحتين) ، أم « أسيد » كأمير ، وفى اليهود « أسد » اسم مشهور بينهم ، منهم : أسد بن سعية ، أحد من أسلم من يهود ، فحسن إسلامه .

(٢) الفضول جمع فضل : وهو المعروف ، والزيادة فى الإحسان ، والسعة فى المكارم .

(٣) يروى « سعية » بالسين أيضاً ، وتعاقب الشين والسين فى أسماء اليهود كثير . وهو أخو السموأل بن غريض بن عادياء ، انظر رقم : ٣١٨ . والمؤتلف والمختلف : ١٤٣ ، والأغانى ٣ : ١١٥ ، ١٢٩ ، وفى نصى الأغانى هذين خلط كثير .

(٤) روى بعض هذه الأبيات أبو الفرج فى الأغانى ٣ : ١٢٩ — ١٣١ ، وفى الخبر الذى ساقه ما يدل على إسلام سعية بن غريض ، ولا أظنه يصح على الوجه الذى ساقه ، وهو مضطرب أيضاً . والكذب فى الخبر أبين من أن يخفى على امرىء عاقل . وغفر الله لأبى الفرج ، أموى يتشيع فيغالى ، فلا يبالى أن يجتلب فى كتابه مثل هذا الكذب ، فيدخل الاضطراب على كل ما يعين على التحقيق ! !

قال أبو الفرج : « وكان سعية بن غريض شاعراً ، وهو الذى يقول لما حضرته الوفاة يرثى نفسه : ... » وذكر بعض الشعر . رثى فلاناً يرثيه ، ورثاه يرثيه (بتشديد الثاء) : إذا بكاه وعدد محاسنه وأبنه بعد الموت . والأنواح جمع نوح (بفتح فسكون) : النساء يجتمعن للحزن فيندبن الميت ، وينحن عليه ، أى يبكين .

(٥) بعد يبعد (كفرح) وبعد (بضم العين) : هلك ، ونحاه الله عن الخير . وقولهم « لا تبعد » كلمة تدور فى لسان العرب حين يذكرون ميتهم ، يعنون : لا أخطأك الخير ، فتهلك . رب وربت ، ولغات مثلها كثيرة . الكربة : الاسم من الكرب ، وهو أشد الغم . واليسارة واليسار : الغنى وسهولة البذل . والسماح : السخاء والجود والمساهلة والبشاشة .

لا تبعدَنّ فكلُّ حيٍّ هالكٌ ، لا بُدَّ من تلفٍ ، فبِنْ بفَلاحِ (١)

ومُغيرةٍ شَعْواءَ يُخْشَى دَرْؤُهَا يَوْماً رَدَدْتُ سِلاحَها بسِلاحِي (٢)

وَلُربَّ مُشْعَلَةٍ يُشَبُّ وَقودُها أَطفأتُ حَرَّ رِماحِها برِماحِي (٣)

وكَتِيبةٍ أَدْنَيْتُهـا لكَتيبةٍ ومُضَاغِنٍ صبَّحْتُ شَرَّ صباحِ (٤)

وإذا عَمَدْتُ لصَخْرةٍ أسْهَلْتُهَا أَدْعُو بِأَفْلَحَ مَرَّةً وربَاحِ (٥)

إنَّ أُمْرَأً أَمِنَ الحوادِثَ جاهلًا ورجا الخُلودَ، كضارِبٍ بِقِداحِ (٦)

---

(١) هذا البيت مكانه فى الأصول بعد قوله « وإذا عمدت لصخرة . . . » وهذا مكانه ، والشعر كله مختلط . الفلاح : الفوز والنجاة ، والبقاء فى النعيم والخير .

(٢) مغيرة : يعنى خيلا مغيرة من عدوهم . شعواء : فاشية متفرقة ، تأتى من هنا وهنا ، وذلك أشد على من تغير عليه . درء الجيش ودرء السيل : دفعه وانصبابه ، يعنى شدة هجمتها على من تهجم عليهم .

(٣) مشعلة : يعنى نار الحرب يؤرثها القتال والعداوة ، وهلاك القتلى .

(٤) قوله « وكتيبة أدنيتها . . . » يتمدح بطاعة أصحابه له ، لم يتفرقوا عليه إذا حمس الوغى ، وتلجلج الأبطال . مضاغن : الذى انطوى على حقد داخل ملازم يخفيه ، ولم أجد « ضاغن » ولكنه عربى صحيح البناء . ويقال : تضاغن القوم واضطغنوا : انطووا على الأحقاد المدفونة . صبح القوم : أتاهم مع الصبح منزلا بهم الشر قبل أن يستعدوا له .

(٥) هذه رواية ابن سلام ، أما رواية صاحب الأغانى ٣ : ١٢٩ ، ١٣١ .

وإذا دُعِيتُ لصَعْبَةٍ سَهَّلتُها أُدْعَى بأفلَحَ تارةً ونَجاحِ

كأنه أراد أن يقول : يقال لى أفلحت مرة ، ويقال لى أخرى أنجحت . أما راوية ابن سلام ففيها وجه آخر . وكأنه أراد بقوله : أسهلتها ، أى صيرتها تراباً سهلا ، ومثله سهلتها (بالتشديد) وإن لم أر ذلك فى معاجم العربية التى بين يدى ، وهى عربية صحيحة . وهذا المعنى دائر فى شعرهم ، مثل قول درة بنت أبى لهب :

قَوْمٌ لَوَ انَّ الصَّخْرَ صَالَدَهُمْ صَلُبُوا، ولانَ عَرامِسُ الصَّخْرِ

ومنه قولهم : أوهى صخرته ، إذا هزمه وأذله . وقوله : « أدعو بأفلح ... » أظن ظناً أن أفلح ورباح ، بطنان من قبائل يهود . يريد أنه يستعين بهؤلاء مرة وبهؤلاء مرة . وهذا ما بدا لى ، أرجو أن يكون صحيحاً مستقيما .

(٦) القداح : سهام الميسر . يقول من أمن الدهر ورجا الخلود فى الدنيا ، فقد غرر بنفسه تغرير لاعب الميسر بنفسه ، يرجو الفوز وهو فى الخسارة واقع .

وَلقَدْ أَخذتُ الحقَّ غيرَ مُخاصِمٍ ... ولقدْ دَفعْتُ الضَّيمَ غيرَ مُلاحِ (١)

* * *

٣٣١ — وأبو قَيْس بن رِفَاعةَ ، الذى يقولُ فى قصيدته (٢) :

إذَا ذُكِرَتْ أُمامةُ فَرْطَ حِينٍ ... — ولو بَعُدتْ مَحَلَّتُها — غَرِيتُ ، (٣)

أُكلَّفُها ، ولو بَعُدَتْ نَوَاهَا ، ... كأنِّى من تذَكُّرِهَا حُمِيتُ (٤)

طَلِيحٌ لا يَؤُوبُ إلىّ جِسْمِى ... كأنِّى سَمَّ عَاضِهَةٍ سُقِيتُ (٥)

---

(١) ملاحى ، من الملاحاة ، تلاحى الرجلان ، ولاحى فلان فلاناً : نازعه وسابه وشاتمه . يقول : إذا كان لى حق عند قوم أخذته اقتساراً ، لا أصبر على النزاع والخصومة . وإذا أريد بى الضيم دفعته ، ولم أشاتم بلسان ، كقول معبد بن علقمة :

وتجْهَلُ أيدينا ، ويحلُمُ رأيُنا ، ... ونَشْتِمُ بالأفعال لا بالتكلُّمِ

(٢) قال أبو عبيد البكرى فى شرح الأمالى : ٥٦ ، اسمه : دثار وأنه يهودى جاهلى . ونقل السيوطى عن ثعلب أن اسمه « نفير » ، شرح شواهد المغنى : ٢٤٤ .

(٣) بعضها فى حماسة ابن الشجرى : ٢٤ — ٢٥ وفيها زيادة أيضاً . وفى المطبوعتين : « عريت » وهو خطأ . والعرب تقول : أتيته فرط شهر : أى بعد شهر وانقضائه ، ولقيته فى الفرط بعد الفرط : أى الحين بعد الحين ، نادراً . وقوله : « فرط حين » ، أى بعد حين بعيد من فراقها . المحلة : منزل القوم . وغرى بالشىء يغرى غراء : أولع به . يقول : إذا ذكرت ، بعد تطاول الأيام وتباعد الديار ، حننت إليها ولهجت بذكرها ، لا يموت حبها أبداً ولا يتغير .

(٤) كلف بالشىء كلفا ، وكلفه (بالتشديد والبناء للمجهول) : أولع به وأحبه أشد الحب حتى يبلغ منه الجهد . والنوى : الدار التى قصدتها وأقامت فيها . وقوله : « حميت » ، هى فى الأصل عندى « حممت » من الحمى ، حول من التضعيف ، وذلك معروف فى كلامهم ، مثل قولهم : حسست بالشىء وحسيت به ، فأبدلوا إحدى السينين ياء . يقول : يشتد كلفى بها ، فإذا ذكرتها أخذنى نافض كأنه حمى ناهكة . ويدل على ذلك بيته الذى يليه .

(٥) الطليح : الضعيف الهزيل ، الذى أثبته الإعياء والكلال . وقوله : « لا يؤوب إلى جسمى » ، يعنى لا يرجع إليه نشاطه ، فيطيق الحركة . وهى عبارة رفيعة مبينة ، فهو حى النفس لا تفتر نفسه من نشوة تذكرها ، ميت الأوصال من فتور وكلال . وحية عاضه وعاضهة : تقتل من ساعتها إذا نهشت .

وذى ضِغْنٍ كففْتُ النفسَ عَنْهُ ... وكُنْتُ ، عَلَى مَسَاءَتِه مُقِيتُ [(١)]

وسَيْفِى صَارمٌ لا عَيْبَ فيـهِ ، ... ويَمْنَعُنِى من الرَّهَق النَّبِيتُ [(٢)]

مَتَى مَا يَأْتِ يَوْمٌ ، لَا تَجِدْنِى ... بمَالِى حِينَ أَتْرُكُه شَقِيتُ [(٣)]

أَلِينُ لَهُمْ ، وأَفْدِيهِمْ بنَفْسِى ... مُقَارَشَةَ الرِّمَاحِ إِذَا لَقِيتُ [(٤)]

وأَرْهَنُ فى الحَوادِثِ كَفَّ بِكْرِى ... لجَارِى فى العَظِيمةِ إن دُهِيتُ [(٥)]

أَرَاهُ - مَا أَقَام - عَلَىَّ حَقًّا ، ... شَرِيكِى فِى بِلَادِى مَا بَقِيتُ [(٦)]

---

(١) هذا البيت فى الجمهرة ٢ : ٣٦ ، واللسان (قوت) ، وتفسير الطبرى ٥ : ١١٩ . وروايتهم « مقيتا » وهو خطأ ، ويروى البيت للزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورواه ابن الشجرى : « وإنى فى مساءته مقيت » . والرفع فى رواية ابن سلام وجه عربى صحيح ، انظر ابن مالك فى كتابه : « شواهد التوضيح والتصحيح ، لمشكلات الجامع الصحيح » : ٢١ - ٢٤ . وتأويل البيت «وكنته، على مساءته مقيت » فحذف خبر كان لأنه ضمير متصل ، كما يحذف المفعول به إذا كان ضميراً متصلا ، ويستغنى عنه بنية الضمير . يعنى « وكنت ذا ضغن مثله » ، وأنا على مساءته مقيت . ومقيت : مقتدر ، من قولهم : أقات على الشىء : اقتدر عليه وأطاقه .

(٢) الرهق : الخفة إلى الشر، وفلان فيه رهق : أى هو سريع إلى الشر سريع إلى الحدة . والنبيت : هم الأوس ، من الأنصار ، وهم بنو عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة . يقول : ينزهه عن الخفة والتسرع ، ما عليه قومه من المنعة والعزة والاقتدار على بلوغ النصفة من عدوهم .

(٣) قوله : « متى ما يأت يوم » ، يعنى يوم يقضى نحبه . يقول : يموت غير شقى بماله ، فقد أهلكه فى المروءة والسخاء والبذل ، وادخر فى الألسنة الذكر الحسن .

(٤) ألين لهم : الضمير فى « لهم » لقومه النبيت ، يقول : أوطىء لهم كنفى ، فيجدون عندى المعونة والبذل والبشاشة والتعطف عليهم . واقترشت الرماح وتقارشت : إذا تطاعنوا بها فتداخلت وصك بعضها بعضاً ، فسمع لها صوت كصوت الجوز ، إذا حركته . يقول : أبذل لهم مالى وعرضى فى السلم ، وأقيهم بنفسى فى حومة الحرب .

(٥) البكر : أول ولد الرجل وأكبرهم . والجار : من استجار به وأقام فى جواره . يقول : إذا نابت جارى نائبة، لم يمنعنى حب الولد، أن أدفعه إلى أعداء جارى، رهينة عندهم حتى أكشف غمة جارى .

(٦) ما أقام : طول إقامته ، يرى فعل ذلك حقاً عليه ، ويرى أيضاً أنه شريكه فى أرضه ما بقى . وفى المطبوعتين : « تلادى » . والتلاد : المال الذى يولد عندك من قديم الأموال ، وهو مما يضن به .

* * *

٣٣٢ — وأَبُو الذَّيَّالِ ، الذى يَقُول [فى كلمةٍ أوّلُها[١]] :

هَلْ تَعرِفُ الدّارَ خَفَّ ساكِنُها بالحِجْرِ فالمُسْتَوَى إلى الثَّمَدِ[٢] ؟

دَارٌ لِبَهْنانَةٍ خَدَلَّجَةٍ ، تَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ بَارِدِ البَرَدِ[٣]

أَثَّتْ فطالَتْ ، حَتَّى إذا اُعْتَدَلَتْ ، مَا إنْ يَرَى النَّاظِرُونَ مِنْ أَوَدِ ...[٤]

---

(١) فى الأغانى ١٩ : ١٠٢ ، وذكر بعض هذه الأبيات : « والشعر لأبى الزناد اليهودى العديمى » ، وكله خطأ . وصوابه : « أبو الذيال » ، (معجم الشعراء : ٥١٢) . وأما قوله « العديمى » ، فلم أعرف صوابه ، إلا أن يكون « القريمى » ، وقريم ، كزبير ، حى من العرب ، ولم أعرف من هم ، ولست أحققه. وسماه الهمدانى فى صفة جزيرة العرب : ١٧٠ «أبو الذيال البلوى» . وقد ساق أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم : ٢٩ ، خبر الوقعة بين بنى حشنة بن عكارمة بن عوف ، من بنى هنى بن بلى ، وبين أبناء عمومتهم من الربعة ، وهم من بنى هنى بن بلى أيضاً ، فقتل بنو حشنة ناساً من الربعة ، ثم لحقوا بتيماء، فأبت يهود أن يدخلوهم حصنهم وهم على غير دينهم ، فتهودوا ، فأدخلوهم المدينة، فكانوا معهم زماناً ، حتى أظهر الله دينه . وأقام بطون من بنى حشنة بن عكارمة بتيماء ، حتى أنزل الله باليهود يهود الحجاز ما أنزل من بأسه ونقمته ، فجعل أبو الذيال اليهودى ، أحد بنى حشنة بن عكارمة ، يبكى على يهود . وساق أبو عبيد بعض شعره . فهذا ما عرفت من خبر اليهودى أبى الذيال ، فهو جاهلى ، شهد الإسلام ولم يسلم ، كما ترى .

(٢) الأغانى ١٩ : ١٠١ — ١٠٢ ، أبيات منها ، وفيها أبيات زائدة ، والشعر كله جيد . خف ساكنها : رحلوا وتفرقوا . والحجر : ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام ، وهى قريبة من تيماء التى كان ينزلها بنو حشنة بن عكارمة ، الذين منهم أبو الذيال . . والمستوى : موضع ، ولم يبينه ياقوت، ولكنه كما ترى قريب من تيماء والحجر . والثمد : بين الشام والمدينة ، قريب منهما ، وله خبر فى ياقوت ، نزلته بنو إسرائيل .

(٣) امرأة بهنانة : طيبة النفس والأرج ، حسنة الخلق ، لينة المنطق ، ضاحكة الثغر . امرأة خدلجة : ممتلئة الذراعين والساقين ، ريا متثنية من لينها . والبرد : حب الغمام . وبارد البرد : جامده ، فهو ناصع متلألىء . ورواية أبى الفرج « جامد البرد » . وكنت أحفظه قديماً ، ولعله مختلط على « ناصع البرد » .

(٤) أث النبات : نما وكثر وطال والتف ، يعنى نموها وامتلاء أوصالها ، وطول قدها واستواءه . وقوله : « حتى إذا اعتدلت » ، يعنى بلغت الغاية فاستوت . والأود : العوج فى العود وغيره . أراد : تنزهت عن كل عيب يعيبها ، يقول الناظر : لولا هذا تمت ! والبيت متصل بالذى بعده .

فِيهَا ، فأمَّا نَقاً فأسْفَلُهـا ، والِجيدُ منها لِظَبْيَةِ الجَرَدِ[(١)]
لاَ الدَّهرُ فَانٍ ، ولاَ مَوَاعِدُها تأتِى ، فليتَ القَتُولَ لم تَعِدِ ! ...[(٢)]
وَعْداً ، مَحَاصِيلُهُ إلى خُلُفٍ ؛ ذَاكَ طِلَابُ التَّضْلِيلِ والنَّكَدِ ![(٣)]
هَيْفَاءُ يَلْتَــذُّهَا مُعَانِقُها بَعْدَ عِلَالِ الحَدِيثِ والنَّجَدِ[(٤)]

---

(١) « فيها » : متعلق بقوله « من أود » فى البيت السالف ، وهو كثير فى شعرهم ، وإن كرهه بعض من لا يحسن الفصل بين البيان الحسن والبيان القبيح ! النقا : كثيب من الرمل ، ناعم محدودب ، يعنى عجيزتها وتمامها واستواء قدها . والجيد : العنق إذا استوى وطال وصفا نحره وحسن ، وليس كل عنق جيداً ، إذا تأملت النساء . الجرد : المكان الذى لا نبات فيه ، يعنى الجبال . والظباء ضربان : ضرب يسكن الجبال ، وقد تسكن الرمل ، وهى بيض تعلوهن جدد فيهن غبرة ، تكون على ألوان الجبال . وهى طوال القوائم والأعناق ، بيض البطون سمر الظهور ، وهى أدم الظباء والآرام ، وهن أكرم الظباء . وفى الظباء لئام ، كما فى الناس لئام ، يقال لها : « العفر » ، تسكن القفاف وصلابة الأرض ، وهى التى تعلو بياضها حمرة ، ترعى عفر الأرض وسهولتها ، وهى ألأم الظباء وأصغرهن أجساماً ، وأقصرهن أعناقاً .

(٢) امرأة قتول : قاتلة بعينيها وغير عينيها ، يقول مدرك بن حصن الأسدى :

قَتُولٌ ، بعَيْنيها رَمَتْك ، وإنما سِهَامُ الغَوانِى القَاتِلاتُ عُيُونُها

والبيت متصل بما بعده .

(٣) وعداً : مفعول منصوب ، متصل بالبيت قبله ، وانظر التعليق السالف رقم : ١ . والمحاصيل جمع محصول ، والمحصول أحد المصادر التى جاءت على مفعول كالمعقول والميسور والمعسور والمجلود ، من حصل الشىء يحصل حصولا : بقى وثبت وذهب ما سواه . يعنى وعداً عاقبته وكل ما يتحصل منه فى فى يده ، الإخلاف .

(٤) هيفاء : ضامرة البطن رقيقة الخصر ، تخال من رقتها كأن غصن تفيئه الرياح . لذ الشىء ولذ به والتذه والتذ به واستلذه : وجده لذيذاً . عالت الناقة علالا : حلبتها صباحاً ومساء ونصف النهار ، حلباً بعد حلب . وأصله من العلل : وهو الشرب بعد الشرب تباعاً . فقاس على هذا ، وجعل متابعة الحديث ساعة بعد ساعة علالا ، وهى عربية محكمة . وفى المخطوطة : « غلال » بالمعجمة ، ولها فى العربية وجه لا بأس به ، من غل فى الشىء وانغل وتغلغل : نفذ فيه ودخل . يريد : ما كان بينهما من السرار والحديث حتى سمحت له ولانت . والنجد : الإعياء والتعب ، ومنه نجد الرجل نجداً : إذا أخذه العرق من عمل أو كرب أو نصب .

[تَمْشِي إلى نحوِ بَيْتِ جارَتِها واضِعَةً كَفَّها على الكَبِدِ](١)

نِعم شِعارُ الفتى إذا بَرَدَ اللَّيْـــلُ وآضَتْ كَواكِبُ الأسَدِ(٢)

كأنَّ ماءَ الغَمامِ خالَطَه راحٌ صفَا بَعْدَ هادِرِ الزَّبَدِ(٣)

والمِسْكَ والزَّنْجبيلَ عُلَّ بهِ أَنْيابُهَا بَعْد غَفْلَةِ الرَّصَدِ(٤)

دَعْ ذَا ، ولٰكن [بَلْ] رُبَّ عَاذِلَةٍ لَوْ عَلِمتْ ما أُرِيدُ لم تَعُدِ(٥)

هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلُومُ فى شُرُبِ الْـ ـخَمْرِ وذِكْرِ الكَوَاعِبِ الخُرُدِ(٦)

---

(١) هذا البيت فى المطبوعتين وليس فى المخطوطة ، وهو فى الأغانى بغير روايته هنا . يذكر ما هى فيه من الترف والنعمة والرقة والرفاهية، لم تتعود سعى الإماء فى الحاجات ، ولا كدح الفقراء فى طلب الرزق .

(٢) الشعار : ما يلى الجسد من الثياب ، لأنه يمس شعره . آض : رجع ، يعنى غارت الكواكب . الأسد : أحد البروج الاثنى عشر ، وهو من بروج الصيف : السرطان والأسد والسنبلة ، وكواكبه معروفة بأسمائها عندهم . ويعنى أبو الذيال زمن القيظ ، حين يخف الحر ويبرد الهواء إذا بلغ آخر الليل وغابت نجوم الأسد ، فهى عندئذ متاع ، بعد ما لقى من مشقة يومه .

(٣) زبد الخمر : ما يعلوها ؛ إذا اشتدت وفارت ، والهادر : له هدير ، وهو صوت الخمر إذا غلت ونشت . والخمر إذا عتقت وسكن هديرها وخفت زبدها ، صفت وتلألأت ، يقول أبو نواس :

وعُمِّرتْ حِقبًا فى الدَّنّ ، لم يَرَها حىٌّ من النّاس فى صُبْح و إمساءِ

حتى إذا سكنَتْ فى دَنّها وهَدَتْ من بعد دَمْدمة مِنها وضوضاءِ

جاءتْ كشمسِ الضُّحَى فى يومِ أسعُدِها من بُرْجِ لَهْوٍ إلى آفاق سَرّاءِ

(٤) عل الشىء وعلله : سقاه مرة بعد مرة من ماء أو طيب . والعليل والمعلل : المطيب مرة بعد مرة . وقوله : « بعد غفلة الرصد » ، يعنى فى أواخر الليل حين ينام حراسها ، وهم الرصد . يذكر فى البيتين طيب فمها من عند آخر الليل ، حين تتغير أفواه البشر ، وذلك من نقاء مطعمها ، ورفاهيتها ، وصحة بدنها ، وكمال طبيعتها .

(٥) دع ذا : كلمة يقولونها فى الخلوص من معنى إلى معنى غيره . العاذلة : التى تلومه . وقوله : « لو علمت ما أريد » يعنى : ما حملنى على ما أنا فيه ، فهو يذكر لها رأيه فى الحياة والموت .

(٦) هبت : يعنى امرأته انتبهت عند السحر ، حين جاء من ليلة لهوه . الكواعب جمع كاعب : وهى الشابة التى كعب ثدياها ونشزا ، واستويا فلا استرخاء فيهما ولا لين . وذلك فى فورة شبابها وخير أيامها . والخرد جمع خريدة : وهى البكر التى لم تمسس ، فهى بعد حيية ، خافضة الصوت ، تحب اللهو وتستحى منه ، فهى أغلب على لب الرجال .

فقلتُ: مهْلًا ! فلا عليْكِ - إنَ أمْ سيْتُ غويًّا - غيِّ ولا رَشَدِى(١)
إنِّى لمُستَيْقِنٌ لَئِنْ لَمَ أمُتْ مِ اليَوْمِ ، إنِّى إذَنْ رَهينُ غدِ(٢)
هَلْ نَحنُ إلاَّ كمَنْ تَقدَّمَنا مِنَّا ؟ وَمَن تمَّ ظِمْؤهُ يَرِدِ(٣)
نَحنُ كمَنْ قدْ مَضى ، وما إنَ أرى شُحًّا يَزيدُ الحرِيصَ منْ عَدَدِ(٤)
فَلا تَلُومِنَّنِي عَلَى خُلُقِي وأقْنَىْ حَياءَ الكريمِ وَاقْتَصِدِى(٥)

* * *

٣٣٣ — ودِرْهَم بن يَزِيد ، يقولُ(٦) :

هَجَرْتَ الرَّبَابَ وَجَارَاتِهَـا وهَمُّكَ بالشَّوْقِ قدْ يَطْرَحُ(٧)

---

(١) مهلا : خفضى من عتابك ولومك ، فما عليك عاقبة ما أقترف من خطأ أو ألزم من صواب . والغوى : الضال الفاسد . « إن أمسيت » سهل الهمزة ، ونقل حركتها إلى ماقبلها ، وكذلك فعل بعد .

(٢) مل يوم ، من اليوم ، أى فى يومى هذا . يحذفون النون الساكنة فى « من » ، كأنهم توهموا التقاء ساكنين ، وعدوا النون صوتاً كالتنوين لاحرفاً . اقتدروا على لغتهم .

(٣) قوله : « منا » ، يعنى البشر ، معرقون فى الهلاك. والظمء : حبس الأبل عن الماء إلى يوم وردها ، فهى تعود الحبس عن الماء يومين وثلاثة وأكثر ، فإذا حان موعد وردها ، أوردها راعيها . وتم ظمؤها : أى استوفت أيام حبسها عن الماء ، فهى لا تصبر بعد على الظمأ حتى تشرب . يقول : الموت غاية كل حى ، ومهما يحبس على الحياة ، فهو لا بد وارد يوماً شريعته .

(٤) العدد والمعدود واحد ، يعنى المال الذى يعده ويحصيه حرصاً وبخلا .

(٥) قنى الحياء : لزمه ، يقول لها : استحيى واقتصدى ، ولا يزدهيك الغلو فى لومى ، فإنى غير مقلع عما أنا فيه ، وكيف ؟ والحياة إلى فناء !

(٦) لم أجد له ترجمة ، ولكن جاء ذكره فى الأغانى ٣ : ١٨ ، ٢١ ، ٤٠ ، وأنه « درهم ابن يزيد بن ضبيعة » وصوابه « درهم بن يزيد بن مالك » ، كما يأتى نسب أخيه فى الأغانى ٣ : ٤٠ أحد بنى عمرو بن عوف ، يعنى من الأوس ، من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف . وذكر أيضاً « سمير بن يزيد بن مالك » ، أخا درهم بن يزيد وفى المطبوعتين « درهم بن زيد » ، وحماسة ابن الشجرى : ٣٩ ، واللسان (جدح) ، وحماسة البحترى ١١٣ .

(٧) لم أجد منها غير بيتين فى اللسان (جدح) الرابع والخامس ، والأول منها فى المرزوقى (الأزمنة والأمكنة ١ : ١٧٩) والمخصص ٩ : ١١ . طرح يطرح : أبعد ، ومنه مكان طروح : بعيد ، وطرح الدهر به كل مطرح : نأى به عن أهله وعشيرته . يقول : تشتاق إلى بعيد الدار ، وذكر مكانها البعيد فى البيت التالى .

يَمَانِيَــةٌ نَازِحٌ دَارُهَا تُقِيمُ بِغُمْــدَانَ لَا تَبْرَحُ(١)

لَعَمْرُو أَبِيــكِ الَّذِى لَا أُهِيــنُ ، إِنِّى لَأُعْطَى وَأُسْتَفْتَحُ(٢)

وَأُدْلِجُ بِالقَوْمِ شَطْرَ المُلُو كِ ، حَتَّى إِذَا خَفَقَ المِجْدَحُ(٣)

أَمَرْتُ صِحَابِى لِكَىْ يَنْزِلُوا ، فَنَامُوا قَلِيلاً وَقَدْ أَصْبَحُوا(٤)

أَجَدُّوا سِرَاعًا ، فَأَفْضَى بِهِمْ سَرَابٌ بِدَوِّيَّةٍ أَفْيَــحُ(٥)

---

(١) يمانية : ديارها اليمن، يعنى الرباب صاحبته . نازح : بعيدة عميقة . غمدان : من أشهر قصور بلاد اليمن القديمة ، فى ناحية صنعاء .

(٢) لا أهين : لا آتى ما فيه مهانة وتحقير ، بأن أقسم به قسما باطلا . أعطى : أنال عطايا الملوك لكرامتى عليهم . واستفتح فلان فلاناً : استنصره ، وسأله المعونة . يريد أن الملوك يستنصرون به على عدوهم .

(٣) أدلج إدلاجاً : إذا سار الليل كله . شطر الملوك : أى نحو الملوك قاصداً لهم . يذكر زعامته على الوفود التى تقصد الملوك . والمجدح (بكسر الميم وضمها ، فسكون ففتح) : وهو اسم نجم كانت العرب تزعم أنها تمطر به ، كقولهم فى الأنواء . وفى الحديث : « لو أن الله عز وجل حبس المطر عن الناس سبع سنين ثم أرسله ، لأصبحت طائفة منهم به كافرين ، يقولون : مطرنا بنوء المجدح » . وخفق النجم : انحط للغروب فتلألأ وأضاء ، ثم غاب ، وذلك فى آخر الليل . يعنى أنه يسير بهم الليل كله حتى يوشك الصبح أن يسفر .

(٤) بين فى هذا البيت ، أنه سار بالوفد ليلهم كله إلا قليلا ، فأمرهم أن يستريحوا شيئاً ، فما كادوا يفعلون حتى طلع عليهم الصبح .

(٥) يذكر أنه لنشاطه وجرأته ، يقضى الليل كله فى السير ، وصدر النهار حتى تحمى الشمس . أجد القوم : إذا أسرعوا خفافاً فى مسيرهم . أفضى بهم : انتهى بهم . والسراب فاعل هذا الإفضاء ، لأنه الذى حملهم على السير إليه حتى أفضوا ، أى انتهوا وبلغوا الفضاء . وسراب أفيح وبحر أفيح ومكان أفيح : واسع منتشر متباعد الأرجاء . والدوية والدو : المفازة الواسعة المستوية البعيدة الأطراف ، يسمع فيها المسافر دوى الأصوات والأصداء .

طبقاتُ الإسْلام

كلّ طبقةٍ أربعَةُ رهْطٍ مُتـكافِئين مُتعادِلين .

الطَّبقة الأولى

من فحول الإسْلام

٣٣٤ — [جَرِير بن عَطِيَّة بن الخَطَفَى ، واسْم الخَطفى حُذَيْفة ، بن بَدْر ابن سَلَمة بن عَوْف بن كُلَيْب بن يَرْبُوع . خُطِّف ببيتٍ قاله[١] :

يَرْفعْن لِلَّيْلِ إذَا ما أَسْدَفَا أَعْنَاقَ جِنَّانٍ وَهَامًا رُجَّفَا
وعَنَقاً ، بَعْدَ الرَّسِيمِ ، خَيْطَفَا[٢]

---

(١) خطف : أى سمى « الخطفى » .

(٢) النقائض : ٢١ والأغانى ٨ : ٣ ، وغيرهما . أسدف الليل : أظلم ، عند اختلاط الضوء والظلمة جميعاً . من السدفة (بضم فسكون) : وهى ظلمة فيها ضوء من أول الليل وآخره ، ما بين الظلمة إلى الشفق ، وما بين الفجر إلى الصلاة . الجنان جمع جان : وهو الجن ، يعنى كأنها أعناق الشياطين من طولها و بشاعتها فى الظلام ، وشدة اهتزازها فى تلفتها . و رجف جمع راجف ، من رجف الشىء : اضطرب اضطراباً شديداً . وقوله : « وعنقاً » هى فى الأصل المخطوط غير بينة ، وكأنها تقرأ « وعثما » ، وليس لها معنى ، ولم أعرف لها تصحيفاً ، فآثرت الرواية المشهورة . والعنق : سير سريع منبسط ، ترى الإبل فيه تمد أعناقها . والرسيم : من سير الإبل ، ما كان سريعاً وترك آثار وطئها فى الأرض من ثقله . والخيطف : إذا أسرعت كأنها تختطف الثرى فى عدوها .

٣٣٥ — والفَرَزْدقُ ، واسْمه هَمَّام ، بن غَالب بن صَعْصَعة بن ناجِية بن عِقَال بن محمّد بن سُفْيان بن مُجَاشع . وإنما سُمّى الفرزدق ، لأنه شُبّه وَجْهه بالُخبْزَة ، وهى فرَزْدَقة(١) .

٣٣٦ — والأَخْطلُ ، واسْمه غِيَاث ، بن غَوْث(٢) بن الصَّلْت بن طَارِقة أبن السَّيْحان بن عمرو بن فَدَوْكَس بن عَمْرو بن مَالك بن جُشَم بن بكر بن حبَيْب(٣) بن عَمْرو بن غَنْم بن تَغْلِب . خَطَّله قوْلُ كَعْبِ بن جُعَيْل له : إنك لأَخطَل يا غلامُ !(٤)

٣٣٧ — ورَاعى الإبل ، واسْمه عُبَيْد بن حُصَيْن بن جَنْدَل(٥) بن قَطَن أبن طُوَيْلم(٦) بن رَبِيعة بن عبدِ الله بن الحارث بن نُمَيْر . سُمِّى رَاعىَ الإبل ، لكثرة صِفَتِه للإبل وحُسْن نَعْته لها ، فقالوا : ما هذا إلا رَاعِي الإبل ! فلزِمَتْه .

---

(١) وهى العجين الذى يسوى منه الرغيف ، وكان الفرزدق غليظ الوجه جهماً .

(٢) فى المخطوطة تكاد تقرأ « عوف » ، وهذا الذى أثبته هو الذى أجمع عليه الرواة ، فيما عرفت ، وإن اختلفوا فى بعض النسب .

(٣) ليس فى العرب « حبيب » غير هذا ، بضم الحاء ، وسائر ذلك « حبيب » بالفتح . النقائض : ٣٧٣ .

(٤) من الخطل : وهو السفه وفحش القول . وكان هجا كعباً هجاء بذيئاً .

(٥) فى أكثر النسب : « عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل . . . » الأغانى ٢٠ : ١٦٨ وغيره .

(٦) لم أجد « طويلم » فى نسبه من الجمهرة : ٢٦٣ والأغانى ٢٠ : ١٦٨ وغيرهما ، إلا فى المختلف والمؤتلف للآمدى : ١٢٢ ، ولكنه أسقط منه « بن قطن » . « طويلم » هكذا بالطاء فيهما ، ولعله « ظويلم » ، بالظاء المعجمة .

* * *

٣٣٨ — فاختلَف الناسُ فيهم أَشدَّ الاختِلاف وأكثَرَه. وعامَّةُ الاختلافِ، أو كُلُّه، فى الثَّلاثة. ومن خالف فى الرَّاعى قليلٌ، كأنه آخِرهمْ عند العامَّة[1]].

٣٣٩ — وسمعتُ يونُس بن حَبِيب يقول: ما شهِدتُ مشهداً قطُّ ذُكِر فيه جريرٌ والفرزْدَق فأَجمع أهل [ذلك] المجلِسِ على أحدِهما.

٣٤٠ — وكان يُونُس يقدِّم الفرزدقَ بغَيْر إِفْراطٍ، وكان المفضَّل [الراوية] يقدِّمه تَقْدِمةً شديدةً.

٣٤١ — وأخبَرَنى أبو قَيْسٍ العَنْبَرىّ عن عِكرِمَة بن جَريرٍ: أنَّ جَريراً قال: نَبْعَةَ الشِّعر الفَرَزْدق.

٣٤٢ — وقال ابن دَأب، وسُئِل عنهما فقال: الفَرَزْدَقُ أشْعر عامَّةً، وجرير أشْعَرُ خاصّةً[2].

٣٤٣ — وكان[3] الأَشْهَبُ بن رُمَيْلة يُفَاخر الفرزدق، فكان الفرزدقُ يذكر فُقَيْماً مع بنى نَهْشَل، فَاستَعْدَوْا عليه زياداً، فهرب من زيادٍ. فحدَّثنى جابر بن جَنْدل الفَزارىّ قال: أتى الفرزدقُ عيسَى بنَ خُصَيْلة السُّلَمِىّ فقال:

---

(١) العامة: يعنى عامة أهل العلم، لا العامة أهل الجهالة.

(٢) هذه الأخبار من ٣٣٩ – ٣٤٢، جميعها فى الأغانى ٨ : ٥، إلا رقم: ٣٤١ فى ٨ : ٣٤ مع زيادة. والنبع: شجر تتخذ منه أجود القسى.

(٣) هذه الأخبار من ٣٤٣ – ٣٥٤ فى النقائض بتفصيل: ٦٠٩ – ٦٢١، وتاريخ الطبرى ٦ : ١٣٦ وما بعدها وفى الأغانى ١٩ : ٣٠ – ٣٢ وأخشى أن يكون فى المخطوطة، قبل هذا الموضع، خرم طويل فيه ذكر بعض أولية الفرزدق وأخبارها.

يا أبا خُصَيْلة ، إنَّ هذا الرجُل قد أخافنى ، وقد لَفَظَنى جميعُ من كنتُ أرجو[١] . قال : فمَرْحَبًا يا أبا فِراس . فكان عنده ليالىَ ثم قال له : إنى أُريدُ أن أَخرُج إلى الشَّام . فقال له : إن أقمتَ ففِى الرُّحْب والسَّعة ، وإن شَخَصْتَ فهذه ناقةٌ أَرْحبيّةٌ أُمَتِّعك بها وألفُ درهم[٢] . فركب الناقةَ وخرجَ من عنده ليلًا ، وأرسلَ معه عيسى بن خُصَيْلة مَنْ أَجازَه من البُيوت[٣] ، فأصبح وقد جاوَزَ مَسيرةَ ثلاثٍ ، فقال يمدحُه :

تَخَطَّى بِىَ البَهْزِىُّ حُمْلانَ مَنْ أَبَى ... من النَّاسِ، والجانى تُخاف جَرَائِمُه[٤]
فَتَى الجُودِ عِيسَى والمكارمِ والنَّدَى، ... إذَا المالُ لم تَرْفَعْ بَخِيلًا كَرائِمُهْ[٥]
ومَنْ كانَ يا عِيسَى يُؤَنِّبُ ضَيْفَهُ، ... فجارُكَ مَحْبُورٌ هَنِىٌّ مَطَاعِمُهْ[٦]

---

(١) لفظ الشيء من فمه : رماه كالمستقذر له . ولفظه الناس : طردوه عنهم من خوف أو كراهة .

(٢) الأرحبية : ضرب من الإبل النجائب ، تنسب إلى أرحب ، وهم بطن من همدان . متعه بشيء : أعطاه الشيء لكى ينتفع به .

(٣) فى المخطوطة « عيسى بن عمر » وهو خطأ ظاهر .

(٤) ديوانه : ٧٦٣ ، والمراجع المذكورة آنفاً . وفى المخطوطة فوق « تخطى بى » « حبانى بها » ، وهى رواية الطبرى . وسائر الروايات « كفانى بها » . وتخطيت الشيء والمكان : تجاوزته ، يعنى أعانني حتى كفانى سؤالهم ، فتخطيتهم لم أسألهم شيئاً . والبهزى : هو عيسى بن خصلة البهزى ثم من بنى سليم . والحملان : ما يحمل عليه من الدواب ، فى الهبة خاصة . يقول : كفانى أن أسأل من لفظنى وخافنى ، أن يهب لى ناقة تحملنى أفر عليها . ثم عذر الخائفين بقوله : « والجانى تخاف جرائمه » ، ولكنه ليس يعذرهم ، بل يهزأ بهم . والجرائم جمع جريمة : وهى الجرم والذنب ، وأراد هنا بالجريمة : ما يجرمه عليهم من الشر ويجلبه .

(٥) لم ترفع : لم تشرفه وتنزهه عن دنايا الأخلاق . والكرائم جمع كريمة : وهى نفائس المال التى تتعلق بها نفس مالكها ، فهى عزيزة عليه . وفى حديث الزكاة لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن : « فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها ، فخذ منهم ، وتوق كرائم أموال والناس » .

(٦) يؤنب ضيفه : يعنفه ويوبخه ويبكته . يعرض بلوم اللائمين على ما جنى فى هجائه زياداً ، حتى أغضبه . محبور : يعيش معه فى حبور ، وهو النعمة التامة والسرور الكامل ، هنى ، هنىء : سهل الهمزة . والطعام الهنىء : السائغ الآتى بلا مشقة ولا من .

وقَالَ : تَعَلَّمْ أَنَّهَا أَرْحَبِيَّةٌ ، وأنّ لها اللَّيلَ الَّذِى أنتَ جَاشِمُهْ[١]
فَأَصْبَحْتُ ، والمُلْقى وَرَائِى وحَنْبَلٌ ، ومَا صَدَرَتْ حتّى عَلَا النَّجْمَ عَاتِمُهْ[٢]
تَزَاوَرُ عَنْ أَهْلِ الحُفَيْرِ ، كأنَّها ظَلِيمٌ تبَارَى جُنْحَ ليلٍ نَعَائِمُهْ[٣]
رَأَتْ بَيْنَ عَيْنَيْهَا رُؤَيّةَ ، وانْجَلى لَهَا الصُّبْحُ عن صَعْلٍ أَسِيلٍ مَخَاطِمُهْ[٤]

---

(١) تعلم : اعلم . واللام فى قوله « لها » بمعنى المضارعة والقدرة ، كما فى قولك للرجل يضارع الرجل ويكون نداً له : «هو له » ، أى أنه ند له قادر على مغالبته . وقول الفرزدق : « وأن لها الليل » على معنى القلب « وأنها لليل » أى هى ند لليل قادرة على تجشمه ومغالبة أهواله . وجشم الأمر وتجشمه : تكلفه على مشقته .

(٢) الملقى : موضع فى ديار بنى تميم . وحنبل : روضة فى ديار بنى تميم بين البصرة ولينة . صدرت الإبل عن الماء : رجعت بعد أن ترده . وعتم الليل : أظلم ، وذلك عند العتمة ، وهى ظلام أول الليل عند سقوط الشفق . والهاء فى «عاتمه» تعود إلى « الليل » ، وهو مضمر فى قوله « حتى علا النجم » . يقول : سرت بها ليلى كله ، ثم أصبحت وقد خلفت أرض بنى تميم ، ثم سرت بها النهار كله حتى كان الليل من اليوم التالى ، فعندئذ أوردتها الماء فصدرت عنه مع العتمة . يصف صبرها على السير وشدتها وقلة فتورها .

(٣) تزاور ، تتزاور : تميل وتنحرف مبتعدة . والحفير (بالتصغير) : ماء لبنى العنبر على خمس مراحل من البصرة لمن يريد مكة . والظليم : ذكر النعام . تتبارى : تتعارض وتتسابق . وجنح الليل : أوله إذا أظل سواده الأرض . والنعائم جمع نعام ، جمع نعامة ، وهى الطائر المعروف ، يعنى الإناث منها هنا . والنعام إذا نزل الليل ، ذكرت بيضها وصغارها حيث وضعتها ، فأسرعت أشد الإسراع خوفاً عليها ، فكأنها تتبارى فى العدو ، ويحمى الذكر عندئذ فيعدو يسابقها ، وهو أجود منهن عدواً . فشبه سرعة ناقته واهتمامها بالسير ، بالظليم إذا حمى أنفه فسابق إناثه إلى أداحى البيض ، أو إلى صغاره .

(٤) رؤية : موضع فى حمى ضرية ، كأنه من ديار بنى تميم ، هكذا استظهرته من شعرهم ، وإن لم أجد تعيينه فى كتب البلدان . والصعل : الصغير الرأس الدقيق العنق ، ولذلك يقال للظليم (ذكر النعام) صعل . والأسيل : الأملس المستوى الطويل الدقيق . والمخاطم جمع مخطم (بفتح الميم وكسر الطاء) : وهو المنقار . وذلك من صفة النعام ، والنعام وحشى يألف المفاوز البعيدة . يذكر أنه سار الليل كله ، فلما انجلى الصباح رأت ناقته النعام فى جوف البادية ، يعنى أنه أوغل فيها أشد الإيغال وأبعده ، فلن تناله بعدئذ يد زياد .

٣٤٤ — وقال فيه أيضاً :

تَدارَكَني أَسْبابُ عِيسَى من الرَّدَى، ومن يَكُ مَوْلاهُ فليْسَ بِوَاحِدِ (١)
نَمَتْهُ النَّواصِي من سُلَيْمٍ إلى العُلَى، وَأَعْرَاقُ صِدْقٍ بين نَصْرٍ وخالِدِ (٢)
سَأُثْنِي بما أَوْلَيْتَنِي وأَرُبُّه ، إِذا القَوْمُ عَدُّوا فَضْلَهم في المَشاهِدِ (٣)

٣٤٥ — فلما بلغ زِيادًا شُخوصُه ، أَتْبعه عليَّ بن زَهْدَمٍ الفُقَيْمِيّ فلم يَلْحَقه ، فقال الفرزدق :

فَإِنَّكَ لوْ لاقَيْتَنِي يا ابْنَ زَهْدَمٍ لَأُبْتَ شَعَاعِيًّا على شَرِّ تِمْثَالِ (٤)

---

(١) ديوانه : ١٩٧ ، والمراجع السالفة . تداركت فلاناً : تبعته فلحقته فاستنقذته . والأسباب جمع سبب : وهو كل شيء يتوسل به إلى شيء غيره ، كالحبل وغيره ، ويعني هنا علائق المودة والمروءة . والردى : الهلاك .

(٢) نماه جده : إذا رفع إليه نسبه ، فانتمى إليه : انتسب . والنواصي جمع ناصية : وهي منبت الشعر عند مقدم الرأس ، وعنى بالنواصي الأشراف والرؤساء فى قومه سليم . وأعراق جمع عرق : وهو أصل الشيء . ومنه فلان معرق : أي ثابت الأصل فى الحسب والكرم . وأصله من عرق الشجرة : وهي جذورها الممتدة فى الأرض . وأعراق صدق : يعنى أنها تصدق ، فلا تخرج إلا كريماً مثلها لا خبث فيه . ونصر وخالد : من أجداده ، وهو عيسى بن خصيلة بن مغيث بن نصر بن خالد البهزى .

(٣) أولاه معروفاً : أسداه إليه ، وأصله من الولى ، وهو القرب ، كأنه قربه إليه . رب النعمة يربها : حفظها ورعاها ، ورباها كما يربى الرجل ولده . والمشاهد جمع مشهد : وهو محضر الناس واجتماعهم الذى يشهدونه ، يعنى محافل الناس ، كالأسواق إذا اجتمع الناس للتنافر والتفاخر وإنشاد الشعر .

(٤) ديوانه : ٦٢٤ ، والمراجع السالفة . وابن زهدم ، كان صاحب شرطة زياد ، وهو من بنى فقيم بن جرير بن دارم . وليس فى بنى فقيم أحد مذكور . وجرير بن دارم ، أخو مجاشع بن دارم ، جد الفرزدق ، فابن زهدم من أبناء عمومته . فلما أراد هجاءه ، رده إلى بنى شعاعة ، وهم بطن من بنى تيم بن عبد مناة بن أد ، من الرباب ، لحقوا ببنى فقيم . نسبه إلى الخسة والجبن وخمول الذكر . والتمثال : الصورة ، أى على شر هيئة وصفة وخلق .

٣٤٦ — فأتى بكر بن وائلٍ فأجاروه ، فأمن ، فقال :

وقد ميَّلتْ بين المسيرِ ، فلم تجدْ لِعورتها كالحىِّ بكر بن وائلِ(١)

وسارتْ إلى الأحفارِ خمسًا ، فأصبحتْ مكانَ الثُّريَّا مِن يدِ المتناولِ(٢)

وما ضرَّها ، إذْ جاورتْ فى بلادِها بَنِى الحِصْنِ ، ما كانَ اختلافُ القبائلِ(٣)

والحِصْنُ : ثعلبةُ بن عُكابة ، أبو شيبان وقيسٍ وذُهْلٍ وتيمٍ(٤) .

٣٤٧ — فأتى مِن وجهه ذلك سعيدَ بن العاصِ بالمدينة ، وهو واليها(٥) ، فمدحه وعنده الحُطيئة وكعب بن جُعَيْل ، فأمَّنه سعيدٌ . فبلغه أنَّ زيادًا قال : لَوْ أتانى لآمنْتُه وأعطيته . فقال فى كلمة :

دعانى زيادٌ للعطاء ، ولم أكُنْ لِآتيَه ، ما ساقَ ذو حَسَبٍ وفرا(٦)

---

(١) ديوانه : ٦٥٠ والمراجع السالفة . ميل بين الشيئين : شك فتردد ، ليرجح أيها أفضل ، والضمير لناقته . وقوله : « بين المسير » ، فيه حذف ، أى إلى هؤلاء أو هؤلاء أو هؤلاء . يقول : لم تجد الناقة فى ترددها حياً يستر عورتها ويرعى حرمتها غير بكر بن وائل ، فولت وجهها شطرهم .

(٢) الأحفار : موضع فى بلاد بنى تغلب بن وائل ، أخو بكر بن وائل . والثريا : النجم . يقول : أصبحت آمنة لا تنالها يد زياد وشرطته .

(٣) الحصن بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . يقول : إذا نزلت ناقتى فى جوار بنى الحصن لم يضرها اختلاف قبائلنا ، وما يكون بينهم من الإحن والعداوات . يمدح بنى الحصن بنبل النفوس ، وأنهم يجيرون من استجار بهم ولا يغدرون ، وإن كان المستجير من قوم عدوهم .

(٤) انظر هذا رقم : ٣٢ والتعليق عليه .

(٥) وذلك فى سنة ٥٠ من الهجرة ، وليها لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهم ، وكان لسعيد بن العاص يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسع سنوات .

(٦) ديوانه : ٢٢٦ والمراجع السالفة . يقال ساق الرجل إلى فلانة صداقها ومهرها ، وإن كانت دراهم ودنانير ، لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً ، لأنها غالب أموالهم . والحسب : الكرم والشرف والمال ، والفعال الصالح ، ومنه رجل حسيب وذو حسب . والوفر : المال الكثير الواسع . فقوله : « ما ساق ذو حسب وفرا » أراد به التأبيد ، أى لا آتيه أبداً ، ما دام فى الدنيا ذو مال يسوق مهراً كثيراً إلى امرأة يخطبها . وهذا شىء لا ينقطع فى الناس .

وعِنْد زيادٍ ، لو يُريدُ عطاءهم ، رِجالٌ كثيرٌ قد يرى بِهِمُ فقْرا
قُعودٌ لدى الأبْوابِ : طالبُ حاجةٍ عوانٍ من الحاجاتِ ، أوحاجةٍ بِكْرا (١)
فلمّا خشِينا أن يكونَ عطاؤهُ أداهِمَ سُودًا أو مُحدْرجةً سُمْرا (٢)
نميْتُ إلى حرْفٍ أضرَّ بِنيِّها سُرى البيدِ واستِعراضُها البلدَ القفْرا (٣)
يؤُمُّ بها الآفاقَ منْ لا يرى لهُ لدى ابنِ أبي سُفْيان جاهًا ولاعُذرا (٤)

٣٤٨ — فلمّا اطمأنَّ عند سعيدٍ قال :

أَلا منْ مُبْلغٌ عنّي زِيادًا مُغلْغلةً يَخُبُّ بها بَريدُ (٥)

---

(١) العوان : التى كان لها زوج ، الثيب ، ولم تبلغ بعد أن تضرب فى السن . والبكر : العذراء التى لم يقربها رجل بعد . جعل ذلك مثلا ، يقول ، قعود ما بين طالب حاجة قد أصاب بعضها من قبل ، وطالب حاجة لم تقض بعد .

(٢) الأداهم جمع أدهم : وهو القيد ، سمى بذلك لسواده . وقد كسروه تكسير الأسماء وإن كان صفة ، لغلبته على القيد غلبة الاسم . المحدرجة السمر : السياط . حدرج السوط : فتله فتلا محكماً حتى استوى وصار أملس . وهى سمر لأنها من الجلد .

(٣) نمى الشىء على الشىء : رفعه . نمى إليها : صعد عليها وركبها . والحرف : الناقة الضامرة الصلبة كأنها حرف جبل ، وهو أعلاه المحدد . وأضر به : أنزل به الضرر ، وعنى ما أكل السفر من سنامها وشحمها حتى ذهب أكثره ، والنى (بالفتح والكسر) : شحم الناقة . وفى المخطوطة مكتوب فوق « البيد » ، « الليل » وهى رواية أكثر الكتب . والبيد جمع بيداء : وهى الصحراء لا شىء فيها يقول : أذهب شحمها سير الليل فى البوادى ، يعنى أنها آلفة للسير الشديد من قوتها . والاستعراض هنا : إقدامها على قطع عرض الصحارى لا تبالى بما تلق فيها . ولم أجد هذا المعنى فى المعاجم . والبلد : الفلاة الواسعة لا يهتدى فيها ، ليس فيها أثر حفر أو وقود . يصف ناقته بالصبر والجلادة والجرأة على الليل والفيافى .

(٤) يؤم : يقصد . وفى المخطوطة فوق «الآفاق» ، « الموماة » . الآفاق جمع أفق : وهى نواحى الأرض البعيدة . والموماة : المفازة الواسعة الملساء ، لا ماء بها ولا أنيس . الجاه : المنزلة والقدر عند السلطان وعند الناس . وابن أبى سفيان : هو زياد . يقول : آثرت الإبعاد فى الأرض ، لأنى لا أرى لى عند زياد جاهاً يقربنى إليه ويغفر عنده زلتى ، ولا عذراً يتغمد به ما أخطأت .

(٥) ديوانه : ١٧١ ، ١٨٣ ، وسائر المراجع هى المغلغلة (بفتح الغين ، أو بكسرها) : الرسالة محمولة من بلد إلى بلد تتغلغل فيه . أو من الغلغلة : وهى سرعة السير . وخبت الدابة تخب خبباً : أسرعت فى عدوها ، كأنها هاجت فيه واضطربت . البريد : الرسول على دواب البريد ، ودابة البريد يقال لها بريد أيضاً .

بِأَنِّى قــد فَرَرْتُ إِلَى سَعيدٍ ... ولا يُسْطَاعُ ما يَحْوِى سَعِيدُ(١)

فَرَرْتُ إليــهِ مِن لَيْثٍ هِزَبْرٍ ... تَفادَى مِنْ فَرِيسَتِه الأُسُودُ(٢)

فإن شِئْتَ ٱنْتَسَبْتُ إلى النَّصارَى ... وناسَبَنِى وناسَبْتُ اليهــودُ

وإن شِئْتَ ٱنتَسَبْتُ إلى فُقَيْمٍ ... وناسَـبَنِى وناسَبْتُ القُرودُ(٣)

وأَبْغَضُهُم إلَىَّ بَنُو فُقَــيْمٍ ... ولكِنْ سَوْف أَفْعَلُ ما تَكِيدُ(٤)

٣٤٩ — وكان يدخُل على القِيانِ بالمدينة ، فقال فى قَيْنَةٍ(٥) :

إذَا شِئْتُ غنَّانِى من العَاجِ قاصِفٌ ... على مِعْصَمٍ رَيَّانَ لَمْ يَتَخَدَّدِ(٦)

لِبَيْضَاءَ من أَهْلِ المَدِينَةِ ، لم تَعِشْ ... بِبُؤْسٍ ، ولَم تَتْبَعْ حَمُولَةَ مُجْحِدِ(٧)

---

(١) يسطاع : يستطاع . حوى الشىء يحويه : جمعه وأحرزه . وفى الروايات الأخرى « يحمى » والرواية الأولى جيدة .

(٢) الهزبر : الأسد الحديد الوثاب الشرس الفتك . تفادى : تتفادى : تتحاماه وتنزوى عنه مخافة منه . والفريسة هنا : مصدر كالنصيحة والفضيحة والوقيعة والشبيبة والفضيلة ، ولم تذكره كتب اللغة . من قولهم فرس الأسد الشىء يفرسه وافترسه . يقول : تتفاداه الأسود من خوف أن يفترسها .

(٣) فقيم ، انظر التعليق رقم : ٤ ص : ٢٥٤ ، يعنى أنهم أذلة أخساء ، فجعلهم دون القرود .

(٤) يروى « ما تريد » . وكاد يكيد : أراد . وأنشد الأخفش :

كادتْ وكِدْتُ ، وتلك خَيْرُ إرادةٍ ... لو كانَ من لَهْوِ الصَّبَابَة ما مَضَى

يقول : أرادت وأردت .

(٥) القيان جمع قينة : وهى المغنية ، يكون الغناء صنعة لها ، وذلك للإماء دون الحرائر .

(٦) ديوانه : ١٨٠ ، والأغانى ١٩ : ٣١ . العاج : أنياب الفيلة ، وعنى ما تلبس من أساور العاج فى معاصمها . القاصف ، من القصف : وهو الجلبة والإعلان باللهو . يعنى شدة وسوسة ما عليها من أساور العاج . ومعصم ريان : حسن المنظر ممتلئ بين النعومة . وتخدد اللحم : اضطرب من الهزال ، وصارت فيه أخاديد . وقد أحسنت أذن الفرزدق وعينه إدراك الجمال ، وأجاد لسانه البيان .

(٧) بيضاء : نقية من الدنس والعيوب . والبؤس : الفقر والشدة والجوع . والحمولة : ما يحمل الناس عليه من الدواب ، سواء كانت عليها أحمال أو لم تكن . والمجحد : القليل الخير ، من قولهم أجحد الرجل : إذا أنفض وذهب ماله وضاق عيشه . يصف أنها عاشت فى نعمة وترف ، لم تنشأ فى البؤس والخصاصة ، ولم تمتهن فى خدمة الإبل والرحلة مع فقراء التجار .

[نَعِمْتُ بها لَيْلَ التِّمامِ ، فلم يَكَدْ ... يُرَوِّى اسْتِقائى هَامَةَ الحائِمِ الصَّدِى] (١)

وَقامتْ تُخَشِّينِى زِيادًا ، وَأَجْفَلتْ ... حَوالَىَّ فى بُرْدٍ يَمانٍ ومُجْسَدِ (٢)

فقُلْتُ : دَعِينى منْ زِيادٍ ، فإنَّنى ... أرى الموْتَ وَقَّافًا عَلَى كُلِّ مَرْصَدِ (٣)

٣٥٠ — وقال :

أَلَمْ يَأْتِهِ أَنِّى تَخَلَّلُ ناقتِى ... بنَعْمانَ أَطْرافَ الأَرَاكِ النَّواعِمِ (٤)

---

(١) هذا البيت زدته من الديوان ، لاستواء المعنى به . ليل التمام (بكسر التاء) : أطول ما يكون من ليالى الشتاء ، إذا بلغت اثنتى عشرة ساعة فما زاد ، وهى ستة أشهر ، ثلاثة أشهر حين يزيد على ثنتى عشرة ساعة ، وثلاثة أشهر حين يرجع . يقول : نعمت بها ستة أشهر . روى ظمأه : بلغ به الرى . استقى من البئر استقاء : أخذ من مائه . يريد ما نال منها من متاع يطفئ ظمأه إليها . والهامة : الروح ، وذلك أنهم كانوا فى جاهليتهم يقولون إن روح القتيل الذى لم يدرك بثأره تصير هامة (وهى طائر) ، فتزقو عند قبره تقول : اسقونى ! اسقونى ! فإذا أدرك بثأره طارت . والحائم : العطشان الذى يحوم حول الماء فلا يجد ما يرده . والصدي : الشديد العطش . يقول : نعمت بها هذا الزمن الطويل ، ومع ذلك لم تزل روحى ظامئة إليها ، لم يطفىء ظمأها ما تمتعت به منها .

(٢) خشاه يخشيه : خوفه . أجفل : أسرع واضطرب من الفزع . يمان : منسوب إلى اليمن ، وبرود اليمن من أجود الثياب . والمجسد : ثوب مصبوغ بالزعفران . يعنى أنها فزعت حين سمعت نذير زياد وأنه قد ولى الحجاز ، كما سترى فى رقم : ١ ص : ٢٥٩ ، فقامت جافلة تدور حواليه فى ثيابها الرقيقة ، تخوفه عاقبة ما جر على نفسه من سطوة زياد ، وتعجب كيف يطمئن معها على وعيد هذا الجبار .

(٣) الوقاف : مبالغة من الوقوف ، يعنى أنه لا يفارق مكانه ، يطيل الوقوف . والمرصد : الطريق ، ومنه قوله تعالى : « واقعدوا لهم كل مرصد » . يقول : دعينى منه ، فما أخافه ، فإن الأجل مكتوب ، والموت يتصدى لمن جاء أجله بكل طريق ، لا مهرب منه .

(٤) ديوانه : ٢٧٢ وسائر المراجع . وهى من جيد الكلام . والضمير فى قوله : « ألم يأته » لزياد ، وقد مدحه فيها وذكر خوفه من وعيده . وهو يستعطفه بهذه الأبيات . تخللت الإبل : رعت الخلة (بضم فتشديد) ، ولم يذكر أهل اللغة سوى أخلت واختلت ، ولكنه عربى جيد ، كما قالوا فى الأخرى : تحمضت : رعت الحمض (بفتح فسكون) . والخلة : كل نبت فيه حلاوة من نبت المرعى ، ومنه الأراك ، فإذا رعته الإبل ولم تجد الحمض رقت وضعفت . والحمض : كل نبت فيه ملوحة ، إذا أكلته شربت عليه ، فنفعها ما رعت من الخلة . والعرب تقول : الخلة خبز الإبل ، والحمض فاكهتها (أو لحمها) ، وذلك أنها إذا شبعت من الخلة اشتهت الحمض . ونعمان : واد لهذيل على ليلتين من عرفات ، بين مكة والطائف ، وهو كثير الأراك ، فسمى نعمان الأراك ، يقول المرقش ، أو غيره :

تخيَّرْتُ من نَعْمانَ عُودَ أَرَاكَةٍ ... لهندٍ ، فمَنْ هٰذا يبلِّغُهُ هِنْدَا ؟

والأراك : شجرة طويلة خضراء ناعمة كثيرة الورق والأغصان خوارة العود ، وهو من أطيب ما ترعاه الماشية رائحة لبن ، ومنه تتخذ أجود المساويك أيضاً .

مُقَيَّدةً تَرْعَى الأَرَاكَ ، ورَحْلُها   بِمَكَّة مُلْقًى عَائِذٌ بالمَحارِمِ (١)
فَدَعْنى أَكُنْ ، ما كُنْتُ حيًا ، حَمامَةً   من القَاطِنَاتِ البَيْتَ غيرِ الرَّوَائِمِ (٢)

فأُنْشِدَها زيادٌ فرَقَّ له ، وقال عندَ ذلك : لو أَتانى لأَمَّنْتُه .

٣٥١ — وفى ذلك يقولُ البَكْرىُّ (٣) :

لَيالِى تَمَنَّى أَنْ تَكُونَ حَمامةً   بمَكَّةَ يُؤْوِيكَ السِّتَارُ المُحَرَّمُ (٤)

٣٥٢ — فلما هَلَكَ زيادٌ ، رثاه مِسْكِين بن عامرِ بن شُرَيْح بن عَمْرو ابن عَمْرو بن عُدُس الدَّارِمىّ ، فقال :

رَأَيْتُ زِيادةَ الإسْلامِ وَلَّتْ   جِهاراً حين وَدَّعَها زِيادُ (٥)

---

(١) رواية الديوان وغيره « ترعى البرير » . والبرير : أول ما يظهر من ثمر الأراك وهو حلو تحبه الإبل . ومكة تنبت الحمض (انظر التعليق السالف) ، وفى حديث صفة مكة شرفها الله : « وأبقل حمضها » أى نبت وظهر من الأرض . والرحل : مركب البعير . يقول هذه إبلى قد قضت أيامها مقيدة ترعى الأراك بنعمان حتى أضربها ، ورحلها بمكة يعوذ بالبيت ، فأذن لإبلى أن تحمض فى مكة فإنى مقسم فى الأرض من مخافتك . ومن خبر ذلك أن زياداً كان قد كتب إلى معاوية رضى الله عنه : « قد ضبطت لك العراق بشمالى ، ويمينى فارغة فاشغلها بالحجاز » ، فولاه معاوية ، وخرج زياد من العراق متوجهاً إلى الحجاز ، فمات ودفن بالثوية إلى جنب الكوفة . وذلك فى سنة ٥٣ من الهجرة .

(٢) القاطن : المقيم بالمكان . والروائم جمع رائم ، من رام المكان : فارقه وبرح . فلما مات زياد قال الفرزدق :

أبلغْ زياداً إذا لاقيتَ مَصْرَعَه   أن الحمامَة قد طارتْ من الحَرَمِ
طارت فما زال يَنْمِيها قوادِمُها   حتَّى اُستغاثت إلى الأنهار والأُجَمِ

(٣) هو جرير بن خرقاء العجلى من بكر بن وائل ، وانظر الشعر وسببه فى رقم ٤١٥ :
(٤) آواه يؤويه : حاطه وحفظه ومنعه أن ينتهك . والستار المحرم : ستار الكعبة ، هو الكسوة .
(٥) النقائض : ٦٢١ ، والطبرى ٦ : ١٦٢ .

٣٥٣ — فقال الفرزدق :

أَمِسْكِينُ ، أَبْكَى اللهُ عَيْنَكَ ، إِنَّما جَرَى فى ضَلَالٍ دَمْعُها فتحدَّرَا[١]
بَكَيْتَ امْرَأً فَظًّا غليظًا مُبَغَّضًا كَكِسْرَى ، عَلَى عِدَّانِهِ ، أَوْ كَقَيْصَرَا[٢]
أَقُولُ لَهُ ، لَمَّا أَتانِي نَعِيُّهُ : بِهِ ، لا بِظَبْيٍ بالصَّرائِمِ أَعْفَرَا[٣]

٣٥٤ — فأجابه مِسكين فقال ، وهى أبياتٌ :

أَلا أَيُّها المَرْءُ الَّذِى لَسْتُ قاعِدًا ولا قاعِدًا فى النَّاسِ إِلَّا انْبَرَى لِيَا[٤]
فَجِئْنِي بِعَمٍّ مِثْلِ عَمِّيَ ، أَوْ أَبٍ كَمِثْلِ أَبِي ، أَوْ خالِ صِدْقٍ كَخالِيَا
كَعَمْرِو بْنِ عَمْرٍو ، أَوْ زُرارَةَ ذِى النَّدَى أَوِ البِشْرِ ، مِنْ كُلٍّ فَرَعْتُ الرَّوابِيَا[٥]

البِشْر : يعنى خالَه من النَّمِر بن قاسِط .

---

(١) ديوانه : ٢٤٥ وسائر المراجع الماضية . يقول : إنما تبكى امرأ لا خير فيه ، لا يبكى على ضال مثله .

(٢) العدان : الزمان ، على زمانه وإبانه وفى عهده . يصفه بالجبروت والطغيان ككسرى وقيصر .

(٣) النعى (على وزن فعيل) والنعى (بفتح فسكون) : خبر الموت والإشعار به . والصرائم جمع صريمة : وهى الرملة المنقطعة من معظم الرمل ، يكون فيها بعض النبات من أرطى وسمر وسلم وغضى ، تألفه الظباء وبقر الوحش . والأعفر من الظباء ، مضى فى ص : ٢٤٥ رقم : ١ والظباء العفر تعد من لئام الظباء . وفى الشطر الثانى حذف المبتدأ ، يقول : نزل به الموت والهلاك ، ولا نزل بظبى أعفر . يقول : الظبى من ظباء الفلاة أعز على منه . وصار الشطر الأخير مثلا يضرب عند ذكر من وقع فى شر أو نزل به مكروه يستحقه ، فتقوله كالشامت الراضى بما أصابه .

(٤) المراجع السالفة . والأغانى ١٨ : ٦٩ .

(٥) عمرو بن عمرو بن عدس ، المذكور فى نسبه رقم ٣٥٢ ، جد مسكين ، وهو الذى سماه أباً فى البيت السابق ، وكان عمرو بن عمرو فارس بنى دارم فى الجاهلية . وزرارة بن عدس ، عمه أيضاً ، وكان رئيس بنى تميم فى يوم شويحط من أيامهم فى الجاهلية ، وكان كريماً . والبشر : لم يبينه ابن سلام ، وقد رأيته فى نسب عقبة بن قيس (الجمهرة : ٢٨٤) : « البشر بن هلال بن البشر بن قيس بن زهير بن عقبة بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان بن سعيد بن الخزرج بن تميم الله بن النمر بن قاسط » . فكأنه أحد هذين البشرين المذكورين فى النسب . ويروى « فرعت الرواسيا » ،

٣٥٥ — وقد مدحه مسكين فقال :

شُرَيْحٌ فارسُ النُّعْمانِ عَمِّى ، وخالى البِشْرُ بِشْرُ بَنِى هِلَالِ (١)

وقاتِلُ خالِهِ بِأَبِيهِ مِنّا : سَماعَةُ ، لم يَبِعْ حَسَباً بِمالِ (٢)

٣٥٦ — (٣) حدثنى الحَكَمُ بن محمد ، قال : كان تميم بن زَيْد ، رجلاً من قُضَاعة من بلقَيْنِ ، وكان على الهند ، وفى جيشه رجل يقال له : خُنَيْسٌ أو حُبَيْش ، طَالَت غَيْبَتُه على أَهْله ، فأَتتْ أُمُّه قبرَ غَالبٍ بكاظِمَة ، فأقامتْ عليه حتّى عَلِم الفرزدقُ مكانَها . ثم أتته فطلبَتْ إِليه ، فكتَب إلى تَميم ابْن زَيْد :

وهى الجبال . وفرعت قومى : علوتهم بالشرف . الروابى جمع رابية : وهى المكان المرتفع من الأرض المشرف على ما حوله . أراد البيوت الشريفة ، قال جميل :

نَمَتْ فى الرَّوابى من مَعَدٍّ ، وأَفْلَجَت على الخفِرَات الغُرِّ وهى وَليدُ

(١) الأغانى ١٨ : ٦٩ والنقائض : ٦٨٠ . وهكذا جاءت الرواية « عمى » وأظن صوابه :

« شُرَيح فارِس النعمان جَدِّى »

كما ترى فى نسبه رقم : ٣٥٢ ، ولم أجد فى أعمامه شريحاً . وفى الاشتقاق : ١٤٤ « ومن رجالهم شريح ، وكان فارسهم » يعنى بنى عمرو بن عمرو بن عدس . وانظر التعليق السابق . ويصحح هذا ما جاء فى هامش النقائض : ٦٧٩ .

(٢) سماعة بن عمرو بن عمرو بن عدس ، وهو أخو شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس ، المذكور آنفاً ، عم مسكين . وكان عمرو بن عمرو بن عدس أغار على بنى عبس ، فى يوم أقرن ، فقتل عمرو بن عمرو ، وكانت أم سماعة بن عمرو بن عمرو من بنى عبس ، فزاره خاله ، فقتل خاله بأبيه . انظر النقائض : ٦٨٠ . وقوله : « لم يبع حسباً بمال » حسب الرجل : شرفه وفعاله وكرمه . يقول : لم يقبل الدية من أخواله ، فلم يرض أن يبيع شرفه بمال .

(٣) هذا الخبر فى النقائض : ٣٨١ والأغانى ١٩ : ٣٦ ، ٥٠ ، والكامل ١ : ٢٩١ ، والأمالى ٣ : ٧٧ ، وفتوح البلدان : ٤٤٨ ، واللسان (حوب) . وكتب أخرى . ونص الأغانى عن ابن سلام ، « كان على السند » ، وهى فى أكثر الكتب . وكانت ولاية تميم بن زيد القينى على السند بعد الجنيد بن عبد الرحمن المرى ، وكانت وفاة الجنيد فى سنة ١١٦ من الهجرة . والرواية مختلفة السياق . والشعر أطول من هذا ، وهو من جيد الكلام .

فهب لِى حُبيْشًا ، وَاتَّخِذْ فيهِ مِنَّةً ، لِغُصَّةِ أُمٍّ ما يَسُوغُ شَرَابُهَــــا
أَتتْنى فعاذَتْ ، يا تَمِيمُ ، بِغالِبٍ وبالحُفْرةِ السَّافِى عليْها تُرَابُها(١)
تَمِيمَ بن زَيْدٍ ، لا تكُونَنَّ حاجَتِى بظَهْرٍ ، فلا يَخْفَى عَلَيْكَ جَوابُها(٢)

فلمَّا أتاهُ كتابُه لم يَدْرِ أَخُنَيْس أم حُبَيْش ، وفى جَيْشه عِدَّةٌ : خُنَيسٌ وحُبَيْش ، فأطلقهم جميعاً له .

٣٥٧ — (٣)أبو يحيَى الضُّبُعيّ قال : ضَرب مُكاتَبٌ لبنى مِنْقر قُبَّة على قَبْر غَالِبٍ ، فقدِمَ الناسُ على الفرزدق ، فأخْبرُوه أنّهم رأَوا على قبر غالبٍ بِناءً ، ثم قَدِم عليه وهو بالمِرْبَد فقال(٤) :

بقَبْرِ ابن لَيْلَى غالبٍ عُذْتُ بَعْدَ مَا خَشِيتُ الرَّدَى ، أَوْ أَنْ أُرَدَّ عَلَى قَسْرِ(٥)

---

(١) الحفرة : القبر . سفت الريح التراب : ذرته . والسافى بمعنى المسفى ، كمثل ماء دافق ، مدفوق . وغالب : أبو الفرزدق ، وكان يقال له غالب الجرار (قائد ألف) ، وهو أحد الأجواد ، وقيل له أيضاً : صاحب الجدث (القبر) ، ولا يعلم قبر أجار ولا قرى فى جاهلية ولا إسلام غيره ، وقد ذكرته العرب فى أشعارها .

(٢) بظهر : لا تطرحها وراء ظهرك . وخفى الشىء يخفى خفاء : لم يظهر . وعليك : عندك ، « على » بمعنى « عند » . ويروى « فلايعيا على » ، وهى أشهرهن ، ويروى « يجفى » (بضم فسكون ففتح) . و « عليك » أيضاً فى هذه بمعنى « عند » .

(٣) هذا الخبر فى النقائض : ٣٨١ والكامل ١ : ٢٩٢ والأغانى ١٩ : ٥٠ وفيه « أبويحيى الضبى » ، وكذلك يذكر فى سائر أماكنه من الطبقات المطبوعة ، ولا أدرى ما صواب اسمه .

(٤) المكاتبة : أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجماً . فإذا أداه صار حراً . والمربد : سوق البصرة كان يجتمع فيها الشعراء .

(٥) القسر : القهر . يقول : عذت بالقبر بعد أن شارفت الهلاك فى سعيى فى الأرض لأؤدى ما كاتبت عليه ، أو أن أرد إلى العبودية راغما لعجزى عن أداء المال .

فأَخْبَرَنى قَبْرُ ابن لَيْلَى فقالَ لِى : فِـكاكُكَ أَنْ تَلْقَى الفَرَزدقَ بالمِصْرِ (١)

فقال الفرزدق : صَدَق ، أَنِخ أَنِخْ . ثم طافَ له فى النّاسِ ، فجَمع لَهُ مُكاتَبَتَهُ وفَضْلًا (٢) .

٣٥٨ — وكان ذُو الأَهْدَامِ — وهو نُفَيْع ، أحدُ بنى جَعْفَر بن كِلاب (٣) — تَوثَّب على الفرزدق فهجاه ، فجاءَت أُمّه إلى قَبْر غالب فعاذتْ به ، فقال الفرزدق :

نُبِّئتُ ذَا الأَهْدَامِ يَعْوِى، ودُونَهُ مِنَ الشَّام زَرَّاعاتُها وقُصُورُها (٤)

عَلَى حِينِ لم أَتْرُكْ على الأَرْضِ حَيَّةً ولاَ نابِحًا إلّا اُسْتَسَرَّ عَقُورُهَا (٥)

---

(١) المصر : يعنى البصرة . وكل مدينة تقام فيها الحدود ويقسم فيها الفيء والصدقات من غير مؤامرة للخليفة ، فهى مصر ؛ وهى غير البوادى والقرى .

(٢) صدق : يعنى صدق القبر فيما أنبأك به . والفضل : الزيادة .

(٣) نسبه أبو عبدة فى النقائض : ٥١٣ : « ذو الأهدام : متوكل بن عياض بن حكم بن طفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب » ، ومثله فى : ٥٢٣ ثم قال : « ويقال هو نافع بن سوادة الضبابى » وانظر المؤتلف والمختلف : ١٧٩ ، ثم معجم الشعراء : ٤١٠ ، وفيه : « وقيل : اسم ذى الأهدام ، نفيع ، وقيل : نافع بن سوادة الضبابى » . وانظر فى هذه المراجع هجاءه للفرزدق . وجاء فى شعر الفرزدق هذا : نافع ونفيع معا ، كما ترى هنا وفى النقائض : ٥٢٥ .

(٤) ديوانه : ٤٥٢ — ٤٦٤ . النقائض : ٥٢٣ وما بعدها . يعوى : من عواء الكلب ، يريد أنه كلب يعوى بالشعر يهجونى وبينى وبينه ديار الشام ، ولعل ذا الأهدام كان بها يومئذ . والزراعة (بتشديد الراء) : الأرض التى تزرع .

(٥) استسر : استخفى . والعقور : كل سبع يعقر ، أى يجرح ويقتل ويفترس ، كالكلب والأسد والنمر . وأراد بالحية : من تدسس شره ، وبالنابح : من ضج بشره . يقول : لم أدع على الأرض أحداً يتقى شره إلا استخفى من مخافتى . يعنى الشعراء جميعاً .

كِلابٌ نبحْنَ اللّيْثَ من كلِّ جانبٍ فعادَ عُواءً بَعْدَ نبحٍ هَريرُهَا(١)
عَجُوزٌ تُصَلِّى الخمسَ عاذَتْ بغالبٍ فَلا وَالذى عاذَتْ بِهِ لا أَضِيرُهَا
لَئِن نافِعٌ لم يَرْعَ أرحَامَ أُمِّه وكانتْ كدَلْوٍ لا يَزالُ يُعِيرُهَا(٢)
لَبِئْسَ دمُ المولودِ مَسَّ ثِيابَها عَشِيَّةَ نادى بالغُلامِ بَشيرُهَا(٣)
وإنّى، على إشفاقِها من مَخافتى، وَإنْ عَقَّها بِى نافِعٌ، لَمُجيرُهَا(٤)
وَلو أنَّ أُمَّ النّاسِ حوّاءَ حارَبتْ تَميمَ بن مُرٍّ، لم تَجِدْ من يُجِيرُهَا(٥)

ويُقال: إنّ هذا البيتَ ليسَ فِيها.

٣٥٩ — قال: قَدِم الفرزدق من اليمامة، ودَليلُه رجلٌ من بَلْعَنْبَر، فَضَلَّ بِه فقال(٦):

---

(١) كلاب: يعنى الشعراء وأهل الشر. والليث: يعنى نفسه. والهرير: صوت الكلب إذا أحس شراً فأقبل ينبح ويكشر عن أنيابه، كأنه يهم به. والعواء: صوت الكلب إذا لوى خطمه ثم صوت ومد صوته ولم يفصح بالنبح. وهو من فعل الكلب إذا ذل. يقول: لما رأت كلاب الشعر شرتى وشراستى، كفت عن النبح والهرير وذلت حتى ما يسمع إلا عواؤها.

(٢) «كدلو لا يزال يعيرها»، يعنى تهون عليه، فيطرحها فى ألسنة الشعراء، يستخرجون بها هجاءه وهجاءها.

(٣) يقول: بئس الولد كنت لها حين نادى البشير بمولدك، فإنما بشر بما يجلب عليها الذم.

(٤) «عقهابى»، يعنى تعرض لى فجعلنى سبباً فى ذكرها بالسوء، فذلك عقوقه إياها.

(٥) بنو تميم بن مر بن أد، قاعدة من أكبر قواعد العرب، وإليهم ينتسب الفرزدق.

(٦) اسمه عاصم العنبرى، كما ترى فى الشعر، والنقائض: ١٦٥، ومعجم الشعراء: ٢٧٢، بيد أن المرزبانى عاد فى: ٤٧٨ فزعم أن دليل الفرزدق هو البلتع بن المستنير العنبرى، وذكر هذا الشعر، وشعراً للبلتع فى هجاء الفرزدق. وهو خطأ محض من المرزبانى. وقد ذكر قصة هذا الشعر المرزوقى فى الأزمنة والأمكنة ٢: ٢١٨، رأيت نقلها هنا لما فيها من الفائدة والبيان قال:

«وقال الفرزدق يهجو عاصما العنبرى، وكان أدل العرب، وأعرفهم بالنجم، وأقدمهم على هول

وما نحنُ، إن جارتْ صُدُورُ رِكابِنا ، بأَوّلِ مَنْ غرّتْ دِلالةُ عاصِمِ (١)
أَرادَ طرِيقَ العُنْصُلَيْنِ، فَياسَرَتْ بهِ العِيسُ في وَادِي الصُّوَى المُتَشائِمِ (٢)
وكيفَ يَضِلُّ العَنْبَرِيُّ ببَلْدَةٍ بها قُطِّعَتْ عَنْهُ سُيُورُ التَّمائِمِ (٣)
وجاءَ بجُلْمُودٍ لَهُ مِثْلِ رَأْسِهِ لِيَشْرَبَ ماءَ القَوْمِ بَيْنَ الصَّرائِمِ (٤)

الليل بالليل ، وأراد أن يضل الفرزدق ويقتله غشاً . وذاك أنه استصحبه إلى المدينة ليلقى سعيد بن العاص ، ورغبه فى جعله . فلما ركب الفلاة أراد أن يغتال الفرزدق ليحظى به عند زياد ، ويحبوه ويعطيه . فلما كانا من الليل وأمعنا فى السير ، انتبه الفرزدق فإذا النجم على غير الطريق فصاح بالعنبرى : إنك على غير الطريق ، فانتبه . فقال : أنت على الطريق ، ناولنى إداوتك فإنى عطشان . وخبأ إداوته . فقال الفرزدق : والذى أحلف به ، لتموتن قبلى . وشهر السيف عليه . فأقامه على الطريق . وعرض لهما الأسد على الطريق ، فقال العنبرى : هذا الأسد على الطريق ! فأناخ الفرزدق ناقته وأخذ سيفه وجحفته ، وأقبل على الأسد وهو يقول ،

فلأنتَ أهونُ من زيادٍ جانباً اذهبْ إليك مُخَرِّمِ السُّفَّار

وتنحى الأسد عن الطريق ، ومضيا . فقال الفرزدق فى هذا المعنى كله ، ونسب العنبرى إلى الجبن وأنه ليس بالخريت » .

(١) ديوانه : ٨٤١ والمراجع السالفة . وهى قصيدة طويلة ، خالف ابن سلام بين أبياتها فى اختياره هذا ، وجارت صدور الركاب : عدلت عن الطريق فضلت .

(٢) طريق العنصلين : هى طريق مستقيمة من اليمامة إلى البصرة عن طريق مكة . وياسرت : جنحت يسرة . والصوى : جمع صوة ، وهى أعلام من حجارة منصوبة فى الفيافى والمفاوز المجهولة ، يستدل بها على الطريق . والمتشائم : الآخذ شأمة ، أى يساراً ، أو ناحية الشأم . ولم يرد وادياً بعينه ، بل أراد فلاة مجهولة مضلة ، فيها صوى يستدل بها من مخافة الضلال . ويروى « نائى الصوى متشائم » . يقول : أراد العنبرى الطريق المستقيمة ، ولكن الإبل هى التى جارت به عنها ، يسخر منه ومن هدايته !

(٣) البلدة : الصحراء الواسعة . والتمائم جمع تميمة : وهى خرزة رقطاء تنظم فى سير ثم تعلق على الصبى ، فكان الأعراب فى الجاهلية يعلقونها على أولادهم ينفون بها النفس والعين بزعمهم ، فجاء الإسلام فأبطله ، لأنه شرك ، يراد بالحجر أن يقى من مقادير الله ! سبحانه أن يكون فى شىء من خلقه قدرة على دفع ما أراد . وكانوا إذا بلغ الصبى مبلغ الرجال قطعوا عنه تمائمه . يسخر منه ويقول : هى بلاده وأرضه ، فلولا غشه لما ضل . أو لو كان دليلا محسناً ، لعرف بلاده التى بها ولد ونشأ .

(٤) الجلمود : الصخرة الملساء الصلبة . والصرائم جمع صريمة : وهى الرملة المنقطعة من معظم الرمل . وأراد صفة هذه البيداء التى وقع فيها . وقوله : « وجاء بجلمود » ، ذلك أنهم كانوا إذا سلكوا المفاوز فقل زادهم من الماء ، وعدموا الماء فى البادية ، أتوا بحصاة صغيرة يسمونها « المقلة » ، فتوضع فى الإناء ويصب عليها من الماء الذى معهم ، قدر ما يغمر الحصاة ، فيعطى كل رجل منهم من الماء مثل صاحبه سواء . فجاء هذا العنبرى بحصاة كبيرة ، أراد أن يأخذ من الماء أكثر مما ينبغى ، فذمه بالشره والأثرة ولؤم الصحبة فى السفر ، والخوف على نفسه دون نفوس أصحابه .

فلمَّا تصافَنَّا الإداوةَ أَجْهَشَتْ ... إلَى غُضُونُ العَنْبَرِىِّ الجُرَاضِمِ (١)

فَآثَرْتُه ، لَمَّا رَأَيْتُ الَّذِى بِهِ ... مِنَ الشَّرِّ، أَخْشَى لَاحِقَاتِ المَلَاوِمِ (٢)

عَلَى سَاعَةٍ ، لَوْ أَنَّ فى القومِ حَاتِماً ... عَلَى جُودِهِ ، ضَنَّتْ بِهَا نَفْسُ حَاتِمِ (٣)

٣٦٠ — فأجابه عاصم :

وكَيْفَ يَضِلُّ الحَنْظَلِىُّ بِبَلْدَةٍ ... بِهَا وَلَدَتْه أُمُّه غَيرَ قَائِمِ (٤)

وزَوْرَاءَ نَاءٍ مَاؤُها من فَلَاتِها ... كَفَيْنا سُرَاها القَيْنَ والقَيْنُ نَائِمُ (٥)

---

(١) تصافن القوم الماء : اقتسموه حصصاً بالمقلة ، كما وصفت آنفاً . والإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء فى السفر . وجهش للبكاء وأجهش : إذا خنقه البكاء فاستعد له ثم استعبر . « أجهشت إلى » يصف إقباله عليه باكياً كالمستغيث الذليل ، فلذلك عداه « بإلى » . والغضون جمع غضن : وهى مكاسر الجلد فى الجبين ، ونسب إليها الإجهاش — وهو البكاء — لأن تكسر الجبين مقرون ببكاء الذليل الضارع الذى يريد أن يستلينك ببكائه وضراعة وجهه معاً . والجراضم من الغنم : الأكول الواسع البطن والثقيل الوخم . أراد : الشره والنهم والوخامة ، فذمه بكلمة شنيعة اللفظ والمعنى جميعاً !

(٢) يقول : فآثرته بالماء ، على لؤمه وشراهته وسوء عشرته ، لما رأيت ما نزل به من البلاء ، ولما أخشى مما يلحقنى من الذم واللوم إذ كنت فى مثل لؤمه وخسته ، فمنعته الماء بخلا به . وإنما يسخر منه ويتهزأ به . والملاوم جمع ملامة : وهى ما يلام عليه المرء ويعذل .

(٣) على ساعة : فى ساعة . « على » بمعنى « فى » . وحاتم الطائى الجواد المشهور .

(٤) معجم الشعراء : ٢٧٢ . الحنظلى : يعنى الفرزدق ، نسبه إلى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، لأنه من مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة . والبلدة : الصحراء التى هم فيها وهى من ديار بنى تميم . وقوله : « غير قائم » من قام الشىء : استقام واعتدل ، يريد ولدته عاجزاً غير قادر على الاستواء ، يعنى وهو وليد بعد لا يطيق أن يستوى . وفوق « قائم » فى المخطوطة « نائم » ، وكذلك جاءت فى معجم الشعراء ، وهى محرفة ، لأن الناسخ لم يفهم معناها ، فظن فحرفها . يقول للفرزدق : إن تعيرنى بالضلال ، فكيف ضللت أنت فى أرض ولدت بها كما ولدت ؟

(٥) زوراء : ناحية من الفلاة بعيدة مائلة عن السمت والقصد ، من الزور (بفتحتين) : وهو الميل . ناء : بعيد . يصف هذه الناحية من الفلاة ، بأنها نائية لا ماء فيها ، بعيدة عن مكان الماء فى الفلاة الكبرى . السرى : سير الليل . والقين : يعنى الفرزدق ، وهو نبز كان يسبه به من يهجوه . وذلك أن صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ، كان له قين يقال له جبير ، فزعم من يهجوه أن غالب بن صعصعة أبا الفرزدق ، كان قريب الشبه بجبير ، فنسبه إليه . يقول : إن الفرزدق كفور للنعمة ، فقد كفيته مشقة ما يلقى فى هذه الفلاة التى لا ماء فيها ، وهو قار العين ، حتى وردت به الماء من أخصر طريق .

سَرَيْنا بِه لَيْلَ التِّمامِ ، فَصَبَّحَتْ   بِهِ العِيسُ مَرْوًى من جِمامِ الخَضارِمِ[(١)]

* * *

٣٦١ — وأنشد يُونُس للفَرَزْدق حين طَلَّق النَّوار[(٢)] :

نَدِمْتُ نَدامةَ الكُسَعِىِّ لمَّا   مَضَتْ مِنِّى مُطَلَّقَةً نَوارُ[(٣)]

وكانَتْ جَنَّةً فخَرَجْتُ مِنها ،   كآدَمَ حِينَ أخْرَجَهُ الضِّرارُ[(٤)]

وَكُنْتُ كَفاقِئٍ عَيْنَيْه عَمْداً   فأَصْبَحَ مَا يُضِىءُ به نَهارُ[(٥)]

وَلَوْ ضَنَّتْ يدَاىَ بِهَا وَنَفْسِى   لَكانَ علَىَّ لِلقَدَرِ الخِيارُ[(٦)]

---

(١) ليل التمام : أطول ما يكون من الليل ، انظر ص : ٢٥٨ تعليق رقم : ١ مروًّى (مفعل) ، من الرى : منهل ماء يروى شاربه . والجمام جمع جمة : وهو المكان الذى يجتمع فيه الماء . والخضارم جمع خضرم (بكسر الخاء والراء) : وهو البحر الكثير الماء . وأراد هنا المناهل الكثيرة الماء .

(٢) النوار بنت أعين بن صعصعة ، ابنة عم الفرزدق .

(٣) ديوانه : ٣٦٣ ، الأغانى ١٩ : ٩ ، الكامل ١ : ٧٢ . الكسعى : رجل يضرب به المثل فى الندامة ، وهو من الكسع : حى من قيس عيلان ، وقيل من اليمن ، وهم رماة . وله خبر طويل ، مغزاه أنه كان راعياً ، فرمى بعد ما أسدف الليل عيراً فأصابه ، ولكنه ظن أنه أخطأه ، فغضب فكسر قوسه ، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه .

(٤) الضرار : العصيان والمخالفة ، من قولهم ضاررت الرجل ضراراً ومضارة : إذا خالفته . يريد ما كان من أبينا آدم ، إذ خالف أمر ربه وعصى ، يقول الله تعالى : « وعصى آدم ربه فغوى » . ومثله قول القطامى :

قُضَاعَةُ كان حِزْباً من مَعَدٍّ   فحَطَّهم المَعَاتِبُ والضِّرارُ

الضرار : العصيان والمخالفة والشقاق .

(٥) رواية أكثر الكتب « يضىء له » . ورواية ابن سلام جيدة فى العربية وفى البيان ، فجعل « أضاء » بمعنى دخل به فى الضوء . كما يقال أصبح بهم ، دخل بهم فى الصبح . يقول : فقأ عينيه ، فبطل معه عمل النهار الذى يدخل الناس جميعاً فى الضوء ، حتى يبصروا هداهم ويستمتعوا بدنياهم . وهذه الرواية أبلغ فى التحسر والندامة ، وأعرق فى البيان من رواية من روى « يضىء له » ، فهو معنى مغسول .

(٦) يقول المرزوقى فى الأزمنة ١ : ١٠٥ « المعنى : لو ملكت أمرى لكان على أن أختار للقدر ، ولم يكن على القدر أن يختار لى » وذلك أنه جعل « على » بمعنى اللزوم والوجوب . وهو كلام مختل فى سياق الندامة ، بل فى الشعر قلب ، وأصله « لكان لى ، على القدر ، الخيار » ، و« على » للمصاحبة بمعنى

وما فارقتها شِبَعاً ، ولكِنْ رأيتُ الدَّهرَ يأخُذُ ما يُعارُ[١]

* * *

٣٦٢ — [٢][وكان خالدُ بن عبد الله القَسْرى حبَس الكُمَيْتَ بن زيدٍ ، أَبَا المُسْتَهِلّ ، الأَسَدىّ ، فحدّثنى سَلاَّمٌ أَبُو المُنْذِرِ القارىّ : أنّ خالداً حبس الكميت بن زيد — وكان قال لخالد :

فإنّى وتَمْداحِى يَزيدَ وخالِداً ضَلالاً ، لَكالحادِى ولَيْسَ لَهُ إِبْلُ[٣] —

فكانت أمُّ المُسْتَهِلّ تدخُلُ عليه ، حتَّى عرَف أهلُ السِّجن وبوّابُوه ثِيابها وهَيْئَتها ومِشْيَتَها . فدخلتْ عند غَفْلَةٍ منهم ، فلبِسَ ثِيابها وتهيّأ بهَيْئتها ، ثم خرَج ، فقال :

« مع » . والخيار ، الاسم من الاختيار ، وهو اصطفاء خير الأمور . يقول : لو صدقت فى ضنى بها وحرصى عليها وحبى لها ، لاخترت خير الأمرين ، وهو إمساكها ، مع مالا يعلم أحد مما خبأ الله من قدره الغالب على كل شىء . هذا معناه ، أما تأويل المعتزلة فليس بشىء ، وليس لأحد أن يختار على الله ، ولا على قدر الله ، « وربُّك يخلقُ ما يشاءُ ويختارُ ، مَا كانَ لهم الخِيرَةُ سُبْحانَ اللهِ وتَعالَى عَمّا يُشْرِكُونَ » .

(١) رواية الأخفش فى تعليقته على الكامل للمبرد ١ : ٧٢ « رأيت الزهد » ، وهى عندى أجود الروايتين ، فإنه أراد أن يقول إنه لم يطلقها لأنه شبع منها وفرغت حاجته إليها ، بل لعلة أخرى تعرض للناس ، وهى أن الشىء الممكن السهل الحاضر ، يقل حرص النفوس عليه ، فيغلبها الزهد فيه ، وقلة الاحتفال به . فقوله « يعار » فى هذا المعنى ، تشم طرفا من معانى الامكان والسهولة وقرب المأخذ . ومادة اللغة تدل عليه . فقد قالوا : تعاوروا الشىء : تداولوه بينهم . ولا يتداول إلا الشىء الذى يقل حرص الناس عليه . وقالوا أيضاً : أعور لك الشىء : إذا أمكنك من نفسه .

(٢) هكذا جاءت هذه الأخبار منقطعة عما قبلها ، وكان أولى بها أن تكون فى غير موضعها هذا . ولعل فى النسخة خرماً واضطراباً فى ترتيب أوراقها . وتركتها على حالها حتى أستطيع أن أجد بعد لها مكاناً . وروى هذا الخبر الجاحظ فى الحيوان ٢ : ٣٦٤ ، وانظر الأغانى ١٥ : ١١٥ .

(٣) يزيد : أظنه يعنى يزيد بن عمر بن هبيرة ، والى العراق .

خَرَجْتُ خُروجَ القِدْحِ قِدْحِ ابنِ مُقْبِلِ ... عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تِلكَ النَّوابحِ والمُشْلِي (١)

عَلَيَّ ثيابُ الغانياتِ، وتحتَها ... عَزيمةُ أَمْرٍ أَشْبهتْ سَلَّةَ النَّصْلِ (٢)

ولِذٰلك قالتْ القَيْسيةُ لهشامٍ حين كلّموهُ فى أمر الفَرَزْدق حين حبسه خالدٌ: كلّما كان فى مُضَرٍ نابٌ أو شاعرٌ حَبَسه (٣). يعنُون الكُمَيْت والفرزدق.

٣٦٣ — وأخبرنا (٤) يُونُس، قال: لما قَدِم المهدىُّ، أتاهُ ابنُ الكُميت مُدِلًّا بطُولِ مدحِ الكُمَيْت بنى هاشم، فقال له المهدىّ: أَليسَ أبُوكَ الّذى يقول:

فالآنَ صِرْتُ إلى أُمَيَّـــةَ، والأُمُورُ لها مَصَايِرْ

اُذْهَبْ فليس لك عندنا شىءٌ.

---

(١) القدح: عود السهم إذا شذب وقطع وقوم وأعد لتركيب الريش والنصل فيه. وابن مقبل: شاعر فحل مضى ذكره فى رقم: ١٣٤، ١٤٤، ١٤٥، وكان وصافاً للقداح، من ذلك قوله فى صفة السهم، وعنى نفسه:

غَدَا وهو مجدُولٌ، فراحَ كأنَّه ... من الصَّكِّ والتقليبِ فى الكفِ أفطَحُ

خَروجٌ من الغُمَّى، إذا صُكَّ صَكَّةً ... بَدَا، والعُيُون المُسْتَكِفَّةُ تلمَحُ

وعنى الكميت: سرعة خروجه مارقاً لم يكد أحد يفطن له. وأشلى الكلب بالصيد: إذا دعاه باسمه ثم أرسله على الصيد. وعنى بالمشلى، خالداً. والنوابح: يعنى البوابين، كلاب تحرس السجن!

(٢) السلة: المضى والخروج، من سل السيف: إذا أخرجه من غمده مسرعاً. ولم يرد سرعة إخراجه من الغمد، بل أراد سرعة إخراجه من ضريبته بعد الطعن به. وهكذا معناه فى شعر حماس ابن قيس الكنانى:

هذا سلاحٌ كامِلٌ وأَلَّهْ ... وذو غِرارينِ سَرِيعُ السَّلَّهْ

(٣) انظر رقم: ٤٠٠ الآتى.

(٤) روى الخبر أبو الفرج فى أغانيه ١٥: ١١٧، وأن المستهل دخل على عبد الصمد بن على ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس، عم أبى العباس السفاح.

٣٦٤ — وقال الفَرَزْدق يُعاتِب قومَه :

جَزَى اللهُ عَنِّى فى الخُطوب مُجاشعاً ... جَزاءَ كَرِيمٍ عَالِمٍ كَيْفَ يَصْنَعُ(١)

يَدُقُّون عَظْمى ما ٱسْتَطاعوا، وإنَّنى ... أَشِيدُ لهم بُنْيانَ مَجْدٍ وأرفَعُ(٢)

وإنِّى لَتَنْهانِى عنِ الجَهْلِ فيهِمُ، ... إذا كِدْتُ، خَلاَّتٌ من الحِلْمِ أربَعُ(٣)

حَياءٌ، وبُقْيا، وٱنتظارٌ، وأنَّنِى ... كريمٌ، فأُعْطِى ما أَشاء وَأَمْنَعُ(٤)

فإنْ أَعْفُ، أَسْتَبْقِ، ذُنوبَ مُجاشعٍ، ... فإنَّ العَصا كانَتْ لِذِى الحِلْمِ تُقْرَعُ](٥)

٣٦٥ — أخبرنى أبو يَحْيَى الضَّبِّىّ(٦) قال : لما هرَب الفرزدقُ من زيادٍ حين ٱستعْدَى عليه بنُو نَهْشَلٍ فى هِجَائه إيَّاهم ، أتى سَعِيدَ بن العاص — وهو عَلَى المدِينةِ أيَّامَ مُعاوية — فٱسْتَجاره فأجارَه ، [وعنده] الحُطَيْئة

---

(١) ديوانه : ٥٠٢ ، مجاشع : يعنى رهطه ، بنى مجاشع بن دارم .

(٢) فى الديوان « يرقون عظمى » . وأراد بدق عظمه : الإساءة إليه والطعن فيه .

(٣) الجهل : الخفة وسرعة الغضب وسوءه . إذا كدت : إذا كدت أن أجهل . والخلة : الخصلة .

(٤) البقيا : الرحمة . من أبقيت عليه : إذا أرعيت عليه ورحمته ، وأراد استبقاء مودتهم وصلة رحمهم . وقوله : « أعطى ما أشاء وأمنع » ، يعنى يعطى ما يشاء من الانقياد والسماحة ، أو يمنع فيغلظ ويقسو .

(٥) يريد ، فإن أعف عن ذنوب مجاشع ، فحذف حرف الجر ، كما فى قوله تعالى : « واختار مُوسَى قومَه سبعين رجُلاً لميقَاتِنا » أى من قومه . وذلك لأن العفو فى معنى الترك . يقول : إن أعف عن ذنوبهم استبقاء لمودتهم ورحمهم ، فإن العصا . . . . وذو الحلم : قيل هو عامر بن الظرب العدوانى ، وكان حكماً يقضى بين العرب حتى كبر ، فكان يغفل ، فأقام أحد بنيه ، حتى إذا غفل قرع له بالعصا فيعاود عقله . ويروى أن الذى كان يفعل به ذلك عمرو بن حممة الدوسى ، وكان حكم العرب قبل عامر بن الظرب ، وقيل غير ذلك . وهو مثل يضرب لمن إذا نبه انتبه .

(٦) انظر ما مضى رقم : ٣٥٧

وكعب بن جُعَيْل [التغلبيّ] ، فأَنْشَدَه الفرزدقُ [مِدْحتَه إيّاه التى يقول فيها] :

تَرَى الغُرَّ الجَحَاجِحَ من قُرَيْشٍ إذا ما الأمْرُ فِى الحَدَثانِ غالاَ[١]

بَنِى عَمِّ النَّبِىّ ، ورَهْطَ عمرٍو ، وعُثْمانَ الأُلى غَلَبُوا فَعالاَ[٢]

قِياماً يَنْظُرُونَ إلى سَعِيدٍ كأنَّهُم يرَوْنَ بِهِ هِلاَلاَ

فقال الحُطيئة : هذا واللهِ الشِّعرُ ، لا مَا تُعَلَّلُ به مُنْذَ اليوْم أيُّها الأَمير ! فقال [له] كعب بن جُعَيْل : فَضِّلْه على نَفْسك ولا تُفَضِّلْه على غَيْرِكَ . قال : بَلَى والله ! أُفَضِّلُه على نَفْسِى وعلى غَيْرِى . [يا غلام !] أَدركْتَ مَنْ قَبْلَك ، وسبقْتَ منْ بَعْدَك . [ثم قالَ له الحُطيْئَة : يا غُلام ! لئِنْ بَقِيتَ لتَبْرُزَنَّ علينا] . [يا غُلام !] أَنْجدَتْ أُمُّك ؟[٣] قال : لا . بَلْ أبى . يريد الحطيئةُ : إنْ كانَتْ أُمُّك أنْجدت فإنّى أَصبتُها فأَشْبَهْتَنى . فأَلفاه لَقِنَ الجوابِ[٤] .

٣٦٦ — فنعاهُ عليه الطِرِمّاح حِينَ هَجَاه[٥] ، فقال :

---

(١) ديوانه : ٦١٥ — ٦١٨ والأغانى ١٩ : ٢١ ومعجم الأدباء ٧ : ٢٥٨ . الغر جمع أغر : وهو الأبيض الغرة ، ويراد به شريف القوم . الجحاجح جمع جحجاح : وهو السيد السمح الكريم . والحدثان . ما يحدث من نوائب الدهر . وغال : أصاب بشر وهلاك .

(٢) فى تعليق الديوان : « أراد بعمرو ، عمر بن الخطاب ، وإنما أراد بنى هاشم وبنى عدى وبنى أمية » ، ولست أدرى أيصح هذا النقل أم لا يصح ، ولكنه أراد فيما أظن بنى عبد مناف ، أو هاشم ، واسمه عمرو ، وأراد ببنى عم النبى ، آل أبى طالب ، وعثمان ، هو ابن عفان فيما أظن .

(٣) أنجد : نزل نجداً ، وهى ديار رهط الحطيئة .

(٤) غلام لقن : سريع الفهم ، سريع الجواب .

(٥) نعى فلان على فلان أمراً : أشاد به وأذاعه وشنع به وعابه .

فأسألْ قُفَيْرَةَ بالْمَرُّوتِ : هَلْ شَهِدتْ
سَوْطَ الْحُطَيْئَةِ بَيْنَ السِّجْفِ والنَّضَدِ ؟(١)

أمْ كان فى غَالِبٍ شِـعْرٌ ، فيُشْبِهُه
شِعْرُ أبْنِها ، فَينالَ الشعْرَ من صَدَدِ ؟(٢)

جاءَتْ به نُطْفَةٌ من شَرِّ ما أتَّسَقَتْ
مِنْهُ ، إلى شَرِّ وَادٍ شُقَّ فى بَـلَدِ(٣)

* * *

٣٦٧ — [قالَ : وأوَّلُ شِعْرٍ قالَه الفرزدق ، أَنَّ بنى فُقَيْم خرجُوا يطلبُون دمًا لهم فى قومٍ ، فصالحُوا مِنْه على دِيَةٍ . فقال حين رجعوا :

لَقَدْ آبتْ وُفودُ بنى فُقَيْمٍ بآلَمِ ما تؤُوبُ به الوُفُودُ(٤)

فشَكَوْهُ إلى أبيه وأستعْدَوْه مِنه ، فقال : هو أَوْغَدُ من ذاك ، ليْتَه يقول شعراً ! فقال الفرزدق :

---

(١) ديوانه : ١٤٥ ، قفيرة ، أم صعصعة بن ناجية ، جد الفرزدق ، وكان جرير وغيره يعيبونه بها . والمروت : واد فى ديار بنى تميم . ساط الشىء يسوطه سوطاً : خلطه فى الماء وخاضه وحركه ، أراد المباشرة ، وأفحش . والسجف : الستر المسبل . والنضد : ما نضد من متاع البيت .

(٢) غالب : أبو الفرزدق ، ولم يكن شاعراً . والصدد : القرب . وقوله : « ابنها » يعنى حفيدها . وأم الفرزدق هى لينة بنت قرظة الضبية .

(٣) هذه غير رواية الديوان . النطفة : الماء القليل ، ويكنى به عن ماء الرجل . اتسق : احتمل ، من وسق : حمل . والوادى فى هذا البيت كناية أخرى عن ذلك المكان من المرأة .

(٤) ديوانه : ١٦٣ . وبنو فقيم بن جرير بن دارم ، أبناء عمومة الفرزدق .

تَعذَّرت من شَتْمِ العَشيرةِ مُؤْلِياً ... وَلا بُدَّ للمَظنونِ أَنْ يتَعذَّرا[١]

فلما سمعَهُ أبوه قال : أَنتَ صَاحب الأوَّل !

٣٦٨ — وكان [يَرْعَى غنماً لأهْلِه – يعنى فى صِغَرِه – فذهبَ الذِّئبُ منها بكَبْشٍ ، فقال :

تَلُومُ على أنْ صَبَّحَ الذِّئبُ ضَأْنَها ... فألْوَى بكَبْشٍ وهو فى الرِّعْيِ رَاتِعُ[٢]

وقدْ مَرَّ حَوْلٌ بعد حوْلٍ وأشهُرٌ ... بِعَوْصٍ عَلَيهِ،وهو ظَمْآنُ جَائعُ[٣]

فلمَّا رأى الإقْدامَ حَزْماً ، وأنَّه ... أَخُو المَوْتِ مَنْ سُدَّتْ عليهِ المَطَالِعُ

أَغارَ عَلَى خوْفٍ وصَادَف غِرَّةً ... فلاَقَى الَّتى كانتْ عَليها المَطَامِعُ[٤]

وَمَا كُنْتُ مِذْياعًا ، ولكنَّ هِمَّتى ... سِوَى الرَّعْىِ مَفْطُوماً وَمُذأَنايافِعُ[٣]

---

(١) لم أجده بنصه فى ديوانه ، ولكن فيه : ٢٥٤ ، بغير هذه الرواية ، من أربعة أبيات يعتذر فيها إلى قومه . وفى الأصل فوق « المظنون » ، « المطلوب » . اعتذر من ذنبه وتعذر : تنصل . وآلى يؤلى إيلاء : حلف والمظنون والظنين : المتهم . ظننته : اتهمته .

(٢) يروى أن هذه الغنم كانت لأمه ، وهى التى لامته . وصبح الذئب الغنم : سطا عليها مع الصبح . ألوى بالشىء : ذهب وأتلفه . والرعى (بكسر الراء وسكون العين) ، والمرعى : الكلأ الذى ترعاه الغنم . ورتعت الماشية : أكلت ما شاءت ، وجاءت وذهبت فى المرعى .

(٣) العوص : الجدب والشدة والحاجة والبؤس . يقول : ظل الذئب فى جدب وفقر عاماً بعد عام ، يعتذر للذئب مما فعل بغنمها . وفى هامش المخطوط « مررن » ، رواية أخرى مكان « بعوص » .

(٤) « التى كانت عليها المطامع » ، يعنى العزيزة عليها ، التى كانوا يطعمون فى نمائها وكثرة نسلها .

(٥) مذياع : مضياع ، صيغة مبالغة من قولهم : تركت متاعى فى مكان كذا ، فأذاع الناس به ، وكل ما ذهب به فقد أذيع . واليافع : الغلام إذا شب وشارف الاحتلام .

أَبِيتُ أَسُومُ النَّفْسَ كلَّ عَظيمةٍ، إذَا وُطِّئَتْ للمُكْثِرِين المَضَاجِعُ،[١]

[فكانَ ذلك أَوَّلُ ما عُلِمَ بِهِ من شِعْره] .

* * *

٣٦٩ — [وكان رَاعِي الإبلِ يُفَضِّله ، وفى ذلك هجاهُ جرير . . . . .

(٢) . . . .

٣٧٠ — ابن واسعٍ[٣] وعبدُ القاهِر بن السَّرِىّ السُّلَمِيّان قالاَ : كانَ مِنّا — من بَنِى حَرَام بن سَمَّال[٤] — شُوَيْعر هجَا الفرزدق ، فأخذناهُ فأتَيْناهُ به فقلنا: هاهُو ذَا بين يدَيْك، فإنْ شئتَ فاضرب، وإنْ شِئْتَ فاحلِقْ، لا عَدْوَى عليكَ ولا قِصَاص ، [قد بَرِئْنا إليكَ منه][٥] . فخلّى عنه وقال :

فمَنْ يَكُ خائفاً لأَذاةِ شِعْرِى فقد أَمِنَ الهِجَاءَ بنو حَرَامِ

هُمُ قَادُوا سَفِيهَهُمُ وخافُوا قَلائِدَ مثلَ أَطْوَاقِ الحَمامِ

٣٧١ — وحدثنى عبد القَاهر السُّلَمىّ قال : مَرَّ الفرزدَق بمجلسِ

---

(١) سام نفسه الشىء : كلفها تجشمه . وفى المخطوطة « إذا وطنت » ، وهى صحيحة المعنى ، أى مهدت لهم حتى اتخذوها كالوطن ، يألفونه ويأوون إليه . وطأ الفراش : مهده وذلله حتى لا يؤذى جنب النائم .

(٢) فى هذا المكان خرم ، لا أدرى ما مقداره .

(٣) هو أبو بكر محمد بن واسع السلمى ، وقد مضى فى رقم : ٣ ص : ٢٢٢

(٤) فى المخطوطة : « سماك » ، وهو خطأ محض ، ووقع فى كتب كثيرة . وهم بنو حرام بن سمال ابن عوف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور ، وسمى سمالا ، لأنه سمل عين رجل ، أى فقأها بخشبة أو حديدة محماة (الاشتقاق : ١٨٧) .

(٥) الزيادة ما بين القوسين من الأغانى ١٩ : ١١ ، ثم انظر هذا بنصه فى ١٩ : ٤٩ . العدوى : طلبك من الوالى أن يعديك على من ظلمك لينتقم منه ، أى أن ينصرك عليه ويعينك . والشعر الآتى ليس فى ديوانه .

بنى حَرَام(١) ، ومعنا عَنْبَسَة مَوْلَى عُثمان بن عَفّان ، وهو جَدُّ عبد الكريم ابن رَوْح ، فقال : يا أبَا فِرَاس ، مَتَى تَذْهَبُ إلى الآخِرة ؟ قال : وما حاجتك إلى ذلك [يا أخى] ؟ قال : أَكتب مَعك إلى أَبِي . قال : أنا لا أذهبُ حيث أبوك [فى النار] ، أكتُبْ إليـــه مع دبالوَيْه وأُصطفانُوس(٢) .

٣٧٢ — حدثنى عُمَر بن السَّكن الصَّرِيّ قال : مَرَّ الفرزدقُ بِبَنى رُبَيْع ، وهو على بغلة ، فوقف عليهم وفيهم أبن مُحْكَان ، شاعرُهم ، وقد كانَ قال : مَنِ الفرزدق ؟ غَضباً لبَنِي مِنْقَر حينَ هجَاهم الفَرَزْدق(٣) ، وكان قال :

سِوَى أنَّ أَعْرافَ الكَوادِنِ مِنْقراً ... قَبِيلةُ سَوْءٍ بارَ فى النَّاسِ سُوقُهَا(٤)
وأَعْيَبُ مَا فِى المِنْقَرِيَّة أنَّها ... شَدِيدٌ بِبَطْنِ الحَنْظَلِيّ لُزُوقُها(٥)

---

(١) فى الأصل « من حرام » ، وفى الأغانى ١٩ : ١١ ، « بمجلسنا ، مجلس بنى حرام » ، وما بين الأقواس بعد زيادة منه .

(٢) فى الأغانى « ريالويه » ، ولا أعلم له صواباً .

(٣) ربيع بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وابن محكان : هو مرة بن محكان السعدى . وبنو منقر : هم بنو منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة . فهم أبناء عمومة بنى ربيع بن الحارث ، رهط مرة بن محكان .

(٤) ديوانه : ٥٧١ ومعاهد التنصيص : ٢٣ . الأعراف جمع عرف (بضم فسكون) : منبت شعر الفرس من العنق . والكوادن جمع كودن : وهو البرذون ، وهو فرس هجين كالبغل ، يشبه به الرجل البليد الهجين . وجعلهم أعراف الكوادن ، ذما لهم ، بأنهم فضلة لا خير فيها من قوم هجناء فسد نسبهم . وبارت السوق : كسدت .

(٥) رواية الديوان « وأهون ما فى . . . » ، وهى أقذع . وروى صاحب المعاهد من سبب الشعر : أن الفرزدق نزل يوماً فى بنى منقر والحى خلوف ، فجاءت أفعى فدخلت مع جارية فراشها ، فصاحت .

رَأَتْ قَوْمَهَا سُودًا قِصَارًا، وأبصرتْ ... فتًى حَنْظَلِيًّا ، كالهِلالِ ، يَرُوقُهَا

٣٧٣ — وقال الفرزدق يهجو رُبَيْعًا :

كأَنَّ رُبَيْعًا مِنْ عَمايَةِ مِنْقَرٍ ... أَتَانٌ دَعَاهَا ـ فاسْتَجَابَتْ ـ حِمَارُهَا[(١)]

تُرَجِّي رُبَيْعٌ أَنْ يَجِيءَ صِغَارُها ... بِخَيْرٍ ، وقَدْ أَعْيَى رُبَيْعًا كِبَارُهَا

٣٧٤ — فلمّا قال البَعِيثُ لجَرِيرٍ :

تُرَجِّي كُلَيبٌ أن يَجِيءَ حديثُهَا ... بِخَيْرٍ ، وقد أَعْيَى كُلَيْبًا قَدِيمُهَا[(٢)]

قال الفرزدق :

إِذَا مَا قُلْتُ قَافِيَةً شَرُودًا ... تَنَحَّلَهَا ابْنُ حَمْرَاءِ العِجَانِ[(٣)]

فاحتال الفرزدق فيها حتى انسابت ، ثم ضم الجارية إليه ، فزبرته (نهرته) ونحته عنها . فقال هذا الشعر. فاستعدت المنقرية عليه زياداً ، فهرب الفرزدق إلى مكة . ويقال إن المنقرية هى ظمياء عمة اللعين المنقرى الشاعر . وانظر خبره مع زياد رقم : ٣٤٣ . والحنظلى : يعنى نفسه ، لأنه من بنى مجاشع بن دارم بن مالك ابن حنظلة ، كما مضى فى نسبه .

(١) ديوانه : ٣٣٨ ، والنقائض : ١٢٤ ، وزعم الآمدى فى المؤتلف والمختلف : ١٦١ ، أن الفرزدق استرق البيت الثانى من حريث بن عناب النبهانى . ثم ترى فى رقم ٣٧٤ ، أن الفرزدق يزعم أيضاً أن البعيث سطا على شعره ! ! والعماية : الغواية والضلال واللجاجة فى الباطل . وفى الديوان « حماية » وليست بشىء . يقول : إن مكان بنى ربيع من طاعة بنى منقر فى غوايتهم وضلالتهم ، كمكان الأتان من حمارها إذا دعاها للسفاد ، فى ذلها واستكانتها .

(٢) البيت فى المراجع السالفة . وفى المخطوطة فوق « حديثها » « صغارها » ، وفوق « قديمها » « كبارها » ، وهى رواية ليست تصح .

(٣) البيت فى المراجع السالفة ، وليس فى ديوانه . قافية شرود : عائرة سائرة فى البلاد ، تشرد كما يشرد البعير ، أى يذهب نافراً فى كل مذهب . وروى أبو عبيدة فى النقائض : « تنخلها » ، قال أبو عبيد الله محمد بن العباس اليزيدى : «تنخلها : أى أخذ خيارها . وتنحلها : انتحلها » . ابن حمراء العجان : سب كان يجرى على ألسنتهم ، والعجان : ما بين القبل والدبر بين الرجلين . يعنى أنها أمة مستخدمة ممتهنة فى العمل ، فيعرق ذلك المكان منها ، فيتسلخ ويحمر .

٣٧٥ — فقال عُمر بن سَكَن فى حَدِيثه : فقالت له بنو رُبَيْع : مَرْحباً بسيّدِنا وشَاعِرنا قال : أيرُ البَغْل فى حِرِمٍ سَيِّدِكُم[١] ! يعنى ٱبنَ مَحْكَان .

٣٧٦ — [٢]حدثنى أبو الغرّاف قال : أتى الفرزدقُ عبدَ الله بن مُسْلم الباهلىّ ، فثقُلَ عليه الكثير ، وخَشِيَه [فى القَليلِ] ، وعنده عَمْرو بن عِفْرَى الضبىّ[٣] ، راويةُ الفرزْدَق ، وقد كان جَريرٌ هجاهُ لِروايته للفرزدق ، فقال :

وَنُبِّئْتُ جَوَّاباً وسَكْناً يَسُبُّنِى ... وعَمْرَو بن عِفْرَى ، لاسَلامَ على عَمْرِو[٤]

فقال عمرو بن عِفْرَى لعبد الله بن مُسْلم ، وهو الذى يلقب الفُقَيْرَ[٥] : لا يَهُولَنَّك أَمرُه ، أنا أرضيه عنك ! بدونِ ماكان همَّ لهُ به ، فأعطاه ثلاثَ مِئة درهمٍ ، فقبِلها ورَضِى . ثم بلغه صَنِيعُ ٱبن عِفْرَى فقال :

---

(١) حرم : أصله «حرح أم» . والحرح : ذلك المكان من المرأة . فيحذفون الحاء المتطرفة لأنها حرف حلقى مستهلك ، فبقى « حر » . فلما أضافوه إلى « أم » ، رأوا الهمزة ألين من الحاء ، فأبوا عليها أن تبقى وقد حذفوا أختها التى هى أشد منها ، فآثروا حذفها أيضاً . ومرد ذلك كله إلى كثرة الاستعمال .

(٢) هذا الخبر رواه صاحب الأغانى ١٩ : ١٣ ، وأخطأ وتبسط فى رواية الشعر ، ولعل نسخ الطبقات ، قد اختلفت بعد كما ظهر لى من نقل صاحب الأغانى عن أبى خليفة ، عن ابن سلام . وما بين الأقواس زيادة منه . وعبد الله بن مسلم الباهلى ، هو أخو قتيبة بن مسلم ، صاحب خراسان ، كان عاملا للحجاج ابن يوسف ، وهو أحد الفاتحين ، فتح خوارزم وسمرقند وبخارى . وقد قتل عبد الله بن مسلم مع أخيه فى غزو فرغانة سنة ٩٧ (المعارف : ٢٠٧ ، ٢٠٨) .

(٣) قال ابن ولاد فى المقصور والممدود : ٧٧ ، فى باب العين ، فصل المقصور والمكسور أوله ، مما يكتب كله بالياء : « وعفرى أيضاً بغير هاء ، اسم رجل ، قال جرير : ... » وأنشد البيت الآتى .

(٤) ديوانه : ٢٧٩ ، ولم أعرف جواباً ولا سكناً .

(٥) انظر النقائض : ٣٦٢ ، ومنه أخذت ضبطه .

تَفوَّقْتَ مالَ الباهِلِيِّ ، كأنّما ... تَهِرُّ على المالِ الّذى أنْتَ كاسِبُه (١)

فَلو كُنْتَ ضَبِّيًّا صَفَحْتُ،ولو سرَتْ ... على قَدَمِى حيّاتُهُ وعَقارِبُه (٢)

وَلكنْ دِيَافِىٌّ أَبُوهُ وَأُمُّهُ ... بِحَوْرَانَ يَعْصِرْنَ السَّلِيطَ أَقارِبُه (٣)

فقال له ابن عِفْرى – [وأتاه فى نادِى قومه] – : اُجْهَدْ جَهْدَك ، فهل هوَ إلّا هٰذا ؟ فوالله لا أَدَعُ لك مساءة إلّا أَتيتُها ، ولا تأمُرُنى بشىء إلّا اجْتَنَبْته ، ولا تَنْهَى عن شَىءٍ إلّا رَكبتُه . فقال : إنّك لا تَدُوم ! إنّك تَرْجع ! فأكّد عليه فقال : فاشْهَدُوا أنّى أَنْهاه أن يَفْعلَ بأُمّه كذا وكذا .

٣٧٧ — (٤) حدثنى شُعَيب بن صَخْر قال : تزوّج ذُبْيان بن أبى ذُبْيان [العَدَوىّ]،من بَلْعَدَوِيّة ، مَوْلاةً لهم ، فدعا النّاس فى وَليمَتِه ، فدعَا ابْنَ أبى شَيْخٍ الفُقَيْمىّ فألْفَى الفرزدقَ عنده ، فقال : يا أبا فِراس ، انْهَضْ .

---

(١) ديوان : ٥٠ ، والأغانى ١٩ : ١٣ ، ٥٢ . تفوق ، من فواق الناقة : وهى أن تحلب ثم تترك ساعة حتى تدر ، ثم تحلب . والتفوق منه : أخذ الشىء القليل بعد القليل فى مهلة ، أو إنفاقه شيئاً بعد شىء ، ومنه قول الشاعر :

تفوّق مَالِى مِنْ طَرِيفٍ وتَالِدٍ ... تفوُّقِىَ الصهباءَ من حَلَبِ الكَرْمِ

ومنه حديث أبى موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل ، إذ اجتمعا فتذاكرا قراءة القرآن ، فقال له أبو موسى : «أما أنا فأتفوقه تفوق اللقوح» ، أى لا أقرأ وردى بمرة ، ولكن أقرأ منه شيئاً بعد شىء فى آناء الليل والنهار . وهر على الشىء : ذب عنه ودفع ، كما يهر الكلب من وراء أهله . والهرير : صوت الكلب إذا أقبل ينبح الطارق .

(٢) ينفيه عن بنى ضبة بن أد . يقول له : لو كنت منهم لصفحت عنك ، ولو بلغت منى قوارصك .

(٣) دياف : قرية بالشام ، وأهلها نبط الشام ، وهم الديافيون . ونبط العراق هم النبيط . وحوران : من عمل دمشق ، فيها قرى كثيرة ومزارع . والسليط : الزيت يعصر من حب ، كدهن السمسم ، وهو الشيرج . يقول له : هذا عمل أبيك وأمك ، فلست من العرب فى شىء .

(٤) هذا الخبر أيضاً فى الأغانى ١٩ : ١٣ ، وما بين القوسين زيادة منه .

فقال : إنه لم يَدْعُنى ! فقال : إن ذُبيان [يُؤْتَى] وإن لم يَدْعُ . ثم قال : لا تخرُجُ من عِنده إلّا بجائزةٍ . فقام معه . فلما دَخل على ذُبْيان قال :

كَم قال [لى] ابنُ أبى شَيْخٍ وقلتُ له : كيفَ السَّبيلُ إلى مَعْرُوفِ ذُبْيانِ ؟
إنّ القَلُوصَ إذا أَلْقَتْ جَاجِئَها بِمِثْلِ بابِك لم تَرْحَلْ بِحِرْمانِ (١)

قال : أَجلْ يا أبا فراس ، فادْخُلْ ! فدَخَل فأعطاه ثلاثَ مِئَةِ درهمٍ .

٣٧٨ — (٢)وحدثنى أبُو بَكْرٍ المَدَنىّ قال : قدِم الفرزدقُ المدينةَ ، فَوافَقَ بها موتَ طَلْحة بن عبد الله بن عَوْف الزهرىّ ، وكان سَيِّدًا [سَخِيًّا] شَريفاً ، فقال: يا أهلَ المدينة، أَنْتُم أذلُّ قومٍ ! قالوا : وما ذاك يا أبا فِراس ؟ قال : غلَبَكم الموتُ على طلْحةَ حتى أخذَهُ من بينكُمْ .

٣٧٩ — قال: وأتى مكَّة ، فأتَى عبدَ الله بن صَفْوان [بن أُمَيَّة بن خَلَف] الجُمَحىّ ، [وهو سيِّد أهلِ مكة يومئذٍ] ، وليس عنده نَقْدٌ حاضرٌ ، وهو يتوقّع عَطِيَّته وعَطِيَّة ولده . فقال: والله يا أبا فراس، ما وافقْتَ عندنا نَقْدًا ،

---

(١) ليسا فى ديوانه . القلوص : الفتية من الإبل . والجاجىء جمع جؤجؤ : (بضم فسكون فضم) : هو مجتمع عظام الصدر من الحيوان والإنسان . يريد كلكل الناقة .

(٢) هذا الخبر والذى يليه فى الأغانى ١٩ : ١٤ فى سياق واحداً والزيادات بين القوسين منه . وفى الأغانى تحريف . وفى الأغانى «طلحة بن عبد الرحمن بن عوف» ، وهو خطأ صرف . وولى طلحة ابن عبد الله المدينة ، فكان من خير الولاة . وكان سخياً جواداً . قدم الفرزدق المدينة ، وكان قد مدحه ومدح غيره من قريش ، فبدأ به فأعطاه ألف دينار ، فكانوا يكرهون أن يقصروا عن ذلك ، فيتعرضوا للسان الفرزدق ، فجعلوا يتكلفون ما أعطاه طلحة ، فكان يقال : أتعب طلحة الناس . (ابن سعد ٥ : ١١٩) . وتوفى بالمدينة سنة ٩٧ ، وهو ابن ثنتين وسبعين سنة .

ولكنْ عُرُوضًا إن شِئْتَ ، فإنَّ عِنْدنا وُصَفَاءَ فُرْهَةً ، فإن شئتَ أخذتهم[١] . قال : نعَمْ . فأرسل إليه بوُصَفَاءَ من بَنيه وبَنِى أخِيه ، وقال : هُمْ لك عِنْدنا إلى أن تَشْخَص[٢] . وجاءه العَطاءُ فأخبره الخبر ، وفَدَاهُمْ . فقال الفرزدقُ ، ونَظَر إلى عبد العَزِيز بن عَبْد الله بن خالد بن أَسِيد ، وكان سيِّداً ، يطُوف بالبَيْت يتَبَخْترُ :

تَمْشِى تَبَخْتَرُ حَوْلَ البَيْتِ مُنْتَحِياً لَوْ كُنْتَ عَمْرَو بنَ عبدِ الله لم تَزِدِ[٣]

٣٨٠ — وتزوج[٤] الفرزدق النَّوَار بنت أَعْيَن بن ضُبَيْعَة المُجاشِعىّ ، فادَّعتْ عليه طَلاقًا[٥] ، ونازعته . . .

[٦]
. . . .

حتى قَدمتْ على ابْنِ الزُّبَيْر فى خِلافَته ، وأتْبَعها ، [واتَّهم رِجَالاً من

(١) العروض جمع عرض (بفتح فسكون) : وهو المتاع وكل شىء سوى الدراهم والدنانير فإنهما عين ونقد. والعروض لا يدخلها كيل ولا وزن ولايكون حيواناً ولا عقاراً. فأخذوا منه المعارضة: وهى مبادلة شىء بشىء من العروض . والوصفاء جمع وصيف : الخادم ، غلاماً كان أو جارية . ويقال : الوصيف العبد ، والوصيفة الأمة . وفرهة جمع فاره (مثل صاحب وصحبة) ، من الفراهة : وهى الحسن والملاحة .

(٢) شخص من بلد إلى بلد يشخص شخوصاً : نهض عنه فذهب .

(٣) البيت ليس فى ديوانه . انتحى الرجل فى مشيته : مال على أحد شقيه ، وذلك من الزهو والخيلاء . وعمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية ، كان كأبيه سيداً عالى القدر فى قريش .

(٤) روى أبو الفرج هذا الخبر بتفصيله فى الأغانى ٩ : ٣٢٤ وما بعدها و١٩ : ٩ ، وقد ذكر فى إسناده ابن سلام ، ولكنه ساقه فى أكثره من حديث عمر بن شبة خاصة . وروى كيف كان بدء زواجه بها .

(٥) انظر ما كتبته فى الفقرة : ١١١ ، ١١٧ .

(٦) مكان هذه النقط خرم سطر فى نسختنا المخطوطة . والكلام يشبه أن يستقيم معناه .

قَوْمه يُعِينونها ، فقال الفرزدق[(١)] :

أَطَاعت بَنِى أُمِّ النُّسَيْرِ،فأصبحتْ   عَلَى قَتَبٍ يَعْلُو الفَلاَةَ دَلِيلُها[(٢)]
تَأَمَّلْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، فإنها   مُوَلِّهةٌ يُوهِى الحِجَارَةَ قِيلُها[(٣)]]

فلجأَتْ إلى أُمِّ هاشِمٍ بنت مَنْظُور بن زَبَّان الفَزَارِىّ، امْرأةِ ابن الزُّبَيْر. ولجأَ الفَرَزْدَقِ إلى حَمْزَةَ [بن عَبد الله بن الزُّبير] ، وأُمُّه تماضِرُ بنتُ مَنْظُور[(٤)] ؛ فكان حمزةُ إِذَا أَصْلَح شيئًامن أمْرِ الفرزدق، قَلَبتْ أمُّ هاشم رأىَ عبدِ الله إلى النَّوار ، فقال الفرزْدَق :

---

(١) ذكر أبو الفرج ٩ : ٣٢٥ ، ١٩ : ٧ ، أنها لما أرادت أن تنافره إلى عبد الله بن الزبير ، وهو يومئذ أمير الحجاز والعراق ، وهمت بالشخوص إليه ، تحامى الناس كراءها ، ولم تجد من يحملها ، فأتت فتية من بنى عدى بن عبد مناة بن أد ، يقال لهم « بنو أم النسير » ، فسألتهم برحم تجمعهم ، وكانت بينها وبينهم قرابة ، فحملها رجل منهم يقال له : زهير بن ثعلبة .

(٢) ديوانه : ٦٠٣ ، والكامل ٢ : ٤٣ ، والمراجع السالفة . وكنت أحب أن أعيد كتابة الأبيات كلها حتى يتبين وجه الكلام ، ولكنه يطول . ويظهر أن ناسخ الطبقات كان يختصر من بعض الشعر ، فإن سياق ابن سلام يوجب أن يذكر من شعر الفرزدق ما فيه اتهام هؤلاء القوم بإفساد زوجته عليه ، وذلك قوله :

وإنّ امرءًا أمسَى يُخَبِّبُ زَوْجَتى   كماشٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُها
ومِنْ دُونِ أبوالِ الأُسودِ بَسَالَةٌ   وبَسْطَةُ أيْدٍ يمنعُ الضَّيْمَ طولُها

يخبب : يفسدها على . والقتب : إكاف البعير ورحله . ورواية الديوان غير هذه الرواية ، وهى أجود وأصح .

(٣) هذا بيت منفرد بينه وبين الأول شعر كثير . والضمير فى « فإنها » للنوار . مولهة : محيرة لسامعها بما تأتيه به من الكذب . ويروى « مولعة » من الولع (بفتح فسكون) . وهو الكذب . يوهى الحجارة : يشققها ويفتتها . وقد شرح الشراح البيت على غير ما ذهبت إليه .

(٤) قال البلاذرى فى أنساب الأشراف ٥ : ١٩٠ : « وكانت عند عبد الله بن الزبير ، قهطم بنت منظور بن زبان — ويقال : تماضر — فولدت له حمزة ، وماتت . فتزوج أختها أم هاشم ، فقال الحجاج : عجباً لرجل تزوج امرأة لم تنجب ثم تزوج أختها ! » .

أَمَّا البَنُونَ فلمْ تُقبَلْ شَهَادَتُهُمْ ، وشُفِّعَتْ بنتُ مَنْظُورِ بنِ زَبَّانَا[١]
لَيسَ الشَّفِيعُ الذى يَأتِيكَ مُتَّزِراً مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِى يأتِيكَ عُرْيَانَا[٢]

٣٨١ — [٣]أخبرنى إِبراهيمُ بن حَبِيب بن الشَّهِيد، عن أبيه قال: قال لَهُ ابنُ الزُّبير: ما حَاجَتُك بها؟ قد كَرِهتْك! كُنْ لها أكْرَهَ، وخَلِّ سَبيلها. فخرج وهو يقُول: ما أمَرَنِى بطَلَاقها إلّا ليَثِبَ عَليها! فبلغَ ذلك ابنَ الزُّبير، [فخرَج] وقد اُستَهلَّ هِلالُ ذِى الحِجَّة، ولبِسَ ثِيابَ الإحْرَام يريد البيت، وألْفَى الفرزدقَ بباب المَسْجِد عندَ البَاعَة، فأخَذَ بعُنُقِه فغمزَهَا[٤]، حتى جعل رأسَه بين رُكْبَتَيه فقال:

أَلَا أَصْبَحَتْ عِرْسُ الفَرَزْدَقِ نَاشِزاً وَلَوْ رَضِيتْ رَمْحَ اُسْتِهِ لَاُسْتَقَرَّتِ[٥]

والبيتُ لجعفرِ بن الزُّبَيْرِ، فيما ذكَر عبدُ الله بن مُصْعَب.

٣٨٢ — [٦][وكان الفَرَزْدق إذا أصابَ دَرَاهِمَ أتَى بها النَّوارَ، فتُحْرِزُ بعضَها وتُعْطيه بعضَها. وكانت مُسْلِمةً تألَّهُ، فكانت تزعُمُ أنه طلَّقَها، ويَجْحَدُها[٧]. فاحتاجَ يوماً فقالتْ: أُعطِيك كذا وكذا دِرْهماً على أن تُشْهِدَ

---

(١) ديوانه : ٨٧٣ والمراجع السالفة . وروايتهم « شفاعتهم » ، وهى أمثل .

(٢) ائتزر واتزر (بإدغام الهمزة فى التاء) فهو مؤتزر ومتزر : لبس المئزر ، يعنى الثوب .

(٣) روى الخبر أبو الفرج فى أغانيه ٩ : ٣٢٩ بنصه ، وفيه بعض الخطأ .

(٤) غمز الشىء غمزاً : عصره بيده وكبسه .

(٥) رمحه رمحاً : طعنه بالرمح . وكنى بذلك عما يكون بين الرجل وامرأته .

(٦) روى بعض هذا الخبر أبو الفرج فى أغانيه ١٩ : ٤٧ ، والمبرد فى الكامل ١ : ٧٠ ، ثم ٧١ — ٧٢ .

(٧) أحرز الشىء : إذا حفظه وضمه إليه فى حرز يصونه عن الأخذ . تأله : تنسك وتعبد . وجحد الشىء : أنكره ولم يقر به .

على طَلاقِي الحَسَن.قال : نعمْ . فأعطتْه . فقال : أيُّها الشيخ إنّى قَدْ طلَّقتُ النَّوارَ . قال : قد سمِعْنا ما قلتَ[١] . فلما حَضَرها الموتُ أَوْصَتْه ، وهو ابنُ عمِّها ، أن يُصلِّى عليها الحسَن ، فأَخْبره فقال : إذَا فرَغْتُم فأَعْلِمُونى . وأُخْرِجتْ ، وجاء الحسنُ وسَبَقهما الناس ، وانتظروهما . فأقبلا والنَّاس يَنْظُرون ، قد استَبْطؤُوهم . فقال الحسن : مَا لِلنَّاس ؟ فقال الفرزدق : يَرَوْنَ خيرَ النَّاس وشَرَّ الناسِ ! قال : لستُ بخَيْرِهم ولستَ بِشرِّهم ! وقال له الحسنُ ، وهو على قبرها : ما أعدَدْتَ لهذا المَضْجَع ؟ قال : شَهادةَ أَن لا إلٰهَ إلاّ اللهُ مُذْ سَبْعُون سَنَةً[٢] .

٣٨٣ — [٣]حدثنى عامر بن أبى عامر — [وهو صالح بن رُسْتُم الخرّاز] — قال : أخبرنى أبو بكر المدنىّ [الهذلىّ] ، قال : إنا لجُلوسٌ عند الحسَن ، إذ جَاء الفرزدقُ يتَخطَّى حتَّى جلَس إلى جَنْبِه ، فجاء رجُلٌ فقال : يا أَبَا سَعِيدٍ ! الرَّجُل يقولُ : لَا والله ، بَلَى والله [فى كلامِهِ] ؟ قال : لَا يُرِيد اليَمِين ! فقال الفرزدق : أَوَما سمعتَ ما قلتُ فى ذلك ؟ قال الحسن : [ما كُلَّ ما قلتَ سمعوا !] فما قلتَ ؟ قال : قلتُ :

---

(١) هذا الجزء الأخير من الخبر ذكره المبرد فى تقديمه لشعر الفرزدق الذى مضى فى رقم : ٣٦١ . والحسن : هو أبو سعيد الحسن البصرى رضى الله عنه .

(٢) قال المبرد فى الكامل ١ : ٧٠ فى إثر ذلك : « وخَمْس نَجَائِبَ لا يُدْرَكْنَ — يعنى الصلوات الخمس . فيزعم بعض التميمية أنه رئى فى النوم ، فقيل له : ما صنع بك ربك ؟ فقال ! غفرلى : قيل له : بأى شىء ؟ قال بالكلمة التى نازعنى فيها الحسن » .

(٣) رواه أبو الفرج ١٩ : ١٤ ، وما بين الأقواس زيادة منه . والعمدة ١ : ٤٠ .

وَلَسْتَ بمأخُوذٍ بلَغْوٍ تَقُولُه   إذا لم تَعمَّدْ عَاقِداتِ العزائِمِ (١)

قال : ثُمَّ لَمْ يلبَثْ أن جَاء رَجُل آخر فقال : يا أَبا سَعيدٍ ! نكونُ فى هٰذه المَغَازِى ، فنُصِيبُ المرأة لها زَوْجٌ ، أَفَيَحِلُّ غِشْيَانُها ولم يُطَلِّقها زوجُها ؟ فقال الفرزدق : أَوَمَا سمعتَ ما قلتُ فى ذلك ؟ قال الحسن : ما كلَّ ما قلتَ سمعُوا ! فما قلتَ ؟ قال : قلتُ :

وذَاتِ حَليلٍ أَنْكَحَتْنَا رِمَاحُنَا ،   حَلاَلٌ لمن يَبْنِى بِها لم تُطَلَّقِ] (٢)

٣٨٤ — (٣) أخبرنى محمد بن جعفر [الزِّبيقِّ] قال : أَتى الفرزدقُ الحسنَ فقال : إنّى قد هجوتُ إبْليسَ فاْسمَعْ . قال : لاَ حاجةَ لنا فيما تَقُول . قال : لَتسْمَعَنَّ أو لأخْرُجَنَّ فأَقولَ للنّاسِ : الحسنُ يَنْهَى عن هِجَاء إبْليس . فقال الحسن : اُسكت ، فإنَّك عن لِسَانه تتَكلَّم .

٣٨٥ — وقال رَجُل لاُبْن سِيرِ ينَ : وهو قائمٌ مُستقْبِلَ القِبْلةِ يريد أن يُكَبِّر : أَيُتَوَضَّأُ من الشِّعر ؟ فانصرفَ إليه بوجْهِه فقال :

أَلاَ أَصْبَحتْ عِرْسُ الفَرَزْدق نَاشِزاً   [ولَوْ رَضِيَتْ رَمْحَ اُسْتِهِ لاسْتقَرَّتِ

ثم تَوَجَّه إلى القبْلةِ و كبَّر] .

---

(١) ديوانه : ٨٥١ ، اللغو : ما كان من الكلام غير معقود عليه . يقول : إذا لم تعقد نيتك عازماً على إرادته .

(٢) ديوانه : ٥٧٦ . الحليل : الزوج . وقال صاحب العمدة بعد هذا الخبر : « فحكم (يعنى الحسن) بظاهر قوله ، وما أظن الفرزدق ، والله أعلم ، أراد الجهاد فى العدو المخالف للشريعة ، لكن أراد مذهب الجاهلية فى السبايا ، كأنه يشير إلى العزة وشدة البأس » .

(٣) رواه أبو الفرج ١٩ : ١٤ ، وهو فى المطبوعتين فى غير هذا المكان ، مع بعض اختلاف فى لفظه .

٣٨٦ — أخبرنى عبدُ الملك بن عَبْد العَزِيز المَاجشُونَ عن يَحْيي أُبن زيد قال[١] : دخَل رجلٌ على الحسَن فسَمعه يقول : [واللهِ الّذى لاَ إله إلاَّ هُوَ لَتَموُتنَّ] ، والله الَّذى لاَ إِله إلاَّ هو لَتُبْعَثُنَّ ، ثم قال : والله الّذى لاَ إِله إلاَّ هو لتُحَاسَبُنَّ . قال: فقلتُ : هذَا حلّافٌ ! فخرجتُ من عِنْدِه . فأتيتُ أُبنَ سيِرين ، فإِذا عنده جرير يُنشده ويحدِّثه ، قلت : هذا صاحبُ باطلٍ ! فتركتُهما ، فندمتُ .

* * *

٣٨٧ — حدثنى[٢] شُعيب بن صَخْر، عن محمّد بن زياد — وكان فى ديماسِ الحجَّاج زمانًا، حتَّى أطلقه سُلَيْمان حين قام — قال : أنتهيْتُ إلى الفرزدقِ، وهو يُنْشد بمكَّة بالرَّدْمِ مديحَ سُليمانَ عبدِ الملك ، [وهو يقول][٣] :

وَكَمْ أطلقَتْ كفَّاكَ من قيْدِ بائسٍ ، ومِنْ عُقْدَةٍ ما كان يُرْجَى أنْحِلالُها
كَثيراً مِنَ الأَيْدِى الَّتى قدْ تَكَنَّعَتْ فَكَكْتَ، وأعناقاً عَلَيْها غِلالُها[٤]

---

(١) فى المطبوعتين : « يحيى بن يزيد » ، ولم أعرف الصواب منهما .

(٢) رواه أبو الفرج فى الأغانى ١٩ : ١٦ .

(٣) ديماس الحجاج : سجن أقامه بواسط، أخذ اسمه من الديماس : وهو السرب المظلم تحت الأرض لا يرى شمساً ولا ريحاً . والردم : هو موضع بمكة ، يعرف بردم بنى جمح ، وقد مضى خبره فى رقم : ٢٨٢

(٤) ديوانه : ٦٢٣ . تكنعت يده وأصابعه : تقبضت ويبست وتشنجت ، ومنه أسير كانع : ضمه القيد فتقبض . وغلال جمع غل : وهو جامعة توضع فى العنق واليد ، كالقيد . قال أصحاب اللغة : والجمع أغلال ، لا يكسر على غير ذلك . ولكن شعر الفرزدق حجة عليهم ، وهو على باب : قف وقفاف وعش وعشاش وخف وخفاف ، ولكن بعض أصحاب الدعوى يحرج من حيث لا يعلم . والعرب أجرأ على لغتهم مما يظن المتكلفون .

فقُلتُ : أنا والله أحَدُهم ! [قال] : فأخذ بيدى وقال : أيُّها الناس ! سَلُوه ، فوالله ما كذبتُ [قطُّ] .

٣٨٨ — (١)[وسمعتُ الحارث بن محمد [بن زياد] ، قال : كتب يَزيدُ بن المُهَلَّب حين فتح جُرْجَان، إلى أخيه [مُدْركه أو] مَرْوان : أحمل الفرزْدقَ ليقولَ فى آثارِنا ، فإذا شَخَصَ فأعْطِ أهلَه كذا وكذا . قال : أحسِبُه قال : عَشرةَ آلافِ درهمٍ ، فقال له الفرزدق : أُدفعها إلىَّ . قال : أُشخَصْ وأدْفعُها إلى أهْلك . فأبَى ، وخرج يقول(٢)] :

[دعَانِى إلى جُرْجَان والرَّىُّ دونَه ، لِآتِيَهُ ، إنّى إذَنْ لزَؤُورُ(٣)

لِآتِىَ من آل المُهَلّبِ ذَائرًا بأعْرَاضهمْ ، والدَّائراتُ تدورُ(٤)

سآبَى ، وتأْبَى لِى تَميمٌ ، ورُبَّما أبَيْتُ فلمْ يَقْدِرْ علىَّ أَميرُ]

---

(١) رواه أبو الفرج فى الأغانى ١٩ : ١٦ والزيادة بين الأقواس منه .

(٢) بعد هذا خرم بليغ فى المخطوطة ينتهى فى رقم ٥٣٤ ، وقد أتممت الخبر من رواية أبى الفرج عن أبى خليفة عن ابن سلام .

(٣) ديوانه : ٢٤٣ . جرجان مدينة قديمة عظيمة بين طبرستان وخراسان . والرى : مدينة قديمة أخرى فى تلك الناحية . ورجل زؤور وزوار : كثير الزيارة ، قادر على تجشمها . قال :

إذا غابَ عَنْها بَعْلُها ، لم أَكُنْ لَهَا زَؤُوراً ولم تأنَسْ إلىَّ كِلابُها

يذكر بعد المسافة ما بينه وبين يزيد بن المهلب ، ويسخر من أن يكون دعاه وهو يعلم أنه أجل من أن يتكلف له مثل هذه الزيارة .

(٤) فى الأغانى « زائراً » ، ولا معنى له ، وفى الديوان « ثائراً » ، وهى واضحة . وذئر للشىء : أنف منه واستنكره . وذئر : إذا اغتاظ من عدوه واستعد لمواثبته . وأراد الفرزدق : أن يأتيهم فيغضب لهم ويدفع عنهم . يقول : لا آتيكم فأدفع عن أعراضكم من وقع فيها ، وعيرهم بهزيمتهم . والدائرات : الهزائم والشرور .

٣٨٩ — (١) أنبأنا أبو خَلِيفة ، أنبأنا ابن سَلَّام قال : سَمِعت سَلَمَةَ بن عَيَّاش قال : حُبِسْتُ فى السِّجْن، فإذا فيه الفرَزْدق — حبَسَه مالك بن المُنْذِر ابن الجارُود — فكان يُريد أن يقولَ البيتَ ، فيقولُ صدْرَه فأسْبِقُه إلى القَافِية ، ويَجىء بالقافية فأَسْبِقُه إلى الصدر . قال لى : مِمَّنْ أنتَ ؟ قلت : من قُرَيْش . قال : كلُّ أَيْر حِمَار من قُرَيْش ! من أَيِّهم أنْتَ ؟ قلت : من بَنِى عَامر . قال : لِئَامٌ واللهِ أَذِلَّةٌ ، جاورْتُهُم فكانُوا شَرَّ جِيرانٍ . قلت : أفلا أُخبِرُك بأذلَّ منهم وألأَمَ ؟ قال : بلى ! قلت : بنُو مُجَاشِع . قال وَيْلَك ! ولِمَ ؟ قلت : أنتَ شاعرُهم وسَيِّدهم [وابنُ سيِّدهم] ، جاءك شُرَطىٌّ مالكٍ حتَّى أدْخلَك السجنَ ، لَمْ يَمْنَعُوكَ ! قال : قاتلك الله !

٣٩٠ — (٢) أخبرنا أبو خَلِيفة ، أنبأنا ابنُ سلَّام ، قال : فأنشدَنِى يُونُس النحوىّ وعَبْدُ القاهر السُّلَمىّ للفرزدق ، حين عُزِل مَسْلَمةُ عن العراق بعد قَتْله يزيدَ بن المهلَّب واستُعمِلَ عُمَر بن هُبَيْرة :

وَلَّتْ بِمَسْلَمَةَ الرِّكابُ مُوَدَّعًا ، فَارْعَىْ فَزارَةُ ، لا هَنَاكِ المَرْتَعُ (٣)

---

(١) هذا الخبر كان فى المطبوعتين قبل رقم ٣٨٧ ، وليس ذاك موضعه ، بل هذا موضعه . كما تبين من سياق أبى الفرج فى الأغانى ١٩ : ١٦ ، وهو داخل فى أوائل الخرم الذى فى المخطوطة . وسلمة ابن عياش الذى يذكره بعد ، شاعر من مخضرمى الدولتين ، بصرى ، مولى بنى حسل بن عامر بن لؤى ، ترجم له أبو الفرج فى الأغانى ٢١ : ٨٤ .

(٢) نص هذه الفقرة فى الأغانى ١٩ : ١٦ : « وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق بعد قتله يزيد بن المهلب ، فلبث بها غير كثير ، ثم عزله يزيد بن عبد الملك ، واستعمل عمر بن هبيرة على العراق ، فساءه عزل مسلمة ، فقال الفرزدق ، وأنشدنيه يونس بقوله » . وكان ذلك فى سنة ١٠٢ . ومن هنا خرم إلى رقم ٥٣٤ .

(٣) ديوانه : ٥٠٨ ، الأغانى ١٩ : ١٧ ، الكامل ١ : ٢٩٩ ، ٢ : ٦٣ ، والطبرى ٨ : ١٦٧ . فزارة : رهط عمر بن هبيرة . لا هناك : دعاء ، من قولهم هنأه الطعام : كان هنيئاً مريئاً بلا تعب ولا مشقة . وسهل الهمزة . والمرتع : المرعى الخصيب ، تأكل منه الماشية ما شاءت تذهب فيه وتجىء .

فَسَدَ الزَّمانُ وبُدِّلَتْ أعْلامُهُ ، حتّى أُمَيَّةُ عن فَزارَةَ تنْزِعُ(١)
ولقَدْ علِمَتْ إذا فزارةُ أُمِّرَتْ أَنْ سَوْفَ تطمعُ في الإمارةِ أشْجعُ(٢)
ولَخَلْقُ رَبِّكَ ماهُمُ ، ولَمِثْلُهُم في مِثْلِ ما نالَتْ فَزارةُ تَطْمَعُ(٣)
نُزِعَ ابْنُ بِشْرٍ وابْنُ عمْرٍو قبلَهُ ، وأخُو هَـراةَ لِمِثْلِها مُتَوَقِّعُ

ابْنُ بِشْر: عبدُ الملك بن بِشْر بن مَرْوان ، كان مَسْلمةُ أمَّره علَى البَصْرَة .
وابْنُ عَمْرو: سَعيدُ بن عَمْرو بن عُقْبة بن أبى مُعَيْط، وكان عَلى خُراسان(٤) .
وأخو هَراة .سَعيد بن عَبْد العزيز بن [الحارث] الْحَكَم بن أبى العاصِى(٥) .

* * *

٣٩١ — وقال إسْماعيل بن عَمّار الأَسَدىّ(٦) ، حين عُزِل ابْنُ هُبَيْرة وأُمِّرَ خالدٌ القَسْرِىّ :

عَجِبَ الفرزدقُ من فَزارةَ أَنْ رَأَى عَنْها أُمَيَّةُ في المَشارِقِ تَنْزِعُ(٧)

---

(١) الأعلام جمع علم: وهو المنار يوضع على الطريق ، يستدل به . نزع عن القوس ينزع: رمى ، يقول : تبدلت الدنيا حتى صارت أمية تحتمى بفزارة وتصدر عن رأيها.يتعجب من ذلك لخسة فزارة عنده .

(٢) أشجع بن ريث بن غطفان : قبيلة ، يحقرها وينزلها دون فزارة .

(٣) يقول: إنما أشجع–على هوانها – شيء مما خلق‌الله ، فإذا نالت فزارة ما نالت ، فغير عجيب أن تطمع أشجع فى أن تنال مثل ما ناله هؤلاء الأخساء .

(٤) قال الطبرى إنه عنى « محمد ذا الشامة بن عمرو بن الوليد » ، أما صاحب الأغانى فقال : « سعيد بن حذيفة بن عمرو » وأظنه أخطأ .

(٥) الزيادة ما بين القوسين ، من نسبه .

(٦) ترجم له صاحب الأغانى ١١ : ٣٦٤ ، شاعر مقل من مخضرمى الدولتين .

(٧) الكامل ١ : ٣٠٠ والزيادة فى الأبيات منه ، فإنها تتمم معنى الشعر . وكان إسماعيل قد سمع رجلا ينشد أبيات الفرزدق ، فقال : أعجب‌والله مما عجب منه الفرزدق ، ولاية خالد القسرى، وهو مخنث ، دعى ابن دعى !

[فلقد رَأَى عَجَباً ، وأُحْدِثَ بَعْدَهُ أمرٌ تَطِيرُ له القُلُوبُ وتَفْزَعُ][(١)]
بَكَتِ المَنَابِرُ من فَزَارَةَ شَجْوَها ، فاليَوْمَ من قَسْرٍ تَضِجُّ وتَجْزَعُ[(٢)]
وبنو أُمَيَّةَ أَضْرَعُونَا للعِدَى ، لِلّٰهِ دَرُّ مُلوكِنَا ! ما تَصْنَعُ[(٣)] ؟
[كانُوا كتَارِكَةٍ بَنِيهَا جَانِباً سَفَهاً ، وغيْرَهُمُ تَصونُ وتُرْضِعُ]

وقال قَوْم إنَّ هذا البَيْتَ للفرزدق ، ومَنْ أَنْشَدَه لَهُ قال :

✡ ومُلُوكُ خِنْدِفَ أضْرَعونا للعِدَى[(٤)] ✡

* * *

٣٩٢ — [(٥)] [ويروى للفرزدق فى ابن هُبَيْرة :

أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! وأَنْتَ عَفٌّ كَرِيمٌ ، لَسْتَ بالطَّبِعِ الحَرِيصِ[(٦)]
أَوَلَّيْتَ العِرَاقَ ورَافِدَيْهِ فَزَارِيًّا أحذَّ يَدِ القَمِيصِ ؟ ![(٧)]

---

(١) يعنى بالأمر الذى أحدث ، ولاية خالد القسرى .

(٢) بكى شجوه : انظر تفسيره فى ص ٧٨ رقم : ٣ .

(٣) أضرعه للشىء : جعله يضرع ويذل له . والعدى : الأعداء الذين لا قرابة بينك وبينهم ، وهم حرب عليك .

(٤) خندف : أم مدركة بن الياس بن مضر ، جد قريش .

(٥) من رقم ٣٩٢ إلى آخر ٣٩٤ ، تتمة الخبر من الأغانى ١٩ : ١٧ ، وكذلك ما يليه مما وضعناه بين الأقواس .

(٦) ديوانه : ٤٨٧ ، والكامل ٢ : ٦٤ . طبع السيف فهو طبع : ركبه الصدأ حتى يغطى عليه ، فقالوا منه رجل طبع : دنس العرض ، دنىء الخلق ، لا يستحى من سوأة .

(٧) الرافدان : دجلة والفرات . رجل أحذ : سريع اليد خفيفها فى السرقة . وأضاف اليد إلى القميص ، لسرعته فى إخفاء ما يسرق ، كما يخفى السارق ما سرق فى كمه . ويقولون : الأحذ : المقطوع اليد ، كأنه أراد أنه مشهور بالسرقة ، كأنه حد فيها وقطعت يده ، وإن لم يكن هناك قطع على الحقيقة .

تَفنَّقَ بالعِراقِ أبو المُثنَّى ... وعَلّمَ أهْلَهُ أكلَ الخَبيصِ (١)
ولَمْ يكُ قبْلها راعِي مَخاضٍ ... لِيأمَنَهُ على وَرِكَيْ قَلوصِ (٢)

٣٩٣ — وأنشدنى له يُونُس :

جهِّزْ ! فإنَّكَ مُمتارٌ ومُبْتَعِثٌ ... إلى فَزارةَ عِيرًا تَحمِلُ الكَمَرا (٣)
إنّ الفزارِىَّ لَوْ يَعمَى ، فأطعَمَه ... أيْرَ الحِمارِ طبيبٌ ، أبْرأَ البَصَرا
إنَّ الفزارىَّ لا يَشْفِيهِ من قَرَمٍ ... أطايِبُ العَيْرِ حتّى يَنْهَشَ الذَّكَرا (٤)
[لمّا أتَوْهُ بما فى القِدْرِ أنكَرَهُ ، ... واسترجَعَ الضَّيفُ لمّا أبصرَ الكَمَرا] (٥)

---

(١) أبو المثنى : كنية عمر بن هبيرة . وفى الأغانى « تفنن » وهو خطأ . وتفنق فى عيشه : تنعم وتأنق . ويروى « تفهق » و « تفيهق » : أى توسع فيه . والأولى أجود . والخبيص : ضرب من الحلواء ، يخبص ، أى يخلط ويقلب ويوضع فى الطنجير ثم يسوى . هو من طعام أهل النعمة والترف . يقول : هذا دليل على ما يحتجن من الأموال ، فقد تنعم بعد الشقاء الذى ألفه هو وآباؤه من قبل ، كما سيذكر فى البيت التالى .

(٢) المخاض : اسم للحوامل من النوق ، التى أولادها فى بطونها ، وتطلق على النوق عامة ، كأنهم يتفاءلون بأنها تحمل وتضع . ويرمى بنى فزارة بغشيان الإبل ، وكذلك قال ابن دارة فيهم ، وكانوا يرمون أيضاً بأكل كمر الحمير :

لا تأمنَنَّ فزارياً خلوتَ به ... من بعد ما امتلَّ أيرَ العَيرِ فى النارِ
وإن خلوتَ به فى الأرض وحدكما ... فاحفظْ قلوصَك واكتُبْها بأسْيارِ

(٣) ديوانه : ٢٨٤ من قصيدة خبيثة الهجاء جيدته . جهز الرجل : إذا أعد له جهازه للسفر . يخاطب نفسه ، كأنه يأمرها بالاستعداد لما هو مقبل عليه من حمل الشر وسوقه فى الهجاء . ممتار ، من امتار : إذا حمل الطعام لمن يشتريه لهم . والميرة : الطعام الذى يمتاره . بعث الشىء وابتعثه : أرسله . والعير : القافلة من الإبل والحمير ، يمتار عليها الطعام . والكمر جمع كمرة : وهى رأس ما يكنى عنه من عورة الرجال . وأراد مثل ذلك من غراميل الحمير . يعنى ما سوف يذكره مما تتهم به فزارة من أكل كمر الحمير . انظر التعليق السابق .

(٤) القرم : شدة شهوة اللحم حتى لا يصبر عنه . والعير : حمار الوحش ، وكانوا يأكلونه ويستطيبون لحمه . وأطايب الجزور : أطيب المواضع من لحمه .

(٥) هذا البيت زدته من الديوان ، لأنه لا يقطع عن الذى بعده . والضمير فى « أتوه » و « أنكره » إلى الضيف ، مذكور بعد . واسترجع الرجل عند المصيبة قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » . يصفهم بالجهالة والفدامة والجلافة ، وإلف ما هم فيه من خساسة المطعم ، وجهلهم بمطاعم الناس .

يَقُولُ لَمَّا رَأَى مَا فِي إِنَائِهِمْ : لِلَّهِ ضَيْفُ الفَزَارِيِّينَ ! مَا انْتَظَرَا ؟

٣٩٤ — فلمَّا قدِمَ خالد بن عبد الله القسْريّ والياً على ابْنِ هُبَيْرة ، حبَسه في السِّجن . فنُقِبَ له سَرَبٌ فخرجَ منه(١) ، فهرَب إلى الشَّام ، فقال فيه الفرزدقُ يذكرُ خُروجَه :

لَمَّا رأَيتَ الأَرْضَ قد سُدَّ ظَهْرُها ولَمْ تَرَ إلَّا بَطْنَها لَكَ مَخْرَجَا(٢)
دَعَوْتَ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ بَعْدَ مَا ثَوَى فِي ثَلَاثٍ مُظْلِمَاتٍ فَفَرَّجَا(٣)
فَأَصْبَحْتَ تَحْتَ الأَرْضِ قدسِرْتَ لَيْلَةً وَمَا سَارَ سَارٍ مِثْلَهَا حِينَ أَدْلَجَا(٤)
خَرَجْتَ ، وَلَمْ يَمْنُنْ عَلَيكَ شَفَاعَةٌ ، سِوَى رَبِذِ التَّقْرِيبِ مِنْ آلِ أَعْوَجَا(٥)

---

(١) السرب : المسلك الخفى تحت الأرض .

(٢) ديوانه : ١٤١ ، والكامل ٢ : ٦٦ ، وكانت بعض سجونهم تحت الأرض . انظر رقم : ٩٨ قول الحطيئة :

أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ، فَاغْفِرْ ، عَلَيكَ سَلامُ اللهِ يَا عُمَرُ

ثم انظر رقم : ٣٨٧ ، ديماس الحجاج .

(٣) ثوى فى المكان : أقام . والظلمات الثلاث : ظلمة الليل ، وظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر . وذلك قوله تعالى :

« وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي المُؤْمِنِينَ » .

(٤) السارى : السائر ليلا . والإدلاج : سير المسافر فى أول الليل .

(٥) رواية أبى العباس والديوان « عليك طلاقة » ، يعنى إطلاقه من محبسه ، وهى أجود . فرس ربذ : خفيف القوائم فى العدو . والتقريب : ضرب من عدو الخيل سريع . وأعوج : فرس كان لبنى آكل المرار ثم صار لبنى هلال ، ركب وهو صغير فاعوجت قوائمه ، ولكنه كان سباقاً كريماً منجباً ، فنسبت إليه الأعوجيات من كرام الخيل .

أَغَرُّ من اللُّحْقِ اللَّهاميمِ، إذْ جَرَى ... جَرَى بكَ مَحْبُوكَ القَرَا غيرَ أَفْحَجا(١)

جَرَى بكَ عُرْيَانَ الحَماتَينِ لَيْلَهُ، ... بِهِ عَنْكَ أَرْخَى اللهُ ما كانَ أَشْرَجا(٢)

وَمَا احتَالَ مُحْتَالٌ كَحِيلَتِهِ الّتى ... بها نَفْسَهُ تحتَ الصَّرِيمَةِ أَوْلَجا(٣)

وَظَلْماءَ تحتَ الأَرض قد خُضْتَ هَوْلَها ... ولَيلٍ كَلَوْنِ الطَّيْلَسانِيِّ أَدْعَجا(٤)

هُما ظُلْمَتا لَيْلٍ وأَرْضٍ تلاقَتا ... على جامِعٍ مِنْ هَمِّهِ، ما تَعَرَّجا(٥)]

٣٩٥ — أخبرنا(٦) أبو خليفة، أخبرنا ابنُ سلّام، قال: حدّثنى جابر بن جَنْدل قال: قِيل لابنِ هُبَيْرَةَ: مَنْ سيِّدُ أهلِ العِراق؟ قال: الفرزدقُ، هَجانِى مَلِكاً ومَدَحَنِى سُوقَةً.

٣٩٦ — وقال لخالدِ بن عبدِ الله حين قَدِم العراقَ [أَمِيرًا لِهِشامٍ]:

---

(١) الأغر من الخيل: الذى غرته (البياض فى جبهته) فى وسط الجبهة أكبر من الدرهم، لم تمل على الخدين أو العينين، ولم تسل سفلا. واللحق جمع لاحق: وهو الضامر الجنبين، ممدوح فى الخيل. واللهاميم جمع لهموم: وهو من الخيل السباق المتقدم الذى كأنه يلتهم الأرض التهاماً. المحبوك من الدواب: ما كان شديد الخلق مدمجه، فيه استواء وارتفاع. والقرا: وسط الظهر. والأفحج: المتباعد ما بين أوساط الساقين وتباعد ما بين كعبيه، وهو من عيوب الخيل.

(٢) الحماتان: اللحمتان فى عرض ساق الفرس، تريان كالعصبتين من ظاهر وباطن. وعريان الحماتين: قليل لحمهما طويل القوائم. وهو ممدوح فى جياد الخيل. أشرج العيبة: أحكم شدها بالشرج، وهى العرى. يقول: فرج الله به عنك ما كان قد ضاق عليك من كرب السجن.

(٣) الصريمة: القطعة المظلمة من الليل. ورواية الديوان «الضريحة»: وهى الشق فى وسط القبر، يعنى السرب الذى نقب له تحت الأرض. وكلتاهما صحيحة.

(٤) الطيلسانى نسبة إلى الطيلسان: وهو ثوب صفيق، لونه الطلسة: وهى الغبرة إلى السواد. والليل الأدعج: المظلم الشديد السواد.

(٥) تعرج: مال فأقام واحتبس. أراد لم يتلبث ولم يتردد فتقعد به عزيمته. وقوله «جامع من همه» أراد جامعاً همه متمكناً من جمعه. فألقى فى «جامع» معنى التمكن من الشىء الذى نالته عزيمته.

(٦) هذا الخبر وما بعده رواها أبو الفرج فى أغانيه ١٩: ١٨ بعقب سابقه، وهو ثابت فى الأصل المطبوع، والزيادات بين الأقواس من الأغانى، والمبرد فى الكامل ٢: ٦٦.

أَلَا قَطَعَ الرَّحْمٰنُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ ... أَتَتْنَا تَخَطَّى مِنْ دِمَشْقَ بِخَالِدِ (١)

وَكَيْفَ يَؤُمُّ النَّاسَ مَنْ كَانَتْ أُمُّهُ ... تَدِينُ بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِوَاحِدِ (٢)

[بَنَى بِيعَةً فِيهَا الصَّلِيبُ لِأُمِّهِ ... وَهَدَّمَ مِنْ كُفْرٍ مَنَارَ المَسَاجِدِ (٣)

٣٩٧ — وقال أيضاً :

نَزَلَتْ بَجِيلَةُ وَاسِطاً فَتَمَكَّنَتْ ، ... وَنَفَتْ فَزَارَةَ عَنْ قَرَارِ المَنْزِلِ] (٤)

٣٩٨ — وقــال :

لَعَمْرِى لَئِنْ كَانَتْ بَجِيلَةُ زَانَهَا ... جَرِيرٌ ، لَقَدْ أَخْزَى بَجِيلَةَ خَالِدُ (٥)

---

(١) ديوانه : ١٨٩ ، والكامل ٢ : ٦٦ .

(٢) كانت أمه رومية نصرانية . وكان خالد على الصلاة أيضاً .

(٣) البيعة : كنيسة النصارى . يزعم الشعراء وغيرهم أنه بنى لأمه كنيسة فى ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة ، فكان إذا أراد المؤذن فى المسجد أن يؤذن ضرب لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم . وهذه أخبار ملفقة لنصرانية أمه ، لا يؤخذ بمثلها . وأما سبب هدم خالد منار المساجد حتى حطها عن دور الناس ، أنه بلغه شعر رجل من موالى الأنصار ، وهو :

لَيْتَنِى فِى المُؤَذِّنِينَ حَيَاتِى ! ... إِنَّهُمْ يُبْصِرُونَ مَنْ فِى السُّطُوحِ

فَيُشِيرُونَ ، أَوْ تُشِيرُ إِلَيْهِمْ ... بِالهَوَى كُلُّ ذَاتِ دَلٍّ مَلِيحِ

فحطها عن دور الناس غيرة وديناً ، لا كفراً ، ولكن الشعراء يقولون !

(٤) لم أجده فى ديوانه ، وفى الأغانى « عن فزار المنزل » ، وبجيلة : اسم امرأة ، سمى بها ولدها من أنمار بن إراش ، وقسر رهط خالد القسرى هو : قسر بن عبقر بن أنمار بن إراش ، من قبائل اليمن .

(٥) لم أجده فى ديوانه. جرير بن عبد الله البجلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قدم سنة عشر المدينة ، ومعه من قومه مئة وخمسون رجلا فقال رسول الله : يطلع عليكم من هذا الفج من خير ذى يمن على وجهه مسحة ملك . فطلع جرير على راحلته ، ومعه قومه . فأسلموا وبايعوا . قال جرير : فبسط رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعنى ، وقال : على أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتنصح المسلم ، وتطيع الوالى وإن كان عبداً حبشياً . فقال : نعم . فبايعه . ويروى من وجه ليس بالقوى : أن رسول الله ألقى إليه كساءه وقال : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .

٣٩٩ — فلمّا قَدِمَ العراقَ أميراً ، أَمَّرَ على شُرْطة [البَصْرة] مالكَ ابن المُنْذِرِ [بن الجارُود] ، فَكتب إليه خالدٌ : أنِ احبِسِ الفرزْدَق ، فإنّه هجَا [نهرَ] أمير المؤمنين بأبياتٍ ، قالها الفرزْدَق حين حَفَر خالدٌ النَّهْرَ الّذى سمّاه المُبارَك :

أَهْلَكْتَ مالَ اللهِ فى غيْرِ حَقِّه ... على نَهْرِكَ المَشْؤُومِ غيرِ المُبارَكِ (١)

وتَضْرِبُ أقوامًا بَرَاءً ظُهورُهم ، ... وتَتْرُكُ حَقَّ اللهِ فى ظَهْرِ مالكِ (٢)

أَإِنفاقَ مالِ اللهِ فى غَـيْرِ كُنْهِهِ ... ومَنْعاً لِحقِّ المُرْمِلاتِ الضَّرائِكِ (٣)

وكان عبدُ الأَعْلَى بن عبـــدِ الله بن عامر يدَّعِى على مالكٍ فِرْيَةً (٤) ، فأبْطَلها خالدٌ .

٤٠٠ — أخبرنا أبو خَليفة ، أخبرنا محمّد بن سلّام ، قال حدَّثنى أبو يحَيى ، قال : قال الفرزدقُ لابنه لبَطَة وهو محبوسٌ (٥) : أَشْخَصْ إلى

---

(١) ديوانه : ٦٠٣ والأغانى ١٩ : ١٨ ، ٢٣ ، ٦١ . والزيادات بين الأقواس منه .

(٢) براء (بفتح الباء وكسرها) جمع برىء . وحق الله فى ظهره : الجلد ، لأنه كان افترى عليه .

(٣) الكنه : قدر الشىء وغايته ، ووقته وحقيقته ، ووجهه ، وبهذه المعانى جميعاً جاء . وهى هنا بمعنى فى غير وجهه . والمرمل : الذى نفد زاده ، من أرمل الرجل يرمل ، كأنهم أرادوا : لصق بالرمل ، كما قالوا : ترب الرجل إذا لصق بالتراب من الفقر . الضرائك جمع ضريكة وضريك : وهو الفقير البائس الهالك سوء حال .

(٤) فى المطبوعتين « فدية » ، وفى الأغانى « قرية » ، وهما خطأ . وخبر هذه الفرية ، كما روى الطبرى ٨ : ١٩١ ، أن مالك بن المنذر ذكر يوماً عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز القرشى ، فافترى عليه مالك ، فقال عمر بن يزيد الأسيدى : تفترى على مثل عبد الأعلى ! فأغلظ له مالك فضربه بالسياط حتى قتله . وانظر ما سيأتى رقم : ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٥) سخر الفرزدق حتى من بنيه ، فسماهم : لبطة وكلطة وسبطة وخبطة وركضة ، (كلها بثلاث فتحات متواليات) !

هِشام . ومدحهُ بقَصِيدةٍ . وقال لأبنِهِ : أُسْتَعِنْ بالقَيْسِيَّة ولا يَمْنَعْك منهمْ هِجائى لهُم ، فإنهم سيَغْضَبون لك[١] . وقال :

[بَكَتْ عَيْنُ مَحْزُونٍ ففاضَ سِجامُها ... وطَالتْ لَيالِى حادثٍ لاَ يَنامُها[٢]

فإنْ نبْكِ لا نَبْكى المُصيبَاتِ إذْ أتى ... بِها الدَّهْرُ ، والأيَّام جَمٌّ خِصامُها

ولـكنَّما نبكى تهتُّكَ خالدٍ ... مَحارِمَ مِنَّا لاَ يَحِلّ حَرامُها[٣]]

أَنُقْتَل فِيكُمْ ، أَنْ قَتَلنا عَدُوَّكم ... على دِينِكُمْ ، والحربُ بادٍ قَتامُها[٤]

فَغَيِّرْ أميرَ المُؤْمِنِينَ ، فإنَّها ... يَمانِيَةٌ حَمْقاءُ أَنتَ هِشَامُها[٥]

قال: أَنْشَدَنيها أبو الغرَّاف[٦] . فأعانَتْه القَيْسية وقالُوا : يا أميرَ المُؤْمِنين ! إذا ما كان فى مُضَر نابٌ ، أو شاعرٌ ، أو سَيِّد ، وثَبَ عليه خالدٌ فَحبَسه[٧] !

---

(١) القيسية منسوبون إلى قيس عيلان بن مضر بن نزار ، أخو إلياس بن مضر بن نزار ، وهم قبيل ضخم تفرعت منه قبائل قيس ، فكانت لهم عصبية . وعصبية بنى الياس ، هم خندف .

(٢) ديوانه : ٧٩٠ ، وزدت الأبيات الثلاثة من الأغانى ١٩ : ٢٤ فى روايته عن أبى خليفة عن ابن سلام وإن لم يذكر البيتين الآخرين . سجمت العين الدمع سجوماً وسجاماً وسجماً : صبته فسال .

(٣) هتك الستر فانهتك وتهتك : خرقه فانخرق . وعدى الفرزدق الفعل المطاوع ، وهو جيد فى العربية إذا أصاب به موضعه ذو بيان ، وقوله : « تهتك » مفعول لأجله ، أى « ولكنما نبكى من تهتك خالد محارم » .

(٤) الدين : الطاعة . والقتام : الغبار . يقول : جاهدنا عدوكم فى حومة الحرب لينقاد لكم بالطاعة ، ثم يأتى عمالكم فيقتلون سادتنا . وهذه القصيدة قيلت فى مقتل عمر بن يزيد الأسيدى المذكور قبل فى ص : ٢٩٤ رقم : ٤ ، وما سيأتى فى رقم ٤٠٦ – ٤٠٨ .

(٥) غير المنكر : أزاله وغيره . واليمانية : أهل اليمن ، وكان الذى قتل عمر بن يزيد ، مالك ابن المنذر بن الجارود ، بأمر من خالد بن عبد الله القسرى ، وقسر رهطه ، من يعرب بن قحطان ، أهل اليمن .

(٦) هذا يدل على أن ابن سلام روى هنا أكثر القصيدة ، فاختصر أبو الفرج بعضاً ، واختصر ناسخ أصل المطبوعتين بعضاً . ولم نثبتها من ديوانه ، لأنا لا نعرف ماذا ترك منها وماذا روى .

(٧) انظر رقم : ٣٦٢ ، ص : ٢٦٩ . وناب القوم : سيدهم وكبيرهم الذى يدفع عنهم ، كما يدفع ذو الناب الشديد بنابه .

* * *

٤٠١ — وقال الفرزدق أبياتاً كتب بها إلى سعيد بن الوليد الأبرش الكلبىّ ، [وكلم له هشامًا[(١)] :

إلى الأبرشِ الكلبىِّ أسندتُ حاجةً ... تواكلها حيًّا تميمٍ ووائلِ[(٢)]

على حين أنْ زلَّتْ بىَ النَّعلُ زلَّةً ... فأخلفَ ظنّى كلُّ حافٍ وناعِلِ[(٣)]

فدُونكمُ ، يا ابنَ الوليدِ ، فإنها ... مُفضَّلةٌ أصحابها فى المحافلِ[(٤)]

ودُونكها ، يا ابنَ الوليدِ ، فقُمْ بها ... قيامَ امرئٍ فى قومِه غيرِ خاملِ][(٥)]

فكلم له هشاماً فأمر بتخليته .

٤٠٢ — [فقال يمدح الأبرش :

لقدْ وثبَ الكلبىُّ وثبةَ حازمٍ ... إلى خيرِ خلقِ الله نفسًا وعُنصُرا[(٦)]

إلى خيرِ أبناءِ الخليفةِ ، لم يجدْ ... لحاجتِه من دونِها متأخَّرا

---

(١) ما بين الأقواس فى هذه الفقرة والتى تليها ، زيادة من الأغانى ١٩ : ٢٤ وساق الخبر بتمامه من روايته عن ابن سلام .

(٢) لم أجدها فى ديوانه . تواكلوا الشىء : اتكل كل واحد منهم على الآخر أن يفعله ، فلا يتم فعله .

(٣) زلت به النعل : أخطأ غير متعمد . الحافى : أراد عامة الناس . والناعل : أراد أشرافهم وسادتهم للبسهم النعال .

(٤) دونك الشىء : خذه إليك . يصف قصيدته فى مدحه ، تشرفه فى محافل الناس إذا تناشدوها فى أسواقهم .

(٥) يعنى : خذ حاجتى فى يديك ، فأتمها واقضها . قام بالشىء : أطاق القيام به حتى يقضيه .

(٦) ليست فى ديوانه . والعنصر : أصل الحسب . يقول : أسرع فنهض بحاجتى حتى بلغها هشاماً .

أبى حِلفُ كَلْبٍ فى تَميم وعَقْدُها ، كما سَنّت الآباءُ ، أنْ يتَغيَّرا]

٤٠٣ — وكان حِلفٌ قَديمٌ بين كَلْب و تَميم فى الجاهِليَّة ، وذلك قولُ جرير :

تميمٌ إلى كَلْبٍ ، وكَلْبٌ إليهمُ أحقُّ وأوْلَى من صُدَاء وحِمْيَرَا (١)

٤٠٤ — وقال الفرزْدقُ :

أشَدُّ حِبالٍ بين حَيَّيْنِ مِرَّةً ، حِبالٌ أُمِرَّتْ من تميمٍ ومن كَلْبِ (٢)
ولَيْسَ قُضَاعِيٌّ لدَيْنا بخائفٍ ولوْ أصْبحَتْ تَغْلِى القُدورُ من الحَرْبِ

٤٠٥ — [وقال أيضاً :

أَلَمْ تَرَ قَيْسًا ، قَيْسَ عَيْلَانَ ، شمَّرتْ لِنصْرِى ، وحَاطَتْنِى هُناكَ قُرُومُها (٣)
فقَدْ حَالَفَتْ قَيْسٌ على النّاسِ كُلِّهِم تَميماً ، فهُمْ مِنْها ، ومِنْها تَميمُها (٤)

---

(١) ديوانه : ٢٤٢ والنقائض : ٩٩٤ . وروايتهما « نزار إلى كلب » . كلب بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن الحاف بن قضاعة . وقضاعة ينسب إلى عدنان ، وإلى مالك بن حمير ، والأول هو قول جرير . وصداء وحمير ، من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وجعل كلباً أحق وأولى بنزار أو تميم ، لأن أم مدركة بن الياس جد قريش ، وطابخة بن الياس جد بنى تميم قوم جرير ، هى خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة ، من سلف كلب . وأم خندف : ضرية بن ربيعة بن نزار .

(٢) ديوانه : ١٤ ، والأغانى ١٩ : ٢٥ . المرة : طاقة الحبل التى يفتل عليها فتلا شديداً . وأمر الحبل : فتله فأجاد الفتل ، وأراد بالحبال وإمرارها ، العهود وعقدها .

(٣) ديوانه : ٧٦١ . شمر للشىء : تهيأ له وجد فيه ، كأنه شمر عن ساقيه للعمل . والقروم جمع قرم : وهو فى الأصل فحل الإبل يكرم فيترك من الركوب والعمل ، ثم جعلوا السيد الشريف المعظم قرماً .

(٤) هذا البيت فى الأغانى هكذا :

فقد خالفت قيس على النأى كلهم لأسرى لقومى قيسها وتميمها

ولم أفهمه ، فآثرت رواية الديوان . وهذه الفقرة زيادة من الأغانى ١٩ : ٢٥ .

وعَادَتْ عدوِّى، إنَّ قيْسًا لَأُسْرَتِى ... وقومِى ، إذَا مَا الناسُ عُدَّ صَمِيمُها]

٤٠٦ — [(١)] قال مُحمّد بن سلَّام ، وحدَّثنى عبدُ القاهِر [بن السرىّ] ، قال : قال عُمر بن يَزيد [بن عُمَيْر] الأُسَيْدِىّ — وسمعت يُونُس يقول : ما كانَ بالبَصْرةِ مُولَّدٌ مثلَه — قال : دخلتُ على هِشَام [بن عبدِ الملك] ، وعنده خالدُ بنُ عبد الله القَسْرىّ يتكلَّمُ ويذكُر اليمنَ وطاعتَها ، فأكثرَ فى ذٰلك ، فصفَّقْتُ تَصْفيقةً دوَّى البَهْوُ منها . فقلتُ : [تاللهِ] ما رأيتُ كاليوْمِ خطَلًا ! وَاللهِ إنْ فُتِحَتْ فِتْنةٌ فى الإسلامِ إلّا باليَمَن [(٢)] ! لقد قتلُوا أميرَ المُؤمنين عُثْمان ، ولقد خرجَ ابنُ الأشْعثِ على أميرِ المؤمنين عَبْد الملك بن مَرْوَان ، وَإنّ سيُوفَنَا تَقْطُر من دِمَاء بَنى المهلَّب ! فلما نهضتُ ، تَبِعَنى رجلٌ من بنى مَرْوان حضَر ذاكَ ، فقال : يا أَخَا تميم ! وَرِيتْ بك زِنادى ! قد شهدتُ مَقالَتَك ، وأَعْلَم أنّ أميرَ المؤمنين مُولِّيه العِراق ، وإنَّها لَيْسَتْ لك بِدَار .

٤٠٧ — فلما وَلِىَ خالدٌ استعملَ على أَحْداثِ البَصْرةِ مالكَ بن المُنْذِر [(٣)] ، وكان لعُمَر مُكْرِماً ، ولحوَائِجه قضَّاء ، إلى أن وَجَد عليه [(٤)] . وكان عُمَر

---

(١) هذا الخبر رواه الطبرى عن محمد بن سلام فى تاريخه ٨ : ١٨٠ ، والزيادات بين الأقواس منه . والأسيدى : نسبة إلى بنى أسيد بن عمرو بن تميم وهو بتشديد الياء ، على التصغير ، والنسبة إليه بتسكين الياء، لأنهم كرهوا كثرة الكسرات واستثقلوها ، والمحدثون يشددونها ولا يبالون . وقد مضى ذكره فى كلامنا ص : ٢٩٤ ، ٢٩٥

(٢) « إن » هى النافية هنا ، أى ما فتحت .

(٣) أحداث البصرة : يعنى ما يحدث فيها من الفتوق . وذلك عمل الشرطة . انظر رقم : ٣٩٩

(٤) قضاء : صيغة مبالغة من « قضى » ، أى كان لا يتأخر عن قضاء حوائجه . وجد عليه يجد وجداً وموجدة : غضب عليه ، كأنهم أرادوا : وجد فورة الغضب عليه فى نفسه ، فحذفوا ، وجعلوا حرف الجر « على » دليلا على معناه .

لا يَمْلِك لسانَه ، فخرج من عِنْده وقد سأله حاجةً فقضاها ، فقال : كيف رأيت الفَسَّاء(١) ؟ سَخِرْنا به مُنْذُ اليَوْم !

٤٠٨ — وقال قائلون : إنّ خالدًا كتب إليه فيه ، فأخذه . وشهِد عليه ناسٌ من بَنِى تَمِيمٍ وغَيْرِهم ، فضرَبه مالك حَتَّى قَتَله تحت السِّيَاط(٢) .

٤٠٩ — وكان عَمْرُو بن مُسْلم الباهِلِىّ أعانَ عليه ، وكانت حُمَيْدة بنت مُسْلم عندَ مالكِ بن المُنْذر . وأعان عليه بَشِير بن عُبَيْد الله بن أبِى بَكْرَة ، وكان يُخَاصِم هِلَال بن أَحْوَز فى المِرْغَاب خصومةً طويلةً ، وكان عُمَر يُعِينُ على بَشِيرٍ(٣) ، فقال الفرزدقُ :

---

(١) مالك بن المنذر بن الجارود من عبد القيس ، وهم يسكنون البحرين ، ويكثر أكلهم التمر فيفعلون ذلك ويهجون به . وقال الأخطل :

وعبدُ القَيْس مُصْفَرٌّ لِحَاها ... كأنّ فُسَاءَها قِطَعُ الضَّبَابِ

قال فى تعليق على الكامل ٢ : ٣١ : «تعير بنو حنيفة بالفسو ، لأن بلادهم بلاد نخل فيأكلونه ويحدث فى أجوافهم الرياح والقراقير» .

(٢) انظر ص : ٢٩٤ رقم : ٤

(٣) عمرو بن مسلم ، أخو قتيبة بن مسلم الباهلى . وعمر : يعنى عمر بن يزيد الأسيدى . والمرغاب : اسم نهر بالبصرة . قال البلاذرى : حفره بشير بن عبد الله بن أبى بكرة ، وكانت القطيعة التى فيها المرغاب لهلال بن أحوز المازنى ، أقطعه إياها يزيد بن عبد الملك ، وهى ثمانية عشر ألف جريب ، فحفر بشير المرغاب والسواقى بالتغلب ، وقال : هذه قطيعة لى . وخاصمه حميرى بن هلال ، فكتب خالد بن عبد الله القسرى إلى مالك بن المنذر بن الجارود ، وهو على أحداث البصرة ، أن « خل بين بشير وبين المرغاب ، وأرضه » . وذلك أن بشيراً شخص إلى خالد وتظلم إليه فقبل قوله . وكان عمر بن يزيد الأسيدى يعنى بحميرى ويعينه ، فقال لمالك بن المنذر : ليس هذا « خل » إنما هو « حل بين بشير وبين المرغاب » (من الحليولة) . وذكر عن بشير بن عبيد الله بن أبى بكرة أنه قال لسالم بن قتيبة بن مسلم : لا تخاصم ، فإنها تضع الشرف وتنقص المروءة . فقام وصالح خصماءه ، ثم رآه يخاصم فقال له : ما هذا يا بشير ؟ تنهانى عن شىء وتفعله ! فقال له بشير : ليس هذا ذاك ، هذه المرغاب ! ثمانية عشر ألف جريب ! الخصومة فيها شرف ! وانظر ما سيأتى بعد رقم : ٤١٠ .

لَحَا اللهُ قَوْماً شارَكُوا فى دِمائِنا ... وكُنَّا لهم عَوْناً عَلَى العَثَرَاتِ
فَجَاهَرَنا ذُو الغِشِّ عَمْرُو بن مُسْلِمٍ ... وأوقَدَ نارًا صاحِبُ البَكَرَاتِ[1]

يعنى بشيرًا .

٤١٠ — أنبأنا أبو خليفة ، أخبرَنا ابن سلّام ، قال حدَّثنى خَلَّاد بن يَزيد ، عن مُسْلِم بن قُتَيْبة قال : رآنى بَشِير بن عُبَيْد الله وأنا أُخَاصِم بعضَ أهْلى وأنا شَابٌّ فقال لى : يا ابنَ أخِى ! إنّى أراكَ ثَبْتَ المُروءة ، فإيَّاكَ والخُصُومَات ، فإنها تُذْهِبُ المروءةَ . فرأيته بعد ذلك يُخاصِم هلالَ ابن أَحْوز فى المِرْغاب خُصومةً طَويلةً ، فقلت له : أتذكُرُ شيئًا قلتَه ؟ قال : نعم ! قلت : فما بَالُكَ تُخَاصِم ؟ قال : يا ابن أَخِى ! إنّى أُخَاصِم فى عِدْلِ الخِلافة ، وأنتَ تُخَاصِم فى ضَحْضَاحٍ لا يُوَازِى أَخْمَصك[2] !

٤١١ — وكانت عاتكة بنت الفُرَات بن مُعاوية البَكَّائىّ[3] ، وأمُّها :

---

(١) ديوانه : ١٣٨ ، عنى بقوله « شاركوا فى دمائنا » ، الذين شهدوا على عمر بن يزيد الأسيدى التيمى ، من بنى تميم . وصاحب البكرات : هو بشير بن أبى بكرة ، وقال ذلك لأن جده أبو بكرة (نفيع ابن الحارث) تدلى يوم الطائف من الحصن ببكرة فأسلم ، وكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكرة. والبكرة : خشبة مستديرة فى وسطها محز للحبل ، وفى جوفها محور تدور عليه . وعنى بإيقاده النار : مخاصمته فى نهر المرغاب ، التى أدت إلى قتل عمر بن يزيد التيمى . انظر التعليق على رقم : ٦٣١ .

(٢) انظر ما رويته فى ص : ٢٩٩ رقم : ٣ ، عدل الخلافة : ما يعادلها . الضحضاح : الماء القليل يبقى فى الغدير يبلغ الكعبين أو دونهما .

(٣) فى المطبوعتين « عاتكة بنت معاوية بن الفرات » ، وهذا الذى أثبته هو ما تراه فى الكتب ، انظر الطبرى ٨ : ١٣٦ والأغانى ٢ : ٧٤ ، قال وهى امرأة يزيد بن المهلب ، قتل عنها يوم العقر ، فى صفر سنة ١٠٢ فولدت له نائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدى . قال ابن سلام (الأغانى ١٢ : ٧٤) :

المُلاءَة بنت أَوْفى الحَرَشِىِّ، أُخْتُ زُرَارَةَ[١]، عند عُمر بن يزيد، فخرجتْ إلى هِشَام، وأعانتها القَيْسِيَّة على مالك، فحُمِلَ مَالِكٌ.

٤١٢ — أخبرنا أَبُو خليفة، أخبرنا ابنُ سلّام، فحدثنى مُحمّد بن الحارث قال: قال لهُ هِشَام: يا ابنَ اللَّخْناء! قتلتَ سيِّدك! قال: أما إنّ أُمِّى التى تَلْخَنُ حملتْ أَباك على رَكائبه إلى الشَّام[٢] — يعنى مَرْوان، وكان لجأ أيَّام الجَمل إلى المَسامِعَة جريحًا، فداوَوْهُ ثُمَّ حمَلُوه. وأُمُّ مالكٍ بَحْرِيَّةُ بنت مَالك بن مِسْمَع — فأُلْقِىَ فى السِّجْن، وقد مَرِضَ وبه بَطَنٌ، فمات فى مرضه[٣]، فقال الفرزدقُ:

سَتَعْلَمُ عبدُ القيْس، أنْ زالَ مُلْكُها، على أىِّ حالٍ يَسْتَمِرُّ مَرِيرُها[٤]

«لا أعلم امرأة شُبِّبَ بها، وبأمِّها، وجدَّتها، غير نائلة — فقد ذكر ما قال فيها مَسْعَدة — . وأما عاتكة، فإن يزيد بن المهلَّب تزوَّجها فقُتِلَ عنها يوم العَقْر، وفيها يقول الفرزدق (ليست فى ديوانه):

إذَا مَا المَزُونيَّاتُ أصبحْنَ حُسَّرًا ... وبَكّيْنَ أَشْلاءً على غيرِ نائِلِ
فكم طَالِبٍ بنتَ المُلاءَةِ، إنَّها ... تُذَكِّرُ رَيْعَان الشَّبابِ المُزَايِلِ

وفى المُلاءَة أمِّها يقول الفرزدق (ديوانه: ٢٧٣):

كَمْ للمُلاءَةِ من طَيْفٍ يُؤَرِّقُنى ... إذَا تَجَرَّمَ هَادِى اللَّيْلِ واعتَكَرَا»

(١) فى الأغانى «الملاءة بنت زراة بن أوفى الحرشية، وكان أبوها فقيهاً محدثاً من التابعين». ولست أعرف قول ابن سلام، ولذلك تركته لم أغيره. وفى الأصول «الجرشى» والصواب بالحاء، لأنه من بنى الحريش بن كعب ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(٢) لخنه: قال له ياابن اللخناء، ينسبها إلى اللخن، وهو نتن ريح أرفاغ الإنسان، يكون فى السودان، يعنى أنها أمة تعمل فتنتن آباطها. واللخناء أيضاً: التى لم تختن، يعنى أنها أعجمية أمة. وهو سب لا تراد به الحقيقة.

(٣) البطن: داء البطن، كالاستسقاء وغيره، ينتفخ البطن، فيموت.

(٤) هذا البيت والذى بعده منسوبة فى ديوانه: ٢٤٩، للفرزدق كلها. ومالك بن المنذر ابن الجارود، من عبد القيس، كما علمت آنفاً. واستمر مريره: اشتدت قوته، واستحكم أمره.

٤١٣ — فأجابه النُّميرىّ بقصيدة يقول فيها :

وَكان كَعنزٍ حِينَ قَامتْ لحَتْفِها إلى مُدْيةٍ مَدْفُونَةٍ تَسْتَثِيرُها(١)
وَكان يُجيرُ النَّاسَ من سَيْفِ مالكٍ فأصْبَحَ يَبْغِى نَفْسَهُ مَنْ يُجيرُها

٤١٤ — وقال الفرزدق :

تَصَرَّمَ منِّى وُدُّ بَكْرِ بن وَائِلٍ ، وما كانَ مِنِّى وُدُّهُمْ يَتَصَرَّمُ(٢)
قَوَارِصُ تَأْتِينِى وَيَحْتَقِرُونَها ، وقَدْ يَملأُ القَطْرُ الإناءَ فَيُفْعَمُ(٣)

---

(١) ينسبان للفرزدق كما رأيت فى ديوانه ، وفى الحيوان ٥ : ٤٧٠ ، ٤٧٥ ، ٥٩٣ ، وفى البيان ٣ : ٢٥٩ ، بيد أن صاحب الروض الأنف نقلها عن الجاحظ فى كتابه ١ : ٢٧٩ غير منسوبة ، ثم قال العسكرى فى الأمثال : « قال بعض الشعراء :

وكانت كعنزِ السَّوْءِ قامتْ بِظِلْفِها إلى مُدْيَةٍ تحتَ التُّرابِ تُثيرُها

وقال غيره :

وكانتْ كَعَنزٍ يوم جاءَتْ لحتفِها إلى مُدْيَةٍ مَدْفُونةٍ تَسْتَثِيرُها »

ولم أستطع أن أعرف صواب النسبة ، إلا أنى أرى أن قول ابن سلام أرجح ، لقوله : « وكان يجير الناس من سيف مالك » ، وهذا أشبه بأن يكون من كلام الراعى يذكر أمر الفرزدق فى الغضب لمقتل عمر ابن يزيد الأسيدى ، وتحريضه على قتل مالك والقصاص منه . ثم ما كان من أمره وأمر خالد بن عبد الله القسرى كما مر بك . ولكن يروى للفرزدق فى هذا المعنى قوله :

وكانَ نُفَيْعٌ ، إذ هجَانِى ، لأُمِّه كَباحِثةٍ عن مُدْيةٍ تستثيرها

(٢) ديوانه : ٧٥٦ والكامل ١ : ١٨ ، وأمالى الشريف ١ : ٢٢١ نقلا عن ابن سلام . وروايته :

« ومَا خِلْتُ دَهْرِى وُدَّهم يتصرّم »

وانظر خبر ذلك فيما مضى رقم : ٣٥١ . تصرم الشىء : تقطع ، ومنه المصارمة بين الرجلين .
(٣) قوارص جمع قارصة : وهى الكلمة المؤذية . فعم الإناء يفعمه فعما : ملأه وبالغ فى ملئه .

٤١٥ — فأجابه أبو العطَّاف(١) :

لَعَمْرِى لَئِنْ كانَ الفرزْدقُ عاتباً وأَحْدثَ صَرْماً ، لَلْفرزْدقُ أَظْلَمُ(٢)

لقدْ وَسَّطَتْكَ الدَّارَ بَكْرُ بنُ وائلٍ ، وضمَّتْكَ لِلأَحْشاءِ إذْ أنتَ مُجْرِمُ(٣)

لَيَالِيَ تَمَنَّى أنْ تكونَ حمامةً بمكَّةَ ، يُؤْوِيكَ السِّتَارُ المُحَرَّمُ(٤)

فَإنْ تَنْأَ عَنَّا لا تَضِرْنَا ، وإنْ تَعُدْ تَجِدْنا عَلى العَهْدِ الَّذِى كُنْتَ تَعْلَمُ(٥)

يَعْنى حين هَرَبَ الفَرَزْدق من زِيادٍ .

٤١٦ — أَنبأنا أَبو خَليفة ، أنبأنا أبنُ سَلَّام ، قال : وحدثنى أَبو العطَّاف قال(٦) : لقِيَ الفرزدقَ شابٌّ من أهل البَصْرة فقال : يا أَبَا فِرَاس ، أَسأَلُكَ

---

(١) هكذا سماه هنا بكنيته ، وفى رقم : ٣٥١ سماه بنسبته « البكرى » . بيد أن الشريف فى أماليه صرح باسمه نقلا عن ابن سلام ، فقال « جرير بن خرقاء العجلى » ، وكذلك نسبه الآمدى فى المؤتلف والمختلف : ٧١ ، وابن الشجرى فى حماسته : ٧١ ، ولعل « أبو العطاف » كنيته كما ترى. ولم أجد ما يؤيد ذلك . وانظر ما يأتى بعد : ٤١٦ .

(٢) العاتب : الغاضب . والصرم : القطيعة .

(٣) وسطه الدار : أنزله فى وسطها ، أى أكرمها . يعنى أنهم حاطوه واحتفوا به وأكرموه . ومنه رجل وسيط فى قومه ، وهو أوسطهم نسباً : أى شريف كريم مكرم ، وأرفع قومه مجداً . وضمتك للأحشاء : عطفت عليك ، كما تضم الأم ولدها إلى أحشائها .

(٤) مضى هذا البيت فى رقم : ٣٥١ .

(٥) نأى ينأى : بعد . وضاره يضره : ساءه وضره . وهذا بيت كريم المعنى نبيل الخلق .

(٦) أبو العطاف هذا لم أعرفه ، ويدل ما مضى ص ٦٦ ، وهذا ، على أنه أحد شيوخ ابن سلام . أما صاحب الشعر الماضى رقم ٤١٥ ، وهو جرير بن خرقاء العجلى ، فلا أظن ابن سلام أدركه حتى يروى عنه. فإن كانت « أبو العطاف» كنية له، وأرجح ذلك كما يجىء فى رقم ٤١٧ ،فهو غير هذا الذى يروى عنه ، وإلا فإن فى الأصول تحريفاً ، تدل عليه رواية الشريف فى أماليه ، فيكون صوابها : « فأجابه جرير بن خرقاء العجلى ، فيما أنشدنى أبو العطاف » .

عن مَسْأَلة ؟ قال : سَلْ . قال : أَيُّهما أحبُّ إليْك ، تَسْبِقُ الخيرَ أَو يَسْبِقُك ؟ قال : يا ابْنَ أَخِي ، لم تَألُ أَنْ شــدَّدْتَ[١] ، وأَحببْتَ أَن لَا تجعلَ لى مَخرَجاً ، أَفتُجيبنى أَنتَ إن أَجَبْتُك ؟ قال : نعم ! قال : فَاُحْلِفْ . فغلَّظَ عليه ثم قال : نكونُ معاً لا يسبقُنى ولا أَسْبِقُه ، أَسأَلك الآنَ ؟ قال : نعم ! قال : فأَيُّما أَحبُّ إليكَ ، أَن تَرْجع الآنَ إلى مَنْزِلك فتَجِدَ امرأَتك قَابِضَةً بكذَا وكذَا من رجل ، أَو تَجِدَ رجلًا قَابِضاً بكذا وكذا منها ؟

٤١٧ — وكان أَبُو العطَّاف شاعرًا شتَّاماً ، وهو القائل لعَمْرو ابن هَدَّابٍ[٢] :

سموْتَ إلى العُلَى وقَصُرْتَ عنْها ، فَمَا بَيْنِى وبَيْنَك من عِتَابِ

٤١٨ — قال ابنُ سلَّام ، وأَنشَدنى يُونُس للفرزدق :

مَنْ يَأْتِ عَمَّارًا ويَشْرَبْ شَرْبَةً يَدَعِ الصِّيامَ ولَا يُصَلِّى الأَرْبَعَا[٣]

---

(١) لم تأل : لم تقصر وبلغت الغاية . ألا يألو : قصر وأبطأ .

(٢) قوله هذا يدل على أن أبا العطاف هو صاحب الشعر الأول رقم : ٤١٥ ، فهى إذن كنية جرير بن خرقاء العجلى . ولم أعرف عمرو بن هداب ، إلا أن ابن دريد قال فى الاشتقاق : ١٢٦ فى ذكر رجال بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم : « ومن رجال بنى مازن : هداب كان من وجوه قومه » .

(٣) ليس فى ديوانه . وعمار هذا الذى فى الشعر ، أرجح أنه عمار ذو كناز بن عمرو بن عبد الأكبر الهمدانى ، كان فى زمن خالد بن عبد الله القسرى ، وكان ماجناً خميراً معاقراً للشراب ، وكان ضعيف الشعر . راجع الأغانى ترجمته ٢٠ : ١٧٤ — ١٨٠ .

* * *

٤١٩ — (١) وكان الفرزدق أكثرَهُمْ بيتاً مقلَّدًا . والمقلَّد : البيتُ المُسْتَغْنِي بنَفْسِه، المشهورُ الّذي يُضْرَبُ به المَثَل . فمن ذلك قوله :

فيا عجباً حتّى كُلَيْبٌ تَسُبُّني ، كَأَنّ أَباها نَهْشَلٌ أو مُجَاشِعُ (٢)

وكُنَّا إِذَا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ، ضَرَبْنَاهُ حتّى تَسْتَقِيمَ الأَخَادِعُ (٣)

---

(١) روى هذا الذى سيأتى كله صاحب الأغانى ، عن أبى خليفة عن محمد بن سلام ، ومنه زدنا الزيادات الكثيرة التى ستراها فيما بعد . وذكرها أيضاً ياقوت فى معجم الأدباء ٧ : ٢٥٩ — ٢٦٠ . ثم انظر رقم : ٥٠٠ . ونقل المرزباني فى الموشح : ١١٦ — ١١٧ ما يأتى :

« حدثنى محمّد بن عبد الواحد قال : سمعتُ ثعلباً يقول — وسأله النُّبُخْتِيّ — : ما تقول فى جرير والفرزدَق ؟ فقال : قال محمد بن سلام : اجتمعنا جماعة ، فقومٌ تَقَلَّدوا حِذْقَ الفرزدق ، وقومٌ تقلَّدُوا حِذْق جرير . قال : فقلنا لبعْضهم : اُذهبْ فأخرج مُقَلّدات الفرزدق ، وقلنا لآخر : اُذهبْ فأخرج مقلّدات جرير . قال : فجاء صاحب الفرزدق فأخرج معايبَ شعر الفرزدق ، وجاء هذا فأخرج المقلّدات . فكانت مقلدات جرير أكثر من معايب الفرزدق .

وأخبرنى محمد بن يحيى قال : سمعتُ أحمد بن يحيى يقول : أنا أقول جرير أشعرُ من الفرزدق . وكان محمد بن سلّام يفضّل الفرزدق . قال : فأخرج بيوتهما المقلَّدة ، فلم يجد للفرزدق ما وجد لجرير ، فجاء للفرزدق ببيوت النحو التى أخطأ فيها » .

(٢) ديوانه : ٥١٨ ، ٥١٩ ، وانظر ما مضى رقم ٢٣ ، يهجو جريراً ، وهو من كليب ابن يربوع بن حنظلة بن مالك ، ويفخر عليه ببنى عمومته ، بنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ، وبرهطه بنى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة . وجرير والفرزدق أبناء عمومة واحدة ! وانظر ما كتبناه فى ص ١٧ رقم : ٥ .

(٣) صعر خده : أماله تكبراً وتعظيما وتجبراً . والأخادع جمع أخدع ، وهما أخدعان فى العنق : عرقان فى صفحة العنق . يقول : نضرب به حتى تستقيم أخادعه ، ويذهب كبره وتجبره ، ويرى أن فى الناس من هم أعز منه .

٤٢٠ — وقولُه :

لَيْسَ الكِرَامُ بِمَانِحِيكَ أباهُمُ ، حتّى تُرَدَّ إلى عَطِيَّةَ تُعْتَلُ(١)

٤٢١ — وقولُه :

وكُنْتَ كَذِئْبِ السَّوْءِ،لمَّارَأَى دمًا بِصاحِبِه يوماً أحالَ علَى الدَّمِ(٢)

٤٢٢ — وقوله :

تُرَجِّي رُبَيْعٌ أن يَجِيَّ صِغَارُها بخَيرٍ ، وقَدْ أَعْيَى رُبَيْعًا كِبارُها(٣)

٤٢٣ — (٤)[وقولُه :

أَكَلَتْ دَوابِرَها الإكامُ ، فَمَشْيُها - مِمَّا وَجِينَ - كَمِشْيَةِ الإعْياء(٥)

٤٢٤ — وقوله :

قَوارِصُ تَأْتِينى وتَحْتَقِرُونَها وقَد يَمْلأُ القَطْرُ الإناءَ فيَفْعَمُ(٦)

---

(١) ديوانه : ٧٢٢ والنقائض : ٢٠٢ وروايتهما : « بناحليك » أى بمعطيك . وعتله يعتله : جره جراً عنيفاً وساقه سوقاً مرهقاً . وكذلك جاء فى قوله تعالى : « خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم » .

(٢) ديوانه : ٧٤٩ . أحال على الشىء : أقبل عليه . أحال عليه بالسوط يضربه : أقبل عليه . والذئب إذا رأى الدم على أخيه ترك عدوهما ، وأقبل على أخيه يأكله . وكذلك يفعل بعض البشر !

(٣) انظر رقم : ٣٧٣ .

(٤) هذه الزيادة من رقم ٤٣٢ — ٤٢٦ من الأغانى ١٩ : ١٥ من روايته عن ابن سلام .

(٥) ليس فى ديوانه . يصف الخيل . والدوابر جمع دابرة : وهى مؤخر الحافر . والإكام جمع أكم جمع أكمة : وهى الموضع الغليظ ، دون الجبل ، يكون أشد ارتفاعاً مما حوله ، كثير الحجارة . ووجيت الدابة : أصابها الوجا ، وهو أن يحفى الحافر فيشتكى الفرس باطنه ، فيظلع فى مشيه من الوجع . الإعياء : الكلال .

(٦) انظر رقم : ٤١٤ .

٤٢٥ — وقوله :

أَحْلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً وتَخالُنا جِنًّا إذا ما نَجْهَلُ[١]

٤٢٦ — وقوله :

فإنْ تَنْجُ مِنْها تَنْجُ مِنْ ذِى عَظِيمة، وإلَّا فإنّى لَا إخالُكَ ناجِيا[٢]]

٤٢٧ — وقوله :

وَإنَّكَ إذْ تَسْعَى لتُدْرِكَ دارِماً ، لأَنْتَ المُعَنَّى يا جَرِيرُ المُكَلَّفُ[٣]

٤٢٨ — وقوله :

وَلَوْ خُيِّرَ السِّيدِىُّ بينَ غَوايَةٍ ورُشْدٍ، أَتى السِّيدِىُّ ما كانَ غاوِيا[٤]

٤٢٩ — وقوله :

تَرَى كلَّ مَظْلُومٍ إلَيْنا فِرارُه ، ويَهْرُب مِنّا جُهْدَه ، كُلُّ ظالِمِ[٥]

٤٣٠ — وقوله :

تَرَى النَّاسَ ماسِرْنا يَسِيرُون خَلْفَنا وَإن نَحْنُ أَوْمَأْنا إلى النَّاسِ وَقَّفُوا[٦]

---

(١) ديوانه : ٧١٧ . نجهل : نطيش من الغضب والحمية .

(٢) انظر رقم : ١٩٢ ، وقد مضى الكلام فى نسبته .

(٣) ديوانه : ٥٦٧ . دارم : جد الفرزدق ، يعنى رهطه بنى دارم . عنى عناء وتعنى : تجشم الشىء فنصب وتعب . وعنيته بتشديد النون : جشمته ما يشق عليه . وكلفه الشىء : أمره أن يحمل ما يبلغ منه الجهد .

(٤) انظر رقم : ١٩٢ .

(٥) ديوانه : ٨٥٧ .

(٦) ديوانه : ٥٦٧ . وقفوا ركائبهم .

٤٣١ — وقوله :

وسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ، وقَدْ ضَرَبُوا بِهِ ، نَبَا بِيَدَىْ وَرْقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدِ [١]
كَذَاكَ سُيُوفُ الهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا ، وَيَقْطَعْنَ أَحْيَانًا مَنَاطَ القَلَائِدِ [٢]

٤٣٢ — وقوله :

أَقُولُ لَهُ ، لَمَّـــا أَتَانِي نَعِيُّهُ : بِهِ ، لَا بِظَبْيٍ بِالصَّرَائِمِ أَعْفَرَا [٣]

* * *

٤٣٣ — [وكان [٤] يُدَاخِلُ الـكَلَامَ ، وكان ذلك يُعْجِبُ أصحابَ النَّحْوِ . من ذلك قولُه يمدح [إبراهيم بن] [٥] هِشَام بن إسْماعيل المَخْزوميّ ، خَالَ هِشام بن عبد الملك :

---

(١) ديوانه : ١٨٦ ، ٢١٢ والأغانى ١٤ : ٨٣ والنقائض : ٣٨٤ وسيأتى تفصيل الخبر فى رقم : ٤٨٥ .

(٢) سيوف الهند : تصنع من حديد الهند ، وهى عندهم أجود السيوف . ونبا السيف ينبو : تجافى عن الضريبة وارتفع ، ولم يحك فيها . والظبات جمع ظبة : وهى حد السيف والنصل والخنجر . والمناط : الموضع الذى تناط فيه ، أى تعلق . يعنى الرقبة . والقلائد جمع قلادة : وهو حلى يعلق فى العنق . ولم يرد الفرزدق : أن عادةسيوف الهند أن تنبو ، ولكنها تقطع الأعناق أحياناً ، فهذا فاسد . بل أراد أنها تنبو أحياناً ، وعادتها أن تقطع الرقاب . فأخر لوضوح المعنى ، ولم يبال بترتيب اللفظ .

(٣) انظر رقم : ٣٥٣

(٤) هذه الزيادات من رقم ٤٣٣ — ٤٤٥ من الأغانى ١٩ : ١٥ — ١٦ من روايته عن ابن سلام . وانظر التعليق على رقم : ٤١٩ .

(٥) هذه الزيادة من الكامل ١ : ١٨ ، وهى الصواب . وهشام بن إسماعيل أبوه ، كان من أهل العلم والرواية ، ثم ولى المدينة لعبد الملك بن مروان ، وهو الذى ضرب سعيد بن المسيّب ، فأنكر ذلك عليه عبد الملك ، وإبراهيم بن هشام ، أحد ولاة هشام بن عبد الملك .

وأصبح ما فى الناس إلَّا مملَّكاً ... أَبو أمِّه حىٌّ أبُوه يُقاربُه[(١)]

٤٣٥ — [(٢)]وقولُه :

تالله قَدْ سَفِهتْ أُميَّةَ رَأْيها ... فَاُستجْهَلت،سُفَهاؤُها،حُلَماءَها[(٣)]

٤٣٦ — وقوله :

أَلسْتُمْ عَائِجِينَ بِنَا لَعَنَّا ... نَرَى العَرَصاتِ أو أَثَرَ الخِيَامِ[(٤)]

فقالوا : إن فَعَلْتَ فأغْنِ عَنَّا ... دُمُوعاً غَيْرَ رَاقِئَةِ السِّجامِ

٤٣٧ — وقوله :

فهل أنتَ إنْ فَاتت أَتَانُكَ رَاحِلٌ ... إلى آل بِسْطام بن قَيْسٍ فَخَاطِبُ[(٥)]

---

(١) ديوانه : ١٨ . والكامل ١ : ١٨ وروايته : « وما مثله فى الناس » . قال أبو العباس : « ولوكان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً . وكان يكون إذا وضع الكلام فى موضعه أن يقول : وما مثله فى الناس حى يقاربه ، إلا مملك ، أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدح . فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد ، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير . . . »

(٢) سقط منى فى الترقيم رقم : (٤٣٤) ، ولم أستطع أن أصحح الأرقام لئلا يضطرب أوله وآخره ، فتركته على حاله .

(٣) ديوانه : سفهه وسفهه (بتشديد الفاء) : صيره سفيهاً أو نسبه إلى سفه . وسياق الكلام : « تالله قد سفهت سفهاء أمية أمية رأيها ، فاستجهلت حلماءها » ، « سفهاؤها » فاعل « سفهت » .

(٤) ديوانه : ٨٣٥ « لعنا » ، لغة فى لعلنا . وأظن أن الشاهد فى بيت يلى هذين لم يذكره أبو الفرج وهو قوله :

فكيفَ إذا رأيتَ ديارَ قومى ... وجيرانٍ لنا كانوا كِرَامِ

استشهد به سيبويه ١ : ٢٨٩ على إلغاء « كان » . قال الأعلم : « الشاهد فيه — إلغاء « كان » وزيادتها توكيداً وتثبيتاً لمعنى المضى . والتقدير : وجيران لنا كرام كانوا كذلك . . . »

(٥) ديوانه : ١١١ ، وذكر ابن الشجرى فى أماليه ١ : ١١٩ البيت الأول وبعده :

وإنى لأخْشَى، إن رَحَلْتَ إليهمُ، ... عليكَ الذى لاقَى يَسَارُ الكواعبِ

وقال : « رفع قافية وجر أخرى . وهذا يسمى الاقواء » . والبيت التالى من القصيدة نفسها . فلعله أراد هذا الاقواء . وكأن البيتين فى الأصل متتابعين ، فزاد ناسخ الأغانى بينهما « وقوله » .

٤٣٨ — وقوله :

فنَلْ مِثْلَها من مِثْلِهِمْ ، ثُمَّ دُلَّهُمْ عَلَى دَارِمِىّ بين لَيْلَى وغَالِبِ (١)

٤٣٩ — وقوله :

تعالَ ، فإنْ عاهدْتَنِي لا تخُونُنِي نكنْ مِثْلَ مَنْ يا ذِئْبُ يَصْطَحِبانِ (٢)

٤٤٠ — وقوله :

إنَّا وَإيَّاكِ ، إنْ بَلَّغْنَ أرْحُلَنَا ، كمَنْ بِوَادِيهِ بَعْدَ المَحْلِ مَمْطُورِ (٣)

٤٤١ — وقوله :

بنى الفاروق أمك وابن أروى به عُثْمان مَرْوَان المُصَابَا (٤)

٤٤٢ — وقوله :

إلَى مَلِكٍ ، مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ ، أَبُوهُ ، ولا كانَتْ كُلَيبٌ تُصَاهِرُهْ (٥)

---

(١) ديوانه : ١١٢ مختلف الرواية ، وانظر التعليق السالف . ثم انظر رقم : ٤٧٩ .

(٢) ديوانه : ٨٧٠ ، وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣١١ ، الشاهد فيه مجىء « من » فى التثنية كأنه قال : « مثل اثنين يصطحبان » . وشاهد آخر : تفريقه بين الصلة والموصول بقوله « يا ذئب » .

(٣) ديوانه : ٣٦٢ ، وسيبويه ١ : ٢٦٩ ، وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣١٢ ، وشرح شواهد المغنى : ٢٥٢ . قال الأعلم : « الشاهد فيه جرى ممطور على « من » نعتاً لها » فهى هنا نكرة ، لأنه وصفها بممطور ، كأنه قال كإنسان ممطور ، وهو بواديه الذى يحله .

(٤) ديوانه : ٩٠ وروايته (يمدح الحجاج) :

هو السيف الذى نصرَ ابنَ أروى به مَرْوانُ عثمانَ المُصَابَا

أما هذه الرواية ، فلم أعرفها ولم أفهمها ، وسياق البيت على الرواية الثانية « هو السيف الذى نصر به مروان بن الأروى — عثمان — المصابا » . وهو شاهد فى التعقيد بالتقديم والتأخير .

(٥) ديوانه : ٣١٢ . وهو من شواهد التعقيد بالتقديم والتأخير . يمدح الوليد بن عبد الملك . وسياقه « إلى ملك أبوه — ما أمه من محارب » أى ليست من بنى محارب .

٤٤٣ — وقوله :

إلَيْكَ أمِيرَ المُؤْمِنِينَ رَمَتْ بنَا ... هُمُومُ المُنَى والهَوْجَلُ المُتَعَسَّفُ(١)

وَعَضُّ زَمَانٍ يا ابْنَ مَرْوَانَ لم يَدَعْ ... مِنَ المَالِ إلّا مُسْحَتًا أو مُجَلَّفُ

٤٤٤ — وقوله :

ولَقَد دَنَتْ لك بالتَّخَلُّبِ إذْ دَنت ... مِنْها بلا بَخَلٍ ولا مَبْذُولِ(٢)

وَكَأنّ لَوْنَ رُضَابِ فِيها إذْ بَدَا ... بَرَدٌ بفَرْعِ بَشَامَةٍ مَصْقُولُ(٣)

٤٤٥ — وقوله فيها لمالك بن المُنْذِر :

إنَّ ابْنَ جَبَّارَىْ رَبِيعَةَ مَالِكاً ... لِلّهِ سَيْفُ صَنِيعَةٍ مَسْلُولُ(٤)

مَا زَال مِنْ آلِ المُعَلَّى قَبْلَهُ ... سَيْفٌ لِكُلِّ خَلِيفَةٍ وَرَسُولِ(٥)]

* * *

---

(١) انظر رقم : ٢٢ والتعليق فى هامشه .

(٢) ديوانه : ٦٧٨ . التخلب ، فى الخلابة : وهى أن تخدع المرأة الرجل عن قلبه بألطف القول وأخلبه . البخل : البخل . والمبذول فيما أرى : مصدر على وزن مفعول ، كالبذل . ومن أمثلته المجلود والمعقول ، من الجلد والعقل . والشاهد فى البيتين الإقواء كما يظهر ، وكذلك فى البيتين التاليين .

(٣) الرضاب : الريق ، والبشامة : شجرة طيبة الريح والطعم يستاك بفروعها .

(٤) ديوانه : ٦٨٠ . يمدح مالك بن المنذر بن الجارود بن عمرو بن حنش بن المعلى ، من بنى أفصى بن عبد القيس . وكان للجارود بن عمرو بن حنش ، مكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم من أبى بكر وعمر . ثم ولى ابنه المنذر بن الجارود إصطخر لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه . ومالك بن المنذر مضى ذكر ولايته لخالد القسرى فى رقم ٣٩٩ ، ٤٠٧ . وكانوا من سادة عبد القيس وأجوادهم . وعنى بقوله : « جبارى ربيعة » أباه وجده ، وبنو عبد القيس من ولد أسد بن ربيعة بن نزار .

(٥) آل المعلى : رهط الجارود ، والمعلى جده . كما فى التعليق السالف . والشاهد فيهما الإقواء .

٤٤٦ — وقوله :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ، كَأَنَّه ... لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ(١)

* * *

٤٤٧ — أخبرنا أبو خَلِيفة ، أنبأنا ابنُ سلَّام ، قال : حدَّثنى أبى قال : قال لهما - أعنى الفرزدقَ وجَرِيرًا - بعضُ الخُلفاء : حتَّى متَى

---

(١) ديوانه : ٤٦٧ . وهذا البيت من مختار شعره ، لا من المتداخل المعقد . وكان أولى به أن يكون قبل رقم : ٤٣٣ ، ولكنه وقع هكذا فى الأغانى ، ولم أستحسن تحويله لفقدان نص ابن سلام ، إلا فيما رواه أبو الفرج . ينهض فى الشباب : يسرع فيه كأنه يتحرك ويدبّ . لم يرد بالشيب هنا : ما ابيض من الشعر ، ولا بالشباب : ما اسود منه . ولم يرد بقوله : « كأنه » أن يرد التشبيه إلى الشيب والشباب ، من قبل السواد والبياض ، كما يقول أصحاب المعانى والبلاغة . ولو كان قد أراده لقال : « كأنه نهار يصيح فى جانبى ليل » لتجتمع أطراف التشبيه . فهذا أول فساد فى تركيب البيت ، على المعنى الذى تقادم فى أوهام المستشهدين به فى كتب البلاغة . ثم إنه لو صح أيضاً ، لكان معنى مغسولا لا خير فيه . والبيت تابع للذى قبله فى سياقته ، وذلك قول « نوار » تلومه على تبذله وتصابيه ولهوه ، إذ قال :

وَتَقُولُ كَيْفَ يَمِيلُ مِثْلُكَ لِلصِّبَا ... وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الحَلِيمِ عِذَارُ ؟

وَالشَّيْبُ يَنهضُ فى الشباب . . .

و « سمة الحليم » هى الشيب ، والواو فى قولها « والشيب » واو الحال . فهى تقول له : كيف تصبو سادراً فى غفلتك ، وقد كبرت وتحنكت وحكمتك التجارب ، والمرء إذا بلغ من العمر ما بلغت وشاب رأسه ، انبعثت تجارب به تذكره وتنذره وتوقظه وتبصره وتهديه إلى حياة أخرى غير حياة اللهو والصبا وجنون الشباب . فتنقشع الغشاوة عندئذ عن عينيه ، وينهتك ظلام الغفلة التى كانت مطبقة عليه ، لا يرى فيها إلا لذاذاته ، ولا يستمتع إلا بأحلام غفلته . ثم شبهت هذا كله بالفجر إذا أقبل فأسفر على القوم النيام ، فانبعثت الأصوات فى نواحى الحى : كلب ينبح ، وشاة تثغو ، وبعير يرغو ، وديك يؤذن ، وقائم يكبر ، وداع يصيح ، ومناد ينادى ، وأقدام تدب ، ومعدة للطعام تدق ، وأصوات الحياة فى ظلمة الليل وهدأته تنذر النوام أن النهار قد أقبل بحقيقته ، يطرد الظلام المطبق ، فجد الجد وطارت الأحلام . فقوله « كأنه » ، أى « كأن الشأن » . هذا حق المعنى ، لا ما ذهبوا إليه من استعارة الليل والنهار للشيب والشباب . ورحم الله علماء البلاغة !

لَا تَنزِعَان ؟ فقال جرير : يَا أميرَ المُؤمِنين ، إنّه واللهِ يَظلِمُنى ! قال : صَدَق ! أنا أَظْلمه ، ووَجَدْتُ أبى يَظلم أَبَاه[١] .

٤٤٨ — قال[٢] : وحدَّثنى أبو الغَرَّاف . قال : دَخَل الفرزدقُ على بِلَال فقال له : أَحَججْتَ يَا أَبا فِرَاس؟ قال : نعم . قال : فما رأيت ؟ قال : رَأيتُ شيخاً يَطُوف بالبَيْت أخذتْه امرأتُه بحُجْزَتِه ، خلفها وَلَدَانِ لَهَا وهو يقول[٣] :

أَنتَ وَهَبْتَ زَائدًا ومِزْيَدًا وَكَهْلَةً أُولِجُ فِيهَا الأَجْرَدَا[٤]

وهى تقول : إذا شِئْتَ ! إذا شِئْتَ ! فقلتُ له : مِمَّن أَنتَ يَا شيخ ؟ قال : أَشْعَرِىٌّ . قال : كَذَبتَ ! واللهِ ما رأيتَ هٰذا ، ولكِن أُتْفَكْتَها من حِينِك[٥] .

٤٤٩ — أنبأنا أبو خَلِيفة ، أنبأنا ابنُ سَلّام . قال : حدثنى يُونُس قال : قَدِم الأَحْوصُ الشاعرُ فَنزَل على عَمْرو بن عُبَيْدٍ الأَنْصارىّ ، فمرَّ به

---

(١) نزع عن الأمر ينزع : كف وانتهى عنه .

(٢) روى هذا الخبر أبو الفرج فى الأغانى ١٩ : ٣٢ من غير طريق ابن سلام ، وبأوضح مما جاء هنا . وبلال : هو ابن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى .

(٣) الحجزة : موضع شد الإزار ومعقد السراويل .

(٤) زائد ومزيد : اسم ولديه . والكهلة : يعنى امرأته . وقد أراد ما لا يحسن أن يسمى !

(٥) أشعرى : تعريض ببلال بن أبى بردة الأشعرى . ائتفك الخبر : اخترعه وهو كذب باطل . من الإفك : وهو الكذب .

الفَرَزْدق فقال له : مَتَى عَهْدُكَ بالزِّنَا يا أبا فِرَاس ؟ قال : مُذْ ماتتِ العَجُوز[١] .

٤٥٠ — أنبأنا أبو خليفة ، أنبأنا ابنُ سلّام قال : حدَّثنى أبو يَحْيى الضَّبِّى قال : بَيْنَما الفرزدقُ يَسِيرُ ، إذ مرَّ برَهْطٍ من بَنِى كُليبٍ ، فأَخذُوه فجاؤُوه بأَتَانٍ فقالوا له : إنّك تُعيِّرنا بالأُتُنِ ، فوَاللهِ لَا تَرِيمُ حتَّى تَنْزُوَ عليها[٢] . قال : دَعونى لَا أَبَا لكم ! فأَبَوا عليه ، قال : فهاتوا الصَّخْرةَ الّتى كان يقومُ عليها عَطِيَّة .

٤٥١ — وقال الفرزدقُ حين صارَ إلى الحِجاز ولجأَ إلى سَعِيد[٣] :

نَمَتْكَ العَرَانِينُ الطِّوَالُ ، ولا أَرَى ... لِفِعْلِكَ إلّا حَامِدًا غَيْرَ لَائِمِ[٤]

فإلّا تَدَارَكْنِي مِنَ اللهِ نِعْمَةٌ ... ومِنْ آلِ حَرْبٍ ، أَلْقَ طَيْرَ الأَشَائِمِ[٥]

---

(١) العجوز : يعنى أم الأحوص . وقوله « متى عهدك بكذا » ، أى : متى كان آخر عهدك به ؟

(٢) بنى كليب بن يربوع ، رهط جرير . والأتان وجمعها أتن : أنثى الحمير ، وكان الفرزدق يتهم عطية — أبا جرير — بغشيان الأتن . ورام المكان ، ومن المكان ، يريمه : برح وفارقه . ونزا الذكر على الأنثى ينزو : وثب عليها .

(٣) انظر رقم : ٣٥٠ وما قبلها ، . وهو سعيد بن العاص .

(٤) ديوانه : ٧٧٢ . نماه : رفع إليه نسبته . العرانين جمع عرنين : وهو ما صلب من عظم الأنف ، وفيه الشمم والطول ، واستواؤه وشممه وطوله دليل العتق والكرم والمحتد . ومنه أخذ عرانين الناس : أشرافهم وسادتهم على المثل . وأراد الفرزدق : نمتك أهل العرانين الطوال .

(٥) تداركه : أدركه وأنقذه . وانظر رقم ٣٤٤ ، فى التعليق . والأشائم جمع أشأم ، يقال طائر أشأم : جار بالشؤم ، ونقيضه الأيامن . وأضاف فى قوله « طير الأشائم » كأنه جعل أشأم بمعنى الشؤم ، ثم جمعه . ثم أضاف ، كما جعلوا « الضراء » اسماً للضر ، وهى صفة . وقال الفرزدق هذا على مذهب الجاهلية فى الطيرة بالسانح والبارح ، مما أبطله الإسلام .

* * *

ذكر جرير

٤٥٢ — (١)أخبرنا أبو خليفة ، أنبأنا ابن سلّام قال : سألتُ بشّاراً العُقَيْليّ عن الثّلاثة ، فقال : لم يكن الأخطلُ مثلهما ، ولكنّ ربيعة تعصّبتْ له وأفرطتْ فيه . فقلت : فجريرٌ والفرزدق ؟ قال : كانَ جريرٌ يُحْسِن ضروباً من الشِّعْر لا يُحْسِنُها الفرزدق . وفَضّل جريراً عليه .

٤٥٣ — (٢)وقال العَلاء بن حَرِيزٍ العَنْبرىّ – وكان قد أدْرَكَ النّاسَ وسَمِع(٣) – قال : كان يقال : الأخطلُ إذا لم يَجِئْ سَابقاً فهو سُكّيْتٌ . والفرزدق لَا يجِئُ سَابقاً ولا سُكّيتاً ، فهو بمنزلة المُصَلِّى . وجريرٌ يَجِئُ سَابقاً وسُكّيتاً ومُصلّياً .

٤٥٤ — (٤)[قال ابن سلام : وتأويل قوله ، أنّ للأَخطل خمساً أو ستّاً أو سَبْعاً طِوالاً روائِعَ غُرَرًا جِيادًا ، هو بهنّ سابق ، وسائرُ شِعْره دُون

---

(١) هذا الخبر روى عن ابن سلام بألفاظ مختلفة فى الأغانى ٨ : ١٠ ، ٦٠ ، وفى الموشح : ١١٥ ، ١١٦ ، ١٣٨ . ثم انظر رقم : ٥٧٥ بعد .

(٢) الخبر فى الأغانى ٨ : ٦ ، ٦٠ ، ٢٨٦ ، والموشح : ١١٥ . فى المطبوعتين ، وفى الأغانى « العلاء بن جرير » ، وفى الموشح « بن حريز » ، وهو الصواب . وقد ذكره أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الأزدى فى المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث : ٢٣ « العلاء بن حريز ، روى حديثه الأصمعى » .

(٣) فى المطبوعتين « أدرك الناس وجمع » وزاد فى المصرية « جمع (عنهم) » . وهو خطأ . صوابه ما أثبتناه من الأغانى والموشح . وقوله « أدرك الناس » يعنى القدماء السالفين ، أى هو قديم الميلاد قد سمع وحفظ .

(٤) وهذه الفقرة زيادة من الأغانى ٨ : ٦٠ ، والموشح : ١١٥ .

أشعارهما ، فهو فيما بقى بمنزلة السُّكَّيْت – والسكَّيْت : آخر الخَيْل فى الرِّهان . ويقال إن الفرزدقَ دُونَه فى هذه الرَّوائع ، وفوقه فى بقيَّة شعره ، فهو كالمُصَلِّى أبدًا . والمصلِّى : الذى يجئ بعد السَّابق وقبل السُّكَّيْت . وجريرٌ له روائع هو بهنَّ سابق ، وأوساطٌ هو بهنَّ مُصَلٍّ ، وسَفْسَافات هو بهنَّ سُكَّيْتٌ .

٤٥٥ — [1][قال ابن سلّام : وأهلُ البادية والشعراء بشعر جريرٍ أعجبُ].

٤٥٦ — أنبأنا أبو خليفة ، أنبأنا ابنُ سلّام قال : وأخبرنى أبانُ بنُ عُثمان الكوفىّ قال : سُئِلَ الأَخْطل عن جَريرٍ بالكوفة فقال : دَعُوا جَريرًا أخزاهُ الله ، فإنه كان بَلاءً عَلَى مَنْ صُبَّ عَلَيه . وذكَرَ من قولِه :

ما قَادَ مِنْ عَربٍ إلىَّ جَوادَهم ... إلَّا تَركْتُ جَوادَهُم مَحْسُورًا[2]

أَبْقَتْ مُرَاكَضةُ الرِّهَانِ مُجرَّبًا ... عِنْدَ المَواطِنِ ، يُرْزَقُ التَّيْسِيرَا[3]

٤٥٧ — [4]أخبرنا أبو خليفة ، قال ابن سلام : قال مَسْلَمةُ بن مُحارب

---

(١) وهذه الفقرة : من الموشح : ١١٥ ، وحده .

(٢) ديوانه : ٢٩٠ ، ونقائض جرير والأخطل لأبى تمام : ١٢٣ . محسور : كليل قد هده الإعياء . وعنى بالجواد : الشاعر المحامى عن عشيرته .

(٣) فى نقائض جرير والأخطل « التبشيرا » ، وذكر أنهما روايتان . والمراكضة : مفاعلة من من الركض ، وهو السباق فى الركض . والتبشير ، من البشارة : يبشر به صاحبه فيفرح ويسر . والتيسير من اليسر : وهو اللين والانقياد والسهولة . يريد ما يسهل له من الإتيان بالسبق فى مواطن الرهان .

(٤) نقله بنصه الصولى فى أخبار أبى تمام ١٧٨ ، ونقل ثعلب بعضه فى مجالسه : ٥٠٠ – ٥٠١ ، والزيادة من أخبار أبى تمام . وفى المطبوعتين « سلمة بن محارب » ، وهو خطأ .

[بن سَلْم بن زياد] : كان الفرزْدَقُ عندَ أبِى فى مَشْرُبَةٍ له[١] ، فدخل رجل فقال : وَرَدتِ اليومَ المِرْبَد قصيدةٌ لجريرٍ تناشَدَها النَّاس . فَٱنْتُقِعَ لونُ الفرَزدق ، قال : ليستْ فيكَ يا أبا فِرَاس ! قال : فَفِيمَنْ ؟ قال : فى أبنِ لَجَأٍ التَّيْمِىّ . قال : أفحَفِظْتَ منها شيْئًا ؟ قال : نعم ، عَلِقتُ منها بيْتيْن . قال : ماهما ؟ قال :

لئن عَمِرَتْ تَيْمٌ زمانًا بغِرَّةٍ ... لقدْ حُدِيتْ تَيمٌ حُدَاءً عَصَبْصَبَا[٢]

فَلا يَضْغَمَنَّ اللَّيْثُ عُكْلاً بِغِرَّةٍ ... وعُكْلٌ يَشَمُّونَ الفَرِيسَ المُنَيَّبَا[٣]

فقال الفرزدق : قاتلَهُ اللهُ ! إذا أخَذ هذا المأخَذَ لا يُقامُ له !

٤٥٨ — أنبأنا أبو خَلِيفة ، أنبأنا أبنُ سلّام قال : أخبرنى يونُس قال :

---

(١) المشربة : الغرفة ، أو صفة تكون بين يدى الغرفة .

(٢) ديوانه : ١٣ ، ١٤ ، وهما بيتان متباعدان . وروى صاحب اللسان (عمر) البيت الأول عن ابن سلام ، شاهداً على قوله : عمر الرجل يعمر (بفتح الميم) عمراً (بفتحتين) : عاش وبقى زماناً طويلا . والغرة : الغلة ، ولم يرد ذلك إنما أراد نعمة العيش وخلوه من النوائب ، وكذلك عيش غرير : أبله ناعم ، لا يفزع أهله . والحداء : زجر الإبل من خلفها وسوقها ، والغناء لها حثاً لها على السير . وعصبصب عصيب شديد مجتمع الشر . أراد ما جاء هم به من الهجاء بعد ما كانوا فيه من توفير أعراضهم وأنفسهم .

(٣) ضغم الأسد فريسته : عضها عضاً شديداً دون النهش ، يملأ فمه مما أهوى إليه . وعكل : هم بنو عوف بن عبد مناف بن أد ، أخوتيم وعدى وثور بنى عبد مناة بن أد . والفريس : المفترس ، الذكر والأنثى فيه سواء . والمنيب : من قولهم نيب الذئب فى شاة : أنشب فيها أنيابه . قال الجاحظ فى الحيوان ٧ : ٦٣ : « وإذا عض الذئب شاة فأفلتت منه بضرب من الضروب ، فإن عادة الغنم ، إذا وجدت ريح الدم ، أن تشم موضع أنياب الذئب . وليس عندها عند ذلك إلا أن ينضم بعضها إلى بعض . ولذلك قال جرير لعمر بن لجأ » . وأنشد البيت ، ثم قال : « فذكر أنهم كالغنم فى العجز والجبن » . يحذر عكلا أن تفعل فعل الغنم فى اجتماعها على الفريس ، فتجتمع على تيم لنصرها هذا النصر الضعيف ، فيفعل بهم فعل الذئب بالغنم ، إذا ترك الجريح وأقبل يختطف السليم منها . وسيأتى تفسير ابن سلام فى رقم : ٦٨٧

كان الفرزدُق يَتَضَوَّرُ ويَجْزَعُ إذا أُنْشِدَ لجريرٍ ، وكان جريرٌ أصْبَرَهُما[١] .

٤٥٩ — أخبرنا[٢] أبو خليفة ، أخبرنا ابن سلّام قال : وأخبرنى أبو البَيْدَاء [الرِّيَاحىّ] قال : قال الفرزدقُ : إنّى وإيّاهُ لَنَغْتَرِفُ من بحْرٍ واحدٍ ، وتَضْطَرِبُ دِلاؤُه عند طُول النَّهْزِ[٣] .

٤٦٠ — قال ابن سَلّام : وذاكرتُ مَرْوَانَ بن أبى حفصةَ جريراً والفرزدَق فقال : أحْكُم فى الثَّلاثة بِشِعْرٍ ، فإنّ الكَلاَمَ يَرْوِيه كلُّ قوْمٍ بأهْوائِهم . فقال :

ذَهَبَ الفرزْدَقُ بالفَخَار ، وإنّما ... حُلْوُ الكَلاَمِ ومُرُّهُ لجَرِيرِ[٤]
ولقد هَجَا فأمَضَّ أخطَلُ تَغْلِبٍ ... وحَوَى اللُّهَى بمَدِيحِه المشهُورِ[٥]
كلُّ الثَّلاثةِ قد أجادَ ، فمدحُهُ ... وهِجَاؤُه قَدْ سَارَ كلَّ مَسِيرِ

---

(١) تضور : تلوى واضطرب وصاح من وجع الضرب أو الجوع أو الحزن .

(٢) رواه أبو الفرج فى الأغانى ٨ : ٨ .

(٣) فى المطبوعتين والأغانى « طول النهر » ، وهو كلام لا معنى له . نهزت بالدلو فى البئر : إذا ضربت بها إلى الماء لتمتلئ . ونهز الدلو ينهزها نهزاً : نزع بها . أراد ضعف جرير فى الغوص على المعانى ، والإطالة فى استنباط الشعر .

(٤) رواها أبو الفرج فى أغانيه ١٠ : ٩٠ عن غير ابن سلام ، عن موسى بن حمزة قال : « رأيت مروان بن أبى حفصة فى أيام محمد بن زبيدة ، فى دار الخلافة ، وهو شيخ كبير ، فسألته عن جرير والفرزدق : أيهما أشعر ؟ فقال لى : قد سئلت عنهما أيام المهدى ، وعن الأخطل قبل ذلك ، فقلت فيهم قولا عقدته فى شعر ليثبت . فسألته عنه فأنشدنى . . . » . فبان بهذا أن الذى سأله أيام المهدى هو ابن سلام .

(٥) أمض : أحرق وآلم وأوجع . واللهى جمع لهوة (بضم فسكون ففتح) : وهى العطية تكون من أفضل العطاء وأجزله . ويروى « وحوى النهى ببيانه المشهور » ، يعنى سحر الألباب بشعره وبيانه .

٤٦١ — (١) وسألتُ الأُسَيْدِيَّ - أخا بنِى سَلَامة - عنهما فقال: بيُوتُ الشّعر أربعةٌ : فخرٌ ، ومَديحٌ ، ونَسِيبٌ ، وهِجَاءٌ ، وفى كُلِّها غَلَبَ جرِير ، فى الفَخْر فى قوله :

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنُو تَمِيمٍ … حَسِبْتَ النّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا(٢)

---

(١) ساق هذا الخبر أبو الفرج فى أغانيه ٨ : ٦ قال : « قال محمد بن سلام : ورأيت أعرابياً من بنى أسد ، أعجبنى ظرفه وروايته ، فقلت له : أيهما عندكم أشعر؟ فقال : بيوت الشعر . . . » إلى آخر الخبر ، وقد أتممناه منه . وفى نص الأغانى خطأ هو قوله « من بنى أسد » ، ولم أعلم جريراً هجا بنى أسد . والصواب « بنى أسيد » (بضم ففتح فياء مشددة مكسورة ، على التصغير) ، وهم بنو أسيد ابن عمرو بن تميم ، ومنهم بنو سلامة بن غوى بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم . وقد ذكر ذلك جرير فى شعره إذ يقول ، (النقائض : ٢٩) يهجو بنى سليط بن الحارث بن يربوع :

جاءَتْ سَلِيطٌ كالحمِير تردمُ … فقلتُ : مهلًا ، وَيحْكُم لا تُقدمُوا

إنّى بأ كلِ الحائنِــــين مُلْذَمُ … قد علمت أسَيِّدٌ وخَضَّمُ

وخضم : هم بنو العنبر بن عمرو بن تميم ، غلب عليهم لكثرة أكلهم . وهجاؤه بنى أسيد فى ديوانه : ١١٥ ، إذ هجا زنباعاً الأسيدى بقوله :

إنّ الأُسَيْدِىّ زنباعاً وإخوتَه … أزْرَى بهمْ لؤمُ جدّاتٍ وأجدادِ

الشّاتِمِيَّ ولم أهتِكْ حريمَهُم ، … تلك العجائب يا أبنى أمّ قرّاد

يا أكثر الناس أصواتاً إذا شبعوا … وألأم النـاس أخباراً على الزادِ

بَنِي جَفاسَاءَ ، إنِّى لم أجدْ لـكُم … بطنَ المسيلِ ولا بُحْبُوحةَ الوادى

وقال فيهم (ديوانه ٣٥٨) :

إذا كنتَ بالوَعْسَاء من كِفّةِ الغَضَا … لقيت أسـيديًّا بها غيرَ أرْوَعا

سريعاً، إذا قيل : الغداءَ ، أزدِلافُه ، … بطيئاً إذا داعى الصَّبَاحِ تشنَّعَا

وغيرها ، وكله هجاء خبيث . وقد أفضت فى هذا لتحقيق نص الأغانى فيما سلف ، وفيما سيأتى من الزيادة . وهو موضع عسر دقيق . وانظر النسب إلى « أسيد » ص : ٢٩٨ ، رقم : ١ .

(٢) ديوانه : ٧٨ فى هجاء الراعى النميرى .

وفى المَدْحِ قولُه :

أَلَسْتُم خيرَ مَنْ رَكِبَ المطَايَا ... وأَنْدى العالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ(١)

وفى الهِجاء قَوْلُه :

فغُضَّ الطَّرْفَ، إنَّك من نُمَيْرٍ ... فلا كَعْبًا بلَغْتَ ولا كِلَابًا(٢)

وفى النَّسيب قولُه :

إنَّ العُيُونَ الَّتى فى طَرْفِها حَوَرٌ ... قَتَّلْنَنا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانا(٣)

وإلى هٰذا يذْهبُ أهْلُ البادِيَة .

٤٦٢ — (٤)[قال أبو عبد الله محمد بن سلام : وبيت النَّسيبِ عِنْدى :

فلمَّا الْتقَى الحَيَّانِ أُلْقِيَتِ العصَا ، ... وماتَ الهَوَى لمّا أُصِيبَتْ مقاتِلُهْ(٥)

ثم قلت للأُسَيْدىّ : أما والله لقد أوْجعَكُمْ (يعنى فى الهجاء) ! فقال : يا أَحْمق ، أوَذاكَ يمنعه أن يكونَ شاعرًا !](٦).

---

(١) ديوانه : ٩٨ فى مديح عبد الملك بن مروان . أندى : أسخى ، من الندى ، وهو السخاء الذى لا تكلف فيه .

(٢) ديوانه : ٧٥ فى هجاء الراعى ، وقومه بنو نمير بن عامر بن صعصعة . وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأخوه كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . يثنى على بنى عمومته ، ويذم قومه بنى نمير .

(٣) ديوانه : ٥٩٥ ، فى هجاء الأخطل .

(٤) هذه الزيادة بين القوسين من الأغانى ٨ : ٦ ، من رواية أبى الفرج عن ابن سلام .

(٥) ديوانه : ٤٧٨ والنقائض : ٦٣٠ فى مناقضته للفرزدق .

(٦) فى الأغانى « قال كيسان : أما والله . . . » وقد علق عليه المصحيح بقوله : « لم يتقدم لهذا الاسم ذكر فى هذا الخبر » . وسياق النص بعد الذى حققناه فى رقم : ٤٦١ . يدل على صواب ما أثبتناه مكانه . فإن ابن سلام يذكر هذا الأسيدى الذى جمع أطراف الشعر لجرير ، بما أوجع به جرير قومه من الهجاء . وهذا بين إن شاء الله .

٤٦٣ — أخبرنا أبو خليفة ، قال : أخبرَنا ابنُ سلام قال : قال أبو الغرّاف : كان الخَطَفى ذا إبلٍ ومَالٍ ، فلما وُلِدَ جريرٌ لعطيّةَ كانَ يَنْحَلُه مِنْ إبلِه ومَاله . فوُلِدَ للخَطَفى صِبْيَةٌ ، فرَجَعَ فيما كان نَحَلَ جَرِيراً ، فقال[١] :

ألاَ حَىِّ رَهْبَى ثم حَىِّ المَطَالِيَا ، لقَدْ كان مَأْنُوسًا فأصْبَحَ خالِيَا[٢]
عَفَا الرَّسْمُ إلَّا أنْ تَذَكَّرَ أوْ تَرَى ثَمامًا حَوالَىْ مَنْصِبِ الخَيْمِ بَالِيَا[٣]
إذَا مَا أرادَ الحَىُّ أن يَتَحَمَّلُوا وحَنَّتْ جِمَالُ الحَىِّ حَنَّتْ جِمَالِيَا
وَإنِّى لَمَغْرُورٌ أُعَلَّلُ بالمُـنَى غَدَاةَ أُرَجِّى أنَّ مَالَكَ مَالِيَا[٤]
وإنِّى لَعَفٌّ الفَقْرِ مُشْتَرَكُ الغِنَى ، سَرِيعٌ ، إذا لم أَرْضَ دَارِى ، انْتِقالِيَا
ولَيْسَتْ لِسَيْفِى فى العِظَامِ بَقِيَّةٌ ولَلسَّيْفُ أشْوَى وَقْعَةً مِن لِسَانِيَا[٥]

---

(١) الخطفى ، جد جرير ، كما مضى فى رقم : ٣٣٤ . وعطية : أبوه . نحل الرجل ولده مالا : أعطاه هبة من غير عوض ولا استحقاق ، وخصه به . والاسم منها النحل (بضم فسكون) .

(٢) ديوانه : ٦٠١ . قال أبو الفرج فى الأغانى ٨ : ٥٠ إنها « أول شعر قاله جرير فى زمن معاوية » . والظاهر أن جريراً زاد فيها بعد ، كما قال ابن حبيب ، زعم أنها قيلت بعد عشرين سنة . وقد جاءت الأبيات هكذا منتزعة غير متصلة ، ففصلت بينها . رهبى : موضع فى ديار بنى تميم ، قوم جرير . والمطالى : ماء قريب من حمى ضرية ، وضرية : أرض منبات كثيرة العشب . مأنوس من الأنس (بفتحتين) : سكان الدار ، لا فعل له ، وإنما هو على النسبة ، أى ذو أنس .

(٣) عفا : درس وامحى . والرسم : ما بقى من آثار الدار . والثمام : نبت ضعيف قصير لا يطول . منصب : حيث تنصب وتضرب . الخيم ، جمع خيمة : وهى من بيوت الأعراب ، مستدير يبنونه من أعواد ثلاثة أو أربعة ، ثم يلقى عليها الثمام ، ويستظل بها فى الحر . والبالى : القديم .

(٤) أرجى ، من الرجاء : وهو الأمل نقيض اليأس . وأشم الأمل معنى الظن .

(٥) البقية : الإبقاء على الشىء رحمة أو مخافة . يريد أن سيفه مستأصل نافذ لا يرحم الضريبة. أشوى : أيسر وأهون ، من الشوى : وهو الشىء اليسير الهين ، وأصله من الشوى : وهى الأطراف ، والأطراف ليست بمقتل ، فهان أن تصاب . يقول : لسانى أمضى من سيفى ، فالسيف أسلم موقعاً من لسانى وأهون .

٤٦٤ — (١)ووَفَدَ جريرٌ بعدَ ذلك إلى يَزِيد بن مُعاوية وهو خليفة ، وجَرِيرٌ حَدَثٌ ، فأنشدَه :

وإنِّي لَعَفٌّ الفَقْرِ مُشْتَرَكُ الغِنَى ، سَرِيعٌ ، إذَا لم أَرْضَ دَارِي ، انْتِقَالِيَا

قال : كذبتَ ، ذاك جرير . قال : فأنا جَرير ! قال : والله] لقد [فارقَ أميرُ المؤمنين معاويةُ الدُّنيا وهو يَرَى أنَّ هذا البيتَ لِي .

٤٦٥ — (٢)أخبرنا أبو خَليفة . قال : قال ابنُ سلّام : أخبرني أَبانُ بن عُثمان [البَجَلِيّ] قال : تنازَعَ رَجُلان في عسكر المُهَلَّب في جريرٍ والفرزدَقِ — وهو بإزاء الخوارج — فصارَا إِلَيه [وسألاه] ، فقال : لا أقولُ فيهما شيئًا — وكَرِهَ أن يُعرِّضَ نفسَه — ولكنْ أدُلُّكما عَلَى من يَهُون عَلَيْه سُخْطُهُما : عُبَيْدةُ بن هِلَال [اليشْكُرِيّ] . وهو مَوْلَى بَنِي قَيْسِ بن ثَعْلَبة ، وهو يَوْمَئذ في عَسْكَرِ قَطَرِيّ(٣) . فأتَيَاه فوقفَا حِيَال العَسْكر فدعَوَاه ، وخَرَجَ يجُرُّ رُمْحَه ، وظَنَّ أنه دُعِيَ لِلبِرَازِ ، فقالا له : الفرزْدَقُ أَشْعرُ أم جرير ؟ فقال : عليكما وعليهِمَا لَعْنَةُ الله ! قالا : نُحِبُّ أنْ تُخْبرنا ثُمَّ نَصِير إلى ما تُرِيد . قال : من يقول ؟ :

---

(١) انظر الأغانى ٨ : ٣٦ ، ٥٠ برواية مختلفة .

(٢) ورواه أبو الفرج فى الأغانى ٨ : ٦ ، والزيادة منه . وفى الأغانى « أبان بن عثمان البلخى » ، وهو خطأ صرف . وفى الرواية بعض الاختلاف ، وهى هناك أطول وأتم . وانظر أيضاً الأغانى ٨ : ٤٢ .

(٣) يعنى قطرى بن الفجاءة المازنى ، بطل الخوارج وشاعرها .

وطَوَى القِيادُ مع الطِّراد بُطُونَها طَيَّ التِّجارِ بحَضْرَمَوْتَ بُرُودا[١]

قالا : جرير . قال : هُو أشْعَرُهما

* * *

٤٦٦ — أنبأنا أبو خَليفة ، أنبأنا محمَّد بنُ سلَّام قال : أخبرنى أبو رَجاءِ الكلبىّ قال : كان لأُمامةَ ، امرأةِ جرير ، ابنُ أخٍ ذو إبلٍ يقالُ له عَصِيدَة ، لِقِصَرٍ فى يَدِه ، فلم تزَلْ به امرأتُه حتى زوَّجه ابنتَه ، فعتَبَ عليهِ فقال :[٢]

وغرَّتْنا أُمامـــةُ فَافْتَحَلْنا عَصِيدَةَ ، إذ تُنُخِّلَتِ الفُحُولُ[٣]

إذَا مَا كان فَحْلُكَ فَحْلَ سَوْءٍ ، خَلَجْتَ النَّسْلَ أو لؤُمَ الفَصِيلُ[٤]

---

(١) ديوانه : ١٧١ . القياد : حبل تقاد به الدابة ، أراد أيام سياسة الخيل وتضميرها . والطراد : أن يحمل الفرسان بعضهم على بعض فى الحرب ، فيطرد بعضهم بعضا . طوى بطونها : أذهب لحمها حتى انضمت وضمرت ، كأنها ثوب طوى ، فصار مدمجاً مستوياً .

(٢) فى ديوانه : « وقال فى ابن عم له خطب ابنته زينب » ، وفى النقائض : ٨٤٣ « وقال جرير فى تزويج الفرزدق عصيدة » . وفى الهامش « وقال فى ابن عم له ، خطب إليه ابنته زينب ، فلم تزل به أمامة ، وهو لا يريد تزويجها ، حتى زوجه إياها ، فندم فقال . . » وهما روايتان تخالفان راوية ابن سلام . وقد ضبطت فى النقائض « عصيدة » بالتصغير ، بيد أن سبب التلقيب الذى جاء به ابن سلام يرجح ضبطنا . من عصد الشىء يعصده : لواه ، فهو معصود وعصيد ، كأن يده لويت فقصرت .

(٣) ديوانه : ٤١٦ ، والنقائض : ٨٤٣ مع اختلاف فى الرواية . افتحل لدوابه فحلا : اتخذ فحلا كريماً يغشاها ، يريد تزويجه ابنته ، اتخذه فحلا لها . وهو هزء به . وتنخل الشىء : تخيره واصطفاه .

(٤) رواية الديوان « خلجت الفحل » ، ورواية النقائض « عدلت الفحل » ، وهما أجود من رواية الطبقات وأصح ، خلج الشىء : انتزعه ، ومنه خلج الفحل (بالبناء للمجهول) : أخرج من الشول قبل أن يقدر على الإناث ، فإذا أخرج بعد قدرته عليهن قيل : عدل الفحل (بالبناء للمجهول أيضاً) . قال أبو عبيدة فى النقائض : « عدلت : أى عدلته عن الإبل فلا يضرب فيها للؤمه » . يقول : إذا كان الزوج لئيما ، فالحق أن يفرق بينه وبين امرأته ، وإلا جاء ولده لئيما مثله .

٤٦٧ — (١) أَنبأنا أبو خَلِيفة، أَخبرنا ابنُ سلّام، أَخبرَنا أبو الغرّاف قال: دخل جريرٌ على الوَليد بن عبد الملك، وهو خَلِيفة، وعنده [عَدِىٌّ] ابن الرِّقاع العاملىّ، فقال الوليد لجريرٍ: أَتعرِفُ هٰذا؟ قال: لا يا أميرَ المؤْمنين. قال: هٰذا رَجُل من عامِلة. قال: الّذِين يَقُول الله جَلّ ثَناؤه: «عاملةٌ ناصِبةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً» (سورة الغاشية: ٣، ٤) ثم قال:

يُقصِّرُ باعُ العامِلىّ عَنِ العُلَى ... ولٰكِنَّ أَيْرَ العامِلِىِّ طَوِيلُ (٢)

فقال العاملىُّ:

أَأُمّك كانَتْ أخبَرَتْكَ بطُولِه ... أَمِ أنتَ امْرُؤٌ لم تَدْرِ كَيْفَ تَقُولُ؟

فقال: لا، بلْ لم أَدرِ كَيفَ أَقُول. فوثَبَ العاملىُّ إلى رجْل الوَليد فقبّلها وقال: أَجِرْنى مِنْه. فقال الوليد [لجرير]: لئن سَمَّيته لأُسْرِجَنَّكَ ولأُلْجِمنَّكَ وليَرْكَبنَّك، فتُعَيِّرُك بذلك الشُّعَراء. فكَنَى جَرِيرٌ عن اسمِه، واسْمه عَدِىّ، فقال:

إِنِّى إذا الشّاعرُ المغرُورُ حَرَّبَنِي ... جارٌ لِقبْرٍ عَلَى مَرّانَ مَرْمُوسِ (٣)

---

(١) رواه أبو الفرج عن ابن سلام فى الأغانى ٩: ٣٠٧. وصدره فى الموشح: ١٢٩، وفى الأغانى زيادة عن الموشح والمطبوعتين. والقصة مروية على غير هذا الوجه فى الأغانى ٨: ٨٠، ٩: ٣٠٨.

(٢) ليس فى ديوانه.

(٣) ديوانه: ٣٢٢، والأبيات على غير سياقة الشعر فى الاختيار. حرب فلان فلاناً: استخرج منه أشد الغضب. مران: موضع على أربع مراحل من مكة إلى البصرة، فيه قبر تميم ابن مر بن أد، سلف جرير. وعنى بقوله: «جار لقبر على مران» أنه فى جوار بنى تميم كلهم، إذا غضب غضبوا له. مرموس: مسوى بوجه الأرض عليه التراب. من الرمس: وهو القبر إذا كان مدرما مستوياً مع وجه الأرض. قال المرزبانى فى الموشح: ١١٩ وذكر هذا البيت: «قال رؤبة: كذب والله، ما تميم بمران، إنما هو بذات عرق. وقبر معد بمران».

قَدْ كانَ أَشْوس أَبَّاءٍ ، فأوْرَثَنا شَغْباً عَلَى النَّاسِ فى أَبْنَائِنا الشُّوسِ (١)

أَقْصِرْ ، فإِنَّ نِزاراً لا يُفاخِرُهُمْ فَرْعٌ لَئِيمٌ وأَصْلٌ غيرُ مَغْروسِ (٢)

وَابْنا نِزارٍ أَحَلَّانِي بِمَنْزِلَةٍ فى رَأْسِ أَرْعَنَ عادِيٍّ القَدَامِيس (٣)

وابْنُ اللَّبُونِ إِذَا ما لُزَّ فِي قَرَنٍ لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَناعِيسِ (٤)

---

(١) الأشوس : الذى ينظر بإحدى عينيه ، ويميل وجهه فى شق العين التى ينظر بها ، يفعله المرء من الكبر والغضب والحقد ، وهو مقرون بالجرأة فى القتال ، وجمعه شوس . والأباء : الشديد الإباء على الضيم (انظر رقم : ٣٢٨) . والشغب : تهييج الشر والفتنة والخصام والخلاف . يصف تميما بالشدة والجراءة والإباء ، وأنه أورث أبناءه العزة والمنعة والجراءة على الشر لا يبالون .

(٢) نزار ، جد تميم ، من عدنان . وأما عاملة ، قوم عدى بن الرقاع ، فهم من بنى كهلان بن سبأ ، من قحطان . غير مغروس : غير ثابت ولا معرق . على المثل من غرس الشجر .

(٣) ابنا نزار : ربيعة بن نزار ، ومضر بن نزار ، وذلك أن هند بنت مر ، أخت تميم ابن مر — سلف جرير — ولدت بكرا وتغلب وعنزاً بنى وائل بن قاسط ، من ربيعة بن نزار . أيضاً ، فإن بنى اليأس بن مضر بن نزار : مدركة بن اليأس ، وطابخة بن اليأس . — جد تميم بن مر بن أد ابن طابخة — أمهما ليلى بنت حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وأم ليلى هذه ، ضرية بنت ربيعة بن نزار . فهذا ما أراد جرير بالتفاخر بابنى نزار . أرعن : شامخ ذو رعان ، جمع رعن : وهو الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً . وعادى : منسوب إلى عاد ، قوم هود صلى الله عليه . يعنى قدمه وعتقه . والقداميس جمع قدموس وقدموسة ، وهى الصخرة العظيمة الشديدة . يعنى أنهم سادة عالون منذ القدم .

(٤) ابن اللبون : هو ولد الناقة إذا استكمل سنتين وطعن فى الثالثة ، فصارت أمه لبوناً ، أى ذات لبن ، لأنها تكون قد حملت حملا آخر ووضعته . وولد الناقة فى الثالثة ضعيف بعد . لزه يلزه : شده وألصقه ، والبعيران إذا قرنا فى قرن واحد ، فقد لزا . ويريد : وابن اللبون إذا ما قرن ببازل ، لم يطق ما يطيقه البازل من الصبر على السير العنيف . والشاعر الضعيف لا يستطيع أن يصاول الشاعر الفحل ولا أن يجاريه . والصولة : الوثبة والسطوة . والبزل جمع بازل : وهو البعير إذا استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة وفطر نابه وبزل (أى انشق) ، وهو عندئذ مستكمل للقوة مستجمع لشبابه . والقناعيس جمع قنعاس (بكسر فسكون) ؛ وهو الجمل العظيم الطويل السنمة .

* * *

٤٦٨ — أخبرنا أبو خليفة ، أنبأنا ابنُ سلَّام قال : حدثنى أبو يحْيي الضَّبىّ قال : وَرَد البَعِيثُ المُجاشِعىّ على بَنِى سَلِيط بن يَرْبُوع ، وكان وَلَدهم وولدُوه ، فشكَوْا إليه قَهْرَ جريرٍ صاحِبَهم -يعنى غسَّان السَّلِيطىّ- فقال البَعِيثُ :

إذا يَسَّرتْ مِعْزَى عَطِيَّةَ ، وارتعت ... تِلَاعًا من المَرُّوتِ أَحْوَى جَمِيمُها[1]

تعرَّضْتَ لِى ، حتَّى صَكَكْتُكَ صَكَّةً ... على الوَجْهِ ، يَكْبُو لليدَيْنِ أَمِيمُها[2]

أَلَيستْ كُلَيبٌ أَلأَمَ النَّاسِ كُلِّهم ؟ ... وأَنتَ ، إذا عُدَّتْ كُلَيبٌ ، لَئِيمُها

٤٦٩ — وكانتْ أمُّ البَعِيث أَمَةً حَمْراءَ سِجِسْتَانيَّة ، تُسَمَّى فَرْتَنَا ، فكانَ يُقال له ابنُ حَمْراءِ العِجَانِ[3] . فهجاه جرير فَثاوَرَهُ ، فضجَّ إلى

---

(١) النقائض : ١٠٨ . والأغانى ٨ : ١٦ يسرت الغنم كثرت وكثر لبنها ، وولدت كلها فكثر نسلها ، وهو من اليسر أى السهولة . ارتعت : رعت . والتلاع جمع تلعة : وهو مسيل الماء من أعلى الوادى إلى بطن الأرض ، وهو مكرمة للنبات . والمروت : موضع فى ديار بنى تميم . أحوى : هو النبات إذا صار أسود من شدة خضرته ، وهو أنعم ما يكون من النبات . والجميم : النبت والكلأ إذا طال وكثر وحسن نبته . يصف جريراً باللؤم ، وأنه لما حسنت حال أهله بعد الشقاء طغى وانتفش . ورواية النقائض « أأن يسرت » ، وهى أجود ، أى ألأن يسرت معزاك تعرضت لى ؟

(٢) تعرضت لى : يعنى بالهجاء . وصكه : ضربه ضربة شديدة . وكبا يكبو : سقط وانكب على وجهه . والأميم : المأموم ، من قولهم أمه : أى شجه شجة تهجم على أم الرأس ، وهى الجلدة التى تجمع الدماغ تحت العظم ، فإذا شقها شىء ووصل إليها ، مات صاحبها .

(٣) قال أبو عبيدة فى النقائض : ٤٥ ، ٦٣ : « كانت أم البعيث أمة للقعقاع بن معبد بن زرارة ، واسمها وردة ، من سبى إصبهان اشتراها منه ، ووهبها لبشر بن خالد (والد البعيث) ، فولدت البعيث ، وكل أمة عند العرب فهى تدعى : فرتنا » . وانظر ما كتباه على قوله « حمراء الجان » فى رقم : ٣٧٤ .

الفرزدَقِ ، والفرَزْدق يومئذ بالبَصْرة ، وقد قيَّد نَفْسه وآلَى أن لا يَفُكَّ قيْدَه حتى يَقرأَ القُرْآنَ[١] — فقال البَعِيث :

لَعمْرِى لَئنْ ألْهَى الفرزدقَ قَيْدُه ، ودُرْجُ نَوارٍ ذو الدِّهان وذُو الغِسْلِ[٢]
لَيَبْتَعِثَنْ مِنِّى عُـــداةُ مُجَاشِعٍ بَدِيهةَ لا دَانِى الجِراءِ ولا وَغِلِ[٣]

فقال جريرٌ :

جَزِعتَ إلى دُرْجَى نَوَارَ وغِسْلِها ، فأصْبحتَ عَبْدًا ما تُمِرُّ ولا تُحْلِى[٤]

وعَدَّه الناسُ مغلوباً حِينَ استغَاث .

٤٧٠ — قال : وقال الفرزدق : إنِّى إنْ وثَبْتُ على جَرِيرٍ الآن

---

(١) النقائض : ١٢٧ . ثاوره مثاورة : واثبه وصاوله . وآلى : حلف .

(٢) النقائض : ١٣٧ . الدرج : السفط الصغير ، تضع فيه المرأة ما تدخره من خف متاعها وأداتها وطيبها وزينتها . الدهان جمع دهن : وهو ما يدهن به من الزيوت المطيبة . والغسل : ما يغسل به الرأس من خطمى وأشنان وغيرهما ، تجعله المرأة فى شعرها عند الامتشاط ، وهو يكون مطرى بأفاويه من الطيب . يقول : شغلت الفرزدق امرأته النوار ، وفتنته بزينتها وترفها ، عن الذب عن أعراض قومه .

(٣) هذا البيت ليس فى قصيدة البعيث التى رواها فى النقائض : ١٣٢ — ١٥٧ . وفى المطبوعتين « وعل » وهو خطأ . ابتعثه : أثاره وهيجه . ومجاشع : سلف البعيث وسلف الفرزدق أيضاً . والعداة جمع عاد : وهو العدو ، وجمع العدو أعداء . البديهة : أول جرى الفرس . والجراء : جرى الخيل خاصة . الدانى : المقصر عما ينبغى له أن يفعله . ولو جعلته من الدنو : وهو القرب ، لكان جيداً ، يريد قريب الجرى ، أى ليس يبعد بل يجهد فيكف من قريب . والوغل : الضعيف الساقط المقصر فى الأشياء .

(٤) ديوانه : ٤٦٢ ، والنقائض : ١٦٢ . عدى جزع « بإلى » . أشمها معنى جزع من الهجاء ، ففزع إليه ، وهو من اختصار العربية . درجى نوار : يعنى الفرزدق زوج نوار ، ودرجها الذى ذكرناه فى رقم : ٢ آنفاً . جعل الفرزدق أداة لها كالدرج يستمتع به . وهو هزء بليغ بالفرزدق ، يعنى أن النوار تمسكه عندها كما تمسك درجها . لا تمر ولا تحلى : لا تأتى بحلو ولا بمر ، أى لا تأتى بخير ينفع ، ولا بشر يضر ، من ضعفك وخساستك .

حَقَّقْتُ عَلَىَّ الغَلَبة ! ولكنِّى كأنِّى وثبْتُ عليهما ، فأدَعُ البَعِيثَ وآخُذُ جريرًا[١] . فقالوا : الطّبيبُ أَطَبُّ ! فقال :

لَوَدَّ جَرِيرُ اللُّؤْمِ لو كان عَانِيًا ولم يَدْنُ من زَأْرِ الأُسُودِ الضَّرَاغِمِ[٢]

وليْسَ ٱبْنُ حَمْراءِ العِجَانِ بِمُفْلِتِى ، ولم يَزْدَجِرْ طَيْرَ النُّحُوسِ الأَشَائِمِ ![٣]

وَإِنَّـكُما قد هِجْتُمَانى عَلَيْكُمَا ، فَلَا تَجْزَعَا وٱسْتَسْمِعَا للمُرَاجِمِ[٤]

٤٧١ — وقال :

دَعَانِى ٱبْنُ حَمْراءِ العِجَانِ ، ولم يَجِدْ لَهُ ، إذْ دَعَا ، مُسْتَأْخَرًا عَنْ دُعَائِيَا[٥]

فَنَفَّسْتُ عن أَنْفَيْهِ حَتَّى تَنَفَّسَا ، وقُلْتُ لَهُ : لا تَخْشَ شَيْئًا وَرَائِيَا[٦]

---

(١) يريد : أثب عليهما معا ، ثم أدع البعيث وآخذ جريراً .

(٢) ديوانه : ٨٦١ ، والنقائض : ٧١٨ . العانى : الأسير . الضراغم جمع ضرغام : وهو الأسد القوى الشديد الضارى .

(٣) ابن حمراء العجان ، انظر رقم : ٣٧٤ ، ٤٦٩ . الأشائم جمع أشأم ، من الشؤم . انظر رقم : ٤٥١ . قال أبو عبيدة : « يقول : كيف لم يتعيف ، فيزجر طير النحوس الأشائم ، فينتهى عنى ؟ » .

(٤) قال أبو عبيدة : « المراجم : يعنى نفسه ، يقول : أنا مساب ومقاذف ، أدفع عن نفسى وعن حسبى ، يجىء من لسانى الهجاء والقول الشديد كما يرجم الرجل بالحجارة » . ثم انظر رقم : ٥٦٠

(٥) ديوانه : ٨٩٥ ، والنقائض : ١٦٧ ، وقال « فكانت أول قصيدة هجا بها جريراً ، ويهجو البعيث » . مستأخراً : مصدر ميمى ، أى تأخراً ، يعنى لم يجد مناصاً من أن يستغيث بى ويدعونى لنصرته .

(٦) نفست عن أنفيه : أى فرجت عنه جريراً حتى تنفس من منخريه ، وقد أخذ جرير بهما فاختنق . وقوله : « لا تخش شيئاً ورائياً » ، أى أنا أحول بينه وبينك بدفاعى عنك ، فلا يبلغ إليك شىء من أذاه .

٤٧٢ — فلما اُسْتَطَارَ كلٌّ واحدٍ منهُما فى صَاحِبه(١) ، قال البَعِيثُ :

أَشَارَكْتَنِى فى ثَعْلَبٍ قدْ أَكَلْتَهُ فلم يَبْقَ إلّا رأسُهُ وأَكارِعُه(٢)

فدُونَكَ خُصْيَيْهِ وماضَمَّتِ اُسْتُهُ ، فإنَّكَ رَمَّامٌ خَبِيثٌ مَراتِعُهُ(٣)

قال : وسقَطَ البَعِيثُ بينهما .

* * *

٤٧٣ — ولجَّ الهِجاءُ نَحْواً من أَرْبعين سَنَةً ، لم يُغَلَّبْ واحدٌ منهما على صَاحِبه . ولم يَتَهاجَ شَاعِرَان فى الجاهليَّةِ ولا فى الإسْلام بِمِثْل ما تَهَاجَيا به . وأشعارُهما أَكثرُ من أنْ نأتِيَ عليها ، ولكنَّا نكتُبُ منها النَّادِرَ .

* * *

٤٧٤ — وقال الفرزدقُ لجريرٍ :

غَلَبْتُك بالمُفَقِّئِ والمُعَنَّى وبَيْتِ المُحْتَبِى والخَافِقَاتِ(٤)

---

(١) استطار فى صاحبه : هاج به ونشب فيه ، كما تستطير النار فى الشجر .

(٢) النقائض : ١٨٠ ، وقال : « فقال البعيث للفرزدق لما وقع الشر بينه وبين جرير ، وجعلا لا يلتفتان إلى البعيث ، ، فقال الناس : سقط البعيث ! » . والأكارع جمع كراع : وهو من قوائم الدواب ما دون الكعب ، المستدق من الساق ، العارى من اللحم ، وهو أخبث ما فيها ، والرأس لا خير فيها . يقول : أكلت لحم جرير ، فلم يبق لك إلا أخبثه ، فجئت لدناءتك تشاركنى فيما فرغت منه . ثم ذكر سائر خبائثه فى البيت بعده .

(٣) دونك : خذ . وفى المطبوعة « رماح » ، ولا معنى لها ، ورواية النقائض : « قمام » . والقمام : الكساح الذى يتقمم القمامة ، وهى الكناسة وما يلقى . والرمام : الذى يقش ما سقط من أخبث الطعام وأرذله ليأكله ، ولا يتوقى قذره . والمراتع جمع مرتع : حيث يرتع ، أى يرعى ويأكل .

(٤) ديوانه : ١٣١ ، والنقائض : ٧٧٤ ، وما يأتى فيها أيضاً .

« المُفَقِّئ » قوله :

وَلَسْتَ ، ولو فَقَّأْتَ عَيْنَكَ ، واجِداً أَبَاً لكَ ، إنْ عُدَّ المَسَاعِي ، كَدَارِمِ (١)
هُوَ الشَّيْخُ وابْنُ الشَّيْخِ ، لا شَيْخَ مِثْلُه ، أَبُو كُلِّ ذِي بَيْتٍ رَفِيعِ الدَّعَائِمِ

و « المُعَنَّى » قوله :

وَإنَّكَ إذْ تَسْعَى لِتُدْرِكَ دَارِماً لأَنْتَ المُعَنَّى ـ يا جَرِيرُ ـ المُكَلَّفُ (٢)

و « المُحْتَبِي » قوله :

بَيْتاً زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشِعٌ وأَبُو الفَوَارِسِ نَهْشَلُ (٣)

و « الخافِقاتُ » قوله :

وأَيْنَ تُقَضِّي المالِكَانِ أُمُورَهَا بِخَيْرٍ ؟ وأَيْنَ الخَافِقَاتُ اللَّوَامِعُ ؟ (٤)

---

(١) ديوانه : ٨٦٢ والنقائض : ٧٤٥ . ودارم : جد الفرزدق . والمساعى جمع مسعاة : وهى مآثر أهل الشرف والفضل ، لسعيهم فيها ، كأنها مكاسبهم وأعمالهم التى أنصبوا فيها أنفسهم .

(٢) ديوانه : ٥٦٧ ، وانظر رقم : ٤٢٧ .

(٣) ديوانه : ٧١٤ ، والنقائض : ١٨٢ . زرارة بن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم ، من رهط الفرزدق . ومجاشع جده ، مجاشع بن دارم ، ونهشل بن دارم ، و « بيتاً » بدل من قوله :

إنَّ الذى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بيتاً دعائِمُهُ أعزُّ وأطْوَلُ

(٤) ديوانه : ٥١٨ ، والنقائض : ٧٠٠ . المالكان : مالك بن زيد مناة بن تميم ، ومالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . الخافقات : الرايات تخفق . واللوامع : التى تلمع ، أى تتحرك أمام الجيش فيراها ويجتمع إليها . يفخر عليه بقيادة الجيوش . وكان غالب (أبو الفرزدق) يسمى الجرار . والجرار : من قاد ألف فارس فى الحرب ، فإن لم يقد ألف فارس فليس بجرار ، انظر النقائض ٩٨ ، ٢٦٤ .

٤٧٥ — فقال جرير :

أَقَيْنَ بْنَ قَيْنٍ، لا يَسُرُّ نِسَاءَنا ... بِذِى نَجَبٍ أَنَّا أُدَّعِيْنَا لِدَارِمِ (١)

هُوَ القَيْنُ وابْنُ القَيْنِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ ... لِفَطْحِ المَسَاحِي أو لِجَدْلِ الأَدَاهِمِ (٢)

الجدْلُ : الفَتْلُ . والأَدَاهِمِ : الحِبَالُ (٣) . أخبرنا أبو خَلِيفة : كلُّ مَنْ كانَ فى عَمَلِه حَديدٌ فهو قَيْنٌ . بِذِى نَجَبٍ : يومَ التقَتْ بنو حَنْظَلة وبَنُو عَامر ، إلّا بَنِى مَالك بن حَنْظَلَةَ (٤) .

---

(١) ديوانه : ٥٥٨ ، والنقائض : ٧٦٦ . ادعى : انتسب . وذو نجب : موضع بديار بنى تميم . يفخر بهذا اليوم ، لأن يربوع – رهط جرير – أبلت يومئذ أحسن البلاء .

(٢) فى المطبوعتين «لفحص المساحى» ، ولا معنى لها هنا . فطح الحديدة وفطحها (بالتشديد) : سواها وعرضها لمسحاة أو معزق أو غيرهما . والمساحى جمع مسحاة : وهى المجرفة إلا أنها من حديد ، يسحى بها الطين عن وجه الأرض : أى يكشف ويقشر .

(٣) الأداهم جمع أدهم : وهو القيد ، سمى به لسواده . يقال إنه من خشب ، والأجود أن أن يقال : هو المتخذ من الحديد ، فلذلك تجىء صفته بالدهمة ، أى السواد . أما قوله : « الأداهم : الحبال » فليس بشىء . وغرر بابن سلام قوله « لجدل » والجدل للحبال . بل هو أيضاً للحديد إذا صنع : وذلك أن يضرب عرض الحديد حتى يدملج ، وتضرب حروفه حتى يستدير . ويتخذ عندئذ للقيود والدروع .

(٤) خبر ذى نجب فى النقائض : ٥٨٧ ، ١٠٧٩ . وفى الأصلين المطبوعين « يوم التقت بنو حنظلة وبنو عامر على بنى مالك بن حنظلة » وهو كلام فاسد . وخبر ذى نجب مرجح لما صححناه . فإن بنى عامر بن صعصعة أتوا حسان بن كبشة الكندى ، وكان ملكاً من ملوك اليمن ، فدعوه إلى أن يغزو معهم بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، فأقبل معهم بصنائعه ومن كان معه ، (والصنائع : طراد الأحياء الشداد يكونون مع الملوك ، وهم أتباع الملوك) . فلما أتى بنى حنظلة مسيره إليهم ، قال عمرو ابن عمرو بن عدس : يا بنى مالك (بن حنظلة) ، لا طاقة لكم بهذا الملك وما معه من العدد ، فخفوا من مكانكم هذا ! فتحولت بنو مالك حتى نزلت خلف بنى يربوع بن حنظلة ، وصارت بنو يربوع يلون بنى عامر والملك . فلما رأت بنو يربوع ما صنع إخوتهم بنو مالك ، استعدوا وتقدموا ، فالتقوا فاقتتلوا . فهزمت بنو عامر ، وأسر الملك ، وظفرت بمجد هذا اليوم بنو يربوع .

* * *

٤٧٦ — (١) قال ابن سلَّام : وَاشْتَرى جريرٌ جاريةً من رجُل من أَهْلِ اليمامة ، يقال له زَيْد ، يُعْرف بابْن النجّار ، ففرِكَته وكَرِهت خُشُونَة عَيْشِه ، فقال :

تُكلِّفُنى مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ ، ومَنْ لِى بالمُرَقَّقِ والصِّنَابِ ! (٢)
وقالَتْ : لا تَضُمَّ كَضَمِّ زَيْدٍ ! وما ضَمِّى وليسَ مَعِى شَبَابِى !

فقال الفرزدق :

لَئِنْ فَرِكَتْكَ عِلْجَةُ آلِ زَيْدٍ وأَعْوَزَكَ المُرَقَّقُ والصِّنابُ (٣)
لَقِدْماً كان عَيْشُ أَبِيكَ جَدْباً يَعِيشُ بما تَعِيشُ به الكِلابُ (٤)

---

(١) رواه بنحو من لفظه المبرد فى الكامل ١ : ٩٠ ، وبغيره فى الأغانى ٨ : ٥٣ — ٥٤ . والنقائض : ٨٣٩ . وزاد أبو العباس ما ينبغى فقال : « وجعلت تحن إلى زيد » . وفى هامش النقائض « ابن النحار » بالحاء المهملة .

(٢) ديوانه : ٤٥ والمراجع السالفة . ويروى « ومن لى بالصلائق » جمع صليقة : وهى الخبزة الرقيقة (وهى الرقاق) ، والقطعة المشوية من اللحم . والصناب : صبغ يتخذ من الخردل يضرب بالزبيب ، يؤتدم به فيلون الخبز ويصبغه ، فيشهى به الطعام .

(٣) ديوانه : ١٢٥ والمراجع السالفة . فركت المرأة زوجها : أبغضته وكرهته ، ولا يكاد يقال ذلك فى غير الزوجين . والعلجة مؤنث العلج ، والعلوج : هم كفار العجم ، كأنهم سموهم بذلك لجفائهم وغلظتهم . أعوزه الشىء : قل عنده مع حاجته إليه .

(٤) قدماً : قديماً ، أى منذ قديم ، ليس فقره بحادث . الجدب : القحط والمحل ، وأضافه إلى العيش ، كأنه يقول : لا عيش لكم ، إلا ما يعيش به المرملون فى زمن الجدب . ويروى « عيش أبيك مراً » . وليست بشىء . وفى النقائض : « قال أبو عبد الله : الرواية : بعيش ما تعيش به الكلاب » . وهى رواية أوجع .

* * *

٤٧٧ — [1] أخبرنا أبو خَلِيفة ، أخبرنا ابنُ سلّام ، حدثنى حَاجب بن زَيْد وأبو الغَرَّاف قالا : تزوَّج الفرزدقُ حذْراءَ بنت زِيق بن بِسْطام بن قَيْس [بن مَسْعود بن قَيْس بن خَالد بن ذِى الجَدَّين – وهو عبد الله – بن عمرو بن الحارث بن هَمَّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شيبان] – على حكم أبيها ، فاُحْتَكَمَ مِئةً من الإبلِ . فدَخَل على الحجَّاج فعذَله وقال : تزوَّجْتَها على حُكْمِها [وحكم أبيها مئة بَعير ! وهى نصرانيَّةٌ ! وجئتنا متعرِّضاً أن نَسوقها عنك ! اُخرُجْ ، مالك عندنا شيء] . فقال عَنْبَسَةُ بن سَعيد ، وأرادَ نَفْعه : [أيُّها الأمير] ! إنّما هِىَ من حَوَاشِى إبِل الصَّدَقة ! فأمرَ له بها الحجَّاج ، فوثَبَ عليه جريرٌ فقال :

يا زِيقُ ! قد كُنْتَ مِنْ شيْبَان فى حَسَبٍ !
يا زِيقُ وَيحَكَ ! منْ أنكَحْتَ يا زِيقُ ؟ ! [2]
أَنْكَحْتَ وَيْلَكَ قَيْناً باُسْتِهِ حُمَمٌ !
يَا زِيقُ ويْحَكَ ! هل بارَتْ بك السُّوقُ ؟ [3]

---

(١) رواه أبو الفرج فى الأغانى ٨ : ٨٥ ، ٩ : ٣٣٥ . وفى المطبوعتين : « حاجب بن يريد » ، ثم انظر رقم : ٤٨٣ .

(٢) ديوانه : ٣٩٤ ، والنقائض : ٨١٨ ، والمراجع السالفة آنفاً .

(٣) الحمم (بفتحتين) : السواد . والحمم (بضم ففتح) ، جمع حمة : وهو الفحم الأسود . بارت السوق : كسدت . يقول : ألم تجد فى بنى شيبان من ذى حسب يتزوجها ، فبارت سوقها ، فزوجتها هذا القين ؟

غابَ المُثنَّى فلَمْ يَشْهَدْ نَجِيَّكُمَا
والحَوْفَزانُ ، ولم يَشْهَدْكَ مَفْرُوقُ[١]

يا رُبَّ قائلةٍ ، بعدَ البِنَاء بها :
لا الصِّهرُ راضٍ ، ولا ابنُ القَيْنِ مَعْشُوقُ[٢]

أينَ الألَى اسْتَنْزَلُوا النُّعْمانَ ضَاحِيَةً ؟
أمْ أينَ أبناءُ شَيْبانَ الغَرانِيقُ ؟[٣]

٤٧٨ — [قال : فلم يُجِبْهُ الفرزدقُ ، فقال جرير أيضاً][٤] :

---

(١) المثنى بن حارثة الشيبانى ، أول من حارب الفرس زمن أبى بكر رضى الله عنهما ، وقوض عرش كسرى . ومفروق (واسمه الحارث) بن الصلب (واسمه عمرو) بن قيس بن شراحيل بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان . من سادات بنى شيبان . وابن أخيه الحوفزان ، واسمه الحارث بن شريك بن الصلب . من سادات شيبان . وربما أراد مفروق (واسمه النعمان) بن عمرو الأصم بن قيس بن عامر بن عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان . وهو من الفرسان والسادة . الجمهرة : ٣٠٥ ، ٣٠٧

(٢) الصهر : أهل بيت المرأة .

(٣) يروى « أين الألى أنزلوا » . أنزله واستنزله بمعنى واحد ، أضافه فى منزله . والضاحية : البارزة من البلاد ، أراد بها أرضاً لا حائط عليها . وإنما عنى « الأبلة » ، وكان كسرى أطعمها قيس بن مسعود الشيبانى جد زيق . وعنى فى الشطر الأول رهط هانىء بن قيس بن مسعود الشيبانى ، وذلك أن عدى بن زيد الشاعر كان قد كاد للنعمان بن المنذر ملك العرب عند كسرى ملك الفرس ليثأر منه ، فلما بلغ ما أراد ، وأتى النعمان كتاب كسرى بالقدوم عليه ، لفظته الأرض ، وطار فى القبائل يستجير ، فلم يجره غير هانىء بن قيس بن مسعود الشيبانى ، (انظر الأغانى ٢ : ١٢٢ — ١٢٧ ، ٢ : ١٣٢) ولست أدرى من عنى بالغرانيق من شيبان ، وأظن أنه عنى بنى محلم بن ذهل بن شيبان ، كأنى قرأته ثم أنسيته . والغرانيق جمع غرنوق : وهو الشاب التام الممتلىء الناعم .

(٤) هذا نص ما فى الأغانى . ولكن أبا عبيدة فى النقائض قال : « فأجابه الفرزدق فقال :

إنْ كانَ أنفُكَ قد أعْياكَ مَحْمِلُهُ فاركَبْ أتانَكَ ثم اُخْطُبْ إلى زيق »

وهو بيت مفرد ، كما ترى .

فَلاَ أَنا مُعْطِي الْحُكْمِ عن شِفٍّ مَنْصِبٍ ... ولا عَنْ بَنَاتِ الْحَنْظَلِيِّينَ رَاغِبُ (١)

وهُنَّ كَماءِ الْمُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى، ... وكانتْ مِلاحًا، غَيْرَهُنَّ، الْمَشارِبُ (٢)

فلو كُنْتَ حُرًّا كان عَشْرٌ سِيَاقَكُمْ ... إلى آلِ زِيقٍ، والوَصِيفُ الْمُقارِبُ (٣)

٤٧٩ — فقال الفرزدق :

فَنَلْ مِثْلَها مِنْ مِثْلِهِمْ ثم لُمْهُمُ ... عَلَى دَارِمِيٍّ بين لَيْلَى وغَالِبِ (٤)

هُمْ زَوَّجُوا قَبْلِى لَقِيطًا، وأَنْكَحُوا ... ضِرَارًا، وهُمْ أَكْفاؤُنا فى المَنَاسِبِ (٥)

---

(١) ديوانه : ٤٢ ، والنقائض : ٨٠٧ ، والمراجع السالفة . الحكم هنا : يعنى حكم حدراء وزيق أن يسوق إليها مئة من الإبل . والشف : النقصان . والمنصب : الأصل والمنبت والمحتد . والحنظليون : بنو حنظلة ، سلف جرير والفرزدق . يقول : لست كثلك مغموص النسب والأصل ، فأقبل مثل ما احتكمت حدراء وأبوها ، ولا بى رغبة عن نساء قومى .

(٢) المزن جمع مزنة : وهى السحابة البيضاء . والصدى : العطش .

(٣) السياق : الصداق والمهر ، وإن كان دراهم ودنانير ، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل ، وهى التى تساق . وبين من هذا الخبر ، واستنكار الحجاج لسياق مئة من الإبل ، ومن شعر جرير ، أن الصداق يومئذ لم يكن يزيد على عشر من الإبل ووصيف لرعيتها . الوصيف : العبد الخادم . والمقارب : وسط بين الجيد والردئ ، ليس بالنفيس .

(٤) ديوانه : ١١٢ ، ١١٨ ، والنقائض : ٣١٥ ، والمراجع السالفة ، وانظر هذا رقم : ٤٣٨ ، وهو ملفق من بيتين فى رواية الديوان والنقائض :

فلو كُنْتَ منْ أَكفاءِ حَدْراءَ لم تَلُمْ ... على دارمىٍّ بين لَيْلى وغالِبِ

فَنَلْ مثلَها من مِثْلِهم ثم لُمْهُمُ ... بمالِكَ من مالٍ مُرَاحٍ وعازِبِ

دارمى : من بنى دارم ، يعنى نفسه . وليلى بنت حابس ، أخت الأقرع بن حابس الدارمى من رهط الفرزدق . وهى أم غالب بن صعصعة ، أبى الفرزدق .

(٥) لقيط بن زرارة من بنى عبد الله بن دارم ، وضرار بن عطارد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة . ولم أعرف من تزوجا من بنى شيبان .

ولوْ قَبِلوا مِنَّا عَطِيَّةَ سُقْتُهُ ... إلى آلِ زِيقٍ مِنْ وَصِيفٍ مُقارِبِ (١)

[ولوْ تُنْكِحُ الشمسُ النُّجومَ بَنَاتِها ... إذنْ لنكَحْنَاهنَّ قبلَ الكَواكِبِ] (٢)

٤٨٠ — (٣) أخبرنا أبو خليفة، أخبرنا ابن سلَّام قال: حدّثنى الزُّرَارىّ عن أبيه قال: ما كانت امرأةٌ من بنى حَنْظَلة إلا ترْفَع لجريرٍ اللَّوِيَّةَ فى عِكْمِها تُطْرِفُهُ (٤)، لقوله:

وهنَّ كَماءِ المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى ... [وكانت مِلَاحاً، غيرَهُنَّ المَشَارِبُ]

فقلت للزُّرَارىّ: ما اللَّوِيَّةُ؟ قال الشَّرِيحةُ من اللَّحم، [أو الفِدْرَةَ من التَّمْر]، أو الكُبَّة من الشَّحْم، أو الحَفْنَة من الأَقِطِ (٥)، فإذا كانت الصَّفَرِيَّة وذهبتِ الألبانُ [وضاقت المَعِيشة]، كانت طُرْفَةً عندهم (٦).

---

(١) عطية: أبو جرير. ساقه: دفعه فى مهرها وساقه مع الإبل. وقوله: «من وصيف» يعنى بدلا من وصيف، «من» للبدل كالتى فى قوله تعالى «ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون» وقوله سبحانه «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة».

(٢) هذا البيت زيادة من رواية أبى الفرج عن ابن سلام.

(٣) رواه أبو الفرج فى إثر الأخبار الماضية الأغانى ٨ : ٨٧. والزيادة بين الأقواس منه. فى المطبوعتين «الرازى» وهو خطأ، بل هو منسوب إلى زرارة، انظر رقم ٤٨٣ والتعليق عليه.

(٤) فى الأغانى «عظمها» وهو خطأ معرق. والعكم: نمط (وهو بساط يطوى) تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه ذخيرتها ومتاعها. أطرفه يطرفه: أعطاه شيئاً طيباً أو غريباً (طرفة) لم يملك مثله فأعجبه. وحق لهن أن يفعلن، فقد قدس ذكرهن.

(٥) فى المطبوعتين: «الشركة من اللحم»، وهو خطأ بين. والشريحة: القطعة من اللحم المرققة. والفدرة من التمر: الكعب، وهو الكتلة منه. والكبة: القطعة المجتمعة. وفى المطبوعتين «والحية من الأقط» وهو خطأ. والحفنة: ملء كف أو كفين من الطعام، ولا يكون إلا من شىء يابس، كالدقيق ونحوه. والأقط: شىء يتخذ من لبن الإبل، مخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل، وذلك أن يعلق الأقط فى وعاء من خوص، حتى يتميز عنه ماؤه ويقطر.

(٦) الصفرية: ما بين تولى القيظ إلى إقبال الشتاء، وعندئذ تقل الألبان.

٤٨١ — (١)وقال جرير :

أثائِرةٌ حَدْراءُ مَنْ جُرَّ بالنَّقا ؟ وهلْ لأَبي حَدْراءَ في الوِتْرِ طالِبُ ؟[٢]

أَتثأرُ بِسْطاماً إذا ابتلَّتِ اسْتُها، وقدْ بوَّلَتْ في مِسْمَعَيْهِ الثَّعالِبُ !![٣]

[قال ابنُ سلّام] : والنَّقا [الذى عَناه جريرٌ، هو] الموضعُ الذى قَتَلتْ فيه بنو ضَبَّة بِسْطاماً ، [وهو بِسطام بن قيس . قال : فكرِهَت بنو شيبان أن يهْتِكَ جريرٌ أعْراضَهم] ، فلما أراد الفرزدقُ [نقلَ حَدْراءَ] اعتلُّوا عليهِ وقالوا لهُ : إنّها ماتتْ .

٤٨٢ — فقال جرير :

فأقسمْتُ ما ماتَتْ، ولكنَّما الْتَوى بحَدْراءَ قومٌ لم يَرَوْكَ لها أهْلا[٤]

رَأَوْا أن صِهْرَ القَيْنِ عارٌ عليهمُ، وأنَّ لبِسْطامٍ على غَالبٍ فَضْلا[٥]

---

(١) رواه أبو الفرج أيضاً فى الأغانى ٨ : ٨٧ عن ابن سلام . والزيادة منه ، وقد رأيت نصه أجود فأثبته كله . وفى الأصلين المطبوعين « فلما أرادها الفرزدق اعتلوا عليه ، وقالوا : ماتت . وكرهوا أن يهتكوا أعراضهم » .

(٢) ديوانه : ٤٤ ، والنقائض : ٨١٢ . وخبر مقتل بسطام بن قيس الشيبانى فى النقائض : ١٩١ ، ٢٣٥ ، وكان الذى قتله عاصم بن خليفة الضبى ، وبنو ضبة أخوال الفرزدق ، فإن أمه هى : لينة بنت قرظة الضبية . ولم يثأر بنو شيبان من بنى ضبة لمقتل بسطام، فعيروا بذلك ، وعير جرير حدراء بنت زيق بن بسطام وزيق بن بسطام ، بتزويجهم الفرزدق ، وأخواله هم الذين قتلوا جد حدراء ووالد زيق .

(٣) يعير حدراء بزواجها ، وأنها آثرت مكانها من قاتل جدها ، على الثأر به ، فتركوه بموضع مهانة لا يبالى به أحد ، تبول عليه الثعالب ، لا كرامة له .

(٤) ديوانه : ٤٢٠ ، والأغانى ٨ : ٨٧ . التوىء بالشى : راوغ به كالمماطل أو الضنين .

(٥) الصهر : أراد المصاهرة ، صاهرت القوم : تزوجت فيهم . غالب : أبو الفرزدق .

٤٨٣ — [(١)]أخبرنا أَبو خليفة ، أخبرنا أَبن سلَّام ، قال : حدَّثني حاجبُ بن زَيْد بن شَيْبان بن عَلْقَمة بن زُرَارة قال : قال جريرٌ بالكوفة:

لقدْ قادَني من حُبّ مَاوِيَّةَ الهوَى ،
وما كُنْتُ أُلْقَى للجَنِيبَةِ أَقْوَدا[(٢)]

أُحِبُّ ثَرَى نَجْدٍ ، وبالغَوْرِ حاجةٌ ،
فغَارَ الهوَى ، يا عَبْدَ قَيْسٍ ، وأَنْجَدَا[(٣)]

أقولُ له : يا عَبْدَ قَيْس ، صَبابةً ،
بأَيٍّ تَرَى مُسْتَوْقِدَ النَّار أوْقَدَا ؟[(٤)]

---

(١) رواه أبو الفرج فى الأغانى ٨ : ٦١ ، وياقوت فى معجم البلدان (مروت) ٨ : ٣١ ، والسيوطى فى شرح شواهد المغنى : ٢٣٧ . « حاجب بن زيد » هكذا فى الأغانى أيضاً ، وقد مضى مرات انظر : ٤٧٧ ، ثم رأيت « يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة » ، أحد من قتلهم الحجاج لخروجه مع ابن الأشعث (الجمهرة : ٢٢١) ، ولم أعرف الصواب بعد . ثم انظر ما يأتى رقم : ٥٤٣ ، فى التعليق . وقد ذكره بنسبته فى رقم : ٤٨٠ ،فقال « الزرارى » .

(٢) ديوانه : ١٨٤ ، ١٨٥ والنقائض : ٤٧٩ وما بعدها . والمراجع السالفة . ورواية أخرى « وما كنت تلقانى الجنيبة » ، وأخرى « وما كان يلقانى . . . » وفى المطبوعتين « للحبيبة » ، وفى شرح شواهد المغنى « إلفاً للحبيبة » ، وهما خطأ . الجنيبة : الدابة تشد إلى جنب أخرى ، وجنب الفرس والأسير جنبا (بفتحتين) فهو مجنوب وجنيب : قاده إلى جنبه . وأرى أن جريراً استعمل « الجنيبة » بمعنى المصدر ، كالفضيلة والوقيعة والشبيبة . والأقود : الذليل المنقاد . ويقول : أطعت الهوى وانقدت له ، ولم أكن قبل ممن يذل وينقاد ويقهر لمن أراد أن يقودنى بقياد . ويقال : فرس طوع الجنب ، وطوع الجناب (بكسر الجيم) : إذا كان سهلا سلس القياد مطواعا لقائده وراكبه .

(٣) الغور : ما انخفض من الأرض ، خلاف النجد . وعنى تهامة لانخفاضها . وعبد قيس : رجل من بنى عدى بن جندب بن العنبر (النقائض : ٤٩١) ، وأظنه كان دليلا ، كما يظهر من شعره وشعر الفرزدق . وغار : نزل الغور . وأنجد : أتى نجداً . وهذا البيت ينبغى أن يكون آخر بيت فيما رواه ابن سلام ، لتمام المعنى به .

(٤) يسأله من فرط الصبابة والحنين إلى ماوية . وقوله « بأى » ، يعنى بأى مكان ترى نارها موقدة ، حتى نؤمها ونوجه إليها ركابنا ؟ ويجىء الجواب فى البيت التالى .

فقال : أُراها أُرِّثَتْ بوَقُودِها
بحيثُ اُستفاضَ الجزْعُ شِيحاً وغرْقدا(١)

فأعجبتِ النَّاسَ وتناشدُوها .

٤٨٤ — فحدثنى جابر بن جنْدَل قال : فقال [لنا] جريرٌ : أعجبتْكمْ هذه الأبياتُ ؟ قالوا : نعم ! قال : كأنَّكم بالقَيْنِ قد قال :

أعِدْ نظرًا يا عبدَ قيْسٍ ، فإنّما أَضاءتْ لكَ النَّارُ الحمارَ المُقيَّدا(٢)

فلم يَلبَثُوا أن جاءهم فى قوْلِ الفرزدقِ هذا البيت ، وبعدَه :

حِمارًا بمرُّوتِ السُّخامَةِ قاربَتْ وَظيفَيْهِ حوْلَ البَيْتِ حتّى تَرَدَّدا(٣)
كُلَيْبِيَّةً ، لم يجْعلِ اللهُ وَجْهَها كَريمًا ، ولم يَسْنَحْ بها الطَّيرُ أَسْعدا(٤)

---

(١) أراها (بالبناء للمجهول) : أظنها . وأرث النار : أوقدها وأذكاها . والوقود هنا : ما استطار من لهب النار . والجزع : منعطف الوادى ، حيث تكون له سعة تنبت الشجر . والشيح : نبات طيب الريح ، مر الطعم ، منابته القيعان والرياض . ترعاه الخيل . والغرقد : شجر عظام له شوك ، من العضاه . يقول له : إن النار التى أوقدت من قبل نجد ديار جرير ، فهناك منبت الشيح والغرقد . ويأتى بعد هذا البيت ، البيت الثانى من رواية ابن سلام ، وبها يتم المعنى . يقول له : أحب ثرى بلادى ، ولكن لى بالغور حاجة فى ماوية ، فغار بى الهوى وأنجد !

(٢) ديوان الفرزدق : ٢١٣ ، والنقائض : ٤٩١ ، والمراجع السالفة . يعير جريراً وقومه بنى كليب بأنهم أصحاب حمير ، ويضع من قدره ، إذ نسبه لرعية الحمير .

(٣) المروت : موضع انظر رقم : ٤٦٨ . والسخامة واحدة السخام : وهو من ريش الطائر ما كان ليناً تحت الريش الأعلى . أو السخام : الفحم والسواد . ولم أعرف لم سماه الفرزدق « مروت السخامة » ، إلا أن يكون على جهة الاستهزاء . وفى معجم ما استعجم : ٧٢٧ «مروت السحامة» بالحاء . والوظيف من كل ذى أربع : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق ، وحيث يوضع القيد من يديه . تردد : تراجع واحتبس .

(٤) سنحت الطير : أتت من عن يمين ، وهم كانوا يتفاءلون به فى الجاهلية . والأسعد جمع سعد : وهو اليمن ، ضد النحس . ويقال : يوم سعد ، وكوكب سعد ، وطائر سعد ، كله على الصفة لا الإضافة .

فتناشدَها الناسُ . فقال الفرزدقُ : كأنــكم بأبن المَراغة قد قال[١] :

وما عِبْتَ من نارٍ أضاء وَقُودُها فِراساً وبِسْطامَ بن قَيْسٍ مُقَيَّدَا[٢]

قال : فإذا هى قد جاءتْ لجرير [وفيها] هذا البيت ومعه :

فأوقَدْتَ بالسِّيدَانِ نارًا ذليلةً ، وأشهدتَ من سَوْآتِ جِعْثِنَ مَشْهَدا[٣]

* * *

٤٨٥ — قال : وأجتمعا عند سُلَيْمان بن عبدِ الملك وهو خَلِيفَةٌ ، وأُتِىَ بأَسْرَى من الرُّومِ[٤] —

— قال أبن سلّام : فأخبرَنى أبو يَحْيَي الضبيِّ قال :

---

(١) ابن المراغة : نبز ينبز به جرير . والمراغة : الأتان لا تمتنع من الفحول ، لقبه الأخطل بذلك كأنه يعنى : أن يتمرغ عليها الرجال . وقيل : لأن كليباً رهط جرير أصحاب حمر تتمرغ فى التراب . انظر رقم : ٥٧٠ .

(٢) ديوانه : ٤٨٤ والمراجع السالفة . فراس بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير ، وكان قد أسر مع بسطام بن قيس ، لما أسرته بنو يربوع ، انظر : ص : ١٥٣ . يتمجد بأسر بنى يربوع أشراف العرب .

(٣) السيدان : موضع كان للفرزدق فيه بئر عند كاظمة . وجعثن بنت غالب ، أخت الفرزدق. وكان أبوه غالب جاور طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى بالسيدان ، فكانت ظمياء بنت طلبة تتحدث إلى جعثن ، فاشتهى الفرزدق حديثها . وشغلت أخته ليلة ، فأخذ جلجلا كانت جعثن تصفق به لظمياء لتجىء ، فحركه فجاءت ظمياء لعادتها . فلما ارتابت بالفرزدق هتفت وعادت لرحلها . فتجمع فتيان من بنى منقر ، أحدهم عمران بن مرة بن المنقرى ، فاستخرجوا جعثن (أخت الفرزدق) من خبائها ، ثم سحبوها ليسمعوا بها . ولم يكن أكثر من ذلك . فجعل جرير يدعى باطلا على جعثن ، أن عمران بن مرة فجر بها . فكان جرير بعد يستغفر ربه مما قال لها ، وما رماها به من الكذب . وكانت جعثن امرأة مسلمة عفيفة ، إحدى الصالحات (النقائض : ٢٢٢ ، ٦٨٢) .

(٤) انظر النقائض : ٣٨٤ ، والأغانى ١٤ : ٨٣ ، والطبرى ٨ : ١٢٧ ، وما مضى رقم : ٤٣١ . مع اختلاف فى الرواية وبسط أوضح .

— وفى حرسه رجلٌ من بنى عبْسٍ (١)، قد علِم أن سيأمرُ أصحابه بضرب أعْناقِهم. فأتى الفرزدقَ، وذلك لسُوء أثره فى قيْس، فقال: إنَّ أميرَ المؤمنين حَرِىٌّ أن يأمرَ بضرْبِ عُنُقِ هٰؤلاءِ الأسْرَى، وهذا سيْفى يَكْفيك أن تُومِئَ به فيأتِى عَلَى ضَرِيبَتِه. وأتاه بسَيْفٍ كليلٍ كَهَام (٢)، فقال له الفرزدق: مِمَّنْ أنت؟ قال: من بنى ضَبَّةَ أخوالِك. وأمرَهُ سليمانُ بضرْب عُنُقِ بعضِهم، فتناولَ السيفَ من العَبْسىّ، ثم هزَّه فضرب به عُنُقَه، فما حَصَّ شَعْرةً، ولم يؤثِّرْ به أثرًا. فضحك سليمانُ والناسُ (٣). فقال: هذه ضربةٌ سيقُول فِيها هذا — يعنى جريرًا — وتقول فيها العرب، فقال:

فإن يَكُ سيْفٌ خانَ، أو قدرٌ أتَى ... لتأخيرِ نَفْسٍ حَتْفُها غَيْرُ شاهِدِ (٤)

فسَيْفُ بَنِى عَبْسٍ، وقد ضَرَبُوا به، ... نَبَا بِيَدَىْ وَرْقاءَ عن رأسِ خَالِدِ (٥)

كَذاكَ سُيوفُ الهِنْد تَنْبُو ظُباتُها، ... ويَقْطَعنَ أَحْيانًا مَناطَ القَلائِدِ (٦)

---

(١) وبنو عبس أخوال سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين.

(٢) الضريبة: ما ضربته بسيفك من حى أو ميت. كل السيف فهو كليل: لم يقطع لذهاب حده. كهام: لا يمضى فى الضريبة.

(٣) حص الشعر يحصه: حلقه.

(٤) ديوانه: ١٨٦، ٢١٢، والمراجع المذكورة آنفاً. وشاهد: حاضر. والحتف: الموت والأجل.

(٥) نبا السيف ينبو: لم يؤثر فى الضريبة ولم يقطع. ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسى، وخالد بن جعفر بن كلاب، وضربه ورقاء ضربات فلم يغن شيئاً، فى خبر مذكور.

(٦) مضى شرحه فى رقم: ٤٣١.

٤٨٦ — وقال جرير :

بسَيْفِ أبِى رَغْوَانَ ، سَيْفِ مُجاشِعٍ
ضَرَبْتَ ، ولم تضرِبْ بسَيفِ ابن ظالم[١]

ضربتَ به عندَ الإمامِ ، فأُرْعِشَتْ يَدَاكَ ، وقالوا : مُحْدَثٌ غيرُ صارِمِ[٢]

٤٨٧ — وقال :

أخْزَيتَ قَوْمكَ فى مَقامٍ قُمْتَه ، ووجدْتَ سيفَ مُجَاشِعٍ لا يَقْطَعُ[٣]

٤٨٨ — وقال الفرزدق :

فَهَلْ ضَرْبة الرُّومِىِّ جاعلةٌ لكُم أبًا عن كُلَيْبٍ أوأبًا مِثْلَ دَارِمِ ؟[٤]

ولا نَقْتُلَ الأَسْرَى ، ولكنْ نَفُكُّهُمْ إذا أَثْقَلَ الأعْنَاقَ حَمْلُ المَغَارِمِ[٥]

٤٨٩ — وقال اللَّعِينُ :

سَأَحْكُمُ بينَ كَلْبِ بنِى كُلَيْبٍ ، وبَيْنَ القَيْنِ قَيْنِ بَنِى عِقَالِ[٦]

---

(١) ديوانه : ٥٦٣ ، والنقائض : ٤١٣ . أبو رغوان : كنية مجاشع بن دارم جد الفرزدق ، لقب به لأنه كان خطيباً سليطاً ، له بيان ولسان يرغو إذا خطب كما يرغو البعير . وابن ظالم : هو الحارث بن ظالم المرى كان من فتاك العرب ، قتل بخالد بن جعفر بن كلاب ، وهو إذ ذاك نازل على النعمان بن المنذر بن ماء السماء .

(٢) المحدث : الحديث العهد ، والسيوف تمدح بالعتق والتجريب .

(٣) ديوانه : ٣٤٤ ، والنقائض : ٩٦٧ .

(٤) ديوانه : ٨٥٨ ، والنقائض ٣٨٣ . ضربة الرومى : يعنى الرومى الذى أمره سليمان بضرب عنقه . « أبا عن كليب » يعنى : بدلا من كليب ، جد جرير .

(٥) المغارم جمع مغرم : وهو الدين المثقل فى الحمالة ، وهو حمل دية القتيل غرامة .

(٦) هو اللعين المنقرى ، منازل بن ربيعة . وعمته ظمياء التى ذكرناها فى خبر جعثن رقم : ٤٨٤ ، وانظر الشعر فى الوحشيات رقم : ٨٥ ، والحيوان ١ : ٢٥٦ ، والخزانه ١ : ٥٣١ وغيرها . عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، جد الفرزدق .

فَإن الكَلْبَ مَطْعَمُه خَبيثٌ ، وإنّ القَيْنَ يعمَلُ فى سَفَالِ (١)

وقَدْ حَسَرَ البَعيثُ وأقْعَدَتْه لَئِيماتُ المَنَاخِرِ والسِّبَالِ (٢)

ويَتْرُكُ جَدَّه الخَطَفَى جَرِيرٌ ، ويَنْدُبُ حَاجِباً وَبَنِى عِقَالِ (٣)

قال ابن سلّام : وسَمِعتُ يونس يقول : فلم يَلْتَفِتَا لِفْتَهُ ، وأَرادَ أَنْ يذكُراه فيَرْفَعه ذلك ، فقال :

فمَا بُقْيَا عَلَيَّ تَرَكْتُمَانى ، ولكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النِّبَالِ (٤)

٤٩٠ — وقال الصَّلَتَانُ العبْدِيُّ :

ألا إنّما تَحْظَى كُلَيْبٌ بشِعْرِها ، وبالمجْدِ تَحْظَى نَهْشَلٌ والأَقَارِعُ (٥)

أنا الصَّلَتَانِيُّ الّذِى قَدْ عَرَفْتُمُ ، متَى مَا يُحَكَّمْ فهُوَ بالحُكْمِ صَادِعُ (٦)

---

(١) السفال : نقيض العلاء ، كالسفالة : النذالة .

(٢) حسر : أعيى وكل وتعب . يشير إلى انقطاعه لما وقع بين ماضغى جرير . السبال جمع سبلة (بفتحتين) : وهى مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر . يقول : لم يطق الانتصاب لجرير ، فقعد به لؤم آبائه . ونسب اللؤم إلى المناخر والسبال ، لأنه منها يتفرس عتق المرء وخساسته .

(٣) يعنى حاجب بن زرارة ، وبه كان يفخر الفرزدق . ندب الميت مدحه وأبنه . ولم أعرف ما أراد اللعين .

(٤) أبقى عليه بقيا : أشفق عليه ورحمه . صرد السهم يصرد صرداً (بالتحريك) : نفذ حده من الرمية ، يقول : خفتما وقع نبالى فيكما ، فأظهرتما ترك الهجاء .

(٥) رواها القالى فى أماليه ٢ : ١٤١ ، والشعر والشعراء : ٤٧٥ والخزانة ١ : ٣٠٥ . وهذا البيت فى جوف القصيدة ، وأولها الذى يليه . وبنو نهشل بن دارم ، أخوة بنى مجاشع بن دارم ، رهط الفرزدق . والأقارع : الأقرع بن حابس المجاشعى وأخوه مرثد بن حابس ، (الفيروزبادى) ، وقال أبو عبيدة ، « أخوه فراس » (النقائض : ٢٥٧) . وفى الاشتقاق : ١٤٦ : « واسم الأقرع فراس » ، ويقال : اسمه : الحصين . والأقرع وأخوه من رهط الفرزدق .

(٦) صدع بالحق : تكلم بها جهاراً وشق به الباطل ، من الصدع : وهو الشق .

أَتَتْنِي تَمِيمٌ، حينَ هابَتْ قُضَاتُها، فهلْ أَنْتَ للفصْلِ المُبَيِّنِ سَامِعُ ؟(١)

قَضَاءَ امْرِئٍ لا يَرْهَبُ الشَّتْمَ منكمُ وليسَ لَهُ في الحُكْمِ منكمْ مُنازِعُ(٢)

فَمَا رَجَعَ الأعْشَى قَضِيَّةَ عامِرٍ، وَمَا لِتَمِيمٍ في قَضَائِي رَاجِعُ(٣)

فَإِنْ يَكُ بَحْرُ الحَنْظَلِيِّينَ وَاحداً فما تَسْتَوِي حِيتانُهُ والضَّفَادِعُ(٤)

فَيَا شَاعِراً لا شاعِرَ اليومَ مِثْلُه، جَرِيرٌ، ولكنْ في كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ(٥)

وَيَرْفَعُ مِنْ شِعْرِ الفرزْدَقِ أَنَّه يَنُوءُ بِحَيٍّ للخَسِيسَةِ رَافِعُ(٦)

يُناشِدُنِي النَّصْرَ الفَرَزْدَقُ بعدَما أَلَحَّتْ عليه من جَرِيرٍ صَوَاقِعُ(٧)

فلم يَرْضَ واحدٌ منهما قولَه. فقال الفرزدقُ: أَمَّا الشَّرَفُ فقد عَرَفَه، وأَمَّا الشعر، فما لِلبَحْرَانِيِّ والشِّعْرِ؟!(٨)

---

(١) فى المطبوعتين «للفضل». وليس بشىء. وسائر الروايات: «وإنى لبالفصل المبين قاطع»، ثم يروى بعد ذلك بيت لم يرد هنا، هو:

سأقضى قَضَاءً بينهم غير جائرٍ فهل أنتَ للحكم المبيِّنِ سامِعُ ؟

(٢) يروى: «وليس له فى المدح منكم منافع»

(٣) هذا خبر أشهر منافرة فى الجاهلية، بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب (الأغانى ١٥ : ٥٠). وقصيدة الأعشى فى الحكم بينهما فى ديوانه : ١٠٤. والقضية: القضاء.

(٤) الحنظليون: بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة، وجرير والفرزدق كلاهما ينتهى إلى حنظلة. هما أبناء عمومة.

(٥) جرير: خبر لمبتدأ محذوف، هو جرير. وبعد هذا بيت يتممه

جَرِيرٌ أشدُّ الشاعِرَيْنِ شكيمةً ولكنْ عَلَتْهُ الباذِخاتُ الفوارعُ

عنى بالباذخات الفوارع: أبنية مجد بنى مجاشع وبيوتاتهم.

(٦) ناء بحمله: نهض بجهد ومشقة. ويروى «ينوء ببيت» (النقائض: ١٠٥٠). يقول: له نسب يرفع الخسيس.

(٧) الصواقع جمع صاقعة: وهى الصاعقة. وهذه لغة تميم، على القلب.

(٨) البحرانى: نسبة إلى البحرين، وهى منازل عبد القيس، التى منها الصلتان.

٤٩١ — وقال جرير :

أقولُ ، ولَمْ أمْلِكْ سَوَابِقَ عَبْرَةٍ :
مَتَى كَانَ حُكْمُ اللهِ فى كَرَبِ النَّخْلِ (١) ؟

٤٩٢ — فقالَ الصَّلَتَانُ :

أَعَيَّرْتَنا بالنَّخْلِ أَنْ كانَ مالَنا ! لَوَدَّ أَبُوكَ الكَلْبُ لَوْ كانَ ذا نَخْلِ (٢)

٤٩٣ — فاعتَرَضَه خُلَيْد عَيْنَيْن ، من أهْلِ هَجَر ، فقال :

وأىُّ نَبِىٍّ كانَ فى غَيْرِ قَرْيَةٍ ؟
وما الحُكْمُ ، يا ابْنَ اللُّؤْمِ ، إلاَّ مع الرُّسْلِ (٣)

٤٩٤ — وقال جرير :

فَخَلِّ الفخْرَ يا ابْنَ أَبِى خُلَيْدٍ ، وَأَدِّ خَرَاجَ رَأْسِكَ كُلَّ عامِ (٤)

---

(١) ديوانه : ٤٢٩ ، وهذا رقم : ٥٦٣ . كرب النخل : أصول السعف الغلاظ العراض التى تيبس فتصير مثل الكتف ، واحدتها كربة . وعيره بذلك ، لأن بلاد عبد القيس ، هى بلاد النخل ، يقول : هم أهل نخل لا أصحاب شعر وحكمة .

(٢) سمط اللآلىء : ٧١٦ ، والحيوان ١ : ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، وهذا رقم : ٥٦٧ منسوباً لغيره .

(٣) المراجع السالفة . وهذا رقم : ٥٦٤ . عينين : بلدة بالبحرين ، إليها أضيف خليد ، وهو من بنى عبد الله بن دارم ، عمومة الفرزدق ، وسكنوا البحرين ، فكان منهم المنذر بن ساوى صاحب هجر . يشير إلى إرسال الله سبحانه رسله فى أهل القرى .

(٤) ديوانه : ٥٦٦ وهذا رقم : ٥٦٥ . وقوله « وأد خراج رأسك » يعنى الجزية . وكان فى أرض هجر مجوس ويهود ، ونصرانية عبد القيس ، فأشار جرير إلى ذلك . (انظر ابن سعد ١/٢ : ١٩ ، ٥٤) . وأيضاً ، لأنهم كانوا أهل زرع يؤدون الخراج كما سيأتى فى الذى يليه . وسيأتى رقم ٤٩١ — ٤٩٤ ، مكرراً فى رقم : ٥٦٣ — ٥٦٧ مع بعض الاختلاف فى الرواية والنسبة .

لَقَدْ عَلِقَتْ يَمِينُكَ رَأْسَ ثَوْرٍ ، وَمَا عَلِقَتْ يَمِينُكَ بِاللِّجَامِ (١)

* * *

٤٩٥ — (٢) أَخْبَرَنا أبو خَلِيفة ، أخبرنا أبنُ سلّام قال : حدّثنى أبُو الغرَّاف قال : قال الحجَّاج لهُما — وهو فى قَصْره بحَزِيزِ البَصْرة — : أْئتيانِى فى لِباسِ آبائِكُما فى الجاهليَّة . فجاءَ الفرزدقُ وقد لَبِس الدِّيباجَ والخزَّ وقعدَ فى قُبَّةٍ (٣) . وشاوَرَ جريرٌ دُهاةَ بنى يَرْبُوع فقالوا : ما لِباسُ آبائِنا إلاَّ الحديدُ . فلبس جريرٌ درعاً ، وتقلّدَ سيفاً ، وأخذَ رُمحاً ، وركبَ فرسًا لعبَّادِ بن الُحصَيْن يقال له : المِنْحازُ (٤) ، [وأقبلَ] فى أَربعينَ [فَارِسًا] من بنى يَرْبُوع ، وجاء الفرزدق فى هَيْئَته . فقال جرير :

لَبِستُ سِلاَحِى ، والفرزْدَقُ لُعْبَةٌ عليهِ وِشَاحَا كُرَّجٍ وجَلاَجِلُهُ (٥)

---

(١) يعنى معاناته الزرع والحرث ، لا يعرف قتالا ولا جهاداً ولا غزواً . علقه وعلق به : نشب فيه ، وأراد الإمساك به .

(٢) رواه أبو الفرج فى الأغانى ٨ : ٧٦ ، والزيادات منه . وذكرها بغير هذا اللفظ فى النقائض : ٣٢٠ ، ٦٢٤ ، ٦٥٠ . وفى المطبوعتين «بجزيرة البصرة» ، خطأ . والحزيز (غيرمضاف) هو الموضع الذى بين العقيق وأعلى المربد بالبصرة ، مشرف ، حجارته رخوة ، وبه سميت البصرة . والحزيز فى الأصل : مكان تكثر حجارته وتغلظ ، ثم ينقاد .

(٣) القبة : خباء من أدم (جلد) يكون للملوك والأشراف .

(٤) عباد بن الحصين الحبطى ، من بنى الحارث بن عمرو بن تميم ، وهم الحبطات . كان فارس بنى تميم فى دهره غير مدافع . وفى الأصل : « يقال له : المجاز » وهو خطأ .

(٥) ديوانه : ٤٨٢ ، والنقائض : ٦٥٠ . اللعبة : الأحمق الذى يسخر به ويلعب . وأصله من اللعبة ، وهى الدمية التى يلعب بها . والوشاح : سير من أديم عريض ، يرصع بالجواهر ، وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها . والكرج : لعبة تتخذ مثل المهر يلعب عليه . وقال أبو عبيدة فى النقائض ٦٢٠ ، ٢٤٦ : « هو الخيال الذى يلعب به المخنثون » . وقد جاء لعب المخنثين به فى الروض الأنف ٢ : ٣٠٤ فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى عهد عمر . والجلاجل جمع جلجل : وهو الجرس الصغير يعلق فى أعناق الدواب وغيرها .

أَعِدُّوا مع الخزِّ المَلاَبَ ، فإنّما جَرِيرٌ لكم بَعْلٌ وأَنتُمْ حَلاَئِلُهْ(١)

ثم رجعا . فوقف جريرٌ فى مَقْبُرَة بنى حِصْن(٢) ، ووقف الفرزدقُ فى المِرْبد .

٤٩٦ — فأخبرنى أَبى عن محمّد بن زِياد قال : كنتُ أَخْتَلِفُ بَيْنهما يومَئِذٍ ، فكأَنّ جريرًا كان يومَئِذٍ أَظْفَرَهُما(٣) .

٤٩٧ — (٤)أَخْبرنا أَبو خَلِيفة ، أَنبأَنا أَبن سلَّام ، قال : حدثنى شُعَيب بن صَخْر ، عن هٰارون بن إبراهيم قال : رأيتُهُما فى مَسْجِد دِمَشْق ، والفرزدقُ فى عِصَابَةٍ من خِنْدِف ، والنَّاسُ عُنُق على جريرٍ — قَيْسٌ ومَوَالِى بَنِى أُمَيَّة — وهم يُسَلِّمونَ عليه [ويسألونَهُ] : يا أَبا حَزْرَةَ(٥) ، كيف كنتَ فى مَسِيرِك ؟ وذلك لمديحهِ قَيْسًا وقولهِ فى العَجَم :

---

(١) الخز : الحرير الذى كان يلبسه الفرزدق . والملاب : هو الزعفران بعد أن يتخذ طيباً وخلوقاً . والملاب من زينة العروس . وانظر ص ٢٦ رقم ٩ . والحلائل جمع حليلة : وهى الزوجة .

(٢) انظر ما سيأتى فى التعليق على رقم : ٦٩٠ .

(٣) رواية أبى الفرج : « كنت أختلف إلى جرير والفرزدق ، وكان جرير يومئذ كأنه أصغرهما فى عينى » . وأظن أن رواية الطبقات أجود ، ولم أستطع الترجيح ، فكلتاهما صحيحة المعنى .

(٤) رواه أبو الفرج عن أبى زيد عمر بن شبة ، عن شعيب بن صخر . ثم قال : « وأخبرنى بهذا الخبر أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، عن شعيب بن صخر ، فذكر نحواً من حكاية أبى زيد ، إلا أنها أتم من حكاية ابن سلام » . والزيادة بين القوسين من الأغانى ، لأن المعنى يقتضيها .

(٥) خندف : يعنى بنى اليأس بن مضر ، مدركة وطابخة ، ومنهما تفرعت قواعد العرب الكبرى . وقيس : هم بنو قيس عيلان بن مضر ، من قواعد العرب أيضاً . ويقال : الناس عنق على فلان ، أى جماعات متتابعة عليه ، كأنها عنق واحد فى اجتماعها وسيرها . وشبيه به : «الناس إلب عليه» : مجتمعون متألبون . وأبو حزرة : كنية جرير ، كنى بولده : حزرة بن جرير ، وهو بكره (انظر رقم : ٥٣٢) .

فيَجْمَعُنا والغُرَّ أَوْلاَدَ سَارَةٍ   أَبٌ ،لاَ نُبَالى بَعْدَه مَنْ تعَذَّرَا(١)

٤٩٨ — قال أَبو خَليفة : سمعتُ عُمارة [بن عقِيل] بن بِلالٍ يقول : وافتْهُ فى يَوْمه مئة حُلَّةٍ من بَنِى الأَحْرَارِ(٢) .

٤٩٩ — أَنبأنا أَبو خَلِيفة ، أَنبأنا أُبن سَلّام ، حدثنى أَبو اليَقْظان ، أخبرنا جُوَيْرِية بن أَسماء قال : قلت لنُصَيْبٍ ، مَوْلَى عبد الملك : يا أَبا مِحْجَن ، من أَشعرُ النَّاس ؟ فقال أَخو بَنى تميم . قلت : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : أنا . قال : قلتُ : ثم مَنْ ؟ قال : أبنُ يَسَار النسَائِى . فلَقيتُ إسْماعيل بن يَسار النِّسَائِىّ فقلت يا أبا فَائد ، من أشعر النّاس ؟ قال : أخُو بَنى تَمِيم . قلت : ثمَّ مَنْ ؟ قال : أنا . قلتُ : ثم مَنْ ؟ قال : نُصَيبٌ . قلتُ : إنكُما لتَتَقارضَانِ الثَّناء ! قال : وما ذاك ؟ قال : [قلتُ] : سَأَلتُه فقال فيك مثل ما قلتَ فيه ! قال : إنه واللهِ شاعِرٌ كَرِيمٌ .

---

(١) ديوانه : ٢٤٣ ، والنقائض : ٩٩٤ ، قال : « وقال جرير يمدح هلال بن أحوز المازنى ، ويفخر بأبناء إسماعيل وإسحق ، ويهجو الفرزدق وطهية » . تعذر : تأخر . قال ابن جرير فى تاريخه ١ : ١٩٥ « وقد زعم بعض أهل الأخبار أن منوشهر هذا (ملك فارس) هو منوشهر بن منشخرنر بن إفريقس بن إسحق بن إبراهيم ، وأنه انتقل إليه الملك بعد أفريذون . . . واستشهد لحقيقة ذلك بأبيات لجرير بن عطية ، وهو قوله . . . » ثم أنشد أبياتاً من القصيدة فيها هذا البيت . فأولاد سارة هنا : هم العجم . وسارة امرأة أبينا إبراهيم رحمة الله وبركاته عليه .

(٢) الأغانى ٨ : ٦٥ . بنو الأحرار : الفرس . قال ابن الشجرى فى أماليه ١ : ١٧٤ : « سميت فارس : الأحرار ، لأنهم خلصوا من سمرة العرب ، وشقرة الروم ، وسواد الحبشة . وكل خالص فهو حر . وطين حر : لا رمل فيه » . وقال السهيلى فى الروض الأنف ١ : ٥٥ ، « وقولهم لفارس : الأحرار ، لأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا ، من عهد جيومرث (وهو آدم عند الفرس) إلى أن جاء الإسلام ، لم يدينوا لملك من غيرهم ، ولا أدوا الإتاوة لذى سلطان من سواهم ، فكانوا أحراراً لذلك » . ونعم النعت ! ليتنا بقينا أحراراً لم تخضع أعناقنا لعدو أذلنا !

ولا اظُنُّه إلاَّ بَدأ بابْن يَسَارٍ قبل نُصَيْب(١) .

* * *

٥٠٠ — قال ابن سَلّام : ومما قال جرير من الأبْيات المُقلَّدة قوله(٢) :

وَلَيْسَتْ لسيفى فى العِظَام بَقِيَّةٌ

وللسَّيْفُ أشْوَى وَقْعَةً من لِسَانِيا(٣)

٥٠١ — وقوله :

لا يَلْبَثُ القُرَنَاءُ أن يَتَفرَّقُوا ليلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمُ ونَهارُ(٤)

٥٠٢ — وقولُه :

زَعَم الفرزْدقُ أن سيَقْتُلُ مَرْبعاً ! أَبْشِرْ بطُولِ سَلامَةٍ يا مَرْبَعُ(٥)

٥٠٣ — وقوله :

أَلسْتُم خَيْرَ من رَكِبَ المَطَايا وأَنْدَى العَالَمِين بُطُونَ رَاحِ(٦)

---

(١) إسماعيل بن يسار النسائى ، نسب إلى النساء ، لأن أباه كان يكون عنده طعام العرسان مصلحا أبداً ، فمن طرقه وجده عنده معدا . وقيل : لأنه كان يبيع النجد والفرش التى تتخذ للعرائس . (انظر الأغانى ٤ : ٤٠٨) . وكان إسماعيل من موالى بنى تيم بن مرة من قريش ، وكان شعوبياً شديد العصبية على العرب .

(٢) المقلدة : انظر تفسيرها فى رقم : ٤١٩ . وانظر أيضاً ذكر المقلدات عن ابن سلام فى الموشح : ١١٧ ، وهذا ص : ٣٠٥ ، التعليق رقم : ١ .

(٣) انظر رقم : ٤٦٣ .

(٤) ديوانه : ٢٠١ ، والنقائض : ٨٥١ . القرناء جمع قرين : وهو الصاحب الذى يقترن بك . كر يكر : مر ورجع مرة بعد مرة .

(٥) ديوانه : ٣٤٨ ، والنقائض : ٩٧٤ . مربع : لقب وعوعة ، أحد بنى أبى بكر بن كلاب ، كان رواية لجرير . وكان نفر بأبى الفرزدق ، فيقال إنه مات فى تلك العلة ، فحلف الفرزدق ليقتلنه ، فقال جرير ذلك تكذيباً للفرزدق ، وأنه أذل من أن يقتله . وفى الجمهرة : ٢٦٦ « مربع بن وعوعة بن سعيد بن قرط بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب » .

(٦) انظر رقم : ٤٦١ .

٥٠٤ — وقوله :

لا يَأْمَنَنَّ قَوِىٌّ نَقْضَ مِرَّته ، إنِّى أرَى الدهْرَ ذَا نَقْضٍ وَإمْرارِ (١)

٥٠٥ — وقوله :

أنَا البَازِى المُطِلُّ عَلَى نُمَيْرٍ ، أُتِيحَ مِنَ السَّماءِ لَهَا انْصِبَابَا (٢)

٥٠٦ — وقوله :

وَإنِّى لَعَفٌّ الفَقرِ مُشْتَرَكُ الغِنَى ،

سَرِيعٌ ، إذا لم أرْضَ دَارِى، انْتِقَالِيَا (٣)

٥٠٧ — وقوله :

يُحَالِفُهُمْ فَقْرٌ قَدِيمٌ وذِلَّةٌ ، وبِئْسَ الخَلِيطَانِ: المَذَلَّةُ والفَقْرُ (٤)

فَصَبْرًا عَلَى ذُلٍّ رَبِيعَ بْنَ مالكٍ ، وكلُّ ذَلِيلٍ خَيْرُ عَادَته الصَّبْرُ (٥)

---

(١) ديوانه : ٣١٠ ، ونقائض جرير والأخطل : ١٤٠ . المرة : القوة والشدة والعزيمة ، من مرة الحبل : وهى طاقته التى عليها يفتل . وإمرار الحبل : فتله فتلا محكماً . والنقض : نكث الحبل بعد فتله .

(٢) ديوانه : ٧٢ ، والنقائض: ٤٤٣ . البازى : الصقر ، وانظر صفته فى ص٣٦ رقم : ٤ . أتيح له الخير أو الشر : قدر له وهيئ . وبعد البيت بيتان يتمان حسنه ، وهما :

إذا عَلِقَتْ مَخالِبُه بِقِرْنٍ أصابَ القلبَ أو هتكَ الحِجابا

تَرَى الطيرَ العِتاقَ تَظَلُّ منهُ جوانِحَ للكلاكلِ أن تُصابا

(٣) انظر رقم : ٤٦٣ .

(٤) ديوانه : ٢٦٤ . ويروى « وبئس الحليفان » ، وهى رواية محكمة .

(٥) ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهم ربيعة الجوع . وكانت بنو سليط قد استغاثت بحكيم بن معية ، أحد بنى ربيعة الجوع ، وكانت عنده امرأة من سليط ، فهجاهم لذلك . وهو بيت موجع .

٥٠٨ — وقوله :

دَعَوْنَ الهوَى ، ثمَّ ارتَمَيْنَ قُلوبَنا ... بأسْهُمِ أعْداءٍ ، وهُنَّ صَدِيقُ !(١)

أوَانِسُ : أمَّا مَنْ أرَدْنَ عَنَاءَهُ ... فعانٍ ، ومَنْ أطلقْنَ فهْوَ طَلِيقُ(٢)

٥٠٩ — وقوله :

إنَّ الّذِينَ غَدَوْا بِلَيْلٍ غادَرُوا ... وَشَلًا بعَيْنِكَ ما يَزالُ مَعِينا(٣)

غَيَّضْنَ من عَبَرَاتِهِنَّ ، وقُلْنَ لِى : ... مَاذَا لَقِيتَ من الهوَى ولَقِينا(٤) ؟

٥١٠ — وقوله :

فَغُضِّ الطَّرْفَ ، إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ! ... فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلَابَا(٥)

إذَا غَضِبَتْ عليكَ بنُو تَمِيمٍ ... حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

---

(١) ديوانه : ٣٩٨ ، فى مديح الحجاج . ارتمى : أراد رمى ، ولكنه آثر هذا ، لأنهم يقولون : خرج فلان يرتمى : إذا خرج للصيد ، فهو يرمى القنص . وعدى « ارتمى » إلى مفعول ، لأنه عنى « رمى » المتعدى ، متضمناً معنى الختل والصيد وإصابة الرمية .

(٢) أوانس جمع آنسة : وهى الفتاة الطيبة النفس ، الحلوة الحديث ، تحب قربها وحديثها ، وتريك أنها تحب قربك وحديثك ، فتأنس إليك وتأنس إليها . العناء : المشقة والجهد ، والعانى : الأسير

(٣) ديوانه : ٥٧٨ ، وفى الديوان « غدوا بلبك » ، وهى الرواية السائرة . وغدا القوم : ساروا غدوة ، وهو ما بين صلاة الغداة (الفجر) وطلوع الشمس . والوشل : ماء قليل ، أو كثير على معنى الضد ، يتحلب من صخرة أو جبل يقطر قطراً ، فربما اجتمع حتى يساق إلى المزارع . وأراد جرير تقاطر دمعه شيئاً فشيئاً ، على كر الذكر والبلابل . المعين : الماء الجارى الظاهر ، اختلف فيه أن يكون من « عين » أو « معن » ، وقد تقارب معناها .

(٤) غيض دمعه : حبسه حتى غاض ، أى نقص وغار حتى ذهب . وقال ثعلب : التغييض : أن يأخذ العبرة من عينه ثم يقذف بها . وهو قول لا يعتد به ، إلا أن يشهد له شاهد ، ولا أظنه يصح .

(٥) انظر رقم : ٤٦١ .

٥١١ — وقولُه :

إنَّ العيُونَ الّتى فِى طَرْفِهَا مَرَضٌ قتَّلْننَا ، ثم لَمْ يُحْيِينَ قتلانَا[١]

٥١٢ — وقولُه :

يا أهلَ جُزْرةَ إنّى قد نَصبْتُ لَكُمْ بِالمِنْجَنيقِ وَلَمَّا يُرْسَلِ الحجَرُ[٢]

٥١٣ — وقولُه :

وَلمَّا الْتقَى الحيَّانِ أُلْقِيتِ العَصَى وَمَاتَ الهوَى لَمَّا أُصِيبتْ مَقَاتِلُه[٣]

٥١٤ — وقولُه :

تُرِيدينَ أنْ أَرْضَى ، وأَنْتِ بَخِيلَةٌ !
ومَنْ ذا الّذِى يُرْضِى الأَخِلَّاءَ بالبُخْلِ ؟[٤]
فإنَّكِ لَا يَرْضَى إذا كان عَاتِباً ، خَلِيلُكِ إلَّا بالموَدَّةِ والبَذْلِ[٥]

---

(١) انظر : رقم ٤٦١ .

(٢) ديوانه : ٢٣٣ ، ومعجم البلدان (جزرة) . ورواية المطبوعتين :

يا قَيْسَ عَيْلان إنى قد نَصَبْت لكم بالمِنْجَنيق ولما أُرْسِلِ الحجَرَا

وقد آثرت رواية الديوان ، لأنى أرجح أن فى هذه الرواية خطأ وتحريفاً . وقبل هذا البيت :

يا أهلَ جُزْرَةَ ، لا حِلْمٌ فينفعكمُ أو تنتهونَ فينجِى الخائفَ الحذرُ

وجزرة : ماء لبنى كعب بن العنبر ، نقله ياقوت عن السكرى . وأظن أنا أنه أراد بجزرة : ناحية من الكرمة فى بلاد اليمامة ، كان فيها بنو ثعلبة بن يربوع ، وأراد بنى عرين بن ثعلبة بن يربوع ، الذين هجاهم بشعر مر فى رقم ٦٩ ص ٥٩ . وقد ذكر أبو عبيدة فى النقائض : ٢١ أن إخوة بنى عرين ، بنو عبيدة بن ثعلبة بن يربوع كانوا يسكنون جزرة ، وذلك فى شعر لمتمم بن نويرة قال :

فَيَالَ عُبَيْدٍ ، حَلْفَةً ، إنّ خيركم بجزرَةَ بين الوَعْسَتَين مُقِيمُ

(٣) انظر رقم ٤٦٢ ، وفى المطبوعة المصرية « وبات الهوى » ، وهى خطأ .

(٤) ديوانه : ٤٦٠ ، والنقائض : ١٥٨ ، ١٥٩ ، وما سيأتى رقم : ٧٢٩ .

(٥) العاتب : الغاضب المعاتب

٥١٥ — وقوله :

يَا تَيْمُ ، إِنَّ بُيُوتَكُم تَيْمِيَّةٌ قُعْسُ العِمَادِ قَصِيرَةُ الأَطْنَابِ (١)

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ المُلوكَ وُفُودُهُمْ نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبْوَابِ

٥١٦ — وقولُه :

وكُنْتَ إذَا نَزَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ ظَعَنْتَ بِخَزْيَةٍ وتَرَكْتَ عَارَا (٢)

٥١٧ — وقوله :

أَتَنْسَى إذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى بِعُودِ بَشَامَةٍ ؟ سُقِيَ البَشَامُ ! (٣)

بِنَفْسِي مَنْ تَجَنُّبُه عَزِيزٌ عَلَيَّ ، ومَنْ زِيارَته لِمَامُ (٤)

ومَنْ أُمْسِي وأُصْبِحُ لا أَرَاهُ ، ويَطْرُقُنِي إذا هَجَعَ النِّيَامُ (٥)

---

(١) ديوانه : ٥٦ . فى هجاء عمر بن لجأ التيمى . وبنو تيم بن عبد مناة بن أد ، وهم تيم الرباب . انظر ص ١٧ رقم : ٥ وص ٢٦ . والقعس جمع أقعس : وهو نقيض الأحدب ، يخرج صدره ويدخل ظهره . وأراد الالتواء والقصر هنا . وفى رواية الديوان « قفد » جمع أقفد : وهو الكز اليدين القصير الأصابع . وأراد به أيضاً الالتواء والقصر . والعماد : عمود الخباء أو القبة ، الذى تقوم عليه وترفع . والأطناب جمع طنب : وهو الحبل الذى يشد به الخباء بين الأرض والطرائق . يذكر خستهم ودقة أصلهم وانخساف حسبهم ، وذلتهم ، وخمول ذكرهم .

(٢) ديوانه : ٢٨١ ، والنقائض : ٢٥١ . ظعن : ذهب وسار . والخزية (بفتح الخاء وكسرها) : البلية يوقع فيها ويستحى منها ، من الخزى . قال أبو عبيدة : « قال جرير هذا البيت لأن الفرزدق نزل بامرأة فأضافته وأحسنت إليه ، ثم إنه راودها عن نفسها ، فصرخت وصيحت به ، فطلب فهرب . فعيره جرير بذلك » . انظر ص : ٣٤٠ رقم : ٣ .

(٣) ديوانه : ٥١٢ . فى المصرية « أن تودعنا » وليست بشىء . والبشام : شجر طيب الريح يستاك به ، لا ثمر له ، وإذا قصف غصنه هريق لبناً أبيض . يقول : خافت قالة الرقباء أن تكلمه ، فأشارت إليه بسواكها تودعه .

(٤) زاره لماماً : فى الحين بعد الحين على غير مواظبة . وألم به إلماماً : زاره فى الأحايين .

(٥) طرق القوم يطرقهم : جاءهم ليلا ، وكل آت بالليل طارق . هجع : نام نومة خفيفة من أول الليل . وأراد بالنيام : الذين غلبهم النوم .

٥١٨ — وقوله :

وأبنُ اللَّبُونِ إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القناعِيسِ (١)

٥١٩ — وقوله :

لو كُنْتَ حُرًّا، يا أبْنَ قَيْنِ مُجَاشِعٍ، شَيَّعْتَ ضَيْفَكَ فَرْسَخَيْنِ ومِيلا (٢)

٥٢٠ — وقوله :

لا يَسْتَطِيعُ أمتِنَاعًا فَقْعُ قَرْقَرَةٍ بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ بِالبِيدِ الأَمَالِيسِ (٣)

٥٢١ — وقوله :

لا يَسْتَطِيعُ أخُو الصَّبَابَةِ أنْ يُرَى حَجَرًا أَصَمَّ، ولا يَكُونَ حَدِيدَا (٤)

---

(١) انظر رقم : ٤٦٧ .

(٢) ديوانه : ٤٥٤ . ابن قين مجاشع : يعنى الفرزدق ، وانظر ص : ٢٦٦ رقم : ٥ والضيف هنا : هو الزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد استجار بالنعر بن الزمام المجاشعى ، من رهط الفرزدق ، فقتل فى جواره بعد رحيله بقليل . فعير الفرزدق بسوء الجوار وإخفاره ، إذ لم يبلغه مأمنه ، كما يفعل أحرار الرجال .

(٣) ديوانه : ٣٢٣ . والفقع : ضرب من الكمأة يطلع من الأرض فيظهر ، وقل أن يؤكل وهو أردؤها . والكمأة : نبات أبيض يكون فى الأرض يحفر عنه ويستخرج ويؤكل ، وذلك أجودها . والقرقرة : الأرض السهلة اللينة فى الصحراء البارزة . ويضرب مثلا فيقال : فلان فقع بقرقرة ، أى ردىء ذليل تطؤه الأقدام ، كالفقع ، لقلة حفل الناس بجمعه وأكله . والبيد جمع بيداء : وهى الصحراء المستوية . والأماليس جمع أملاس ، جمع ملس (بفتحتين) وجمع إمليس أيضاً : وهى الأرض لا شجر بها ولا كلأ ، ملساء مستوية لا شىء بها . وقوله : «بين الطريقين» يعنى الطريقين المسلوكين تطؤهما القوافل والركاب . وأشار بذلك إلى دخول عمر بن لجأ التيمى بينه وبين الفرزدق ، والقصيدة فى هجائه . انظر رقم : ٤٦٧

(٤) ديوانه : ١٦٩ . وحذف « أن » . يقول : ولا أن يكون حديداً .

٥٢٢ — وقوله :

لَوْ أنَّ عُصْمَ عَمَايَتَيْنِ وَيَذْبُلٍ   سَمِعَا حَدِيثَكِ أَنْزَلَ الأَوْعَالَا[1]

* * *

٥٢٣ — [2][أخبرنى أبو خليفة ، قال حدَّثنا محمد بن سلّام قال : حدثنا أبو اليَقْظَانِ ، عن جُوَيْرِية بن أسماء قال : قدمَ الفرزدقُ اليمامةَ ، وعليها المُهَاجِرِ بن عبد الله الكِلابىّ فقال : لو دخلْتُ على هٰذا فأصبْتُ منه شيئاً ولمْ يعلمْ بى جريرٌ ! فلم تستقرّ به الدارُ حتى قال جريرٌ :

رَأَيْتُكَ ، إذْ لم يُغْنِكَ اللهُ بالغِنَى ،   رَجَعْتَ إلى قَيسٍ وخَدُّكَ ضارِعُ[3]

ومَاذَاكَ، إنْ أَعْطى الفرزدق بِاُسْتِهِ،   بأوّلِ ثَغْرٍ ضَيَّعَتْهُ مُجَاشِعُ[4]

---

(١) ديوانه : ٤٥٠ ، ونقائض جرير والأخطل : ٨٧ . العصم جمع أعصم : وهو الوعل ، وعصمته أن فى يديه بياضاً . والوعل : تيس الجبل ، وجمعه أوعال . وهى تسكن رؤوس الجبال . وعمايتان : جبلان بالبحرين ثناه لجبل آخر معه اسمه صاحة ، فسماهما عمايتين على التغليب ، كما قالوا العمرين ، فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . ويذبل : جبل بنجد . وذكر نزول الوعول من حلاوة حديثها وفتنته ، لأن الوعول قل أن تنزل من ذرى الجبال .

(٢) هذا خبر جاء فى الأغانى ٨ : ٧٧ ، أحسب أن هذا موضعه .

(٣) ديوانه : ٣٧٠ ، والنقائض : ٦٩١ قال أبو عبيدة : « وذلك أنه كان لجأ إلى الحجاج ، وضارع : خاضع ذليل » . والحجاج من ثقيف ، وثقيف من ولد قيس عيلان بن مضر . وقال فى هامشه : « قال هذا ، لأن الفرزدق كان يمدح قطن بن مدرك الكلابى بعد ما قد هجا قيساً » . وقطن هذا ، والمهاجر بن عبد الله الكلابى ، من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وهم من قيس عيلان أيضاً . وانظر مدح جرير قيس عيلان ، رقم : ٤٩٧ .

(٤) أعطى باسته : أى خر على خبيثته ، يعنى ذل كما يذل الكلب فيقعى . والثغر : موضع المخافة يحمى من العدو . يقول : لم يكن هجاء الفرزدق قيساً إلا سفهاً وغدراً ، إذ ضيع بهجائه حمى كان عليه أن يحميه ، وذلك لأن قيس عيلان ولدت بنى تميم .

فلما بلَغ ذلك الفرزدقَ قال : لاجَرَم ! والله لا أدخلُ عليه ، ولا أَرْزَؤه شيئاً ، ولا أقيمُ باليمامة ، ثم رَحَل] (١) .

٥٢٤ — (٢) أنبأنا أبو خليفة ، أنبأنا محمّد بن سلّام قال : أخبرَنى أبو الغرّاف قال : نُعِى الفرزدقُ لجريرٍ وهو عندَ المُهاجِر بن عَبْدِ الله باليمامَة ، فقال :

مَاتَ الفرزدقُ بعـدَ مَا جدَّعْتُه ، ليتَ الفرَزْدقَ كان عَاشَ قَليلَا (٣)

فقال له المُهاجِر : لبِئْسَ ما قلت ! تهجُو ابنَ عمِّك بعدَ مَا مات ! لَوْ رَثَيْتَه كان أحسَنَ بكَ . قال : وَاللهِ إِنِّى لأَعلَمُ أنَّ بَقَائى بعدَه لقَليلٌ ، وإنْ كان نَجْمِى مُوافقاً لنَجْمِه ، فَلأَرْثِيَنَّه . قال : بعدَ مَا قِيل لكَ ! لو كنتَ بَكَيْتَه ما نَسِيَتْكَ العربُ .

٥٢٥ — (٤) قال ابن سلّام ، فأنشدَنى مُعَاوية بن أبِى عَمْرو لجرير يرثى الفرزدَق :

فَلاَ وَلدَتْ بعدَ الفرَزْدقِ حامِلٌ ولا ذَاتُ حَمْلٍ من نِفاسٍ تَعلَّتِ (٥)

---

(١) رزأه شيئاً من ماله : أصابه منه .

(٢) هذا الخبر فى الأغانى ١٩ : ٤٥ . وفى النقائض : ١٠٤٥ رواية أخرى تخالفها .

(٣) ديوانه : ٤٣١ ، والنقائض : ١٠٤٥ . جدع أنفه وجدعه (بالتشديد) : قطعه . وهو مثل ، بمعنى أذله .

(٤) رواه أبو الفرج فى الأغانى ١٩ : ٤٥ .

(٥) ديوانه : ٨٨ ، والنقائض : ١٠٤٦ . وتعلت المرأة من نفاسها : أى سلمت وصحت وطهرت من نفاسها . وزعم الزمخشرى أن أصلها تعللت مطاوع عللها الله ، أى أزال علتها ، كفزعه أزال فزعه ، ثم فعل بها ما فعل بقولهم تظننت ، فقالوا تظنيت ، أبدلوا آخر النونات ياء ، استخفافاً .

هو الوَافِدُ المأمُونُ والرَّاتِقُ الثَّأَى … إِذَا النَّعْلُ يَوْمًا بالعَشِيرَةِ زَلَّتِ (١)

٥٢٦ — (٢) أنبأنا أبو خَلِيفة، أنبأنا أبنُ سلّام قال : حدثنى يُونُس أبن حَبيب النحوىّ قال : كان عَبْدُ الملك بن مَرْوان لا يَسْمَعُ لشعراء مُضَرولا يأذَنُ لهم، لأنهم كانُوا زُبَيْرِيَّةً (٣)، فوفد إليه الحجَّاج وفادَته التى وَفَدها، لم يَفِدْ إليه غيرَها، فأهدَى إليه جَرِيراً. فدخل عليه فأذِنَ له فى النَّشِيد، فقام فأَنْشَد مدِيحَ الحجَّاج واحدَةً بعد واحدةٍ، فأومأ إليه الحجَّاجُ أن يُنْشِد مدِيحَ عبدِ الملك، فأنشدَه الَّتى يقولُ فيها :

أَلَسْتُم خَيْرَ من رَكِبَ المَطَايَا … وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ (٤)

واعتمدَ على أبنِ الزُّبَيْرِ فقال :

دَعَـوْتَ المُلْحِدِينَ أَبَا خُبَيْبٍ … جِمَاحًا، هل شُفِيتَ مِنَ الجِمَاحِ (٥)؟

---

(١) الوافد : هو الذى يفد إلى الأمراء والملوك رئيس قومه. المأمون : يريد الموثوق به الذى يفى بعهده، لمكانته عند الملوك، ولطاعته فى عشيرته. ورتق الفتق : أصلحه حتى يلتئم. والثأى : الفساد فى الشىء، كالفتق، وأصله : خرم خرز الأديم من الجلد. رتق الثأى : يقال فى إصلاح الخلل العظيم يقع بين الناس. يقول : إذا أخطأ قومه خطأ زلت به أقدامهم حماهم، وحملته الملوك جريرة قومه، ضامنة طاعتهم له.

(٢) هذا الخبر رواه أبو الفرج عن غير ابن سلام بأبسط من هذا، ٨ : ٦٦ مع اختلاف فى نسبته وسياقه.

(٣) زبيرية : من شيعة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، رضى الله عنه.

(٤) انظر رقم : ٤٦١، ٥٠٣

(٥) ديوانه : ٩٩. ألحد فى الحق : مال عنه وأدخل فيه ما ليس منه. وسمى الذى يظلم بمكة شرفها الله وطهرها، ملحداً، لأنه يجور فيه ويظلم بيت الله حقه. وأراد بقوله «الملحدين» عبد الله ابن الزبير وشيعته، ويشير إلى قتال الحجاج بن يوسف، عبد الله بن الزبير. والجماح : أن يركب الفرس هواه لا يرده شىء. يعنى خروج عبد الله بن الزبير على خلافة عبد الملك. وأبو خبيب : كنية ابن الزبير.

وَقَدْ وَجَدُوا الخليفَةَ هِبْرِزِيًّا ... أَلَفَّ العِيصِ، ليْسَ من النَّوَاحِي (١)

وَمَا شَجَرَاتُ عِيصِكَ فى قُرَيْشٍ ... بِعَشَّاتِ الفُرُوعِ ولا ضَوَاحِي (٢)

٥٢٧ — أخبرنا أبو خَلِيفة، أخبرنا ابن سَلَّام قال: أخبرنى أبو الغرَّافِ قال: لما أنشدَه فيها:

تعزَّتْ أمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قالتْ: ... رأَيْتُ المُورِدِينَ ذوِى لِقَاحِ (٣)

تُعَلِّلُ — وَهْىَ ساغِبَةٌ — بَنِيهَا ... بأَنْفاسٍ من الشَّبِمِ القَرَاحِ (٤)

سَيَكْفِيكَ العَوَاذِلَ أرْحَبِيٌّ ... هِجَانُ اللَّوْنِ كالفَرْدِ اللَّيَاحِ (٥)

---

(١) هبرزى: نافذ فى الأمور ماض جلد. العيص: منبت خيار الشجر، ثم جعلوه مثلا لأصل الرجل، من آبائه وأعمامه وأخواله وأهل بيته، لأنهم منبته. ألف العيص: ملتف الشجر كثيره كثيفه، يريد عزه ومنعته فى أهل بيته وأعوانه. والنواحى أصلها النوائح، فقلب، جمع نائحة، والنوائح المتقابلات، والتناوح: التقابل، وذلك دليل على بعد بعضها عن بعض. أى هم ملتفون مجتمعون غير متفرقين. وجائز أن تكون النواحى جمع ناحية، يريد الشجرة التى نبتت فى ناحية. والنواحى: الشجر المتفرق المنابت المتنابذ.

(٢) شجرة عشة: دقيقة القضبان متفرقة الأغصان، لا توارى ما وراءها، لئيمة المنبت. والضواحى جمع ضاحية: وهى الشجرة البادية العيدان لا ورق عليها.

(٣) تعزت: استغاثت وتفجعت، من العزاء: وهو دعوى المستغيث «يال فلان»، كأنها قالت: يا لى منك! ضجراً بفقره وبؤسه. وأم حزرة: امرأته، وابنها حزرة بن جرير. الموردون: الذين يوردون إبلهم الماء. واللقاح جمع لقحة (بكسر فسكون) ولقوح: وهى الناقة اللبون، تسمى بذلك أول نتاجها شهرين ثم ثلاثة أشهر. وتسمى الإبل كلها لقاحاً. قالت ذلك تلومه وتؤنبه.

(٤) عللت المرأة صبها: شغلته بشىء من ماء أو مرق، حتى يتلهى عن جوعه وشهوته اللبن. والساغبة: الجائعة، الشديدة الجوع. الشبم: الماء البارد يعنى أنهم فى زمن الشتاء والقحط. والماء القراح: الذى لم يخالطه شىء يطيب به كالعسل والتمر والزبيب والسويق. والماء القراح يشرب إثر الطعام، وهو مؤذ على الجوع. وأنفاس جمع نفس (بفتحتين): وهى الجرعة. شرب من الإناء نفساً أو نفسين، جرعة أو جرعتين. يقال ذلك للقليل القليل.

(٥) أرحبى: نجيب من الإبل، ينسب إلى أرحب، بطن من همدان. هجان: أبيض اللون. والهجان من الإبل: البيضاء الخالصة اللون والعتق، وهى كرام الإبل. والفرد: الثور من بقر الوحش، وهو أبيض وسيم سريع الجرى. واللياح: الذى يلوح ويبرق من بعد لشدة بياضه، كأنه سيف مصقول. وسمى ثور الوحش لياحاً لشدة بياضه. يصف كرم نجيبه الذى سيرحل عليه، ويذكر عتقه وسرعته.

يَعُزُّ عَلَى الطَّرِيقِ بِمَنْكِبَيْهِ كما أُبتَرَكَ الخَلِيعُ عَلَى القِدَاحِ (١)

فقال له عبد الملك : فهل تُرْوِيها مِئَة ؟ فقال : وهَلْ إليها من سَبِيلٍ ، جَعَلَنى الله فِداءك يا أمير المؤمنين ؟ وأعطاه مِئَةً وثمانيةً من الرِّعَاءِ (٢) .

٥٢٨ — فذكَرَها جريرٌ فى مَدِيحه يَزيدَ بنَ عبدِ الملك وهو خَليفةٌ ، فقال :

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثمانيةٌ ، مَافِى عَطَائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ (٣)

* * *

٥٢٩ — [أخبرَنى أبو خَلِيفة قال : حدثنا محمد بن سلّام قال : حدثنا أبو الغرّاف قال : أتى الفرزدق مجلسَ بنى الهُجَيْم فى مَسْجِدِهِمْ فأنشَدهم . وبلغ ذلك جريراً ، فأتاهم من الغدِ ليُنْشِدهم كما أنشدهُم الفرزدق ، فقال له شيخٌ منهم : يا هٰذا ، اُتَّقِ الله ! فإن هذا المسجدَ إنّما بُنِىَ لذكْرِ الله والصلاة ! فقال جرير : أقررْتُم للفرزدقِ ومنعتُمُونى ! وخرج مُغْضَباً وهو يقول :

(١) عز على الشىء : غلب وقهر . ابترك على الشىء : ألقى بركه ، وهو صدره ، أى أكب عليه . والخليع : المقامر الذى خلع من ماله فهو مقمور . والقداح جمع قدح (بكسر فسكون) : وهو عود السهم قبل أن ينصل ويراش ، يتخذونها فى الميسر ، وهى الأزلام أيضاً . يصف شدة جمله وإلحاحه على السير ، فهو يزاحم الإبل على الطريق ويغلبها ويفوتها ، ويحرص على ذلك من نخوته حرص المقامر الذى ذهب ماله ، فهو ينكب على القداح حريصاً ملحا ماضياً لا يلتفت إلى شىء ، لعله يسترجع ما ذهب من ماله .

(٢) يعنى ، مئة لقحة ، مما ذكر فى شعره . والرعاء والرعاة جمع راع : وهو الذى يرعاها ويحفظها .

(٣) ديوانه : ٣٨٩ . هنيدة : اسم للمئة من الإبل خاصة .

(٤) هذه الأخبار الثلاثة من ٥٢٩ — ٥٣١ ، رأيتها مفرقة فى ترجمة جرير من الأغانى ، ولم أعرف حق مكانها من الطبقات ، فرأيت هذا المكان أقرب وأوفق ، فأثبتها فيه . رقم ٥٢٩ من الأغانى ٨ : ٥٢ و ٥٣٠ ، ٥٣١ فى ٨ : ٦٣ و ٦٤ .

إِنَّ الهُجَيْمَ قبيـلةٌ مَلعُونةٌ حُصٌّ اللِّحى مُتشابِهُو الألوانِ[١]
هُمْ يَترُكُون بَنيهِمُ وبناتِهـم صُعْرَ الأُنوفِ لِـكلِّ ريحِ دُخانِ[٢]
لَوْ يَسْمعُونَ بأَكْلةٍ أو شَرْبةٍ بعُمانَ ، أصْبَحَ جَمْعُهُم بعُمانِ

قال : وخفّة اللِّحَى فى بنى هُجَيْم ظاهرةٌ . وقيل لرجلٍ منهم : ما بالـكُمْ ، يا بنِى الهُجَيْم حُصّ اللِّحَى ؟ قال : إنَّ الفحلَ واحدٌ] .

* * *

٥٣٠ — [أخبرنى أبو خليفة قال : حدثنا محمد بن سلام قال : حدثنى أبو يحيى الضبىّ قال : نازع جرير بَنِى حِمَّان فى رَكِيَّةٍ لهُمْ ، فصاروا إلى إبراهيم بن عدىٍّ باليمامة يتحاكمون إليه[٣] ، فقال جرير :

أعُوذُ بالأمير غَـــيْرِ الجَبَّارْ من ظُلْمِ حِمَّانَ وتَحْويل الدَّارْ[٤]
ما كان قَبْلَ حَفْرِنا مِنْ مِحْفارْ وضَرْبِىَ المِنْقارَ بعدَ المِنْقارْ[٥]

---

(١) ديوانه : ٥٨١ . وبنو الهجيم بن عمرو بن تميم . وحص جمع أحص : وهو الذى تساقط شعره وذهب حتى قل . متشابهو الألوان : من صفرتهم لسوء غذائهم وبؤسهم .

(٢) صعر جمع أصعر : وهو الذى يميل بوجهه لاوياً عنقه . وهذه صورة عجيبة أبدعها جرير .

(٣) بنو حمان بن عبد العزى بن كعب بن زيد مناة بن تميم . والركية : البئر تحفر ، وجمعها ركايا وركى .

(٤) ديوانه : ٢٥١ ، وقال فى ترجمتها : « وقال للمهاجر بن عبد الله الكلابى ، وقد خاصم بنى حمان فى ماءة لهم » . وقد خالفت رواية الديوان وزادت ، وهى أجود . وتحويل الدار : نقلهم لها من بنى كليب إلى أنفسهم عدواناً .

(٥) المحفار : ما يحفر به ، أى لم يضرب فيها محفار قبل محفارنا . والمنقار : حديدة كالفأس مستديرة لها خلف كالمعول ، تنقر به الحجارة والأرض الصلبة .

فى جَبَلٍ أصمَّ غيرِ خوّارْ   يصيحُ بالجُبِّ صِياحَ الصَّرّارْ(١)

لَهُ صَهِيلٌ كصَهِيلِ الأمْهارْ   فَاسْألْ بَنِى صُحْبٍ ورَهْطَ الجَرَّارْ(٢)

والسَّلَمِيِّينَ العِظَامَ الأخْطارْ   والجارُ قد يُخْبِرعن دَارِ الجارْ(٣)

فقال الحِمَّانى :

ما لِكُلَيْبٍ من حِمًى ولا دارْ   غَيرُ مُقام أُتُنٍ وأعْيارْ

قُعْسِ الظُّهُور داميَاتِ الأثفارْ(٤)

قال : فقال جريرٌ : فَعَنْ مُقَامِهِنّ ، جُعلتُ فِداكَ ، أجادلُ فقال أبنُ عَدِيّ للحِمَّانِىّ : قد أقررتَ لخصْمك ! وحكَم بها لجرير .

٥٣١ — قال أبن سلّام : وأخبرنى أبو يحى الضَّبّىّ قال : يينا جريرٌ يسيرُ على راحلته ، إذ هَجَم على أبْياتٍ من مازنٍ وهِلالٍ — وهما بَطْنان

---

(١) الجبل الأصم : الصلب المصمت . والخوار : الضعيف اللين الذى لا يبقى على الشدة . والجب : ركية تجاب فى الصخر والصفا . والصرار : الطائر الذى يصر ، أى يصيح أشد الصياح ، كالبازى وغيره . يصف وقع المنقار فى الصخر ، فيسمع له صوت ممتد كالصرير .

(٢) الأمهار جمع مهر : وهو ولد الفرس . بنو صحب ، من باهلة . ولم أعرف الجرار ، إلا أن يكون أراد بنى مجاشع رهط الفرزدق ، وأبوه هو غالب الجرار . انظر ما كتبته فى التعليق على رقم : ٤٧٤ ، آخر بيت .

(٣) يعنى بنى سلمة الخير بن قشير . وانظر رقم ١٧٠ . والأخطار جمع خطر (بفتحتين) : وهو القدر والمنزلة الرفيعة .

(٤) الأتن جمع أتان : وهى أنثى الحمير . والأعيار جمع عير : وهو ذكرها . وبنو كليب يعيرون برعية الحمر . قعس جمع أقعس : وهو الذى برز صدره ودخل ظهره . والأثفار جمع ثفر (بفتحتين) : وهو سير فى مؤخر السرج يشد من تحت ذنب الدابة . وأراد بالأثفار هنا : دبر الدابة حيث يشد الثفر . يذكر عمل بنى يربوع ، وأنهم يتخذون الحمر للعمل حتى تضعف وتدمى أدبارها .

من ضَبَّة – نخافهم ، لسُوءِ أثره فى ضبّة(١) ، فقال :

فَلاَ خَوْفٌ عليكِ ولن تُرَاعِى   بعَقْوَةِ مَازِنٍ وَبَنِى هِلاَلِ(٢)

هُمَا الحَيَّانِ ، إن فَزِعَا يَطِيرا   إلى جُرْدٍ كأمثالِ السَّعَالِى(٣)

أَمَازِنُ ، يا ابن كعبٍ ، إنّ قلبى   لكُمْ طُولَ الحياةِ لَغيْرُ قَالِى(٤)

غَطَارِيفٌ يَبِيتُ الجارُ فيهمْ   قَرِيرَ العَيْنِ فى أهلٍ ومَالِ(٥)

قالوا : أجَلْ ، يا أبا حَزْرة ، فلا خوفٌ عليْكَ] .

* * *

٥٣٢ — (٦)أنبأنا أبو خَليفة ، أنبأنا ابنُ سلّام قال : حدّثنى أبو يَحْيى الضَّبىّ قال : كانَ الذى هَاجَ [الهِجاءَ] بين جريرٍ وعُمَر بن

---

(١) بنو ضبة ، هم أخوال الفرزدق ، فأمه لينة بنت قرظة الضبية ، وقد هجاهم جرير . انظر رقم ٤٨١ .

(٢) ديوانه : ٤٨٧ . العقوة : الساحة ، وما حول الدار والمحلة ، وذلك حمى القوم وجوارهم .

(٣) فزع : أغاث الذى فزع إليه ، أى استغاث به ، قال زهير :

إذا فَزِعُوا طَارُوا إلى مُسْتَغِيثِهم   طِوَالَ الرِّماح لا ضِعافٌ ولا عُزْلُ

يمدحهم بالنجدة ، ونصرة المستغيث ، وقوة البأس . والجرد جمع أجرد : وهو الفرس القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم . والسعالى جمع سعلاة : وهو الغول الخبيثة التى تتضرم كأنها جان . ولم يشبه العرب بالسعلاة إلا العجائز السليطات والخيل ، لأن ذلك محمود فيها . وهذا البيت شاهد على مجىء المضارع فى جواب شرط الماضى .

(٤) قلاه يقليه قلى : كرهه وأبغضه .

(٥) غطاريف جمع غطريف (بكسر الغين) : وهو السيد الشريف السخى المختال .

(٦) رجع إلى نص الطبقات . وهذا الخبر كله من رقم ٥٣٢ – ٥٣٩ فى الأغانى ٨ : ٧٠ ، وبعضه فى الموشح : ١٢٧ ، والزيادة منهما . وانظر النقائض : ٤٨٧ – ٤٨٨ .

لَجَأٍ ، أنَّ عُمَرَ كان يُنشِدُ أرجوزةً له يصفُ [فيها] إبِله ، وجريرٌ حاضرٌ بالماء(١) ، فقال التَّيْميّ :

قَدْ وَرَدَتْ قبلَ إِنَى ضَحَائِهَا ... وتَفْرِسُ الحيّاتِ فِي خِرْشَائِهَا(٢)

جَرَّ العَجُوزِ الثِّنْيَ منْ رِدَائِهَا(٣)

فقال له جَرير : أَخْفَقْتَ مَرَّها !(٤) قال : فكيفَ أقُول ؟ قال : تقول :

* جَرَّ العَرُوسِ الثِّنْيَ من رِدَائِهَا *

قال التَّيْميُّ : فما قلتَ أنتَ أسوأُ من قولى ! قال : فما هو ؟ قال : قولك :

وأَوْثَقُ ، عِنْدَ المُرْدَفاتِ عَشِيَّةً ، ... لَحاقًا، إِذا ماجَرَّدَ السَّيْفَ لامِعُ(٥)

---

(١) فلان حاضر بالمكان مقيم على الماء الذى به ، وذلك فى زمن النجعة . ويقال : على الماء حاضر ، وهم الذين يحضرون المياه .

(٢) اللسان مادة (عفر) ، وذكر بعض القصة . أنى الشىء يأنى أنى وإنى : أدرك وحان وقته . والضحاء : الغداء الذى يؤكل ضحى إذا ارتفع النهار ، وضحاء الإبل مرعاها فى ذلك الوقت . وفرس الفريسة : دقها وكسر عنقها . والخرشاء : سلخ الحية وجلدها . قال الجاحظ فى الحيوان ٤ : ٢١٤ : « وليس يقتلها (يعنى الحية) — إذا تطوقت على الطريق وفى المناهج ، أو اعترضتها لتقطعها عابرة إلى الجانب الآخر — شىء كأقاطيع الشياه إذا مرت بها ، وكذلك الإبل الكثيرة إذا مرت ، فإن الحية إذا وقعت بين أرجلها كان همتها نفسها ، ولم يكن لها همة إلا التخلص منها لئلا تعجل بالوطء . فإن نجت من وطء أيديها لم تنج من وطء أرجلها ، وإن سلمت من واحدة لم تسلم من التى تليها إلى آخرها » ثم أنشد بيت ابن لجأ . يصف كثرتها ونشاطها واختيالها ومرحها .

(٣) الثنى ، وجمعه أثناء : وهى تضاعيف الثوب ومعاطفه ، ولا يكون ذلك إلا من سعة وإسبال .

(٤) فى الموشح « أخفيت مرها » . وقوله « أخفقت » أى جعلته خفقاً . أى خفيفاً ليس بثقيل ، وأصله من الخفق : وهو الضرب بالشىء العريض . والإبل تمدح بشده وطئها فى مرها : أى فى موضع مرورها فى الطريق الذى تسلكه . والعجوز بطيئة الحركة ، خفية الأثر على الأرض .

(٥) قبله بيت عطف عليه ، وهو قوله :

لَقَوْمِىَ أَحْمَى للحقيقة منكُمُ ... وأضربُ للجبّار والنَّقْعُ ساطِعُ

المردفات : النساء يسبيهن عدو ، فيردفن خلف الغزاة . واللامع : الذى يشير بثوبه أو سيفه منذراً من بعيد ، يحركه ليراه غيره فيجىء إليه . يقول : إن نساءه إذا سبين وثقن بلحاقهم واستنقاذهم .

فجعلتَهُنَّ مُرْدَفاتٍ غُدْوةً، ثم تدارَكْتَهُنَّ عشيةً! قال: فكيف أقول؟ قال: تقول:

* وأوثَقُ عِنْدَ المُرْهَفَاتِ عَشِيَّةً(١) *

قال: فقال جرير: فوالله لَهٰذا البيتُ أحبُّ إلىَّ من بِكْرِى حَزْرَة، ولكنك مُحْلِبٌ للفرَزْدق(٢).

٥٣٣ — فقال [فيه] جرير:

أَلَّا سِوَانا أُدَّرأْتُمْ، يا بَنِى لَجَأٍ، شَيْئاً يُقارِبُ، أوْ وَحْشاً لَه عُرُرُ؟(٣)

أحِينَ كُنْتُ سِماماً، يا بَنِى لَجَأٍ، وخاطَرَتْ بِى عَنْ أَحْسَابِها مُضَرُ!(٤)

---

(١) المرهفات: النساء الرشيقات القدود، الرقيقات اللطيفات.

(٢) حزرة بن جرير، مضى فى التعليق على رقم: ٤٩٧. أجلب الرجل: أعانه، فهو له مجلب، وهى التى كانت فى الأصلين، واخترت رواية الموشح فهى أحسن منها وأجود. ومحلب: هو الناصر يأتيك لينصرك من غير قومك وبنى عمك. وإذا كان المعين من قومك، فليس بمحلب. وعمر بن لجأ، ليس من قوم الفرزدق.

(٣) ديوانه: ٢٨٤ – ٢٨٦ والمراجع السالفة، إلا البيت الثانى فليس فى ديوانه، وهو فى الأغانى ١٩ : ٢٢، والنقائض: ٤٨٨. والأبيات منتزعة على غير ترتيب الشعر. ادرأ الصيد: ختله بالدريئة، وهى شىء يستتر به فإذا أمكنه الصيد رمى. والأجود عندى أن يكون جرير اشتقه من الدريئة: وهى حلقة يتعلم عليها الطعن والرمى، فقال: ادرأه، أى اتخذه دريئة يتعلم عليها. يحط من ابن الجأ، ويجعله شعويعراً لم يسدد بعد. وقوله: «شيئاً يقارب»، أى مما تطيق أن تناله أيديكم. وفى الديوان والأغانى «لها غرر» بالغين المكسورة، جمع غرة: وهى الغفلة، وليس بشىء. ورواية الطبقات أضبط. عره بمكروه يعره عرا: أصابه به، والاسم العرة والجمع عرر وهى الأذى والشر. ومنه «معرة الجيش»، وهى الأذى الذى يلحقه بالناس والزرع. وفى المطبوعتين «به عرر»، وهى لا تستقيم.

(٤) السمام والسموم جمع سم: وهو القاتل. يريد: سماماً على العدو. وخاطر بنفسه: أشفاها على خطر هلك أو نيل ملك. فقوله «وخاطرت بى» أى دافعت بى وصاولت عند احتدام الخصومة، ذبا عن أعراضها وأحسابها. وتيم قوم عمر بن لجأ، من مضر، فهو يذكره ويعاتبه ويتعجب من سوء رأيه أن يتعرض له، وهو المحامى عن قومه مضر إذا حزب الأمر.

إنَّ الحفافيثَ، عهدى، يا بنى لجأٍ، يُطرِقْنَ حين يَسُورُ الحيَّةُ الذَّكَرُ (١)
خَلِّ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَبْنِى المنارَ بِهِ، وأبْرُزْ بِبَرْزَةَ حَيْثُ اضْطَرَّكَ القدَرُ (٢)
أَنْتَ ابنُ بَرْزَةَ، منسوبٌ إلى لجأٍ عِنْدَ العُصارةِ، والعِيدانُ تُعْتَصَرُ (٣)

[ويروى :

ألسْتَ نزْوَةَ خوَّارٍ على أمَةٍ عند العُصارةِ، والعِيدانُ تُعتَصَرُ] (٤)

٥٣٤ — فقال التَّيْمِىّ يرُدُّ عليه :

لقدْ كذبْتَ، وشرُّ القوْلِ أكذَبُه، ما خاطَرتْ بك عن أحْسابها مُضَرُ (٥)
أَلسْتَ نَزْوَةَ خَوَّارٍ عَلَى أَمَةٍ لا يَسْبقُ الحَلَبَاتِ اللُّؤْمُ والخَوَرُ (٦)

---

(١) الحفافيث جمع حفاث (بضم فتشديد) ، قال الجاحظ فى الحيوان ٦ : ٣٤٥ « الحفاث : دابة تشبه الحية وليست بحية ، له وعيد شديد ونفخ وتوثب . ومن لم يعرفه كان له أشد هيبة منه للأفاعى والثعابين ، وهو لا يضر بكثير ولا قليل . والحيات تقتله » . وسار يسور سورة : وثب وثبة المعربد .

(٢) فى المطبوعتين « يبغى المنار » ، وهى خطأ . والمنار : أعلام الأرض تضرب ليعرف بها حدها ، أو أعلام الطريق ، ليكون هدياً للسالكين ، يقول : دع الطريق لمن يسلكه ويحميه ، فلست تغنى شيئاً لضعفك وقلتك . وبرزة : أم عمر بن لجأ . وابرز : أبعد بها وتنح فى براز من الأرض ، وهو الفضاء البعيد الواسع . ينفيه عن قومه وأنه لا أهل له يحتمى بهم يدفعون عنه . وقد صرح بمثله فى البيت التالى ، ويعرض بأن أمه فاجرة .

(٣) عند العصارة : عند الاختبار والمحنة ، من عصر الشىء حتى يتحلب ماؤه ويستخرج ما فيه . ينفيه عن أبيه وينسبه إلى أمه . ويقال فلان عصارة فلان : وهو سب .

(٤) هذه الزيادة من الأغانى ، وأخشى أن تكون من نص ابن سلام ، فلذلك نقلتها .

(٥) الأغانى ٨ : ٧١ ، والنقائض : ٤٨٨ . وعند هذا البيت ينتهى الخرم الذى بدأ فى نسختنا المخطوطة منذ رقم : ٣٨٨ .

(٦) النزو : لا يقال إلا للشاء والدواب والبقر فى معنى السفاد ، فحقره باستعارته . والخوار : الضعيف الساقط الجبان . والحلبة (بفتح فسكون) : خيل تجمع للسباق من كل أوب ، لا تخرج من موضع واحد ، ولكن من كل حى ، هذا أصلها . ثم جعل لخيل الرهان خاصة . ورواية النقائض « بل أنت نزوة » ، وهى جيدة ولا سيما إذا صحت الرواية الأخرى التى جاء بها صاحب الأغانى ، وزدناها . عنى سقوط أبيه ، ولؤم أمه . وأم جرير من بنى يربوع ، وهى أم قيس بنت معيد بن عثيم بن حارثة ابن عوف بن كليب بن يربوع . عربية صليبية . ولكنه الهجاء !

ما قُلْتَ من مِرَّةٍ إلّا سأنقُضُها ، يا ابنَ الأَتانِ، بمِثْلِي تُنْقَضُ المِرَرُ(١)

قد أَصْبحَ الخز يبكى فى بنى الخَطَفَى، يا خز كرْمَانَ صَبْراً ، إنها الهِتَرُ(٢)

٥٣٥ — [وقال أيضاً :

ما اُسْتُرْدِفَتْ يَوْمَ الهُذَيْلِ نِساؤُنا، ولا قُمْنَ فى صَفٍّ لِسَجَّةَ سُجَّدَا(٣)

ولكن مَنَعْنَاهُنَّ فى الشِّرْكِ بالقَنَا، وفى السِّلْمِ صَدَّقْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدَا(٤)

٥٣٦ — وقال أيضاً :

عَجِبتُ لِمَا لاقت رِيَاحٌ مِنَ الأَذَى
وَمَا اقتبَسُوا مِنِّى ، وللشَّرِّ قابِسُ(٥)

---

(١) المرة : قوة الحبل التى يفتل عليها وجمعها مرر ، وأراد به الشعر ، لأنه يسوى ويحكم . وابن الأتان : نبز لجرير يسبه به من يهجوه لرعية قومه الحمير .

(٢) هكذا جاء هذا البيت ، ولست أحققه . ولا يوجد فى الأغانى ولا فى غيره ممن روى هذه الأبيات . وألفاظه لا يكاد يستبين معناها ، فلذلك تركته بلا شرح حتى أظفر به .

(٣) البيتان لم يردا فى رواية أبى الفرج عن ابن سلام . استردف المرأة السبية : جعلها ردفه، أى خلفه وهو راكب . ويوم الهذيل : يعنى يوم إراب (النقائض : ٤٧٣) يوم أغار الهذيل ابن هبيرة التغلبى على بنى يربوع، فقتل منهم قتلا ذريعاً ، وأصاب نعماً وسبياً كثيراً . فكان بنو تميم يفزعون به أولادهم . وسجة : صنم كان لهم فى الجاهلية يعبد من دون الله . وفى الحديث : « أخرجوا صدقاتكم ، فإن الله قد أراحكم من السجة والبجة » . ولم أجد بياناً يشفى عن أمر هذا الصنم ، ولكن شعر ابن لجأ ، يدل على أن الأسرى كانوا يسجدون له حتى يتم الفداء .

(٤) السلم : الإسلام . هكذا جاء فى الشعر كثيراً . والسلم والإسلام والاستسلام ، واحد فى المعنى . وبه فسر قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » ، أى فى الإسلام . يقول : إن إسلامهم منع نساءهن وحماهن أن يؤسرن .

(٥) الأغانى ٨ : ٧١ ، والنقائض ٢٠٨ ، ٢٠٩ . رياح بن يربوع ، أخو كليب بن يربوع ، جد جرير . قبس النار واقتبسها : أخذ منها قبساً ، أى شعلة . أراد ما قبسوا من هجائه لهم وشره عليهم . وهم عمومة جرير غضبوا له .

غِضَاباً لِكَلْبٍ من كُلَيْبٍ فَرَسْتُه ،
هَوَى ، ولشَدَّاتِ الأُسودِ فَرائِسُ[(١)]

إذَا ما ابْنُ يَرْبُوعٍ أتاكَ لمأكَلٍ
عَلَى مَجْلِسٍ ، إنّ الأَكِيلَ مُجالسُ ،

فقُلْ لابْنِ يَرْبُوعٍ : ألست بِرَاحِضٍ
سِبالَكَ عَنَّا ؟ إنَّهُنَّ نجائِسُ ![(٢)]

تُمَسِّحُ يَرْبُوعٌ سِبالاً لَئِيمَةً
بِهَا من مَنِيّ العَبْدِ رَطْبٌ ويَابِسُ[(٣)]

يُرِيدُ[(٤)] ما صنع أَبُوسُوَاجٍ الضَّبِّيّ باليَرْبُوعِيّ .

---

(١) فرس الأسد الدابة وافترسها : أخذها ودقها وقتلها . هوى : سقط وهلك . والشدة (بفتح الشين) : الحملة ، شد الرجل على عدوه شدة : حمل عليه فى الحرب .

(٢) رحض يده ، ورحض الإناء والثوب : غسلها . والسبال جمع سبلة : وهى مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر . نجائس جمع نجيس : أى نجس قذر غير طاهر . وليس فى كتب اللغة ، ولكنه أخذه من نجس الشىء فهو نجيس ، مثل كرم فهو كريم . ينصح لمن يؤاكل جريراً أن يأمره بغسل لحيته ، لما فيها من نجس المنى الذى عيرهم به فى القصة التى ستأتى .

(٣) روى المرزبانى هذا البيت ، فى معجم الشعراء : ٤٧٨ ، للبلتع العنبرى ، وهو المستنير ابن عمرو ، يهجو جريرا وهو خطأ ، وروى أبو عبيدة بعده بيتين جيدين وهما :

فما أَلبَسَ اللهُ امْرَءًا فوق جِلْده من اللُّؤْم ، إلا والكُلَيْبِىّ لابِسُ
عَلَيهِمْ ثِيابُ اللُّؤْم لا يُخْلِقُونها ، سَرَابيلُ في أعناقِهِمْ وبرانِسُ

(٤) من هذا الموضع إلى آخر رقم ٥٣٧ ، لم يروه أبو الفرج .

٥٣٧ — (١)وكان أبو سُوَاجٍ أخذ بالبريرة صُرَدَ بن جَمْرَةَ فى شىْءٍ كان بَيْنهما، فجاء بزَنْجٍ فأَوثبهم على جاريةٍ له، فكانوا يُمْنُون فى قَعْبٍ، ثم حَلَبَ عليه فسقاهُ إيَّاه، فقتلَه. وذلك قولُ الفرزْدَق لجريرٍ، حين أمرَهم [الحجَّاج] أن يأتوه فى لِباس آبائِهم (٢)، فجاء جريرٌ فى الحَدِيد، فقال الفرزدق:

وقدْ تلبَسُ الحُبْلَى السِّلاحَ، وبَطْنُها
— إذا انْتطَقَتْ — عِبْءٌ عليْها تُعادِلُهْ (٣)

٥٣٨ — وذلك قول الأخطل لجرير:

تَعِيبُ الخمْرَ وهى شَرابُ كِسْرَى ... ويَشْرَبُ قومُكَ العَجَبَ العَجِيبَا! (٤)
مَنِىُّ العبْدِ عَبْدِ أبِى سُوَاجٍ ... أحقُّ من المُدامَةِ أنْ تَعِيبَا

٥٣٩ — (٥)ثم وَافى جَريرٌ والتَّيْمِىُّ المدينة وقد وردها الوليدُ بن

(١) هذا الخبر رواه أبو عبيدة فى النقائض بتفصيل: ٢٠٦ - ٢٠٩، ١٠٥٩، وفى الأغانى ٨: ٣٠٧، عن غير ابن سلام، وديوان الأخطل: ١٥٥. وقوله «بالبريرة» لم أعرفه، وأظنه محرفاً. وهو اسم موضع كان ينزله أبو سواج كما يظهر. وأبو سواج: هو عباد بن خلف الضبى، من بنى عبد مناة بن سعد بن ضبة. وصرد بن جمرة، من بنى ثعلبة بن يربوع، عمومة جرير. وهو عم مالك ومتمم ابنى نويرة بن جمرة. والقعب: قدح من خشب غليظ جاف يشرب به.

(٢) انظر رقم: ٤٩٥. والذى بين القوسين زيادة يقتضيها سياق الكلام.

(٣) ديوانه: ٧٤٠، والنقائض: ٦٢٣. انطتقت المرأة: لبست النطاق، وهو شقة أو ثوب تلبسه المرأة، ثم تشد وسطها بشىء، وترفع وسط ثوبها وترسله على الأسفل عند معاناة الأشغال، لئلا تعثر فى ذيلها. وتعادله: تعالجه وتزاوله حتى يعتدل. والحبلى: أراد جريراً اليربوعى، لما ذكر فى القصة.

(٤) ديوانه: ١٥٥، والنقائض: ٢٠٨، والأغانى ٨: ٣٠٦.

(٥) من هنا تتصل رواية أبى الفرج. والتيمى، هو عمر بن لجأ.

عبد الملك ، وكان يتألَّه فى نفْسِه ، [فقال] : أتقذِفان المُحْصَنات وتَعْضَهانِ وتَنْفيان[١] ! فأمر أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصارىّ – وكان وَالِيَه على المدينة – [بضرْبهما] ، فضربَهُما وأقامهما على البُلُس مَقْرُونَيْن ، والتَّيْمىُّ يومئذٍ أَشَبُّ من جرير وأقْوَى ، فجعل يَشُولُ بجرير ، وجريرٌ يقول وهو المَشُولُ به[٢] :

جَزِعتَ منَ العَذابِ غَريبَ تَيمٍ ومَلَّأْتَ القَميصَ مَعَ الإزارِ[٣]
ولَسْتُ مُفارِقًا قَرَنَيَّ حتَّى يَطُولَ تَصعُّدِى بِك وانْحدارِى[٤]

فقال التَّيْمىّ :

ولَمَّا أَنْ قُرِنْتُ إلى جريرٍ ، أَبَى ذُو بَطْنِهِ إلا انْحِدارَا

فقال له قُدَامَة بن إبراهيم الجُمَحىُّ : بِئْسَما قلتَ ! جعلْتَ نفسَك المَقْرُونَ إليه ! قال : فكيف أقول ؟ قال : تقول :

ولمَّا لُزَّ فى قَرَنٍ جَـرِيرٌ أَبَى ذُو بَطْنِه إلّا انْحدارَا[٥]

قال : [جُزِيت خيراً] ، واللهِ لا أَقُولُه أَبَداً إلّا هٰكذا] .

---

(١) تأله : تنسك وتعبد وأقام الدين . عضه المرأة والرجل : رماه بالعضيهة ، وهى الإفك والبهتان والكذب . وقوله : « تنفيان » ، يعنى أنها ينفيان من يهجوان عن آبائهم .

(٢) البلس جمع بلاس (بفتح الباء) : وهى غرائر كبار من المسوح يجعل فيها تبن ، يشهر عليها من ينكل به ، ويدار به وينادى عليه . مقرونان : مربوطان بقرن واحد ، وهو الحبل . وفى الأصل المخطوط « والتيمى يومئذ أشد من جرير . . » ، ورواية الأغانى أجود ، فأثبتها . شال به يشول : ارتفع وقام .

(٣) ليسا فى ديوانه . وهذا البيت لم يروه أبو الفرج وقوله : « وملأت القميص . . . » يعنى أنه سلح على نفسه من الجزع والمضض .

(٤) القرن : الحبل يقرن به شىء إلى شىء . ومن المخطوطة « تصعدى به » باختلاس الكسرة من الهاء . وأثبت رواية الأغانى .

(٥) ذو بطنه : الرجيع والسلح من جوفه . ولز الشىء : شده شداً حتى ألصقه .

٥٤٠ — [١] قال أَبُو البَيْداء : لقِيَ الفرزْدَقُ عمرو بن عَطِيَّة أخا جرير – وهو حِينئذ يُهاجِي ابن لَجَأٍ – فقال له : وَيْلكَ [قُلْ لأَخِيك : ثَكِلَتْكَ أُمُّك !] ، إيتِ التَّيْمىَّ من علُ كما أصْنَعُ بك أنا . وكان الفرزدق قد حَمِىَ وأَنِفَ لجرير أنْ يَتَعلَّقَ به التَّيْمىّ . [قال ابن سَلَّام] : فأنشدنى له خلف الأحمر ، [يعنى الفرزدق ، شعراً يقوله] للتَّيْمىّ :

وَمَا أنْتَ – إنْ قَرْمَا تَمِيمٍ تَسَامَيَا –
أَخَا التَّيْمِ ، إلّا كالوَشِيظَةِ فِى العَظْمِ [٢]

فلو كُنْتَ مَوْلَى الظُّلْمِ أو فى ظِلالِه
ظَلَمْتَ ، ولكنْ لا يَدَىْ لكَ بالظُّلْمِ [٣]

فأجابه ابن لجأ فقال :

كذَبْتَ ! أنا القَرْمُ الّذِى دَقَّ مالِكاً وأَفْناءَ يَرْبُوعٍ ، وما أنتَ بالقَرْمِ [٤]

---

(١) رواه أبو الفرج فى أغانيه ، ٨ : ٧٧ والزيادات منه . فى الأصول ، وفى كثير من الكتب « عمر بن عطية » ، وقد قال جرير يرثيه ويرثى أخاه حكيما :

إذا ما دَعَا قَومٌ علىّ أخاهُمُ ، دعَوْتُ فَلَمْ أُسْمِعْ حكيماً ولا عَمْرَا

(٢) ديوانه : ٨٢٥ . القرم : الفحل الذى يكرم ويترك من الركوب ويودع للفحلة ، فشبهوا به السيد المعظم المقدم فى الرأى والتجربة ، المدافع عن قومه . الوشيظة : قطعة عظم تكون زيادة فى العظم الصميم ، فسموا كل دخيل على قوم ليس من صميمهم ، وشيظة . كأنه حشو فيهم ، ولا يكون عندئذ إلا ساقطاً خسيساً .

(٣) رواية أبى الفرج ، والديوان : « مولى العز » . ومولى الظلم (أو العز) : أهله وحليفه ، يقول : لو كنت نشأت فى قوم لهم قدرة على الظلم والعدوان من بأسهم وشدتهم ، لظلمت ، ولكن لا طاقة لك به ، فأنت من قوم أذلاء يظلمون ولا يظلمون .

(٤) مالك : يعنى بنى مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، سلف الفرزدق ، وهو أخو يربوع بن حنظلة سلف جرير . أفناء الناس : أخلاطهم لا يدرى من أى قبيلة هم . ودق : حطم وأذل .

٥٤١ — حدَّثنى أبو الغرَّاف قال : مَشَت رِجال تَميم بين جرير والتَّيْمِىّ وقالوا : والله ما شُعَراؤُنا إلّا بَلاءٌ علينا ! يُثيرون مَخازِينا ويَهْجُون أحياءَنا وأمْواتَنا[١] ! فلم يزالوا يمشُون بينهما حتى أصلحُوا بينهما بالعهود والمَواثيق المُغَلَّظة ، لا يَعُودا فى الهِجاء . فكفَّ التَّيْمىّ ، وكان جريرٌ لا يزالُ يَسُلُّ الواحدةَ بعد الواحدةِ ، فيقول التيمىّ : والله ما نَقَضْتُ هٰذِه ولا سَمِعْتُها ! فيقول جرير : هٰذِه كانتْ قبلَ الصُّلْح ![٢]

٥٤٢ — [٣]حدَّثنى عُثْمان بنُ عثمان عن عبد الرحمٰن بن حَرْمَلة قال : لما وَرَدَ علينا هِجاءُ جريرٍ والتَّيْمىّ قال لى سَعِيد بن المُسَيَّب : تَرَوَّأْ لنا ممَّا قالا شيئاً[٤] . فأتَيْتُه وقد اُستقبَلَ القِبْلة يريدُ أن يُكبِّر . فقال لى : أرَوَيْتَ شَيْئاً ؟ قلت : نعم ! فأقبل علىّ بوَجْهه ، فأنشدته للتيْمىّ وهو يقول : هِيهِ هِيهِ ! ثمَّ أنشدته لجريرٍ فقال : أكَلَه أكَلَه !

٥٤٣ — [٥]أخبرنى [أبو الخطّاب] الزُّرارىّ ، عن حَجْناء بن جَرير

---

(١) فى الأغانى « ينشرون مساوينا » ، وقوله « ينشرون » جيدة .

(٢) سل الشىء يسله : انتزعه وأخرجه فى رفق ، يعنى قصائده يبثها مترفقاً مستخفياً حتى تذيع .

(٣) رواه أبو الفرج فى أغانيه ٨ : ٧٨ .

(٤) فى المطبوعتين والأغانى « ترو لنا » وهى الأصل . روى الحديث والشعر وترواه : حفظه واستظهره . وهمز « تروى » فقال فيها « تروأ » ، وأمر منه . كما قالوا فى لبيت بالحج لبأت ، وفى رثيت الرجل رثأت . وسعيد بن المسيب مخزومى قرشى ، سيد التابعين والفقهاء ، حجة فى العربية ولد فى زمن عمر بن الخطاب ، لا يضل لسانه .

(٥) روى هذا والذى يليه أبو الفرج فى الأغانى ٨ : ٣٤ ، ٧٨ ، والموشح : ١٢٩ ، والزيادات منه . وفى الأغانى « الرازى » ، وهو خطأ . ولعله ، هو حاجب بن يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة ، انظر رقم ٤٨٣ .

قال : قلتُ لأبي : يا أبت! ما هجَوْت قوماً قطُّ إلا فضحتَهم ، — [أو قال : أفسدْتَهم] — إلّا التَّيْم ! قال : يا بُنَيّ إنّي لم أجِدْ بِناءً فأهْدِمَهُ ، ولا حَسَباً أَضَعُه — [أو قال : أَصِمُه] [1] .

٥٤٤ — وكانت تَيْمٌ رِعاءَ غَنَم ، فيَغْدُون في غَنَمهم ثم يَرُوحُون ، وقد جاءَ كلٌّ رجل منهم بأبياتٍ فيَرْفِدُون عُمَرَ بن لَجَأٍ . وكان أشعرَهم ، بعدَ ابن لجأٍ ، السَّرَنْدَى [2] .

٥٤٥ — [3] وقيل لجرير : ما صَنَعْتَ في التَّيْم شيئاً ؟ قال : إنَّهم شُعَراءُ لِئامٌ .

* * *

٥٤٦ — حدثني مِسْمَع بن عبد الملك — وهو كِرْدِين [4] — قال : كان عَرادَةُ النُّمَيْرِيُّ نديماً للفرزدق ، فقدم الرّاعِي البَصْرَةَ ، فدعاه عَرادةُ فأطعَمَه وسقَاه ، وقال : فَضِّل الفرزدقَ على جريرٍ فأَبَى . فلما أخذَ فيه الشَّرابُ لم يَزَلْ به حتّى قال :

يا صاحِبيّ دَنا الرَّواحُ فَسِيرا ... غَلَبَ الفرزدقُ في الهِجاء جَرِيرا [5]

---

(١) وصم حسب الرجل يصمه : عابه . والوصم والوصمة : العيب والعار في الحسب .

(٢) رفد الرجل يرفده : أعانه . أي يعينونه بشعر فينتحله . والسرندى كان يعين ابن لجأ على جرير . انظر الاشتقاق : ١١٥ والأغاني ٨ : ٢٦ .

(٣) الموشح : ١٢٩ ، والأغاني ٨ : ٧٨ .

(٤) انظر ص ٥١ رقم : ٢ من التعليق ، و ص ١٣٣ رقم : ٢ .

(٥) الأغاني ٨ : ٢٠ ، ٢٠ : ١٧٠ .

٥٤٧ — (١) حدَّثنى أبو الغرَّاف قال [كان] الذى هَاج [الهجاء] بين جَرِيرٍ والرَّاعى — وهو عُبَيْد بن حُصَيْن — [أنّ] الراعى كان يُسْأَل عن جرير والفرزدق فيقول : الفرزْدَق أكرمُهما وأشعرُهما . فلقيه جرير فاسْتَعَاذَهُ من نَفْسِه (٢) ، وطلبَ إليه أن لا يدخلَ بينهما ، وقال : أنا كُنْتُ أوْلَى بعَوْنِك ! إنّى لأمدحُكم ، وإنَّه ليَهْجُوكم ! قال : أجَلْ ، ولست لمَساءَتِك بعائدٍ . ثم بلغ جريراً أنه عادَ فى تَفْضيل الفرزدق عليه ، فلقيه بالبَصْرَة وجريرٌ على بَغْلة ، فعاتبه وقال : استعذْتُك (٢) فزعمتَ أنَّك غيرُ داخلٍ بينى وبينَ ابن عمّى ! قال : والرَّاعى يعتذر إليه، وأقبلَ ابنُه جَنْدلَ — وكان فيه خَطَلٌ وعُجْبٌ — فقال لأبيه : إنّى لأراك تعتذر إلى ابن الأتان ! [نعم] ، واللهِ لَنُفضِّلنَّ عليكَ ، ولنَرْوِيَنَّ هِجاءَك ، ولنهْجُونَّك من تِلْقَاء أنفسنا . وضرب وَجْه بغلتِه وقال :

أَلم تَرَ أنَّ كَلْبَ بَنِي كُلَيْبٍ أَرادَ حِياضَ دِجْلَةَ ثم هابا (٣)

فانصرَف جرير مُحْفَظاً مُغْضباً (٤) . فقال الرّاعى لابنِه : [أمَا] وَاللهِ لَيهجُونِّى وإيّاك ، فَلَيْتَه لم يُجاوِزْنا ! [ولكن سَيَذْكُر نِسْوَتَك] ! (٥)

---

(١) رواه أبو الفرج فى الأغانى ٢٠ : ١٧١ ، مختصراً مختلفاً .

(٢) فى المطبوعتين « فاستعذره من نفسه » و « استعذرتك » . والذى أثبتناه من المخطوطة أجود . واستعذره من نفسه : قال له كن عذيرى ، أى نصيرى والقائم بعذرى ، إذا أنا كافأتك على سوء صنيعك ، فلا تلمنى إذا هجوتك ثم انظر ص : ٣٨١ رقم : ٢ .

(٣) يقول : إنه لا يستعيذك إلا هيبة وخوفاً ، فلو أطاق أن يخوض فى أعراضنا لخاض .

(٤) أحفظ الرجل : أغضبه غضباً يحتقده عليه فى نفسه .

(٥) مابين القوسين ليس فى المخطوطة ، وهو فى المطبوعة . وكانت هناك « ولكن سيذكر سوأتك » ، وهو خطأ لا معنى له .

وعلمَ الراعى أنْ قد أسَاء ، فندِم . فتزْعُمُ نُمَيْرٌ : أنَّه حَلَف أن لا يُجيبه سنةً ، غضباً على ابنه . وأنّه ماتَ فى السَّنَة . ويقول غيرهم : أنه كَمِدَ لمَّا سَمِعها فمات[1] .

٥٤٨ — [2]وكان جريرٌ ، يومَ جرَى هٰذا بينهُما بالبَصْرة ، نازلاً على امرأة مِن كلَيْبٍ ، فباتَ فى عِلِّيَّةٍ لها ، وهى [فى] فى سُفْلِ دارِها[3] . فقالَتِ المرأةُ : فباتَ ليلتَه لا ينامُ ، يَتردَّدُ فى البيتِ ، حتَّى ظننتُ أنْ قد عرَض له [جِنِّىٌّ ، أو سَنَح لَهُ بلاءٌ] ، حتى فُتِح له :

أَقِلِّى اللَّومَ عاذِلَ والعِتابَا وقُولِى ، إنْ أصَبْتُ : لقدْ أصَابَا ![4]

[حتى قال] :

إذَا غَضِبَتْ عليكَ بنُو تَميمٍ حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهم غِضَابا[5]

ثم أصبح [فغدَا] إلى المِرْبَدِ فقال : يا بَنِى تَميمٍ ، قَيِّدوا قَيِّدوا ! أى اكتُبُوا فلمْ يُجِبْه الرَّاعى ، ولم يَهْجُه جريرٌ بغيرها .

٥٤٩ — فقال لى بعضُ رُواة قَيْسٍ وعُلمائهم : كان الرَّاعى فحلَ مُضَر [حتى] ضَغَمه اللَّيْثُ ! يعنى جريراً[6] .

---

(١) الضمير فى قوله « سمعها » إلى قصيدة جرير التى تذكر بعد .

(٢) هذا الخبر لم أجده بلفظه ، وهو مروى بطرق أخرى مختلفة ، انظر الأغانى ٨ : ٣٠-٣١ ، ٢٠ : ١٦٩ .

(٣) العلية : غرفة فى أعلى البيت .

(٤) ديوانه : ٦٤ ، والنقائض : ٤٣٢ .

(٥) انظر رقم : ٤٦١ ، ٥١٠ .

(٦) ضغمه الليث : أهوى إليه فملأ فمه منه ، وعضه عضا شديداً دون النهش .

٥٥٠ — (١) قال أبو البَيْداء : مرَّ راكبٌ يتغنَّى :

وعاوٍ عوى مِنْ غيرِ شىْءٍ ، رمَيْتُهُ ... بقافيةٍ أنفاذُها تقطُرُ الدَّمَا (٢)

خَرُوجٍ بأفْواهِ الرُّواةِ ، كأنَّهَا ... قَرا هُنْدُوانىٍّ إذا هُزَّ صمَّمَا (٣)

فسمِعهُ الرّاعى ، فأتبعه رَسُولًا فقال : لِمن البَيْتان ؟ قال : جريرٌ . قال واللهِ لو اجتَمع الجِنُّ والإنْس على صَاحبِ هٰذين البيتين ما أغْنَوْا فِيه شيْئاً . [ثم قالَ لمن حَضر : ويحكُمْ ! أُلام عَلَى أن يَغْلِبَنى مثْلُ هٰذا !] (٤) وإنما يَعْنى جريرٌ البَعِيثَ ، وكَذلك كانَ اعتراضُ [البعيث] جريراً فى غَير شَىْءٍ .

* * *

٥٥١ — (٥) حدثنى أبان [بن عُثمان] قال : كان سُرَاقةُ البارقىُّ شاعراً ظريفاً تُحبُّه الملوك ، [حُلْو الحدِيث] (٦) . وكان قاتَلَ المختارَ (٧) ، فأخَذه

---

(١) رواه فى الأغانى ٨ : ٩ ، ٢٠ : ١٧١ ، وأخبار أبى تمام للصولى : ١٨٠ مع بعض الاختلاف .

(٢) ديوانه : ٥٤٤ ، والنقائض : ٦٢ ، ٤٣٠ والمراجع السالفة . أنفاذ جمع نفذ : وهو المنفذ ، أى الخرق الذى تحدثه الطعنة بالرمح . وفى المطبوعتين « أسبابها » ، يعنى أبياتها كأنها رماح تقطر دماً ، جمع سبب ، ورواية الأغانى عن ابن سلام « بقارعة » .

(٣) خروج : مبالغة من خارج ، أى كثيرة الخروج ، لأنهم يكثرون إنشادها استحساناً لها وإعجاباً بها . وقرا كل شىء : متنه وظهره . والهندوانى ، كالهندى : سيف منسوب إلى الهند ، وسيوف الهند مستجادة عندهم لجودة حديدها وصقلها . وصمم السيف : مضى فى ضريبته فقطع اللحم والعظام من مضائه .

(٤) ما بين القوسين ليس فى المخطوطة ، ورواه أبو الفرج عن ابن سلام بلفظه هذا ، ورواه الصولى أيضاً مختصراً . فلاجتماعهما على روايته أثبته .

(٥) روى هذا الخبر عن ابن سلام ، أبو القاسم الزجاجى فى أماليه : ٥٦ . باختصار واختلاف

(٦) هذه الزيادة من الأمالى ، وفيها « زواراً للملوك » .

(٧) المختار بن أبى عبيد الثقفى : كذاب ثقيف ، تشيع وادعى النبوة ، وكان له شأن وفتنة ، وهلك مقتولا سنة ٦٧ من الهجرة .

[أسيرًا] فأمر بقتله ، فقال : والله لا تقتلنى حتى تنقض دمشق حجراً حجراً ! فقال المختار لأبى عمرة :(١) مَنْ يخرج أسرارنا ؟ قال : مَنْ أسرك ؟ قال : قومٌ على خيلٍ بُلقٍ [عليهم ثيابٌ بيضٌ] ، لا أراهم فى عسكرك ! قال : فأقبل المختار على أصحابه فقال : [إنّ] عدوّكم يرى من هذا ما لا ترون ! قال : إنّى قاتلك . قال : واللهِ يا أمينَ آلِ محمّد ، إنك تعلم أنّ هذا ليس باليوم الذى تقتلنى فيه ! قال : فَفِى أى يومٍ أقتلك ؟ قال : [يوم] تضعُ كرسيّك على باب مدينة دمشق ، فتدعونى يومئذٍ فتضرب عنقى . فقال المختار لأصحابه : يا شُرطةَ اللهِ ! من يرفعُ حديثى ؟ ثم خلّى عنه . فقال سُراقة — و[كان] المختار يُكنّى أبا إسحاق — :

ألا أبلِغْ أبا إسحاقَ أنّى ... رأيتُ البُلقَ دُهماً مُصمَتاتِ(٢)

أُرى عينَيَّ ما لم ترأَياهُ ! ... كِلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ(٣) !

[كفرتُ بوَحْيِكُمْ ، وجعلتُ نذرًا ... عَلَيَّ قِتالَكُم حتّى المماتِ(٤)]

---

(١) أبو عمرة : كيسان مولى عرينة ، ولاه المختار حرسه ، وكان كذاباً مثله .

(٢) ديوانه : ٧٨ ، والطبرى ٨ : ١٢٣ ، وأنساب الأشراف ٥ : ٢٣٤ ، وغيرهما . البلق جمع أبلق : وهو الفرس فيه سواد وبياض ، يرتفع تحجيله إلى الفخذين . والدهم جمع أدهم : الفرس الشديد السواد ، والعرب تقول : « ملوك الخيل دهمها » . وأدهم مصمت : أسود خالص لا يخالطه لون غيره ، ولا فيه شية . وقوله « رأيت » أى علمت ، لا من رؤية العين . يقول : إنى لأعلم أن البلق دهم مصمتات ، ولكنى كذبت لك . يحمقه .

(٣) فى هامش المخطوطة « ما لم تبصراه » . وترأياه : ترياه ، ولكنه جاء به على الأصل : رأى يرأى . وكذب له على اللغة أيضاً ! والترهات جمع ترهة : وهى فى الأصل الطرق المتشعبة عن الطريق الأعظم ، ثم استعاروها للأباطيل التى تخرج عن جادة الكلام فتذهب فى كل وجه !

(٤) هذا البيت ليس فى المخطوطة ، ومكانه فى المطبوعتين ، ثانى الأبيات ، وهو كذلك فى ديوانه وفى كثير من الكتب . والصواب أن يكون ثالثها ، كما جاء فى أمالى الزجاجى ، وبعده رابع :

إذا قالوا أقولُ لهم : كَذبتُم ! ... وإنْ خرجُوا لبستُ لَهُم أداتى

الأداة : أداة الحرب ، يعنى السلاح .

٥٥٢ — ثم قدِمَ سُرَاقةُ ، بعدَ ذلك ، العراقَ مع بِشْر بن مَرْوانَ . وكان بِشرٌ من فِتْيان قُرَيْشٍ سَخَاءً ونَجْدَةً ، وكان مُمدَّحاً : مدحه جريرٌ ، والفرزدقُ ، والأَخْطَل ، وكُثيِّر ، وأَعشَى بنِي شَيْبان(١) . وكان [بشْرٌ] يُغْرِي بَيْنَ الشُّعرَاء ، وهو أَغْرَى بين جريرٍ والأخطل(٢) ، فحمل سُرَاقةَ على جريرٍ حتَّى هَجَاه ، فقال [سُرَاقةُ] :

أبلغْ تَمِيماً غثَّهَا وسَمِينَهَا ، والقَوْلُ يَقْصِدُ تارةً ويَجُورُ(٣)
أَنَّ الفَرَزْدَقَ بَرَّزَتْ حَلَبَاتُهُ عَفْواً ، وغُودِرَ في الغُبَار جَرِيرُ(٤)
مَا كُنْتَ أَوَّلَ مُحْمِرٍ عَثَرَتْ بِهِ آبَاؤُهُ ، إِنَّ اللَّئِيمَ عَثُورُ(٥)
حَرِّرْ كُلَيْباً ، إن خَيْرَ صَنِيعةٍ يَوْمَ الحِسَابِ الصَّوْمُ والتَّحْرِيرُ(٦)
هٰــذَا القَضَاءُ البَارِقيُّ ، وإنني بِالمَيْـلِ في مِيزَانِهِ لَجَـدِيرُ

---

(١) النجدة : البأس والشجاعة ، والنصرة لمن يستنجدك . ولم أجد فى ديوان أعشى بنى شيبان شعراً فى مدح بشر بن مروان ، ولكن يصدق قول ابن سلام ما رواه البلاذرى فى أنساب الأشراف ٥ : ١٦٩ من شعر ليس فى ديوانه .

(٢) انظر رقم : ٥٩٥ بعد .

(٣) ديوانه : ٥٠–٥١ ، وأنساب الأشراف ٥ : ١٧٤ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى : ١٣٤ . الغث : المهزول الضعيف الساقط . قصد الطريق : استقام ، وجار : عدل عن الجادة .

(٤) برز الفرس : سبق رجاء بارزاً . والحلبة : خيل الرهان . عفواً : بلا جهد أو مشقة .

(٥) فرس محمر : لئيم ، يشبه الحمار فى جريه وبطئه . وفى الأنساب « مقرف » ، وهو الفرس النذل ، الذى أمه برذونة وأبوه عربى . عثر به عثاراً : كبا به فسقط .

(٦) فى المطبوعتين « العتق والتحرير » . يذكر ما جعله الله من أحكام كتابه من تحرير الرقاب والصوم ، كقوله : « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا . . »

٥٥٣ — فقال جرير فى قصيدته التى قال [فيها] :

يا صاحِبَيَّ ، هَلِ الصَّباحُ منير ؟ | أم هَلْ لِلَوْمِ عَوَاذِلِى تَفْتِير (١)
يَا بِشرُ ، إنَّكَ لَمْ تزَلْ فى نِعْمَةٍ | يأتِيكَ من قِبَلِ العَلِيِّ بَشِيرُ
بِشْرٌ أبو مَرْوَانَ ، إنْ عَاسَرْتَهُ | عَسِرٌ ، وعِنْدَ يَسَارِهِ مَيْسُورُ (٢)
[يا بِشر ، حُقَّ لوَجْهِك التَّبْشِيرُ ، | هَلَّا غَضِبْتَ لَنَا وأنت أَمِيرُ ؟] (٣)
قد كانَ حَقُّكَ أن تَقُولَ لبارِقٍ : | يا آلَ بارِقَ ، فِيمَ سُبَّ جَرِيرُ ؟
إنَّ الكَرِيمَةَ يَنْصُرُ الكَرَمَ ابْنُهَا ، | وأبْنُ اللَّئِيمَةِ لِلِّئَامِ نَصُورُ (٤)
أمسَى سُرَاقَةُ قد عَوَى لِشَقَائِهِ ! | خَطْبٌ ، وَأُمُّكَ يا سُرَاقَ ، يَسِيرُ
أَسُرَاقَ ، إنَّكَ قد غَشِيتَ ببَارِقٍ | أَمْرًا مَطَالِعُهُ عليكَ وُعُورُ
أَسُرَاقَ ، إنَّكَ : لا نِزاراً نِلْتُمُ ، | وَالحَىُّ من يَمَنٍ عَليكَ نَصِيرُ (٥)

---

(١) ديوانه : ٣٠٠ – ٣٠٣ . وأنساب الأشراف : ١٧٠ ، ١٧٥ . تفتير من الفتور : وهو السكون بعد الحدة .

(٢) أبو مروان : كنية بشر . اليسار : اليسر والسهولة ، وياسره : ساهله ولاينه .

(٣) كان بشر بن مروان أميراً على الكوفة ، ثم ضمت إليه البصرة ، ومات بها سنة ٧٤ ، وهو أول أمير مات بالبصرة ، وولى بعده على العراق الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٤) الكرم جمع كريم ، مثل أديم وأدم وعمود وعمد .

(٥) خبر ذلك : أن بارقاً ، هو سعد بن عدى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن ربيعة (وهو لحى) بن قمعة اليأس بن مضر ، وهو أخو خزاعة . وقد اختلف فى خزاعة بعد إجماعهم على أنهم من ولد عمرو بن لحى فقالوا : خزاعة فى مضر ، وقال آخرون : عمرو بن لحى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث ، من قحطان اليمن . فمن قال ذلك نسب بارقاً هذا النسب أيضاً . فلذلك قال له جرير : لست من نزار ولا من قحطان اليمن . (انظر الاشتقاق : ٢٧٢ ، والمؤتلف والمختلف : ١٣٤ ، وسائر كتب السير والنسب) .

أ كَسَحْتَ بَاسْتِكَ للفخَارِ، وبارقٌ شيْخَان: أعْمَى مُقْعَدٌ وكَسِيرُ(١)!!

٥٥٤ — وقال جرير:

أَمْسَى خَلِيلُكَ قد أجدَّ فِرَاقَا هَاجَ الحزِينَ وذَكَّرَ الأشْوَاقَا(٢)

وَإِذَا لَقِيتَ مُجَيْلِسًا من بَارِقٍ لاقَيْتَ أطْبَعَ مَجْلِسٍ أخْلاقَا(٣)

قُفْدَ الأَكُفِّ عن المَكارِمِ كلِّها، والجامِعِين مَذَلَّةً ونِفَاقَا(٤)

ولَقَدْ هَمَمْتُ بأَنْ أُدَمْدِمَ بَارِقًا فَحَفِظْتُ فيهمْ عَمَّنَا إسْحَاقَا(٥)

[قال ابن سلّام: يعنى إسحاقَ الذَّبِيحَ]، ثم نزَعا(٦).

٥٥٥ — فمرّ جريرٌ بسُرَاقة بِمِنًى، والناس مُجْتَمِعون على سُرَاقَةَ وهو

---

(١) كسح الأرض يكسحها: كنسها. ومنه أخذ الكسح (بفتحتين)، وهو الزمانة فى الرجلين، إذا مشى جرها جرا. وكسح باسته: حبا عليها حتى كسح الأرض بها. لأنه عاجز عن المسير على قدميه. والكسير: المكسور الرجل.

(٢) ديوانه: ٣٩٦، وأنساب الأشراف ٥: ١٧٥. أجد فلان السير: إذا انكمش فيه، وصار ذا جد واجتهاد.

(٣) مجيلس: تصغير مجلس، وهو ندى القوم. والطبع (بفتحتين): الدنس والعيب، وكل ما يشين فى دين ودنيا، حتى يصدأ به القلب. والطبع: صدأ السيف.

(٤) قفد جمع أقفد: وهو الرجل القصير الأصابع، الكز اليدين، كأن أطرافهما تيبست. يقول: تقصر أيديهم عن نيل المكارم وطلب المساعى، من لؤمهم ودمامة أصولهم.

(٥) دمدم الشىء: ألصقه بالأرض وسواه بالأرض، من قولهم: دم الأرض: سواها بالمدمة، ومنه دمدم عليه: غضب وأرجف ثم أطبق عليه، قال تعالى: «فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها». ودمدمه ودمدم عليه طبخه وأهلكه. وقوله: «وحفظت فيهم ...»، يعنى رعيت ذمته ورحمه. يقول: إنهم من الموالى والعجم أو اليهود، انظر رقم: ٤٩٧، والتعليق عليه.

(٦) هذا الذى بين القوسين ليس فى المخطوطة. ونزع: كف وأقلع. وهذا الذى قاله ابن سلام، أضعف قول، إنما الذبيح أبونا إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما وسلم.

يُنشِدُ ، فَجَهَرَهُ جمالُه،واستحسنَ نَشِيدَه(١) . فقال [جرير] : مَنْ أنتَ ؟ قال : بعضُ من أخْزَاهُ الله على يدَيْك ! قال : أما والله لوْ عرفتُك لوَهَبْتُك لظَرْفِك !

* * *

٥٥٦ — (٢)[قال : كان العبّاس بنُ يزيد الكنديّ هجا جريراً ، وكانت الشعراء تعرِضُ له ليهجوهُمْ .

٥٥٧ — (٣)وكان يقول : لا أَبْتدِى ، ولكنى أعْتدِى] .

٥٥٨ — قال أبو الغرَّاف : [فتأخّر حوْلًا ، وذلك قوله] :(٤)

أَلمْ يَنْهَ عَنِّى النَّاسَ أَنْ لَسْتُ ظَالمًا بَرِيئًا ، وأَنِّى للمُلَاحِينَ مِتْيَحُ(٥)

---

(١) جهره الشىء واجتهره : راعه جماله وحسن منظره . ورجل جهير : حسن المنظر والهيئة . والنشيد : إنشاد الشعر .

(٢) فى المخطوطة : « كان عبد الله بن العباس » ، وهو خطأ صرف أصلحته . وانظر معجم الشعراء : ٢٦٣ — ٢٦٤ . والأغانى ٨ : ٢٠ — ٢١ .

(٣) هذه الفقرة رواها الجاحظ فى الحيوان ٣ : ٩٩ ، ٤٧٠ وفيه « وذكر محمد بن سلام ، عن محمد بن القاسم قال : قال جرير » والحيوان ٥ : ٥٩١ . وقوله « أبتدى » أصلها أبتدئ بالهمز ، ولكنه سهلها لتطابق التى بعدها . وقوله : أعتدى يريد أجازى العدوان بالانتصاف ممن اعتدى على ، يشير بذلك إلى قوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، فقال تعالى : « فاعتدوا » بمعنى المجازاة وإتباع لفظ لفظاً ، وإن اختلف معنياهما كقوله : « فيسخرون منهم سخر الله منهم » .

(٤) قوله « فتأخر حولا » ، أى عاماً ، راجع ما ذكر من هجاء العباس بن يزيد له . وأما قوله : « وذلك قوله » فهو رد على قول جرير : « لا أبتدى ، ولكنى أعتدى » ، فداخل الكلام بعضه فى بعض .

(٥) ديوانه : ١١٠ ، والنقائض : ٥٠٥ ، لاحاه يلاحيه ملاحاة : خاصمه وقاوله وشاتمه وباغضه وسابه . واللحاء والملاحاة ، السباب ، وما ذكرنا معه . وفى المطبوعتين والديوان والنقائض « للمتاحين » قال أبو عبيدة : « المتاحون : المتعرضون » يعنى بالشر . والمتيح : الرجل العريض ، يعرض فى كل شىء ، ويدخل فيما لا يعنيه ، فلا يزال يقع فى بلية بعد بلية . وذلك من صبره على الشر .

٥٥٩ — [(١) فأَتَتْهُ كِنْدَةُ فاستَعْدَوهُ من نَفْسِه . وطَلَبُوا أن لا يذكرَهُمْ . فقال : فأخبِرُونى بمَساوِيه إن كُنْتُم صادِقين . ففرَشُوه أمرَه(٢) ، فقالوا : هُمْ أهلُ بيْتٍ كانُوا فى فَزارة مُجاوِرين ، ثم تحوَّلوا إلى بَنى كِلَابٍ ، ثم تحوَّلوا فى طَيِّئٍ ومعه ابنةٌ له جارية حَدَثَةٌ ، فطَبَنَ لها منهم غلامٌ يقال له عتَّاب(٣) ، فكان يُلاعبُها ، فقالوا إنّها حَبلتْ منه وَلَدتْ ، وقُتِلَ الوَلَد . وكانوا نُزُولًا فى جَبَلٍ يقال له شُعَبَى ، وكانوا أهل بيت سَرْوٍ وجَمال(٤) — قال : رأيتُ رجلًا من وَلَدِه فما رأيتُ أجْمَلَ مِنْه — فقال جرير :

سَتَطْلُعُ من ذُرَى شُعَبَى قَوافٍ ... عَلَى الكِنْدِيِّ تَلْتَهِبُ الْتِهابا(٥)

---

(١) رجع إلى خبر العباس بن يزيد الكندى فى رقم : ٥٥٦ . وكان العباس بن يزيد بن الأسود الكندى ، لما سمع قول جرير :

إذا غضبتْ عليكَ بنو تميمٍ ... حسبتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضابا

فقال العباس :

ألا رَغِمتْ أُنوفُ بنى تميمٍ ... فُساةِ التَّمرِ ، إن كانوا غِضابَا

لئن غضبتْ عليك بنو تميمٍ ... فما نَكَأَتْ بغَضْبَتِها ذُبابَا

لَوِ اُطَّلَعَ الغرابُ على تميمٍ ... وما فيها من السَّوْءاتِ ، شَابَا

(٢) استعدى عليه السلطان : استعان به فأنصفه منه . واستعدوه من نفسه : استنصروا به ولجأوا إليه أن يعيذهم من شر لسانه . انظر ص ٣٧٣ رقم : ٢ . وفرشته أمرى : بسطته له كله وكشفته .

(٣) الجارية اسمها « هضيبة » (على التصغير) ، وفى الأغانى وغيره أنها أخته لابنته . وحدثة : شابة حديثة السن . وطبن لها : خببها وراودها وخدعها عن نفسها ، فأفسدها .

(٤) شعبى : من جبال طيىء ، كما تبين من كلامه . وقال آخرون : هو فى بلاد فزارة ، وآخرون قالوا فى بلاد كلاب . والسرو والسراء : الشرف والنبل والسخاء والمروءة .

(٥) ديوانه : ٦٢-٦٤ . وروايته على غير ترتيب الشعر فى الديوان . وهى هجاء بليغ وجيع .

أيَوْمًا فى فَزَارَة مُسْتَجيرًا ؟ وَيَوْمًا نَاشِدًا حِلْفًا كِلاَبَا ؟

أَعتَّابًا تُجَاوِرُ ، حِينَ أَجْنَتْ نَخِيلُ أَجًا ، وأَعْنُزُه الرُّبَابَا ؟(١)

يُخَاتِلُهَا وتَحْسِبُه لِعَابًا ! أَسَاءَ غُلامُ جِيرَتِكَ اللِّعَابَا !(٢)

وَمَا خَفِيَتْ هُضَيْبَةُ يومَ جُرَّت ، ولاَ إطْعَامُ سَخْلَتِهَا الكِلاَبَا(٣)

يُقطِّعُ بالمَشَاقِصِ حَالِبَيْهَا وقد بَلَّتْ مَشِيمَتُهَا التُّرَابَا !(٤)

وقَدْ حَمَلَتْ ثَمَانِيَةً ، وَتَمَّتْ لتَاسِعِهَا ، وتَحْسِبُهَا كَعَابًا !(٥)

---

(١) فى الأغانى والمخطوطة « عتاب » بالتاء ، وفى الديوان « عناب » بالنون ، وفى تعليق البيت : « عناب رجل من نبهان ، وهو أبو حريث بن عناب الشاعر » . ولست أحققه . وأنا أستبعده ، فإن حريث بن عناب ولده أقدم من جرير والفرزدق بقليل . أجنى الشجر : صار له جنى أى ثمر يجنى فيؤكل . وأجأ : أحد جبلى طيئ ، سلمى وأجأ . وأعنز جمع عنز : وهى الماعزة . والرباب جمع ربى (بضم الراء وتشديد الباء المفتوحة) ، شاة ربى : هى التى تربى فى البيت لأجل اللبن ، وقيل : هى القريبة العهد بالولادة . يذكر شرهه ولؤمه ، وأنه إنما نزل عليه طمعاً فى ماله من تمر ولبن ومعزى ، وذلك فى الخصب .

(٢) اللعاب : ملاعبة العذارى . وفى الديوان : « يلحفها » يريد : يكون لها لحافاً فيغشاها ويتبطنها .

(٣) يقول : لم يخف أمرها على الناس إذ جرت إلى خارج الحى ، لكى توارى فضيحتها . والسخلة : ولد الشاة من المعز والضأن ساعة تضعه . وأراد بذلك تحقيرها وتحقير مولودها ، وأنه ولد لزنية كما تولد البهائم .

(٤) المشاقص ، جمع مشقص : وهو السهم له نصل طويل . والحالبان : عرقان أخضران يكتنفان السرة إلى البطن . ومشيمة المرأة : التى يكون فيها الولد ، يقال لها القميص والكيس أيضاً . يقول : لم يخف أمر هضيبة ، وإن كنت أنت قد توليت بنفسك اقتبالها ، فقطعت مشيمتها وقتلت ولدها . وفعل ذلك من خشية العار والفضيحة .

(٥) الكعاب : الجارية حين يبدو ثديها للنهود . وهو يستجهله بهذا البيت ويستحمقه : لم يميز كعاباً لم تتزوج ، من أنثى قد حبلت ثمانية أشهر وطعنت فى تاسعها . ولعل هذا البيت أولى به أن يكون بعد البيت الرابع : « يخاتلها ... » .

أَعَبْدًا حَلَّ فِي شُعَبَى غريبًا ! أَلُؤْمًا - لا أبا لكَ - واغْتِرابا(١)

إذا نزلَ الحجيجُ على قُنَيْعٍ دَبَبْتَ اللَّيْلَ تَسْتَرِقُ العِيابا(٢)

فقدْ حلَّتْ يمينُك ، إنْ إمامٌ أقامَ الحدَّ واتَّبعَ الكِتابا(٣)

فتزعمُ الناسُ : أنه لما أتتْه هذه الأبياتُ كَمِدَ فمات .

* * *

٥٦٠ — قال، وقال رجُلٌ من عبد القيس، يقال له : أُحْمَر بن غُدانة ، من بنى عَصَر(٤) :

عَلامَ تَعنَّى ، يا جريرُ ، وقد قَضَى أخُو عَصَرٍ : أنْ قد علاكَ الفرزْدَقُ ؟(٥)

وإنَّ امرأً سوَّى كُلَيْبًا بدارمٍ ، وسوَّى جريرًا بالفرزْدقِ ، أحمقُ

فأخذه عَبْدالعزيز بن عَمْرو بن مَرْجُوم - وكان سيِّد عَبْدِ القيسِ بالبَصْرة ، وأبُوه سيِّد ، وجدُّه سيِّد(٦) -

---

(١) هذا بيت استهلكه النحاة تأويلا وإعراباً . فقالوا إن « أعبداً » يكون على وجهين ، على النداء ، وعلى أنه رآه فى حال افتخار ، فقال : أعبداً ! أى أتفخر عبداً . إلى آخر ما قالوا . وإنما هو عندى منصوب على حذف الفعل ، أى : أأرى عبداً ، أو ما يشبهه ، لأنه أراد التعجب من عبد يحل فى دار غربة ، فيجمع اللؤم والغربة معاً . يتعجب من جراءته ، ولا حامى له من عصبية أو أهل أو شرف أو نخوة .

(٢) الحجيج : الحجاج ، جمع حاج . وقنيع : ماء كان للعباس بن يزيد الكندى وأهل بيته ، على ظهر محجة أهل البصرة من حمى ضرية ، وبينه وبين المصعد إلى مكة تسعة أميال . (معجم ما استعجم : ٨٦١) . العياب جمع عيبة : وهى وعاء من أدم يكون فيه المتاع . يذكر أنه لص يدب ليلا يسرق متاع الحاج .

(٣) حلت يمينك : يعنى حل قطعها لسرقته ، إذ وجب عليه الحد .

(٤) بنو عصر بن عوف بن عمرو بن عوف بن جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة ابن لكيز بن أفصى بن عبد القيس .

(٥) تعنى تتعنى : أى تشق وتجهد .

(٦) أبوه عمرو بن مرجوم العبدى ، كان رئيس عبد القيس فى يوم الجمل ، مع على رضى الله عنه .

٥٦١ — وجَدّه مَرْجُوم اسمه : عَامِر بن عُبَيْد ، فنافر رجلا من قَوْمه إلى النُّعمان فنفَّرَهُ عَلَيه وقال : رَجَمْتُك بالشرف ، فسمّى مَرجومًا[١] ، وفيه يقول لبيد :

وَقَبِيـلٌ من لُكَيْزٍ شَاهِدٌ   رَهْطُ مَرْجُومٍ ورهط ابْنِ المُعَلّْ[٢]

٥٦٢ — [٣]فشدّه وَثاقاً ، فأرسلَ بِه إلى جَرِير وقال : أحكُمْ فيه . فقال جرير :

لا ! لا ! ، ابنَ عَمرِو بن مَرجُومٍ ، لقد خَرَجتْ
شَنْعَـاءُ ، لا تَتَّقِى سَمْعًا ولا بَصَرا ![٤]
إنى لأَرْجُو ، ورَاجِى العَفْوِ مُدْرِكُهُ ،
أَنْ يَجْبُرَ اللهُ فى الدُّنْيا بَنِى عَصَرا

---

(١) فى الاشتقاق : ٢٠١ « مرجوم واسمه شهاب بن عبد القيس » ، وفى تاج العروس « عامر بن مر بن عبد قيس بن شهاب » ، وفى طبقات ابن سعد فى ترجمة ولده عمرو : ٤١٠ « عمرو بن المرجوم ، واسم المرجوم عبد قيس بن عمرو بن شهاب بن عبد الله بن عصر بن عوف بن عمرو ، من عبد القيس ، وكان فى الوفد ، وهو الذى أقدم عبد القيس البصرة » ، ونقل صاحب الإصابة ٥ : ١٥ ، عن الخطيب فى المؤتلف « أنه نقل من ديوان المسيب بن علس الذى صنفه ثعلب النحوى أنه مدح مرجوماً (بالجيم) بن عبد مر بن قيس بن شهاب بن رباح بن عبد الله بن زياد بن عصر ، وكان من أشراف عبد القيس ورؤسائها فى الجاهلية ، وكان ابنه عمرو بن مرجوم ، سيداً شريفاً فى الإسلام ، وهو الذى جاء يوم الجمل فى أربعة آلاف فصار مع على . ولم يقف الخطيب على ما نقله ابن سعد من وفادته وإسلامه » . والمنافرة : أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ثم يحكما بينهما رجلا . ونفر الحاكم أحدهما على صاحبه تنفيراً : قضى له بالغلبة .

(٢) هذا البيت ليس فى ديوان لبيد ، ولكن رواه الناس فى كتبهم ، انظر البيان والتبيين ١ : ٢٦٦ ، واللسان وتاج العروس (رجم) . وابن المعل : هو الجارود ، واسمه بشر ، بن عمرو بن حنش بن المعلى ، سيد عبد القيس ، كان فى وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) رجع إلى ما استطرد عنه فى رقم : ٥٦٠ .

(٤) ليست فى ديوانه . والضمير فى قوله : « خرجت » ، يعنى شتيمة أحمر بن غدانة فى شعره .

كَمْ مِنْ يَتِيمٍ ومِسْكِينٍ وأَرْمَلَةٍ وبَائِسٍ، فى قَدِيمِ الدَّهْرِ، قَدْ جَبَرَا

* * *

٥٦٣ — وقال جريرٌ يرُدّ على الصَّلَتان :

أقولُ، ولم أَمْلكْ، أمالِ بْنَ حَنْظَلٍ، متى كان حُكْمُ اللهِ فى كَرَبِ النخْلِ ؟(١)

٥٦٤ — فاعترضه خُلَيْد عَيْنَيْن، من أهل هَجَر، فقال :

وأىُّ نَبِىٍّ كانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ ؟ وماالحُكْمُ، ياابْنَ اللُّؤْمِ، إلَّامعَ الرُّسْلِ (٢)

٥٦٥ — فقال جرير :

فخَلِّ الفخْرَ، ياابْنَ أَبِى خُلَيْدٍ، وأَدِّ خراجَ رأْسِكَ كلَّ عامِ (٣)

لَقَدْ عَلِقَتْ يَمِينُك رأس ثورٍ، ومَا عَلِقَتْ يَمِينُك باللِّجَامِ

٥٦٦ — وقال جرير :

كَمْ عَمَّةٍ لكَ يا خُلَيْدُ وخَالَةٍ خُضْرٍ نَوَاجِذُهامِنَ الكُرَّاثِ (٤)

نَبَتَتْ بِمَنْبِتِهِ فَطَابَ لِشَمِّها، ونأَتْ مِنَ القَيْصُومِ والجَثْجَاثِ (٥)

فسكتَ خُلَيْد .

(١) انظر ما مضى رقم : ٤٩١ ، بغير هذه الرواية . وقوله : « أمال بن حنظل » أراد : يا مالك بن حنظلة، وكأنه أراد مالك بن حنظلة ، سلف الفرزدق ، أخو يربوع بن حنظلة. سلف جرير .

(٢) انظر ما مضى رقم : ٤٩٣ ، وفيها « من غير قرية » ، وهى الصواب .

(٣) انظر ما مضى رقم : ٤٩٤ .

(٤) ليست فى ديوانه . يعنى أنهم زراع ، وهم يذمون أصحاب الزرع .

(٥) جاء هذا البيت فى اللسان (قصم) ، « ونأت عن الجثجاث والقيصوم » وهو خطأ ، كما ترى . والقيصوم : من نبات السهل ، من الأمرار ، طيب الرائحة ، من رياحين البر ، وورقه هدب ، وله نور أصفر ، ناهض على ساق ، وهو من أطيب نبات البادية ، تتمدح به العرب . والجثجاث : شجر أخضر ينبت بالقيظ ، له زهرة صفراء ، طيب الريح تأكله الإبل إذا لم تجد غيره ، والعرب تستطيبه ، وتكثر ذكره فى أشعارها . يقول : اختلط ريح الكراث بنتن ريحها . فصارت أنتن منه ، فطاب شم الكراث لمن شمها ، وذلك من إلفها زراعته ، وبعدها عن طيب نبات العرب فى البوادى .

* * *

٥٦٧ — [(١)] وقال فى أَحْمر بن غُدَانَة :

نُبِّئْتُ عَبْدًا بالعُيُونِ يَسُبُّنِي ، أُحَيْمِرَ سَوَّارًا على كَرَبِ النَّخْلِ [(٢)]

فقال أحمر :

أَعَيَّرْتَنا بالنَّخْلِ أَنْ كانَ مَالَنَا ؟ وودَّ أَبُوكَ اللُّؤْمُ لو كانَ ذا نَخْلِ [(٣)]

فهمّ جرير ببنى عَصَر ، فأتاهُ عبدُ العزيز بن عمرِو بن مَرْجُومٍ ، فشدَّه فأرسلَه إلى جريرٍ ، وحَمَلَ جَرِيراً وكَسَاهُ] .

ذكر الأخطل

٥٦٨ — [(٤)] حدّثنى عَامِرُ بنُ عبدالملك المِسْمَعِىّ قال : لما بلغَ الأخطلَ تَهَاجِى جريرٍ والفرزدقِ قال لأبنه مالك [(٥)] : انْحدر إلى العراق حتى تَسْمَعَ

---

(١) عاد فى هذه الفقرة إلى ما قطعه فى رقم : ٥٦٢ ، وإنما استطرد لأنهم جميعاً من بنى عبد القيس .

(٢) العيون : مكان بالبحرين ، قال البكرى فى معجم ما استعجم : ٨٢ « ونزلت عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . . . الجوف والعيون والأحساء ، حذاء طرف الدهناء ، وخالطوا أهل هجر فى دارهم » . ونصب « أحيمر » على الذم والهجاء ، كأنه قال : أذم أحيمر . والسوار ، صيغة مبالغة من قولهم : سرت الحائط وتسورته : هجمت عليه مثل اللص وتسلقته وعلوته . وكرب النخل : أصول السعف الغلاظ العراض التى تيبس فتصير مثل الكتف . يهجوه بمزاولة النخل ، ويعيبه بأنه زراع .

(٣) انظر ما مضى ٤٩٢ ، منسوباً إلى الصلتان العبدى ، وروايته « أبوك الكلب » ، وقوله : « اللؤم » بدل من قوله « أبوك » .

(٤) هذا الخبر رواه أبو الفرج من غير طريق ابن سلام عن أبى عبيدة ، عن عامر بن عبد الملك المسمعى فى الأغانى ١١ : ٦١ ، مع بعض الاختلاف . وانظر النقائض : ٨٧٩ . ثم انظر عامر بن عبد الملك فى رقم : ٦١ ص : ٥١ .

(٥) فى خبر أبى عبيدة : « وهو أكبر ولده ، وبه كان يكنى » .

منهُما، وتأتِيَنِى بخَبرِهما. فلقيهما، [ثمّ] استمَع، فأتَى أباهُ فقال: جريرٌ يَغْرِفُ من بَحْر، والفرزدقُ يَنْحِتُ من صَخْر[١]. فقال الأخطلُ: فجَرير أشعَرُهما، فقال:

إنِّى قَضَيْتُ قضاءً غيرَ ذِى جَنَفٍ، لمَّا سَمِعتُ ولمَّا جاءَنِى الخَبَرُ[٢]:

أنَّ الفرزدقَ قد شَالَتْ نَعامَتُهُ، وعَضَّهُ حَيَّةٌ من قَوْمِه ذَكَرُ[٣]

٥٦٩ — ثم قدِمَ الأخطلُ الكوفةَ على بِشْر بن مَرْوان، فبعث إِليه محمَّدُ [بنَ عُمَيْر] بن عُطَارد [بن حاجب بن زُرَارَة] بدراهم وحُمْلاَن وكُسْوَةٍ وخَمْر[٤]. وبلغنِى أنَّ الذى بعَثَ بهذا شَبَّةُ بن عِقَالٍ المُجاشِعىّ[٥] — وقال للأخطل: فَضِّل شاعرَنا عليهِ وسُبَّه. فقال الأخطل:

أُخْسَأْ كُلَيْبُ إليْك: إنَّ مُجَاشِعاً وأَبا الفَوارِس نَهْشَلاً أَخَوانِ[٦]

---

(١) انظر رقم: ٥٩٥ فيما يأتى.

(٢) لم أجد البيتين فى صلب ديوانه المطبوع، وهما فى اللسان (نعم) غير منسوبين. والجنف: الميل والجور والحيف فى الحكم والخصومة.

(٣) فى خبر أبى عبيدة: «وفى رواية ابن الأعرابى: إن الفرزدق قد سال الفرات به». وشالت نعامته: ذهب عزه ودرس أمره. وحية ذكر: شديدة منكرة خبيثة، كما يقال: رجل ذكر: إذا كان قوياً شجاعاً أنفاً أبياً، ومطر ذكر: شديد، وقول ذكر: صلب متين، وشعر ذكر: فحل.

(٤) محمد بن عمير، من بنى عبد الله بن دارم، أخو مجاشع بن دارم سلف الفرزدق، كان له شرف وقدر بالكوفة. الحملان: ما يحمل عليه من الدواب، فى الهبة خاصة.

(٥) هذه العبارة من كلام ابن سلام، لم يذكرها صاحب الأغانى فى خبره عن عامر بن عبد الملك المسمعى. وشبة بن عقال بن صعصعة بن ناجية بن عقال: هو ابن عم الفرزدق بن غالب بن صعصعة، وزوج أخته جعثن.

(٦) ديوانه: ٢٧٢، ونقائض جرير والأخطل: ٢٢٣، والأغانى. وانظر هذا ص: ١٧ تعليق رقم: ٥. خسأ الكلب والخنزير، وكل ما لا يترك أن يدنو من الإنسان: زجره وطرده، يقال: اخسأ إليك، واخسأ عنى: اذهب وابتعد والزم مكانك ولا تدن منى.

قَوْمٌ إذَا خَطرتْ عليك قُرُومُهُمْ جَعلُوكَ بيْنَ كَلاكِلٍ وجِرَانِ (١)

وَإذا وَضَعْتَ أَباكَ فى مِيزَانِهِمْ رَجَحُوا وشالَ أَبُوكَ فى المِيزَانِ (٢)

فقال جرير :

يَاذَا العَبَايَة ، إنَّ بشْرًا قَدْ قَضَى أنْ لَاتجُوزَ حُكُومةُ النَّشْوَانِ (٣)

٥٧٠ — أخبرنى أبو عُبَيْدة النحْوىُّ قال : لما أتى الأخطلَ قولُ جريرٍ :

جَارَيْتَ مُطَّلِعَ الرِّهَانِ بسنِّهِ ، رَوْقُ شَبِيبَتُهُ ، وعُمْرُكَ فَانِى (٤)

---

(١) القروم جمع قرم : وهو الفحل الكريم يودع للفحلة ، وهو شديد صوال . وخطرت الإبل بأذنابها : شالت بها تختال من مرح ونشاط . والكلاكل جمع كلكل : وهو الصدر . والجران : باطن العنق من مذبح البعير إلى منحره ، فإذا برك ومد عنقه قيل : ألقى بجرانه ، وذلك حين يطلب الراحة . يقول : إذا صاولوك طحنوك .

(٢) شال : ارتفع من خفته .

(٣) ديوانه : ٥٧٣ ، ونقائض جرير والأخطل : ٢٠٧ ، والنقائض : ٨٩٧ وانظر بعد رقم : ٥٩٥ . يروى « ياذا العباءة » ، وهما سواء ، ويعنى الأخطل . والحكومة : الحكم بين الخصمين . والنشوان : الذى أخذته النشوة فسكر . والأخطل نصرانى مستحل للخمر .

وقال أبو عبيدة : « العباءة : الكساء ، يعيره بلبس الكساء » وقال أبو تمام فى النقائض : « يعنى أن الأخطل لبس يوم الجسر عباءة » . وذلك فى يوم البشر ، وقد وقع الأخطل أسيراً ، وعليه عباءة دنسة . فسألوه من هو ولم يعرفوه ، فذكر أنه عبد من عبيد تغلب (الأغانى ١١ : ٥٦ — ٥٧ وأنساب الأشراف ٥ : ٣٢٩) ، وهذا أقوى من قول أبى عبيدة .

(٤) ديوانه : ٥٧٤ ، وليس فى نقائض جرير والأخطل ، والنقائض : ٨٩٩ . مطلع ، أصلها مضطلع فأدغم : وهو الضابط للأمر ، القوى عليه المتحمل له . من قولهم اضطلع الحمل واضطلع به . والضلاعة : القوة وشدة الأضلاع . يقول : جاريت قادراً على السبق فى الرهان بفضل سنه وشبابه . وروق الشباب : أوله وأفضله وأصفاه . وهو المراد فى الرواية التالية . والروق (صفة) : المعجب بصفائه وكماله ، وهو المراد فى هذه الرواية .

[ويروى :

جَارَيْتَ مُطَّلِعَ الرِّهَانِ ، بِرَوْقِهِ ... ماءُ الشَّبابِ ، وماءُ رَوْقِكَ فانِى]

قال الأخطل : صَدَقَ ابْنُ المَرَاغَةِ ! وقد أُدِيلَ مِنّى حينَ أقولُ لنابغة بنى جَعْدَة(١) :

لَقَدْ جَارَى أبُو لَيْلَى بِقَحْمٍ ، ... وَمُنْتَكِثٍ عَلَى التَّقْرِيبِ وَانِ (٢)

اذا دَخَلَ الخَبارَ أَكَبَّ فِيهِ ... وخَرَّ عَلَى الجَحَافِلِ والجِرَانِ (٣)

[وكان الأخطلُ أَسَنَّ أهْلِ طَبَقَته] .

٥٧١ — أنشدنى محمد بن الفَضْل الهَاشِمِيّ لجرير فى مُحَمَّد بن عُمَيْر بن عُطَارِد :

إِنَّا لَنَعْلَمُ : مَا أَبُوكَ بِحَاجِبٍ ، ... فَالْحَقْ بأَصْلِكَ من بَنِى دُهْمَانِ (٤)

وهى قصيدةٌ .

---

(١) ابن المراغة : جرير ، انظر ما مضى رقم : ٤٨٤ . وأديل منى ، انتصف منى . من الإدالة : وهى الغلبة . وأدالنا الله من عدونا : نصرنا عليهم .

(٢) ديوانه : ١٩٢ . أبو ليلى ، كنية النابغة الجعدى . القحم : الهرم المسن الفانى . بعير منتكث : إذا كان سميناً فهزل ، يريد ضعيف قد انتكثت من الكبر قواه ، أى انتقضت وتشعثت . والتقريب : عدو الفرس إذا رجم الأرض رجماً من سرعته . والوانى : الضعيف المتعب العاجز .

(٣) رواية ديوانه « إذا هبط الخبار كبا لفيه » . والخبار : ما استرخى من الأرض وتحفر (صارت فيه حفر) ، تتتعتع فيه الدواب أو تسوخ قوائمها . أكب : أكثر النظر إلى الأرض ، مخافة العثار ، ولم يمض مستقيما على وجهه كما يمضى الفرس المحكم العتيق الوثيق . قال تعالى : « أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أم من يمشى سوياً على صراط مستقيم » . وأما رواية الديوان ، فهى معنى مكرر فى الشطرين معاً ، لا فضل فيها . والجحافل جمع جحفلة : وهى من الفرس بمنزلة الشفة من الانسان . والجران : مضى فى ص : ٣٨٨ رقم : ١

(٤) ديوانه : ٥٧٢ ، ونقائض جرير والأخطل : ٢٠٣ ، والنقائض : ٨٩٥ . ينفيه عن جده حاجب بن زرارة . وبنو دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن . قال أبو عبيدة (النقائض : ٤٩٥) : « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عطارد بن حاجب بن زرارة على بعض ما استعمله

٥٧٢ — وقال لشَبَّة بن عِقَال ، وكانت فِيه شُوهَة ، [وذلك فى وَلده بيِّن] (١) :

فَضَحَ العَشيرَةَ يَوْمَ يَسْلَحُ قائماً ظِلُّ النَّعامَةِ شَبَّةُ بن عِقَال (٢)

٥٧٣ — [وقال للأَخْطل :

رَشَتْكَ مُجَاشعٌ سَكَراً بفَلْسٍ ، فَلا تَهْنِيكَ رِشْوَةُ من رَشَا كا (٣)

وهى قصيدةٌ طويلةٌ .

عليه ، قال : وأغار عليه مالك بن عوف النصرى — صاحب يوم حنين — فسبى نساء وأخذ مالا . فرمى جرير عمير بن عطارد — أبا محمد بن عمير — أن أمه سبيت يومئذ فحملت بعمير . فجعله من بنى دهمان ، من بنى نصر بن معاوية » . وأما ما جاء فى نقائض جرير والأخطل : ٢٠٤ « وبنو دهمان بطن من أشجع ، من بنى غطفان » ، فهو قول ساقط .

(١) الشوهة : قبح فى الوجه والخلقة ، ومنه رجل أشوه وامرأة شوهاء ، وشاهت الوجوه : قبحت .

(٢) ديوانه : ٤٧١ ، والنقائض : ٣٢٣ . وقال الجاحظ فى الحيوان ٦ : ١٧٨ ، ١٧٩ : « و يقال للرجل المفرط الطول : يا ظل النعامة . . . وقال جرير فى هجائه شبة بن عقال ، وكان مفرط الطول . . . » ، وذكر البيت . وقول الجاحظ فى إفراط الطول ليس بشىء ، والتجربة تدل على خلافه ، فالنعامة طويلة العنق منتفخة الوسط ، دقيقة الساقين ، وظلها لا يطول . ولو قال زرافة لكان قولا ! ! وربما كان له وجه لو قال إنه أراد قبح المنظر ، لقبح منظر ظل النعامة . وهذا الذى يدل عليه سياق ما قال ابن سلام . وأرى أن النعامة هنا هى : خشبتان ينصبهما الربيئة أو الصائد فى ريد الجبل ، ويلقى عليهما الثمام ، ليستظل به من الشمس أو المطر ، وهى غير مجزئة الظل ، وهى خليقة أن تكون مختلطة الظل قبيحته . والجاحظ جرىء قادر ، ولكنه يخطىء الخطأ يتوارثه الناس من بعده ثقة بعقله .

وقال أبو عبيدة فى النقائض : « كان شبة بن عقال من خطباء العرب ، فكان يوماً يخطب وقد اسحنفر فى خطبته (مضى واتسع) حتى ضرط ، فضرب بيده على استه فقال : يا هذه ، كفيناك السكوت فاكفينا الكلام ! » ، فذلك فضحه عشيرته قائماً يخطب .

(٣) ديوانه : ٤١١ ، يشير إلى ما قصه ابن سلام فى رقم : ٥٦٩ . السكر : الخمر . هنأه الطعام يهنئه ويهنأه : أتاه بلا مشقة ونفعه . ويقال منها : ليهنئك الشىء (بجزم الهمزة) ، وليهنيك (ساكنة الياء) ولا يجوز ليهنك ، كما تقول العامة .

٥٧٤ — وقال :

يا شَبَّ، ويحكَ! لا تكفُرْ فوارسَنا ... يومَ ابنُ كبشةَ عالي المُلكِ جبَّارُ[1]

لَوْلا حمايةُ يربُوعٍ نساءَكُمُ ... كانَتْ لغيرِكُمُ فيهنَّ أَطْهارُ][2]

***

٥٧٥ — [(٣) قال ابن سلّام : وسألتُ بشّارًا المُرعَّث : أيُّ الثلاثةِ أشعرُ ؟ فقال : لم يكن الأخطلُ مثلهما ، ولكنّ ربيعة تعصّبتْ له وأفرطتْ فيه . قلت : فهذان ؟ قال : كان لجريرٍ ضُروبٌ من الشعر لا يحسِنُها الفرزدقُ ، ولقد ماتت النَّوارُ فقامُوا ينوحونَ عليها بشعر جرير . فقلت لبشّار : وأى شيءٍ لجرير من المراثى إلّا التى رثَى بها امرأتَه ؟ فأنشدنى لجرير يرثى ابنه سوادةَ ، ومات بالشّام :

قالُوا: نَصيبَكَ من أجرٍ! فقلتُ لهُمْ: ... كيفَ العزاءُ وقدْ فارقتُ أشبالى؟[4]

---

(١) ديوانه : ١٩٨ . ابن كبشة ، هو حسان بن الجون الكندى ، ملك اليمن . واليوم يوم ذى نجب . انظر خبره فى التعليق على رقم : ٤٧٥ .

(٢) وكانت يربوع ، رهط جرير ، هى التى تولت أمر ذى نجب حتى أدركت الظفر . والأطهار جمع طهر : وهو نقيض الحيض . يقول : لولا نحن لأسر الملك نساءكم ، واتخذهن سبايا يطهرن عنده ويحضن ، لا يرددن إليكم .

(٣) هذا الخبر نقلته من الأغانى ٨ : ١٠ ، وذكر الأخطل فيه هو الذى يفسر لنا ، ذكر بن سلام خبر جرير والفرزدق فى هذا المكان من الكلام عن الأخطل . ولولاه لكان الخبر الآتى رقم : ٥٧٦ ، ٥٧٧ مقحما فى غير موضع . وانظر أيضاً رقم : ٤٥٢ فيما مضى . ولقب بشار بن برد : المرعث ، لرعاث كانت له فى صغره فى أذنه . والرعاث جمع رعث (بفتح الراء) وهو ما علق فى الأذن من قرط وغيره .

(٤) ديوانه ٤٣٠ ، والكامل ١ : ١٣٠ . « نصيبك » بالنصب ، حذف الفعل لدلالة الكلام عليه ، أى أحرز نصيبك من الأجر بالصبر على رزيئتك . العزاء : الصبر عن عزيز مفقود . الأشبال جمع شبل : وهو ولد الأسد إذا أدرك الصيد واستمر مريره .

فَارَقْتَنِي حِينَ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِي، وحِينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّةِ البَالِي (١)
أَمْسَى سَوَادَةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ بَازٍ يُصَرْصِرُ فَوْقَ المَرْبَأِ العَالِي (٢)
قد كُنْتُ أعْرِفُه مِنِّي إذا غَلِقَتْ رُهْنُ الجِيادِ وَمَدَّ الغَايَةَ الغَالِي (٣)
إنَّ الثَّوِيَّ بذِي الزَّيْتُونِ، فَاحْتَسِبِي، قَدْ أَسْرَعَ اليَوْمَ فِي عَقْلِي وفي حَالِي (٤)

---

(١) كف من بصره : غض منه وأضعفه وذهب ببعضه ، لم يرد العمى . الرمة : مايبقى من الإنسان بعد موته ، هكذا ينبغى أن يفسر هنا . وأهل اللغة يقولون : الرمة : العظام البالية . يذكر فراق ولده له وقد أسن وضعف . ويروى : « فارقنى » وهى جيدة .

(٢) جلى الصقر والبازى ببصره (بتشديد اللام) : إذا آنس الصيد فرفع طرفه ورأسه . فقول جرير « يجلو مقلتى » ، أراد « يجلى بمقلتى باز » ، فرده إلى الثلاثى ، ثقة بعربيته وعربية سامعه ، وشبه عينيه بعينى الصقر فى صفائهما وقسوتهما ونفاذهما . والمقلة : شحمة العين التى تجمع السواد والبياض . وباز لحم : يشتهى اللحم ويقرم له . والبازى : صقر شديد يصاد به . انظر صفته فى ص : ٣٦ رقم : ٤ . وصرصر البازى : صوت ومد صوته ورجعه ، وذلك عند انقضاضه للصيد ، كأنه فرح فصرصر . والمربأ : منارة عالية للبازى يشرف عليها ليرقب الصيد ، من قولهم ربأ لنا فلان : إذا أشرف على قنة جبل ، فكان رقيباً ينظر ويحرس ، وهو ربيئة للقوم : حارس .

وهذه رواية الأغانى ، وابن سلام ، فى هذا الموضع عن بشار . وستأتى رواية أخرى فى رقم ٥٧٧ . ورواية الكامل : « هذا سوادة » ، وهى أجود من هذه الرواية . وأجودهن جميعاً رواية الديوان « لكن سوداة ! » ، فالحسرة فيها أشد وأبلغ ، كأنه يقول : هبونى تعزيت عن أشبالى ، « لكن سوادة » ! كيف أتعزى عنه ! وهى صرخة مفردة ، يوقف عليها . وسنذكر بعد الرواية الأخرى .

(٣) يقول : قد كنت أعرفه من نفسى ومن خليقتى ، يشبهنى فى شدتى وصرامتى ودهائى . وغلق الرهن : بقى فى يد المرتهن ، فلم يمكن تخليصه وفكه . والرهن جمع رهان ، والرهان جمع رهن : وهو ماوضع عند الإنسان لينوب مناب ما أخذ منه . ومنه رهان الخيل : وهو ما يدفعه المتراهنون على السباق . والغاية : هى قصبة أو راية تنصب فى الموضع الذى تكون فيه المسابقة ليأخذه السابق ، ومنه أخذت غاية كل شىء ، وهى مداه ومنتهاه . والغالى : الذى يأخذ قوسه وسهمه ، فيغالى فى قذف السهم . واسم هذا السهم ، سهم الغلاء : تقدر به مدى الأميال والفراسخ التى يستبق إليها ، فحيث انتهى فهو غاية . فجعل جرير استحقاق رهان الخيل عند بدء السباق ، ومجىء الغالى ورفعه قصب السبق ، مثلا لتحرج الأمور بالمرء حتى لايستطيع أن يتراجع أو يتخلص ، ولم يكن له إلا أن يستفرغ طاقته ودهاءه ومراسه فى إدراك الظفر والتبريز على أقرانه .

(٤) الثوى : المقيم فى قبره . من ثوى : أطال المقام ، وثواء القبر لا أطول منه ! وذو الزيتون : أراد الشام . احتسب ولده : صبر على المصيبة طلباً للأجر ، واعتد مصيبته فى جملة البلايا التى يثاب على الصبر عليها . وأراد نفسه . يقول : اصطبرى . أسرع فيه البلاء : أسرع فى نقض عقله وحاله .

إلاّ تكُنْ لك بالدَّيْرَيْنِ مُعْوِلَةٌ ، فرُبَّ باكيةٍ بالرَّمْلِ مِعْوالِ (١)

كأمِّ بَوٍّ عجُولٍ عِنْدَ مَعْهَدِهِ حَنَّتْ إلى جَلَدٍ مِنْه وأوْصَالِ (٢)

حَتَّى إذا عرفتْ أنْ لا حياةَ بِهِ رَدَّتْ هَمَاهِمَ حَرَّى الجَوْفِ مِثْكالِ (٣)

زادتْ على وَجْدِها وَجْداً ، وإنْ رجعتْ في الصَّدْرِ مِنْها خُطُوبٌ ذاتُ بَلْبَالِ (٤)]

---

(١) الديرين : لم أجده فى كتب البلدان ، ثم وجدت فى مسالك الأبصار ١ : ٣٤٩ فى ذكر : « دير صليبا ، وهو بدمشق ، مطل على الغوطة ، ويليه من أبواب دمشق باب الفراديس . . . وإلى جانبه دير للنساء فيه رهبان وراهب ، وإياه أراد جرير بقوله :

إذا تذكرتُ بالديْرينِ أرّقنى صوت الدَّجاج وقَرْعٌ بالنواقيس

قال الخالدى : مما يدل على أنه يلى باب الفراديس قول جرير فى هذا الشعر :

فقلتُ للركب إذْ جَدَّ النَّجاءُ بِهِم : يا بُعْدَ يبرينَ من بَابِ الفَرَاديسِ ! »

وقد أجاد فى استخراجه . والرمل : يعنى رمل يبرين ، وهى ديار تميم . معولة : باكية ، يعنى أمه ونساءها . معوال : شديدة العويل ، وهو البكاء .

(٢) أم بو : يعنى ناقة . والبو : ولد الناقة ، أو جلد حوارها يحشى تبناً لتعطف عليه إذا مات ولدها لتدر . والعجول ، من النساء والإبل : الوالدة التى فقدت ولدها ، فهى تعجل فى جيئتها وذهابها جزعاً عليه . والمعهد : الموضع الذى كانت تعهده فيه . والجلد : هو الجلد ، الذى يكسو عظامه ، سواء . الأوصال جمع وصل (بضم فسكون) : وهى الأعضاء ومجتمع العظام كلها . والناقة شديدة الحنين على ولدها إذا هلك ، قالت الخنساء :

فما عجولٌ على بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ لَها حَنِينان : إعلانٌ وإسْرارُ

(٣) ردت : رددت ورجعت . والهماهم ، جمع همهمة : وهى الصوت المردد فى الصدر من الهم والحزن. وحرى الجوف : احترق كبدها من حرارة الحزن . امرأة ثكلى وثكول وثاكل : فقدت ولدها . والمثكال : الفاقدة التى أحرقها الفقد ، مبالغة .

(٤) زادت : يعنى أمه ، هى أشد جزعاً عليه من هذه العجول التى فقدت حوارها . الوجد : الحزن الشديد على من تحب . والخطوب جمع خطب : وهو الشأن والأمر عظم أو صغر . والبلبال : البرحاء فى الصدر وشدة الكرب والغم والوسواس .

* * *

٥٧٦ — (١)حدثنى عبد الجبّار بن سَعِيد بن سُلَيْمان المُسَاحقى ، عن المُحَرّر بن أَبى هُرَيْرَة قال : إِنِّى بأَرِيحَا ، فى عَسْكَر سُلَيْمان بن عَبد الملك ، وفيه جريرٌ والفرزدقُ ، إذ أتانا الفرزدقُ فقال : اُشْهَدُوا جِنَازَةَ مُحَمَّدٍ ٱبن أخى ، ثم قال :

بِتْنَا بدَيْرَىْ أَرْيحَاءَ بِلَيْلَةٍ   خُدَارِيَّةٍ ، يَزْدادُ طُولًا تِمامُها(٢)

أُكابِدُ فِيها نَفْسَ أَقْربِ مَنْ مَشَى   أَبُوه بِإِمْرٍ ، غَابَ حَتَّى نِيَامُها(٣)

---

(١) رواه أبو الفرج فى الأغانى ٨ : ٨٤ . المحرر بن أبى هريرة الدوسى ، أبوه الصحابى الجليل القدر ، وكان المحرر من التابعين ثقة قليل الحديث ، وتوفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز . وأريحا (بفتح فكسر فياء ساكنة) : مدينة بالأردن . وقد غير جرير والفرزدق فى أشعارهما وزنها فقالا : أريحاء ، بفتح فسكون فياء مفتوحة ، ممدودة الآخر . وفى الأغانى خطأ لم يهتد المصححون إلى تصويبه ، وصوابه هنا ، وذلك قوله : « اشهدوا أن محمد ابن أخى » .

(٢) ديوانه : ٧٥١ — ٧٥٤ ، قصيدة محكمة طويلة ، أتى ابن سلام بأبيات مفرقة مخلطة منها . وقد زعم كاتب ديوانه أنه رثى بها « محمد بن العاص بن سعيد بن أمية ومات بالشام » وهو إفك محض . وابن أخى الفرزدق هو : محمد بن الأخطل بن غالب بن صعصعة ، والأخطل ، أخو الفرزدق ، شاعر ، وإنما كسفه الفرزدق ، فذهب شعره ، أو دخل فى شعر أخيه ! ليلة خدارية : مظلمة شديدة السواد تمنع البصر أن يرى ، كأنها خدر مرسل . وليل التمام (بكسر التاء لا غير) : أطول ما يكون من ليالى الشتاء .

(٣) الشطر الثانى من هذا البيت جاء مختلف الرواية ، ففى الديوان « أبوه لنفس مات عنى نيامها » ، وهو كلام لا يستقيم . وفى الأغانى : « أبوه بأم غاب عنها نيامها » ، وهى أيضاً قليلة الغناء . وأمثل الروايات هى هذه ، يقول : أكابد بإمر ، نفس امرىء ، أبوه أقرب من مشى إلى . وفيه من تعقيد الفرزدق ما فيه . يعنى أبوه أقرب الناس إلى ! والإمر (بكسر فسكون) : الأمر العظيم الشنيع المنكر ، وفى كتاب الله « لقد جئت شيئاً إمراً » . وقوله : « غاب حتى نيامها » رد على قوله « بليلة خدارية » . وأراد : غاب عنه فيها كل حى ، حتى النيام لم يشهدوا . يريد أنه وحيد لا رفيق معه ممن يسهر أو ينام ، حتى يأنس به ولو كان نائماً .

وكُنَّا نَرى مِنْ غالب فِي مُحَمَّدٍ شَمَائِلَ يَعْلُو الفَاعِلِينَ كِرَامُهَا[١]

وَكَانَ إذَا مَا حَلَّ أرْضًا تَزَيَّنَتْ بزِينَتِـــه صَحْرَاؤُها وإكَامُهَا[٢]

سَقَى أَرْيحاءَ الغَيْثُ ، وَهْيَ بَغِيضَةٌ إلَيْنَا ، ولـكِنْ كَيْ لِيُسْقَاهُ هَامُهَا[٣]

ثم انصرفَ ، وجاء جريرٌ فقال : قد رأَيْتُ هٰذا و [سمعت] ما قال فى أبنِ أخيه ، ومَا أبنُ أخيه ، فَعَلَ اللهُ به [وفَعَل] ؟ - وذكر اللعْن . قال : [ومَضَى جريرٌ] ، فلا والله ما لبِثْنَا إلاَّ جُمَعاً حتى جاء جريرٌ فقام مقامه فقال : أُشهَدُوا سَوَادَةَ ! - أبنَهُ

٥٧٧ — ثم قال :

كأنْ سَوَادَةُ ! يَجْلُو مُقْلَتَىْ لَحِمٍ بازٍ يُصَرْصِرُ فَوْقَ المَرْبأ العَالِي[٤]

---

(١) غالب : أبو الفرزدق . الشمائل جمع شمال (بكسر الشين) : وهو الطبع والخلق الحسن . يعلو : يقهر ويغلب ويبز . والفاعل : جاء به على النسب ، أى ذو الفعال (بفتح الفاء) . والفعال : الفعل الحسن من الجود والكرم . والكرام : المفاخرة بالكرم . كارمت الرجل فكرمته : فاخرته فى المكارم فغلبته وزدت عليه .

(٢) تزينت بما يفعل من معروف ، وما يحيى بسخائه وبذله وكرمه .

(٣) فى الديوان « ولكن بى ليسقاه » ، وكذلك فى نسخة واحدة من أصل الأغانى . وكان فى سائر الأصول عندهم « كى ليسقاه » فزعموه تحريفاً ، وهو صواب محض ، جاء فى الشعر ، ومن أشهر شواهده قول ابن قيس الرقيات :

كَىْ لِتَقْضِيَنِى رُقَيَّةُ ما وَعَدَتْنِى غير مُخْتَلَس

فقالوا : أدخل كى على اللام ، وقال آخرون : قدم وآخر ، أى « لكى تقضينى » . وهكذا فعل الفرزدق . والهام جمع هامة : وهو طائر ، تزعم الجاهلية أن عظام الموتى أو أرواحهم تصير هامة فتطير ، وتطلب السقيا ، فجاءنا الله بالإسلام فنهانا عنه ونفاه وأبطله . وكان طلب سقيا الهام عندهم كالترحم للميت .

(٤) انظر ما مضى رقم ٥٧٥ ، وكلامنا . على البيت ص : ٣٩٢ رقم : ٢ . كأن : مخففة من كأن ، يقول : كأنى بسوادة يجلو ، وهى رواية حسنة ، تلى رواية ديوانه فى الحسن . وفى رواية أخرى لأبى الفرج ٨ : ١١ « أودى سوادة » ، لا بأس بها .

وَدَّعْتَنِي حِينَ كَفَّ الدَّهْرُ مِن بَصَرِى ... وحِينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّةِ البَالِى
إلَّا تكُنْ لَكَ بالدَّيْرَيْنِ بَاكِيةٌ ... فَرُبَّ بَاكِيَةٍ بالرَّمْلِ مِعْوَالِ
قالُوا: نَصِيبَك من أَجْرٍ! فقلتُ لهم: ... كَيف العَزَاءُ، وقد فارَقْتُ أشبالِى؟]

ما قيل فى الأخطل وأحاديثه

٥٧٨ — [(١)] حدثنى أبو يحيي الضبِّىّ قال: كانَ عبدُ الرَّحمن بن حسَّان ويَزِيدُ بن معاوية يَتقاوَلان، فاْستعلاهُ اْبن حَسَّان[(٢)]. فقال يزيد لكعب اْبن جُعَيْل: أَجِبْهُ عنِّى، واْهْجُه! فقال: واللهِ ما تَلْتَقِى شَفتاىَ بهجاء الأنْصار! ولكنْ أُدُلُّك على الشاعر الفاجر المَاهِر! فَتًى منَّا يقال له: [غِيَاث بن] الغَوْث، نَصْرانىٌّ[(٣)].

* * *

٥٧٩ — وكان [كَعبٌ] سَمَّاه الأَخطَلَ، سَمِعه يُنْشِدُ هجاءً فقال: يا غُلام، إِنَّكَ لأَخْطَلُ اللِّسَان[(٤)].

---

(١) فى المخطوطة: «أبو بكر الضبى» وهو خطأ، لأن سائر النص «أبو يحيى».

(٢) وكان تقاولهما بسبب ما كان من تشبيب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية، أخت يزيد (الأغانى ٣ : ١٤١). واستعلاه: غلبه وقهره وعلا عليه.

(٣) فى المخطوطة، ظاهرة الحروف: «عتاب بن الغوث»، ولكنى لم أجده كذلك، فأخشى أن يكون تصحيفاً.

(٤) مضى تفسير: «الأخطل» فى رقم: ٣٣٦.

٥٨٠ — قال أبو يَحْيى : قال كَعْبُ بن جُعَيْل : إنّى قد هَجَوْتُ نَفْسِى ببَيْتَين ، وضَمَمْتُ عليهما ، فمن أصابَهما فهُو الشّاعر [١] . فقال الأخطلُ :

سُمِّيتَ كَعْباً بشَرِّ العِظَامِ ، وكان أبوكَ يُسَمَّى الجُعَلْ [٢]

وإنَّ مَحَلَّكَ من وَائِلٍ مَحلُّ القُرَادِ مِنَ اُسْتِ الجَمَلْ [٣]

قال : هُما هٰذان !

* * *

٥٨١ — قال أبو يَحْيَ : فأرسلَ إليه يزيدُ فقال : اُهجُهُمْ ! فقال : كيف أصْنَعَ بمكانِهم ؟ أخافُهم على نَفْسى ! قال : لك ذِمَّةُ أميرِ المؤمنين وذِمَّتِي . فذلك حين يقول :

ذَهَبتْ قُرَيْشٌ بالسَّماحةِ والنَّدَى [واللُّؤْمُ تَحْتَ عَمائِمِ الأَنْصارِ] [٤]

---

(١) ضممت عليه : أخفيته فى نفسى وانطويت عليه . ومثله قولهم : انضم على كذا : انطوى عليه . وفى المصرية « وضمرت عليه » ، فإن صحت فهى من الضمير ، كأنه رده إلى الثلاثى ، والذى فى اللغة : أضمرت ، أى أخفيت . وهوحسن، فقد قالوا : هوى مضمر وضمر (بفتح فسكون) : مخفى ، كأنه اعتقد مصدراً على حذف الزيادة (اللسان : ضمر) . وهذه العبارة عن إخفاء شىء فى النفس ، لا تزال دائرة فى عاميتنا . وأما الأوربية ففيها « ضمزت عليه » ، وهى صحيحة جدا من قولهم : ضمز ، أى سكت وأمسك ولم يجب . ورأيته ضامزاً : لا ينبس . وضمز على ماله : أمسكه وشح عليه . وأصله من ضمز البعير بجرته ، أى أمسك عليها فى فيه ولم يجتر .

(٢) الأغانى ٨ : ٢٨١ ، والشعر والشعراء : ٦٣١ ، والاشتقاق : ٢٠٣ . الكعب : عظم ناتىء منجانبى القدم . والجعل : خنفساء سوداء ، يقال لها أبو جعران ، توصف باللجاجة والخساسة وقذارةالمسعى .

(٣) وكعب بن جعيل من بنى تغلب بن وائل . والقراد : دويبة تلزم الإبل وتعضها . تذكر بالحقارة والذلة .

(٤) الأغانى ١٣ : ١٤٢ ، ١٤ : ١١٨ .

فجاء النُّعْمان بن بَشِيرٍ [الأنصارىّ] إلى مُعاوية فقال : يا أميرَ المؤمنين بُلِغَ مِنَّا أمرٌ ما بُلِغ [مِنَّا مثلُه] فى جاهليَّةٍ ولا إسْلام ! قال : ومن بلَغ ذاك منكم ؟ قال : غُلَام [نَصْرانىٌّ] من بنى تَغْلِب . قال : ما حاجتُك ؟ قال : لسانُه . قال : ذلك لك .

٥٨٢ — وكان النُّعمانُ ذَا منزِلةٍ من مُعاوِية، وكان معاويةُ يقول: يامعشَرَ الأنصارِ ! تَسْتَبْطِئُونى وما صَحِبَنى منكم إلَّا النُّعمان [بن بَشِير] ، وقد رأيتم ما صَنَعْتُ به(١) ! وكان وَلَّاه الكُوفةَ وأكرَمَه .

٥٨٣ — فأُخْبِرَ الأخطلُ ، فطارَ إلى يزيد(٢) . فدخلَ يزيدُ إلى أبيه فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هَجوْنى وذكَرُوك ، فجعلتُ له ذِمَّتَك وذِمّتى على أنْ رَدّ عَنّى ! فقال معاويةُ للنُّعمان : لا سبيلَ إلى ذِمَّة أبى خالد .

٥٨٤ — فذاك حين يقولُ الأخْطَلُ(٣) :

أبا خالدٍ ، دَافعْتَ عَنِّى عَظِيمَةً ... وأدْرَكتَ لَحمِى قَبلَ أن يَتبَدَّدا(٤)
وأطْفأتَ عَنِّى نارَ نُعمانَ ، بعْدَ ما ... أعَدَّ لِأمرٍ فاجِرٍ وتجَرَّدا(٥)

---

(١) استبطأه : عده بطيئاً عن نصرته أو إكرامه أو غيرهما .

(٢) فى المخطوطة : « فصار إلى يزيد » ، وهذه أدل .

(٣) ديوانه : ٩٤ ، والأغانى ١٣ : ١٤٢ ، ١٤ : ١١٨ .

(٤) أبو خالد : كنية يزيد بن معاوية . عظيمة : نكبة عظيمة . قبل أن يتبدد فى نهش الناهشين .

(٥) فى الديوان : « أغذ » : أى أسرع . وتجرد للأمر : جد فيه ، كأنه تجرد من كل ما يعوقه عن الإسراع فى السير .

وَلَمَّا رَأَى النُّعْمَانُ دُونِى ابْنَ حُرَّةٍ، طَوَى الكَشْحَ، إِذْلَمْ يَسْتَطِعْنِى، وعَرَّدَا(١)

وَمَا مُفْعَمٌ - يَعْلُو جَزَائِرَ حَامِرٍ يَشُقُّ إِلَيْهَا خَيْزُرَانًا وغَرْقَدَا(٢)

تَحَرَّزَ مِنْهُ أَهْلُ عَانَاتِ بعدَ مَا كَسَا سُورَهَا الأَدْنَى غُثَاءً مُنَضَّدَا(٣)

كَأَنَّ بَنَاتِ المَاءِ فِى حَجَرَاتِهَا أَبَارِيقُ أَهْدَتْهَا دِيَافٌ لِصَرْخَدَا(٤)

---

(١) دونى : أى يحول بينى وبينه ، قبل أن يصل إلى . الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفى . وطوى الكشح : أى أعرض وتولى وقد طوى كشحه على ضغن يضمره . ومنه الكاشح : وهو العدو الباطن العداوة كأنه يطويها فى كشحه ، معرضاً عنك بوجهه . عرد الرجل عن قرنه : أحجم ونكل وأسرع الفرار .

(٢) بين هذا والذى قبله شعر جيد كثير . مفعم : ممتلئ يفيض ماؤه ، يعنى نهر الفرات . ويروى « مزبد » ، يرمى بالزبد من صخبه وتلاطمه . والجزائر هنا : من أرض الوادى التى لا يعلوها السيل ، ويحدق بها . وحامر : واد على الفرات يصب فيه . الخيزران : القصب ، أما الخيزران المعروف ، اللين القضبان الأملس العيدان ، فهو لا ينبت ببلاد العرب ، إنما ينبت ببلاد الروم . والغرقد : شجر ذو شوك هو العوسج ، فإذا عظم فهو الغرقد .

(٣) عانات : قرى من أرياف العراق ، مما يلى الجزيرة ، وتنسب إليها الخمر الجيدة . والغثاء : ما يحمله السيل من الزبد والقذر والهالك البالى من ورق الشجر . منضد : قد ركب بعضه بعضاً ، من نضدت المتاع ، وضعت بعضه على بعض ، يعنى كثرته وقدمه وتواليه على السور . ورواية الديوان : « سورها الأعلى » ، ورواية ابن سلام أجود .

(٤) بنات الماء : هى الغرانيق ، جمع غرنوق ، يعرف بالكركى ، الإوز العراقى : وهو طائر من طير الماء أغبر اللون طويل العنق والرجلين ، إذا فزع نصب عنقه . يشبه به إبريق الخمر . قال بعض الضبيين :

كَأَنَّ أَبَارِيقَ الشَّمُولِ عَشِيَّةً إِوَزٌّ بِأَعْلَى الطَّفِّ عُوجُ المَنَاقِرِ

وقال أبو الهندى ، يصف الأباريق :

مُفَدَّمَةٌ قَزًّا ، كأَنَّ رِقَابَهَا رِقَابُ بَنَاتِ المَاءِ تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ

الحجرات : النواحى ، جمع حجرة (بفتح فسكون) . ودياف : قرية بالشام أهلها نبط ، كأنها كانت تصنع فيها الأباريق ، فيما أستظهره . وصرخد : بلد قريب من حوران بالشام ، تنسب إليها الخمر الصرخدية .

[يُقَمِّصُ بالمَلّاحِ حَتّى يَشُفَّهُ .... الحِذارُ، وإنْ كانَ المُشِيحَ المُعَوَّدَا](١)
بِمُطَّرِدِ الآذِيِّ جَوْنٍ، كأنَّما زَفَا بالقَرَاقِيرِ النَّعامَ المُطَرَّدا(٢)
بأجْوَدَ سَيْباً من يَزِيدَ إذا غَدَتْ نَجائِبُهُ، يَحمِلْنَ مُلْكاً وسُودَدا(٣)
يُقَلِّصُ بالسَّيْفِ الطَّوِيلِ نِجادُهُ، خَمِيصٌ إذا السِّرْبالُ عَنْه تَقَدَّدا(٤)

* * *

٥٨٥ — (٥)[حدَّثني يُونُس، وعامر بن عبد الملك، وأبو الغَرَّاف،

---

(١) زدت هذا البيت من ديوانه لتعلق الذى بعده به . قمص البحر بالسفينة (بفتح القاف والميم) : حركها بالموج . وجاء فى شعر مسعود بن خرشة المازنى اللص ، كما جاء فى شعر الأخطل هذا « قمص » بتشديد الميم . قال :

وكيفَ بكُمْ يا عَلْوَ أهلاً، ودُونكم لِجاجٌ يُقَمِّصْنَ السَّفِينَ وَبِيدُ

الأغانى ٢١ : ١٦٥، وسمط اللآلى : ٦١٧ . شفه الحزن والخوف : أذهب عقله وأحرقه بالجزع، وأنحله إذا طال عليه . والحذار، كالحذر : الفزع والخوف . والمشيح : الشديد الحذر الجاد فيما حذره ، ولا يكون الحذر بغير جد مشيحا ، أشاح يشيح إشاحة : حذر وجد . يعنى : أن تنزى هذا الموج به ينفضه بالرعب نفضاً ، وإن كان قد جرب البحر حتى تعوده ، ولكن هذا لا مثيل له .

(٢) اطرد : تتابع . والآذى : الموج الشديد . جون : أبيض من الزبد . زفت الريح الغبار : رفعته وطردته على وجه الأرض . وزفا الموج السفينة : استخفها وطردها وحث سيرها فى الماء ، كأنها تطير . والقراقير جمع قرقور : وهى سفينة طويلة عظيمة ثقيلة . طرد الصيد (بتشديد الراء) : طرده وأزعجه . والنعام المطرد : الذى طرده وأزعجه خوف الصائد أو المطر ، فهو أسرع لجريه .

(٣) يقول : ما مفعم . . . بأجود . . . ، وما بينهما اعتراض . السيب : العرف والعطاء السهل المتتابع . النجائب : الإبل الكرام . يقول : فيض الفرات أقل من فيضه ، إذا أتى أرضاً ساح فيها جوده .

(٤) قلصت قميصى : شمرته ورفعته . والنجاد : حمائل السيف . يعنى إذا وضع على عاتقه النجاد الطويل قلص به ، أى رفعه وشمره . كناية عن طول قامته . والخميص : الضامر البطن . وتقدد : انشق . والعرب تمدح السادة بطول القامة واستوائها وسباطتها ، وبضمر الحشا من قلة المطعم والبعد عن الشره .

(٥) هذه الأخبار من رقم ٥٨٥ — ٥٩٢ ، رواها أبو الفرج فى الأغانى ٨ : ٣١٠ — ٣١٣ ، والموشح : ١٣٢ — ١٣٤ ، إلا رقم : ٥٩٢ . وفى النصوص الثلاثة اختلاف . فى الموشح « وعامر بن مالك » وفى الأغانى : « وعبد الملك » وهو خطأ . وأكثر الزيادة بين الأقواس من الموشح . ولم نلتزم الزيادة ولا التغيير .

فألفتُ ما قالوا ، قالوا : أتى الأخطل الكوفة ، فأتى الغَضْبان بن القَبَعْثَرَى الشَّيبانى – [وهو يومئذ سيد بَكْر بن وائل] فسأله فى حَمالة ،[وكان سُؤَلة – على مِثال فُعَلَة]– فقال : إن شئتَ أعطيتُك ألفَيْن ، وإن شئتَ أعطيتُك دِرْهَمَيْن . قال : ما بالُ الألفين ، وما بالُ الدِّرهمين ؟ قال : إنْ أَعطيتُكَ ألفين ، لم يُعْطِكَهَا إِلّا قليل . وإنْ أَعْطَينا دِرهمين ، لم يَبْق بكرىّ بالكوفة إلاّ أعطاكَ دِرْهمين ، وكتبنا لكَ إلى إخْوانِنا من أَهْل البَصْرة ، فلم يَبْقَ بَكْرِىٌّ إلَّا أعطاكَ درهمين ، فخَفَّتْ عليهمُ المؤُونة وكَثُر لك النَّيْل . قال : فهذه [إذَنْ] . قال : نَقْسِمها لكَ إلى أن ترجع من البصرة . فكتب له بِالبَصْرَة إلى سُوَيْد بن مَنْجُوف السَّدُوسىّ ، [وهو زعيم بكر بن وائل بالبصرة] .

٥٨٦ — (١) قال يونس بن حبيب فى حديثه : فنزل على آلِ الصَّلْت ابن حُرَيْثِ الحَنَفِىّ (٢) . فأخبرنى من سمعه أنه قال : والله لا أزالُ أفعل ذاك .

٥٨٧ — ثم رجع إلى الحديث الأوّل — قال : وأتى سُوَيْدًا [بالكتاب] وأخبره بحاجته . قال : نعم ! وأقبلَ على قومه فقال : هذا أبو مالك قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له ، [وهو أهلٌ أن نَقْضِى حاجتَه] ، وهو الذى يقول :

---

(١) هذه الفقرة ، ليست فى الموشح .

(٢) فى المخطوطة « أبى الصلت بن حريث » وأثبت ما فى الأغانى ، وانظر الطبرى ٧ : ٢٥ .

إذا ما قلتُ قد صالَحتُ بكراً أَبَى البَغْضاءُ ، لا النَّسبُ البعِيدُ[1]

وأيَّامٌ لنـــا ولهُمْ طِوَالٌ يَعَضُّ الهامَ مِنْهُنَّ الحدِيدُ

ومُهْـــرَاقُ الدِّماءِ بِوَارِدَاتٍ تَبِيدُ المُخْزِيَاتُ ومَا تَبِيدُ[2]

هما أَخَوانِ يَصْطَلِيـــانِ ناراً رِدَاءُ المَوْتِ بَيْنَهُمَا جَدِيدُ[3]

[فَهيَّجهم على الأخطل] فقالوا : فلا هَا اللهِ ! إذنْ [والله] لا نُعطيه شَيْئاً .

٥٨٨ — فخرجَ وهو يقولُ :

فإنْ تَمنَعْ سَدُوسٌ دِرْهَمَيْها ، فإنَّ الرِّيحَ طَيِّبَـــةٌ قَبُولُ[4]

---

(١) ديوانه : ٢٨٢ ، وأنساب الأشراف ٥ : ١٧١ ، والمراجع السالفة . وقوله « لا النسب البعيد » رواية الموشح وحده ، وفى الأخر « والنسب البعيد » ، وهى رواية فاسدة المعنى ، وإن أجمعوا عليها . وذلك أن الأخطل يذكر الحرب المستعرة بين بكر بن وائل ، وتغلب بن وائل (وهم قومه) . وبكر وتغلب أخوان ضربت بينهما البغضاء حتى كثرت حروبهما ، ويدل على أن رواية الموشح وحدها هى الرواية ، البيت الرابع منها .

(٢) أراق الماء يريقه ، وهراقه يهريقه (بضم ففتح فكسر) وأهراقه (ساكنة الهاء) يهريقه (بضم فسكون) : صبه وسفحه . فهو مراق ، ومهراق (بضم ففتح) ، ومهراق (بضم فسكون) ، وهو من شاذ اللغة وقديمها . وواردات : موضع فى ديار بكر وتغلب . ويوم واردات : يوم من أيامهم المشهورة يوم النهى ، ويوم الذنائب ، ويوم واردات ، ويوم عنيزة ، وهى حروب البسوس المذكورة . انظر العقد الفريد : أيام العرب ووقائعها ، وغيره .

(٣) أخوان : يعنى بكرا وتغلب ابنى وائل . شعر ما أجوده !

(٤) ديوانه : ١٢٥ — ١٢٦ ، والمراجع السالفة . والقبول : هى ريح الصبا ، لأنها تستقبل باب الكعبة ، أو لأن النفس تقبلها . والعرب تستبشر بالقبول وتحمدها .

تَوَاكَلَنِي بَنُو العَلَّاتِ مِنْهُم وغَالَتْ مَالِكاً ويَزِيدَ غُولُ[١]
صَرِيعَا وَائِلٍ هَلَكَا جَمِيعاً كَأَنَّ الأَرْضَ بَعْدَهُما مُحُولُ[٢]

يريد: مَالِكَ بن مِسْمَع ويَزِيد بن رُوَيم الشَّيْبانِيّ[٣].

٥٨٩ — وقال لسُوَيْد بن مَنْجُوف، وكان [سُوَيد] رجلًا [تَقْتَحِمه العَيْنُ] وليسَ بذِي مَنْظَرَةٍ[٤]:

وماجِذْعُ سُوْءٍ، خَرَّقَ السُّوسُ أَصْلَه، لِمَا حَمَّلَتْه وَائِلٌ بمُطِيقِ[٥]

[ويروى: «خَرَّبَ السُّوس جَوْفَه»].

---

(١) تواكلني: وكلني كل واحد منهم إلى صاحبه، ومنه التواكل: أن يكل أمره إلى غيره من العجز. بنو العلات: هم الإخوة أمهاتهم شتى والأب واحد. والأخياف: أمهم واحدة والآباء شتى. وبنو الأعيان: إخوة لأب وأم. وسماهم بنى العلات على جهة الذم، لما يكون بين أولاد العلات (الضرائر) من اختلاف الطباع والشيم ومن قلة تعاطف بعضهم على بعض، لعداوة أمهاتهم. مالك: يريد مالك ابن مسمع الجحدرى، كان أنبه الناس (انظر ص ٥١ رقم: ٢) ويزيد، هو يزيد بن الحارث بن رويم الشيبانى، من بنى ذهل بن شيبان، من بكر بن وائل أيضاً، وكان سيداً مذكوراً. يثنى على هذين الرجلين من بكر بن وائل ويحزن لفقدهما، ويذم الآخرين من بنى بكر بن وائل.

(٢) الصريع: الرجل الشديد الصرع للأقران، يقهر عدوه. وفى الديوان «قريعا وائل» وقريع القوم: سيدهم. يعنى مالك بن مسمع، ويزيد بن الحارث. يصفهما بالبأس والشدة والسيادة، المحول: قحط لم يصبها مطر. أرض محل، وأرض محول: مجدبة. يذكر كرمها وسخاءهما، ويتحزن عليهما.

(٣) انظر ما مضى آنفاً فى رقم: ١.

(٤) تقتحمه العين: تتجاوزه إلى غيره استصغاراً وازدراء. والمنظرة: منظر الرجل (أو المرأة) إذا نظرت إليه فأعجبك، يقال: إنه لذو منظرة بلا مخبرة.

(٥) ديوانه: ١٩٥، والمراجع السالفة. وفى المخطوطة تحت القاف من «خرق» باء، أى «خرب»، وكأن الناسخ أسقط ما رواه المرزبانى، فوضع الباء واكتفى.

٥٩٠ — وكان الأخطَل مع مهارته وشِعْره، يُسقط. كانَ مدح سِماكاً الأَسَدِىّ – وهو سِماك الهالكىّ، بن عُميْر بن عَمْرو بن أَسَد، وبنو عَمْرو يُلقَّبُون القُيُون[1]، ومَسجدُ سِماكٍ بالكوفة مَعْروف، وكانَ من أهلها، نخرج أيَّامَ علىٍّ هارباً فلحِقَ بالجزيرة - فمدحه الأخطل فقال:

نِعْمَ المُجيرُ سِماكٌ من بنى أسَدٍ ... بالمَرْجِ، إذْ قتَلَتْ جِيرانَهامُضَرُ[2]

قد كنتُ أَحْسِبُه قَيْناً وأُنْبؤُهُ، ... فَاليَوْمَ طَيَّرَ عن أثْوابِهِ الشَّرَرُ[3]

إنَّ سِماكاً بَنَى مَجْداً لأُسْرَته ... حتَّى المَماتِ، وفِعلُ الخَيرِ يُبْتَدَرُ[4]

فقال سِماك: يا أخطلُ، أردتَ مَديحى فهجوتَنى! كان الناسُ يقولون قَولاً فحققْتَه!

---

(١) الذى فى كتب النسب : الهالك بن عمرو بن أسد، ولعل الهالك اسمه «عمير»، ولم أجده فتركته على حاله، وهو نص المخطوطة والموشح. أما الأغانى ففيه «سماك الهالكى، من بنى عمرو بن أسد، وبنو عمرو يلقبون القيون». وفى الموشح «وبنو عمير يلقبون القيون». وتركت هذا كله حتى أجد تحقيقه قد تم عندى. والقيون، جمع قين: وهو الحداد، وكل صانع أو عامل بالحديد. ويقال أيضاً للحداد: الهالكى، يقال: إن الهالك بن عمرو بن أسد، أول من عمل الحديد من العرب.

(٢) ديوانه : ٢٢٢، والمراجع السالفة، وخبر هذه الأبيات: أن امرأة من بنى ضبة، كان لرجل من تغلب على زوجها دين، فجاء فى نفر من تغلب يتقاضاه، فلم يجدوا زوجها، فاحتملوها. فمرت على بنى أسد، وعلى ناس من بنى عامر بن صعصعة من قيس، فنادت: يال مضر! يا ل قيس! ففزعوا إليها فأخبرتهم خبرها، فنصروها، فوقع بينهم وبين تغلب لحاء ورماء بالحجارة، وكان الأخطل فى العصبة من تغلب، فلما هزموا عاذ بسماك بن مخرمة الأسدى فأعاذه ومنعه من القوم. فذلك سبب مدحه وإجارته. والمرج: هو هذا المكان الذى اقتتلوا فيه بالجزيرة. والمرج: أرض واسعة كثيرة النبت ترعاها الدواب.

(٣) فى الموشح بعد هذا البيت: «ويروى: قد كنت أنبؤه قيناً وأخبره». القين: الحداد، (انظر رقم: ١) طير الشرر: ذهب وتفرق مثل تطاير، ومن ضبطها «طير» بالبناء للمجهول، فقد أفسد. ولم يذكره أصحاب المعاجم، ولكنه عربى محض. يقول: كان يقال لهم القيون: فاليوم ذهب عنهم هذا اللقب بفعالهم.

(٤) ابتدر الشىء: أسرع إليه وسبق فأخذه.

٥٩١ — فلما هجا سُوَيْدًا قال له سُوَيد : يا أبا مالك ، والله ما تُحْسِنُ أن تَهْجُو ولا تمدَح . لقد أردت مَدْح الأَسَدىّ فهجوته ـ يعنى قوله : «قد كنت أحسِبُه قيناً» — وأردت هِجَائِى فمدحْتَنِى ، جعلتَ وَائِلاً [كلها] حمَّلتنى أمورَها ، وما طمعتُ فى [بنى] ثعلبة ، فَضْلًا عن بَكر ، [فزدتنى تغلِب][١] .

* * *

٥٩٢ — [٢] أبان [بن عثمان] البجَلىّ ، قال : مَرّ الأخطلُ بالكوفة فى بنى رُؤَاس ، ومُؤَذِّنهم ينادِى بالصلاة ، فقال بعضُ شبابهم : أَبا مَالك ، ألا تدخُلُ فتصلِّى ؟ فقال :

أُصَلِّى حيثُ تُدْرِكُنى صَلَاتى ، وليْسَ البِرُّ وَسْطَ بنى رُؤَاسِ[٣]

٥٩٣ — [٢] حدثنى أبو الحُصَيْن المَدَنىّ قال : بَيْنَا الأخْطَلُ قد خَلَا مع صَاحِبٍ له بخُمَيْرةٍ لهُمَا فى نَزْهَة ، إذْ طرأَ عليهما طارىءٌ لا يَعْرِفانه ولا يَسْتَخِفَّانه ، فشرِبَ شَرَابَهما ، وثَقُل عَلَيهما[٤] . فقال الأخطل :

---

(١) بنو ثعلبة : يعنى ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . وسويد بن منجوف من بنى سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة . يعنى أنه لم يكن يطمع فى سيادة قومه بنى ثعلبة ، فلما جعله مقصد بنى وائل جميعاً ، جمع له بنىبكر بن وائل ، وبنىتغلب بن وائل جميعاً .

(٢) الخبر فى الأغانى ٨ : ٣١٣ . بنو رؤاس ، من بنى عامر بن صعصعة . والذى فى كتب النسب (الاشتقاق : ١٨٠ والجمهرة : ٢٦٥) أنه أبو رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، واسمه الحارث . والظاهر أنه طرحوا صدر الكنية ، فبقى رؤاس ، استثقالا أن يقولوا : بنو أبى رؤاس .

(٣) هذا الخبر فى الأغانى ٨ : ٣١٣ ، وفيه « أبو الحصين الأموى » .

(٤) خميرة : تصغير خمرة ، للتقليل . وأرض نزهة بفتح (النون) : بعيدة عن الريف ، نائية من الأنداء والمياه والغمق ، وهو الوخامة ، فيكثر فيها الذباب . وأما النزهة (بضم فسكون) فهى الاسم من التنزه . ثقل : لو ضبطت بتشديد القاف لكانت صحيحة جيدة .

وليْسَ القَذَى بالعُودِ يَسْقُطُ فى الخمْرِ ... ولا بذُبابٍ خَطْبُه أيْسَرُ الأَمْرِ (١)

ولكنَّ شَخْصاً لا يُسَرُّ بِقُرْبِهِ ... تَرَامَى به الغِيطانُ من حيثُ لا نَدْرِى (٢)

٥٩٤ — (٣) [أَبَان بن عُثْمان، [حدثنى أبى]، قال : دعا الأخطَل شابٌّ من شَبَاب أهلِ الكوفة إلى مَنْزِله ، فقال : يا ابْنَ أخِى ، أنت لا تَحْتَمِل المَؤُونَة ، وليس عليك مُحْتَمَل ! فلم يزل به حتى انْتَجَعه (٤) . فأتى الباب فقال : يا شَقْراءُ (٥) ، فخرجت إليه امرأةٌ ، فقال لها : أعْلِمى فلاناً مكانى . فقال لأُمِّه : هذا أبو مالك قد زارَنا ! فباعَتْ غَزْلاً فاشْتَرَتْ لهم لحماً ونبيذاً ورَيْحَاناً ، فدخل خُصًّا لهم ، فأكل معه وشَرِبَ (٦) ، فقال فى ذلك :

---

(١) ليست فى ديوانه . اللسان (قذى) (نبأ) والأغانى ٨ : ٣١٤ أيضاً ، وفى الأغانى « يسقط فى الإنا » . وقد رواها فى اللسان برواية مختلفة كل الاختلاف فى ثلاثة أبيات . القذى : ما يقع فى العين أو فى نواحى الإناء فيعلق به ويشوبه ، والذباب يسقط فى الشراب .

(٢) فى الأغانى بعد هذا البيت : « ويروى :

ولكن قَذَاها زائرٌ لا نُحبُّه

وهو الجيد » . ولا أدرى أهو من كلام أبى الفرج أم من نص ابن سلام . وبهذه الرواية جاء فى اللسان وغيره . وفى الأغانى والمطبوعتين « رمتنابه الغيطان » . وترامت به : تقاذفته حتى رمته إلينا . والغيطان جمع غائط : وهو الأرض المنخفضة المتسعة المنبتة .

(٣) فى الأغانى ٨ : ٣١٤ ، والزيادة منه . وفى نص الأغانى كلام سقط ، يصحح من نص ابن سلام .

(٤) فى الأغانى « وليس عندك معتمد » ، وهى أجود . وانتجعه : قصده وأتاه ، أصله من قولهم : انتجع فلاناً : إذا أتاه يطلب معروفه ، كما ينتجع الناس ساقط الغيث والكلأ .

(٥) شقراء : اسم جارية هذا الفتى ، كما يدل عليه خبر آخر فى الأغانى ٨ : ٣١٥ . وانظر ما يأتى .

(٦) الخص : البيت من القصب . وحانوت الخمار يسمى خصاً ، من ذلك .

وبَيْتٍ كظَهْرِ الفِيلِ ، جُلُّ مَتاعِهِ أَبارِيقُهُ والشَّارِبُ المُتَقَطِّرُ (١)

تَرَى فِيهِ أَثْلامَ الأُصيصِ كأنَّها ، إذا بَالَ فِيها الشَّيْخُ ، حَيْرٌ مُعَوَّرُ (٢)

لَعَمْرُكَ ما عِشْنَا بِيَوْمِ مَعِيشَةٍ مِنَ الدَّهْرِ ، إلَّا يَوْمُ شَقْراءَ أَقْصَرُ (٣)

حَوارِيَّةٌ لا يَدْخُلُ الذَّمُّ بَيْتَها ، مُطَهَّرَةٌ يَأْوِى إليها مُطَهَّرُ (٤)]

---

(١) ديوانه : ٢٩١ ، وفيه « وقال الأخطل : يمدح شقراء وزوجها وكانا أكرماه وأنزلاه » . كظهر الفيل : فى تقببه ولونه وبنائه . المتقطر : الصريع ، سكر فتقطر : سقط على قطره ، وهو جانبه . يقول : لو دخلته لم تجد غير أباريق الخمر ، وشارب سكر حتى هوى ونام . وفى بعض نسخ الأغانى « والشادن المتعطر » يعنى الساقى الذى يسعى عليهما بالخمر ، جارية كان أو غلاماً .

(٢) أثلام جمع ثلم : وهو الكسر فى شفة الإناء ، فكأنه جعله صفة ، يعنى المتثلم . والأصيص : الدن المقطوع الرأس ، كان يوضع ليبال فيه . والحير ، هو الحائر : وهو المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف ، يجتمع فيه الماء ، فيتحير فيه ويضطرب ولا يخرج منه ، أو هو كالحوض يسيب إليه سيل ماء الأمطار . وقد قالوا إن العامة استحسنوا التخفيف وطرح الألف من حائر ، فصار حيرا ، كما قالوا فى عائشة عيشة . وقالوا إن أبا عبيدة قال فى تفسير قول رؤبة « حتى إذا ما هاج حيران الذرق » ، الحيران : جمع حير . قالوا ولم يقلها أحد غيره ، ولا قالها إلا فى تفسير هذا البيت . قال ابن سيده : وليس كذلك فى كل نسخة . وقد جاءت هذه الكلمة فى أصل الطبقات صحيحة ، وكذلك جاءت فى نسخ الأغانى ، فبدلوها إلى رواية الديوان « جفر معور » والجفر : البئر الواسعة التى لم تطو بعد . وأظن أن الذين نفوا الكلمة لم يحسنوا ، فهى عربية صحيحة البناء والمخرج ، فلا معنى لردها دون اجتهاد فى الاستقصاء . وهذه نسخ الأغانى ونسخة الطبقات تشهد بقرب ما ذهب إليه أبو عبيدة من الصواب . والمعور : المندفن تحت تراب ، فيظهر منه قليل يبرق . هذا حق شرحه ، وإن كان أصحاب اللغة قد خلطوا . ويدل على ذلك قول ذى الرمة :

وماءٍ كلَوْنِ الغِسْلِ أقْوَى ، فبعضُهُ أواجِنُ أسْدامٌ ، وبعضٌ مُعَوَّرُ

وبهذا التفسير يتبين ، لم قال : « إذا بال فيها الشيخ » ، وذلك لقلة بول الشيخ ، فهو فى قعر الأصيص ، قليل يبرق ، فى ظلامه ، كأنه حير قليل الماء سفت الريح عليه التراب فاندفن إلا قليلا .

(٣) رواية الأغانى والديوان : « لعمرك ما لاقيت يوم معيشة » ، ورواية ابن سلام أنبل . وقصر اليوم من اللهو واللذة والمتاع حتى غفل عن مضى الزمن .

(٤) حوارية : بيضاء الجلد نقية اللون ، والأعراب تسمى نساء الأمصار حواريات لبياضهن وتباعدهن عن قشف الأعراب بنظافتهن . مطهرة ، من طهارة الأخلاق : وهى العفة والتنزه عن كل ما يدنس الخلق من اللؤم والخسة .

* * *

٥٩٥ — قال أبو يَحْيى الضَّبِّى(١): اجتمعَ الفرزدقُ وجريرٌ والأخطلُ عندَ بِشْر بن مَرْوان، وكان يُغْرِى بين الشُّعَراء، فقال للأخطل: احكمْ بين الفرزدقِ وجرير. فقال: أَعْفِنى أيها الأمير! قال: احكُمْ بينهما! فاستعفاهُ بجُهْدِه، فأَبَى إلَّا أن يقولَ، فقالَ: هذا حُكْم مَشْؤُوم! [ثم] قال: الفرزدق يَنْحَتُ من صَخْر، وجرير يَغْرِفُ من بَحْر(٢). فلم يرضَ بذلك جريرٌ، وكان سببَ الهجاءِ بَيْنهما. فقال جرير [فى حُكومَتِه]:

يَاذَا العبايةِ، إنَّ بِشْرًا قد قَضَى ... أنْ لاتَجُوزَ حُكومةُ النَّشْوانِ(٣)

فدَعُوا الحُكُومَةَ لَسْتُمُ مِن أهْلِها، ... إنَّ الحُكومَةَ فى بَنِى شَيْبانِ(٤)

قَتَلُوا كُلَيْبَكُمُ بِلِقْحَةِ جَارِهِمْ ... يا خُزْرَ تَغْلِبَ لَسْتُمُ بِهِجَانِ(٥)

---

(١) الخبر فى الأغانى ٨ : ٣١٥، وانظر إغراء بشر بين الشعراء فى رقم : ٥٥٢.

(٢) انظر رقم : ٥٦٨.

(٣) انظر رقم : ٥٦٩.

(٤) ديوانه : ٥٧٣، ونقائض جرير والأخطل : ٢٠٨، والنقائض : ٨٩٧، وسيأتى خبر بنى شيبان فى الذى بعده.

(٥) كليب بن ربيعة التغلبى، وقتله جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان. وكان الذى هاج الأمر، أن أخت جساس كانت تحت كليب، وكانت البسوس التميمية وزوجها الجرمى، نازلة فى جوار بنى شيبان، ومعهم ناقة وفصيل لها. ففخر كليب على امرأته أخت جساس واستعز بعزه. فتعالت عليه بأخويها همام بن مرة وجساس بن مرة. فعدا على ناقة البسوس وفصيلها فقتلهما ثقة بعزه، وأن لا يقدم عليه جساس ولا همام. فغضب جساس لجارهم فقتل كليباً، ومن يومئذ ثارت حرب البسوس المشهورة الأيام. واللقحة : الناقة القريبة العهد بالنتاج، معها ولدها. الخزر جمع أخزر، والخزر (بفتحتين) : هو ضيق العين وصغرها، أو إقبال الحدقتين على الأنف، وذلك كله مذموم عندهم. والهجان : الكريم، أخذ من الهجان، وهو الأبيض، والعرب تجعل البياض كرماً وسراء.

٥٩٦ — فقال الأخطل :

وَلَقَدْ تَقَايَسْتُمْ إِلَى أَحْسابِكُمْ ... وجَعَلْتُمُ حَكَماً مِنَ الصَّلَتَانِ (١)

فإذَا كُلَيْبُ لَا تُسَاوِي دَارِماً ... حتَّى يُسَاوِي حَضْرَمٌ بِأَبَانِ (٢)

وإذا جَعَلْتَ أَباكَ فِي مِيزَانِهِم ... رَجَحُوا، وشَالَ أَبُوكَ فِي المِيزَانِ

وإذا وَرَدْتَ الماءَ كانَ لدارِمٍ ... عِفْوَاتُهُ وسُهُولَةُ الأَعْطَانِ (٣)

ثم أستطارَ الهِجاءُ .

٥٩٧ — وحدّثنى رجُل من بَنِى أُمَيَّةَ شَامِىٌّ قال : أُجتمعَ جريرٌ

---

(١) ديوانه : ٢٧٤ ، ونقائض جرير والأخطل : ٢٣ . وفى الأغانى والديوان وسائر الكتب « حكماً من السلطان » . وليست بشىء ، ورواية ابن سلام هذه هى الصواب . ويعنى الصلتان العبدى وقضاءه بين جرير والفرزدق بشعره ، وقد مضى فى رقم : ٤٩٠ . وقد قال الصلتان فى تلك الحكومة أبياتاً كثيرة فضل فيها جريراً على الفرزدق فى شعره ، وفضل الفرزدق على جرير فى نسبه ، فقال :

أَلا إنما تَحْظَى كُلَيْبُ بشعْرِها ... وبالمجْدِ تَحْظَى دَارِمٌ والأَقارِعُ

أرى الخَطَفَى بذَّ الفرزدقَ شعرُه ... ولكنّ خيراً من كليبٍ مجاشعُ

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مثلُه ... جرير، ولكن فى كليبٍ تواضُعُ

ولم نعلم جريراً والفرزدق احتكما إلى سلطان . فهذا هو الصواب . وقوله « تقايستم » ، قال أبو تمام فى النقائض : « المقايسة : أن تقول أبى أشرف من أبيك . وأبى فلان وجدى فلان » . يعنى أنك تقايس بين هذا وهذا .

(٢) فى الديوان والأغانى وغيرهما « حزرم » ، وهما سواء ، وهو جبيل فى ديار بنى أسد . وأبان : جبل ضخم مذكور . يقول : لا يستوى أبوك كليب وأبوه دارم ، حتى يتساوى هذا الجبلان فى نظر الناظر ، وهو مستحيل . وهذا الذى قاله الأخطل تكرار لحكم الصلتان .

(٣) عفوة الماء (بكسر فسكون) : صفوه وخيره وأكثره . والأعطان جمع عطن : وهو مبارك الإبل حول الورد . يقول : هم لعزهم ينالون خير الماء وألين المبارك لأنعامهم ، فيردون الماء قبلكم ، وينزلون خير المنازل .

والأَخْطل عندَ عبدِ الملك [بن مَرْوان] فقال له الأخطل : أين تركت [أعْيار] أُتُنِ أمِّك ؟ قال : ترْعَى مع خنَازير أبيك ![1] .

* * *

٥٩٨ — أبو الغرَّاف قال : تَناشَدا عندَ الوَليد بن عبد الملك ، فأنشد الأَخطلُ كلمةَ عَمْرو بن كُلْثوم[2]

* أَلا هُبِّى بِصَحْنِك فَاصْبَحِينا *

فتحرَّكَ الوَليد ، فقال : مَغِّرْ يا جَرِيرُ ![3] يريدُ قصيدةَ أوْسِ بن مَغْراءَ السَّعْدىّ [ثم القُرَيْعى] :

ماذا يَهِيجُك مِنْ رَبْعٍ بفَيْحَانا ... قَفْرٍ، تَوَهَّمْتَ مِنْهُ اليومَ عِرْفانا[4]

مِنَّا النَّبِىُّ الّذى قد عَاشَ مُؤْتَمنًا ... وصَاحِبَاهُ وعُثْمانُ بنُ عَفَّانا

تَحَالَفَ النَّاسُ مِمّا يَعْلَمُونَ لنَا ... ولا نُحَالِفُ إلّا اللهَ مَوْلَانَا

مُحَمَّدٌ خَيْرُ من يَمْشِى على قَدَمٍ ... وكانَ صَافِيَةً لِلّه خُلْصَانا

---

(١) الأعيار جمع عير : وهو الحمار الذكر . والأتن جمع أتان : أنثى الحمير .

(٢) عمرو بن كلثوم التغلبى ، يفخر فيها بربيعة بن نزار ، فغضب الوليد ، وأمر جريراً أن ينشد أخرى فيها فخز مضر بن نزار ، وفخز قريش على العرب .

(٣) مغر : اشتقه من مغراء ، أى أنشدنا قول أوس بن مغراء ، شاعر مضر . وكان بين الأخطل وأوس بن مغراء هجاء ، (ديوانه :) ٢٨ . ولم أجد هذا الخبر .

(٤) فيحان : موضع فى ديار بنى سعد . ونقل ابن حجر فى الإصابة ١ : ١١٨ عن ابن إسحق « وهى قصيدة طويلة عد فيها ما كان من بلائهم فى الفتوح ، وفخر فيها بقريش . قال ابن أبى طاهر : لم يقل أحد أحسن منها » . ولم أجد القصيدة كاملة . ومن عند آخر هذا البيت خرم جائر فاحش إلى أن يبلغ رقم : ٦٩٤ .

فقال الأخطل : أعَلَيَّ تَعَصَّبُ يا أمير المؤمنين ! وعَلَيَّ تُعِين ! وأنا صَاحِبُ عَبْدِ الرَّحْمٰن بن حَسَّان ، وصَاحِبُ قَيْسٍ ، وصَاحِبُ كذا ! !

٥٩٩ — وكان الأخْطَل مُسْتَعْلِياً قَيْساً فى حَرْبِهِم ، فقال :

إنَّ السُّيُوفَ غُدُوُّها ورَوَاحُها   تَرَكَتْ هَوازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الأعْضَبِ (١)

وكان يُونُس يُنْشِد هذا البيتَ : « غُدُوَّها وَرَوَاحَها » جعله ظَرْفاً .

٦٠٠ — وقال الأخطل :

لقَدْ خُبِّرتُ ، والأنْباء تَنْمِى ،   لقَدْ نَجَّاكَ يا زُفَرُ الفِرَارُ (٢)

٦٠١ — إلى أنْ قالَ :

ألا أَبْلغ الجَحَّاف: هَلْ هُوَ ثَائِرٌ   بقَتْلَى أُصِيبَتْ من سُلَيْم وعامِرِ ؟ (٣)

---

(١) ديوانه : ٢٨ ، والكامل ٢ : ٢٨ ، يمدح قثم بن العباس الهاشمى ، وهوازن من قيس عيلان . والأعضب : المكسور القرن ، ولا غناء عنده فى النطاح .

(٢) نقائض جرير والأخطل : ١٣٠ . والأخبار تنمى : أى ترتفع وتذيع . زفر بن الحارث الكلابى الشاعر من بنى عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، من قيس عيلان . وفرار زفر بن الحارث كان يوم وقيعة مرج راهط ، بين الضحاك بن قيس ، ومروان بن الحكم ، فى سنة ٦٤ ، فقتل الضحاك وعامة أصحابه وانهزم بقيتهم ، فكان فى المنهزمين زفر بن الحارث ، ومعه رجلان سلميان ، فلما أدركهم الطلب قالا له : يا هذا ، انج بنفسك ، فأما نحن فمقتولان ! فمضى وتركهما . فقال يعتذر عن فراره من شعر جيد :

فلم تُرَ مِنِّى نَبْوَةٌ قبل هذه ،   فِرَارِى وتَرْكِى صاحبىَّ وَرَائيا
عشيَّةَ أعدُو بالقِرَان ، فلا أرى   مِنَ النَّاسِ إلا من عَلَيَّ ولا لِيَا
أيذهَبُ يومٌ واحدٌ إن أسأتُه ،   بصالح أيامِى وحُسْنِ بلائِيَا

وقد رأسته قيس بعد مقتل الضحاك . (الطبرى ٧ : ٤٠ — ٤٢) وغيره .

(٣) ديوانه : ٢٨٦ . الجحاف بن حكيم السلمى ، من بنى ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور . وسليم أخو هوازن بن منصور المذكور آنفاً من قيس عيلان . وعامر بن صعصعة ، من هوازن ، من قيس. يحرضه على ما وقع فى مقتل عمير بن الحباب السلمى فى يوم الحشاك ، من حروب قيس وتغلب (انظر أنساب الأشراف ٥ : ٣١٣ — ٣٢٨) .

فجمعَ لهم الجحَّاف السُّلَمِىّ"[١] - وهو أحَدُ بنى فَالج بن ذَكْوان، ووُلِدَ بالبَصْرَةَ هو وزُفَرُ بن الحارث، وكانا عُثْمَانِيَّيْن[٢]، فلما ظَهَرَ علىٌّ بن أبى طالب على أهْل البَصْرَة، خرجَا إلى الشَّام، فسادَا أهْلَها. وزُفَر من بنى نُفَيْل بن عمرو بن كِلاب، من ولدِ يَزيد بن الصَّعِق، وهو سَيِّدٌ شريفٌ، وله يقول القُطَامِىُّ حين أسَرَه فمَنَّ عليهِ:

أبَتْ أَخْلاَقُهم إلّا ارْتِفَاعَا … من البِيضِ الوُجُوهِ بَنى نُفَيْلِ[٣]

٦٠٢ — فجمع لهمُ الجحَّاف جَمْعاً فأغارَ على البِشْر، وهى مَنَازِل تَغْلِب، فأسرفَ فى القَتْلِ فِيهم، فاسْتَخْذَى الأخطَلُ، فقالَ:

لقَدْ أوْقعَ الجحَّاف بالبِشْرِ وَقْعَةً … إلى الله مِنْهُ الْمُشْتَكَى والمُعَوَّلُ[٤]

فإلّا تُغَيِّرْها قُرَيْشٌ بمُلْكِها، … يَكُنْ عن قُرَيْشٍ مُسْتَمَازٌ ومَزْحَلُ[٥]

فقالَ: إلَى أيْنَ؟ لا أُمَّ لكَ! قال: إلَى النَّار[٦].

---

(١) ظاهر أن الكلام ههنا مبتور، وقد جاء فى الروايات الأخرى، عن غير ابن سلام، أن الجحاف دخل على عبد الملك بن مروان، والأخطل عنده - فلما بصر به الأخطل، أنشد البيت. فقال الجحاف: يا ابن النصرانية! ما كنت ظننتك تجترئ على بمثل هذا، ولو كنت مأسوراً لك! فحم الأخطل خوفاً... (الكامل ١: ٢٩٨، وأنساب الأشراف ٥: ٣٢٨) وغيرهما.

(٢) فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم (انظر ص: ٤١١ رقم: ٣) آنفاً. عثمانيان: من المطالبين بدم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، عثمان بن عفان. وهذا كله اعتراض، ويتصل الكلام فى أول رقم ٦٠٢.

(٣) ديوانه: ٤٢، وروايته «إلا اتساعا».

(٤) ديوانه: ١٠، ونقائض جرير والأخطل: ٦٣، والأغانى ١١: ٥٧. والبشر: جبل بالجزيرة. المعول: المستغاث، مصدر ميمى. من عول: إذا استغاث بعويله.

(٥) امتاز القوم واستمازوا: إذا تنحت عصابة منهم ناحية. زحل عن مكانه يزحل: تنحى وأبعد.

(٦) قال: يعنى عبد الملك بن مروان. وهذا دليل على نقص النص فى هذا المكان. وذلك أن الأخطل أنشد عبد الملك هذا الشعر، فلما بلغ البيت قال له ما قال (الأغانى ١١: ٥٧، وأنساب الأشراف ٥: ٣٣١) وغيرهما.

٦٠٣ — فوثَبَ عليه جريرٌ عند أُستخذائه فقال :

فإنَّكَ وَالجحَّافَ حِينَ تَحُضُّهُ أَرَدْتَ بذاكَ المُكْثَ،والوِرْدُ أَعْجَلُ(١)

سَما لَكُمُ ليلًا ، كأنَّ نُجُومَهُ قَنادِيلُ فِيهِنَّ الذُّبالُ المُفَتَّلُ(٢)

فَما ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبَيَّنُوا كَرادِيسَ يَهْدِيهِنَّ وَرْدٌ مُحَجَّلُ(٣)

وَما زَالَتِ القَتْلَى تَمُجُّ دِماءَها مَعَ المَدِّ ، حتَّى ماءُ دِجْلَةَ أَشْكَلُ(٤)

فإلَّا تَعَلَّقْ مِنْ قُرَيْشٍ بذِمَّةٍ فَلَيْسَ عَلَى أَسْيافِ قَيْسٍ مُعَوَّلُ(٥)

بَكَى دَوْبَلٌ ، لاَ يُرْقِئُ اللهُ دَمْعَهُ ! أَلاَ إنَّما يَبْكِى من الذُّلِّ دَوْبَلُ(٦)

---

(١) ديوانه : ٤٥٦ ، ونقائض جرير والأخطل : ٦٧ ، والأغانى : ١١ : ٥٧ . يقول : إنما أردت باستثارتك الجحاف أن يغضب لمن قتل من قومه فى حروب قيس وتغلب كيوم الحشاك وغيره تريد أن تهلكه وقومه لتأمن أنت وقومك من إيقاعه بكم، ولكن موارد الهلاك كانت أعجل مما تتوهم ، فأوقع بكم هذه الوقيعة التى سفحت دماء تغلب . والتحريض هو البيت المذكور فى رقم ٦٠١ .

(٢) سما له الشىء : ارتفع من بعيد لا تتبينه ، حتى تستثبته . يقول : رأوا سواد جيشه ولم يتبينوه حتى غشيهم . الذبال جمع ذبالة : وهى الفتيلة التى يصبح بها السراج . والمفتل : الذى قد فتل ، شدد للكثرة .

(٣) ذرت الشمس : طلعت أول طلوعها وشروقها ، فبثت أطراف شعاعها على الأرض والشجر . وقرن الشمس : أول شعاعها عند شروقها . كراديس جمع كردوس : وهى قطع الخيل متفرقة فرقة فرقة . يهديهن : يقودهن كالهادى متقدماً عليهن . فرس ورد : هو بين الكميت والأشقر ، فيه حمرة تضرب إلى صفرة حسنة . والمحجل : الذى فى قوائمه بياض أو فى ثلاث منها ، أو فى رجليه ، قل أو كثر . يعنى فرس الجحاف .

(٤) بين هذا والذى قبله شعر جيد . مج الدم يمجه : رماه ولفظه وقذف به . والمد : يعنى مد دجلة حين يعلو . وأشكل : فيه بياض وحمرة ، أو غبرة وحمرة ، لونان مختلطان . خالط الدم ماء دجلة حتى تغير لونه .

(٥) يقول : إذا لم تتعلق بذمة من قريش ، فإن أسياف قيس لا هوادة عنها ولا أمان لها ، ولا يعول عليها : أى لا يؤمن جانبها .

(٦) الدوبل : الصغير من ولد الخنازير . أرقأ الله دمعه : رفعه وسكنه . ورقأ الدمع : جف وارتفع . يدعو عليه بتتابع المصائب ، فلا يرقأ له دمع ، ويزداد ذلا .

٦٠٤ — أنبأنا أبو خليفة . قال : قال ابن سلام : قال أبو الغرّاف : قال الأخطلُ : والله ما سمّتني أمّي دَوْبلاً إلّا يوماً واحداً ! فمن أين سقط إلى الخبيث !!

٦٠٥ — وقال الجحّافُ يجيب الأخطل :

أبا مالكٍ، هل لُمتني مُذ حَضضتَني على القتلِ؟ أم هل لامني لكَ لائمُ؟[1]

٦٠٦ — ولقى الجحّاف الأخطلَ فقال : أبا مالك ، كيف رأيتَ ؟ قال : رأيتُ شيخًا فاجرًا[2] .

٦٠٧ —[3] وقال لى أبانٌ الأعرجَ : أدرَك الجحّافُ الجاهلية . فقلت لهُ : لم تقولُ ذاك ؟ قال لقوله :

شَهِدْنَ مَعَ النَّبِيِّ مُسَوَّمَاتٍ حُنَيْنًا ، وَهْىَ دَامِيةُ الكِلَامِ[4]

نُعَرِّضُ للطِّعَانِ إذَا الْتقَيْنَا وُجُوهًا لا تُعَرَّضُ لِلّطَامِ

فقُلتُ له : إنّما عَنَى خيْلَ قَوْمِه بَنِي سُلَيْم .

---

(١) انظر الأغانى ١١ : ٢٥٩ وأنساب الأشراف ٥ : ٣٢٩ . ولعل الناسخ اختصر الأبيات وحذفها . يعنى حضه على الثأر لمقتل عمير بن الحباب السلمى ، قتلته تغلب فى يوم الحشاك . يقول : كيف رأيت فعلى بكم ، فهل رأيت منى مهادناً فى الثأر فتجد أنت أو غيرك ما ألام عليه . يسخر به .

(٢) وذلك لما فعل من الإسراف فى قتل تغلب يوم البشر .

(٣) نقل هذا الخبر والذى بعده ابن حجر فى الإصابة ١ : ٢٧٩ ، فى ترجمته .

(٤) شرح الحماسة ١ : ٧٠ ، منسوبة لغيره وله ، والعقد ١ : ١٢٥ ، وسيرة ابن هشام ٤ : ٧٥ مسومات : يعنى الخيل المطهمة المرعية أو المعلمة . والكلام جمع كلم : وهو الجرح . ويوم حنين ، يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال هوازن ، وكانت سليم على مقدمة الخيل .

٦٠٨ — وذكرتُ ذٰلك لعَبد القاهر بن السَّرِيّ فقال : جَدِّى قَيْس أبن الهَيْثَم أعطى حَكِيم بن أُمَيَّة جارِيةً وَلَدتْ له الجحَّاف فى غُرْفةٍ فى دارِنَا ، — لا أحسِبُه إلّا قال — : رأيتُها[١] .

٦٠٩ — وروى سُفْيان بن عيينة ، عن عَمْرِو بن دِينار قال : رأيت الجحَّافَ يَطُوف بالبيت فى أنفِهِ خِزَامٌ وهو يقول : اللّٰهُمَّ أغفِرْ لِى ، ولا أُرَاكَ تفعل ! فقلت : مَن هٰذا ؟ قالوا : الجحَّاف . وكان بعدَ ذلك يَتأَلَّه ويُظْهِر التَّوْبَة[٢] .

---

(١) هذا خبر مشكل ، فإن صاحب الإصابة نقله عن ابن عساكر بسنده ، وفيه أيضاً « حكيم بن أمية » ، فإلا يكن خطأ محضاً ، فلا أدرى كيف يكون ؟ وعبد القاهر بن السرى ، سلمى لا شك فى علمه بأنساب قومه ، وهذا نسب ليس بالبعيد ، فإن الجحاف هو ابن حكيم بن عاصم بن قيس ابن سباع ، كما ساقه هو فى نفس الترجمة التى ترجمها له (١ : ٢٧٩) وكما فى الجمهرة : ٢٥٢ ، والأغانى ١١ : ٥٥ ، وليس فى نسبه « أمية » ولا أدرى كيف غفل عنها ابن حجر مع فضله وجلالته . ولا أستطيع أن أتهم ابن سلام بالغفلة ، فإن نسخ الطبقات كلها ، إلا نسختنا ، ليست بشىء . ولكن هذا موضع الخرم منها .

(٢) الخزام : حلقة تجعل فى أحد منخرى البعير ، من شعر . وكانت بنو إسرائيل تخزم أنوفها ، تعذيباً يراد به الدين ، وقد نهينا عنه فى ديننا . ولما أوقع الجحاف بتغلب يوم البشر ، استخفى من عبد الملك ، فمضى حتى دخل بلاد الروم ، وأقام فيها زماناً حتى آمنه عبد الملك ، وألزمه الديات ، فأداها وأظهر التوبة ، ومضى حاجاً هو وأصحابه ، فلبسوا الصوف ، وزموا أنفسهم (كزمام البعير) ، ومشوا إلى مكة ، فجعل الناس يخرجون فينظرون إليهم ويعجبون منهم . ويقال إن ابن عمر سمع الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة ، وهو يقول : اللهم اغفر لى ، ولا أراك تفعل . فقال ابن عمر : يا هذا لو كنت الجحاف ما زدت على هذا القول ! قال : فأنا الجحاف . فسكت ابن عمر ، وسمعه محمد بن الحنفية وهو يقول ذلك فقال : يا عبد الله ، قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك . (الأغانى ١١ : ٥٨ ، وأنساب الأشراف ٥ : ٣٣١) ، وقال ابن حزم فى الجمهرة : ٢٥٢ « وتنسك نسكا تاما صحيحاً إلى أن مات » .

* * *

٦١٠ — (١) ومرَّ عِكْرِمَة بن رِبْعى الفيَّاضُ التيمى بأسْماء بنِ خارجة، حين قتلت تَغْلِبُ عُمير بن الحُباب ، فقال عِكْرِمة لأسماء : أبا مالك ، قَتَلتْ تغلِبُ عُمَيْرًا فى دارهم ! قال : نعم ، ومُقْبلًا غيرَ مُدْبِرٍ ! قال : نعم . قال : فلاَ بأس ! قال : فلمَّا أدْبر عِكْرِمة قال أسماء (٢) :

يَدِى لكَ رَهْنٌ مِنْ سُلَيمٍ بِغارةٍ … تَشِيبُ لها أصْداغُ بَكْر بن وَائِلِ
وأنْ يترُكُوا رَهْطَ الفَدَوْكَسِ عُصْبَةً … أيَامى يَتَامى عُرْضَةً للقبائِلِ (٣)

* * *

٦١١ — (٤) [قال ابن سلّام : قدم الأخطلُ الكوفةَ ، فأتى حوشَبَ ابن رُوَيْم الشيبانى (٥) ، فقال : إنّى تحمّلتُ حَمالتين لأحقِنَ بهما دماءَ قومى !

---

(١) هذا الخبر لم أجده عن ابن سلام ، ولكن رواه البلاذرى فى أنساب الأشراف ٥ : ٣٢٧ ، بأخصر منه لفظاً . وعكرمة من ربيعة ، وأسماء بن خارجة الفزارى من قيس عيلان ، وقال له ذلك شامتاً للحرب التى ذكرناها بين قيس وربيعة . وعمير بن الحباب ، كما سلف ، قتلته تغلب (من ربيعة) فى يوم الحشاك .

(٢) نص المطبوعتين فاسد كل الفساد ، فأصلحته على هدى رواية البلاذرى ، وهكذا كان : « قال : نعم . وقال مقبلا غير مدبر ؟ قال : نعم . قال : فلا بأس ؛ فلما أدبر عكرمة قال أبو عمرو : » وأسماء بن خارجة كنيته أبو مالك ، ولا أعرف أنه يكنى « أبا عمرو » ، إن صح النص . فلذلك وضعت اسمه مكانها .

(٣) الفدوكس : هو ابن عمرو بن مالك بن جشم ، من تغلب ، رهط الأخطل . أيامى جمع أيم : الذين لا أزواج لهم من النساء والرجال . يقال : بنو فلان ضعفاء عرضة لكل متناول : إذا كانوا نهزة لكل من أرادهم ، لا يزالون يقعون فيهم . يقول : يتركونهم نصباً للقبائل يعترضهم بالمكروه من شاء . وهذا البيت فى اللسان ٩ : ٤١ ، ورواية البلاذرى مخالفة فى اللفظ .

(٤) هذا الخبر نقلته من الأغانى ٨ : ٣١٩ ، ولم أجد له مكاناً أصلح من هذا المكان ، لذكر عكرمة ، فهو استطراد .

(٥) حوشب بن يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيبانى ، من بكر بن وائل ، ولى شرطة الحجاج ، وابنه العوام بن حوشب المحدث ، وقد مضى ذكر أبيه فى رقم : ٥٨٨ .

فنهره . فأتى شدّاد بن البُزَيْعة فسأله ، فاعتذر إليه[١] . فأتى عِكْرِمة الفَيَّاض ، وكان كاتباً لبِشْر بن مروان ، فسأله وأخبرهُ بما ردّ عليه الرجلان ، فقال : أَمَا إنّى لا أنهرُك ولا أعتذر إليك ، ولكنّى أعطيك إحداهُما عَيْناً والأخرى عَرْضًا[٢] . قال : وحَدَث أمرٌ بالكوفة فاجتَمعَ له الناسُ فى المسْجِد ، فقيل له : إن أردتَ أن تُكافئ عِكْرِمة يوماً فاليومَ . فلبس جُبَّة خزٍّ ، وركبَ فرسًا ، وتقلّد صَلِيباً من ذهبٍ ، وأتى بابَ المسجد ، ونَزَلَ عن فَرَسه . فلما رآه حَوْشَبٌ وشدّاد نَفِسَا عليه ذلك[٣] ، وقال له عِكْرِمة : يا أبا مالك ! فجاء فوقف ، وابتدأ يُنْشِد قصيدتَه :

* لِمَنِ الدِّيارُ بحائلٍ فوُعَالِ *

حتى انتهى إلى قوله :

إنّ أبنَ رِبْعِيّ كَفَانِى سَيْبُه ... ضِغْنَ العدُوِّ وعِذْرَةَ المُحْتَالِ[٤]

---

(١) الحمالة : ما يتحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة ليصلح ذات البين . فى الأغانى « سيار ابن البزيعة » ، وهو خطأ ، وقد جاء فى ديوان الأخطل : ١٥٩ على صوابه ، وقد وجدت فى الطبرى فى خبر طويل ٦ : ١٥١ : شداد بن المنذر بن الحارث بن وعلة الذهلى (الرقاشى الشيبانى) ، أخو الحضين ابن المنذر ، وكان يدعى « ابن بزيعة » ، كما ضبطته بالتصغير ويؤيد ذلك رواية الديوان فى شعره الآتى.

(٢) العين : الدراهم والدنانير ، النقد . والعرض : ما لم يكن عينا ، أى نقداً ، من متاع وأثاث .

(٣) نفس عليه الشىء : حسده ولم يحب أن يصل إليه . وفى الأغانى مكان شداد « سيار » . انظر ما سلف رقم : ١ .

(٤) ديوانه : ١٥٦ — ١٥٩ . السيب : العطاء الذى لا يتوقف . واعتذر فلان من دين ركبه اعتذاراً وعذرة ومعذرة . ورأيت طابعى الأغانى فى دار الكتب ، لم يحسنوا فهمها فجعلوها « غدرة » ، وهى فى المطبوع القديم من الأغانى على أحسن الصواب ! ! ، وهى الموافقة لسياق القصة .

أَغْلَيْتَ حين تواكَلَتْنِي وَائِلٌ ، إنَّ المكارمَ عِنْدَ ذاكَ غَوالِي(١)
ولقد مَنَنْتَ عَلَى رَبِيعَةَ كلِّها ، وكَفَيْتَ كُلَّ مُواكِلٍ خذّالِ(٢)
كابْنِ البُزَيْعَةِ أوْ كآخرَ مِثْلِه ، أَوْلَى لكَ ابْنَ مُسِيمَةِ الأجْمالِ(٣)
إنَّ اللئيم إِذَا سَأَلْتَ بَهَرْتَهُ ، وتَرَى الكريمَ يَرَاحُ كالمُخْتالِ(٤)
وإذا عَدَلْتَ به رجالًا لم تَجِدْ فَيْضَ الفُراتِ كَرَاشِحِ الأَوْشالِ(٥)

قال : فجعَل عِكْرِمة يبتهجُ ويقول : هٰذه واللهِ أَحبُّ إلَيَّ من حُمْرِ النَّعَم !](٦).

* * *

٦١٢ — (٧)أنبأنا أبو [خليفة الفضل بن] الحُبَاب ، أنبأنا ابن سلّام قال : أخبرنى أبو الغرّاف قال : لمّا قال جرير :

---

(١) غالى الشىء وأغلاه : اشتراه غاليا . يعنى اشتريت المجد بثمن غال . وتواكاوه : وكله بعضهم إلى بعض من لؤمهم وبخلهم .

(٢) المواكل من الخيل : الذى يتكل على صاحبه فى السير ، يحتاج إلى الضرب والحث . فاستعاره له لعجزه وقعوده عن فعل الخيرات . والخذال : الشديد الخذلان لمن اطمأن إليه أو علق آماله به .

(٣) أسام الماشية : خلاها ترعى وحفظها . يسبه بأن أمه أمة راعية . والأجمال جمع جمل .

(٤) بهره : قطع نفسه حتى تتابع من شدة الإعياء وما يأخذه من خوف العطاء . راح الرجل للمعروف يراح ، وارتاح يرتاح : فرح به وأشرق له واهتز كالفنن الرطب ، وأخذته خفة وأريحية .

(٥) عدلت : وزنت . رشح العرق والإناء : خرج شيئاً فشيئاً قليلا قليلا . والأوشال جمع وشل : وهو الماء يتحلب من جبل أو صخرة يقطر قليلا قليلا ، لا يتصل قطره . يقول : يا بعد ما بين السيل المتدفق والرشح المتقطع البطىء . هذا جواد ، وهذا بخيل كز .

(٦) النعم : الإبل الراعية . وحمر النعم : هى التى لم يخالط حمرتها شىء ، والعرب تقول : خير الإبل حمرها وصهبها . والإبل الحمر أصبر على الهواجر ، والورق أصبر على طول السرى ، والصهب أشهر وأحسن حين ينظر إليها ، فلذلك استعزوا بحمر النعم ، لأنها أردهن خيراً وأبقاهن قوة .

(٧) رواه أبو الفرج فى الأغانى ٨ : ٣١٦ . وفى المطبوعتين : « أنبأنا أبو الحباب » وهو خطأ لا شك فيه . وقد زدناها بحقها . والزيادة الأخرى من الأغانى .

إذا أَخَذَتْ قَيْسٌ عليكَ وخِنْدِفٌ ... بِأَقْطَارِها، لم تَدْرِ مِنْ أَين تَسْرَحُ[١]؟

فلما أُنْشِدَه الأخطلُ قال: لا أَيْنَ! سَدَّ واللهِ عليَّ الدُّنيا! حَتَّى أُنشِد قوله:

فَمَالَكَ فى نَجْدٍ حَصَاةٌ تَعُدُّهَا ... وَمالكَ فى غَوْرَى تِهَامَةَ أَبْطَحُ[٢]

فقال الأَخْطَل: [لا أُبالى واللهِ أنْ لا يكونَ!] فُتِحَ والصَّلِيبِ لى القولُ! ثُمَّ قال:

ولَٰكِنْ لنا بَرُّ العِرَاقِ وبَحْرُهُ ... وحَيْثُ يُرَى القُرْقُورُ فى المَاءِ يَسْبَحُ[٣]

* * *

٦١٣ — [٤][أخبرنى أبو خليفة، عن محمد بن سلّام قال: قال أبو الخطَّاب: حدثنى نُوح بن جرير قال: قلتُ لأبى: أنتَ أشعرُ أم الأخطلُ؟ فنهرنى وقال: بئسَ ما قلت! وما أنت وذاك لا أمّ لك! فقلت: وما أنا وغَيْرُه! قال: لقد أُعِنْتُ عليه بكُفْرٍ وكِبَرِ سِنٍّ، وما رَأَيتُه إلَّا خشيتُ أن يبتلِعَنى].

---

(١) ديوانه: ١١١، والنقائض: ٥٠٦. قيس عيلان بن مضر بن نزار، وخندف: ولد اليأس بن مضر بن نزار، والأخطل من ولد ربيعة بن نزار. الأقطار: النواحى. سرح الماشية: أسامها للرعى. يقول: إذا عادتك قيس وخندف أو فاخرتك، وأخذت عليك أفواه الطرق، لم تجد لك مذهباً ولزمت مكانك من خوفها وعزها.

(٢) ديوانه: ١١٤، والنقائض: ٥١٠. غورى تهامة: يعنى تهامة وما يليها من أرض اليمن. وأرض ربيعة الجزيرة من العراق. يقول: مالك فى أرض عز العرب شىء تعتز به أو تعتد.

(٣) ديوانه: ٣٠٧. القرقور: سفينة عظيمة طويلة.

(٤) هذا خبر فى الأغانى ٨: ٢٩٨، نقلته إلى هذا المكان لأنى رأيته أحق به. انظر قوله فى الذى يليه: «وفى حديث أبى قيس...»، كأنه سبق حديث آخر فى تفضيل جرير للأخطل.

* * *

٦١٤ — (١) وفى حَديثِ أبى قَيْس العَنْبَرِىّ ، عن عِكْرِمة بن جرير ، حين سَأَلَ أباه عن الشُّعَراء ، فقال فى الأخطل : يُجِيدُ نَعْتَ المُلوكِ ، ويُصِيبُ صِفَةَ الخمر .

* * *

٦١٥ — (٢) [أخبرنى أبو خليفة قال : أنبأنا محمد بن سلّام قال : حدّثنى شيخ من ضُبَيْعَة قال : خرجَ جريرٌ إلى الشام ، فنزَل منزلًا لِبنى تغلِب ، فخرجَ مُتَلثِّماً عليه ثِيابُ سَفَره ، فلقيه رجُل لا يعرفُه ، فقال : مِمّن الرجُل ؟ قال : من بَنى تَميم . قال : أما سمعتَ ما قلتُ لغاوِى بنى تميم ؟ — فأنشدهُ مما قال لجرير — فقال : أما سمعت ما قال لكَ غاوِى بنى تميم ؟ _ فأنشده — ثم عاد الأخطل وعاد جريرٌ فى نَقْضِه ، حتى كثُر ذلك بينَهُما . فقال التغلبىّ : مَن أنت ؟ لا حيّاكَ اللهُ ! والله لَكأنَّك جَريرٌ . قال : فأنا جريرٌ . قال : وأنا الأخطل] .

* * *

٦١٦ — (٣) أنبأنا أبو خَلِيفة ، أنبأنا ابن سلّام قال : سمعتُ سَلَمَة بن عيّاش يَقُول : تذاكَرْنا جريراً والفرزدقَ والأخطلَ ، فقال قائل : مَنْ مِثْلُ الأخْطَل ؟ إنَّ فى كلِّ بيت له بَيْتَين ، إذ يقول :

---

(١) هذا الحديث مضى بتمامه فى رقم : ٦٣ ، مع بعض الاختلاف فى اللفظ .

(٢) هذا الخبر نقلته من الأغانى ٨ : ٣١٧ ، وكأن هذا المكان أحق به .

(٣) رواه أبو الفرج فى الأغانى ٨ : ٢٨٤ ، مع اختلاف فى أكثر لفظه . ومنه يتبين أن القائل الذى ذكره بعد ، هو سلمة نفسه .

وَلَقَدْ عَلِمْتِ، إذَا العِشَارُ تَرَوَّحَتْ هَدْجَ الرِّئالِ، تَكُبُّهُنَّ شَمَالَا[١]،
أَنَّا نُعَجِّلُ بالعَبِيطِ لِضَيْفِنَا قَبْلَ العِيَالِ، وَنَقْتُلُ الأَبْطَالَا[٢]

وَلَوْ شَاءَ لَقَالَ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إذَا العِشَارُ تَرَوَّحَتْ هَدْجَ الرِّئالِ
أَنَّا نُعَجِّلُ بالعَبِيطِ لِضَيْفِنَا قَبْلَ العِيَالِ

فَكَانَ هٰذَا شِعْرًا، وَكَانَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ الوَزْنِ .

٦١٧ — [٣]وَقِيلَ لِلأَخْطَلِ عِنْدَ المَوْتِ : أَتُوصِى أَبَا مَالِكٍ ؟ فَقَالَ :

أُوَصِّى الفَرَزْدَقَ عِنْدَ المَمَاتِ بِأُمِّ جَرِيرٍ وَأَعْيَارِهَا[٤]

---

(١) ديوانه : ٤٣ ، ونقائض جرير والأخطل : ٧٢ . فى المطبوعتين « إذا الرياح تروحت » فى الموضعين . ناقة عشراء : مضى على حملها عشرة أشهر ، فإذا وضعت لتمام السنة فهى عشراء أيضاً . والعشار : هى الحديثة العهد بالنتاج ، وأحسن ما تكون الإبل ، وأنفسها عند أهلها ، إذا كانت عشاراً . راحت الإبل وتروحت : أوت بعد غروب الشمس إلى مراحها الذى تبيت فيه ليلا . والهدج والهدجان : مشى رويد متقارب الخطو ، أو عدو فى ارتعاش كمشية الشيخ والطفل لم يتماسك . والرئال جمع رأل : وهو ولد النعام ، وهو إذا عدا اضطرب . وكبه يكبه : قلبه . والشمال : ريح الشتاء الباردة تأتى بالقحط وقلة الألبان . وقوله « تكبهن شمالا » ، أى تكبهن الريح الهابة شمالا . وهو يخاطب امرأة ذكرها يقول لها : إذا جاء الشتاء ، وكان رواح الإبل إلى مباركها عدواً مضطرباً من شدة الريح والبرد ، وكان الزمان زمان قحط يضن فيه الجواد ، فإنا نكرم ضيفنا ، ونذبح له خير عشارنا وأكرمها علينا .

(٢) العبيط : اللحم الطرى السمين السليم من الآفات . وتعجيل القرى للأضياف وإيثارهم على العيال ، من أكرم أخلاق العرب .

(٣) رواه فى الأغانى ٨ : ٣٠٥ .

(٤) ليست فى ديوانه ، ولكنهما رويا فى النقائض : ١٤٢ ، مطلع أبيات للفرزدق يناقض بها جريراً مع تقديم البيت الثانى على الأول ، وفيه « وأوصى الفرزدق » . والظاهر أن الفرزدق أخذهما وزاد عليهما . والأعيار : الحمير ، وهذا مما عيروا به جريراً .

وزَارَ القُبُورَ أَبُو مَالكٍ بِرَغْمِ العُـــداةِ وأَوْتارِهَا[١]

٦١٨ — أنبأنا أبو خَلِيفة ، أنبأنا ابنُ سَلّام قال : فحدّثنى أَبانُ بن عُثْمان قال : لمَّا بلغَ الفرزدقَ قولُ الأخْطَلِ ، جَعَل يَحِنُّ عليهِ ويقُول : سآخُذُ بوصِيَّة أخى[٢] .

٦١٩ —[٣] أنبأنا أبو خليفة ، أنبأنا ابن سلّام قال : حدثنى محمَّد [بن حَفْص] بن عائشة [التَّيْمىّ] قال : قال إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوْفَل [بن الحارث بن عبد المطَّلِب] : خرجتُ معَ أبى إلى الشَّـام ، فخرَجْتُ إلى دِمشْق أَنْظُرُ إلى بنائها . فإذا كَنِيسةٌ ، وإذا الأخْطَلُ فى ناحِيَتها . فلما رَآنى أنكرَنى ، فسأل عنى فأُخْبِرَ [بنَسَبِى] ، فقال : يا فتى إن لكَ موضِعاً وشَرَفاً ، وإن الأُسْقُفَّ قد حبَسنى ، فأَنا أُحبُّ أن تأتيه تُكلّمهُ فِى إطْلاقى . قال : قلتُ : نَعَمْ ! فذهبْتُ إلى الأُسْقُفّ وأُنتسبْتُ له ، فكلَّمتُه وطلبتُ إليه فى تخَلِيتِهِ . فقال : مهلًا أُعِيذُك بالله أنْ تَكَلَّمَ فى مثل هٰذا ، فإن لكَ مَوضِعاً وشَرَفاً ، وهٰذا ظَالِمٌ يشتم أعرَاضَ النَّاس ويَهْجُوهم ! فلم أزلْ بِهِ حتى قام مَعِىَ فدخَلَ الكَنيسَة ، فجعل يُوعِدُه

---

(١) الأوتار جمع وتر : وهو الذحل والثأر يقول : مات عزيزاً لم ينل منه عدو ملح ولا طالب ثأر حريص . و « زار القبور » كأنه أتى الموت مريداً ، كالزائر يقصد من يزور ، فلم تقتله يد عدو موتور ، فترغمه على زيارة القبور .

(٢) يحن عليه : يبدى الحزن الشديد كأنه يبكى ، ويتشوق إليه .

(٣) رواه أبو الفرج فى الأغانى ٨ : ٣٠٩ ، والزيادات فى بعض المواضع منه . وفى ألفاظه اختلاف كبير لا يختلف به المعنى . ولولا أن أغير لأثبت نص الأغانى ، فإنه جيد وفيه بعض زيادة .

ويَرفعُ عليهِ العَصا ، والأخطلُ يتضرَّع إليه ، وهو يقول له : أتَعُود ؟ أتعود ؟ فيقول : لا ! قال إسحاق : فقلت له : يا أبا مَالِكٍ تهابُك الملوكُ ، وتُكرِمك الخُلفاء ، وذِكرُك فى النَّاس عظيمٌ أمْرُه ، [وأنتَ تخضعَ لهذا هٰذا الخضوعَ وتَستَخذِى له ! قال : فجعل يقول لى] : إنه الدِّين ! إنه الدِّينُ !

٦٢٠ — (١) أنبأنا أبو خَليفة ، أنبأنا مُحمّد بنُ سلّام ، حدّثنى محمّد ابن الحجَّاج الأُسَيْدِىّ قال : خرجْتُ إلى الصَّائِفة ، فنزلْتُ مَنزِلًا لبنى تَغْلِب ، فلم أجِدْ به طَعاماً ولا شَراباً ولا عَلَفاً لدابَّتى شِرًى ولا قِرًى ، ولم أجدْ ظلاًّ . فقلت لرجُلٍ منهم : أما فى دارِكم هذه مَسْجد أستَظِلُّ بفَيْئِه ؟ قال : ممَّن أنتَ ؟ قلتُ : من بنى تَميم . قال : ما كنتُ أرى عَمَّك جريراً إلاّ قَدْ أخبرك حين قال :

فِينَا المساجدُ والإمامُ ، ولا تَرَى فى دَارِ تَغلِبَ مَسْجِدًا مَعْمُورَا (٢)

* * *

٦٢١ — (٣) [أخبرنى أبو خليفة ، إجازةً ، عن محمَّد بن سلّام قال : قال أَبانُ بن عُثْمان : حدثنى سِماكُ بن حَرْب ، عن ضَوْء بن اللَّجْلَاجِ قال :

---

(١) رواه فى الأغانى ٨ : ٣١٦ . والصائفة : الغزوة فى الصيف ، كانوا يغزونها كل عام . شرى : شراء ، قرى : إضافة . والفىء : ما كان شمساً فنسخه الظل ، ما بعد الزوال . والظل : ما نسخته الشمس .

(٢) ديوانه : ٢٩١ .

(٣) هذا الخبر نقلته من الأغانى ٨ : ٢٩٥ ، ولم أتبين له فى أثناء ذكر الأخطل مكاناً ، فألحقته بهذا الباب الذى سماه ابن سلام « ما قيل فى الأخطل وأحاديثه » ، رقم : ٥٧٨ . وضوء بن اللجلاج الذهلى الشيبانى ، شاعر فارس .

دَخلتُ حَمَّاماً بالكوفة وفيه الأخطلُ ، قال فقال : مِمَّن الرجُل ؟ قلتُ : من بَنى ذُهْل . قال : أتروِى للفرزْدَقِ شَيْئاً ؟ قلت : نعم . قال : ما أَشْعر خَلِيلى ! على أنّه ما أسرعَ ما رجَع فى هِبَتِه ! قلتُ : وما ذاكَ ؟ قال : قولُه :

أَبَنِى غدَانَةَ ، إنَّنى حَرَّرْتُكمْ فَوَهَبْتُكمْ لعَطِيَّةَ بْنِ جِعَالِ (١)

لَوْلا عَطِيَّةُ لاُجْتَدَعْتُ أُنُوفَكمْ مِنْ بَيْنِ ألأمِ آنُفٍ وسِبَالِ (٢)

وَهَبهم فى الأوّل ، ورجَع فى الآخِرِ ! فقلتُ : لو أنكرَ النَّاسُ كُلُّهم هٰذا ما كان ينبغى أن تُنْكرَهُ أنتَ . قال : كيفَ ؟ قلت : هجوتَ زُفَرَ بن الحارث ، ثمّ خوَّفْتَ الخليفةَ مِنْهُ فقلتَ :

بَنِى أُمَيَّةَ ، إنِّى ناصِحٌ لَكمُ فَلا يَبِيتَنَّ فيكمْ آمِناً زُفَرُ

مُفْتَرِشاً كافْتِرَاشِ اللَّيثِ كَلْكَلَهُ لِوَقْعةٍ كائنٍ فيها لَهُ جَزَرُ (٣)

ومدحتَ سِمَاكَ بن حَرْب فقلت (٤) :

قد كنتُ أحسِبُهُ قَيْناً وأُخْبَرُهُ ، فاليَوْمَ طَيَّرَ عَنْ أَثْوابِهِ الشَّرَرُ

---

(١) ديوانه : ٧٢٦ ، والنقائض : ٢٧٥ ، بنو غدانة بن يربوع ، من عمومة جرير . وعطية بن جعال : من بنى غدانة ، كان من سادتهم ، وكان صديقاً للفرزدق . وروى أبو عبيدة أنه هو الذى قال لما سمع شعر الفرزدق : « ما أسرع ما رجع خليلى فى هبته » .

(٢) جدع أنفه واجتدعها : قطعها قطعاً بائناً . الآنف جمع أنف . ويروى « أعين » .

(٣) ديوانه : ١٠٥ ، وقد مضى ذكر زفر بن الحارث فى رقم : ٦٠٠ ، ٦٠١ . والكلكل : الصدر . والجزر جمع جزرة : وهى الشاة السمينة صلحت للذبح والجزر . وأراد : له قتلى كثيرون كأنهم شاء مذبحة . يهول أمر زفر تهويلا .

(٤) فى نص الأغانى : « ومدحت عكرمة بن ربعى فقلت » . وهو خطأ لا شك فيه ، ولا وجه له ، وقد صححته بصوابه . انظر ما مضى رقم : ٥٩٠ .

لو أردتَ المبالغة فى هِجائه ما زدتَ عَلَى هذا ! فقال لِىَ الأخطلُ : واللهِ لوْلا أنَّك من قوْمٍ سَبَق لى مِنْهم ما سَبق ، لهجوْتُكَ هِجاءً يدْخل مَعَكَ قبرَكَ . ثم قال :

ما كنْتُ هاجِىَ قوم بَعْدمَدْحِهِمُ ... ولا تُكَدِّرُ نُعْمى بَعد مَا تجِبُ

أُخرُجْ عنِّى] .

مقلدات الأخطل

٦٢٢ — [١]أنبأنا أبو خليفة ، أنبأنا ابن سلَّام ، أنبأنا أبو الغرَّاف قال: أنشدَ الأخطلُ قصيدتَه التى يقول فيها :

وَإِذَا افْتَقَرتَ إلى الذَّخائِر ، لَمْ تجِدْ ... ذُخراً يكونُ كَصَالحِ الأعْمالِ [٢]

فقال له هِشام بن عبد الملك : هَنِيئاً لكَ أبا مالكٍ الإسلامُ ! — أو قال: أسْلَمْتَ ! — قال : ما زِلتُ مُسْلماً ! — يقول : فى دِينِى .

٦٢٣ — [٣][أخبرنا أبو خليفة إجازةً ، عن محمَّد بن سلَّام قال :

---

(١) انظر ما مضى فى تفسير « البيت المقلد » رقم : ٤١٩ ، ومقلدات جرير رقم : ٥٠٠

(٢) رواه فى الأغانى ٨ : ٣١٠ ، عن ابن سلام ، مع اختلاف فى سياقه . وهذا البيت فى ديوانه : ١٥٨ ، وينسب إلى الخليل بن أحمد تارة (الكامل ١ : ٢٤١) ، وإلى ابن مقبل تارة أخرى (تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠١) وكلاهما خطأ .

(٣) هذا الخبر بنصه من الأغانى ٨ : ٣٠٥ ، وكان فى مكانه من المطبوعتين ما نصه : [وقال لعبد الملك ، وميل الناس بينه وبين بيت جرير :

شُمْسُ العداوةِ ، حتى يُسْتقاد لهم ... وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدرُوا

قال لى مُعاوية بن أبى عمرو بن العلاء : أىّ البيتين عندك أجودُ ؟ : قول جرير :

أَلَسْتُمْ خيرَ مَنْ رَكِبَ المطايا وأندى العالَمِين بُطُونَ راحِ (١)

أم قولُ الأخطل :

شُمْسُ العَدَاوةِ حتى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وأعْظَمُ النَّاسِ أحْلاماً إذا قَدَرُوا (٢)

فقلتُ : بيت جرير أَحْلَى وأسْيَر ، وبيتُ الأخْطَلِ أَجْزَل وأرزَنُ .

فقال : صدقت ! وهكذا كانَا فى أنْفُسِهما عند الخاصَّةِ والعامَّة] .

٦٢٤ — وقال الأخطل فيها :

حُشْدٌ على الحقِّ ، عن قولِ الخنا خُرُسٌ ، وإنْ أَلَمَّتْ بهم مَكْرُوهةٌ صَبَرُوا (٣)

بَنى أُمَيَّـــةَ ، إنِّى ناصِحٌ لـكمُ فَلا يَبِيتَنَّ فِيكم آمِناً زُفَرُ (٤)

وقال جرير :

أَلستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمينَ بطونَ راح

وهو كما ترى نص فاسد مضطرب . ونص الأغانى أحق بالموضع .

(١) انظر ما مضى رقم : ٤٦١ ، ٥٠٣ .

(٢) ديوانه : ١٠٤ . شمس جمع شموس : وهو الرجل العسير فى عداوته ، الشديد على من خالفه ، الآبى على من أراد ضيمه ، كأنه يجمح من حدته وشغبه . استقاد له : أعطى مقادته وزمامه فخضع واستكان . يقول : إذا ناوأهم عدو لم يرضوا إلا أن يقسروه على الخضوع والاستسلام ، فإذا قهروه وفرغوا من شره وقدروا عليه ، عفوا عنه وأكرموه وأنزلوه منزلته . وذلك أنبل الخلق وأسمى المروءة .

(٣) هذه الأبيات منتزعة مفرقة . ديوانه : ١٠٤ — ١٠٧ . حشد جمع حاشد : وهو المعين لك ، الذى لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة والمال إلا حشده لك . والخنا : الفحش من القول . والمكروهة : الشدة والكريهة .

(٤) هذا البيت مضى فى رقم : ٦٢١ .

فإنَّ مَشْهَدَه كُفْرٌ وغائِلَةٌ ... وما تغيَّبَ من أخْلاقِهِ دَعَرُ(١)

إنَّ العَداوَةَ تَلْقاها ، وإنْ قَدُمَتْ ، ... كالعَرِّ يَكْمُنُ أحيانًا وَيَنْتَشِرُ(٢)

بَنِي أُمَيَّةَ ، قَدْ ناضَلْتُ دُونَكُم ... أَبْناءَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وهُمْ نَصَرُوا(٣)

وقَيْسَ عَيْلَانَ حتَّى أَقبَلُوا رَقَصًا ... فبَايَعُوكَ جِهارًا بَعْدَ ما كَفَرُوا(٤)

---

(١) جاء فى صدره ديوانه وفى سائر الكتب بغير هذه الرواية :

« وَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ، إنَّ شاهِدَه . . . »

وهى الرواية الجيدة المطابقة لسياقة الشعر ومعناه . والشاهد : اللسان . يقال : لفلان شاهد حسن ، أى عبارة جيدة ولسان فصيح . وما لفلان رواء ولا شاهد : أى لا منظر له ولا لسان . وقوله « إن شاهده.. » قد حذف منه خبر إن لوضوحه ، كأنه يقول : إن شاهده ولسانه ما تعرفون من ملقه وتزلفه ، ولكنه يبطن الغدر ويخفى الغوائل . وسيبين هذا المعنى فى البيت الذى يليه . وقوله فى الرواية الأولى « كفر وغائلة » أى كفر للنعمة وكفر بالحق ، والغائلة : من قولهم غاله يغوله : إذا اغتاله ، وهو أن يخدع الإنسان حتى يصير إلى مكان قد استخفى له فيه من يقتله من حيث لا يدرى . والدعر : الفجور والخبث . ودعر الرجل دعراً ودعارة : إذا كان يؤذى الناس ويخونهم ، ويعيب أصحابه ، ويبيت لهم على دخن . وأصل ذلك من الدعر : وهو ردىء الدخان إذا ضن العود . عود دعر : كثير الدخان ليس بجيد الوقود .

(٢) رواية الديوان « إن الضغينة » ، وهى أجود الروايتين معنى ولفظاً ، لأن الضغن والضغينة : هى الحقد الذى تنطوى عليه الجوانح وتضمره وتستره ، يقول الله تعالى : « إنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ويُخْرِجْ أضْغانَكُمْ » . والعر : (بفتح العين) جرب يأخذ البعير فيتساقط عنه شعره حتى يبدو الجلد ويبرق . يقول : لايؤمن ذو الضغن وإن طال الأمد ، فإن الضغن يخفى أحياناً ثم لا يلبث أن يؤرثه شىء فيعود كأشد ما كان . وشبهه بجرب الإبل ، لأنه كذلك يخفى زماناً ثم يعود .

(٣) هذا البيت فى غير مكانه من ترتيب الشعر . ناضله : باراه فى الرمى ، ثم استعير للمخاصمة والمجادلة والمدافعة . وعنى بالذين ناضلهم : الأنصار ، الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين ونصروهم حين رمتهم قريش عن قوس واحدة . يشير إلى هجائه الأنصار ، كما مضى فى رقم : ٥٧٨ ، ٥٨١ .

(٤) هذا بيت انتزع انتزاعاً قبيحاً من سياق الشعر ، فهو فى آخر أبيات ذكر فيها الأخطل مقتل عمير بن الحباب السلمى ومن معه فى يوم الحشاك . والرقص (بفتحتين) : ضرب من السير السريع ، دون الخبب ، رقص البعير : إذا أسرع فى سيره . يقول : أنزلنا بهم من بأسنا ما ردهم إليك سراعاً . فبايعوك بعد أن منعوا بيعتهم وكفروا نعمتك عليهم .

ضَجُّوا مِنَ الحَرْبِ إذْ عَضَّتْ غَوارِبَهُمْ ،
وقَيْسُ عَيْلَانَ مِن أَخْلاقِهَا الضَّجَرُ[١]

٦٢٥ — وقوله لجرير :

قومٌ ،إذَا اسْتَنْبَحَ الأَضْيافُ كَلْبَهُمُ، قالُوا لِأُمِّهِمُ : بُولِي عَلَى النَّارِ[٢]

٦٢٦ — وقولُه له :

يا ابْنَ المَرَاغَةِ ، إنَّ عَمَّيَّ اللَّـذَا قَتَلَا المُلُوكَ وَفَكَّكَا الأَغْلالَا[٣]

---

(١) ضج : صاح مستغيثاً فزعاً عند المشقة والمكروه والجزع . والغوارب جمع غارب : وهو كاهل البعير ما بين السنام والعنق ، وأراد أعلى مقدم السنام حيث يوضع الرحل ، فإذا عض الرحل على غارب البعير ضجر وضج . والضجر : رغاء البعير إذا أصابه أذى يؤلمه . يقول : هم قوم لا عهد لهم بالحرب ولا صبر لهم عليها ، فإذا وقعوا فيها وعضتهم عضة صاحوا واستغاثوا ، لا يصبرون على أذاها ، كما لا يصبر البعير على ألم يمسه ، فيرغو ليخفف عنه صاحبه .

(٢) ديوانه : ٢٢٥ ، والنقائض : ١٣٤ . استنبح الضيف الكلاب : إذا سرى ليلا فضل فى الليلة الظلماء ، ولم يهتد إلى مكان البيوت ، نبح عندئذ نباح الكلب لتجيبه الكلاب ، فيعرف بصوتها مكان الحى فيقصده . يقول : إذا سمعوا صوت ضيف مستنبح ضال فى ليلة ظلماء ، أخذهم لؤم البخل وخسة الطبع ، فعجلوا إلى النار أن يراها الضيف إذا دنا على صوت الكلاب ، فيزيدون خستهم نذالة ، فيأمرون أمهم أن تبول على النار حتى تطفأ ، لا يراها الضيف . بخلوا وابتذلوا الأم التى ولدتهم . وذلك أخس شىء .

(٣) ديوانه : ٤٤ ، والنقائض : ٧٣. وروايتهما « أبنى كايب ، إن عمى ... » ، وهم بنو كليب ابن يربوع رهط جرير . وابن المراغة جرير نفسه ، انظر ص : ٣٤٠ رقم : ١ واختلفوا فى قوله « عمى » من أراد بهما ، ولم أستطع أن أحقق هذا الموضع على الوجه الذى أتمناه . قالوا : أراد عمرو بن كلثوم التغلبى ، قاتل عمرو بن هند ملك العرب ، وأبا حنش عصم بن النعمان ، قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل المرار الكندى وهو ابن عم عمرو بن كلثوم لحاً ، قتله فى يوم الكلاب الأول . وهما عماه من قبل أسلافه فى بنى تغلب . (انظر الاختلاف فى الخزانة ٢ : ٥٠٠) وقوله « اللذا » أراد اللذان ، فحذف لما طال عليه الكلام ، وهكذا فعلوا فى بعض ما يكثر استعماله ، لوضوح المقصود به .

وأَخُوهُمُ السَّفَّاحُ ظَمَّأَ خَيْلَهُ حَتَّى وَرَدْنَ جِبَى الكُلَابِ نِهَالَا (١)

فَانْعَقْ بِضَأْنِكَ ، يا جَرِيرُ ، فَإِنَّمَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فِي الخَلَاءِ ضَلَالَا (٢)

مَنَّتْكَ نَفْسُكَ أَنْ تَكُونَ كَدَارِمٍ أَوْ أَنْ تُوَازِنَ حَاجِباً وعِقَالَا (٣)

٦٢٧ — وقوله في قَصِيدته التي أَوْقَعَ فِيها بقَيْسٍ قَبِيلَةً قبيلةً ، وشبَّبَ بهِنْد بنتِ أَسْماءَ (٤) :

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَاهِنْدُ ، هِنْدَ بَنِي بَدْرِ وإِنْ كانَ حَيَّانَا عِدًى آخِرَ الدَّهْرِ (٥)

---

(١) السفاح : هو سلمة بن خالد بن كعب بن القنفذ بن زهير ، بن تيم بن أسامة بن مالك ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وكان السفاح جراراً للجيوش فى الجاهلية (الجرار : قائد ألف) ، وإنما سمى « السفاح » لأنه سفح المزاد (أى صبها) يوم كاظمة ، وقال لأصحابه : قاتلوا ، فإنكم إن هزمتم متم عطشاً . يريد قاتلوا فلا ماء لكم إلا ماء عدوكم ، فقاتلوا عنه ، وإلا فموتوا عطشا (الاشتقاق : ٢٠٣ ، الجمهرة : ٢٨٨ ، الخزانة ٢ : ٥٠٠) . والجبى : ما جمع من الماء فى الحوض ، وهو أيضاً ما حول الحوض . والكلاب : موضع ماء كان ما بين البصرة والكوفة على بضع عشرة ليلة . وكان ذلك من فعل السفاح فى يوم الكلاب الأول (العقد ٥ : ٢٢٣) . ونهال : عطاش ، جمع نهل ، جمع ناهل : وهو العطشان . وظمأ الخيل : أعطشها ولم يوردها الماء ، أشار بذلك إلى ما أسلفنا من خبره .

(٢) نعق الراعى بغنمه : صاح بها يزجرها أو يدعوها . يقول له : إنما أنت راعى غنم ، لا علم لك بالحرب . وذلك بعد أن فخر عليه بتعداد وقائع تغلب . وبين هذين البيتين وما قبلهما أبيات كثيرة فى الفخر بتلك الوقائع .

(٣) دارم : دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، جد الفرزدق ، وهو من بنى مجاشع بن دارم . وحاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، الذى توجه كسرى ، انظر رقم : . . . وعقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، جد الفرزدق . وفى المطبوعتين « أو أن توازى » ، وهى صحيحة المعنى فى غير هذا الشعر . وذلك لقول الأخطل بعده :

وإذا وَضَعْتَ أَبَاكَ فى مِيزَانِهِمْ قَفَزَتْ حَدِيدَتُهُ إِلَيْكَ فَشَالَا

(٤) يعنى أنه هجا فى هذه القصيدة قبائل قيس وبطونهم وأفخاذهم . وهند بنت أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارية ، من قيس عيلان . وتزوج هنداً ، عبيد الله بن زياد بن أبيه ، ثم بشر بن مروان بن الحكم ، ثم الحجاج بن يوسف الثقفى . وانظر ما يأتى رقم : ٦٤٦ .

(٥) ديوانه : ١٢٨ . وبنو بدر : هم بنو بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى ابن فزارة بن ذبيان بن بغيض ، من قيس عيلان بن مضر ، وهم بيت الشرف فى فزارة . حيانا : يعنى حى قيس عيلان ، وحى تغلب . والعدى : الأعداء . آخر الدهر : طول الأبد .

وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَقْصَدْتِنِي إِذْ رَمَيْتِنِي ... بِسَهْمِكِ، والرَّامِي يُصِيبُ وَلَا يَدْرِي (١)

٦٢٨ — وقال فيها:

وقَدْ سَرَّنِي من قَيْسِ عَيْلَانَ أَنَّنِي ... رَأَيْتُ بَنِي العَجْلَانِ سَادُوا بَنِي بَدْرِ (٢)

٦٢٩ — قال واستَنْشَدَ سَلْمُ بن قُتَيْبَة — وهو أميرٌ عَلَى البَصْرَة — عيسَى بنَ عُمَر، وكان أحْسَنَ النَّاس نَشِيدًا، فأنشده كلمةَ الأخْطَل هٰذِه، فلمّا مَضَى فِيها انتَبَه فأَقْصَرَ. فقال له سَلْم: اُضرِبْ بها وُجُوهَنا فى ظُلْمَةِ اللَّيْل أبا عَمْرٍو (٣).

٦٣٠ — وقوله لجرير:

نَخَسْتَ بِيَرْبُوعٍ لِتُدْرِكَ دَارِمًا! ... لَقَدْ ضَلَّ مَنْ مَنَّاكَ تِلْكَ الأَمَانِيَا (٤)!

---

(١) أقصده: طعنه أو رماه بسهم فلم يخطىء مقاتله، فيموت مكانه. وجواب الشرط محذوف. يقول: إن كنت قد تركتنى صريع نظرتك من فجاءة حبى لك، فلا تثريب عليك، فرب رام يصيب مقتلا وهو لا يريد ولا يدرى. وزعم بعضهم أن قوله «يدرى» من درى الصائد الصيد يدريه: ختله فاستتر عنه، فإذا أمكنه رماه، يريد أن الحاذق بالرمى يصيب جهرة فلا يختل ولا يستتر. والمعنى الأول هو الصواب عندى. يقول القائل:

كالصَّيْدِ يُحْرَمُه الرَّامِي المُجِيد، وقَدْ ... يَرْمِى فيُرْزَقُهُ مَن ليس بالرَّامى

(٢) انظر ما يأتى رقم: ٦٤٦. العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهم أيضاً من قيس عيلان.

(٣) سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى، وكان أمير البصرة فى سنة ١٤٦، وباهلة من قيس عيلان، الذين استوعب الأخطل هجاء قبائلهم فى هذه القصيدة. وعيسى بن عمر الثقفى، من أئمة العربية والنحو والقراءة، يكنى أبا سليمان وأبا عمرو، وكان ممن يقدم الأخطل على جرير والفرزدق، مات سنة ١٤٩.

(٤) ديوانه: ٦٦، وفيه «بخست» بالباء، وهو خطأ ولا معنى له. ونخس بالرجل: هيجه وأزعجه، وأصله من نخس الدابة: وهو غمز جنبها أو مؤخرها بعود لكى تسرع. وأراد بقوله «نخست بيربوع» أن يجعلهم كالدابة المتبلدة يستحثها راكبها لتسرع، هجاء لهم. ودارم، سلف الفرزدق.

جَرَيْتَ شَبَابَ الدَّهْرِ لم تَسْتَطِعْهُمُ، أَفَالآنَ لَمَّا أَصْبَحَ الدهرُ فانيا[١] !
أَتَشْتُمُ قوماً أَثْلُوكَ بنَهْشَلٍ وَلَوْلَاهُمُ كُنْتُمْ كَعُكْلٍ مَوَالِيا[٢] ؟

٦٣١ — وقوله لمَصْقَلَة بن هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيّ[٣] :

دَعِ المُغَمَّرَ لاَ تَسْأَلْ بِمَصْرَعِهِ وَاسْأَلْ بِمَصْقَلَةَ البَكْرِيِّ : مَا فَعَلَا[٤] ؟
إِنَّ رَبِيعَةَ لَنْ تَنْفَكَّ صَالِحَةً مَادَافَعَ اللهُ عَنْ حَوْبَائِكَ الأَجَلَا[٥]

---

(١) شباب الدهر : أوله وعنفوانه . يقول له : لم تستطع أن تبلغ بنفسك ولا بقومك مسعاة آبائه فى قديم الدهر ولا مسعاته ، أفتطمع الآن بعد أن كبرت وفنى عمرك وضعفت عن أن تقول وتنتصف وتتمجد بأسلافك !

(٢) مضى الكلام عليه فى رقم : ٢٠ ص : ١٧ .

(٣) كان مصقلة مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم هرب إلى معاوية رضى الله عنه سنة ٣٨ ، فولاه معاوية حرب طبرستان ، وجميع أهلها حرب ، وضم إليه عشرة آلاف ، ويقال عشرين ألفاً ، فكاده العدو وأروه الهيبة له ، حتى توغل بمن معه فى البلاد . فلما جاوز المضايق أخذها العدو عليهم وهدهدوا الصخور من الجبال على رؤوسهم ، فهلك ذلك الجيش أجمع ، وهلك مصقلة . فضرب الناس به المثل فقالوا : « حتى يرجع مصقلة من طبرستان » (انظر الطبرى ٨ : ١٢٠ وفتوح البلدان : ٣٤٣) .

(٤) ديوانه : ١٤٣ ، قال شارح ديوانه : « المغمر : القعقاع الهذلى » ، ولم أعرف ما هو إلا أن يكون أراد « القعقاع بن شور الذهلى » . وليس صواباً فيما أظن . وقال الجواليقى فى شرح أدب الكاتب : ٣٥٦ : «المغمر السدوسى، أبو خالد بن المغمر » ، وهو خالد بن المغمر بن سلمان بن الحارث شجاع بن الحارث بن سدوس بن شيبان ، الذى يقال فيه لمعاوية رحمه الله :

مُعَاوِيَ أَكْرِمْ خالدَ بنَ مُعَمَّرٍ فإنَّكَ لولا خالدٌ لم تُؤَمَّرِ

(الجمهرة : ٢٩٩) ، وقد قص الطبرى فى تاريخه ٦ : ١٨ خبر خالد بن المغمر فى يوم صفين ، وكان مع على ، فكاتب معاوية ، فخطب على الناس فى أمره ، ثم استوثق منه بالأيمان ، ولكن كان موقفه فى القتال متردداً ، واضطرب الأمر من جرائه . وكأنه أراد بقوله « المغمر » خالداً نفسه وكذلك يفعلون ، كما سمى الفرزدق « بشير بن عبيد الله بن أبى بكرة » « صاحب البكرات » انظر ص ٣٠٠ رقم : ١ . وقد مضى آنفاً أن مصقلة بن هبيرة كان مع على ثم فر إلى معاوية . ونسب مصقلة إلى بكر بن وائل ، جد بنى شيبان . وهو فى هذا البيت يهجو المغمر ، ويمدح مصقلة وتتابع مدحه فى أبيات :

(٥) بين هذا البيت والذى قبله شعر كثير ، ديوانه : ١٤٥ . وربيعة : ربيعة بن نزار ، جد بكر بن وائل ، يعنى القبيلة كلها . صالحة : صالحة الأمر قد كفاها الله السوء . والحوباء : النفس .

٦٣٢ — وقوله لبِشْرِ بن مَرْوَان(١) :

إذَا أَتيْتَ أَبَا مَرْوَانَ تَسْأَلُه وَجَدْتَهُ : حَاضِرَاهُ الجُودُ والحسَبُ(٢)

٦٣٣ — وقوله :

فقُلْتُ : أَصْبَحُونا ، لَا أَبَا لِأَبيكمُ ؟ وَمَا وَضَعُوا الأَثقالَ إلَّا لِيَفْعَلُوا(٣)

٦٣٤ — وقال فيها لخالِدِ بن عَبْد الله بن أَسِيد :

أَبَى عُودُكَ المَعْجُومُ إِلَّا صَلابَةً ، وكَفَّاكَ إلا نائِلًا حِينَ تُسْأَلُ(٤)

٦٣٥ — وقوله :

وشَارِبٍ مُرْبِحٍ بالكَأْسِ نَادَمَنِي لَا بِالحَصُورِ ، ولَا فِيهَا بِسَوَّارِ(٥)

---

(١) مضى ذكر بشر بن مروان ، فى رقم : ٥٥٢ ، ٥٩٥

(٢) ديوانه : ٣٩ ، وأبو مروان ، كنية بشر .

(٣) ديوانه : ٣ . صبحه يصبحه : سقاه الصبوح (بفتح الصاد) ، وهو كل ما شرب من لبن أو خمر غدوة . ثم أنشأ فى الأبيات التالية ينعت الخمر أحسن نعت ، وهى من جيد شعره .

(٤) ديوانه : ٨ . عجم العود : عضه بأضراسه ليعلم صلابته من خوره . يقول : لم تزدد على الاختبار إلا قوة وصلابة . والنائل والنوال : العطاء والكرم .

(٥) ديوانه : ١١٦ . وهى أيضاً من جيد الشعر وبارعه ونفيسه . مربح : من قولهم أربحه بمتاعه أو سلعته : أعطاه ربحاً . وأراد الأخطل أنه لا يبالى أن يغالى بثمنها فيصيب الخمار منها ربحاً وافراً ، يمدحه بحب اللهو وبالكرم . الحصور : البخيل الممسك المنوع ، لا ينفق على ندماه فى الشراب . سار الشراب فى رأس الشارب : ارتفع ودار به . والسوار : الذى تسور الخمر فى رأسه سريعاً ، فتثب به وثب المعربد . يصفه بكرم الخلق فى المنادمة ، لأن الخمر تشف عن الطبائع . يقول القائل :

إذا صَدَمتنى الكأسُ أبدَتْ محاسِنى ولم يخشَ ندمانى أذاتِى ولا بُخْلى

ولسْتُ بفحَّاشٍ علَيْه ، وإنْ أسَا ، وما شكْلُ مَنْ آذى نداماهُ من شكلى

عَذْرَاءُ لم يَجْتَلِ الْخُطَّابُ بَهْجَتَها حَتَّى اُجْتَلَاهَا عِبَادِيٌّ بِدِينَارِ (١)

٦٣٦ — وقوله ليزَيد بن مُعَاوية :

وتَرَى عَلَيْهِ ، إذَا العُيُونُ شَزَرْنَهُ ، سِيمَا الحَلِيمِ وهَيْبَةَ الجَبَّارِ (٢)

---

(١) بين البيتين شعر جيد كثير فى الخمر . عذراء : لم تفض بعد ، وقد ذكر فى البيت قبله أنها « حبست فى مخدع بين جنات وأنهار » . واجتلى العروس : نظر إليها بعد أن تهيأ له . يقول : كانت فى حرز حريز حتى تبلغ نضجها ، وغالى بها تاجرها ضناً بها ، فلم ترها عين مشتر ولا خاطب . والبهجة : الحسن . والعبادى : نسبة إلى « العباد » ، وهم ناس من قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة ، وكانوا تجار خمر .

(٢) ديوانه : ٨٠ . وهكذا جاء فى ابن سلام أن الشعر فى يزيد بن معاوية ، وليس صواباً ، بل الصواب أن القصيدة فى مدح أبى سليمان عبد الله بن معاوية بن أبى سفيان ، وأمه فاختة بنت قرظة ، أحد بنى نوفل بن عبد مناف . وأن هذا البيت خاصة فى مدح أبيه معاوية أمير المؤمنين رضى الله عنه . شزره : نظر إليه بجانب العين من بغض أو هيبة .

الراعى

٦٣٧ — والرَّاعى[(١)] عُبَيْد بن حُصَيْن، كان من رِجَال العَرب ووُجُوه قوْمِه، [وكان يُقَالُ له فى شِعْرِه : كأنه يَعْتَسِف الفَلاةَ بغَيْر دَلِيلٍ . أى أنه لايَحْتَذِى شِعْرَ شَاعر ولايعارضُهُ] ، وكان مع ذٰلك بَذِيًّا هَجَّاءً لعَشِيرته. قالَ له جَرِير :

وقَرْضُكَ فى هَوَازِنَ شَرُّ قَرْضٍ ، تُهَجِّيهَا وتَمْتَدِحُ الوِطَابَا[(٢)]

٦٣٨ — قالَ أبنُ سلَّام : وسمعتُ يُونُس وقيلَ له : ما يَعْنى الرَّاعى بقَوْله :

يَبِيتُ الحَيَّةُ النَّضْنَاضُ مِنْهُ مَكَانَ الحِبِّ يَسْتَمِعُ السِّرَارَا[(٣)]

---

(١) مضى نسبه فى رقم : ٣٣٧ . وهذه الفقرة رواها صاحب الأغانى فى ٢٠ : ١٧١ ، والزيادة التى بين القوسين منه . واذكر أن هذا من موضع الخرم فى المخطوطة . والبذى : الفاحش اللسان . والبذاء : الفحش فى القول والعمل .

(٢) ديوانه : ٧٧ ، والنقائض : ٤٤٨ ، بغير هذه الرواية . القرض (فى الأصل) : ما يعطيه الرجل من المال ليقضاه، ثم استعير للفعل يجازى به الإنسان ، يقال لك عندى قرض حسن أو قرض سيئ : أى فعل أجازيك به حسناً أو سيئاً ، ومنه قوله تعالى : « مَنْ ذا الَّذى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فيُضَاعِفهُ له » . وهوازن، قبيلة الراعى ، من قيس عيلان . وقوله «تهجيها» من الهجاء، وهو الشتم بالشعر وغيره ، هجاه يهجوه هجواً . وأتى به جرير على التضعيف ، وهو جيد فى العربية ، أى تبالغ فى هجائها وتكثر من لجاجة بذاءتك . والوطاب جمع وطب : وهو سقاء اللبن خاصة ، يكون من الجلد . يقول له : تهجو قومك وعشيرتك ولا تبالى بأعراضهم، ولا هم لك إلا بطنك من خستك وشرهك ، فتكثر مدح الإبل وذكر ألبانها . وقد قدم جرير لهذا المعنى بأبيات .

(٣) البيت فى اللسان (حبب) ، والمعانى الكبير : ٦٦٥ ، واللآلئ : ٦٥٧ والحيوان ٤ : ٢١٥ وهو فى صفة صائد فى بيت من حجارة منضودة تبيت الحيات قريبة منه . قال الجاحظ : « وربما باتت الأفعى عند رأس الرجل وعلى فراشه فلا تنهشه ، وأكثر ما يوجد ذلك من القانص والراعى » وأنشد البيت . ثم قال : « الحب : الحبيب » ، وهو تفسير آخر غير مذهب يونس . والسرار : المسارة .

قال يونس: الحِبّ: القُرْطُ، وقال: الشَّنْف. والنَّضْنَاض: الّذي يُخرِج لِسانه(١). قال يونس: يقولون حيّةٌ ذكرٌ، ونعامةٌ ذكر، وشاةٌ ذكر، وبطّةٌ ذَكَر، ولم أسمَعْه منه.

٦٣٩ — وكانَ بَعْدَ هِجاء جريرٍ لَهُ مُغلباً. قال رجُلٌ من قومِه، علَّامةٌ وَراويةٌ فَصِيحٌ: كان فَحْلَ مُضر حتّى ضَغَمه اللَّيْثُ! يعنِي جَريراً(٢).

٦٤٠ — ولقد هَجَا الرَّاعى فأوْجَعَ. قال لأبن الرِّقَاع العامِليّ:

لَوْ كُنْتَ من أَحَدٍ يُهْجَى هَجَوْتُكُمُ،
يا أبنَ الرِّقاعِ، ولَـكِنْ لَسْتَ من أَحَدِ(٣)
تأْبَى قُضَاعَةُ أنْ تَعرِفْ لَـكُمْ نَسَباً
وأبْنَا نِزارٍ، فأنْتُمْ بَيْضَةُ البَـلَدِ(٤)

---

(١) القرط: هو الذى يلبس فى أسفل الأذن. والشنف: الذى يلبس فى أعلاها. وتفسير النضناض ناقص، فهو: الذى يخرج لسانه ويحركه، لأن أصل النضنضة الحركة لا مجرد الإخراج.

(٢) مغلب: انظر تفسيره فيما مضى رقم: ١٠٧. ضغمه: ملأفمه منه وعضه عضا شديداً دون النهش.

(٣) رويا فى كتب كثيرة، انظر اللسان (بيض) الحيوان ٢: ٣٣٦، ٤: ٣٣٦.

(٤) يروى: «لم تعرف». والبيت شاهد، ذكره ابن الأنبارى بهذه الرواية فى الأضداد: ٦٥ وقال: «أراد أن تعرف لكم نسباً، فأسكن الفاء تخفيفاً» وذكره أبوه فى شرح المفضليات: ١٦٤ وقال: «كان الواجب أن يفتح الفاء من تعرف» وعلته أنه سكنها لكثرة الحركات. وبيضة البلد: بيضة النعامة التى خرج فرخها فتتركها فى الصحراء لقى لا خير فيها، (والبلد: الصحراء). وعاملة التى ينسب إليها ابن الرقاع، قبيلة اختلف فى نسبها. قال ابن عبد البر، فى الإنباه على قبائل الرواة: ١٠٣، «وأما عاملة، فقيل: هو الحارث بن مالك بن وديعة بن قضاعة. وقيل: إن عاملة أم الزهر ومعاوية ابنى الحارث بن عدى، أخى لخم بن عدى، نسبوا إليها، وهى عاملة بنت مالك بن وديعة بن

٦٤١ — [١][أخبرنا أبو خَلِيفة قال : أخبرنا محمد بن سلَّام قال : قال أبو الغرَّاف : جاوَرَ رَاعِي الإبل بَنِى سَعْد بن زَيْدِ مَناة بن تَمِيم ، فنَسَبَ بأمرأةٍ مِنْهم ، من بنى عبد شَمْس ، ثم أَحَدِ بنى وَابِش ، فقال :

بَنِى وَابِشٍ ، إنَّا هَوِينا جِوَارَكُمْ ، وما جَمَعَتْنَا نِيَّةٌ قَبْلَهَا مَعَا[٢]

خَلِيطَيْنِ منْ حَيَّيْنِ شَتَّى تَجَاوَرا جَمِيعاً ، وكانَا بالتفرُّقِ أضْيَعَا[٣]

أَرَى أهْلَ لَيْلَى لاَ يُبالِى أمِيرُهُمْ ، عَلَى حَالَةِ المحْزُونِ ، أن يتَصدَّعَا[٤]

وقال فيها أيضاً :

تَذَكَّرَ هٰذَا القلْبُ هِنْدَ بَنِى سَعْدِ ! سَفَاهاً وجَهْلاً ماتذكَّرَ مِنْ هِنْدِ !![٥]

قضاعة . وقال آخرون : عاملة بنت سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . . . وقد قيل : عاملة بن عامر ابن خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر » . وكان عدى بن الرقاع يقول إن عاملة من قحطان ، قال :

قحطانُ والدُنا الَّذِى نُدْعَى لَهُ وأبو خُزَيْمَةَ خِنْدِفُ بن نِزَارِ

وابنا نزار : مضر وربيعة، انظر ص : ٣٢٥ رقم : ٢. يقول لعاملة : إنما هو نسب متردد بين القبائل ، يتدافعه الناس و يأنفون أن يكون بينهم و بينكم رحم أو وشيجة ، وذلك من خستهم ولؤمهم .

(١) هذا الخبر كله ، منقول من الأغانى ٢٠ : ١٧١ ، وأرجو أن يكون هذا موضعه ، لأنه فى سياق الاستشهاد على الموجع من هجاء الراعى . وعبد شمس ، هم بنو عبشمس بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، ويقال لهم « قريش سعد » لجمالهم .

(٢) والنية : الوجه الذى تريده وتنويه وتقصده ، وأراد المكان الذى يجتمعون فيه زمن النجعة . والشطر الثانى فى اللسان (نوى) غير منسوب .

(٣) الخليط : القوم يجتمعون فيخالطون غيرهم ، وكثر ذكره فى أشعارهم ، لأنهم كانوا ينتجعون أيام الكلأ ، فتجتمع منهم قبائل شتى فى مكان واحد ، فتقع بينهم ألفة ومودة ، فإذا افترقوا ورجعوا إلى أوطانهم ساءهم ذلك . يقول : جمعتنا النجعة فاختلط حيانا وتجاورا ، واستحكم الود بيننا فصار أمرهم مستحكماً قوياً ، فإذا تفرقا ضاع كل منهما وانتقض أمره ، فصارا أضيع مما كانا .

(٤) يقول : لايبالى رئيس القوم الذى يأتمرون بأمره ، على ما يرى من حزن المحزون لهذا الفراق ، أن يفض هذه الجماعة المتآلفة ، فيؤذن فيهم بالرحيل ، فيتصدع الشمل المجتمع .

(٥) السفاهة والسفاه والسفه : خفة الحلم والطيش . يقول : هذا التذكر سفه وجهل ، فإنه فراق دائم لا أمل فيه ولا رجاء بعده .

تذكَّر عَهْدًا كان بَيْنِي وبينَهــــــا
قَديمًا ، وهل أبقتْ لكَ الحربُ مِنْ عَهْدِ !!(١)

قال ابن سَلَّام: فلمَّا بلغهم شعره أزعجُوه وأصابُوهُ بأذًى ، نخرج عنهم ، وقال فيهم :

أرَى إبِلِي تَـكالَأَ رَاعِيَاهَا مَخَافَةَ جَارِها الدَّنِس الذَّمِيمِ(٢)
وقد جَاوَرْتُهُمْ ، فرأيت سَعْدًا شَعَاعَ الأمْرِ عَازِبَةَ الحُلُومِ(٣)
فَأُمِّي أرضَ قَوْمِك ! إن سَعْدًا تَحَمَّلتِ المَخَازِىَ عَنْ تَمِيمِ](٤)

٦٤٢ — أنبأنا أبو خَلِيفة ، أنبأنا ابن سلّام قال : وحدّثنى أبو يَحْيَى الضَّبّىّ قال : وَفَدَ الرَّاعِى إلى عَبْدِ الملك يَشْكُو بعضَ عُمَّاله، وكانت قَيْسٌ زُبَيْرِيَّة ، وكان عَبْدُ الملك ثَقِيلَ النَّفْسِ عَلَيْه ، فأتاهُ وقد قالَ فى مَدِيحه

---

(١) روى هذا البيت فى أبيات أخر ، الشجرى فى حماسته : ١٨٨ . وقبله :

أَفِى كُلِّ يَوْمٍ أنتَ مُوفٍ فناظِرٌ إلى آلِ هِنْدٍ نظْرَةً قَلَّمَا تُجْدِى ؟

يقول : إنما تتذكر عهداً قديماً مضى لا يعود ، وهل أبقت الحرب بيننا والعداوة بين قومنا ، عهداً يرجى الوفاء به والمحافظة عليه ؟

(٢) كلأ الشىء يكلؤه : حرسه وحفظه وراقبه . وتكالأ الراعيان : تولى كل منهما الحراسة والمراقبة زمناً مخافة أن يعتدى على ما يرعيان . الدنس فى الثياب : لطخ الوسخ ، واستعاروه للخلق اللئيم الذى يشين صاحبه . يقول : حفظ الراعيان إبلهما مخافة عدوان هؤلاء اللئام على جارهم وخليطهم .

(٣) أمر شعاع : متفرق منتشر غير محكم ، يصفهم بقلة الحزم وسوء التدبير . عزب الشىء : ذهب وبعد . وعزب حلمه : ذهب وطار ، وذلك غاية الجهل والسفه .

(٤) أم المكان يؤمه : قصده . يخاطب ناقته ، يأمرها بأن تعود إلى أرض قومها الكرام البررة ، وتدع عشرة اللئام الفجرة . وهو بهذا البيت كأنه يهجو تميما كلها وإن لم يرد ذلك .

بِشْرَ بنَ مَرْوان ، فى كلمةٍ يَعْتَذِر من تَذَمُّرِ قَوْمِه[١] :

فَلَوْ كُنْتُ من أصْحابِ مَرْوانَ إذْ دعَا بعَذْراءَ ، يَمَّمْتُ الهُدَى إذْ بَدا لِيَا[٢]

عَلَى بَرَدَى ، إذ قَالَ: إنْ كَانَ عَهْدُهُمْ أُضِيعَ ، فَكُونُوا لاَ عَلَىَّ ولاَ لِيَا[٣]

وَلٰكِنَّنِى غُيِّبْتُ عَنْهُمْ ، فلمْ يُطِعْ رَشِيدٌ ، ولم تَعْصِ العَشِيرَةُ غاوِيَا[٤]

قال فأنشدْتُها جابرَ بن جَنْدَلٍ ، أبا عَبْدِ الله الفَزَارِىّ ، فقال : هُو الذِى يَخْطُبُ الدَّراهِم حَتَّى أتتْ قَوْمَه .

---

(١) قيس ، يعنى قيس عيلان ، وبنو نمير رهط الراعى من قيس عيلان . وزبيرية : من شيعة عبد الله بن الزبير لما خرج على خلافة بنى أمية . ثقيل النفس عليه : أى حمل له فى نفسه غضباً شديداً حتى ثقل عليه حمل الغضب . والضغينة كلها حمل ثقيل ، فيقولون : حمل فلان الحقد على نفسه : إذا أكنه فى نفسه واضطغنه ، فصار حملا ثقيلا . وقد مضى ذكر بشر بن مروان فى رقم : ٥٥١ ، ٥٥٣ . وفى المصرية « تزمر قومه » ، وفى الأوربية « ترمز قومه » ، وكله خطأ .

(٢) عذراء : قرية بغوطة دمشق ، وتسمى مرج عذراء ، وهى قريبة من مرج راهط . وأشار الراعى بقوله « عذراء » إلى وقعة مرج راهط بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس الفهرى ، وكان الضحاك بدمشق بعد موت يزيد بن معاوية ، فبايعه الناس لعبد الله بن الزبير ، فكانت بمرج راهط الموقعة بينه وبين مروان . يقول : لو كنت ممن شهد أمر أبيك ودعوته إلى نفسه لأجبته ، متبعاً للهدى . وكان الراعى كما علمت قبل ، فى رقم : ٦٣٧ ، من وجوه قومه ورؤسائهم ، وكذلك كان أبوه من قبله . ولكن بنى نمير فى مرج راهط كانوا مع الضحاك بن قيس .

(٣) بردى : نهر دمشق ، وهو يمر بالغوطة . ويصب فى بحيرة المرج . وقوله « على بردى » أى حين دعا وهو بعذراء عند بردى . وقوله « إن كان عهدهم أضيع » ، يعنى أهل الشام ، كانت خلافة بنى أمية فيهم ، وهم لها سامعون مطيعون ، فلما مات معاوية بن يزيد ، علم ابن الزبير أنه لم يبق أحد يضاده ، فولى الضحاك بن قيس دمشق ، وكان صاغياً إليه وقد كاتبه فبعث إليه بعهده ، فضبط له دمشق وأخذ له بيعة أهلها ، وكذلك فعل سائر من ولاهم حتى استقامت له الشأم كلها إلا الأردن .

(٤) يقول : كنت غائباً عن قومى يومئذ ، فثار السفهاء وغلبوا على أمر العامة ، فأجابوا دعوة ابن الزبير ، وعصوا كل ناصح ورشيد ، ولو كنت شهدت يومئذ ، لحفظ قومى العهد لك ولبنى أمية .

٦٤٣ — وقال لِعَبْدِ الملك :

إنّى حَلفتُ على يَمينٍ برَّةٍ ... لا أَكْذِبُ اليومَ الخليفةَ قِيلاَ (١)
ما إنْ أتَيْتُ أبا خُبَيْبٍ وافِدًا ... يَوْمًا أرَدْتُ لِبَيْعَتِى تبْدِيلاَ (٢)
ولا أتَيْتُ نُجَيْدَةَ بنَ عُوَيْمرٍ ... أَبْغِى الهُدَى فيزيدُنِى تضْليلاَ (٣)
أَزْمانَ قَوْمِى والجماعةُ كالّذى ... لَزِمَ الرِّحالةَ أنْ تَمِيلَ مَمِيلاَ (٤)
أَخَذُوا العَرِيفَ فَشَقَّقُوا حَيْزُومَهُ ... بالأَصْبَحِيَّةِ قائمًا مَغْلُولاَ (٥)

---

(١) جمهرة أشعار العرب : ١٧٢ — ١٧٦ القصيدة كلها ، والخزانة ١ : ٥٠٢ ، والكامل ٢ : ١١٨ ، وهو يشكو فيها من السعاة ، وهم جامعو الزكاة من قبل السلطان . يمين برة : صادقة لا ينقضها حنث ولا خيانة ، بر فى يمينه : صدق ولم يحنث .

(٢) أبو خبيب : كنية عبد الله بن الزبير رضى الله عنه . وفى الأصول المطبوعة « لبغيتى » ، وهو خطأ لا شك فيه . ينتفى من أن يكون فعل ما فعل أهل الشام ، وعقدهم البيعة لابن الزبير كما مضى آنفاً .

(٣) نجيدة بن عويمر : يريد نجدة بن عامر الحنفى ، كان من أصحاب نافع بن الأزرق ، رأس الخوارج ، فلم يرض بعض ما ذهب إليه نافع ففارقه ، وصار رأساً ذا مقالة متفردة من مقالات الخوارج . وكان نافع قد أظهر البراءة من القعدة عنه (المتخلفين عن القتال) ، وسماهم مشركين ، واستحل دماء مخالفيه ودماء نسائهم . فلما خرج عليه نجدة لذلك أكفر من قال بإكفار القعدة ، وأكفر من قال بإمامة نافع ، واجتمع إلى نجدة جمع كبير من الخوارج .

(٤) هذا البيت آخر القصيدة ، فى رواية صاحب الجمهرة ، ورواية الخزانة مخالفة للجمهرة . الرحالة : سرج من جلود ليس فيه خشب ، كانوا يتخذونه للركض الشديد على الخيل والنجائب . يقول : لزمنا الجماعة قديماً لزوماً شديداً ، لم تجرب علينا معصية ، فكنا فى لزوم الجماعة كالفارس الذى يشد ممسكاً رحالته حتى لا تميل به أقل ميل . قال سيبويه ١ : ١٥٤ « وزعموا أن الراعى كان ينشد هذا البيت نصباً ، كأنه قال : أزمان كان قومى والجماعة ، فحملوه على كان . . . »

(٥) انتقل فى هذا البيت إلى شكاية السعاة ، وكان بعضهم أوقع ببنى نمير وقعة شديدة فقال قبل البيت :

أخليفةَ الرَّحمٰن ! إنَّا معشرٌ ... حُنَفاءُ نَسْجُد بكرةً وأصِيلاَ
عربٌ ، نرَى لِلّهِ فى أمْوالنا ... حَقَّ الزكاة منزَّلاً تنزِيلاَ
إنّ السعاةَ عَصَوْكَ يَوْمَ أمرتَهُمْ ... وأتَوْا دَواهِىَ ، لو علِمتَ ، وغُولاَ

كَهُدَاهِدٍ كَسَرَ الرُّمَاةُ جَنَاحَهُ   يَدْعُو بِقَارِعَةِ الشُّرَيْفِ هَدِيلَا(١)

والعريف : القيم بأمور القبيلة ، يتعرف الأمير منه أحوالهم ، والجمع عرفاء . والحيزوم : الصدر . والأصبحية : سياط يعاقب بها صاحب السلطان ، منسوبة إلى ذى أصبح الحميرى من ملوك حمير . مغلول : مشدود بالغل ، وهو القيد . يقول : أخذوا العريف مشدوداً مغلولا قائماً يضرب بالسياط حتى تمزق صدره .

(١) أسقط الناسخ ، أو ابن سلام لا أدرى ، أبياتاً لا يستقيم الكلام إلا بها ، لمكان حرف التشبيه هذا الذى فى أول البيت ، وسياقة الشعر بعد البيت السالف — وأعتذر من إثباتها لاعتماد المعنى عليها — :

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ   لَحْماً ، وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولَا

جَاؤُوا بِصَكِّهِمُ ، وَأَحْدَبَ أَسْأَرَتْ   مِنْهُ السِّيَاطُ يَرَاعَةً إِجْفِيلَا

نَسِىَ الأَمَانَةَ مِنْ مَخَافَةِ لُقَّحٍ   شُمُسٍ تَرَكْنَ بَضِيعَهُ مَجْزُولَا

أَخَذُوا حَمُولَتَهُ ، وَأَصْبَحَ قَاعِداً   لَا يَسْتَطِيعُ عَنِ الدِّيَارِ حَوِيلَا

يَدْعُو أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، وَدُونَهُ   خَرْقٌ تَجُرُّ بِهِ الرِّيَاحُ ذُيُولَا

كَهُدَاهِدٍ كَسَرَ . . . . .

المعقول : العقل ، يقول : طار لبه من شدة العذاب ، فلم يدر ما يفعل ، والصك : الكتاب ، وأراد الكتاب الذى فيه حساب الزكاة التى أرادوا قبضها . والأحدب : المقوس الظهر . والبراعة : القصبة الجوفاء ، شبه بها قلب العريف . أسأرت : أبقت ، من السؤر : وهو البقية . والإجفيل : الجبان النفور يهرب من كل شىء فرقاً وفزعاً . يقول : جاؤوا بالعريف وقد تقوس ظهره من شناعة الضرب ، ولم تبق السياط من قوته وجلادته شيئاً ، فهو فزع ذاهل يطيعهم من خوف السياط . واللقح جمع لاقح : وهى الناقة الحامل ، والناقة إذا لقحت شالت بذنبها وزمت بأنفها واستكبرت ، وضربت بذنبها فلا يدنو منها فحل . والشمس جمع شموس : وهى الدابة التى تجمح وتمنع ظهرها فلا تستقر من شدة شغبها وحدتها . والبضيع : اللحم الممزق مجزول : مقطع ممزق ، من قولهم جزله بالسيف : ضربه فقطعه قطعتين . يقول : أنساه الخوف الأمانة فخانها ، ثم وصف السياط التى خافها ، فجعلها فى أيدى الضاربين كأنها أذناب اللواقح الآبية تضرب بها يميناً وشمالا ، وقد أخذتها حدة الإباء والاستكبار ، فهى لا تبالى كيف تضرب ، وذكر ما لقى من تقطيعها لحمه . الحمولة (بفتح الحاء) الإبل التى تحمل الأحمال ، (وبضمها) الأحمال التى عليها . لا يستطيع حويلا : تحولا . والخرق : الفلاة الواسعة المترامية الأطراف .

الهداهد : الحمام ، سمى بهدهدة صوته وهديره وقرقرته . ويقال : الهداهد : الهدهد ، وليس بشىء هنا . والهديل : يقال هو فرخ حمام كان على عهد نوح عليه السلام فمات ضيعة وعطشاً ، فيقولون إنه ليس من حمامة إلا وهى تبكى عليه . وصوت بكاء الحمام نفسه يسمى الهديل . والشريف : أرض بنى نمير ، رهط الراعى ، وهو فى حمى ضرية من نجد . وفى رواية الجمهرة ، واللسان (هدد) و (هدل) ، « بقارعة الطريق » . يقول : تركوا العريف محطوماً فزعاً ، كحمامة كسر جناحه فهو يبكى وينوح ، يستغيث بالهديل ولا غوث له .

فَارْفَعْ مَظَالِمَ عَيَّلَتْ أَبْنَـاءَنَا عَنَّا ، وأَنْقِذْ شِلْوَنَا المأكُولاَ[١]
وَلَئِنْ بَقِيتُ لأَدْعُوَنَّ لِطِيَّــةٍ تَدَعُ الفَرَائِضَ بالشَّرِيْفِ قَلِيلاَ[٢]

فقالَ له عبدُ الملك : وأينَ مِنَ اللهِ والسُّلْطانِ ، لا أُمَّ لكَ ؟ ! فقال : يا أميرَ المؤمنين : من عَامِلٍ إلى عاملٍ ، ومُصَدِّقٍ إلى مُصَدِّق . فلم يَحْظَ ولم يَحْلَ منهُ بشيءٍ[٣] .

٦٤٤ — فوَفَدَ إليه من قَابِلٍ ، فقال فى كلمةٍ أُخرى[٤] :

---

(١) بين هذا البيت والذى قبله أبيات . والمظالم ، جمع مظلمة (بفتح الميم وكسر اللام) : وهو اسم ما تطلبه عند الظالم ، واسم ما أخذ منك ظلما . عيله : أفقره وتركه عيالا على غيره ، من قولهم عال يعيل عيلة : افتقر ، والعالة : الفاقة . يقول : ارفع عنا مظالم أفقرت أبناءنا وتركتهم عالة يتكففون الناس . والشلو : ما يبقى من الذبيحة المسلوخة إذا أكل منها بعضها ، يعنى الأعضاء الممزقة . يقول : أنقذ ما بقى منا بعد الذى نزل بنا ومزقنا .

(٢) فى المطبوعتين :

ولئن بقيت لأدعونّ بطعنة تدع الفرائص بالشريف فليلاَ

وفى الجمهرة « بالسديف شليلا » . والبيت على هذ الوجه لا معنى له . واجتهدت فى تصحيحه كما رأيت ، وأحسبه الصواب . والطية : الوجه الذى يقصد وتطوى له الأرض . ولو قرأتها« بظعنة » فهى من : ظعن الحى يظعن ظعنا : ذهبوا أو ساروا لنجعة أو حضور ماء ، أو طلب مربع ، أو تحول من ماء إلى ماء ،أو دار إلى دار . يقول : لئن سلمت وبقيت ، فلأهتفن بقومى أن يرحلوا عن ديارهم بالشريف رحلة لا تبقى بالشريف نعما تكون له زكاة تقبض ، فنخرج بذلك من ظلم جامع الزكاة الذى وليته على أرضنا . والفرائض جمع فريضة : وهى من الإبل والغنم ما بلغ عدده الزكاة ، والفريضة أيضاً : ما يؤخذ من السائمة فى الزكاة ، سمى فريضة لأنه فرض واجب على رب المال ، ثم اتسع فيه حتى سمى البعير فريضة فى غير الزكاة . يهدد بهذا البيت عبد الملك بن مروان .

(٣) العامل : هو الذى يوليه السلطان ليأخذ الصدقات من أربابها ، وهو الساعى أيضاً . وذكره الله تعالى فى آية الصدقات : « والعاملين عليها » . وكل من ولى للسلطان عملا فهو عامل ، وهو هذا الذى أراد هنا . والمصدق : هو عامل الزكاة الذي يستوفيها من أربابها . يقول : نفر من عامل إلى عامل خير منه ، ومن مصدق إلى مصدق أرحم منه . وحظى يحظى : نال ما كان يطلب . والعرب تقول : لم يحل منه بخير ، وما حليت منه بطائل ، أى لم يظفر ولم يستفد منه كبير فائدة . ولا يتكلم به إلا مع النفى والجحد .

(٤) من قابل : أى فى العام الذى يليه . قابل بمعنى مقبل .

أمَّا الفقيرُ الَّذى كانتْ حَلُوبَتُه ... وَفْقَ العيالِ، فلمْ يُتْرَكْ لهُ سَبَدُ[1]

وَاُخْتَلَّ ذُو المَالِ، والمُثْرُونَ قدْ بَقِيتْ، ... على التَّلاتِلِ، مِنْ أمْوَالِهِمْ عُقَدُ[2]

فَإنْ رَفَعْتَ بهِمْ رَأْسًا نَعَشْتَهُمُ، ... وإنْ لَقُوا مِثْلَها فى قَابِلٍ فَسَدُوا[3]

فقال له عبد الملك : أنتَ العامَ أعقلُ منك عامَ أوَّلَ .

٦٤٥ — [4]أخبرنا أبو خليفة ، أخبرنا ابن سلّام قال : حدثنى أبُو الوَرْد الكِلاَبى قال : اُجتمَعَ الراعى والأخطلُ عند بِشْر بن مروان ، فقال لهُما : أيُّكما أشعَرُ ؟ فقال الراعى : أما الشِّعْرُ فالأميرُ أعلمُ به ،

---

(١) البيت فى شرح الجواليقى : ١٤٤ ، واللسان (وفق) والمخصص ١٢ : ٢٨٥ وغيرها . واستشهدوا به على أن الفقير : الذى يكون له بعض ما يقيمه ، والمسكين : الذى لا شىء له . والحلوبة : الناقة التى تحلب . ووفق العيال : أى لها لبن قدر كفايتهم وقوتهم لا فضل فيه . وقول « لم يترك له سبد » أى لم يترك له شىء ، لا يستعمل إلا فى الجحد . ومثله : « ما له سبد ولا لبد » ، وأصل السبد : الوبر ، واللبد : الصوف ، وذلك كناية عن الإبل والغنم .

(٢) اللسان (تلل) . اختل : أصابته الخلة ، وهى الحاجة والفقر واختلال الحال . خل الرجل واختل : ذهب ماله ، فهو خليل ومختل : معدم فقير محتاج . والتلاتل : الشدائد ، من التلتلة : وهى الزعزعة والإقلاق والزلزلة . والعقد : البقايا القليلة ، وأصلها من العقدة : وهى بقية المرعى ، يقال : « فى أرض بنى فلان عقدة تكفيهم سنتهم » أى مكان ذو شجر قليل يكفى أن يرعاه سنة واحدة . يقول : افتقر الغنى ذو المال ، ولم يبق لذى الثراء الواسع إلا قليل يكاد لا يكفيه . وذلك من ظلم السعاة .

(٣) الأغانى ٢٠ : ١٧٢ رفع بهم رأساً : أكرمهم حتى يرفعوا رؤوسهم مما نزل بهم من الذل . نعش الرجل : تدركه من هلكة ، أو جبره من فقر ، أو رفعه بعد عثرة . وقد روى أبو الفرج أن عبد الملك لما سمع هذا البيت « قال له : فتريد ماذا ؟ قال : ترد عليهم صدقاتهم فتنعشهم . فقال عبد الملك : هذا كثير ! فقال : أنت أكثر منه . قال : قد فعلت ، فسلنى حاجة تخصك . قال : قد قضيت حاجتى . قال : سل حاجتك لنفسك ! قال : ما كنت لأفسد هذه المكرمة » . يا له من رجل شريف النفس !

(٤) هذا الخبر روه أبو الفرج عن غير ابن سلام ، بلفظ آخر انظر ج ٨ : ٢٩٤ .

ولـكِنْ واللهِ ما تَمَخَّضَتْ تَغْلَبِيَّةٌ عن مثلك ![1] — وأُمُّ بِشْر قُطَيَّة بنتُ بِشْر بن عَامر بن مَالِك أَبِي بَرَاءٍ، مُلَاعِبِ الأسِنَّة[2] —، وقال له الرَّاعى:

نَزَلْتَ مِنَ البَطْحَاءِ فى آلِ جَعْفَرٍ ... ومِنْ عَبْدِ شَمْسٍ مَنْزِلًا مُتَعَالِيَا[3]

٦٤٦ — وقال الأخطل فى حَرْبِ تَغْلِبَ وقَيْسٍ، فى الَّتِى هَجَا فيها قبائلَ قَيْسٍ:

وقَدْ سرَّنِى من قَيْسِ عَيْلَان أَنَّنِى ... رَأَيْتُ بَنِى العَجْلَانِ سَادُوا بَنِى بَدْرِ[4]

وقد غَبَرَ العَجْلَانُ حِيناً، إذا بَكَى ... عَلَى الزَّادِ أَلْقَتْهُ الوَلِيدَةُ فى الكِسْرِ[5]

---

(١) فى الأصول المطبوعة: «تفحصت» ولا معنى له. وتمخضت المرأة بولدها: ضربها المخاض، وهو الطلق ووجع الولادة. يريد، لم تتمخض فتلد مثلك. وعرض بقوله «تغلبية» بالأخطل لأنه من تغلب. وأم بشر بن مرون — كما سيأتى بعد — من بنى جعفر بن كلاب بن عامر بن صعصعة، عمومة الراعى، وهو من بنى نمير بن عامر بن صعصعة.

(٢) فى الأصول: «فطية»، وفى غيرها «قطبة»، وكلاهما خطأ. وسياق النسب هكذا يوهم، فإن أبا براء ملاعب الأسنة هو عامر بن مالك، لا مالك. وجد قطية عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ابن عامر بن صعصعة، من عمومة الراعى، كما مضى آنفاً. وكانت قطية من ذوات الحسن، يقول فيها عبد الرحمن بن الحكم، أخو مروان بن الحكم، وكان يشبب بنساء أخيه:

قُطَيَّـةُ كالتمثـالِ أُحْسِنَ نَقْشُه ... وأُمُّ أبانٍ كالشَّرَابِ المـبرَّدِ

وأم أبان بنت عثمان بن عفان، امرأة مروان بن الحكم أيضاً.

(٣) البطحاء: يعنى بطحاء مكة، وبنو أمية من قريش البطاح. وآل جعفر: يعنى بنى جعفر ابن كلاب بن عامر، الذين منهم أمه. وعبد شمس: يعنى بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

(٤) انظر ما مضى رقم ٦٢٧، ٦٢٨، ديوانه: ١٢٩، وقد مضى فى ص: ٤٣٠ رقم: ٢ ذكر نسب بنى العجلان، وبنى بدر ص: ٤٢٩ رقم: ٥، وهما من قيس عيلان.

(٥) غبر: مكث وبقى. الوليدة: الجارية والأمة. والكسر: الشقة السفلى من الخباء تلى الأرض من حيث يكسر جانباه (يكسر: يثنى). يذكر شره العجلان، وأنه كان إذا بكى من شرهه إلى الطعام ضاقت به الجارية، فرمت به فى جانب البيت، وذلك لهوانه أيضاً عليها وعلى أهله. ويقولون سمى «العجلان» لتعجيله القرى للضيف، ولكن النجاشى لما هجا تميم بن أبى بن مقبل العجلانى، نقل اسمه إلى الهجاء فقال:

وما سُمِّىَ العَجْلانَ إلاّ بقَوْلِهِ ... : خُذِ القَعْبَ وَاُحلُبْ أيُّها العبدُ وَاُعْجَلِ

ومنه أخذ الأخطل معناه.

فَيُصْبِحُ كالْخُفَّاشِ يَدْلُكُ عَيْنَهُ ، فقُبِّحَ من وَجْهٍ لَئِيمٍ ومِنْ حَجْرِ [(١)]

٦٤٧ — فعارضَهُ الرَّاعى فقال :

بِرَهْطِ ابْنِ كُلْثُوم بَدَأْنَا فأَصْبَحُوا لِتَغْلِبَ أَذْنابًا وكانُوا نَواصِيَا [(٢)]

وَغَارَتُنا أَوْدَتْ بِبَهْرَاءَ ، إنَّهــا تُصِيبُ الصَّرِيحَ مَرَّةً والمَوالِيَا [(٣)]

٦٤٨ — قال وكانت امرأةٌ من العرَبِ ، من بنى نُمَيْر ، حُسَّانَةً ، وكانتْ تَظْعَنَ مع الرَّاعِى إذا ظَعَن ، وتَحُلُّ معه إذا حَلَّ [(٤)] . فغارَ رَجُلٌ منهم — يقالُ إنه من قَيْسِ كُبَّةَ [(٥)] — فقطع بِطَانَها لما رَحَلَتْ ، فسقط هَوْدَجُها وعَنِتَتْ [(٦)] ، فقال الراعى :

---

(١) الخفاش : طائر يطير بالليل ، ضعيف البصر بالنهار يؤذيه الضوء . والحجر : محجر العين ، يقول : يصبح من بلادته وخامته غمص العين ، يدلك عينيه كأن نور النهار يؤذيه من حبه للنوم ، فهو كالخفاش .

(٢) ابن كلثوم : عمرو بن كلثوم التغلبى ، الشاعر ، ورهطه هم : جشم بن بكر بن حبيب ابن عمرو بن غنم بن تغلب . ولم أعرف خبر هذا اليوم لبنى نمير ، أو بنى عامر بن صعصعة على تغلب . الناصية : منبت الشعر من مقدم الرأس . أراد صاروا أسافل بعد أن كانوا أعالى قومهم .

(٣) الحيوان ٥ : ١٣٣ . بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وكانوا حلفاء بنى تغلب ، وشاركوهم فى حروبهم ، انظر مثلا لذلك العقد ٥ : ٢٢٣ . الصريح : الخالص النسب ، والذين لم يخالطهم غيرهم ، والموالى : الحلفاء ، انظر رقم : ٢٠ . ولم أعرف خبر هذا اليوم أيضاً .

(٤) حسانة : مبالغة من الحسن . ظعن : ارتحل وسار وذهب .

(٥) قيس كبة : قبيلة من بجيلة ، قال الراعى فى هجائهم :

قُبَيِّلَةٌ من قَيْسِ كُبَّةَ سَاقَهَا إلى أهلِ نَجْدٍ لُؤمُها وافْتِقَارُهَا

وكبة : اسم فرس . وكانت قيس كبة قد دخلوا فى بنى عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (النقائض : ٦٦٠ ، ٦٧٤) ، فمن أجل ذلك كان هذا البجلى مع الراعى النميرى فى رحلته .

(٦) البطان : الحزم الذى يجعل تحت بطن البعير ، يشد به القتب . وفى الأصول : « وعتبت » وليس بشىء ، وعنتت يده أو رجله عنتاً : انكسرت ، وكذلك كل عظم .

وَلَمْ أَرَ مَعْقُوراً بِهِ وَسْطَ مَعْشَرٍ أَقَلَّ انْتِصَاراً بِاللِّسَانِ وبِالْيَدِ (١)

سِوَى نَظَرٍ سَاجٍ بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ جَرَتْ عَبْرَةٌ مِنْهَا فَفَاضَتْ بِإِثْمِدِ (٢)

بَكَتْ عَيْنُ مَنْ أَذْرَى دُمُوعَكِ، إِنَّمَا وَشَى بِكِ وَاشٍ مِنْ بَنِى أُخْتِ مِسْرَدِ (٣)

فَلَوْ كُنْتُ مَعْذُوراً بِنَصْرِكِ، طَيَّرَتْ صُقُورِىَ غِرْبَانَ الْبَعِيرِ الْمُقَيَّدِ (٤)

* * *

٦٤٩ — قال وكان أَوْس بن مَغْرَاء السَّعْدِى القُرَيْعى يُهاجِى النَّابغةَ الجَعْدِىَّ وراعِىَ الإبل وابن السِّمْطِ، من بنى عامر بن صَعْصَعة (٥)، فقالَ الرَّاعى لأَوْس بن مَغْرَاء :

---

(١) عقر البعير والفرس : قطع قوائمه بالسيف . وعقر به : قتل مركوبه وجعله راجلا . وأراد سقوطها عن المطية بانقطاع بطان الرحل ، فكأنما عقر بها بعيرها . يقول : إنما عقر هذا البجلى بمن لا يستطيع أن يدفع عن نفسه بلسان لحيائه وخفره ، ولا بيد لعجزه وضعفه .

(٢) سجا الليل : سكن ودام . وامرأة ساجية الطرف : فاترة النظر ساكنته ، وهو من حسن النساء ورقتهن . عين مريضة : فيها فتور من حيائها لا تحدد النظر . والعبرة : الدمعة . والإثمد : الكحل . يقول : لا تجد ما تدفع به عن نفسها إلا نظرة ساجية من حيائها ، وعبرة تذريها من شدة ما أصابها ، وعجزها عن دفع ما نزل بها .

(٣) رواه الزمخشرى فى الأساس (سرد) : « من بنى أم مسرد » . وقال : « وهو ابن أم مسرد ، لابن الأمة ، لأنها من الخوارز » ، وخرز القرب وسواها من مهنة الإماء . والمسرد : هو المخرز الذى يخرز به . يدعو على الذى فعل بها ذلك أن ينزل به ما يبكيه ويحزنه ، ثم ذم من وشى بها ، فنسبه إلى أنه ابن أمة لا مروءة له .

(٤) اللآلى : ٦٨٧ ، الحيوان ٣ : ٤١٦ . وقد شرحه البكرى وأساء فى شرحه . والبعير إذا أثر فى ظهره القتب أصابته قرحه ، فإذا قيد حتى يعالج ، فربما سقطت الغربان عليها ونقرته وأكلت ذلك الموضع ، وهو لا يستطيع أن يدفعها عن نفسه . يقول معتذراً إلى صاحبته من عجزه عن نصرتها مخافة العار عليها : لو وجدتُ لى عذراً فى الانتصار لك ممن أساء إليك ، لأطلقت صقورى على الغربان العادية على من لا يملك الذب عن نفسه . وضرب الصقور والغربان مثلا لنفسه وللذى عدا على امرأة عاجزة عن أن تدفع عن نفسها بلسان أو يد .

(٥) أوس بن مغراء السعدى ، مضى فى رقم : ١٠٧ ، ولم أعرف « ابن السمط » بعد . والنابغة الجعدى من بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقد مضى نسب الراعى فى بنى عامر بن صعصعة .

وأوْسُ بنَ مغْراءَ الهَجينُ يَسُبُّنِي ... وأوْسُ بن مَغْراءَ الهَجينُ أُعاقِبُهْ (١)

تمنَّى قُرَيْشٌ أنْ تَكونَ أخاهُمُ ! ... لِينْفعكَ القوْلُ الذِى أَنْتَ كاذِبُهْ ! (٢)

قُرَيْشُ الذِى لاَ تسْتَطيع كلامَهُ ... ويَكسِرُ عِنْدَ البابِ أنْفَكَ حاجِبُهْ !! (٣)

٦٥٠ — فسالَم أوْسَ بن مَغْراءَ ، الجعْدِىُّ وابْنُ السِّمْط ، فقال الرّاعى في صُلْحِهم :

فإن كنْتَ يا ابْنَ السِّمْطِ سالَمْتَ دُونَنا ... وقَيْسٌ أبو لَيْلَى ، فلمَّا نُسالِمِ (٤)

وَإن كنْتُما أَعْطَيْتُما القَوْمَ مَوْثِقاً ... فَلاَ تغْدِرا ، واسْتَسْمِعا للمَراجِمِ (٥)

فَإنِّى زَعِيمٌ أنْ أقُولَ قَصِيدَةً ... مُحَبَّرَةً ، كالنَّقْبِ بَيْنَ المَخارِمِ (٦)

---

(١) لم أجد الأبيات . الهجين : ابن الأمة ، وهو معيب .

(٢) يتعجب من ادعائه : أن قريشاً تتمنى أن يكون منهم وأخاً لهم . ثم يهزأ به و بكذبه الذى لا يجدى عليه شيئاً .

(٣) يصفه بالذلة والحقارة وخمول الذكر ، حتى يدفع أشد الدفع عن أبواب الخلفاء والأمراء من قريش.

(٤) لم أهتد إلى مكان البيتين الأولين .

(٥) الموثق : العهد الوثيق . تسمع إليه واستمع : أصغى ، واستسمع : أصغى إصغاء أبلغ من الأول ، ولم يرد فى كتب اللغة ، ومثله قول ابن ميادة لأمه .

أعرنزِمِى مَيَّادَ للقَوافِى ... واسْتَسْمِعِيهِنَّ ولا تخافِى
سَتَجِدِين ابنَكِ ذَا قِذافِ

وانظر أيضاً ما مضى رقم : ٤٧٠ للفرزدق . والمراجم : الكلم القبيحة و السباب والقذف . ومثله راجم عن قومه : ناضل عنهم بلسانه فى المنازعة ، وأصله من الرجم بالحجارة : وهو القذف .

(٦) البيتان فى العمدة ١ : ٨٨ . زعيم : كفيل ضامن . محبرة : قد حسنها وجودها وأتقن صنعتها . حبر الشعر والكلام وغيرهما : حسنه ونمقه . والنقب : الطريق فى الجبل و فى الأرض الغليظة ، لا يستطاع سلوكه ، وهو يلوح من بعيد لوضوحه فيما حوله . والمخارم جمع مخرم (بفتح الميم وكسر الراء) : وهو أنف الجبل . يصف قصيدته بأنها صعبة المسالك لا يطيق مثلها شاعر لوعورة طرقها ، فهو شقها فى جبال الشعر شقاً حتى بانت وظهرت .

خَفيفَةً أعْجازِ المَطِيِّ ، ثَقِيلَةٌ على قِرْنِها ، نَزَّالَةٌ بالمَوَاسِمِ (١)

* * *

٦٥١ — أنبأنا أبو خليفة ، أنبأنا ابن سلَّام ، حدثنى جابرُ بن جَندل الفَزارِىُّ بقِصَّةٍ وفى أثَرِها قال : وضَافَ الرَّاعى رجُلٌ من بنى كِلاَب فى سَنَةٍ حَصَّاء ولم يحضُرْهُ قِرًى ، وكان الكِلاَبىُّ على نَابٍ لهُ (٢) ، فأمر الرَّاعى ابنَ أخٍ لهُ يقال له حَبْتَرٌ فنحرَها ، فأطعمها إيَّاهُ ولا يَعْلم الكِلاَبىّ ، فعيَّره بنُو عَمٍّ له من قَوْمِه كانُوا يُهَاجُونه : الحلالُ وخَنْزَر (٣) ، فزَعم أنه أخلفَها له ، وقال الرَّاعى :

عَجِبْتُ مِنَ السَّارِين ، والرِّيحُ قَرَّةٌ ، إلى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةَ والرَّحَا (٤)

---

(١) يقال خفيفة على أعجاز المطى ، أى يحملها الرواة يتناشدونها فى أسفارهم لإعجابهم بها ، ولا يجدون مؤونة فى حملها حيث ساروا ، وموقعها على العدو (وهو القرن) شديد ثقيل ، ثم لا يجتمع الناس فى مواسم الأسواق والحج إلا نزل الرواة بها ينشدونها لنفاستها .

(٢) سنة حصاء : جرداء جدبة قليلة النبات . من قولهم : حص شعره وانحص : انجرد وتناثر ، وكذلك الشجر . القرى : ما يقدم للضيف . والناب : الناقة المسنة ، سموها بذلك حين طال نابها وعظم ، وهى مما سمى فيه الكل باسم الجزء .

(٣) هكذا قال ابن سلام ، كأنهما رجلان. والذى فى شرح الحماسة وتاج العروس أن الحلال ابن عم الراعى ، وهو أحد بنى بدر بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن نمير ، والراعى من بنى قطن بن ربيعة ابن الحارث، وسماه الراعى خنزراً، فعرف بذلك : « خنزر بن الأرقم النميرى » . ولكن أخشى أن يكون فى المطبوعتين تحريف ، فيكون الأصل : « منهم الحلال ، وهو خنزر » .

(٤) شرح الحماسة ٤ : ٣٥، والعينى ٣ : ٤٢٣، ومعجم البلدان ٤ : ٢٣٠ ، وانظر البخلاء : ٢٠٠ ، ٢٠١ ، وهى تخالف رواية ابن سلام ، وقد زدت أربعة أبيات بين الأقواس من المراجع ، ليتم معنى الشعر . السارى : الذى يسير ليلا . قرة : باردة وذلك فى زمن الشتاء وهو زمن الجدب يحرق البرد النبات . وفردة : جبل، ويقال ماء من مياه نجد . والرحا : جبل بين كاظمة والسيدان عن يمين الطريق من اليمامة إلى البصرة .

إلى ضَوْءِ نارٍ يَشْتوِى القِدَّ أهْلُها ، وقد يُكرِمُ الأضيافَ والقِدَّ يَشْتَوِى (١)

[فلمَّا أتوْنا فاشْتكينا إليهِمُ بَكَوْا ، وكِلاَ الحيَّيْنِ مِمَّا به بَكى

بكى مُعْوِزٌ من أن يُلامَ ، وطارقٌ يَشُدُّ من الجُوعِ الإزارَ على الحَشا] (٢)

فطأطأتُ طَرْفِى ، هل أرى من سَمِينةٍ تَدارَكَ فيها نَىٌّ عامَيْنِ والصَّرَى! (٣)

[فأبْصَرْتُها كَوْماءَ ذاتَ عَرِيكةٍ هِجاناً مِنَ اللاَّتِى تَمَتَّعْنَ بالصَّوَى] (٤)

فأوْمَضْتُ إيماضاً خَفِيًّا لِحَبْتَرٍ ، ولله عَيْنا حَبْتَرٍ ! أَيَّما فَتَى! (٥)

---

(١) القد : ما يقد من الجلد غير المدبوغ ، وكانوا إذا أزم القحط فى الشتاء ، اشتووا الجلد فأكلوه . يقول : لا يمنعنا ما نحن فيه من المسغبة أن نكرم ضيفنا .

(٢) المعوز : الفقير الذى ساءت حاله وغلبته الفاقة ، من العوز : وهو العدم وسوء الحال . والطارق : الذى يطرق القوم ، أى يأتيهم ليلا . يقول : بكينا من مخافة العار علينا فى عجزنا عن إكرام ضيفنا ، وبكى الضيف الطارق من الجوع ، وقد شد إزاره على بطنه من شدة المسغبة .

(٣) يروى « فألطفت عينى هل أرى » و « فأرسلت عينى » . ألطف عينه : يعنى أنه أدق النظر وترفق وتحفى فى الاختيار ، من اللطف (بفتحتين) واللطف (بضم فسكون) : وهو التحفى والتلطف فى البر والتكرمة . وطأطأ طرفه : غض من بصره وخفض رأسه ، فعل المتأمل المتأنى ، وتدارك : تتابع وأراد تتابع فتراكم شحمها بعضه على بعض من السمن . والنى : الشحم ، نوت الناقة وغيرها تنوى : سمنت ، فهى ناوية ، ونوق نواء (بكسر النون) : سمان . يقال اجتمع شحمها عامين فعظمت وامتلأت . والصرى : اللبن يترك فى ضرع الناقة فلا يحتلب ، فيرتد حتى تسمن ، وذلك هو الكسع ، وقد مضى تفسير ذلك فى ص : ١٢٨ رقم : ١ ، وروى صاحب اللسان فى (صوى) « تمتعن بالصوى » ، والصوى : أن يغزر . لبن الناقة فيذهب لبنها وييبس ، فيكون ذلك أسمن لها . وروى أبو تمام فى الحماسة عجز البيت هكذا :

« وَوَطَّنْتُ نفسى للغَرامةِ والقِرَى »

(٤) ناقة كوماء : مشرفة السنام عاليته من ضخامته وتكوم شحمه . والعريكة : السنام ، وأراد هنا أن سنامها إذا عركته بيدك ، تبين فيه كثرة شحمها ولينه وسمنه . وناقة هجان : بيضاء كريمة عتيقة ، و بياض الإبل من عتقها وكرمها . تمتع بالشىء : انتفع به . والصوى : مضى تفسيره فى شرح البيت السالف .

(٥) ويروى « فأومأت إيماء » . أومض له بعينه : أومأ وأشار إشارة خفية كوميض البرق ، وهو لمعه الخفى السريع . واستشهد النحاة بهذا البيت على أن « أى » تقع حالا لمعرفة ، وعلى أنه قد يستفاد من الاستفهام معنى التعجب . وينشدونه « أيما » بالرفع والنصب .

فقُلْتُ لهُ : أَلْصِقْ بأَيْبَسِ ساقِها ، فإن يُجْبَرِ العُرْقُوبُ لا يَرْقأِ النَّسا (١)
فقامَ إليها حَبْتَرٌ بسِلاحِهِ ، مَضَى غيرَ مَنْكودٍ، ومُنْصُلُهُ انْتَضَى (٢)
كأنى ، وقد أشبَعْتُه مِنْ سَنامِها ، كَشَفْتُ غِطاءً عَنْ فُؤادِىَ فانْجَلَى
فبِتْنا وباتتْ قِدْرُنا ذاتَ هِزَّةٍ ، لَنا، قَبْلَ مافيها، شِواءٌ ومُصْطَلَى] (٣)
وأَصْبَحَ راعِينا بُرَيْمَةُ عِنْدَنا بِسِتِّينَ، أنقتْها الأسِنَّةُ والخَلا (٤)

---

(١) ألصق ببعيره أو بساق بعيره : اعتمده بالسيف ليعقره . وفى حديث رسول الله عليه وسلم أنه سأل قيس بن عاصم فى حديث طويل : « فكيف أنت عند القرى ؟ قال : ألصق بالناب الفانية والضرع » أراد أنه يلصق بها السيف فيعرقبها للضيافة . وأيبس الساق : ما فوق العرقوب قليلا . والعرقوب : عصب موتر خلف الكعبين من مفصل الساق والقدم . وجبر العظم : إذا عالجه حتى يبرأ من كسر أصابه . ورقأ الدم : انقطع وارتفع . والنسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ، ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان ، وإذا هزلت اضطربت الفخذان وخفى النسا . يعلمه كيف يعقرها ، فيقول : اضرب العرقوب بالسيف ضربة إن يجبر منها العرقوب لا ينقطع معها دم النسا ، فذلك أجود العقر . وعلمه ذلك من اهتمامه بأمر ضيفه .

(٢) انظر الموشح : ١٥٨ ويروى الشطر الأول : « فأعجبنى من حبتر أن حبتراً » ويروى « فيا عجبا من حبتر » ، ويروى « وفديته لما رأيت فؤداه . . . » ، وكلها لا بأس به . منكود : قليل الخير ، والنكد : الشؤم وقلة الخير . والمنصل (بضم الميم والصاد) : السيف . وانتضاه : سله من غمده . ويروى « مضى غير منكوب » و « غير مبهور » والمنكوب : المصاب بنكبة ، وكأنه أراد أيضاً نفى الشؤم عنه ، وأنه أهل الخير ومعدنه .

(٣) هزة : اهتزاز ونشيش وصوت من الغليان . يقول : لنا شواء ومصطلى ، قبل أن ينضج الذى فيها من اللحم . وروى عجز هذا البيت ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٣٦٨ ، وصاحب اللسان (فرق) :

« يُضِىءُ لنا شَحْمُ الفَرُوقة والكُلَى »

وقال : الفروقة : شحم الكليتين . يريد أن الشحم يخالط النار فتزهر وتتلألأ .

(٤) بريمة : اسم راعى إبل الراعى . ستين : جاء صباحاً بستين ناقة من إبله ، كانت فى المرعى . أنقت الإبل : سمنت وصار لها نقى (بكسر فسكون) ، وهو مخ العظام وشحمها ، وناقة منقية : سمينة . وقال الراعى « أنقتها » أى جعلت لها نقياً ، يعنى سمنت على المرعى . والأسنة جمع سنان : وهو الحمض

فقُلْتُ لِرَبِّ النّابِ : خُذْهَا فَتِيَّةً ، وناب عَلَيْها مِثْلُ نابِكَ فى الحَيَا(١)

يسن الإبل على الخلة، أى يقويها ، كما يقوى السن حد السكين ، فالحمض سنان لها على رعى الخلة ، وذلك أنها تصدق الرعى بعد الحمض . ويقال أسنة جمع أسنان ، وأسنان جمع سن : وهو هذا الحمض الذى ترعاه الإبل . وروى أبو تمام وغيره « أنقتها الأخلة » ، وخبط الشراح خبط عشواء فى شرح الأخلة ، والرواية المحكمة رواية ابن سلام . وانظر الكلام على الحمض والخلة فى ص : ٢٥٨ رقم : ٤ . والخلا : الرطب من النبات والحشيش وبقول الربيع . يصف إبله بالسمن وجودة المرعى .

(١) رب الناب : ضيفه الذى ذبح له نابه وأطعمها إياه . الفتية : البكرة من الإبل . والناب : المسنة . والحيا : الخصب ، والحيا (فى الأصل) : المطر ، لإحيائه الأرض فتخصب . وأحيى القوم : مطروا فأصابت دوابهم العشب فسمنت ، وكأنه أراد « مثل نابك فى زمن الحيا » أى زمن الخصب ، أى وفوق الفتية ناب سمينة ، هى مثل نابك فى زمن الحيا ، وكانت ناب الضيف قد هزلت من الجدب والرحلة . وقال التبريزى : فى الحيا : يعنى فى الشحم والسمن ، والعرب تسمى النبت حيا لأنه بالمطر يكون ، ثم تسمى الشحم حياً لأنه بالنبت يكون . وهو تأويل جيد .

الطَّبقة الثانية

من الإسلاميين

٦٥٢ — البَعِيثُ، وأسمُه خِدَاش بن بِشْر [بن خَالد بن بَيْبَة بن قُرْط] أبن سُفْيَان بن مُجَاشع بن دَارم(١) . وسُمِّي البعيثَ بقوله :

تبعَّثَ مِنِّي ما تبعَّثَ ، بَعْـــدَ مَا أُمِرَّتْ حِبَالٌ كلَّ مِرَّتِها شَزْرَا(٢)

وهو أول شعر قاله .

---

(١) الزيادة بين القوسين من جمهرة الأنساب : ٢٢٠ ، والمؤتلف والمختلف : ٥٦ ، ١٠٨ والنقائض : ٣٧ ، ١٣٢ ، وفيها « . . . خالد بن الحارث بن بيبة . . . » . أما ما كان فى أصول الطبقات فهو خطأ محض ، وهو : « . . . . بشر بن أبى سفيان بن مجاشع . . . » .

(٢) تبعث منه الشعر وغيره انبعث ، كأنه سال وانفجر . وأمر الحبل : فتله فتلا محكماً شديداً . والمرة : طاقة الحبل التى يفتل عليها ، وجمعه مرر (بكسر وفتح) . وحبل مرير : محكم الفتل . والشزر : الفتل على الجهة اليسرى ، فيكون المفتول إلى أعلى ، وذلك حين يدير الفاتل يده من خارج ويردها إلى إلى بطنه ، وهو أشد الفتل وأحكمه . يذكر أنه قال الشعر ، بعد أن كبر وأسن واستحكم واشتد رأيه وعزمه . وروى هذا البيت فى سبب تلقيبه البعيث ، السيوطى فى المزهر ٢ : ٤٤٢ ، والجواليقى فى شرح أدب أدب الكاتب : ٢٥٠ ، وروايته :

. . . . أُمِرَّت حِبَالِى كُلُّها مِرَّةً شَزْرَا

أَلَدُّ ، إِذَا لاقيتُ قَوْماً بخُطَّةٍ أَلحَّ على أكتافِهِمْ قَتَبٌ عَقـرَا

هذا ، وقد روى أبو عبيدة فى النقائض : ٣٨ ، وفى اللسان (بعث) ، والشعر والشعراء ، ٤٧٢ : وأنه سمى بذلك لقوله :

تبعَّثَ منّى ما تَبعَّث ، بَعْدَ مَا أُمِرَّتْ قُوَايَ واستمرَّ عَزِيمى

قال فى النقائض : « أمرت قواى : أى اشتد خلقى وأسرى . واستمر عزيمى : أى أبصرت أمرى فمضيت على ما أعزم عليه ، لأنه إنما قال الشعر بعد ما أسن » .

٦٥٣ — والقُطامِىُّ، واسمه عُمَيْر بن شُيَيْم بن عَمْرو، أحدُ بَنِى بَكر ابن حُبَيْب بن عَمْرو بن غَنْم بن تَغْلِب.

٦٥٤ — وكُثَيِّر بن عَبْد الرَّحْمٰن الخُزَاعِىّ، وهو ابن أبى جُمُعَة، وكنيته أبو صَخْر. وهو عند أهلِ الحِجاز أشعر مِنْ كلِّ مَنْ قَدَّمْنا عليه.

٦٥٥ — وذو الرُّمَّة، واسمُهُ غَيْلانُ بنُ عُقْبَة، أحدُ بنى عَدِىّ بن عَبْدِ مَنَاةَ بن أُدّ.

* * *

٦٥٦ — وكان البَعيثُ شاعراً فاخِرَ الكلامِ حُرَّ اللَّفْظ، وقد غَلَبَه جريرٌ وأخْمَلَه. وكان قد قاوَم جريراً فى قصائدَ، ثم ضَجَّ إلى الفرزْدقِ واستَغاثَه[1].

* * *

٦٥٧ — وكان القُطَامِىُّ شاعِراً فَحْلًا، رقيقَ الحَواشِى حُلْوَ الشِّعْر. والأخْطَلُ أبعدُ مِنْه ذِكْراً وأمْتَنُ شِعْرًا.

٦٥٨ — وكان زُفَر بن الحارث أَسَرَه فى حَرْبٍ بَيْنَهم وبَيْن تَغْلِب، فَمَنَّ عليهِ وأعْطَاه مِئةً منَ الإبِل وَرَدَّ عليه مالَه[2]، فقال القُطامِىّ فى كلمة له:

---

(١) لا أشك أن الأصول المطبوعة فيها اختصار مخل، أسقط شعر البعيث وترجمته.

(٢) رواه المرزبانى فى الموشح: ١٥٨ مختصراً. زفر بن الحارث الكلابى، من بنى عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، من قيس عيلان، وانظر ما مضى رقم: ٦٠١، وانظر خبر هذه الحرب وأسر القطامى فى الأغانى ٢٠: ١٢٠ – ١٣١.

مَنْ مُبْلِغٌ زُفَرَ القَيْسِىَّ مِدْحَتَهُ عَنِ القُطَامِىِّ ، قَوْلًا غَيْرَ إِفْنَادِ[(١)]
إِنِّى ، وَإِنْ كانَ قَوْمِى لَيْسَ بَيْنَهُمُ وبينَ قَوْمِكَ إِلَّا ضَرْبَةُ الهَادِى ،[(٢)]
مُثْنٍ عليكَ بما أَسْلَفْتَ من حَسَنٍ ، وقدْ تَعَرَّضَ مِنِّى مَقْتَلٌ بَادِى
فَلَنْ أُثِيبَكَ بالنَّعْماءِ مَشْتَمَةً ، ولَنْ أُبَدِّلَ إِحْسَانًا بِإِفْسادِ[(٣)]
فإنْ هَجَوْتُكَ مَا تَمَّتْ مُحَافَظَتِى ، وإِنْ مدحْتُ لقدْ أَحسنْتُ إِصْفَادِى[(٤)]

إِذْ يَعْتَرِيكَ رِجَالٌ يسأَلُونَ دَمِى ، ولو تُطِيعُهُمُ أَبْكَيْتَ عُوَّادِى[(٥)]
وإِذْ يقُولُونَ : أَرْضَيْتَ العُدَاةَ بِنَا ! لَا ، بَلْ قَدَحْتَ بِزَنْدٍ غيرِ صَلَّادِ[(٦)]

---

(١) ديوانه : ١٠ والأغانى ٢٠ : ١٢٦ من قصيدة نفيسة بارعة . أفند الرجل إفناداً : كذب فى قوله . والفند (بفتحتين) : الكذب، والخطأ أيضاً .

(٢) الهادى : العنق ، وجمعه ، هواد . وذلك لتقدمه ، كأنه يهدى صاحبه .

(٣) هذا البيت كان فى أصل الطبقات بعد الأول، وهذا حق مكانه . أثابه يثيبه : كافأه وجازاه . والمشتمة والشتم والشتيمة : السب . وقد قال النحاة إن الباء فى الاستبدال تدخل على المتروك والزائل، وهذا القطامى أدخلها على غير المتروك ، وكان ينبغى على مذهبهم أن يقول : « ولن أبدل إفساداً بإحسان ! » . لأنه أراد لن أصطنع الإفساد وأترك الإحسان . وانظر قول النحاة فى قول تعالى : « وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَنًا قَلِيلًا » . (تفسير أبى حيان ١ : ١٨٧ ، ٢٣٣ وغيره) .

(٤) المحافظة : حفظ العهد ومكارم الأخلاق والأنفة مما يعيب . ويروى « مكارمتى » . وأراد بالمكارمة : المجازاة على كرم الفعل وكرم الخصال بمثلها . أصفده إصفاداً : أعطاه ووصله . والصفد (بفتحتين) : العطية . يقول : إن هجوتك فذلك لؤم وخيانة للعهد ، وإن مدحتك فبما أسلفت من فك إسارى والمن على .

(٥) بين هذا البيت والذى قبله أبيات ، يصف فيها مكان زفر فى تلك الحرب . اعتراه : غشيه طالباً معروفاً أو حاجة . العواد جمع عائد : وهو الزائر يزورك عند مرضك ، من عيادة المريض . يريد : أهل مودته الذين يألمون له ويعودونه إذا اعتل ، أو الذين يزورونه من إخوانه بلا تخصيص .

(٦) رواية الديوان وغيره « فقد عصيتهم والحرب مقبلة » ، ورواية ابن سلام أجود . والعداة جمع عدو ، ويقال هو جمع عاد ، كقاض وقضاة ، وهو العدو أيضاً ، روى أبو زيد الأنصارى عن العرب : « أشمت الله عاديك » أى عدوك . قدح بالزند: ضرب به ليورى النار . وزند صلد (بفتح فسكون) وصالد وصلود وصلاد : هو الذى يصوت عند الضرب ولا تنقدح منه النار . وضرب ذلك مثلا يقول : كنت كريماً نبيلا ، إذا امتحن كرمك أبديت عن عتق أصلك ونبل أخلاقك .

وَلَا كَرَدِّكَ مَالِي ، بَعْدَ مَا كَرَبَتْ   تُبْدِي الشَّمَاتَةَ أَعْدَائِي وَحُسَّادِي (١)

فَإِنْ قَدَرْتُ عَلَى يَوْمٍ جَزَيْتُ بِهِ ،   وَاللهُ يَجْعَلُ أَقْوَامًا بِمِرْصَادِ (٢)

قال ابن سلام : فلما بلغ زُفَرَ قولُه ، قال : لَا قَدَرْتَ عَلَى ذلك اليَوْم (٣) .

٦٥٩ — وقال القُطَامِيّ يمدحه فى أُخْرى :

وَمَنْ يَكُنِ اسْتَلَامَ إِلَى ثَوِيٍّ   فَقَدْ أَحْسَنْتَ ، يا زُفَرُ ، المَتَاعَا (٤)

أَأَكْفُرُ بَعْدَ دَفْعِ المَوْتِ عَنِّي ،   وَبَعْدَ عَطَائِكَ المِئَةَ الرِّتَاعَا ؟ (٥)

---

(١) بين هذا والذى قبله أبيات . يقول : إن أذكر ما كان من استنقاذى وحمايتى وفك إسارى ، وتعجيل عطاياك لى، فلا شىء منها أبلغ عندى وأحسن موقعاً من ردك مالى على، من بعد أن كاد أعدائى وحسادى يبدون الشماتة بى فيما أصابنى . كربت : قربت ودنت .

(٢) يقول : إن جاء يوم كهذا اليوم كافأتك به ، والله يجعل أقواماً على طريق الخير ، كأنهم يرقبونه ، فإذا جاء فعلوا الخير أو جازوا به . والمرصاد : الموضع الذى ترصد الناس فيه ، أى ترقبهم .

(٣) فى الديوان : « لما سمع زفر هذا البيت قال : لا أقدرك الله ! » يأنف أن يؤسر ثم يمن عليه .

(٤) ديوانه : ٤١ ، والأغانى ٢٠ : ١٢٩ ، وهى أيضاً من نبيل شعره . استلام إلى فلان أتى إليه ما يلومه عليه . والثوى : الضيف المقيم ، من الثواء : وهو طول المقام . والمتاع مصدر كالتمتيع والإمتاع . متعه بالشىء وأمتعه به : أعطاه ما ينتفع به ويسر بمكانه . وقد جاء المتاع مصدراً فى مثل قوله تعالى فى آية البقرة « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ » . أى متعوهن متاعاً، ولذلك عداه بالحرف «إلى» . يقول: إن يكن فى الناس من يأتى إلى ضيفه وأسيره ما يشنع به ذكره ، وكذلك أكثر الناس ، فقد استجدت لى من المعروف زاداً أستمتع به ما حييت . (ثم انظر ما سيأتى فى الذى يليه) .

(٥) كفر النعمة : جحدها وسترها ، وهو شر خلق . والرتاع : الإبل ترتع فى المرعى الخصب تذهب وتجىء ، واحدها راتع . وهذا بيت استهلكه النحاة فى الاستشهاد على أن « العطاء » هنا بمعنى الإعطاء (وهو المصدر) ولهذا عمل عمله ، فلذلك نصب به « المئة » . وعندى أن العطاء أيضاً مصدر كالمتاع فى البيت السالف . ويروى « أكفراً » وهى أجود الروايتين .

وَلَمْ أَرَ مُنْعِمِينَ أقلَّ مَنًّا ... وأكرمَ عِنْدَ ما اصطَنَعوا اصْطِناعَا[١]

مِنَ البِيضِ الوجُوهِ بَنى نُفَيْلٍ ... أبَتْ أخْلاقُهُمْ إلّا اتّساعَا[٢]

بَنِى القَرْمِ الّذِى عَلِمَتْ معدٌّ ... تَفَضَّلَ فوْقَهُمْ حَسَبًا وباعَا[٣]

٦٦٠ — والقُطامِىّ الذى يَقول :

ألم يَحْزُنْكِ أنَّ حِبالَ قَيْسٍ ... وتَغْلِبَ قدْ تَبايَنَتا انْقِطاعَا[٤]

أُمورٌ لَوْ تَدَبَّرَها حَلِيمٌ ... إذاً لَنَهى وَهَيَّبَ ما اسْتَطاعَا[٥]

---

(١) المن : أن ينعم المنعم، ثم يعظم الإحسان ويفخر به ، ويبدئ فيه ويعيد ، حتى يفسده وينغصه ، وذلك فعل بخلاء المنعمين ولئامهم . ولم يرد بقوله « أقل منا » أنه لهم من قليل ، ولكن أراد أراد نفى المن عنهم ، وهكذا تقول العرب إذا أرادت النفى . وصنع إلى الرجل صنعاً واصطنعه : قدم إليه معروفاً وأسداه إليه . يقول : وهم أكرم الناس إسداء للمعروف الذين يسدونه ، يفعلونه ببشاشة وسماحة وتواضع حتى لا يؤذى من يصطنعونه عنده .

(٢) نفيل بن عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وهو جد زفر الأعلى ، وكان سيداً جواداً . واتساع الخلق : هو الصبر والحلم واحتمال أمر العشيرة فى السراء والضراء .

(٣) فى الأصل « بنى القوم » « بفضل فوقهم » ، وهو خطأ ، ويروى « تفرع فوقها » . والقرم : السيد المعظم المقدم فى المعرفة وتجارب الأمور . ومعد بن عدنان : أصل العرب الأكبر . تفضل : تميز عليهم بالفضل . الحسب : الشرف الثابت فى الآباء ، وما يعده من مفاخرهم . والباع : السعة فى المكارم وبسط الخير للناس ، يبسط به المرء باعه . والباع : قدر مد اليدين وما بينهما من البدن .

(٤) هذه الأبيات من نفس القصيدة ، ولم ترد إلا فى المطبوعة المصرية ، أما الأوربية فقد أغفلت البيت السالف ، ووصلت بقوله « ولكن الأديم . . . » . وهذا البيت هو الرابع من أبيات القصيدة (انظر ديوانه : ٣٧) والذى يليه هو البيت الحادى والعشرون ، وكلها سابقة على ما أنشده فى الفقرة السالفة . فى المصرية « جبال قيس » وهو خطأ . قيس : يعنى قيس عيلان ، قبيل زفر بن الحارث ، وتغلب : قبيل القطامى ، ورواية الديوان « تباينت » . تباينت : تباعدت وتفرقت من المصارمة والعداوة التى وقعت بين الحيين .

(٥) الحليم : ذو الحلم ، الحكيم . هيبت إليه الشىء : جعلته مهيباً عنده مخوف العواقب .

وَلـكنَّ الأَدِيمَ إذا تفَرَّى ... بلى وتَعيَّنًا غَلَبَ الصَّنَاعَا[١]
وَمَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا ... يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ أُسْتِمَاعَا[٢]
وَخَيْرُ الرَّأْيِ ما أُسْتَقْبَلْتَ مِنه ، ... ولَيْسَ بأن تَتَبَّعَه أُتِّبَاعَا[٣]

٦٦١ — وقال يمدح أَسْماء بن خارِجة [بن حِصْن] بن حُذَيفة بن بَدْرٍ الفَزَارِىّ[٤] :

إذا مات أبن خَارِجَةَ بن حِصْنٍ ، ... فلا مَطَرَتْ عَلَى الأَرْضِ السَّماءُ[٥]
ولا رَجَعَ البَرِيدُ بِغُنْمِ خيْرٍ ... ولا حَمَلَتْ عَلَى الطُّهْرِ النِّسَاءُ

---

(١) الأديم : الجلد المدبوغ أول دباغ، وأراد بالأديم المخروز منه المصنوع سقاء أو غيره . تفرى الجلد : تشقق وتقطع . تعينت القربة : صار فيها دوائر رقيقة توشك أن تنهتك . امرأة صناع ، ورجل صنع (بفتحتين) : حاذق بالعمل ، وأراد الصناع من الخوارز . يقول : إذا فسد الجلد وبلى وتخرق ، فلا حيلة للحاذق فى إصلاحه ، وكذلك أمور الناس إذا دخلها الفساد الغالب . وفى ديوانه عن التوزى قال : « الرواية : ولكن اللديم ، قال : وهو أول ما يدبغ أديم ، فإذا رد فى الدباغ مرة أخرى فهو لديم ». وهذا نص ليس فى كتب العربية، واللديم فيها: هو المرقع المستصلح، ثوب أو خف لديم وملدم : مرقع .

(٢) يقول : إذا عصيت الناصح الشفيق مرة وقع بك من السوء ما يزيدك فيما بعد حرصاً على الاستماع له والاتباع لنصحه لو عقلت ، وقل من يعقل !

(٣) يقول : خير الرأى ما استقبلته بالتدبر والنظر فعرفت عواقبه ، وشره ما تنظرته حتى يقع ثم نظرت فى أدباره وأواخره . ومثله فى المثل « شر الرأى الدبرى » ، وقول أبى زبيد الطائى :

عليكَ برأسِ الأمرِ قَبْل انْتِشارِه، ... وشرُّ الأُمورِ الأَعْسَرُ المُتَدَبِّرُ

(٤) زيادة من نسبه ، وكذلك يجىء فى الشعر بعد .

(٥) هذان البيتان ليسا فى ديوانه ، ولا فى زيادته .

٦٦٢ — وقال فيه أيضاً :

وَعَلَيْكِ أَسْمَاءَ بنَ خارِجَةَ الّذى ... عَلِمَ الفَعَالَ ورَفَّعَ البُنْيانَا[١]

فَسَتَعْلَمِين : أصادِقٌ رُوَّادُه ... عَنْه ، وأىُّ فَتًى فتى غطفانَا؟[٢]

* * *

٦٦٣ — [٣]وكان كُثَيِّرٌ شاعِرَ أهلِ الحِجاز ، وإنّهم لَيُقَدِّمونه على بَعْض من قَدَّمْنا عليه . وهو شاعرٌ فَحْلٌ ، ولكنه مَنْقُوصٌ حَظُّه بالعِراق .

٦٦٤ — [٤]وسمعْتُ يونُس النَّحْوى يقول: كانَ ابن أَبى إسْحاق يقول: كان كُثَيِّر أَشْعَرَ أهل الإسْلام .

٦٦٥ — [٥]قال ابن سلّام : ورأَيتُ ابنَ أبى حَفْصة يُعْجِبُه مَذْهَبُه فى المديح جدًّا ، يقول : كان يَسْتَقْصِى المديحَ .

٦٦٦ — وكان فيه مع جَوْدَة شعره خَطَلٌ وعُجْبٌ ، وكانتْ له مَنْزِلَةٌ عند قُرَيْش[٦] .

---

(١) ديوانه : ١٩ ، وكان هذا البيت فى الأصل بعد الذى يليه ، وهو فساد فى ترتيب المعنى . والخطاب فى البيت لناقته . عليك : اسم فعل للإغراء ، بمعنى اقصديه والزمى رحابه . الفعال : الفعل الحسن من الجود والكرم والسماحة . والبنيان : بنيان المجد . ورواية الديوان : « وأدب الفتيانا » .

(٢) يروى « زواره » . والرواد جمع رائد : وهو القاصد لمعروفه يرتاده . يقول : ستعلمين صدق ما يخبر الناس عن كرمه ، وما يتحدثون به من فعاله . وفزارة ، من غطفان .

(٣) رواه أبو الفرج فى الأغانى ٩ : ٥ — ٦ .

(٤) رواه أبو الفرج فى الأغانى ٩ : ٦ ، وسقط منه شىء فى روايته .

(٥) رواه أبو الفرج ٩ : ٦ ، وكذلك الذى يليه . وابن أبى حفصة ، هو مروان بن أبى حفصة الشاعر .

(٦) الخطل : الخفة والحمق والاضطراب . والعجب : زهو المرء بما يكون منه حسناً أو قبيحاً .

٦٦٧ — قال : وقَدِمَ على عَبد الملك بن مَرْوان الشّامَ فأنشده ، والأخطَلُ عِندَه ، فقال عَبدُ الملك : كيفَ تَرَى يا أَبا مالكٍ ؟ قال : أرَى شِعْرًا حِجازيًّا مَقْرُوراً ، لو ضَغطه بَرْدُ الشّامِ لَاضْمَحَلَّ .

٦٦٨ — [1]قال : وأخبرنى أبانُ بن عُثمان البَجَلِيّ قال : دخل كُثَيِّر على عبد الملك فأنشده مِدْحَته وفيها :

عَلَى ابْنِ أبِى العاصِى دِلَاصٌ حَصِينةٌ ... أَجادَ المُسَدِّى سَرْدَها وأَذَالَها[2]

فقال له عبد الملك : أفلا قُلْتَ كما قال الأعشى لِقَيْسِ ابن مَعْدِى كَرِب ؟ :

وإذَا تَجِئُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ ... شَهْباءُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِهالَها[3]

---

(١) رواه المرزبانى فى الموشح : ١٤٥ ، مع اختلاف فى الرواية ، والشريف فى أماليه ١ : ٢٠١ .

(٢) من قصيدة له طويلة جيدة ، هى عندى فيما نقلته من قديم الشعر . وانظر اللآلئ : ١٨٣ . وابن أبى العاصى : هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس ، أمير المؤمنين . درع دلاص وأدرع دلاص ، الواحد والجمع على لفظ واحد : وهى من الدروع اللينة البراقة الملساء . ودرع حصينة : هى الأمينة المحكمة ، المتدانية الحلق ، التى لا يحيك فيها السلاح ، يحتمى بها صاحبها فهو فى حصن منها . سدى الدرع : نسجها ، كتسدية الحائك الثوب . والسرد : حلق الدرع ، وهى مسرودة ، وذلك لتقدير صانعها أطراف الحلق حتى لا تنفصم ، فتظل الدرع متسقة متتابعة الحلق . أذال الدرع : أطال ذيلها وأطرافها ، والذائل : الدرع الطويلة الذيل ، وهو مما يستحسن فى الدروع .

(٣) ديوانه : ٢٧ . الكتيبة : القطعة العظيمة من الجيش تجمعت فيها الخيل وتضامت . وكتيبة ملمومة وململمة : مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض ، وذلك أشد لبأسها . وشهباء : بيضاء صافية الحديد ، قد غلب لألاء سلاحها على سواد الحديد . والشهبة : البياض الذى غلب على السواد فأخفاه . الذائد : الحامى الدافع الذى يذود عن الحرم ، يعنى أهل البأس والحمية . نهال جمع ناهل : وهو العطشان ، وأراد الرماح تعطش إلى الدم ، فإذا شرعت فيه رويت . يصف ما فى هذه الكتيبة من البأس والقوة والعدة .

كُنتَ المُقَدِّمَ ، غيرَ لَابِسِ جُنَّةٍ ، بالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِماً أبْطالَها[١]

فقال : يا أميرَ المُؤْمنين ! وَصَفَهُ بالخُرْقِ ، ووصفْتُكَ بالحَزْمِ[٢] .

٦٦٩ — [٣]أنبأنا أبُو خليفة ، أنبأنا أبُن سَلّام قال : أخبرني عُثمان بن عبدِ الرحمن قال : أنشدَ كُثَيِّرٌ عبدَ الملك بن مَرْوان حِينَ أَزْمَعَ بالمسير إلى مُصْعَبٍ[٤] :

---

(١) المقدم : الشديد الإقدام على العدو لجراءته فى الحرب . قدم وأقدم وقدم وتقدم واستقدم كلها بمعنى الإقدام والجرأة . الجنة : الدرع تستتر بها من وقع السلاح . وكل ما يستتر به من شيء ويكون وقاية لك مما يؤذيك فهو جنة . ورجل معلم : يعلم مكانه فى الحرب ، لعلامة أعلم بها نفسه من صوف أو عمامة ذات لون مشهر ، وكذلك كان يفعل أهل البأس فى الحرب . لا يخافون قصد العدو لهم بالطعن والنبل .

(٢) الخرق : الرعونة والحمق . ونص المرزبانى : « وصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق والتغرير ، ووصفتك بالحزم والعزم . فأرضاه » . ثم انظر تعليق المرزبانى على هذه المفاضلة ، فهو كلام جيد .

(٣) رواه أبو الفرج فى أغانيه : ٩ : ٢١ ، عن ابن سلام وجمع بينه وبين رواية غيره ، وبسط الكلام ، وانظر أمالى القالى ١ : ١٣ .

(٤) أزمع الأمر ، وأزمع به ، وأزمع عليه : ثبت عليه عزمه ومضى فيه لا ينثنى عنه . وخروج عبد الملك بن مروان إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير ، كان فى سنة ٧١ من الهجرة . قال أبو على القالى فى خبره : « أن عبد الملك بن مروان ، رحمه الله ، كان يوجه إلى مصعب جيشاً بعد جيش فيهزمون ، فلما طال ذلك عليه واشتد غمه ، أمر الناس فعسكروا ودعا بسلاحه فلبسه ، فلما أراد الركوب قامت إليه أم يزيد ابنه — وهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية — فقالت : يا أمير المؤمنين ! لو أقمت وبعثت إليه كان الرأى . فقال : ما إلى ذلك من سبيل . فلم تزل تمشى معه وتكلمه حتى قرب من الباب ، فلما يئست منه رجعت ، فبكت وبكى حشمها معها . فلما علا الصوت رجع إليها عبد الملك فقال : وأنت أيضاً ممن يبكى ! قاتل الله كثيراً ، كأنه كان يرى يومنا هذا حيث يقول : (. . . وأنشد البيتين . . .) ثم عزم عليها بالسكوت وخرج » . ونقلت هذا لأنى أظن أن نص المطبوعة مختصر .

إذا ما أرادَ الغزْوَ لمْ تَثْنِ همَّهُ حَصَانٌ عليْها نَظْمُ دُرٍّ يَزِينُها[١]
نَهتْهُ ، فلمَّا لمْ ترَ النَّهْيَ عاقَهُ بَكتْ ،فبَكَى ممَّا شَجاها قَطِينُها[٢]

فقال عبدُ الملك : والله لَكأَنَّه شَهِدَ عاتِكة ! ، بنت يَزيد بن مُعاوِيَة ، وهى امرأتُه ، أُم يَزيد بن عَبد الملك .

٦٧٠ — وقَدِم كُثَيِّر على يَزيد بن عَبد الملك وقد مَدَحَه بقَصائدَ جِيادٍ مَشْهُورة ، فأُعْجِب بهنَّ يزيدُ ، وقال له : احْتَكِمْ . قال: وقَدْ جَعَلْتَ ذلك إلىَّ ! قال : نعم. قال : مئةُ ألفٍ . قال : وَيْحك ! مئة ألفٍ ! ! فاستكثَرَها . قال : على جُودِ أميرِ المؤمنين أُبقِى أمْ عَلَى بَيْتِ المال ؟[٣] قال : مابى اسْتكثارُها ، ولكنِّى أكرَهُ أن يقولَ الناسُ : أعْطى شاعراً مئةَ ألفٍ ، ولكنْ فيها عُرُوض ! قال : نَعَم يا أمير المؤمنين[٤] .

٦٧١ — فكان يَحْضُر سَمَرَ يزيد ويدخُل عليه ، فقال له ليلةً : يا أمير المؤمنين ما يَعْنِى الشَّمَّاخ بقولِه :

إذَا عَرِقَتْ مَغابِنُها ، وجَادَتْ بِدرَّتِها قِرَى جَحِنٍ قَتِينِ[٥]

---

(١) امرأة حصان وحاصن : عفيفة ، عفت عن الريبة وأحصنت فرجها .

(٢) شجاه الأمر يشجوه شجواً : أحزنه . والقطين : خدم الملك ومماليكه وأتباعه ، وهو هنا الإماء وأما أحرار الأتباع فهم الحشم .

(٣) فى الأصول « أبغى » مكان « أبقى » . وأبقيت على الشىء : أشفقت عليه وخفت هلاكه .

(٤) العروض جمع عرض (بفتح فسكون) : فهو المتاع وما كان غير نقد من المال .

(٥) ديوانه : ٩٥، واللسان (جحن) (حجن) (قتن) ، وتهذيب الألفاظ : ٣٢٨ والتصحيف والتحريف للعسكرى : ٩٠ . يصف ناقته . المغابن جمع مغبن (بفتح فسكون فكسر) : وهى الآباط والأرفاغ ، أى بواطن الأفخاذ . والدرة : أراد به العرق يدر ويرشح . والقرى : ما يقدم للضيف . وجعل العرق قرى للقراد ، لأنه منه طعامه . صبى جحن : سىء الغذاء ، وأراد به قراداً جائعاً ساء غذاؤه ، فصار عرقها قرى له . وقراد قتين : قليل الدم واللحم من جوعه .

قال : فسكتَ عنه يزيد ، فقال : بَصْبَصْنَ إذْ حُدِينَ ! ثم أعاد [فسكت عنه يزيد ، فقال :] بَصْبَصْنَ إذْ حُدِينَ[١] ! فقال يَزيد : وما عَلَى أمير المؤمنين أن لا يَعْرِفَ هذا ؟ هو القُرَادُ أشبهُ الدَّوابِّ بك ! — وكان كُثَيِّر قصيراً مُتَقَارِبَ الخَلْقِ — فحُجِب عن يَزيد فلم يَصِلْ إليه ، فكلَّم مَسْلَمة بنُ عبدِ الملك يزيدَ فقال : يا أميرُ المؤمنين ، مدحك ! قال : بكَمْ مَدَحنا ؟ قال: بسبْعِ قَصَائِد. قال : فله سبعمئة دِينار ، والله لا أزيدُه عليْها .

٦٧٢ — [٢]أخبرنا أبو خَلِيفة ، أخبرنا ابنُ سلّام ، حدّثنى ابن جُعْدُبَة وأبو اليَقْظَان ، عن جُوَيْرِيَة بن أسماء قال : ماتَ كُثَيِّر وعِكْرِمةُ مَوْلَى ابنِ عبَّاس فى يومٍ واحد ، فاحتَفلَتْ قُرَيش فى جِنازة كُثَيِّر ، ولم يُوجد لِعِكْرِمةَ من يَحمِله .

٦٧٣ — [٣]وكان لكُثَيِّر فى التَّشْبيب نَصيبٌ وافِرٌ ، وجميلٌ مُقدَّم عليه [وعلى أَصْحاب النَّسِيبِ جميعاً] فى النَّسيب ، وله فى فنُون الشِّعر ما ليس لجميل . وكان جَميلٌ صادقَ الصَّبابة ، وكان كثير يتقوَّلُ ولم يكن عاشقاً ، وكان رَاويةَ جميلٍ .

---

(١) هذا بعض مثل وتمامه : « بصبصن إذ حدين بالأذناب » ، قال الأصمعى : يضرب فى فرار الجبان وخضوعه . بصبص بذنبه : حركه ، والإبل تفعل ذلك إذا حدى بها . وجعله هنا مثلا مضروباً فى العجز .

(٢) رواه أبو الفرج فى أغانيه ٩ : ٣٦ . وعكرمة البربرى أبو عبد الله المدنى ، أصله من البربر ، إمام من أئمة العلم والدين ، مات سنة ١٠٥ .

(٣) صدر هذا الخبر رواه أبو الفرج فى أغانيه مجموعاً ومفرقاً فى ج ٤ : ٢٦٦ ، ٨ : ٩٥ ، ٩ : ٣٢ . وفيه « وكان لكثير فى النسيب . . . »

٦٧٤ — وهو القائل :

أَلْمِمْ بعَزَّةَ إن الرَّكْبَ مُنطَلِقُ ... وَإنْ نَأَتْكَ وَلَمْ يُلْمِمْ بها خَرَقُ(١)
قَامَتْ تَرَاءَى لنا ، والعينُ سَاجِيةٌ ... كأنَّ إنْسانَها فى لُجَّةٍ غَرِقُ(٢)
ثُمَّ اُسْتدار عَلَى أرْجاءِ مُقْلَتِهـا ... مُبادِرًا خَلَسَاتِ الطَّرْفِ يَسْتَبِقُ(٣)
كأنه ، حِينَ مارَ المَأْقِيانِ بهِ ، ... دُرٌّ تَحَلَّل من أسْلاَكِهِ نَسَقُ(٤)

٦٧٥ — (٥)قال وسمعتُ النَّاس يَسْتحسنُون من قولِه :

أُريد لِأَنْسَى ذِكْرَها ، فكأنَّما ... تَمَثَّلُ لِى ليْلَى بكُلِّ سَبيلِ(٦)

قال ابن سلّام : وسمعت مَنْ يَطْعَنُ عليه يَقُول : ما لَهُ يُرِيد أن يَنسَى ذِكْرَها ؟

---

(١) ألم به إلماماً : زاره زورة يسيرة غير متمكث . وألم به مرض أو غيره : دنا منه واعتراه ، وهو المراد فى الشطر الثانى. نآه ونأى عنه : فارقه . الخرق : الدهش والتحير من الفزع أو الحياء . يحدث نفسه ويراودها أن تزور عزة ليتزود منها قبل الرحيل ، وإن كانت لم تجزع لفراقه جزعاً يقعدها عن الرحيل .

(٢) تراءت له المرأة : تصدت له ليراها ، تفعل ذلك اختيالا بحسنها وإدلالا على محبها . ساجية : ساكنة فاترة اللحظ من الحياء والدلال . الإنسان : إنسان العين وناظرها .

(٣) استدار : يعنى الدمع : والأرجاء : النواحى . خلسات الطرف ، من الخلس : وهو الأخذ فى نهزة ومخاتلة ، وأراد استراقها النظر إليه على عجل ، والدمع قد أخذها ، تفعل ذلك من مخافة الرقباء ، ومن غلبة المسرة عليها . والبيت من خير ما قرأت فى صفة الباكية عند الفراق .

(٤) مار الشىء يمور : تحرك وجاء وذهب مضطرباً . المأق وجمعه آماق : مقدم العين الذى يلى الأنف ، ومنه يسكب الدمع أول ما يسيل . در نسق : منتظم فى عقده على نظام واحد ، فهو إذا وهى سلكه تحدر متتابعاً .

(٥) هذا الخبر رواه أبو الفرج فى المراجع السالفة ، والمرزبانى فى الموشح : ١٤٧ ، وفى الروايات اختلاف وزيادة .

(٦) من قصيدته التى رواها أبو على القالى فى أماليه ٢ : ٦٢ — ٦٥ .

* * *

(١)

. . . .

. . . .

٦٧٦ — (٢)[تعلَّق الناسُ على كثيِّر بقوله :

فإنَّ أميرَ المؤمنينَ هو الّذِى　　غزَا كامناتِ الصَّدرِ مِنّى فنالها](٣)

وقوله :

تَرَى ٱبنَ أبِى العَاصِى وقدْصَفَّ دُونَهُ　　ثمانُونَ ألْفاً قد تَوَافتْ كُمُولُها(٤)

يُقلِّبُ عيْنَىْ حيَّـةٍ بمَحَـارةٍ　　إذَا أمْكَنَتْهُ شَدَّةٌ لاَ يُقِيلُها(٥)

---

(١) فى مكان هذه النقط أبيات نقلتها إلى أول ترجمة ذى الرمة رقم : ٦٧٩ — ٦٨١ لأنها له ، لا لكثير ، والنسخ المطبوعة كما تعلم فاسدة الترتيب ، وفى مخطوطتنا خرم فى هذا الموضع كما أشرنا إليه آنفاً . ولما لم أعلم أين يكون موقعها ألحقتها بذلك المكان .

(٢) ما بين القوسين فى صدر الحديث أثبته من الموشح للمرزبانى : ١٤٣ فى روايته عن ابن سلام ، وكذلك ما زدته بعد بين الأقواس. وقد أتبع المرزبانى هذا الخبر برواية أخرى فيه عن ابن سلام أيضاً ، قريبة اللفظ منها ، رواها أيضاً صاحب زهر الآداب ج ٢ : ٦٣ .

(٣) من قصيدته التى ذكر منها قبل أبياتاً فى رقم : ٦٦٨ ، وهى عندى كاملة . وانظر اللآلئ : ٦٢ . وكامنات الصدر : يعنى ما كمن فيه من العتب والموجدة .

(٤) توافى القوم : تتاموا وكمل عددهم . والكمول (جمع كمل) بفتحتين : بمعنى كامل. قال أصحاب اللغة : « أعطاه المال كملا » أى كاملا ، هكذا يتكلم به فى الجميع والوحدان سواء ، ولا يثنى ولا يجمع . وليس بمصدر ولا نعت ، إنما هو كقولك : أعطيته كله ، ويقال : لك نصفه وبعضه وكماله . وبيت كثير ناقض لما يقولون ، وشاهد على خلافه ، فقد جمع الصفة بالمصدر . ولو قال قائل : إنه جمع كاملا على كمول ، كشاهد وشهود ، لكان قولا لا بأس به .

(٥) المحارة : المكان الذى يحار فيه أو إليه ، أى يرجع ، وأراد الجحر الذى يستكن فيه الحية . والشدة : الهجمة والحملة على العدو . أقاله البيع إقالة : فسخه ، وأقال الله عثرته : صفح عنه وعفا . وأراد كثيرة : لم يفسخ عزيمته ولم يتردد .

قال ابن سلّام : فقلت لابن أبى حفصة : من جودة مديحه هذا ، جعل دونه ثمانين ألفاً ! وجعله يقلّب عينى حيّة بحارة ! [وجعل أمير المؤمنين غزا كامنات صدره !] فقال : هذا النابغة قال لملك العرب :

أحكُمْ كحُكمِ فتاةِ الحىّ، إذ نظرَتْ ... إلى حمامٍ شِراعٍ واردِ الثَّمَدِ[١]

أمره أن يحكم كحكم فتاةٍ .

٦٧٧ — وقال كثير لعبد العزيز بن مروان[٢] :

وما زالت رُقاك تَسُلّ ضِغْني ... وتُخرِجُ مِنْ مَضَابِئِها ضِبابِي[٣]

ويرقيني لكَ الحاوُونَ حتّى ... أجابك حيّةٌ تحتَ الحِجابِ[٤]

---

(١) من قصيدته فى المتجردة، ديوانه : ٣٢ . فتاة الحى : يعنى بها زرقاء اليمامة فى خبرها المشهور . شراع : متماثلات ، وشراع جمع شرع (بكسر فسكون) : وهو المثل ، هذا شرع ذلك أى على مثاله . ويروى « سراع » . والثمد : الماء القليل ، أراد أنه زمن صيف قل فيه الماء وجف ، فهى عندئذ أشد ظمأ ، وإسراعاً إلى الماء .

(٢) فى الأصل المطبوع « لعبد الملك بن مروان » ، وهو خطأ .

(٣) المراجع السالفة فى الفقرة الماضية . واللآلىء : ٦٢ ، والحيوان ٤ : ٢٥٠ ، ٣٠٣ . الرقى جمع رقية : وهى نفث النافث بالعوذة يرقى بها صاحب الآفة كالمحموم والمصروع واللديغ . وسل الشىء : انتزعه أو استخرجه فى رفق . والضغن والضغينة : العداوة الكامنة بين الضلوع . والمضابئ جمع مضبأ (بفتح فسكون ففتح) : وهو الموضع الخفى الذى يكمن فيه الصائد أو الذئب أو غيرهما . ضبأ الصائد : لزق بالأرض أو بشجرة ، أو استتر بالخمر ليختل الصيد . ويروى « مكامنها » : حيث تكمن وتختفى . والضباب جمع ضب ، والضب يستخفى فى جحره ، يعنى الصائد ، فسمى الغيظ الكامن والحقد المستخفى ضبا ، من أجل ذلك . ومنه أضب الرجل على حقد : أضمره وأخفاه .

(٤) الحاوى والحواء : الذى يجمع الحيات ويستخرجها من مكامنها برقاه . الحجاب : كل ما حال بين شيئين ، أو ستر شيئاً ، وأراد هنا حجاب الجبل : وهو حرفه الذى أشرف منه وستر ما تحته ، وذلك حيث تسكن الحيات . ويروى « تحت اللصاب » . واللصاب جمع لصب (بكسر فسكون) : وهو شق ضيق فى الجبل . ولست أذهب مذهبهم فى نقد هذين البيتين ، فإن كثيراً كان شيعياً متعصباً ، وعبد العزيز بن مروان يعرف هذا منه ، ولذلك آثر كثير أن يذكر ذلك ، ويقول لعبد العزيز بن مروان ، لم مدحه !

* * *

٦٧٨ — (١) [وحدَّثنى أبو خَلِيفة ، عن محمد بن سلاَّم قال : كان عُلماؤُنا يقُولون : أحْسنُ الجاهليَّةِ تشبيهاً امْرُؤ القَيْس ، وأحسنُ أهلِ الإسْلام تَشْبيهاً ذُو الرُّمَّةَ] .

* * *

٦٧٩ — [قوله :

بِها العِينُ والآرامُ فَوْضَى ، كأنَّها ذُبالٌ تذَكَّى أَوْ نُجُومٌ طَوالِعُ (٢)

٦٨٠ — وقوله :

كأنَّ يَدَىْ حِرْبائِها مُتشمِّساً يَدَا مُجْرِمٍ يَسْتَغْفِرُ اللهَ تائِبِ (٣)

---

(١) رأيت قبل ص : ٤٦٣ ، أن فى نسخة الطبقات المطبوعة خلطاً واضطراباً ، وهذا خبر من الأغانى ١٦ : ١٠٩ رأيت أن هذا المكان أولى به .

(٢) من ٦٧٩ — ٦٨١ ، منقولة من المكان الذى أشرنا إليه فى ص : ٤٦٣ ، وهى أبيات فى التشبيه ، ولذلك ألحقتها بخبر الأغانى السالف . ديوانه : ٣٣٦ . العين جمع عيناء : الواسعة العينين ، وهى صفة غالبة على بقر الوحش لسعة عيونها وجمالها . آرام جمع رئم : وهى الظباء الخالصة البياض تسكن الرمال (انظر ص : ٢٤٥ رقم : ١) وأصل جمع رئم أرآم ، فقلبوه طلباً للخفة فقالوا : آرام . فوضى : متفرقة مختلطة بعضها ببعض ، تتردد ، تذهب وتجىء . ذبال جمع ذبالة : وهى الفتيلة التى توضع فى مشكاة زجاجة السراج يستصبح بها . وتذكى أصلها تتذكى ، ذكت النار واستذكت وتذكت (هذا الأخير ليس فى المعاجم) : توقدت واشتد لهبها وتلألا ، والذكاء : شدة لهب النار . يصف بقر الوحش والآرام ، وهو يراها من بعيد بعيد ، يلوح بياضها فى البيداء ، كأنه ذبال يتوهج أو نجوم تزهر .

(٣) فى المطبوعتين « يستغفر الله خاضع » ، وهو وهم من النساخ ، ظنوا الأبيات كلها من قصيدة واحدة . ديوانه : ٥٩ . والحرباء : دويبة على شكل سام أبرص ذات قوائم أربع ، دقيقة الرأس ، مخططة الظهر ، صفراء اللون ، تستقبل الشمس برأسها وتكون معها كيف دارت حتى تغرب ، وتتلون أحياناً بلون الشمس ، وإذا حميت الشمس رأيت جلدها قد يخضر ، وتراه على العود شابحاً بيديه ، كما يفعل المصلوب ليقى جسده بظل يديه . تشمس فهو متشمس : قعد فى الشمس وانتصب لها . ويروى « يدا مذنب » ، يقول : يرفع يديه كأنه مذنب تائب يجهد فى الدعاء والاستغفار . وقد كان ذو الرمة يجيد صفة الحرباء ، وهو كثير فى شعره .

٦٨١ — وقوله :

فَنِلْنا صُدُوراً مِنْ حَدِيثٍ كأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ مَمْزُوجاً بماءِ الوَقائِعِ[1]]

* * *

٦٨٢ — [2][أخبرنى أبو خَلِيفة ، عن محمد بن سلاّم قال : أخبرنا أبو البَيْداء الرِّياحىّ قال : قال جرير : قاتَل الله ذَا الرُّمَّة حيث يقول :

وُمُنْتَزِعٍ مِنْ بَيْنِ نِسْعَيه جِرَّةً ، نَشِيجَ الشَّجا ، جاءَتْ إلى ضِرْسِهِ نَزْرا[3]

[أَمَا والله لو قال : « مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْه » ، لما كان عليه من سَبِيلٍ] .

٦٨٣ — [4][حدثنا أبو خليفة ، عن ابن سلاّم قال : كان ذُو الرُّمَّة

---

(١) ديوانه : ٣٥٨ ، والرواية « فنلنا سقاطاً » . وسقاط الحديث : أن يتحدث الواحد وينصت له الآخر ، فإذا سكت تحدث الساكت ، فكأنه ينال من الحديث شيئاً بعد شىء. تقول : ساقطه الحديث سقاطا . وأما قوله « صدور » فهو جمع صدر ، وصدر كل شىء : أوله أو أعلاه أو ما قابلك منه . يعنى به أطراف الأحاديث ، وهو قريب المعنى من الأول ، وإن كانت « سقاطاً » أجود وأدل . والجنى كل ما يجمع ويجنى كالتمر والقطن والعسل . وجنى النحل : عسلها . والوقائع جمع وقيع ووقيعة : وهى مكان صلب فى الجبل أو غيره يمسك الماء فيستنقع فيه زمناً فيصفو ، وتضربه الريح فيبرد ، وهو ألذ ماء تشربه فى البوادى . يصف حلاوة حديثها .

(٢) هذا الخبر نقلته من الأغانى ١٦ : ١١٠ — ١١١ ، ورواه أيضاً المرزبانى فى الموشح : ١٨٣. وكأن هذا موضعه لأنه مما عابوه عليه من التشبيه ، وقد اجتهدت جهدى ، والنسخة مضطربة .

(٣) ديوانه : ١٨٣ ، يصف بعيراً قد أعيى من طول الرحلة وقلة الكلأ. منتزع : يخرجها انتزاعاً من جهد جهيد . النسع : سير يضفر صفراً عريضاً لشد الرحل على صدر البعير . والجرة : ما يخرجه البعير من بطنه ليجتره ، أى يمضغه ثم يبلعه . النشيج : البكاء يتردد فى الصدر ، ويغص به الباكى ويسمع له صوت فى الجوف . والشجا : ما يعترض فى حلق الإنسان والدابة من عظم أو عود أو غيرهما ، وأراد الغصة تعترض فى الحلق . ونزر : قليل . يقول : انتزع جرته انتزاعاً من جوفه ، فلم يخرج له من الطعام الباقى إلا قليل ، وكأنه يتنفس نفس المجهود الذى غص بالبكاء .

(٤) وهذا أيضاً خبر نقلته من الأغانى ١٦ : ١١٧ ، لم أجد له موضعاً أشكل من هذا الموضع . وقتادة بن دعامة السدوسى ، مضى ذكره فى ص ٥١ رقم : ١ . والحسن البصرى إمام أهل عصره . ومحمد ابن سيرين . كلهم أشهر من يعرف .

مِن جريرٍ والفرزْدَقِ بمنزلة قتادة مِن الحسن وأُبن سِيرِين ، كان يَرْوِى عَنْهما وعن الصَّحابة ، وكذلك ذُو الرُّمة ، هو دُونَهما ويُسَاوِيهما فى بَعْضِ شِعْرِه] .

* * *

٦٨٤ —(١) قال : ويُقال إن ذَا الرُّمة رَاوِية رَاعِى الإبل ، ولم يكن له حظٌّ فى الهِجاءِ ، وكان مُغَلَّباً .

٦٨٥ —(٢) أَخبرَنا أَبُو خليفة ، أخبرنا أُبن سلَّام قال : كانَ أَبُو عَمرو بن العَلَاء يَقُول : إنَّما شِعْرُه نقَطُ عَرُوسٍ يَضْمَحِلُّ عن قَلِيل ، وأَبْعارُ ظِباءٍ : لها مَشَمٌّ فى أَوَّل شَمِّها ثُمَّ تَعُود إلى أَرْوَاحِ البَعَر .

---

(١) رواه المرزبانى فى الموشح : ١٧٠ ، وانظر تفسير المغلب فى رقم : ١٠٧ .

(٢) رواه أبو الفرج فى الأغانى ١٦ : ١١١ ، والمرزبانى فى الموشح : ١٧١ ، ٣٦٢ ، نقط العروس : ما تنقط به المرأة خدها من السواد تجعله كالخال على خدها ، تتحسن بذلك ، وهو سريع الزوال . وربما أراد ما تطلى به من الزعفران عند العرس ، كما ذكرنا آنفاً ص : ٢٦ رقم : ٩ . مشم : يعنى رائحة طيبة تشم ، وبعر الظباء طيب الرائحة ما دام رطباً لما تأكل من الشيح والقيصوم والجثجاث والنبت الطيب الريح ، فإذا جف كان كسائر البعر . ولم ينصف أبو عمرو ذا الرمة ، فإنه أجل من ذلك ، وكأنى به قد رجع عن قوله هذا ، فقد روى أبو الفرج فى أغانيه ٢٠ : ١٨٣ فى ترجمة عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير عن الحسن بن عليل العنزى قال : « سمعت سلم بن خالد بن معاوية بن أبى عمرو بن العلاء يقول : كان جدى أبو عمرو يقول : ختم الشعر بذى الرمة ، ولو رأى جدى عمارة بن عقيل لعلم أنه أشعر فى مذاهب الشعراء من ذى الرمة » . وروى أيضاً فى أغانيه ١٦ : ١٠٩ عن أبى عبيدة عن أبى عمرو قال : « ختم الشعر بذى الرمة ، وختم الرجز برؤبة . قال : فما تقول فى هؤلاء الذين يقولون ؟ قال : كل على غيرهم ، إن قالوا حسناً فقد سبقوا إليه ، وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم » .

٦٨٦ — [(١) أخبرني محمد بن يحيَى، عن الفضْل بن الُحباب، عن محمد ابن سلّام قال: مرّ الفرزدقُ بذى الرُّمّة وهو ينشد:

أَمَنزِلَتَىْ مىٍّ، سَلامٌ عليكُما هَلِ الأَزْمُنُ اللاَّئى مَضَيْنَ رَواجِعُ (٢)

فوقف حتى فرغ منْها. فقال: كيفَ ترَى يا أبا فراسٍ؟ قال: أَرَى خيراً. قال: فمالى لا أُعَدُّ فى الفحول؟ قال: يمنعك عن ذلك صفة الصَّحَارِى وأَبْعار الإبل. وولّى الفرزدقُ وهو ينشدُ:

وَدَوِّيَّةٍ، لَوْ ذُو الرُّمَيْمة رَامَها بصَيْدَحَ، أَوْدَى ذُو الرُّمَيْم وصَيْدَحُ (٣)

---

(١) هذا الخبر نقلته من المرزبانى فى الموشح: ١٧٢. ورأيت أن هذا مكانه، لأن أبا الفرج رواه فى إثر الخبر السالف، ولكن عن غير ابن سلام، عن أبى زيد عمر بن شبة عن أبى عبيدة. ثم أتبعه بالخبر الآتى بعد غير مصرح باسم ابن سلام، وإن كان هو هو بنصه. فكأن أبا الفرج استحسن رواية أبى عبيدة لوضوحها ولزيادة فى آخرها، فآثر إثباتها مكان رواية ابن سلام. فجمع كعادته بين الروايات المختلفة.

(٢) ديوانه: ٣٣٢، وهى قصيدة نبيلة. وقد روى فى ديوان الفرزدق: ١٤٧ أن الفرزدق مر به وهو ينشد فى المربد: (ديوانه: ٧٧)

أمنزلتىْ مىّ سـلامٌ عليكُمَا على النَّأْى، والنائى يَوَدُّ ويَنصَحُ

وهذه الرواية أشبه بالصواب، لأنها هى التى ذكر فيها ناقته «صيدح»، فذكرها الفرزدق فى بيته كما سيأتى بعد.

(٣) ديوانه: ١٤٧. صيدح: اسم ناقة ذى الرمة. ذكر فى قصيدته الشماء التى ذكرناها آنفاً فقال:

إذا ارْفَضَّ أطرافُ السِّياطِ، وهُلِّلتْ جُرُومُ المَطَايا، عَذَّبتْهُنَّ صيدحُ

ارفض: تفرق وتمزق من الضرب. وهللت: صارت كالهلال من الضمور والإعياء. وجروم المطايا: أجسامها. وعذبتهن صيدح: بأن يردن مثل سرعة سيرها بعد الذى أصابهن فلا يقدرن عليه. وذو الرميمة: تصغير ذى الرمة. والدوية: الصحراء التى تدوى فيها الأصوات من إقفارها ووحشتها. ورامها بصيدح: ابتغى قطعها بناقته صيدح.

قَطَعْتُ إلى مَعْرُوفِها مُنْكَراتِها، إذا خَبَّ آلٌ دُونَها يَتَوَضَّحُ] (١)

٦٨٧ — (٢)وكان هَوَى ذِى الرُّمَّةِ مَعَ الفرزدقِ على جريرٍ، وذلك لما كان بين جريرٍ وابنِ لجأٍ التَّيْمِىّ — وتَيْمٌ وعَدِىٌّ أَخوان من الرِّباب، وعُكْلٌ أخُوهم (٣)، ولذلك يَقُول جرير:

فَلاَ يَضْغَمَنَّ، اللَّيْثُ عُكْلاً بِغِرَّةٍ وَعُكْلٌ يَشَمُّونَ الفَرِيسَ المُنَيَّبا (٤)

[الفَرِيسُ ههنا: ابنُ لجأ. وكذلك يَفْعَلُ السَّبُع: إِذَا ضَغَمَ شاةً ثم طُرِدَ عَنْها أو سَبَقَتْه، أقبلت الغَنَمُ تَشَمُّ موضِعَ الضَّغْمِ، فيفترِسُها السَّبُع وَهِى تَشَمُّ، ولذلك قال جريرٌ لبنى عَدِىّ:

وقُلْتُ نَصاحَةً لبَنِى عَدِىٍّ: ثِيابَكُمُ وَنَضْحَ دَمِ القَتِيلِ (٥)

[يحذِّر عديًّا ما لقى ابنُ لجأ] (٦).

---

(١) قطعت كل موحش مجهول منها حتى بلغت غايتى وقصدى. خب السراب: جرى واضطرب كالموج. والآل: هو الذى يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض، يرفع الشخوص ويزهاها. وأما السراب: فهو الذى يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض كأنه ماء جار، فهذا فرق ما بين الآل والسراب. يتوضح: يزهر ويتلألأ، من الوضح: وهو الضوء. يقول: قطعتها فى ذلك الحين، حين يخفى الآل معالم هذه الأرض المجهولة، و يسدر البصر من لألائه وتوهجه.

(٢) الأغانى ١٦: ١١١، ثم مجالس ثعلب: ٥٠٠، وأخبار أبى تمام للصولى: ١٧٨ — ١٧٩، وما مضى رقم: ٤٥٧، مع بعض الاختلاف والزيادة.

(٣) ذو الرمة من بنى عدى بن عبد مناة بن أد، كما مضى فى رقم ٦٥٥. وعمر بن لجأ من بنى أخيه تيم بن عبد مناة بن أد. وانظر أمر الرباب وعكل فى ص: ١٧ رقم: ٥، ثم ص ٢٦، ص: ١٤٨.

(٤) ديوانه: ١٤، وقد مضى أيضاً فى رقم: ٤٥٧.

(٥) ديوانه: ٤٣٧. نصحه ونصح له نصحا ونصيحة ونصاحة. النضح: الرشاش يصيب الثوب من ماء أو دم. يقول لبنى عدى، إخوة التيم الذين هجاهم فدمغهم هجاؤه: اجمعوا عليكم ثيابكم وابتعدوا لئلا يصيبكم من دم التيم رشاش، أى لئلا يصيبكم من هجائى ما يشين أعراضكم.

(٦) هذه الزيادة من تمام خبر الأغانى.

٦٨٨ — [١]أخبرنا أبو خَليفة ، أخبرنا أبن سلَّام قال : أخبرنى أبو يَحْيَى الضَّبّى قال : قال ذُو الرُّمَّة يوماً : لقدْ قلتُ أبياتاً إنَّ لها لعَرُوضاً ، وإن لها لمَرَاداً ومعْنًى بَعيداً . قال الفرزدقُ : وما قُلْت ؟ قال قلتُ :

أَحِينَ أَعاذَتْ بِى تَمِيمٌ نِساءها ... وجُرِّدْتُ تجْرِيدَ اليمانِى مِنَ الغِمْدِ [٢]

ومَدَّتْ بِضَبْعَىَّ الرِّبابُ ومَالِكٌ ... وعَمْرٌو ،وشالَتْ مِنْ وَرَائِى بنُو سَعْدِ [٣]

وَمِنْ آلِ يَرْبُوعٍ زُهاءٌ ، كأنَّهُ ... زُهَا اللَّيْلِ ، مَحْمودُ النِّكَايَةِ والرِّفْدِ [٤]

---

(١) الأغانى ١٦ : ١١١ ، والموشح : ١٠٧ . والعروض : الطريق ، يقال : « أخذ فلان فى عروض ما تعجبنى » أى طريق وناحية . والمراد (بفتح الميم) : الموضع الذى تذهب فيه وتجىء ، من قولهم رادت الدواب ترود : ذهبت وجاءت فى المرعى . يقول : لهذه القصيدة مسلك عجب فى الفخر ، ومذهب واسع رحب فى البيان .

(٢) ديوان ذى الرمة : ١٤٢ ، وديوان الفرزدق : ٢٠٨ . أعاذه بفلان : جعله يعوذ به ، أى يلجأ إليه ويستعصم به . واليمانى : نسبة إلى اليمن ، وسيوف اليمن مشهورة بجودة حديدها وصقلها . يذكر أنه كان ملاذاً لبنى تميم ، وحمى يحتمون به . ثم ذكر بلوغه الغاية فى مضاء العزيمة .

(٣) الضبع (بسكون الباء) : وسط العضد بلحمه . وقوله : « مدت بضبعى » ، أى أخذت بضبعى فأعانتنى ، وشدت أزرى ، واشتد بها بأسى . وشالت : ذبت ودافعت . أصله من شالت الناقة بذنبها : وذلك إذا لقحت ، فكرهت أن يقربها فحل ، فهى تشمخ بأنفها ، وترفع ذنبها تضرب به يميناً وشمالا . والرباب مضى ذكرهم فى الفقرة : ٦٨٧ ، والتعليق عليها . ومالك : يعنى بنى مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مر بن أد . وعمرو : يعنى بنى عمرو بن تميم بن مر بن أد . وبنو سعد : بنو سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد . هذا وذو الرمة كما تعلم من بنى عدى بن عبد مناة بن أد . فهم أبناء عمومة من قبل جدهم الأعلى : « أد بن طابخة بن اليأس بن مضر » .

(٤) يربوع : يعنى بنى يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد . زهاء : قدر ، يقال : كم زهاؤهم ؟ أى قدرهم وحزرهم ، وأراد هنا : الجمع الكثيف والعدد الكثير . وزهاء الليل : شخصه ، أى هم كالليل فى سواده من كثرتهم واجتماعهم . النكاية : ما تصيب به عدوك من القتل والجراحة والهزيمة . والرفد : العطاء والصلة تعين بها المحتاج وغير المحتاج ، يقول : هم أولو بأس شديد فى الحرب ، وكرم وسماحة فى الأزمات .

فقال له الفرزدقُ : لا تعودَنَّ فيها ، فأنا أحقُّ بِها مِنْك ! قال : وَاللهِ لا أعودُ فيها ولا أُنْشِدُها أبدًا إلَّا لَكَ .

فهي في قَصِيدَةِ الفَرَزْدقِ الّتى يقُولُ فيها :

وكُنَّا إذَا القَيْسِيُّ نَبَّ عَتودُهُ ضَرَبْناهُ فَوْقَ الأُنْثَيَيْنِ عَلَى الكَرْدِ[١]

الأُنْثَيان : الأُذنان . والكَرْدُ : العُنُق .

٦٨٩ — [٢]أخبرنا أبو خَليفَة ، أخبرنا محمّد بن سلّام ، حدَّثني أبو الغَرّاف قال : مَرَّ ذُو الرُّمّة بمنزِل لأمرِئ القَيْس بن زَيْدِ مَناة ، يقال له « مَرْأَةُ » ، به نَخْلٌ ، فلم يُنْزِلُوه ولم يَقْرُوهُ ، فقال :

نَزَلْنا ، وقد طالَ النَّهارُ وأَوْقَدَتْ عَلينا حَصَى المَعْزاءِ شَمْسٌ تَنالُها[٣]

---

(١) القيسي : نسبة إلى قيس عيلان ، يعني الراعي النميري وقومه ، وهم من قيس عيلان . والعتود : من أولاد المعزى ، هو الجدي إذا رعى وقوي و بلغ السفاد . ونب التيس : صوت وصاح عند الهياج والسفاد . ونب العتود : مثل لمن ظن في نفسه القوة فاستكبر ورام أمراً . هذا وقد روى أبو الفرج هذا الخبر ، وفيه : « أن ذا الرمة كان بكاظمة ينشد ، فتدلى عليه الفرزدق وراويته من نقب كاظمة ، فوقفا ، فلما فرغ ذو الرمة ، حسر الفرزدق عن وجهه وقال لراويته عبيد : يا عبيد ! اضمم إليك هذه الأبيات ! قال له ذو الرمة : نشدتك الله يا أبا فراس ! فقال له : أنا أحق بها منك » . وهذا سطو عارم ، ولا يزال في زماننا من يفعل مثله ، ولكن بلا جرأة كجرأة الفرزدق ، بل بالتخفي والتلصص وأخلاق أهل النذالة .

(٢) روى هذه الأخبار من ٦٨٩ — ٦٩٤ أبو الفرج في أغانيه ٨ : ٥٥ ، ١٦ : ١١٢ ، مع بعض الاختلاف بين روايتي أبي الفرج في الترتيب ، والتي في الطبقات هي روايته في الجزء ١٦ : ١١٢ . بنو امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد ، من بني عمومة ذي الرمة ، انظر ما مضى ص : ٤٧٠ رقم : ٣ . ومرأة : قرية باليمامة لبني امرىء القيس بن زيد مناة ، بينها وبين ذات غسل مرحلة على طريق النباج . وفي هذه القصيدة مدح ذو الرمة بيهساً صاحب ذات غسل ، وهو من بني امرىء القيس أيضاً . أنزله : أضافه في منزله . وقرى الضيف يقريه : أضافه وأطعمه وأكرمه .

(٣) ديوانه : ٤٥٢ ، مع اختلاف في الرواية والترتيب، وهي قصيدة رفيعة رقيقة النسيب . رواية الديوان « غار النهار » : أي اشتد حره والغائرة : نصف النهار عندها وقت القيلولة . و « طال النهار » في مثل معناه ، أي ارتفعت الشمس منذ شروقها . والمعزاء والأمعز : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة ، وجمعه أماعز . والأرض إذا كثر حصاها فذلك أشد لحرها . وقوله : « شمس تنالها » ، يقول : كأنك تنالها بيدك من قربها ودنوها من الأرض .

أَنَخْنا فَظَلَّلْنا بِأَبْرادِ يُمْنَةٍ عِتاقٍ ، وأسْيافٍ قَدِيمٍ صِقالُها[١]
فَلَمَّا رَآنا أَهْلُ مَرْأَةَ أَغْلَقُوا مَخادِعَ لمْ تُرْفَعْ لِخَيْرٍ ظِلالُها[٢]
وَقَدْ سُمِّيَتْ بِاسْمِ امْرِئِ القَيْسِ قَرْيَةٌ كِرامٌ صَوادِيها لِئامٌ رِجالُها[٣]

فلجّ الهِجاء بَيْنَ ذِى الرُّمّة وبين هِشامٍ المَرَئِىّ[٤] .

٦٩٠ — فمرّ الفرزدقُ بذى الرُّمّة وهو يُنْشِد :

وقَفْتُ على رَبْعٍ لمَيَّةَ ناقَتى فما زِلتُ أَبْكِى عِنْدَهُ وأخاطِبُهْ
وَأُسْقِيهِ ، حتَّى كادَ — مِمَّا أبُثُّهُ — تُكَلِّمُنِى أَحْجارُهُ ومَلَاعِبُهْ[٥]

---

(١) رواية الديوان :

بَنَيْنا عَلَيْنا ظلّ أبْرادِ يُمْنَةٍ عَلَى سَمْكِ أسيافٍ قَدِيمٍ صِقالُها

واليمنة : ضرب من برود اليمن معصب . عتاق جمع عتيق : وهو الذى بلغ الغاية فى الجودة والحسن . والسمك : القامة . سمك الله السماء سمكا : رفعها ، وسمك البيت : رفعه على العمد . صقل السيف صقلا وصقالا : جلاه ، يصفها بالقدم لجودتها وحسن مضائها . جعلوا السيوف عمداً للظلة التى بنوها ، يقول ذلك تمدحاً ببأسهم .

(٢) رواية الديوان « غلقت دساكر » ، هى فى الأصل جمع دسكرة : وهى بناء كالقصر حوله بيوت الأعاجم ، يكون فيها الشراب والملاهى ، وأراد بها هنا البيوت عامة . والمخادع جمع مخدع (بضم الميم وسكون الخاء وفتح الدال) : وهو البيت الصغير يكون داخل البيت الكبير . وأراد أيضاً البيوت عامة . يقول : هى بيوت لا تظل خيراً ، بل لؤماً وخسة .

(٣) يقول : سميت « مرأة » باسم امرئ القيس ، فليتها كانت كريمة كاسمها ، ولكن كرم نباتها ولؤم أهلها . والصوادى جمع صادية : وهى النخل التى بلغت عروقها الماء وطالت ، فهى لا تحتاج إلى سقى .

(٤) هشام المرئى : راجز من بنى امرئ القيس بن زيد مناة ، لم أعرف رجزه ولا نسبه .

(٥) ديوانه : ٣٨ . وأسقاه يسقيه : دعا له بالسقيا ، أى سقاك الله . وبثه همه : شكا إليه همه .

فقال الفرزدقُ أَلْهاكَ التَّبْكاء فى الدِّيارِ ، والعبدُ يَرْجُزُ بك فى المَقْبُرَة ! – يعنى هِشاماً[١] .

٦٩١ — وكان ذُو الرُّمَّة مُسْتَعْلِياً هِشاماً ، حتَّى لَقِى جريرٌ هِشاماً فقال : غَلَبَكَ العبْدُ ! – يعنى ذَا الرُّمَّة . قال : فما أصْنَعُ يا أبا حَزْرَة ، وأنا راجزٌ وهو يُقَصِّدُ ، والرَّجَزُ لايقوم للقَصِيد فى الهِجاء ؟ فلو رَفَدْتَنى[٢] ! فقال له جَرِيرٌ – لتُهَمَتِه ذَا الرُّمَّة ومَيْلِه إلى الفرزدقِ – قل له :

غَضِبْتَ لرَهْطٍ مِنْ عَدِىٍّ تَشَمَّسُوا ... وَفِى أَىِّ يَوْمٍ لم تَشَمَّسْ رِحالُها[٣]

وَفِيمَ عَدِىٌّ عَبْدُ تَيْمٍ مِنَ العُلَا ... وَأَيَّامِنا اللَّاتِى يُعَـدُّ فَعالُها[٤] ؟

---

(١) بكى الرجل يبكى بكى وبكاء وتبكاء . وبكاء الديار : هو البكاء على أهلها الذين فارقوها وتركوها خلاء ، يذكرهم الشاعر فيبكى أيامه مع أهل مودته أو صاحبته . ورجز يرجز : قال الرجز : والمقبرة ، فسرها صاحب الأغانى فى الرواية الأخرى فقال : « مقبرة بنى حصن » ، وهى مكان بالبصرة ، نسبت إلى عبد الله بن حصن أحد بنى عبيد بن ثعلبة ، انظر هذا ص : ٣٤٧ وتاريخ الطبرى ٥ : ١٧٧ ، ٦ : ١٢٦ ، والظاهر أنها كانت مقبرة قبل أن يتم بناء البصرة ، ثم دخلت فى أرض البناء فكانت سوقاً ، وبقى اسم المقبرة لها .

(٢) رفده : أعانه ونصره . وهذا باب معروف عند الشعراء ، يعين بعضهم بعضاً بأبيات يقولها ثم يسوغه انتحالها لنفسه .

(٣) ديوان جرير : ٤٨٦ والمراجع السالفة ، ويروى « غضبت لرحل » و « عجبت لرحل » . تشمس : قعد فى الشمس أو انتصب لها . ورواية « لرهط » بينة ، أما رواية « لرحل » فعندى أن رحلا جمع راحل ، كراكب وركب وصاحب وصحب ، والراحل : الذى رحل بعيره أى وضع عليه رحله للسفر ، فهو صاحب رحل ، ولم أره فى كتب اللغة . وعدى : رهط ذى الرمة كما مضى آنفاً . يقول له : غضبت على أهل مرأة إذ أبوا أن ينزلوا رحالكم فى ظلال ديارهم ، فمتى رضى أحد من الناس أن ينزل ركباً من بنى عدى فى ظل داره ؟ فكيف تغضب لما تعودتموه وألفتموه من النزول فى الشمس دون ظلال البيوت ؟

(٤) فى الديوان والأغانى والمطبوعة من الطبقات : « عند تيم » ، وهو خطأ محض لا معنى له . وعدى بن عبد مناة بن أد ، أخو تيم بن عبد مناة بن أد ، يقول : ليس عدى أخا تيم ، بل هو عبده ، فأين هم من المعالى ومن مثل فعالنا ومآثرنا وأيامنا ، وهم عبيد لئام لقوم لئام ؟

وضَبَّةُ عَمِّى ، يا أُبن جَلٍّ ، فلا تَرُمْ مَساعِىَ قَوْمٍ ليس مِنْكَ سِجَالُها(١)
يُماشِى عَدِيًّا لُؤْمُها ، لا تُجِنُّه من النَّاسِ ما ماشَتْ عَدِيًّا ظِلالُها(٢)
فَقُلْ لِعَدِيٍّ تَسْتَعِنْ بِنِسائِها عَلَىَّ ، فقدْ أَعْيَى عَدِيًّا رِجالُها
أَذا الرُّمِّ ، قَدْ قَلَّدْتَ قَوْمَك رُمَّةً بَطِيئًا بأَيْدِى المُطْلِقِينَ انْحِلالُها(٣)

٦٩٢ — قال أبن سَلَّام فحدَّثنى أَبو الغَرَّاف قال : لمَّا بلَغَت الأبياتُ ذَا الرُّمَّة قال : واللهِ ما هذا بكلام هِشَامٍ ، ولكنه كلام أبن الأَتَان(٤) .

٦٩٣ — قال : وحدَّثنى أَبو البَيْداء قال : لمَّا سَمِعها قال : هو وَاللهِ شِعْرٌ حَنْظَلِىٌّ عَدَوِىٌّ(٥) .

(١) ضبة بن أد ، أخو عبد مناة بن أد ، أبو تيم وعدى . وضبة عم بنى امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد . وكانت ضبة قد خرجت من الرباب (والرباب : هم بنو عبد مناة بن أد) ، فلذلك جعله هشام عما له دون عبد مناة بن أد . ابن جل : يعنى ذا الرمة ، وإن لم يكن من بنى جل بن عدى بن عبد مناة بن أد ، بل هو من بنى أخيه ملكان بن عدى بن عبد مناة بن أد . والسجال والمساجلة : المباراة والمفاخرة ، وأصله أن يستقى ساقيان ، فيخرج كل واحد منهما فى سجله (أى دلوه) مثل ما يخرج الآخر ، فأيهما نكل وكل فقد غلب . يقول : ليس يأتى من مثلك سجالها ومفاخرتها . « ليس منك » : ليس من شأنك ولا من طاقتك .

(٢) ماشاه : مشى معه ولزمه . أجن الشىء : كتمه وستره وأخفاه ، يقول : لا تطيق أن تستر لؤمها من الناس لظهوره فى وجوههم وأفعالهم وهيئاتهم ، فهو يصحبهم ظاهراً كصحبة الظل .

(٣) ذا الرم : يعنى ذا الرمة ، فرخم . قلده الشىء : ألزمه أياه ، كأنه ألبسه أياه كالقلادة فى العنق . والرمة : قطعة الحبل يشد بها الأسير أو القاتل إذا قيد إلى القتل . يقول : هجوتنى فكسبت قوماً عاراً باقياً لا ينفك ، يعنى هجاءه بنى عدى .

(٤) ابن الأتان : يعنى جريراً ، انظر ما مضى ص : ٣١٤ رقم : ٢ ، وهو لقب لجرير نبزه به الفرزدق .

(٥) فى المطبوعتين : « حنظلى غدرى » ، وفى الأغانى ١٦ : ١١٢ « حنظلى عذرى » ، وكلتاهما خطأ محض . وفى الأغانى ٨ : ٥٦ : « هذا كلام نجدى حنظلى » ، وهو صواب . والذى أثبته فى صلب المتن استظهار من عندى ، وهو الصواب فيما أرجح ، فجرير من بنى يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد

٦٩٤ — وغُلِّبَ هِشامٌ على ذِي الرُّمَّة(١) .

* * *

٦٩٥ — (٢)[وكان ذو الرمة يَتَشبَّب بمىّ بنتِ طَلِبَة بن قيس بن عاصِمٍ المِنْقرىّ ، وكانت كَنْزَةُ أَمَةً مولَّدة لآلِ قَيْس بن عاصم — وهى أم سَهْم ابن بُرْدة اللبن ، الذى قتله سِنان بن مُخَيِّس القُشَيْرِىّ ، أيامَ محمد بن سليمان(٣) — فقالت كَنْزَةُ :

مناة بن تميم ، فهذا قوله « حننظلى » . وأم حنظلة بن مالك ، جده الأعلى ، هى النوار بنت جل بن عدى بن عبد مناة بن أد ، عدوية من رهط ذى الرمة ، وهى عمته ، وجدة جرير أيضاً من قبل جده الأعلى . وقد فخر بها جرير فيما مضى ، انظر ص٢٦ ، ٢٧ التعليق رقم : ٦ . وذلك أحرى أن يكون ما أراده ذو الرمة ، يقول : أعرف فى شعره أثر أخواله بنى عدى .

(١) وهنا انتهى الخرم الطويل الذى بدأ منذ رقم : ٥٩٨ .

(٢) نقلت صدر هذا الخبر إلى آخر القوس ، من الأغانى ١٦ : ١١٤ ، ولم ينسبه أبو الفرج إلى ابن سلام ، ولكنه على عادته ذكر قبله خبراً عن محمد بن سلام ، ثم فصل بخبر آخر ، ثم عاد إلى الرواية عن ابن سلام . وذلك كعادته التى استظهرتها من مراجعة نصه على نص الطبقات . ودلنى على ذلك أيضاً أن نسختى المخطوطة تبدأ بقوله : [ثم اطلع على أن كنزة قالتها . . .] ، وهو آخر نص الأغانى أيضاً . فلذلك صدرت به هذه الجملة ، لأنها منه .

(٣) هذا موضع لم أستطع تحقيقه كما أحب ، ولكنى وقفت على بعض الصواب فيه . فى الأغانى مكان « كنزة » « كثيرة » ، وهو خطأ ، دل عليه ما فى المخطوطة عند آخر الخبر . وفى القاموس (كنز) : « وكنزة اسم أم شملة بن برد المنقرى » ومثله فى شرح شواهد الألفية للعينى ٤ : ١٢ ، وشرح الحماسة ٤ : ٥٣ . ثم خالف صاحب الأغانى فقال هنا « سهم بن بردة اللبن » ، ثم قال فى ١٦ : ١١٦ : « وكان لها بنت عم من ولد قيس ، يقال لها كثيرة أم سلهمة » ، ثم قال أيضاً : « إن كثيرة مولاة لهم ، وهى أم سلهمة اللص ، الذى قتلته خيل محمد بن سليمان » . وهنا إشكالان : الأول فى اسمه أهو : سهم ، أو سلهمة ، أو شملة ؟ فرأيت صاحب القاموس ذكره مرة فى (كنز) « شملة بن برد » ، ثم ذكره فى (خيس) كما سيأتى « سهم بن بردة » . ثم رأيت ابن حزم فى الجمهرة : ٢٠٦ يقول : « وشملة بن بردة بن مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم ، كان خرج بالبادية ، فقتله محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس فى الحرب » . فكأن الصواب « شملة » ، ولا أقطع .

والإشكال الثانى قوله : « اللبن » ، أهو مصحف ؟ أهو نبز أو لقب ؟ أم هو « اللص » كما ذكر فى روايته الأخرى ؟ أما اللص فصواب بلا ريب ، لأن ابن حزم قال عنه : «وكان خرج بالبادية» ، وهم كانوا يسمون كثيراً من الخوارج اللصوص ، كما فعلوا فى عبيد الله بن الحر الجعفى وغيره .

عَلَى وَجْهِ مَيّ مَسْحَةً من مَلَاحةٍ ... وتَحتَ الثِّيابِ الخزْىُ، لوكانَ بادِيا[1]

ألم تَرَ أن الماءَ يَخْبُثُ طَعْمُه ... ولَوْ كانَ لَوْنُ الماءِ فى العَيْنِ صافيا

ونَحَلَتْها ذا الرُّمّة. فامْتَعَض من ذلك، وحلفَ بجَهْد أَيمانِه ما قالَها، قال: وكيفَ أقولُ هذا وقد قطعتُ دَهْرِى وأَفْنَيتُ شَبابى أشَبّب بها وأَمْدَحها[2]! ثم أقول هذا!!]، [3][ثم أُطَّلع على أن كَنْزَةَ قالتها ونَحَلَتْها إياهُ.

٦٩٦ — [4]وأخبرنى أبو سَوّار الغَنَوِىّ، وكان فَصيحاً، قال: رأيتُ ميًّا ورأيتُ معَها بَنِينَ لها، [صِغارٌ]. قلت: فَصِفْها. قال: مَسْنُونَة الوَجْه، طويلَة الخدَّيْن، شَمَّاء الأَنْفِ، عليها وَسْمُ جَمالٍ، فقالت لى: ما تَلَقَّيْتُ بأَحَدٍ من هؤلاء إلّا فى الإبل. قلت له: فكانت تُنْشِدُك ما قال فيها ذو الرمة؟ قال: إى والله، تَسُحُّ سَحًّا ما رأى مثلَه أحدٌ[5].

وفى أصل الأغانى أيضاً « سنان بن محسر القشيرى »، وهو خطأ، فقد جاء فى القاموس (خيس): « وسنان بن المخيس — كمحدث — قاتل سهم بن بردة »، وجاء ذكره فى تاريخ الطبرى: ٩ : ٢٥٤ (حوادث سنة ١٤٥): « أبو هراسة سنان بن مخيس القشيرى ». وأظن أن قتل شملة كان فى حوادث تلك السنة من حرب إبراهيم بن عبد الله بن حسن، حين خرج بالبصرة، فحارب أبا جعفر المنصور. هذا غاية ما بلغه جهدى، فأرجو أن أجد بعد من يدلنى على تحقيق ما توقفت فيه.

(١) انظر زيادات ديوانه: ٦٧٥، وأمالى الزجاجى: ٥٧، وشرح الحماسة ٤ : ٥٣.

(٢) فى الأغانى: « أشبب بها وأمذقها »، وليس لها معنى، وأظن هذا صوابها.

(٣) من هذا الموضع تبدأ مخطوطتنا، وانظر ما كتبناه آنفاً فى التعليق على أول هذا الخبر.

(٤) الأغانى ١٦ : ١١٥، مع قليل اختلاف، والزيادة منه.

(٥) رجل مسنون الوجه: مخروط الوجه مصقوله، فى أنفه ووجهه طول. شماء الأنف، من شمم الأنف: وهو ارتفاع القصبة وحسنها واستواء أعلاها، ودقتها، وانتصاب أرنبتها وورودها، فإذا كان فيها احديداب فذلك القنا، ورجل أقنى الأنف. الوسم: الأثر، كأنه حسن ثابت لم تغيره الأيام، ومنه رجل وسيم وامرأة وسيمة، وامرأة ذات ميسم: عليها أثر الجمال الباقى. تلقت المرأة، وهى متلق: قبلت ماء الرجل وأرتجت عليه وعلقت، أى حملت. سح المطر: سال واشتد انصبابه. يعنى كثرة إنشادها وتتابعه، لحفظها أكثر شعر ذى الرمة.

٦٩٧ — قال : وحدَّثنى أبو يَحْيَى الضَّبىّ قالَ : لَقِيَ ذو الرمة رُؤْبَةَ ، فقال له ذُو الرُّمّة : ما يَعْنِى الرّاعى بقوله :

أَناخَا بأَشْوَالٍ طُرُوقًا بِخَبَّةٍ قَلِيلاً، وَقَدْ أَعْيَى سُهَيْلٌ فَعرَّدَا[(١)]

فجعلَ رُؤْبَة يَقَع مَرّة هٰهُنَا ومرة هٰهُنَا ، إلى أن قال : هى أرْضٌ بين المُكْلِئَةِ والمُجْدِبَة . وكَذاكَ هِيَ .

٦٩٨ — قال : وكان ذو الرمة أيضاً يَنْسُبُ بخَرْقاء ، إحدى نِساء بنى عامر بن ربيعة[(٢)] ، وكانت تَحُلُّ فَلْجَةَ ويَمُرُّ بها الحاجّ[(٣)] ، فتَقْعُد

(١) رواه أبو الفرج فى أغانيه ١٦ : ١١٤ ، عن محمد بن سلام عن أبى الغراف ، لا عن أبى يحيى الضبى ، مع بعض الاختلاف . ورواها كلها أيضاً صاحب اللسان (خبب) ، والمخصص ١٠ : ١٧٣ ، والبيت فى اللسان أيضاً (عرد) . روايات اللسان والمخصص متفقة هكذا :

أناخَا بأشْوالٍ إلى أهْلِ خُبَّةٍ طُرُوقاً وقد أقْعَى سُهَيْلٌ فعرَّدَا

ورواية الأغانى عن ابن سلام عن أبى الغراف ، تخالف رواية ابن سلام هذه عن أبى يحيى الضبى وهى :

أناخَا بأسْوَا الظنّ ، ثُمتَ عَرَّسَا قَلِيلاً ، وقَدْ أَقْعَى سُهَيْلٌ فعرَّدَا

فهذه الرواية تجعل سؤال ذى الرمة رؤبة عن قوله « بأسوأ الظن » ، وتفسيرها أن ذلك كناية عن الأرض بين المكلئة والمجدبة ، أى لا هى مخصبة ولا هى مجدبة ، فإذا انتهى إليها المنتجع ساء ظنه بها ، وغلب عليه اليأس من أن يجد فيها كلأ يرعى . ولم أجد رواية الأغانى ، وإن كنت لا أشك فى أنى قرأتها فى كتاب لا أدرى ما هو ، وأظن أنى قرأت لها تفسيراً كالذى قلت أو سواه .

وهذا تفسير رواية الطبقات . الأشوال جمع شول ، وشول جمع شائلة : وهى الناقة أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها ، ولم يبق فى ضروعها إلا شول من اللبن ، أى بقية . وتنقص ألبانها إذا فصل ولدها عند طاوع سهيل ، فلا تزال شولا حتى يرسل فيها الفحل . وطرق القوم يطرقهم طروقاً : جاءهم ليلا . وتفسير خبة : فى كلام رؤبة بعد . عرد النجم : إذا مال للغروب بعد ما يكبد السماء . وأقعى : ارتفع ثم لم يبرح ، من إقعاء الجالس على استه مفترشاً رجليه ناصباً ساقيه وفخذيه ، وهى جلسة المستوفز والمتحفز غير المتمكن من جلسته .

(٢) الأغانى ١٦ : ١١٩ . وهى من بنى ربيعة البكاء بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، من قيس عيلان .

(٣) فى الأغانى وغيره « فلجا » . وقد ذكر ياقوت « فلجة » فقال : منزل على طريق مكة من البصرة على أبرق حجر ، وهو لبنى البكاء .

لَهُم وتُحَدِّثُهم وتُهادِيهم وتقول : أنا مَنْسِكٌ من مناسِكِ الحجّ . ثُمّ كانت تجلس معها فاطِمَةُ ابْنَتُها ، فحدّثنى من رآها قال : لم تكن فاطِمَةُ مِثْلَها . وإنّما قالت : « أنا من مَناسِكِ الحجّ » لقول ذِى الرمة[1] :

تَمامُ الحجِّ أَنْ تَقِفَ المَطايا على خَرْقاءَ وَاضِعَةَ اللِّثامِ[2]

٦٩٩ — وقال فيها :

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ من خَرْقاءَ مَنْزِلَةً ماءُ الصَّبابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ؟[3]

تَثْنِى الخِمارَ عَلَى عِرْنِينِ أَرْنَبَةٍ شَمّاءَ ، مَارِنُها بالمِسْكِ مَرْثُومُ[4]

---

(١) المنسك من النسك : وهو الطاعة والعبادة وكل ما تقرب به إلى رب العالمين . والمنسك : الموضع المعتاد الذى تعتاده لعبادة أو ذبيحة ، وبه سميت أمور الحج كلها مناسك .

(٢) ديوانه (زيادات) : ٦٧٣ . واللثام : النقاب أو القناع ترده المرأة على فمها تستره . يعنى أنها متنقبة ، انظر البيت الآتى فى الفقرة التالية .

(٣) ديوانه : ٥٩٧ ، قصيدة طويلة من روائع الشعر والبيان . « أعن » أصلها « أأن » وبنو تميم وبنو أسد تقلب الهمزة عيناً فى « أن وأن » خاصة ، لكثرة استعمالها ، وهى المسماة عنعنة تميم . وذو الرمة من بنى عبد مناة بن أد ، عمومة بنى تميم بن مر بن أد ، فالعنعنة إذن ليست قاصرة على بنى تميم وبنى أسد . وترسم الديار : نظر فى رسومها وما بقى من آثارها متأملا متفرساً متذكراً . سجمت العين الدمع : صبته بالبكاء صباً فهو دمع ساجم ومسجوم . والصبابة : رقة الشوق . يعجب لبكائه من رؤية آثار دارها.

(٤) بينه وبين البيت السالف عشرون بيتاً . تثنى الخمار : تعطفه وترده على طرف أنفها . والخمار : ما تغطى به المرأة رأسها . والعرنين : ما تحت مجتمع الحاجبين من الأنف، وهوأوله حيث يكون الشم ، وهو أيضاً ما صلب من الأنف . والأرنبة : طرف الأنف الذى يمس الأرض إذا سجدت على استواء جبهتك . وشماء : فيها شمم وارتفاع ، والشمم من كرم الأصل وعتقه ، وهو من خصائص آبائنا العرب . ومارن الأنف : ما لان منه منحدراً عن عظم القصبة ، وفيه المنخران. رثمت المرأة أنفها بالطيب : طلته . ولم يرد ذو الرمة أنها طلت أنفها طيباً ، فليس هذا من حسنها فى شىء ، بل أراد أنها طيبة النفس يخيل لمن شمها أنها رثمت أنفها بطيب . يذكر عتق آبائها ، وتمام خلقها ، ونقاء مطمعها ، وما هى فيه من الصحة والتمام ونظافة البدن ، فلذلك طابت رائحتها .

٧٠٠ — وكانت مَيَّةُ عِنْدَ ابن عَمٍّ لها يُقالُ له عاصِم، فيه يقول ذُو الرُّمة:

ألا ليتَ شِعْرِى هل يَمُوتَنَّ عاصِمٌ وَلَمْ تَشْتَعِبْنِى للمنايا شَعُوبُها!(١)
رَمَى اللهُ من حَتْفِ المَنِيَّةِ عاصِمًا بقاصِمةٍ يُدْعَى لها فيُجيبُها(٢)

٧٠١ — قال وحدَّثنى أبِى — سَلَّامٌ — قال: دخلتُ على خَرْقاء فقالت: أخرُجِى يا فاطمةُ! تَعْنى ابنتها — فخرجت امرأةٌ جميلةٌ، وليست كأُمِّها].

٧٠٢ — (٣)[قال ابن سلَّام فى خبره: وأرسلت خرقاءُ، إلى القُحَيْف العُقَيلى تسألُه أن يُشبِّبَ بها فقالَ:

لَقَدْ أَرْسَلَتْ خَرْقاءُ نَحْوِى جَرِيَّها لِتَجْعَلَنِى خَرْقاءُ فِيمَنْ أَضَلَّتِ(٤)

---

(١) ديوانه: ٦٧. شعوب: اسم للمنية، الموت، لأنها تشعب الناس أى تفرقهم وتذهب بهم. يقال شعبته شعوب، فانشعب: كأنها نزعته من بين أصحابه، فشتتت به وبهم، ففارقهم فراقاً لا رجعة له. وقول ذى الرمة «تشتعبنى» بنى من شعب «اشتعب» كأنها تنتزعه انتزاعاً شديداً. وهو بناء عربى صحيح، لم تذكره كتب اللغة. وهو يرجو فى هذا البيت أن يموت عاصم قبل أن يموت هو، حتى يخلو له وجه مى!

(٢) الحتف: الهلاك والموت. ثم جعله ذو الرمة صفة أضافها إلى موصوفها، كأنه قال «من مهلك المنية». وقد جعلها الآخر صفة أيضاً، فقال يصف الحية والحاوى الذى أخرجها:

والحيَّةُ الحتْفَةُ الرقْشَاءُ، أخرجها من بيتها أَمِنَاتُ اللهِ والكَلِمُ

والقاصمة: التى تكسر الظهر فتقتل. يقال: قصم الله ظهره: أى دقه فكسره فأهلكه.

(٣) هذا الخبر نقلته من الأغانى ١٦: ١١٩، وقد ذكره فى أثر الخبر رقم: ٦٩٨. وانظر الأغانى ٢٠: ١٤١. ثم انظر أخبار القحيف فى رقم: ٨١٥، ٨٢٢ — ٨٢٤

(٤) الجرى: الرسول والخادم، لأنه يجرى فى حاجتك. أضلت: فتنته، فضلّ.

وخَرْقاءِ لا تَزْدَادُ إلّا مَلاحةً ... ولو عُمِّرتْ تَعْمِيرَ نُوحٍ وجَلَّتِ](١)

٧٠٣ — (٢)[قال وحدَّثنى سَعيد] بن أبى عَدىٍّ الفَقيه قال : قال ذُو الرُّمَّة : بلغتُ نصفَ عُمْرِ الهرِم ، أنا ابن أَرْبعين سنة . قال : ولم يَبقَ ذُو الرُّمَّة بعدَ ذلك إلاَّ قليلاً ، [لأنه ماتَ شابًّا] .

٧٠٤ — (٣)[قال ابن سلَّام : وحدَّثنى أبو الغرَّاف ، أنه ماتَ وهو يريدُ هِشاماً ، وقال فى طريقه ذلك :

بلادٌ بها أَهْلُونَ لَسْتُ ابنَ أَهْلِها ... وأُخرَى بها أَهْلُونَ ليس لها أَهلُ](٤)

* * *

٧٠٥ — قال: وكانوا إخوةً ثلاثةً(٥) : غَيْلانُ [وهو] ذو الرُّمَّة ، وأَوْفَى ، ومَسْعود [بنو عُقْبة] ، فهلك أوْفَى ، ثم هلَكَ ذُو الرُّمَّة ، فقال مَسْعود :

---

(١) جل الرجل جلالا : كبر واحتنك وأسن ، وعظم فى عيون الناس من كبره : وقد ذكر الله تعالى وهو أصدق القائلين تعمير نوح فقال : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وهُمْ ظَالمون » .

(٢) رواه أبو الفرج فى الأغانى ١٦ : ١٢١

(٣) هذا الخبر رواه أبو الفرج فى أغانيه ١٦ : ١٢١ فى إثر الخبر السالف ، فألحقته به ، وإن لم يكن فى المخطوطة .

(٤) ديوانه : ٤٥٨ .

(٥) هكذا قال ابن سلام وابن دريد فى الاشتقاق : ١١٦ . وقال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء : « وكان لذى الرمة إخوة ثلاثة : هشام وأوفى ومسعود » فجعلهم أربعة إخوة . والصواب ما قاله أبو الفرج فى أغانيه ١٦ : ١٠٧ عن ابن الأعرابى أنه « كان له إخوة ثلاثة هم : مسعود وجرفاس وهشام ، كلهم شعراء . . وأخوه هشام هو الذى رباه » . ويدل على ذلك شعر ذى الرمة نفسه . ولا يبعد أن يكون جرفاس لقب أوفى بن عقبة (أخى ذى الرمة) ، ولكنه غير أوفى بن دلهم ، الذى جاء ذكره فى شعر مسعود إذ يقول قبل هذين البيتين :

تَعزَّيْتُ عن أَوْفَى بِغَيْلانَ بعدَهُ [عَزاءً، وجَفنُ العَيْنِ مِلآنُ مُتْرَعُ[١]
ولمْ يُنسنِى أَوْفَى المُصِيباتُ بعْدَهُ ، ولكنَّ نَكْأَ القَرْحِ بالقَرْحِ أَوْجَعُ]

٧٠٦ — ولمسْعودٍ يقول ذو الرُّمةِ :

بَلْ عجِبَتْ أُختُ بَني لَبيدِ قد هَزِئَتْ مِنِّى ومن مَسْعُودِ[٢]
رَأَتْ غُلامَىْ سَفَرٍ بعيدِ يَدَّرعانِ اللَّيْلَ ذَا السُّدودِ[٣]
مِثْلَ ادِّراعِ اليَلْمَقِ الجديدِ أَمًّا بِكلِّ كوكبٍ حَرِيدِ[٤]

نَعَى الركبُ أَوْفَى، حين آبتْ رِكابُهُمْ لَعَمْرِى لقد جاءوا بشَرٍّ فأوجَعُوا
نَعَوْا باسِقَ الأخلاقِ لا يُخْلِفُونَه تكادُ الجبالُ الصُّمُّ منه تصدَّعُ
خَوَى المَسْجِدُ المَعْمُورُ بعد ابنِ دَلْهَمٍ فأضْحَى بأَوْفَى قومُهُ قد تضعضعُوا

وأوفى بن دلهم العدوى ، روى عن نافع ومعاذة العدوية ، وثقه النسائى ، وحسن الترمذى حديثه . فهذا بلا شك غير أوفى بن عقبة أخى ذى الرمة .

(١) الأبيات كلها رواها أبو تمام أيضاً (شرح الحماسة ٢ : ١٤٧) ، وانظر الكامل ١ : ١٥٣. وهذه الأبيات فى رثاء أوفى وذى الرمة فهو يقول : تعزيت عن أوفى بهلاك غيلان عزاء عجباً ! تعزيت عنه بالبكاء على عزيز آخر ! وتمم المعنى فى البيت الذى يليه ، فقال : ليس ذلك عزاء أنسى به أوفى ، بل ذلك أحر وأوجع . والقرح : الجرح إذا تقادم . ونكأ القرح : قشره قبل أن يبرأ فيندى ويدمى .

(٢) ديوانه : ١٥٧. ولم يرو الشعر متتابعاً . ولم أجد فى بنى منقر ، التى منهم مية ، من يسمى لبيداً ، ولكن روى صاحب اللسان (لبد) : أن اللبد (بكسر اللام وفتح الباء) بطون من بنى تميم ، وقال : « قال ابن الأعرابى : اللبد بنو الحارث بن كعب أجمعون ما خلا منقراً » والحارث بن كعب ، يعنى الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، والحارث هو مقاعس ، جد منقر بن عبيد بن مقاعس . فكأن ذا الرمة جعل اللبد لبيداً ونسبها إليهم ، لأنهم إخوة مقاعس .

(٣) ادرع بالدرع وبالثوب : لبسه . والسدود جمع سد : وهو الحاجز بين شيئين . أراد ظلم الليل التى تمنع البصر أن يرى ما وراءها . يقول : يخوضان ليلا شديد الظلمات .

(٤) اليلمق : من الثياب، القباء المحشو . يقول : يخوضان ظلم الليل مختالين فرحين مبتهجين ابتهاج المرء بثوبه الجديد . أم الشىء يؤمه أما : قصده وتوخاه . كوكب حريد : طلع منفرداً معتزلا عن الكواكب الأخر ، وهو سهيل . يقول : يهتديان بسهيل ، وكل كوكب مثله منفرد .

إِذَا سُهَيْــلٌ لاحَ كالوَقُودِ فَرْدٌ كَشَاةِ البَقَرِ المَطْرُودِ(١)

يَا صَاحِبَيَّ صَوِّتَا بالعُــودِ وعَلِّلاهُنَّ بِهِيــدِ هِيدِ(٢)

وفيها يقول :

* أَشْعَثَ بَاقِى رُمَّةِ التَّقْلِيدِ *(٣)

[وبهذه الكلمة] سُمِّى ذَا الرُّمَّة .

٧٠٧ — [وحدثنى أَبى – سَلَّام بن عبد الله – قال : رأَيْتُ ذا الرُّمة ، ورأيتُ لِمَّته وهَيْئَتَه . وقال لأبى الغرَّاف : فيكَ مَشابِهُ مِنه(٤)

٧٠٨ — حدثنى أبو الغَرَّاف قال : دَارَأَ الحكم بن عَوانة ذا الرمة فى بعض قوله ، فقال فيه(٥) :

(١) لاح الكوكب : بدا وتلألأ . والوقود : لهب النار . فرد : منفرد وحده . الشاة : ثور البقر الوحشى وهو أبيض يبرق . والمطرود : الذى طردته كلاب الصيد فأبعد حتى انفرد فى فلاة وحده ، فهو يرى من بعيد يلمع جلده .

(٢) البيت الأول ، مما ليس فى ديوانه ولا فى زياداته . والعود : أراد الناى لأنه متخذ من أعواد القصب ، أما العود ذو الأوتار الذى يضرب عليه ، فليس له معنى هنا . علله بالشىء : شغله به وسكته . هيد هيد : زجر للإبل واستحثاث ، وذلك أن الحادى ، إذا أعيت الإبل ، عللها بالحداء ، فإذا أراد الحداء قال : « هيد هيد » ، ثم زجل بصوته ، فتصغى إليه إصغاء تنسى معه ما لحقها من الكلال . والإبل مفتونة الآذان بالغناء والصوت الحسن .

(٣) هذا البيت فى أول الشعر ، لا فى آخره ، يصف فيه الوتد يدق فى الأرض فيتشعث رأسه ، أى يتفرق ويتنكث . والرمة : القطعة من الحبل . والتقليد ، من قلده : أى وضع فى عنقه مثل القلادة . يقول : لم يبق فى أرض الدار بعد نزوح أهلها غير الأثافى ، وغير آثار اللعب ، وغير هذا الوتد المشجوج الرأس فيه بقايا حبال كانت تشد إليها بيوت مى وأهلها .

(٤) اللمة : الشعر إذا طال وألم بالمنكب ، وهو الوفرة . وأبو الغراف : هو هذا الراوى الذى يكثر ابن سلام الرواية عنه .

(٥) دارأه : خالفه ونازعه وشاغبه وماراه . والحكم بن عوانة بن عياض الكلبى (جمهرة الأنساب : ٤٢٨) ، ولى السند ، ثم ولاه هشام بن عبد الملك خراسان سنة ١٠٩ ، (انظر الطبرى ٨ : ١٩٣ ، وابن كثير ٩ : ٢٥٩ ، وعيون الأخبار ١ : ٣٣٨) ومما استظهرته من شعر ذى الرمة ، أن ذا الرمة دخل السند ، وأصفهان وخراسان ، فلا أدرى فى أيها لقى الحكم بن عوانة ؟

فلو كنتَ من كَلْبٍ صحيحاً هَجَوْتكمْ ... جميعاً، ولكن لا إخالُكَ من كَلْبِ (١)

ولكنَّما أُخبِرْتُ أنكَ مُلصَقٌ ... كما أُلْصِقَتْ مِن غيرِها ثُلْمةُ القَعْبِ (٢)

تَدَهْدَى، نَخَرَّتْ ثُلْمةٌ من صَحِيحِهِ ... فَلُزَّ بأُخْرَى بالغِراءِ وبالشَّعْبِ] (٣)

٧٠٩ ــ (٤) حدَّثنى أبو الغرَّاف قال : دَخل ذُو الرُّمة على بِلال بن أَبى بُرْدة ، وكان بِلالٌ راويةً فصيحاً أديباً ، فأنشَد [بِلالٌ] أبياتَ حاتِمِ طَيِّئٍ :

لَحَا اللهُ صُعْلوكاً ، مُناهُ وهَمُّه ... من العَيْشِ أنْ يَلْقَى لَبُوساً ومَطْعَما (٥)

يَرَى الخِمْسَ تَعْذِيباً، وإنْ يَلْقَ شَبْعةً ... يَبِتْ قلبُه من قلّةِ الهمِّ مُبْهَما (٦)

---

(١) ديوانه : ٥٣ . صحيح : يعنى صحيح النسب لا عيب فيه ولا علة ولا مغمز ، ورواية الديوان « صميما » ، وهو المحض الخالص النسب . ويظهر من خبر جاء فى عيون الأخبار أنه كان يلمز فى نسبه قال : « قال رجل للحكم بن عوانة وهو على السند : إنما أنت عبد . فقال الحكم : والله لأعطينك عطية لا يعطيها العبد . فأعطاه مئة رأس من السبى » .

(٢) الملصق : الرجل المقيم فى الحى وليس منهم بنسب ، وهو الدعى أيضاً . ثلمة الإناء : موضع الكسر من شفته . والقعب : القدح . وسيتم فى البيت التالى صفة هذا القدح المكسور .

(٣) دهدهت الحجر ودهديته ، فتدهده وتدهدى : دحرجته فتدحرج من أعلى إلى أسفل . والياء فى الثانية محولة من الهاء فى الأولى لقرب شبهها بها ولينها . وخر : سقط وانكسر . ورواية الديوان « ثلمة من صميمه » وهما سواء . ولز الشىء يلزه : شده وألصقه . والغراء : الذى يلصق به . والشعب : إصلاح الإناء إذا انكسر، ولأم ما تكسر منه، أو زيادة شعبة توافقه إذا بقيت فيه ثلمة . يقول : إنك ملصق إلصاق هذه الثلمة بشفة الإناء ، جاهد الشعاب فى لأمها بالغراء ، ولكنها لا تلبث إذا شددت عليها قبضتى أن تنكسر ، فأنت بين الإلصاق بكلب ، يغنينى ظهور أمرك عن هجاء من ادعيت النسب إليهم .

(٤) رواه أبو الفرج فى الأغانى ١٦ : ١١٧ ، والعسكرى فى التصحيف والتحريف : ٢١ .

(٥) ديوان حاتم : ٢٥ ، ونوادر أبى زيد : ١١١ . لحاه الله : قبحه ولعنه ، وأصله من لحوت الشجرة : قشرت لحاءها ، كأنه يدعو عليه بالفضيحة التى تهتك ستره . الصعلوك : الفقير الذى لا مال له ، وليس بذم . وصعاليك العرب : ذؤبانها ، وهم الفقراء يلتمسون عيشهم من الغارة ، وهم مع ذلك أشراف النفوس . واللبوس : ما يلبس من الثياب .

(٦) الخمس : أن تشرب الإبل يوم وردها ، ثم تظل فى المرعى ثلاثة أيام سوى يوم الصدر ، وترد اليوم الرابع . والخمص (بفتح فسكون) والخمص (بفتحتين) : دقة خلقة البطن وضمر الحشا .

فقال ذو الرمة : «[يَرَى] الخَمْصَ تعذيباً» . و [إنَّما] الخِمْس للإبل ! وإنما هو خَمْصُ البُطون ! فَمَحِكَ بلالٌ ، وكان مَحِكاً[١] ، وقال : هكذا أنشدَنيهما رُوَاة طَيِّئٍ . فَرَدَّ عليه ذُو الرمة ، فمَحِك . فدخل أبو عَمْرو بن العلاء ، فقال له بلال : كيف تُنْشِدُهما ؟ وعرف أبو عمرو الذى به ، فقال : كِلَا الوجْهَيْن . فقال : أتأخذون عن ذِى الرُّمة ؟ قال : إنه لَفصيحٌ ، وإنَّا لنأخُذ عنه بتمريض . وخرجا من عندِه ، فقال ذو الرُّمة لأبى عمرٍو : و [والله] لوْلا أَنِّى أعْلَمُك حَطَطْتَ فى حَبْلِه وقلتَ فى هواهُ ، لهجَوْتُكَ هَجْواً لا يَقْعُد إليك معه اثنان[٢] .

---

(١) محك : نازع فى الكلام وتمادى فى اللجاجة .

(٢) تمريض الشىء : توهينه ، يقول نأخذ عنه على ضعف نعرفه فيه وبعد عن الصواب . حط فى هواه : أسرع فيه ووافقه . وحطت المرأة إلى الشاب : مالت إليه ونزلت بقلبها . ورواية المطبوعتين والأغانى والعسكرى « حطبت فى حبله » ، وهى مشهورة المعنى ، أى أعنت الحاطب فجمعت له فى حبله ما يحب من الحطب . ورواية الأغانى « وملت فى هواه » ، وهذه أجود .

الطَّبقة الثّالثة

من الإسلاميين

٧١٠ — كَعْب بن جُعَيْل بن قُمَيْر [بن عُجْرَة بن عَوْف بن مالك
ابن بَكر بن حُبَيْب بن عَمْرو بن غَنْم بن تَغْلِب بن وَائِل] .

٧١١ — وعمرو بن أحمر بن العَمَرَّد [بن تَمِيم بن ربيعة بن حَرام
ابن فِراص بن معْن الباهِلِيّ][1] .

٧١٢ — وسُحَيْم بن وَثِيل [بن أُعَيْفر بن عَمْرو بن إهَاب بن حِمْيَرِيّ
ابن رِماح بن يَرْبُوع][2] .

٧١٣ — وأوْس بن مَغْرَاء ، [من قُرَيْع بن عَوف بن كَعْب
ابن سَعْد][3]

* * *

٧١٤ — وكَعْب بن جُعَيل : شاعر مُفْلِق قَدِيمٌ فى أوَّل الإسْلام ،
[أقدمُ من الأخْطل والقُطامىّ ، وقد لَحِقَا به وكانا معه ، وهو يقول :

---

(١) الاختلاف فى نسب ابن أحمر كثير ، انظر المؤتلف والمختلف للآمدى ٣٧ ، ومعجم الشعراء للمرزبانى : ٢١٤ .

(٢) فى سياقة نسبه اختلاف فراجعه ، فى الجمهرة : ٢١٥ ، والخزانة ١ : ١٢٨ .

(٣) لم يأت له ذكر فى المطبوعتين ، وفى المخطوطة خرم بعد رقم : ٧١٧ .

وأَبيضَ جِنِّيٍّ عَلَيْــــهِ سُمُوطُهُ مِنَ الإنْسِ فى قَصْرٍ مُنِيفٍ غَوارِبُهْ (١)

تَدَلَّيْتُهُ سَقْطَ النَّدَى بعد هَجْعَةٍ فَبِتُّ أُمنِّيهِ المُنَى وأُخالِبُهْ (٢)

بما يُنزِلُ الأَرْوَى من الشَّعَفِ العُلَى وَمَا لَوْ تَسَنَّى حَيَّةً مالَ جانِبُهْ (٣)]

---

(١) وأبيض : أى شخصاً أبيض ، وإن كان يعنى صاحبته التى سيذكرها بعد ، فذكر الضمير . وجنى : منسوب إلى الجن ، وهم خلق الله الذى ستره حتى يرانا من حيث لا نراه . والنسبة إليه يراد بها الحسن . كما قالوا فى كل حسن عبقرى ، وهو نسبة إلى جن عبقر . وقد قال محمد بن بشير الخارجى فى ذكر امرأة أيضاً (الأغانى ١٤ : ١٥٠) .

جِنِّيَّةٌ ، أَوْ لَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُها رَمْىَ القلوبِ بقَوْسٍ ما لها وَتَرُ

وقول جرير :

عُلِّقْتُ جِنِّيَّةً ضَنَّتْ بنـائِلِها من نِسْوَةٍ زانَهُنَّ الدَّلُّ والخَفَرُ

يقول جنية الحسن والجمال ولكنها من الإنس. والسموط جمع سمط : وهو قلادة منظومة من لؤلؤ أو غيره . منيف : عال مشرف ، من ناف الشىء وأناف : طال وارتفع. والغوارب جمع غارب : وهو أعلى الظهر ، يريد عالية ذراه وقبابه . يصفها بأنها من بيت سيادة وشرف ، فهى محجبة منيعة لا تنال .

(٢) دلاه بحسن حديثه يدليه : أطمعه وغره حتى أوقعه فيما يريد من تغريره قال تعالى « فدلاهما بغرور » ، وأصله من دلى الشىء فى المهواة ، كالبئر وغيره ، أرسله إرسال الدلو . وجاء كعب بن جعيل فبنى من « دلاه » أى حمله على التدلى فيما يهوى ، وهى عربية محكمة البناء . يقول : أغريتها حتى تدلت إلى من قصرها المنيف . سقيط الندى وسقط الندى : ما سقط منه ، يقول : تدلت من القصر خفية الحركة لم يشعر بها أحد ، كما لا يسمع لسقوط الندى حس ، وذلك أبلغ فى اهتمامها بأمره وشدة شغفها به . بعد هجعة : أى بعد نومة خفيفة فى أول الليل . خالب المرأة يخالبها : خادعها بألطف القول والرقة حتى يسلبها قلبها وعقلها .

(٣) الأروى (اسم جمع) واحدته الأروية : وهى الوعل يسكن فى رؤوس الجبال ، معتصما أبداً بها والشعف جمع شعفة : وهى رأس الجبل وقنته . والعلى جمع العليا . يقول : خلبت قلبها بحديث ينزل الوعول المنيعة من رؤوس الجبال، من شدة فتنتها به . وسنى الحية وتسناها : رقاها وصوت بها يدعوها ويرفق بها حتى تخرج إليه . ومثل هذا قول العجاج يصف شبابه واستمالته قلوب الغوانى (ديوانه : ٦٦) :

وقد يُسامِى جِنَّهُنَّ جِنِّى فى غَيْطَلاتٍ من دُجَى الدُّجُنِّ

بمنطِقٍ ، لو أننى أُسَــنِّى حَيَّاتِ هَضْبِ جِئْنَ ، أو لَوَأْنِّى

أَرْقِى به الأَرْوَى ، دَنَوْنَ مِنِّى

يقول كعب : وخلبت قلبها بحديث لو دعوت به حية لخرجت إلى من جحرها ، مسحورة بحلاوته .

نَدِمْتُ عَلَى شَتْمِ العَشِيرَةِ بَعْدَ ما ... مَضَى وَاسْتَتَبَّتْ لِلرُّوَاةِ مَذَاهِبُهْ(١)

فَأَصْبَحْتُ لَا أَسْطِيعُ رَدًّا لِمَا مَضَى، ... كما لا يَرُدُّ الدَّرَّ فى الضَّرْعِ حالِبُهْ(٢)

مُعَاوِىَ أَنْصِفْ تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ ... مِنَ النَّاسِ، أَوْ دَعْهَا وحَيًّا تُضَارِبُهْ(٣)

قَلِيــلٌ عَلَى بابِ الأَمِيرِ لُبَاثَتِى ... إِذَا رَابَنِى بابُ الأَمِيرِ وحَاجِبُهْ(٤)

وَلَمَّا تَدَارَوْا فى تُرَاثِ مُحَمَّــدٍ ... سَمَتْ بِابْنِ هِنْدٍ فى قُرَيْشٍ مَضَارِبُهْ(٥)

---

(١) الأبيات الثلاثة السالفة لم أجدها فى مكان . أما الأبيات الأربعة التالية فى معجم الشعراء : ٣٤٤ ، والبيتان الأولان منها فى حماسة البحترى : ١٣٨ ، والشعر والشعراء : ٦٣٢ منسوبة خطأ لعميرة ابن جعيل . والبيت الأخير فى معجم البلدان ١ : ١٦٢ ، وفى تسعة أبيات أخرى من هذه الكلمة ، فى وقعة صفين لنصر بن مزاحم : ٦٣٢ . والأبيات الأخيرة ليست متتابعة ولا متصلة السياق ، ولذلك فصلت بينها .

استتب الطريق : إذا خد فيه السيارة خدوداً وشركا ، فوضح واستبان لمن يسلكه ، كأنه تبب من كثرة الوطء وقشر وجهه ، فصار ملحوباً بيناً من جماعة ما حواليه من الأرض . وأخذ منه استتب الأمر : إذا استوى واستقام . يقول : ندمت على هجاء عشيرتى بعد أن ذهب الشعر كل مذهب على ألسنة الرواة ، فلا أملك له ردا .

(٢) الدر : اللبن يحلب فيسيل من الضرع . والضرع : ثدى ذات الخف والظلف ، يدر منه لبنها.

(٣) تغلب : رهط كعب . يقول : أنصفها أو دعها تنتصف لنفسها بالقتال .

(٤) لبث بالمكان لبثاً ولباثاً ولباثة : مكث وأقام . يقول : إذا وجدت على ما يريبنى على باب الأمير ، أو وجدت من حاجبه جفوة ، أنفت لنفسى ففارقته غير متلبث .

(٥) قبل هذا البيت بيت لا يتم معناه إلا به ، وهو قوله ، يذكر موقف أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص فى التحكيم :

كَأَنَّ أبا مُوسَى عشيّةَ أَذْرُحٍ ... يَطُوفُ بلُقْمَانَ الحكيمِ يُوَارِبُهْ

تداروا : أصلها تدارأوا ، فسهل الهمزة . وتدارأوا فى الأمر : تخاصموا فيه وتنازعوا . والمضارب جمع مضرب (بكسر الراء) : وهو المنصب والأصل . يقال فلان كريم المضرب : أى الأصل والمحتد . وأصله من قولهم فى المجاز : « بين فلان وبينهم ضربة رحم » أى وشيجة رحم . وابن هند : معاوية بن أبى سفيان بن حرب ، وأمه هند بنت عتبة رضى الله عنهم . وهذا البيت مما عد من غلو كعب بن جعيل فى تفضيل معاوية على على رضى الله عنهما . ولا ينكر أحد ما لبنى أمية من الشرف فى الجاهلية والإسلام ، ولم يرد كعب تفضيلهم فى النسب على بنى هاشم ، فهذا أمر لا ينبغى له .

٧١٥ — [وكَعْبٌ يقولُ فى عُبيد الله بن عُمر بن الخطَّاب ، وقُتِلَ بِصِفِّينَ وهو مع مُعاوية ، قَتَلَه بنو شَيْبان[(١)] :

أَلَا إنَّما تَبْكى العيُونُ لِفَارسٍ ... بِصِفِّينَ أَجْلَتْ خَيْلُهُ وَهْوَ وَاقِفُ[(٢)]

تَبدَّلَ مِن أَسْماءَ أَسْيافَ وَائِلٍ ... وكانَ فَتًى ، لَوْ أَخْطأَتْه المَتالِفُ[(٣)]

تَرَكْنَ عُبيْدَ اللهِ بالقَاعِ مُسْنَدًا ... تَمُجُّ دَمَ الجَوْفِ العُرُوقُ النَّوازِفُ[(٤)]

تَخلَّقَ عنْهُ جَيْبُ دِرْعٍ حَصِينَةٍ ... وَأَىُّ فَتًى، لوْ أَخْطأَتْه المآلِفُ[(٥)]

---

(١) قتل عبيد الله بن عمر فى ربيع الأول سنة ٣٦ ، واختلف فيمن قتله اختلافاً كبيراً ، انظر المراجع الآتية .

(٢) روى بعض هذا الشعر فى أبيات كعب فى وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم : ٣٣٦ ، ٤١٠ وشرح نهج البلاغة ١ : ٤٩٨ ، وابن كثير ٧ : ٢٦٥ ، والطبرى ٥ : ١٢ ، ٢٠ . أجلى القوم عن الرجل وعن القتيل : تفرقوا وانفرجوا وولوا مسرعين . يذكر بأسه وجلاده فى الحرب ، فرت عنه فوارسه وبقى وحده يقاتل .

(٣) أسماء بنت عطارد بن حاجب بن زرارة التميمى ، كانت تحت عبيد الله بن عمر هى وبحرية بنت هانىء بن قبيصة الشيبانى ، فأخرجهما معه إلى الحرب لينظرا إلى قتاله ، فذلك إشارة كعب إلى أسماء. وزعم ابن أبى الحديد أن هذا البيت دليل على أن الذى قتله من بنى وائل . يقول : كان يرجو أن تحف به أسماء وجواريها وسائر نسائه ، فاستبدل بهن أسيافاً حفت به فأوردته حياض الموت . والمتالف : المهالك المتلفة .

(٤) تركن : يعنى السيوف . القاع : الأرض الواسعة السهلة المطمئنة المستوية ، ويعنى بها مكان المعركة . مسند : صريع ملقى على الأرض كأنه أسند إليها . ويروى « مسلماً » : أى أسلموه للموت و « ثاوياً » : أن مقيما لا يبرح . مج الشراب من فيه : رماه ولفظه ، ثم استعير لسيلان الدم من العروق شيئاً بعد شىء لا يحتبس . نوازف جمع نازف ، من نزفه الدم : سال حتى يفرط .

(٥) تخلق عنه : أظنه بناه على تفعل من قولهم خلق الثوب وأخلق واخلولق : بلى وصار أخلاقاً ، أى مزقاً مقطعة . يعنى تمزق عنه . ولم يرد فى كتب اللغة . ويروى « تحلل عنه » ، وهى بينة المعنى . وجيب الدرع والقميص : موضع التقوير منه عند العنق والصدر . حصينة : محكمة تمنع لابسها أن يصاب . والشطر الثانى اختلف فى روايته ، رواه نصر بن مزاحم « ويبدين عنه بعدهن معارف » ، ورواه ابن أبى الحديد « وأنكر منه بعد ذاك معارف » . والمآ لف ، فى رواية ابن اسلام : أظنها جمع مؤلفة ، وأراد المنايا لأنها تألف الناس ويألفونها منذ كان أبوهم آدم عليه السلام .

وحَافَظَ صَدْرٌ مِنْ رَبيعَةَ طائدٌ ... وطارَ الوَشيظُ عَنْهُمُ والزَّعانِفُ(١)

إذا قيلَ : أىُّ النّاسِ شرٌّ قبيلةً ؟ ... بَنِى أسدٍ إنّى لِمَا قيلَ عارِفُ(٢)

أغَرْتم علينـــا تسرِقُونَ عِيابنَا ، ... وَما إنْ لنا فى بَطْنِ صِفِّينَ قائِفُ(٣)

* * *

٧١٦ — وسُحَيْمُ بن وَثِيلٍ الرِّياحى ، شَريفٌ مَشهورُ الأمرِ فى الجاهليَّةِ والإسْلام ، جيِّدُ الموضِعِ فى قوْمِه ، شاعرٌ خِنْذِيذٌ(٤) . وكان الغالبَ عليه البَدَاءُ والخُشْنةُ(٥) ، وهو الذى ناحرَ غالبَ بن صَعْصَعة

---

(١) هذا البيت لم يرد فى المراجع السالفة ، وهو مقطوع المعنى عما قبله ، وأحسب أنه يقع بعد هذين البيتين :

وقد صَبَرَتْ حَوْلَ ابْنِ عَمِّ محمَّدٍ ... لَدَى الموتِ شَهْباءُ المناكِبِ شَارِفُ

وفَرَّتْ تميمٌ سَعْـدُها ورِبابُها ... وخَالَفَتِ الخضراءُ فِيمَنْ يُخالِفُ

وكانت ربيعة يومئذ ميسرة أهل العراق ، وكان عبيد الله بن عمر حمل عليهم مع ذى الكلاع الحميرى . وطائد : ثابت ، من طاد الشىء : ثبت . والوشيظ : لفيف من الناس ليس أصلهم واحد ، أو هم دخلاء فيهم ليسوا من صميمهم . والوشيظ : الحشو والخسيس أيضاً . الزعانف جمع زعنفة : وهم رذال الناس ، وأصله أجنحة السمك . انظر قول الطبرى فى خبر ذلك اليوم (٦ : ١٩) : « فثبتت لهم ربيعة وصبروا صبراً حسناً ، إلا قليلا من الضعفاء والفشلة . وثبت أهل الرايات وأهل الصبر والحفاظ منهم فلم يزولوا ، وقاتلوا قتالا شديداً »

(٢) رواه نصر بن مزاحم :

ألَا إنَّ شَرَّ النَّاسِ فى النَّاسِ كُلِّهم ... بَنُو أَسَدٍ ، إنِّى لما قُلْتُ عَارِفُ

(٣) هذا البيت يروى فى قصيدة أبى الجهم الأسدى فى رده على كعب . القائف : الذى يعرف آثار وطء الأقدام ، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه . قاف الأثر يقوفه قيافة : تتبعه ليعرف من هو . يسخر منهم ويهزأ بهم ، يقول : لا نبالى بما يسرق ، شغلنا عن سرقاتكم بالقتال .

(٤) هذه الفقرة نقلها البغدادى فى الخزانة ١ : ١٢٨ ، وانظر التعليق على الشعر والشعراء : ٦٢٦. الخنذيذ : الشاعر المجيد المنقح المفلق . وأصله من الفحل من فحول الخيل الجياد .

(٥) البداء : أراد البداوة ، أى غلب عليه جفاء أخلاق أهل البادية وخشونتها . والخشنة مصدر خشن الشىء خشنة وخشانة وخشونة .

– أبا الفرزدق – بالكوفة ، أيام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . تفاخرا ، وقد أقدما جلباً لهما ، فتناحرا ، فجعل غالبٌ لا يفرسُ ، وجعل سُحيم يفرسُ . فقيل له : أتجارى هوجَ بنى دارم ؟ أقلِعْ . وغدا الناسُ بالمُدَى والجفانِ ليأخذوا اللحمَ ، فقال علىّ : أيها النّاس ! لا تأكلوا منه فإنه ممّا أُهِلّ لغير الله به . فارتدع النّاس[١] .

٧١٧ –[٢] قال : كان عثمانُ بن عفّان رضى الله عنه استعمل سَمُرةَ بن عمرو بن قُرْط بن جابر بن جُنْدُبٍ العنبرىّ – وفى ولده وأُسْرته شرفٌ إلى اليوم ، فقيل لهم بنو السَّمُرات – فاستعمله على هوامِى عمرو بن تميم وفلْجٍ وما يليها[٣] . فكان لا يُخبَرُ بضالّةٍ فى قوم إلّا أخذها فعرّفها . فكان من ذهبتْ له ضالّة طلبها عِنْده . فبلغه أنّ ناقةً فى إبل بنى وثيلٍ ، فأتاهم وأعبُدٌ معه ، وليسَ هُناك من بنى وثيلٍ أحدٌ ، وأُمُّهم ليلى بنتُ شدّادٍ ، من بنى حِمْيرىّ بن رِياح بن يربُوع ، عجوزٌ كبيرةٌ فى غِلْمة لهم ،

---

(١) روى خبر المعاقرة بطوله أبو عبيدة فى النقائض : ٤١٤ ، ٦٢٥ ، ١٠٧ وأبو على القالى فى أماليه ٣ : ٥٢ ، وأبو الفرج فى الأغانى ١٩ : ٥ . ناحره : باراه فى نحر الإبل . وفرس الذبيحة يفرسها : وذلك أن ينخعها – أى ينتهى بالذبح إلى النخاع الذى فى فقار الصلب . ثم يقطع نخاعها ويفصل عنقها ، وذلك هو الفرس . وقد كره فرس الذبائح ونخعها . والهوج جمع أهوج : وهو الأحمق المتسرع القليل الهداية . أهل لغير الله به : ما ذبح لغير الله ، من وثن أو غيره ، يسميه الذابح عند الذبح أو ينوى به قصده .

(٢) هذا الخبر لم أجده بعد بتمامه ، ولكن انظر الإصابة ٣ : ١٣١ .

(٣) الهوامى جمع هامية : وهى الإبل المهملة بلا راع تذهب فى الأرض . همت الناقة : ذهبت على وجهها فى الأرض لرعى أو غيره ، مهملة بلا راع ولا حافظ . وفلج : واد بين البصرة وحمى ضرية ، من منازل عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، وهو أول الدهناء .

فقال : أعرِضُوا علىَّ الإبل ، فأبتْ . فأخذَ ليَعرِضَها ، فأهْوَتْ له ، فدفَعها ، فقالتْ : فَمِي ! فَمِي ! وزَعَمُوا أن ثَنِيَّتيْها قد كانتا سَقَطتا قبلَ ذلك بزَمانٍ[١] . فلما رَأى ذلك سَمُرة لَها عنها وترَكَ الإبلَ . فلما قدم سُحَيم بن وَثِيلٍ إلى أُمِّه أَخبرته الخبر ، فسكتَ حتَّى يَلْقَى عُبيدةَ بن غاضِرة بن سَمُرَة ، فصرَعه فدَقَّ فَمَه ، فاُسْتعدَى عليه سَمُرةُ اُبنَ عَفَّانٍ — وكان عُثمان إذا عاقَبَ بالَغ — فأُشْخِص سُحَيْم إليه إلى المدينة ، وحُبِستْ إبلُه حتَّى ضاعت ، فقال لعُثمان: ياأمير المؤمنين ، إنه كَسَر فَمَ أُمِّي ! فقال : أَلَّا اُسْتَعْدَيت عليه ؟ وقال عثمان : لأَقْطعنّ منك طابَقاً أو يَرْضَى سَمُرة[٢] .

وصادَف سُحَيم بن وَثِيلٍ يزيدَ بنَ مَسْعود بن خالد بن مالك بن رِبْعىّ بن سُلْمَى بن جَنْدَل — أخا لَيْلى بنْتِ مَسْعود ، أُمِّ عُبيدالله بن علىّ بن أبى طالب — ونُعيماً أبا قُرّان اليَرْبوعى، فقاما بأمْرِ سُحَيم ، وحَمَلا للعَنْبَرِىّ مِئةً من الإبل[٣] ، فقالَ فى ذلك سُحَيْم بن وَثِيل :

كَفانِى أَبو قُرَّانَ ، نَفْسِى فِداؤُه ، ومَنْ يكُ مَوْلاهُ فلَيْسَ بِواحِدِ][٤]

---

(١) عرف الضالة واللقطة : ذكرها وطلب من يعرفها بصفتها . الثنية واحدة الثنايا : وهى من الإنسان أربع فى مقدم فيه ، ثنيتان من فوق ، وثنيتان من أسفل .

(٢) استعدى عليه السلطان : رفع إليه خصمه واستنصره واستعانه لينصفه منه . الطابق : العضو من أعضاء الإنسان كاليد والرجل ونحوهما . وشويت طابقاً من شاة : أى مقدار ما يأكل منه اثنان أو ثلاثة .

(٣) يزيد بن مسعود ، ينتهى نسبه إلى : « جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم » . وأبو قران : نعيم بن قعنب بن عتاب (وأمه أرنب بنت حرملة بن هرمى ، فيقال له : قعنب بن أرنب) بن الحارث بن عمرو بن همام بن رياح بن يربوع .

(٤) بعد هذا خرم فى المخطوطة إلى مكان نذكره فى رقم : ٠٧٣٦

٧١٨ — وسُحَيْم بن وَثِيلٍ القائلُ :

أنا ابْنُ جَـلا وطَلَّاعُ الثَّنايَا ... مَتى أَضَعُ العِمامةَ تَعْرِفُونِي(١)

أَلَمَّ تَرَ أَنَّنِى فى حِمْـيَرِيٍّ ... مَكانَ اللَّيْثِ مِنْ وَسَطِ العَرِينِ(٢)

عَذَرْتُ البُزْلَ إنْ هى خاطَرَتْنِى ... فَما بالِى وبالُ ابْنَىْ لَبُونِ(٣)

وَماذَا يَغْمِزُ الأَعْداءُ مِـنِّى ... وقَدْ جاوَزْتُ رأْسَ الأَرْبَعِينِ(٤)

* * *

٧١٩ — وعَمْرُو بن أحْمَرَ صَحِيحُ الكلامِ كَثيرُ الغَرِيب ، وهو القائلُ :

إنَّ الفَتَى يُقْتِرُ بَعْدَ الغِنَى ، ... ويَغْتَنِى من بَعْدِ ما يَفْتَقِرْ(٥)

---

(١) مضى خبر هذه الأبيات فى رقم : ٦٩ ، ص : ٥٩ . ورويت القصيدة فى الأصمعيات : ٧٣ . والخزانة ١ : ١٢٦ ، ٣ : ٤١٤ ، وحماسة البحترى : ١٣ . ابن جلا : واضح الأمر ، ومثله ابن أجلى . وهو مقصور من الجلاء ، وهو بيان الأمر ووضوحه ، وهو مثل فى ظهور الشىء ووضوحه وشهرته . والثنايا جمع ثنية : وهى الطريق فى الجبل . يعنى أنه يسمو إلى معالى الأمور لا تشق عليه . وكانت شجعان العرب يلبسون عمائم مشهرة الألوان فى الحرب يعرفون بها فى الأحياء ، فيكون طلبهم للشهرة بها أدل على أنهم لا يبالون من شدة بأسهم . ومنه قيل فارس معلم . (انظر ما مضى فى شرح رقم : ٦٦٨)

(٢) حميرى بن رياح بن يربوع ، رهط سحيم . والعرين : مأوى الأسد . والأسد يسكن الأجم والغاب والشجر المجتمع ذا الشوك . يقول : نحن فى عزة ومنعة من قومنا لا يبلغ إلينا معتد ولا باغ .

(٣) مضى شرحه فى ص : ٥٩ رقم : ٥ .

(٤) مضى أيضاً هناك بغير هذه الرواية . غمز الكبش والناقة يغمزها : وضع يده على ظهرها وعصره ، لينظر قوتها أو ضعفها ، وسمنها أو هزالها . يقول : لا ينفع أعدائى شيئاً أن يجربوا أو يختبروا قوتى ، فقد استحكمت واشتد عودى على الجلاد .

(٥) هذه الأبيات من قصيدة له وصف فيها القطا فأحسن ، ومما يزيد حزنى أننا لا نجد فيما بقى من شعرهم مثل هذا الكلام النبيل . وقد رأيت منها أبياتاً فى المعانى الكبير : ٣١٢ ، ٤٤٥ ، ١٢٠٩ ، ١٢٦٧ ، وفى اللسان مادة (رنا) وفى الحيوان ٥ : ٣٤٤ ، وفى معجم الشعراء : ٢١٤ . أقتر الرجل : افتقر وضاق رزقه .

وَالحىُّ كالمَيْتِ ، وَيبْقَى التُّقَى ، والعَيْشُ فَنَّانِ : فَحُلْوٌ ومُرّْ
إمَّا على نَفْسِي وإمَّا لهَـا ، فعَايِشِ النَّفْسَ وَفيهـا وَقرْ[(١)]
هَلْ يُهْلِكَنِّى بَسْطُ مافى يَدِى ، أَوْ يُخْلِدَنِّى مَنْعُ ما أَدَّخِرْ ؟
أوْ يَنْسَأَنْ يَوْمِى إلى غَيرِه أَنِّى حَوالِىٌّ وَأنِّى حَـذُِرْ ؟[(٢)]
ولَنْ تَرَى مِثْلِىَ ذا شَيْبَةٍ أَعْلَمَ ما يَنْفَعُ مِمَّا يَضُرّْ[(٣)]

* * *

. . . .(٤)

. . . .

---

(١) هكذا هى فى الأصلين بالقاف . ولم أجد لها معنى ولا أصلا . وربما حسن أن يقرأها القارىء « وفيها وتر » بالتاء ، يشبهون أنفسهم بالقوس الموترة ، لأنهم يرامون بها إلى أوطارهم ، ويدفعون أعداءهم ، ويكسبون بها معايشهم . فكأنه قال : ما دامت فيها بقية تعين على التصرف فى الحياة . ولم أجد البيت فى مكان بعد .

(٢) نسأ الله أجله وأنسأه : أخره ومد فى عمره . ورجل حول وحوالى : جيد الرأى والحيلة بصير بتحويل الأمور . ويروى هذا البيت « حذر » بفتح فضم ، وهو الحذر المتيقظ المتحرز .

(٣) قال المرزبانى فى معجم الشعراء : « أى أعلم منى بما ينفع مما يضر » .

(٤) سقط من شعراء هذه الطبقة « أوس بن مغراء » ، ولم أجد له خبراً عن ابن سلام يغنى إثباته .

الطبقة الرابعة

من الإسلاميين

٧٢٠ — نَهْشَلُ بن حَرِّىّ ، أحدُ بنى نَهْشَل بن دارِم(١) .

٧٢١ — وحُمَيْد بن ثَوْرٍ الهِلالىّ .

٧٢٢ — والأَشْهَبُ بن رُمَيْلة .

٧٢٣ — وعُمَر بن لَجَإٍ التَّيْمِىّ ، من تَيْم الرِّباب .

* * *

٧٢٤ — فنَهْشَلُ بن حَرِّىّ : شاعرٌ شَريفٌ مشهور . وأبوه حَرِّىّ : شاعرٌ مذكور . وجدُّه ضَمْرَةُ بن ضَمْرَةَ : شَريفٌ فارسٌ شاعرٌ بعيدُ الذِّكْر كبيرُ الأمر . وأبو ضمرة : ضَمْرةُ بن جابرٍ : سيِّدٌ ضَخْمُ الشَّرَف بَعيدُ الذِّكْر . وأبوه جابر : له ذِكْرٌ وشُهْرةٌ وشَرَفٌ . وأبوه قَطَنٌ : له شَرَفٌ وفَعالٌ وذِكْرٌ فى العرب . فهم سِتَّة كما ذكرنا ، لا أعلم فى تَميم رَهطاً يتَوالَوْن توالِىَ هؤلاء .

٧٢٥ — ونهشَلُ بن حَرِّىّ الذى يقول :

إذا كُنْتَ جارًا لِامْرِئٍ فأَرْهَبِ الخَنا ... على عِرْضِه ، إنَّ الخنا طَرَفُ الغَدْرِ(٢)

---

(١) حرى : منسوب إلى الحرة ، على وزن برى .

(٢) الأبيات الثلاثة الأولى فى مجموعة المعانى : ٥٤ . الجار هنا : الذى يجير ، فينزل الناس فى جواره فيمنعهم مما يمنع منه أهله وولده . الخنا : أفحش القول وأقبحه . يقول : إذا نزل بك ضيف فجاورك ، فنزه لسانه عن عرضه ، فإن سب الضيف والوقيعة فيه ضرب من الغدر .

وَذُدْ عَنْ حَرَاهُ ، ما عَقَدْتَ حِبالَه بِحَبْلِكَ ، وأسْتُرْهُ بما لكَ من سِتْرِ (١)

وجَارٍ منَعْناه مِنَ الضَّيْمِ والعِدَى ، وجِيرانُ أقوامٍ بِمَدْرَجَةِ الدَّهْرِ (٢)

ويَوْمٍ ، كأنَّ المُصْطَلِينَ بِحَرِّهِ ، وإنْ لمْ تَكُنْ نارٌ، قُعُودٌ على جَمْرِ (٣)

صَبَرْنا لهُ حتَّى يَبُوخَ ، وإنَّما تُفَرَّجُ أيَّامُ الكَرِيهَةِ بالصَّبْرِ (٤)

* * *

٧٢٦ — وحُمَيْد بن ثَوْرٍ القائل :

قَلِيلُ المِعَى ، إلَّا مَصيراً يَبُلُّهُ دَمُ الجَوْفِ أو سُؤْرٌ من الحَوْضِ ناقِعُ (٥)

---

(١) الحرا : الناحية والجناب ينزله الرجل ، يقال : نزل بحراه : أى بناحيته وساحته . يقول : ادفع عن حوزته ، ما دمت جاراً له ، فإن الجوار عهد وثيق .

(٢) وجار : أى ورب جار ، للتكثير . والجار هنا : المستجير والضيف . والضيم : الظلم ، ضامه حقه : نقصه إياه وظلمه . والعدى : الأعداء . والمدرجة : الطريق التى يدرج عليها الناس والدواب والرياح . وأراد بمدرجة الدهر : أنهم عرضة للمصائب والنوازل والمظالم ، لا يدفعون عنهم .

(٣) وهذان البيتان فى حماسة ابن الشجرى : ٥٩ ،والشعر والشعراء : ٦١٩ ، والخزانة ١ : ١٥١ ، وشرح الحماسة ١ : ٢٠١ . يصف يوماً شديد الحر . اصطلى بالنار يصطلى : تسخن بها واستدفأ ، وإنما أراد شدة ما يقاسى من فيحها . ضربه مثلا لشدة الأمور النوازل وصبرهم على كفاحها .

(٤) باخت النار وباخ الحر والغضب وغيرها : فتر وسكن فوره . وهذا مثل جيد .

(٥) من شعر فى مجموع ديوانه ١٠٣–١٠٦ ، يصف الذئب . وهذه أبيات غير متتابعة . المعى : أعفاج البطن وجمعه الأمعاء . وجعله قليل المعى ، من شدة الجوع فهو ضامر مطوى البطن . المصير : الواحد من أمعاء البطن ، وجمعه مصران ثم مصارين . والسؤر : البقية من الماء وغيره . ناقع : طال مكثه فى الحوض ، لأنه فى أرض موحشة لا يردها أحد . من قولهم نقع الماء فى الغدير : اجتمع وثبت وطال مكثه . يقول : بقى جائعاً فى أرض موحشة ، فلا يبل ظمأه إلا ما بقى فيه من رطوبة دم جوفه ، أو ما يصيبه من ماء قديم بقى فى حوض .

تَرَى طَرَفَيْهِ يَعْسِلَانِ كِلاهُما ، كَما اُخْتَبَّ عُودُ السَّاسَمِ المُتَتابِعُ [١]
يَنامُ بِإحْدَى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِى الْـمَنَايا بأُخْرَى، فهُوَ يَقْظانُ هَاجِعُ [٢]

* * *

٧٢٧ — والأَشْهَبُ بن رُمَيلة ، ورُمَيْـلة أمّه ، وأبُوه ثَوْرٌ . وكان الأَشْهَبُ شاعراً ، وكان يهاجى الفَرَزْدَق ، وهو أحدُ بَنى نَهْشَل بن دَارِم .

٧٢٨ — وكان له أخٌ يُدْعى زَبَابًا ، وكان من أشدِّ النَّاس وأخْبَثِهم ، وكانَ الفرزدَق يَفرَقه فَرَقًا شديداً [٣] ، وفيه يَقولُ الأَشْهب :

---

(١) الطرفان : يعنى مقدم الذئب ومؤخره . عسل الذئب : عدا مسرعاً فاضطرب فى عدوه ، فهز رأسه واطرد متنه . وعسل الرمح أيضاً : اشتد اهتزازه واضطرب ، لأنه لين لدن . واختب : اضطرب واهتز ، من الخب وهو الاضطراب ، وليست فى كتب اللغة المعروفة . ويروى « اهتز » . والساسم : شجر عتيق العيدان من شجر الجبال ، تتخذ منه القسى والسهام . وأراد هنا بعود الساسم : قدح السهم . والمتتابع (بالباء الموحدة) : الذى يهتز إذا هز فى قذفه ، فيتابع بعضه فى بعض من لينه واستوائه ، وقال بعضهم « المتتايع » بالياء المثناة ، وهو خطأ محض ، بل الصواب قول أهل اللغة : « غصن متتابع » بالباء الموحدة : إذا كان مستوياً لا أبن فيه . وهو قول مختصر . ومثل هذا المعنى جاء فى شعر جرير مقلوب التشبيه قال :

بكلِّ رُدَيْنيٍّ تطارَدَ متنهُ كما اُختَبَّ سِيدٌ بالمرَاضَيْنِ لاغِبُ

تطارد : تتابع متنه إذا هز . وعنى بقوله « اختب » : اهتز من عدوه ، كما شرحناه آنفاً . والذئب إذا جاع فضمر ، كان ذلك أشد لاضطراب متنه إذا عدا .

(٢) قال الجاحظ فى الحيوان ٦ : ٤٦٧ : « وتزعم الأعراب أن الذئب ينام بإحدى عينيه ، ويزعمون أن ذلك من حاق الحذر » ، وقد رد هذا القول ، وأصاب ، فإنه أراد أن يصف شدة حذره ، وسرعة يقظته ، ودقة حسه ، حتى إذا أحس ركزاً بعيداً تنبه تنبه اليقظان المتأهب .

(٣) فى الأغانى ٩ : ٢٦٩ — ٢٧٢ « رباب » وهو خطأ يصحح . وقد ذكره جرير فى شعره ، وذكر خوف الفرزدق منه فقال :

وقد أخزاكَ فى ندَوَاتِ قَيْسٍ وفى سَعْدٍ، عِياذُكَ من زَبَابِ

وكان من هجاء الفرزدق له بعد موته ، وقد ذكره فيها مرات ، قوله :

دَعا دعْوَةُ الحُبْلَى زَبابُ، وقد رَأى بنى قَطَنٍ هزُّوا القَنـا فتزعزعا

فنقضها عليه الأشهب بالشعر الآتى ، ورثى أخاه .

وقائلةٍ تنعى زباباً، وقائلٍ : جزى اللهُ خيراً ما أعفَّ وأمنعا ! (١)
وأطعنَ في الهيجا، وأضربَ في الوغى، وأطعمَ إن أمسى المراضيعُ جُوَّعا (٢)
شمتَّ ابنَ قينٍ أنْ أصابتْ مُصيبةٌ كريماً، ولم يتركْكَ الدهرُ مَسْمعا (٣)
كريماً حماكَ الدهرَ طولَ حياتِه، وأنتَ لئيمٌ، مَنْبتَ الحَمضِ أجمعا (٤)
أعينيَّ، قلَّتْ أُسوةٌ منْ أخيكما بأن تسهرا الليلَ التِّمامَ وتدمعا (٥)

---

(١) لهذه الأبيات خبر طويل ذكره أبو الفرج فى أغانيه ٩ : ٢٦٩ — ٢٧٢ ، وفى الأغانى أربعة أبيات أخرى لم يروها ابن سلام ، وهى مختلفة الترتيب والرواية . ومختصر خبر هذه الأبيات أن بنى قطن بن نهشل بن دارم وبنو زيد بن نهشل وبنو مناف بن دارم كانوا حلفاء ، وكان بنو جندل بن نهشل (رهط الأشهب وأخيه زباب) وبنو جرول بن نهشل وبنو صخر بن نهشل (وهم الأحجار كما سيأتى) حلفاء أيضاً ، فاجتمعوا على ماء ، فكان بينهم نزاع ، فاقتتلوا فضرب زباب بن رميلة رجلا من بنى قطن يقال له : أبو بدال نسير بن صبيح ، ضربة لا يدرى معها أيعيش أم يموت ، فنشب بينهم قتال ، ثم تحاجزوا ، على أن يدفع الأشهب أخاه زباباً إلى بنى قطن حتى يتبين أمر أبى بدال . فلما مات ، اقتصت بنو قطن فقتلوا زباباً بأبى بدال ، وذلك فى زمن الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه .

(٢) المراضيع والمراضع جمع مرضع : وهى التى معها رضيع ترضعه . يقول : هو أسمح الناس يداً فى زمن القحط والشتاء ، إذ يقل ما فى أيدى الناس حتى تجوع المراضع ، ومن عادة الناس أن يقدموا المراضع على أنفسهم فى زمن الجدب ، لحاجة الصغار لألبانهن .

(٣) ابن قين : يعنى الفرزدق ، وقد مضى سبب نبزه بذلك فى ص : ٢٦٦ رقم : ٥ . ويقال : له فى الناس سمع وسماع : أى ذكر مسموع ، وصيت حسن جميل ، ومثله فيما أظن : له فى الناس مسمع : أى ذكر . يقول له : إنما تشمت بموت الكرام الذين سار ذكرهم فى الناس ، لأنك خامل ميت الذكر ، فأنت تحسدهم وتشمت بموتهم

(٤) الحمض : كل نبات لا يهيج فى الربيع ويبقى على القيظ ، وفيه ملوحة ، إذا أكلته الإبل شربت عليه ، وإذا لم تجده رقت وضعفت . والعرب تقول : الحمض فاكهة الإبل وخمها . (انظر : ص : ٢٥٨ رقم : ٤) يقول : كان من عزته وذلك يمنعك من مرعى الحمض ، فلا تجد لماشيتك مرعى ترعاه .

(٥) الأسوة : المساواة والمشاركة ، يقال : القوم أسوة فى هذا الأمر ، أى حالهم فيه واحدة . وليل التمام : أطول الليالى ، وقد مضى تفسيرها (ص ٢٥٨ رقم : ١) . يقول لعينيه : لا يغنى سهركما ولا بكاؤكما شيئاً ، فإنى لم أواسه بنفسى ولم أنصفه ، لبقائى بعد هلاكه .

قَتَلْنَا زَعِيمَ القَوْمِ لاَ خَيْرَ بَعْدَهُ ، ولَمْ يَكُ فى الأَحْجَارِ مَنْعٌ فأَمْنَعا[١]
إِذَا ما ذَكَرْنا مِنْ أَخِينَا أَخاهُمُ رَوِينَا، ولَمْ نَشْفِ الغَلِيلَ فَيَنْقَعا[٢]

الأَحْجَار : صَخْرٌ ، وجَنْدَلٌ ، وَجَرْوَلٌ ، بنو نَهْشَل[٣] . وغُلِّبَ الفَرَزْدق على الأَشْهَبِ وفضِّل عَلَيْه[٤] .

* * *

٧٢٩ — وأما عُمَرُ بن لَجَأٍ : فحدّثنى أبُو الغَرَّاف قال : قدِمَ لُقْمان الخُزَاعىّ على صَدَقات الرِّبابِ ، فكانَتْ وُجُوهُ الرِّبابِ تحضُرُه وفيهم عُمَر بن لَجَأ بن حُدَيْر ، أحدُ بنى مَصَادٍ[٥] ، فأنشدَه يوماً :

تَأَوَّبَنِى ذِكْرٌ لِزَوْلَةَ كالخَبْلِ وماحَيْثُ تُلْقَى بالكَثِيبِ ولاَالسَّهْلِ[٦]

---

(١) زعيم القوم : يعنى أبا بدال نسير بن صبيح ، من بنى قطن كما مر آنفاً . والأحجار : يأتى تفسيرها بعد . منع : أى قوة تمنع من يريد أن ينال منهم ما لا ينبغى أن يعطى . يعتذر مما فعل من إسلامه أخاه لبنى قطن حتى قتلوه بقتيلهم .

(٢) « من » فى قوله « من أخينا » للبدل ، كما فى قولهم تعالى « وَلَو نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلاَئِكَةً فى الأَرْضِ يَخْلُفُونَ » أى بدلا منكم . والغليل : حر الجوف من ظمأ أو امتعاض أو ضغن أو حزن أو حب . وشفى غليله : أذهبه وأبرأه كأنه داء كان يأكله ، فقالوا منه : شفى غيظه واشتفى وتشفى . نقع من الماء ونقع به : روى . وشرب حتى نقع : أى شفى غليله وارتوى . وهو فى هذين البيتين ينصف أبناء عمه ، فيمدح قتيلهم ويحمد مكانه ويمجده ، ويقول : إذ ذكرنا زباباً الذى قتل بأبى بدال ، رضينا لأنه كفء له ، ولكن غلل الصدر لا يشفيه تكافؤهما ، فإن فى أخى فضلا لا ينسى .

(٣) سموهم الأحجار بمعنى أسمائهم . وجندل واحدتها جندلة : وهى صخرة يطيق الرجل حملها . وجرول واحدته جرولة : وهى صخرة ملء الكف إلى ما أطاق الرجل أن يحمل .

(٤) أظن أن هذه الجملة الأخيرة تدل على أنه كان فى أصل ابن سلام شعر الفرزدق الذى رده عليه الأشهب ، ثم اختصرها النساخ أو بعض الرواة ، كما سترى ذلك من فعله فى آخر الفقرة : ٧٢٩ .

(٥) هذا الخبر رواه أبو عبيدة فى النقائض : ٤٨٧ بتمامه ، والخزانة ١ : ٣٦١ ، والموشح : ١٢٧ وفى النقائض : « بن جرير » ، وفى الجمهرة : ١٨٩ « جدير » ، والصواب ما جاء فى شرح القاموس (لجأ) .

(٦) المراجع السالفة ، ومعجم البلدان ٦ : ٦٠ . آبه الهم وتأوبه : جاءه ليلا . وزولة : اسم صاحبته . والخبل (بسكون الباء وفتحها) : الجنون ، ثم يقول : ليس مكان لقائها بكثيب ولا سهل ، بل هى فى حمى منيع من جبال سيذكرها بعد .

تَحُلُّ ، ورُكْنٌ مِنْ طَمِيَّةَ دُونَها وَجَوٌّ قَسًا مِمَّا يَحُلُّ بِهِ أَهْلِى (١)

تُرِيدِينَ أَنْ أَرْضَى وأنتِ بَخِيلَةٌ ! وَمَنْ ذَا الَّذِى يُرْضِى الأَخِلَّاءَ بِالبُخْلِ ؟ (٢)

فقَالَ لُقْمَان : ما زِلْنَا نَسْمَع بالشَّام أنَّها كلمةُ جَرِيرٍ . وأبلغَ لُقْمانُ جريراً فقالَ : زَعَمَ أَنَّكَ سَرَقْتَها مِنْه ! فقال جرير : وأنا أحْتَاجُ أن أسرِقَ قولَ عُمَر ! وهو القائِلُ وقد وَصَفَ إِبلَه : — فذكر قِصَّة قدْ ذكَرها ابنَ سلَّام عَن أبى يَحْيَى الضَّبِّىّ فى أَخبارِ جَرِير (٣) .

٧٣٠ — قال فرَدَّ عليه عُمر بن لَجأٍ :

أُنْبِئْتُ كَلْبَ كُلَيْبٍ قَدْعَوَى جَزَعاً وكلُّ عاوٍ بِفِيهِ التربُ والحجَرُ (٤)

قدْ لُمْتَنى ظالماً فى سُنَّةٍ سَبَقَتْ : أَنَّ الكُلَيْبِىّ لم يُكْتَبْ لهُ الظَّفَرُ (٥)

---

(١) النقائض « ظمية » وفى معجم البلدان : « من طمية حزنها و جرفاء مما قد يحل به أهلى » وطمية : جبل فى ديار بنى أسد . وقساً : قارة ببلاد بنى تميم بها قبر ضبة بن أد . والجو : ما اطمأن من الأرض واتسع وبرز ، يضيفونه إلى أمكنة كثيرة .

(٢) هذا البيت فى شعر لجرير فى ديوانه : ٤٦٠ ، وقد مضى فى رقم : ٥١٤ .

(٣) اختصر الناسخ أو راوى هذا النسخة رواية أبى الغراف ، وقد رواها أبو عبيدة فى النقائض : ٤٨٧ بمثل لفظها هنا ، عن المنتجع بن نبهان العدوى ، ولكنى لم أستحسن إدخال كلام على كلام لا أدرى كيف كانت رواية أبى الغراف فيه . والبتر ظاهر فى الفقرة الآتية ، فارجع إلى النقائض . وخبر جرير وعمر بن لجأ قد مضى فى رقم : ٥٣٢

(٤) بل هو رد على قول جرير الذى مضى فى رقم : ٥٣٣ وكليب بن يربوع : رهط جرير . بفيه الترب والحجر : دعاء عليه بالخيبة والخسار والذلة .

(٥) يشير إلى تفضيله الفرزدق وتغليبه على جرير ، ويقول له : تلك سنة قد مضت فى بنى كليب أن يخفقوا أبداً و يتخلفوا فى المباراة ، فلومك لى ظلم ، فما قلت إلا ما دربت عليه أنت وآباؤك .

هِبْتَ الفَرَزْدقَ واُستَبْعَثْتَنى عَبَثًا   لِلموْتِ تعمِدُ، والمَوْتُ الّذِى تَذرُ(١)

فاُخْسأ ، لعَلّكَ تَرْجو أن يَحُلَّ بنا   رَحْلُ الفرَزْدَق لمّا مسَّكَ الدَّبرُ(٢)

٧٣١ — ومن قوله :

أَجَدَّ القَلْبُ هَجْرًا واُجْتِنابًا   لِمَنْ أَمْسَى يُواصِلُنا خِلابًا ؟(٣)

وَمَنْ يَدْنُو ليُعْجِبَنَا ويَنْأَى ،   فقدْ جَمَعَ التَّدَلُّلَ والـكِذابَا !(٤)

ألا تَجْزِينَ مَنْ أَثْنَى عليْكِمُ   وأحْسَنَ حِينَ قالَ وما اُسْتَثابا؟(٥)

---

(١) هذا البيت من أربعة أبيات فى النقائض : ٤٨٩ ، جاءت فى سياق هذه القصة التى اختصرها الراوى . وروايته « واستعفيتنى جزعاً » . واستبعثه : استثاره ، من قولهم : بعث الشر : أثاره وهيجه . ولم يرد فى كتب اللغة ، وهو قياس صحيح . ولو كانت « واستبغيتنى » أى طلبتنى ، لكانت جيدة المعنى ، أى طلبت هجائى ، وهو الموافق لسياق قصتهما . أما « استعفيتنى » فغير واضحة المعنى هنا . يقول له : هجوتنى لأهجوك ، لما هبت الفرزدق ، وكلانا موت مميت لك .

(٢) اخسأ : كلمة زجر ، يقول تنح ذليلا صاغراً مطروداً . والدبر : الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة من الحمل والرحل والقتب . ومسه الجهد والعذاب : آذاه أذى شديداً . وكنى بقوله : « رحل الفرزدق » عن هجائه الغليظ الفادح ، يقول : لعلك ترجو باستثارتك لى أن أهجوك ، فيغضب لك ابن عمك الفرزدق فيقصدنى بالهجاء . واعلم أن الفرزدق فى أول تهاجى جرير وابن لجأ ، غضب لجرير وحمى أنفه أن يتعلق به التيمى ، كما مضى فى رقم : ٥٤٠ ، فمن أجل ذلك أراد ابن لجأ أن يرفق بالفرزدق حتى يكون له لا عليه ، وكذلك كان بعد .

(٣) لم أجدها فيما بين يدى من الكتب ، ولعلها مطلع قصيدته التى نقضها جرير بقوله (ديوانه : ٢٢) :

أهاجَ البرقُ ليلةَ أذْرِعاتٍ   هَوًى ما تستطيع له طِلابَا

أجد أمره : أحكمه وعزم عليه واجتهد فيه . الخلاب والخلابة : المخادعة حتى ينال المرء ما يريد . يقول : عزمت على فراق من جعل وصاله لى خداعاً ، وهو لا يريد الوفاء لمن واصله .

(٤) أعجبته المرأة : حملته على العجب بحسنها ، ومثل ذلك قولهم : تعجبته فلانة : فتنته وتصبته . والرجل عجب نساء : يحب محادثتهن والجلوس معهن ولا يأتى الريبة . والكذاب : الكذب . يقول : تواصلنى لتفتننى ثم تبعد وتهجر ، فهى بين دلال وخداع ، لا تصدق فى حبى كما أصدق فى حبها .

(٥) يقال : ذهب مال فلان فاستثاب مالا : أى استرجع مالا ، وأراد لم ينل منكم خيراً ولا ثواباً ، جزاء على حبه وحسن ثنائه .

تَصَدَّتْ بَعدَ شَيْبِكَ أمُّ بَكْرٍ   لِتَطْرُدَ عَنْكَ حِلْماً حين ثَابَا[١]

بِجِيدِ غَزَالِ مُقْفِرَةٍ ، وماحَتْ   بِعُودِ أَرَاكَةٍ بَرَدًا عِذَابَا[٢]

كأنَّ سُلافَةً خُلِطَتْ بِمِسْكٍ   لِيَغْلِبَهَا ، وكان لها قِطَابَا[٣]

شَذَا فِيهَا — إذا ما بَيَّتَتْهَا   فَرَادَ الزَّوجُ وَالْتَثَمَ الرُّضَابَا[٤]

---

(١) الحلم : الأناة والصبر والتثبت والركانة ، وذلك شعار العقلاء ، وهو ضد السفه والطيش . ثاب : رجع . يقول : تعرضت لك بعد الشيب لتستخفك وتزدهيك وتذهب بلبك .

(٢) مقفرة : يعنى رملة مقفرة ، وظباؤها أكرم الظباء وأحسنهن أعناقاً (انظر ص : ٢٤٥ رقم : ١) . وماح فاه بالسواك يميحه ميحا : شاصه وسوكه ، فاستخرج ريقه ، كأن السواك يميح كما يميح الذى ينزل فى البئر فيغرف الماء فى الدلو . والبرد : الثلج الأبيض ، وهو حب الغمام ، شبه ثناياها به . والأراك مضى ذكره فى ص : ٢٥٨ رقم : ١ .

(٣) السلافة : أجود الخمر وأخلصها ، وذلك إذا تحلب من العنب بلا عصر ، ولم يعد عليه الماء بعد تحلب أوله . قطب الشراب يقطبه قطباً : مزجه بالماء . والقطاب : المزاج فيما يشرب وما لا يشرب . يقول : إن ريح فمها ريح خمر قد أجيد خلطها بالمسك . قال القائل :

بآنسةِ الحديثِ رُضابُ فيها   بُعَيْدَ النوم كالعنبِ العصيرِ

(٤) لم أجد هذا البيت ، وقد أجهدنى . وهو فى الأصل هكذا :

بذاقنها إذا ما بينتها   سواد الزوج والتثم الرضابا

وهو كلام لا محصل له . واستبحت لنفسى أن أضع هذا مكانه ، لئلا يختل معنى الشعر على قارئه ، وكأنه أقرب إلى الصواب . والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة ، أو رائحة المسك خاصة . وقوله « شذا فيها » خبر « كأن » فى البيت السالف . وبيت الشىء : أمسكه طول الليل وأبقاه ، ومنه ماء بيُّوت : بات فبرد . وراد الرجل يرود : إذا قلق ولم يطمئن وتقلب فى فراشه من هم أو شاغل . ورجل رائد الوساد : إذا لم يطمئن عليه لهم أقلقه . والتثم : طلب لثمه أى تقبيله . ولم أجد هذا البناء فى كتب العربية ، ولكن هذا تأويله إذا صحت الرواية ، وهو بناء جيد لا غبار عليه . ويقول عمر بن أبى ربيعة :

فلثمت فَاهَا آخِــذاً بقُرونِها   شُرْبَ النّزيف ببرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ

فاللثم : أشد التقبيل حتى يمتزج الريقان . والرضاب : الريق المتحلب . وقوله «شذا فيها» آخر المعنى فى البيت السالف . ثم بدأ فقال : « إذا مابيتها . . .» وجواب « إذا » قوله فى البيت التالى «كفى فوها . . .».

لِيَغْتَبِقَ العُلَالَةَ مِنْ نَدَاها ، كَفَى فُوهـــا لِمُغْتَبِقٍ وَطَابا[١]

أَسِيلَةُ مَعْقِدِ السِّمْطَيْنِ مِنهَا ، وَرَيًّا حَيثُ تَعْتَقِدُ الحِقابا[٢]

إذا مالتْ رَوادِفُهـــا بِمَتْنٍ كَغُصْنِ البانِ فاضْطَربَ اضْطِرابا[٣]

تَهادَى فى الثِّيابِ كما تَهادَى حَبابُ الماءِ يَتْبَعُ الحَبَابا[٤]

---

(١) اغتبق الخمر واللبن : شربهما بالعشى ، وهما الغبوق . العلالة : البقية من كل شىء ، يريد البقية من ريقها . الندى : البلل وما يسقط بالليل ، وأراد ريقها بعد ما نامت . ومعنى الأبيات جملة : أن رضابها كالخمر ممزوجة بالمسك ، فإذا بات رضابها فى فمها طاب وكان خير غبوق لزوجها إذا نبا به فراشه مما أسكره من ريحها ، فالتمس تقبيلها والتزود منها . وهذا ما استطعت أن أبلغه فى تحقيق هذه الأبيات والله المستعان .

(٢) هذا البيت فى شعر جرير ديوانه : ٦٥ . أسيلة : لطيفة طويلة مسترسلة سبطة ، وقالوا خد أسيل ، وكف أسيلة الأصابع ، ووصف به هنا الجيد والعنق . وهو حسن . والسمط : نظم من لؤلؤ وزبرجد أو سواهما ، وإذا كانت القلادة ذات نظمين ، فهى ذات سمطين . وأراد بقوله « معقد السمطين » حيث يعقدا ويعلقا ، أى عنقها وجيدها . وريا : بضة ممتلئة ناعمة لينة . وعقد الشىء واعتقده ، بمعنى واحد . والحقاب : خيط تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلى ، تشده على وسطها . يصفها بتمام الخصر ولينه. وفى المطبوعتين « حين تعتقد » وهو خطأ .

(٣) ردف المرأة : كفلها وعجيزتها ، وجمعه أرداف ، وروادف كأنه جمع رادفة ، وإن لم يستعملوا واحده . والمتن : ما امتد من الظهر والصلب ، وهو قامة الإنسان . والبان : شجر يسمو ويطول فى استواء ، ولاستواء نباتها ونبات أفنانها وطولها ونعمتها ولينها ، شبه الشعراء الجارية الناعمة الفارعة بها فقالوا : كأنها بانة ، وكأنها غصن بان . يصفها بامتلاء أردافها ، فإذا مشت مالت واهتزت كأنها غصن بان تفيئه الرياح من لينه وتثنيه .

(٤) قوله « تهادى » جواب « إذا » فى البيت قبله . وتهادى حذفت إحدى تاءيها ، أصلها « تتهادى » . وتهادت المرأة فى مشيتها : تمايلت قليلا فى سكون وخيلاء ، والتهادى أحلى مشيهن ، ولكن نساء زمننا يردن أن يمشين مشياً مذكراً ! وقوله « تهادى فى الثياب » مما لا يفرغ المرء من حسنه ودقته . وحباب الماء : طرائقه التى تراها فى الماء إذا ضربته الريح يتبع بعضها بعضاً ، حتى يرى الماء كأنه وشى يتموج . وهذه صفة رائعة لمشيهن .

تَرَى الخَلْخَالَ والدِّمْلاجَ مِنها ... إذا ما أُكْرِها نَشِبا فغَابا[1]

إذا ما الشَّىْءُ لم تَقْدِرْ علَيْهِ ... فلا ذِكْرًا لِذاكَ ولا طِلَابا[2]

---

(١) الدملاج هكذا فى الأصلين ، ولم أجده فى شىء من كتب العربية ، وإنما هو الدملج والدملوج : وهو سوار أملس يوضع فى العضد ، واسمه المعضد (بكسر الميم) ، والخلخال فى الساق. وقد ضبطته على وزن أشباهه ، مثل قولهم : عنقود وعنقاد ، بكسر العين . ونشب الشىء فى الشىء : علق فيه ، كما ينشب البازى مخالبه فى الأخيذة . يصف امتلاء عضدها ولينه ، فإذا أكره الدملج فى العضد انضم عليه لحمها وغاب فيه . وفى الأصول « نشبا فهابا » وهو خطأ .

(٢) يقول إذا رأيت شيئاً لا تقدر عليه فدعه ، لا تذكره ولا تطلبه . ونصب « فلا ذكراً . . . » على إضمار الفعل .

الطبقة الخامسة

من الإسلاميين

٧٣٢ — أبو زُبَيْد الطَّائىّ ، واسمه حَرْمَلة بن المُنْذِر .

٧٣٣ — والعُجَيْر بن عَبد الله السَّلولِىّ .

٧٣٤ — وعبدُ الله بن هَمَّام السَّلولىّ .

٧٣٥ — ونُفَيْع بن لَقِيط الأَسَدىّ .

* * *

٧٣٦ — [١]أخبرنا أبو خَلِيفة ، أخبرنا محمّد بن سلّام ، أخبرنا أبو الغرّاف قال : كان أبو زُبَيْد الطائىّ من زُوَّار الملوكِ ، ولملوكِ العجَم خاصَّةً ، وكان عالماً بسِيَرِها. وكان عُثمان بن عَفَّان يُقرِّبُه على ذلك ويُدْنيه ويُدْنى مجلِسَه، وكان نَصْرانِيًّا. فحضرَ ذات يوم عُثمانَ[٢] وعندَهُ المُهاجِرون والأنْصار ، فتذاكرُوا مَآثِرَ العرب وأشعارَها ، فالتفتَ عُثمان إلى أَبى زُبَيْد فقال : يا أخا تُبَّع المَسِيح ، أَسْمِعْنا بعضَ قوْلِك ، فقد أُنْبِئْتُ أنَّك تُجيد[٣] . فأنشدَه قصيدتَه التى يقول فيها :

مَنْ مُبلِغٌ قومَنا النَّائين إذْ شَحَطُوا ... أَنَّ الفُؤادَ إليْهِم شَيِّقٌ وَلِعُ[٤]

---

(١) هذا الخبر رواه أبو الفرج بتمامه فى أغانيه ١١ : ٢٣ مع بعض الاختلاف فى لفظه .

(٢) انتهى الخرم الذى بدأ منذ رقم : ٧١٨ .

(٣) تبع جمع تابع ، وتبع أيضاً ، كخادم وخدم . والقول : يريدون به الشعر .

(٤) ذكرها صاحب شعراء النصرانية فى كتابه (قسم المخضرمين) : ٦٧

ووصَفَ فيها الأسَد . فقال عثمان : تالله تَفْتأُ تذكُرُ الأسَد ما حييتَ ! والله إنّي لأَحْسِبُك جبانًا هِدانًا[١] ! فقال : كلاَّ يا أميرَ المؤمنين ، ولكنّي رأيتُ منه مَنظراً وشَهدتُ منه مَشهَدًا لا يَبْرح ذِكْرُه يتجدَّدُ في قلبي ، ومَعذورٌ [أنا] يا أميرَ المؤمنين غيرُ مَلُوم . فقال عثمان : وأنَّى كان ذلك ؟ قال : خرجتُ في صُيَّابةِ أَشرافٍ من أفْناءِ قبائلِ العرَب ، ذوى هَيئة وشَارةٍ حَسَنة ، تَرْتَمى بنا المَهارَى بأَكْسائِها ، ونحن نريدُ الحارثَ بن أبي شَمِر الغَسَّانىّ ملكَ الشَّام[٢] . فاَخرَوَّط بنا المَسيرُ في حَمارَّةِ القَيْظ ، حتى إذا عَصَبَت الأفواهُ ، وذَبَلَتِ الشِّفاهُ ، وشَالَتِ المِياهُ ، وأذكَتِ الجوزاءُ المِعزاءَ ، وذَابَ الصَّيهَدُ ، وصرَّ الجُندُبُ ، وضَافَ العُصفُورُ الضَّبَّ في جُحْرِه - أو قال في وِجارِه[٣] - قال قائلنا : يا أيُّها الرَّكْبُ !

(١) الهدان : البليد الوخم الثقيل فى الحرب .

(٢) صيابة : خيار الناس وأخلصهم نسباً . أفناء القبائل : أخلاط منهم ، وقد قالوا : رجل من أفناء القبائل : لا يدرى من أى قبيلة هو ، وليس هذا بمراد هنا . الشارة : اللباس الحسن الجميل . ارتمت بهم : أسرعت بهم وقذفتهم من بلد إلى بلد . والمهارى جمع مهرية : وهى إبل عتاق منسوبة إلى مهرة بن حيدان ، قبيلة من اليمن . والأكساء جمع كسء : وهو مؤخر كل شيء يقول : تمضى بنا مسرعة متتابعة يتوالى بعضها فى أدبار بعض .

(٣) اخروط به السير : امتد وطال . حمارة القيظ : شدته كأنه حمى حتى احمر . عصب الفم : يبس ريقه وجف من عطش أو خوف حتى لصق بعضه ببعض . ذبلت : الشفاه : جفت من الحر . شالت المياه : قلت ونشفت . أذكى النار : أوقدها وألقى فيها ما يسعرها . والجوزاء : نجم معروف ، وهو من بروج الشمس ، وهو آخر بروج الربيع ، وهو من زمن القيظ ، فإذا انتقلت منه وحلت بأول السرطان كان ذلك منتهى صعودها فى القيظ . والمعزاء : الأرض الحزنة الغليظة الكثيرة الحصى . يقول : توقد الحصى من وقدة الشمس . ذابت الشمس : اشتد حرها ، كأنهم نظروا إلى لعابها يسيل ، فقالوا ذابت . والصيهد : شدة الحر . وصر الجندب يصر صريراً : صوت بصوت ممتد حديد . والجندب : صغار الجراد أو ضرب منه ، وهو إذا رمض فى شدة الحر لم يقر على الأرض وحرك رجليه وجناحيه فتسمع له صريراً ، فمن ذلك قالوا فى المثل : صر الجندب ، ضربوه مثلا للأمر يشتد حتى يقلق صاحبه . وضاف الرجل : نزل ضيفاً عليه . والوجار : الجحر .

غوِّرُوا بنا فى ضَوْجِ هذا الوَادِى(١) . وإذا وادٍ قُدَيْدِيمَتَنا كثيرُ الدَّغَل ، دائِم الغَلَلِ ، شَجراؤه مُغِنَّة ، وأطياره مُرِنَّة ، فحططنا رَواحِلنا فى أُصُول دَوْحَاتٍ كَنَهْبَلاتٍ ، وأصَبْنا مِنْ فَضَلاتِ الزَّاد ، وأتبعناها الماءَ البارِدَ(٢) . فإنَّا لنَصِفُ حرَّ يومِنا و مُماطَلَتَه ، إذْ صَرَّ أَقْصَى الخيلِ أُذُنيه ، وفَحَصَ الأرضَ بيديه . فواللهِ ما لَبثَ أن جَالَ ، ثم حَمْحَم فبال ، وفَعَلَ فِعْله الذى يَليِهِ واحدًا فواحدًا . فتضَعْضَعَتِ الخيلُ ، وتَكَعْكَعَتِ الإبل ، وتَقهقَرَتِ البِغال ، فمن نافِرٍ بِشِكَالِه ، وناهِضٍ بعِقالِه ، فعلمنا أن قد أُتينا وأنه السَّبُعُ(٣) . ففزِعَ كلُّ أمرىءٍ منّا إلى سَيْفِه فاسْتَلَّه من جُرُبَّانِه ، ثم وقفنا زَرْدقاً .

---

(١) غور القوم : إذا نزلوا للقيلولة نصف النهار ، والغائرة : القائلة . يقال : غوروا بنا فقد أرمضتمونا : أى انزلوا وقت الهاجرة حتى تبرد . ومنه التغوير : وهو النومة القليلة عند القائلة . وضوج الوادى : وهو منعرجه حيث ينعطف إذا انتهى من بين جبلين متضايقين ثم اتسع .

(٢) قديديمتنا : قدامنا وأمامنا ، منصوب على الظرفية . والدغل : الشجر الكثير الملتف المشتبك . والغلل : الماء الذى يتغلل الأشجار فيسيل ظاهراً على وجه الأرض ظهوراً قليلا ، وليس له جرية ، فيخفى مرة ويظهر مرة . الشجراء : الأشجار المتكاثفة ، وهو اسم مفرد يراد به الجمع . أغن الوادى فهو مغن : إذا أخصب وأعشب ، فكثر ذبابه ، فسمعت لطيرانه بين العشب والشجر غنة ، وهو الصوت المعروف . أرنت الطير : غنت أو بكت ، من الرنة : وهى صوت فى فرح أو حزن . وفى المخطوطة « مربة » بالباء ، وليست بشىء ، و إن كانت صحيحة المعنى ، من أرب بالمكان : أقام فيه ولزمه . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة ، من أى الشجر كانت . الكنهبل ، واحدته كنهبلة : شجر عظام من العضاه ، وهو الذى ذكره امرؤ القيس فى قوله :

فأضحَى يَسُحُّ الماءَ عن كلِّ فِيقَةٍ يَكُبُّ عَلَى الأذقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

(٣) المماطلة : التسويف والمدافعة عن أداء الحق فى موعده ، وأراد تطاوله كأنه لا يريد أن يزول . صر الفرس أذنيه : حد دأنيه وشدهما ونصبهما للتسمع ، وهى تفعل ذلك عند المخافة . وفحص الأرض : ضربها بقدمه كأنه يحفرها ويقلب ترابها ، وذلك عند الفزع . جال : دار فى مكانه من القلق . وحمحم : صوت صوتاً دون الصهيل ، كأنه يكتمه فى صدره . والفرس يبول من الفزع . تضعضعت : ذلت وخضعت من الخوف . وتكعكعت : أحجمت وتأخرت إلى وراء من شدة الهيبة . والشكال : قيد تشد به قوائم الفرس ، أى هب ليعدو وهو مقيد بشكاله .

فأقبل يَتظالع من بَعيد كأنه مَجْنُوبٌ أو فى هِجارٍ ، لِصَدْرِه نَحِيطٌ ، ولبَلاعِيمِه غَطيطٌ ، ولِطَرْفه وَمِيضٌ ، ولأرْسَاغه نَقِيضٌ ، كأنَّما يَخْبط هَشِيماً ، وإنما يطأُ صَرِيماً[1] . فإذا هامَةٌ كالمِجَنِّ ، و [إذا] خدٌّ كالمِسَنِّ ، وعَيْنانِ سَجْراوان، كأنهما سِراجَانِ يَقِدَان ، وقَصرَةٌ رَبِلَةٌ ، ولِهْزِمَةٌ رَهِلَة، وكَتِدٌ مُغْبَط ، وزَوْرٌ مُفْرَط ، وساعدٌ مَجْدولٌ ، وعَضُدٌ مَفْتُول ، وكَفٌّ شَثْنَةُ البَرَاثِن ، إلى مَخالِبَ كالمَحاجِن[2] . فضَربَ بيديه فأرْهَجَ، وكَشَرَ فأفْرَجَ ، عن أنيابٍ كالمَعاوِلِ مَصْقُولَةٍ غير مَفْلُولة ، وفَمٍ أشْدَقَ ، كالغارِ الأخْرَق . ثمّ تمطّى فأشْرَعَ بيديه ، وحفَزَ ورِكَيه بِرِجْلَيْه ، حتى صارَ

---

(١) الجربان : غمد السيف . وزردق : صف مستو . ظلع وتظالع : مال كأنه يعرج وغمز فى مشيته ، وتلك مشية الأسد فى تيهه . والمجنوب : الذى به ذات الجنب ، وهى قرحة تصيبه فى جنبه فيشتكى منها ، والمجنوب يمشى فى شق ، يميل من شدة الألم . والهجار : حبل يعقد فى يد البعير ورجله فى أحد الشقين ، ثم يشد إلى رأسه ، وهو بخلاف الشكال والعقال ، ومشية المهجور فيها غمز وميل . والنحيط : زفير ثقيل من الغيظ . والبلاعيم جمع بلعوم : وهو مجرى الطعام فى الحلق . والغطيط : هو الصوت الذى يخرج مع نفس النائم والمخنوق ، يتردد ولا يجد مساغاً . والنقيض : صوت مفاصل الإنسان والحيوان إذا أثقله الحمل . خبطه بقدمه : وطئه فكسره . والهشيم : الشجر اليابس . فى الأغانى وفى المطبوعتين وفى المحاسن والأضداد : ٧٤ « أو يطأ صريما » ، ولست بشىء ، ورواية المخطوطة هى حق المعنى . والصريم : الرملة المنقطعة من معظم الرمل . يقول : يسمع صوت نقيض أرساغه كأنه يطأ هشيما ، وإنما هو يطأ الرمل .

(٢) الهامة : الرأس . والمجن : الترس العريض . والمسن : الحجر الذى يسن عليه السيف والسكين وغيرهما ، وهو أملس ، يصف خده بالملاسة . وعين سجراء : فيها سجرة : وذلك أن تخالط بياضها أو سوادها أو زرقتها حمرة يسيرة . وقد السراج يقد ، وتوقد : تلألأ . والقصرة : العنق وأصل الرقبة . وربلة : ضخمة كثيرة اللحم . واللهزمة : مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن من اللحى عند أصول الحنكين . ورهلة : مضطربة مسترخية من رخاوتها وسمنها . والكتد : مجتمع الكتفين ما بين الكاهل إلى الظهر . مغبط : مرتفع ممتلىء كأنه غبيط ، وهو رحل للنساء يشد عليه الهودج . والزور : ملتقى أطراف عظام الصدر . ومفرط : ممتلىء باللحم . مجدول : تام حسن الطى كأنه مفتول . والشثنة : الخشنة الغليظة . البراثن للأسد : كالأصابع للإنسان ، وفيها المخالب ، وهى الأظفار .والمحاجن جمع محجن : وهى عصا معقوفة الرأس .

ظِلُّه مِثْلَيْه . ثم أقْعَى فاقْشَعَرّ ، ثم تميَّل فاكْفَهَرّ ، ثم تجهَّمَ فازْبأَرّ[١] . فلا وَالَّذِى بَيْتُه فى السَّماءِ ما اتَّقَيْناه إلا [بأوَّل] أخٍ لنا من بَنى فزَارة، كان ضَخْمَ الجُزَارَة ، فوَقَصَهُ ثم نفَضَه نفْضَةً ، فقَضْقَضَ مَتْنَيْه ، ثم جعلَ يَلَغُ فى دَمِه[٢] . فذَمَرْتُ أصحابى ، فبَعْد لأْىٍ ما استَقْدَمُوا . فَهَجْهَجْنا به ، فكَرّ مُقْشَعِرًّا بزُبْرَةٍ كأنَّ بين كتِفَيْه شَيْهَماً حَوْلِيًّا ، فاخْتَلَج رجُلًا أعْجَرَ ذا حَوَايا ، فنفضَه نفْضَةً تزايلَتْ مَفاصِلُه ، ثم نَهَمَ ففَرْفَر ، ثم زَفَر فبَرْبَرَ ، ثم زَأَرَ فجَرْجَر ، ثم لحَظَ ، فوَاللهِ لَخِلْتُ البَرْقَ يتطايرِ مِن تحْتِ جُفُونِه ، من عَنْ شِماله ويَمينه[٣] . فأُرعِشَت الأيْدى ، [وَاصْطَكَّت الأرْجُل] ،

---

(١) أرهج : أثار الرهج ، وهو الغبار . مفلولة : مثلمة مكسرة . أشدق : واسع الشدق . أخرق : واسع الخرق . أشرع بيديه : مدهما ورفعهما جداً . وحفزه : دفعه من خلف . وكل ذلك صفة لتهيئه للوثبة. أقعى الأسد والكلب : إذا جلس على استه مفترشاً رجليه وناصباً يديه . اقشعر : تقبض وتجمع يستعد للوثوب . وفى المطبوعتين « تمثل » وفى الأغانى « مثل » : أى انتصب قائماً . وتميل : تمايل . واكفهر : عبس وكلح وجهه . وازبأر : تهيأ للشر وانتفش شعره .

(٢) الجزارة : اليدان والرجلان والعنق ، وأصلها من الذبيحة تذبح فيأخذها الجزار أجرة له ، وضخم الجزارة : يراد به غلظ يديه ورجليه وشدتهما . وقص عنقه يقصها وقصاً : دقها وكسرها . وقضقض الشيء : كسره ودقه وسمع صوت كسر عظامه . ولغ السبع والكلب وغيرهما يلغ : شرب الماء أو الدم بلسانه.

(٣) ذمر أصحابه : حضهم وشجعهم وحثهم . وبعد لأى : بعد جهد ومشقة وإبطاء منهم . استقدم وأقدم : اجترأ وتقدم . وهجهج بالسبع : صاح به وزجره ليكف . والزبرة : شعر مجتمع على موضع الكاهل من الأسد . واقشعرت زبرته : انتفش شعرها . والشيهم : ما عظم شوكه من ذكور القنافذ . حولى : أتى عليه حول ، أى سنة كاملة ، وهو عندئذ أشد شوكا وأعظم . اختلج : انتزع من بينهم . أعجر : ضخم عظيم البطن . والحوايا جمع حاوية ، وحاوية البطن : أمعاؤه ، يريد بذلك عظم بطنه واستدارته . تزايلت : تباينت وتفرقت . نهم الأسد : زأر ، والنهيم : أشد من الزئير ، وهو صوت فيه توعد وغيظ . زفر : تنفس تنفساً شديداً . وبربر : هاج وقذف صوتاً فيه شدة وغضب . وجرجر : ردد الصوت فى حنجرته . ولحظ : نظر بمؤخر عينه (وهو اللحاظ ، بكسر اللام) من الشق الذى يلى الصدغ ، وهو النظر الشزر عند الهياج والغضب .

وأَطَّتِ الأَضْلاع ، وأُرْتِجَتِ الأَسْماعُ ، وحَمَّجَتِ العُيُون ، ولَحِقَتِ البُطُون ، وانْخَزَلَتِ المُتُون ، وساءَتِ الظنُون[١] .

فقال عثمان : اُسْكُتْ ، قَطَعَ اللهُ لِسانك ! فقد رَعَبْتَ قُلُوبَ المسْلِمين[٢] .

* * *

٧٣٧ — [[٣]أخبَرنى أبو خَلِيفة ، عن محمّد بن سلّام قال : حدّثنى أَبى عمَّن يَثِق به : أن رجلاً من بَنى حَيَّـة[٤] ، نَزل به رجُلٌ من بنى الحارث بن ذُهل بن شَيْبان ، يقال له المُكَّاء ، فذبَح له شاةً وسَقاهُ الخمر . فلمّا سَكِر الطائىُّ قال : هَلُمَّ أُفاخِرْك : أبنو حَيَّةَ أَكْرمُ أمْ بنو شَيْبان ؟

(١) اصطكت : اضطربت وأرعشت وضربت الركبة الركبة. وأطت الضلوع : سمع لها أطيط ، وهو صوتها حين تضطرب من الخوف . أرتجت : أغلقت فلم تسمع من الرعب . حمجت : انفتحت وحدقت وتغير معها الوجه ، وذلك من الفزع المستبد بها . لحقت البطون : ضمرت ، أى انضمت من الخوف فلحق البطن بالظهر . انخزلت : انقطعت ، فلم يستطع الرجل أن يقيم صلبه وكاد يخر . وساءت الظنون : أى صارت الخواطر التى تخامر النفس سيئة قبيحة ، يعنى أن نفوسهم حدثتهم بالهرب والفرار وترك المحاماة عن أنفسهم . وقد استوفيت بعض القول فى تفسير هذه الكلمة فى مجلة الرسالة العدد : ٩١٠ ، بتاريخ ٢٠ صفر سنة ١٣٧٠ ، ١١ ديسمبر سنة ١٩٥٠ .

(٢) من هذا الموضع إلى آخر الكتاب ، ليس فى مخطوطتى من الطبقات .

(٣) نقلته من الأغانى ١١ : ٢٤ ، مع تصحيحه على نص مخطوطات الأغانى .

(٤) حية : جد أبى زبيد الأعلى .وهذا يدل على أن ابن سلام كان قد ذكر نسبه فى رقم : ٧٣٢ ، وأسقطه النساخ . وهذا نسبه (عن الأغانى : ١١ : ٢٣) :

« أبو زُبَيْد الطَّائى : حَرْمَلة بن المُنْذِر بن مَعْديكَرِب بن حَنْظَلَة بن النُّعمان بن حيَّة بن سَعْنة بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هنىء بن عمرو بن الغَوْث ابن طيِّئ بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَأ » .

فقال لهُ الشَّيبانى : حَدِيثٌ حَسَنٌ ومُنادَمَةٌ كريمةٌ ، أحبُّ إلينا من المُفاخرة . فقال الطائىّ : والله ما مدّ رَجُلٌ قطُّ يداً أطوَل من يدِى[١] ! فقال الشَّيْبانىُّ : والله لئن أعدتَها لأخضبنّها من كوعِها . فرفَع الطائىّ يدَه ، فضرَبها الشيبانىّ بسيْفه فقطعها . فقال أبو زُبَيْد فى ذلك :

خبّرتْنا الرُّكْبانُ : أنْ قدْ فخرْتُمْ وفرِحْتُمْ بضرْبةِ المُكَّاءِ ![٢]

ولعَمْرى لَعارُها كانَ أدْنَى لَكُمْ ، مِن تُقًى وحَقٍّ وَفاءِ

ظَلَّ ضَيْفاً أخُوكُم لِأخينَا فى صَبُوحٍ ونَعْمةٍ وشِواءِ[٣]

ثُم لمَّا رَآهُ رانَتْ بِهِ الخَمْرُ وأنْ لا يَرِيبَهُ بِاتِّقاءِ[٤]

لمْ يهَبْ حُرْمَةَ النَّديمِ ، وَحقّتْ ، يا لَقَوْمى لِلسَّوْأةِ السَّوْآءِ !][٥]

* * *

٨٣٨ — [٦][أخبرنى أبو خليفة قال : حدَّثنى محمّد بن سلّام قال :

---

(١) أراد بطول اليد : عزة قومه ونيلهم من عدوهم أبعد نيل .

(٢) شرح شواهد المغنى : ٢١٩ ، والخزانة ٢ : ١٥٣ ، والعينى ٢ : ١٥٦ .

(٣) الصبوح : ما يشرب غدوة من لبن أو خمر ، وأراد الخمر هنا . نعمة : مسرة وفرح وترفه . ولو كانت الرواية « نغمة » ، يعنى الغناء ، لكان أجود ، ولكنى لم أجدها . انظر اللسان (رين ، سوأ)

(٤) رانت به الخمر ورانت عليه : غلبته على عقله وغطت على قلبه ، وذهبت بلبه . رابه يريبه : شك فى أمره ودعاه إلى الريبة فيه . أراد لم يشك فيه ولم يتق شره .

(٥) حقت : وجبت وثبتت . يقول : وهى حرمة واجبة الرعاية على أهل الوفاء والكرم . والسوأة السوآء : الفعلة القبيحة والخلة الذميمة ، وذلك لما كان من غدره بنديمه .

(٦) نقلته من الأغانى ١١ : ٢٦ وفى إحدى مخطوطات الأغانى جاء ذكر خبر هذه القصيدة وهذا نصه :

« قال ابن الكلبىّ فى خبره الذى ذكره إسحق عنه : هرب أبو زُبَيْد من الإسلام ، فجاوَر بَهْراءَ ، فاستأجَرَ مِنهم أجيراً لإبله ، فكان يُقيِّله حَلبَ الجمانِ

كَانَ أَخْوالُ أبى زُبَيْد بَنى تَغْلب ، وكان يقيم فيهم أَكْثَر أَيَّامِه ، وكان له غلامٌ يَرْعَى إبله ، فغزَتْ بَهْراء بنى تَغلِب ، فمرُّوا بغُلَامِه ، فدفَع إليهم إبِلَ أبى زُبَيْد وقال : أنطَلِقوا أَدُلَّكُمْ على عوْرة القَوْم وأُقاتِلْ مَعَكم . ففعلُوا ، والتَقَوْا . فهُزِمَتْ بَهْراء وقُتِل الغُلامُ ، فقال أبو زُبَيْد هٰذه القصيدة ، وهى :

هَلْ كُنْتَ فى مَنظَرٍ ومُسْتَمَعٍ ۞ عَنْ نَصْرِ بَهْرَاءَ غَيْرَ ذِى فَرَسِ (١)
تَسْعَى إلَى فِتْيةِ الأَرَاقِمِ واُسْتَعْـــجَلْتَ قَبْلَ الْجُمَانِ والقَبَسِ (٢)

والقَبَس ، وهما ناقتان كانتا له . فلما كان يومُ حَابِس ، وهو اليَوْم الذى التقتْ فيه بَهْراء وتغلبُ ، خرج أجير أبى زبيد مع بهراءَ ، فقُتِل وانهزمت بهراء . فمرَّ أبو زُبَيْد به وهو يجُودُ بنفسه ، فقال فيه هذه القصيدة » .

وقوله « يقيله » ، من قيله : إذا سقاه القيل ، وهو شراب نصف النهار ، كالصبوح : شرب الصباح ، والغبوق : شرب العشى .

(١) الأول فى اللسان (نظر) ومن الخمسة الأولى ، سوى الثالث والرابع ، فى الشعر والشعراء : ٢٦١ ، والثالث والرابع فى تاج العروس : (دبس) ورواية البيت الأول « قد كنت . . . » . و « هل » تأتى بمعنى « قد » ، كما ذكروا فى قوله تعالى « هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شيئاً مَذْكُوراً » وقوله تعالى : « هَلْ أَتاكَ حديثُ الغاشِيَةِ » . انظر المغنى ، وسيبويه ١ : ٤٩٢ ، والمفصل : ٣١٩ ، وابن يعيش ٨ : ١٥٢ . يقال فلان فى منظر ومستمع : أى فى معزل عن الأمر بحيث يحب من النظر إليه والاستماع ، دون ممارسته والاصطلاء بشره . غير ذى فرس : يعنى راجلا ، يعيره بأنه عبد لا علم له بالحرب وليس من فرسانها .

(٢) الأراقم جمع أرقم : وهو أخبث الحيات وأطلبها للناس ، وأراد الأراقم من تغلب ، وهم جشم ومالك والحارث وثعلبة ومعاوية وعمرو أبناء بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وإنما سموا الأراقم لأن حازيتهم (وهى الكاهنة) نظرت إليهم وهم صبيان ، كانوا تحت دثار لهم ، فكشفت الدثار ، فقالت : « كأنهم نظروا إلى بعيون الأراقم » ، فلج عليهم اللقب . والقيل : شرب نصف النهار . وانظر خبر هذا ، وخبر الجمان والقبس فى التعليق السالف ص ٥١١ ، رقم : ٦ . يسخر منه ويقول : تسعى إلى هؤلاء الشياطين من بنى تغلب ، مستعجلا تاركاً ما كلفت به أيها العبد من حلب الإبل ورعيها !

فِى عَارِضٍ مِنْ جِبالِ بَهْرَا بها الأَ لُّ مَرَيْنَ الحُرُوبَ عَنْ دُرُسِ (١)
مُنْتَهِزًا مَنْ لَقُوا، حَسِبْتَهُمُ أَحْلَى وأَشْهَى من بَارِدِ الدِّبْسِ! (٢)
لا تِرَةٌ عِنْدَهُمْ فتَطْلُبَهَا، ولا هُمُ نُهْزَةٌ لمُخْتَلِسِ (٣)
جُودٌ كِرَامٌ، إذَا هُمُ نُدِبُوا غيرُ لِئَامٍ ضُجْرٍ ولا كُبُسِ (٤)

(١) العارض: السحاب المطل يعترض أفق السماء، يريد جيشاً كثيفاً. ويقال: فلان جبل من الجبال: عزيز منيع، يريد جيوشهم. وبهرا: بهراء القبيلة، يمد ويقصر. والأل جمع ألة: حربة من حديد عريضة النصل عظيمة. ومرى الناقة يمريها: حلبها. وقد شبهوا الحرب باللاقح من النوق، تحلب الشر، فقالوا: مرى الحرب: إذا احتلبها فدرت عليه شراً. قال جرير:

مَرَيْتُمْ حَرْبَنا لَكُمُ فَدَرَّتْ بذى عَلَقٍ فأبطأت الغِرارَا

وهو كثير فى أشعارهم. والدرس جمع درسة: وهى الدربة والتجربة. والرماح والسيوف تمدح بطول تجربتها فى الحروب.

وهذا البيت كان فى الأغانى، وفى تاج العروس هكذا:

فى عارض من جبال بَهْرائِها الأُولى مرين الحرور عن درس

وهو كلام «مختل» أصلحته كما ترى، اجتهاداً، فأرجو أن أكون قد سددت ووفقت.

(٢) فى الأغانى والتاج، «فبهرة من لقوا»، وأصلحته كما ترى اجتهاداً ليتساوق المعنى، وأظن الصواب فيما رأيت إن شاء الله. انتهز الشىء: أسرع إلى تناوله واغتنمه. والدبس (بكسر فسكون)، والدبس (بكسرتين): عسل التمر وعصارته. يقول له: تسعى إلى لقاء تغلب، تظنهم شيئاً لذيذاً سائغاً قريب المتناول! وقوله «من لقوا»: أى من لقيت بهراء فى هذه الحرب، يعنى بنى تغلب.

(٣) الترة والوتر: الذحل والثأر تطلبه من قاتل من تثأر له. النهزة: الشىء الذى هو لك معرض ممكن كالغنيمة الباردة. المختلس: الذى يأخذ الشىء سلباً ومخاتلة فى سرعة. ويقال: فلان نهزة المختلس: أى هو صيد لكل أحد. يقول لأجيره: كيف تفعل هذا، ولا ثأر لك عندهم، ولا لأحد فيهم مطمع من عزهم؟ فكيف اجترأت عليهم؟

(٤) جود جمع جواد: وهو السخى السريع البذل. «إذا» ظرف، لا للشرط، كما فى قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ»، ولذلك لم يكن لها جواب مقترن بالفاء. وندب القوم إلى أمر: دعاهم وحثهم إلى حرب أو معونة. وضجر جمع ضجور، ورجل ضجر وضجور: كثير القلق والتبرم والشكوى، يعنى أنهم لا يصيحون ولا يألمون إذا عضتهم الحرب، فذلك من لؤم منابتهم، وقلة ممارستهم للحرب. وفى الأصل «كسس» بسينين، ولا معنى له، وأظنه محرفاً عما أثبته. وكبس جمع كباس: (بضم الكاف)، وجمع على زنة الصفة من فعيل، كأنه كبيس وكباس، كطويل وطوال. وفعيل فى الصفات يجمع هذا الجمع تشبيهاً له بفعيل فى الأسماء. ورجل كباس هو الذى إذا سألته حاجة كبس برأسه فى جيب قميصه. يقول لا يضجرون من مس الحرب، ولا يهابونها فيستغشون ثيابهم من رهبتها قعوداً عنها.

صُمْتٌ عِظامُ الحلومِ إن قَعَدُوا ، مِنْ غَيْرِ عِيٍّ بِهِمْ ولا خَرَسِ (١)
تَقُوتُ أَفْرَاسَهُمْ نِسَاؤُهُمُ ، يُزْجُونَ أَجْمَالَهُمْ مَعَ الغَلَسِ (٢)
صَادَفْتَ ، لَمَّا خَرَجْتَ مُنْطَلِقاً ، جَهْمَ المُحَيَّا كَبَاسِلٍ شَرِسِ (٣)
فَجَالَ ، فى كَفِّهِ مُثَقَّفَةٌ تَلْمَعُ فِيها كَشُعْلَةِ القَبَسِ (٤)
بِكَفِّ حَرَّانَ ، ثَائِرٍ بِدَمٍ ، طَلَّابِ وِتْرٍ ، فِى المَوْتِ مُنْغَمِسِ (٥)

---

(١) صمت جمع صامت أو صموت : وهو الساكت الملازم للصمت . الحلوم : العقول . العى : الحصر واحتباس المنطق . يصفهم بالرزانة فى ناديهم ، لا يتكلمون ، فإذا تكلموا أبانوا عن أنفسهم .

(٢) هذا البيت فى شرح المفضليات : ٢١ ، وفى الأغانى « تقود » وهو خطأ ، ولا معنى له . وروايته « بناتهم» مكان «نساؤهم» . وقال : والعرب لا تثق بأحد فى خيلها إلا بأولادها ونسائها ، قال عمرو بن كلثوم :

يَقُتْنَ جيادَنا ، ويقُلْنَ : لَسْتُم بُعُولَتَنا إذا لم تَمْنَعُونا

وقاته يقوته : هيأ له قوته وأطعمه . يذكر أنهم أهل حرب يعدون الخيل المقربات للغارات . أزجى الدابة يزجيها : ساقها سوقاً رفيقاً . والأجمال جمع جمل . والغلس : ظلام آخر الليل . يذكر إعدادهم خيلهم وجمالهم لحرب عدوهم ليصبحوه مع الفجر .

(٣) يخاطب أجيره المقتول . جهم المحيا : كالح الوجه قد عبس وبسر ، من شناعته فى القتال ، وعنى التغلبى الذى قتله . الباسل : الذى عبس من الغضب والحمية فصار فظيع المرآة ، من شدة إقباله على القتال . ومنه سمى الأسد الباسل . والشرس : الشديد البأس الفظيع النكاية . ويعنى الأسد ، شبهه به .

(٤) فى الأغانى « تخال » ولا معنى لها هنا ، وكيف يخال وهو يراها رأى العين ! وجال : دار ، يريد جال فى الحرب على قرنه ، أى هجم عليه وقهره . والمثقفة : قناة الرمح التى تثقف ، أى تقوم بالثقاف . والقبس : شعلة من نار تقتبسها من معظم النار ، واقتباسها : أخذها فى طرف عود أو نحوه . يصف نصل الرمح بشدة لألائه وتوقده

(٥) حران ، من الحر : قد التهب جوفه من لذعة الحزن على من فقد من أهله وإخوانه فى الحروب . ثار بدم أخيه : طلب دم قاتله حتى قتله . طلاب : شديد الطلب ملح فيه . والوتر : الثأر الذى لم يدرك بعد . يصفه بأنه لا يكاد يبلغ ثأراً ، حتى يطلب ثأراً آخر مرة بعد مرة ، لكثرة قتاله وقتال قومه ، لا تنتهى ذحولهم وأوتارهم ، فهو أبدا منغمس فى غمار الموت .

إمَّا تَقارَشْ بِكَ الرِّماحُ ، فَلا أَبْكِيكَ إلَّا لِلدَّلْوِ والمَرَسِ (١)
حَمِدْتَ أَمْرِى ، ولُمْتَ أَمْرَكَ إذْ أَمْسَكَ جلْزُ السِّنانِ بالنَّفَسِ (٢)
وقَدْ تَصلَّيْتَ حَرَّ نارِهِمُ ، كَمَا تَصلَّى المَقْرُورُ مِنْ قَرَسِ (٣)
تَذُبُّ عَنْه كَفٌّ بِهـا رَمَقٌ ، طَيْرًا عُكُوفًا كَزُوَّرِ العُرُسِ (٤)

---

(١) الجمهرة لابن دريد ٢ : ٣٣٧ ، ٣٤٧ ، والكامل ٢ : ٦٧ ، وروايته : « إما تعلق » ، واللسان (قرش) وروايته « إما تقرش » . تقارشت الرماح وتقرشت : تداخلت وتشاجرت فى الحرب ، يريد التفت عليك وصك بعضها بعضاً ، ثم نشبت فيك . وفى الأغانى والشعر والشعراء : ٢٦١ « إما تقارن» هو تصحيف . والمرس : الحبل ، تمرس الأيدى به ، أى أنها تأخذه وتدلكه وتمر عليه مرة بعد مرة . يقول له ن تلك قد قتلت فى حرب ، فإنك لست من أهل الحرب حتى أبكى عليك بكاء الذين يقتلون فى الحروب ، ولا أبكيك لشىء إلا للدلو والمرس ، إذ كنت حاذقاً بالاستقاء من الآبار وما إليها من عمل العبيد والأجراء . يهزأ به ويسخر !

(٢) الجمهرة لابن دريد ٢ : ٩٠ . حمدت أمرى : أى رضيت عما اخترته لك حين جعلتك أجيراً تغدو على ناقتى تحلبها . وقوله « لمت أمرك » يعنى : ندمت فلمت نفسك وذممت ما اخترته لنفسك من خوض المهالك . فاختصر وأوجز . وجلز السنان : المستدير كالحلقة فى أسفل سنان الرمح . بالنفس : يعنى موضع النفس ، لأنه طعن فى ثغرة نحره . يقول : لما أخذ الموت بأنفاسك وقضى الأمر ، ندمت على ما تساميت إليه مما لست تحسنه . وهذه أيضاً سخرية به .

(٣) اللسان (قرس) و (صلا) وروايته « حر حربهم » . صلى بالنار وتصلاها واصطلى بها : قاسى حرها ، وكذلك الأمر الشديد . والمقرور : الذى يقاسى القر ، وهو البرد الشديد . والقرس : أشد البرد وألذعه . يقول : تعرضت لهذه النار الجاحمة من الحرب ، تحسبها نعمة ومتاعاً ، كما يتعرض المقرور للنار الموقدة يصطلى ويستدفئ ويستمتع ، فكان ما علمت من المكاره والمهالك ! يهزأ به .

(٤) اللسان (عكف) ، والبيتان جميعاً فى الحيوان ٣ : ٣١٨ ، وحماسة ابن الشجرى : ٢٧٣ ، وروايته فى الحماسة « تكف عنه » وليست بجيدة . الضمير فى « عنه » لأجيره القتيل ، رجع من الخطاب إلى الغيبة لما فرغ من الهزء به . ذب عند يذب : طرد ودفع ليمنع أذى أن يناله . الرمق : بقية الحياة والروح وآخر النفس . ونسب الرمق للكف ، لأنه لا يملك أن يحرك شيئاً من بدنه إلا كفه . عكفت الطير بالقتيل فهى عكوف : أقبلت عليه واستدارت حوله وأقامت فى مكانها ناظرة إليه ، تترقبه حتى يهلك فتأكله . وأراد بالطير العكوف : النسور ، لأنها هى التى تأكل القتلى والموتى ، وتولع بها . ونسوة زور : زائرات ، جمع زائرة ، مثل نائحة ونوح . والعرس : دعوة الرجل للنساء والرجال فى يوم بنائه بامرأته ، يدعوهم للهو والفرح ، ثم يصنع لهم مع ذلك طعاماً . شبه النسور بالزائرات فى العرس ، قد لبسن البياض وأخذن زينتهن ، وتجمعن ينتظرن الوليمة . والنسور تشبه بالنساء فى ثياب البياض ، قالت جنوب أخت عمرو ذى الكلب تذكر أخاها حين قتل :

تَمْشِى النُّسُورُ إليه وَهْىَ لاهِيَةٌ مَشْىَ العَذارَى عَلَيْهِنَّ الجَلابِيبُ

عَمَّا قَلِيلٍ عَلَوْنَ جُثَّتَهُ فَهُنَّ مِنْ والِغٍ وَمُنْتَهِسِ (١)

فلما فرَغ أبو زُبَيْدٍ من قَصِيدته ، بَعَثَتْ إليهِ بنُو تَغْلِب بِدِيَةِ غُلامِه وما ذهَب من إبله .

٧٣٩ — فقال فى ذلك :

أَلَا أَبْلغْ بَنِى عَمْرٍو رَسُولًا، فَإِنِّى فِى مَوَدَّتِكُمْ نَفِيسُ (٢)

فَما أَنا بِالضَّعِيفِ فَتَظْلِمُونِى، وَلا جَافِى اللِّقَاءِ وَلا خَسِيسُ (٣)

وقد أساء الجاحظ وثعلب غاية الإساءة ، وأفسدا شعر العرب وكلامهم ، فى شرح هذا البيت ، قال ثعلب : « يعنى بالطير هنا الذبان ، فجعلهن طيراً ، وشبه اجتماعهن للأكل باجتماع الناس للعرس » ، وهو كلام مظلم خسيس ينبغى أن ينزه عنه مثل هذا الشعر . وقال الجاحظ أيضاً قولا شبيهاً به ، ولعله هو الذى أضله .

(١) رواية الجاحظ :

« إِذَا وَنَى وَنْيَةً دَلَفْنَ له »

أى إذا أبطأ إبطاءة فى ذبهن بكفه ، مشين إليه يردن النيل منه . وقوله : «عما قليل » ، أى بعد زمن قليل ، يعنى أنه ذب قليلا ثم قضى نحبه . ولغ السبع والكلب يلغ : شرب الماء أو الدم بطرف لسانه يغمسه فيه . والطيور لا تلغ . ونهس اللحم وانتهسه : قبض عليه بمنسره (وهو منقاره) ثم نتره لينزعه فيأكله . وقوله « من والغ . . . » للتبعيض ، أى منهن والغ ومنهن منتهس . وهذا البيت هو الذى حمل الجاحظ على الخطأ الذى تابعه فيه ثعلب ، إذ قال إن الطير لا تلغ ، وإنما الولوغ للسباع ذوات الأربع ، فزعم بعد ذلك أن الذباب تلغ ، واحتج لذلك بما لا غناء فيه ، وجعل الطير فى البيت السالف هى الذباب ، فأساء كل الإساءة . وأراد أبو زبيد أن يصف النسور لما رأته قد كف عن الذب ، والنسور شرهة نهمة ، فدلفت إليه ، ثم علت جثته ، ثم أقبلت تنهشه ، فهذا قد ضرب بمنقاره فى اللحم ولم ينتره بعد ، وهذا قد نهش اللحم وجعل ينتره . فسمى الضارب بمنقاره ولما ينزع والغاً ، لأنه عندئذ يكون منكس الرأس تنكيس الكلب رأسه إذا ولغ . فهو يصف حركة رؤوسهن هابطة وصاعدة . فهذا صواب المعنى ، لا ما خلط فيه الجاحظ .

(٢) الأول والأخير فى تهذيب الألفاظ : ١٨٦ ، وروايته « . . . بنى عمرو بن كعب » . رجل نافس ونفيس : راغب فى الشىء محب له ، له عنده قدر وخطر .

(٣) اللسان (خبس) و (لفا) . وفيهما « ولا حظى اللفاء . . . » . واللفاء (بفتح اللام) : الشىء اليسير دون الحق . والخسيس : القليل الدنىء . وأما رواية الأغانى هذه ، فإنه أراد أنه ليس بسيىء الخلق يتنكر لضيوفه وأصحابه ويجفو فى لقائهم . والخسيس : الرذل الدنىء النفس .

أَفِي حَقٍّ مُوَاسَاتِي أَخَاكُمْ بِمَالِي، ثُمَّ يَظْلِمُنِي السَّرِيسُ!][1]

* * *

٧٤٠ — وقال العُجَيْرُ السَّلولىّ[2] :

خُلِقْتُ جَوَادًا، والجَوَادُ مُثَابِرٌ
على جَرْيِهِ، ذُو عِلَّةٍ ويَسِيرُ[3]
وَلَا يَسْبِقُ الغَايَاتِ مُسْتَسْلِمُ الصَّلَا
مقل لأَطْرَافِ الرِّمَاحِ عَثُورُ[4]
وَلَكِنْ مُشِيحُ الرَّكْضِ، مُسْتَبْعَدُ المَدَى
إذا ابْتَلَّ مِنْ سَجْمِ الحَمِيمِ، طَحُورُ[5]

---

(١) اللسان (سرس). والسريس: الضعيف العاجز.

(٢) قال أبو الفرج فى صدر ترجمته من الأغانى ١١ : ١٤٦ ما نصه:

«هو فيما ذكر محمّد بن سلّام: العُجَيْر بن عبد الله بن عُبَيْدة بن كَعْب بن عائشة بن الربيع بن ضبيط بن جابر بن عبد الله بن سَلُول».

ثم انظر نسبه فى الجمهرة: ٢٦٠، والمؤتلف والمختلف للآمدى: ١٦٦.

(٣) هذا البيت آخر أبيات رواها أبو الفرج فى الأغانى ١١ : ١٥٠، وانظر مجالس ثعلب: ٥٩١، ولم أجد سائرها. يقول: الجواد مثابر لا يبالى بما أصابه، بل يمضى على غلوائه.

(٤) الصلا: ما انحدر من وركى الفرس عن يمين الذنب وشماله. وقوله «مستسلم الصلا»، كأنه يريد مسترخى الصلا، من الاستسلام، وهو الانقياد والخضوع. ويذم من الفرس أن يسترخى صلاه. ولم أفهم قوله «مقل لأطراف الرماح»، ولا عرفت له تحريفاً ولا تصحيفاً. ولو خيرت لقلت «مضل» من الإضلال، كأنه يريد: إذا التقى الفرسان فى الحرب هاب وأحجم، فلم يستطع فارسه أن يصيب من عدوه مقتلا من شدة حركته فى فزعه، فيضل الرمح عن المقتل.

(٥) أشاح: جد فى الأمر، والمشيح: المجد الماضى. والمدى: الغاية. سجمت العين الدمع، والسحابة المطر سجما: صبته وسفحته. والحميم: العرق. والطحور: السريع المتقاذف البعيد الذهاب فى الأرض. ويحمد من الفرس إذا ما جرى وابتل أن يكون أسرع فى ركضه.

فَلَا توزِعِينى ، إنَّما يُوزَعُ الّذِى ... بِهِ ضَعَفٌ أَوْ فِى القِيامِ فُتُورُ (١)

وَلَا تَزْدَرِينى، وأنْظُرِى ما خَلِيقَتى ... إذا ضَافَ أمْرٌ أو أَنَاخَ أَمِيرُ (٢)

فَإنَّ بَنِى كَعْبٍ رِجَالٌ كأنَّهُمْ ... نُجُومُ السُّرَى سُدَّتْ بِهِنَّ ثُغُورُ (٣)

تَحَلَّبُ أَيْدِيهِم نَجِيعاً ونائِلاً ، ... إذا البُزْلُ لَمْ يُصْبِحْ بِهِنَّ دَرُورُ (٤)

مَرَوْها بأطْرافِ العَوالِى، فأسْبَلَتْ ... نَجِيعاً لَهُ تَحْتَ اللَّبانِ خَرِيرُ (٥)

مُقِيمِينَ ، لَا تَعْتَادُ إلّا وَجَدْتَهُمْ ... كَما بِالرَّجَا مِنْ صَاحَتَيْنِ صُخُورُ (٦)

---

(١) الخطاب فى هذا البيت لامرأة ذكرها فى أول هذا الشعر . كانت تلومه على طول مكثه لا يرحل رغبة فى عطايا الخلفاء ، وتعيره بكبره وعجزه . أوزعته بالشىء: أغريته به . والضعف (بفتح فسكون) والضعف (بفتحتين) والضعف (بضم فسكون) : خلاف القوة فى الجسد والرأى والعقل . وقد نفى عن نفسه أن يكون كبر وضعف وفترت عظامه فقعد .

(٢) ازدراه : احتقره وانتقصه وعابه . والخليقة : الخلق والسجية . وضافه أمر أوهم: نزل به كالضيف وشق عليه . أناخ : أى أناخ إبله وأبركها ليقيم عندهم ضيفاً .

(٣) بنو كعب : يعنى كعب بن عائشة جده الأعلى الذى مضى فى نسبه ص : ٥١٧ رقم : ٢ . السرى : السير ليلا ، شبههم بالنجوم يهتدى بها السارى . والثغور جمع ثغر ، وثغرة : وهى كل فرجة فى جبل ، أو بطن واد ، أو طريق مسلوك ، وهى بعد موضع المخافة الذى يأتى منه العدو . أى هم يحمون مواضع المخافة ، ويدرأون عن قومهم الشر والعيب والنقيصة .

(٤) تحلب العرق والندى وغيرهما : قطر وسال . والنجيع : الدم الطرى المصبوب . والنائل : المعروف والعطاء . يصفهم بكثرة القتال، وبالسخاء والكرم . والبزل جمع بازل ، بعير بازل وناقة بازل : إذا انشق نابها وبزل فى السنة التاسعة ، وذلك حين تستجمع شبابها وتستكمل قوتها . وناقة درور : كثيرة الدر وهو اللبن الذى يحلب . وتنقطع ألبانهن فى زمن الشتاء والقحط لقلة الكلأ والمرعى .

(٥) مرى الضرع : حلبه . والعوالى جمع عالية : وهى أعلى القناة التى يركب فيها سنان الرمح ، ويعنى أطراف الرماح . يقول : إذا نزل القحط وقلت الألبان، حلبنا دماء البزل برماحنا ، يعنى نحرنا له لنقريه ونكرمه . أسبل الدمع والدم : صبه وسفحه . واللبان : وسط الصدر ، وأراد منحرها . والخرير : صوت الماء والريح إذا اشتد جريهما ، وأراد صوت الدم إذا نزف من العروق وهو الشخب (بسكون الخاء) .

(٦) اعتاده : زاره مرة بعد مرة . ورجا الموضع : ناحيته، وفى الأصول « بالرحا » ولست أحققه ، وهو اسم موضع بعينه . وصاحتان : هضبتان عظيمتان ، لها زيادات وأطراف كثيرة . يذكر أنهم مقيمون ثابتون ، من قصدهم وجدهم لا يريمون .

إِذَا غَارَ مِنْهم كَوْكَبٌ، نَاءَ كَوْكَبٌ   لِأَنْىِ النَّدَى جَمُّ الفِرَاغِ مَطِيرُ(١)
وَإِنْ هَبَطُوا بِيناً أَذَلُّوا إِزَاءَهُ   فَأَضْحَى عَلَيهِ مَوْرِدٌ وصُدُورُ(٢)

٧٤١ — وقال يَذُمُّ ابْنَ عَمٍّ له ، ويرْثِى سُلَيْم بن زَيْدٍ السَّلُولِيّ :

نَهَارُكَ مَا فِيهِ لِيَانٌ ولا كَرًى   لِعَيْنٍ ، وأَيَّامُ ابْنِ زَيْدٍ صَوَالِحُ(٣)

---

(١) فى الأصل « إذا ناء منهم كوكب غار كوكب » ، وليس بمستقيم . وغار النجم وسائر الكواكب : غاب وغرب . وناء النجم : نهض وطلع ، من النوء : وهو سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر ، وطلوع رقيبه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته فى المشرق ، وسمى نوءاً ، لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع ، وذلك الطلوع هو النوء . ولا يكون نوء حتى يكون معه مطر . والأنواء من أمر الجاهلية ، وهى معروفة بأسمائها عندهم . وفى الحديث : « ثلاث من أمر الجاهلية : الطعن فى الأنساب ، والنياحة ، والأنواء » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من قال : سقينا بالنجم ! فقد آمن بالنجم وكفر بالله ، ومن قال : سقانا الله ! فقد آمن بالله وكفر بالنجم » . والأنى : الحين والوقت . والندى هنا : الغيث والمطر . والفراغ فراغ الدلو : وهو ناحيتها التى يصب منها الماء ويفرغ . جم الفراغ : كثير الماء ممتلىء به . ومطير : ماطر ، كثير المطر . يصفهم بالجود والكرم ، لا ينقطع خيرهم وسخاؤهم ، كلما مات منهم سخى قام سخى مكانه . وفى الأصول « جم القراع » ، وليست بشىء .

(٢) هكذا جاء البيت فى الأصول ولا معنى له :

وإن هَبَطُوا بيتاً أَذَلوا ثراءَهُ   فأَضْحَى . . . مَوْرِدٌ وصُدورُ

البين (بكسر الباء) : الناحية من الأرض قدر مد البصر ، أو ما يفصل بين موضعين . والإزاء : صخرة تكون على مصب الماء فى الحوض تقيه حين يفرغ فيه الماء . وأذلوا الإزاء : يعنى كثر ورودهم عليه بإبلهم حتى تثلم وتهدم ، كما قال الراجز :

« وَذَلَّ أَعْلَى الحوضِ من لِطَامِهَا »

ومورد : يعنى ورود الإبل الماء . والصدور والصدر (بفتحتين) : رجوعها بعد الرى عن الماء . يصفهم بالعزة والثروة وكثرة المال حيث نزلوا من الأرض . هذا ما رأيت ، فإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فذلك عجزى .

(٣) ليان : لين ورخاء ، يقال هو فى ليان من العيش : أى فى رخاء ونعيم وخفض . يقول عروة بن أذينة :

بَيْضَاءُ باكَرها النَّعِيمُ ، فصاغَها   بلَيَانِهِ فأَدقَّهَا وأَجَلَّهَا

والكرى : النعاس . صوالح جمع صالح : أى ذات صلاح لا فساد فيها ولا بؤس ، بل هى خير كلها .

وَذاكَ ابْنُ عَمِّ الصِّدْقِ ، أمَّا عَطاؤُهُ فَجَزْلٌ ، وأما جَيْبُهُ فَهْوَ ناصِحُ(١)

وكانَ شِفَاءً ، غَــيْرَ داءٍ ، دُنُوُّهُ ، إذا أحْوَلَّ أبْصارُ العُيُونِ اللَّوامِحُ(٢)

إذاقالَ لِي:قُمْ! قُلْتُ: بَلْ أَنْتَ فاكْفِنِي! فقَام ، فَجَلَّى أبيَضُ الوَجْهِ واضِحُ(٣)

* * *

٧٤٢ — (٤)[أخبرنى أبو خليفة فى كِتابِهِ إلىّ قال : حدّثنا محمّد بن

---

(١) الصدق : نقيض الكذب ، يقولون رجل صدق ، نقيض رجل سوء ، يعنون به : نعم الرجل ، لأن الصدق أفضل الفضل وأصل مكارم الأخلاق جميعاً . والعرب تضيفه هكذا مبالغة فى الفضل ، قال تأبط شراً :

إنى لَمُهْدٍ من ثَنَائى ، فَقَاصِدٌ بِهِ لِابْنِ عَمِّ الصِّدْقِ شُمْسِ بن مَالِكِ

كما يقولون أخو الكرم ، وابن الحرب ، وأبو الفضل . وعطاء جزل وجزيل : كثير عظيم وافر . والجيب : حيث يقور القميص من قبل العنق ، وهو مدخل القميص . ونصح الشىء : خلص وصفا . والناصح : الخالص ، وأخذ منه النصح الذى هو نقيض الغش . ورجل ناصح الجيب : نقى الصدر لا غش فيه ، كما يقولون : طاهر الثوب .

(٢) حولت عينه واحولت : أخذها الحول (بفتح الحاء والواو) . وهو أن تميل الحدقة إلى المأق مقبلة على الأنف ، أو إلى اللحاظ كأنها تنظر إلى الصدغ والحجاج . والأبصار جمع بصر : وهو حس العين والنظر . واللوامح جمع لامح ، لمح إليه يلمح : اختلس النظر مع العجلة . واللوامح صفة الأبصار . يعنى سرعة نظرها شزراً من العداوة والبغضاء . وقد ذكر صفة العداوة المترصدة بأحسن لفظ . يقول : إذا رأيت عداتى يلمحون بأبصارهم لمحاً من شدة عداوتهم لى ، كان قربه شفاء يسكن إليه ، لأنه ناصر لا تتخلف نصرته ، وعزيز لا يرام ضيمه .

(٣) جلى ببصره : إذا رفع رأسه ورمى ببصره كما يفعل الصقر إذا آنس الصيد . أبيض الوجه : من عتقه وكرمه . ورجل واضح ووضاح : حسن الوجه أبيض بسام . يصف نبله ونقاء ظاهره وشرف حسبه ، وجرأة قلبه ، لا يكلح وجهه عند النوازل ، بل يقبل عليها بساماً غير هياب .

(٤) هذا الخبر ضممته من الأغانى ١١ : ١٤٦ ، وفى معجم البلدان ٨ : ٨٩ (مطلوب) عن محمد بن سلام أيضاً ، وقال ياقوت فى معجمه « مطلوب : اسم موضع فى وادى بيشة عمر أيام هشام بن عبد الملك وسمى المعمل » ثم ذكره فى (معمل) ٨ : ٩٩ — ١٠٠ ، وذكر أنه كان بين سلول وخثعم ، فيحفر السلوليون ويضعون فيه الفسيل ، فيجىء الخثعميون وينتزعون ذلك الفسيل ويهدمون ما حفر . ويفعل مثل ذلك الخثعميون فلا يزال بينهم ضرب وقتال . فخشى العجير السلولى أن يقع بين الناس شر هو أعظم من ذلك ، فأخذ من طينه ومائه ، ثم لحق بهشام بن عبد الملك ، ووصف له صفته وأودية بيشة ، وأنها تحتمل نقل عشرة آلاف فسيلة فى اليوم الواحد . اختصرته من خبر ياقوت .

سَلّام الجُمَحِىّ قال : حدثنا أبو الغَرّاف قال : كان العُجَيْر السَّلُولِىّ دَلّ عَبْد الملك بن مَرْوان على ماءٍ يُقال له مَطْلُوب ، وكان لِناسٍ من خَثْعَم ، فأنشأَ يَقُول :

لَا نَوْمَ إلّا غِرَارُ العَيْنِ سَاهِرَةً ... إنْ لَمْ أُرَوِّعْ بِغَيْظٍ أَهْلَ مَطْلُوبِ (١)

إنْ تَشْتُمُونِى فَقَدْ بَدَّلْتُ أَيْكَتَكُمْ ... ذَرْقَ الدَّجَاجِ بِحَفَّانِ اليَعَاقِيبِ (٢)

وَكُنْتُ أُخْبِرُكُمْ أَنْ سَوْفَ يَعْمُرُهَا ... بَنُو أُمَيَّةَ ، وَعْدًا غَيْرَ مَكْذُوبِ

قال : فرَكِبَ رجلٌ من خَثْعَم ، يقال له أُمَيَّة ، إلى عَبْد الملك حتّى دَخَل عليه ، فقال : يا أَمير المُؤْمنين ، إنّما أراد العُجَيْر أنْ يَصِلَ إليك ، وهو شُوَيْعِرٌ سَئّآل ، وحَرْبٌ عليك . فكَتَبَ إلى عامله بأَنْ يَشُدَّ يَدَى العُجَيرِ إلى عُنُقِه ثم يَبْعَثه فى الحديد . فبلغ العُجَيْرَ الخبرُ ، فرَكِبَ فى اللَّيل حتى أَتَى عبدَ المَلِك . فقال : يا أميرَ المُؤْمنين ، أنا عِنْدَكَ فاحْتَبِسْنِى ، وابْعَثْ من يُبْصِرُ الأَرَضِين والضِّياع ، فإنْ لم يكن الأَمْرُ على ما أخبرتُك

---

(١) معجم البلدان ٨ : ٨٩، ١٠٠ مع اختلاف فى الرواية ، والحيوان ٢ : ٣٠١ . غرار النوم : النوم القليل المنقوص . يقول : لا نوم إلا غرار النوم من عين ساهرة . ورواية الشطر الثانى فى بعض المراجع :

« حتى أُصِيبَ بغَيْظٍ أهلُ مَطْلوبِ »

بغيظ : أى بما يغيظهم ويؤذيهم .

(٢) الأيكة : الغيضة تنبت السدر والأراك والأثل ونحوها . وذرق الدجاج : سلحه وذو بطنه الذى يرمى به . والحفان : صغار النعام ، ثم استعمل فى صغار كل جنس . واليعاقيب جمع يعقوب : وهو الحجل ، طائر . والحجل تتخذ أفاحيصها فى الأرض ، تضع فيه بيضها حتى ينفلق عن صغارها . يقول لهم : قد صارت أرضكم ضيعة كثيرة الدجاج ، بعد أن كانت رملة يبيض فيها الحجل وينبت فيها الأراك .

فَلَكَ دَمِى حِلٌّ وَبِلٌّ[١] ! فبعثَ ، فاُتَّخذَ ذَلك الماءَ [ضَيْعَةً] ، فهو اليومَ من خِيَارِ ضِيَاعِ بَنِى أُمَيَّةَ] .

* * *

٧٤٣ ــ أخبرنا أبو خَلِيفة ، أُخبرنا محمّد بن سلّام قال :

وأما عبدُ الله بنُ هَمَّام السَّلُولِىّ ، فحدّثنى يُونُس وأبو الغَرَّاف قالَا : كانَ عبدُ الله رَجُلًا له جَاهٌ عندَ السُّلْطان ووُصْلَةٌ بهم ، وكان سَرِيًّا فى نَفْسِهِ ، لهُ هِمَّةٌ تَسْمُو بِه ، وكان عندَ آلِ حَرْبٍ مَكِيناً حَظِيًّا فيهم[٢] . وهو الذى حَدَا يزيدَ بن معاوية على البَيْعة لِاُبنِهِ مُعاوية ، وأنشدَه شعراً رَثَى فيه مُعاوية بن أبى سُفْيان ، وحضَّه على البَيْعة لاُبنِهِ مُعاوِية ، فقال :

تعَزَّوْا يا بَنِى حَرْبٍ بِصَبْرٍ ، فَمَنْ هٰذا الَّذِى يَرْجُو الخُلُودَا ؟[٣]
لَعَمْرُ مُنَاخِهِنَّ بِبَطْنِ جَمْعٍ لَقَدْ جَهَّزْتُمُ مَيْتاً فَقِيـدَا ![٤]

---

(١) هو لك حل وبل : أى حلال ومباح ، وبل : مباح مطلق ، يقال هى لغة يمانية حميرية .

(٢) وصلة : اتصال وذريعة . سرى : شريف ذو مروءة متمكن النبل . مكين : ذو مكانة ومنزلة ثابتة . حظى : ذو حظوة عند السلطان ، مفضل على غيره .

(٣) خمسة منها فى أنساب الأشراف للبلاذرى ٤ / ٢ : ٥ ، وثلاثة فى شرح الحماسة للتبريزى ٣ : ٨٤ ، ثم رويت تامة فى مقطعات المراثى : ١١٨ ، وبزيادة خمسة أبيات فى صدر نقائض جرير والأخطل لأبى تمام : ١ ـ ٣ ، ولكنه نسبها لعلى بن الغدير الغنوى ، وكأنه أخطأ .

(٤) فى الأصول ، وفى النقائض « مناحهن » ، وهو فاسد . المناخ : مبرك الإبل ، والضمير فى « مناخهن » للإبل التى تساق هدياً إلى البيت الحرام لتنحر ، وجمع : هى مزدلفة ، وهى المشعر الحرام ، من مناسك الحج . والعرب تقسم بالنعم المهداة إلى بيت الله الحرام . جهز العروس وجهز الميت : أعد له ما يحتاج إليه فى وجهه ، ومن السخرية بالحياة والموت أن يجمع بينهما للمأتم والعرس ! والفقيد : المفقود ، وأراد ، أخلى مكانه وافتقده الناس ولم يجدوا له نظيراً .

لقَــدْ وَارَى قَلِيبُكُمُ بَيَانًا ، وحِلْمًا لَا كِفَاءَ لَهُ ، وَجُودًا[١]
وَجَدْنَاهُ بَغِيضًا فِى الأَعَادِى ، حَبِيبًا فِى رَعِيَّتِهِ حَمِيــدًا[٢]
أَمِينًا مُؤْمِنًا ، لَمْ يَقْضِ أَمْرًا فَيُوجَدُ غِبُّهُ إِلَّا رَشِيــدًا[٣]
فَقَدْ أَضْحَى العَدُوُّ رَخِىَّ بَالٍ ، وقَـدْ أَمْسَى التَّقِىُّ بِهِ عَمِيدًا[٤]
فَعَاضَ اللهُ أَهْلَ الدِّينِ مِنْكُمْ ، ورَدَّ لَنَـا خِلَافَتَكُمْ جَدِيدًا[٥]

---

(١) وارى : أخفى وستر . والقليب البئر القديمة العادية غير مطوية ، وأراد بها القبر ، لأنه يحفر كما تحفر البئر ، ويدلى الميت فيه كما يدلى الدلو . وقد أجاد أبو ذؤيب فى بيان هذا المعنى إذ يقول ، يذكر نفسه عند نزع الموت ، وهو شعر جيد :

وقَدْ أَرْسَلُوا فُرَّاطَهُمْ فتأَثَّلُوا قَلِيبًا ، سَفَاهَا كالإِماءِ القَوَاعِدِ
مُطَأْطَأَةً ، لم يُنْبِطُوها ، وإِنَّها لِيَرضَى بها فُرَّاطُهَا ، أُمُّ واحِدِ
قَضَوْا ما قَضَوْا من رَمِّها ، ثم أَقْبَلوا إلىّ بِطاءَ المَشْىِ غُبْرَ السَّواعِدِ
يقولونَ ، لما جُشَّتِ البِئرُ : أَوْرِدُوا ! وليسَ بها أَدْنَى ذُفافٍ لِوَارِدِ
فكنتُ ذَنُوبَ البِئرِ ، لما تَبَسَّلَتْ وسُرْبِلْتُ أَكْفَانِى ، ووُسِّدْتُ ساعدى

وقوله : « لا كفاء له » : ليس له نظير ولا مثيل ولا كفء .

(٢) حميد : محمود الفعل . يقول : يبغضه أعداؤه لنكايته فيهم ، وتحبه رعيته لعطفه عليهم ولينه لهم .

(٣) أمين : ثقة قوى حافظ مأمون لا يخون . والغب والمغبة : العاقبة . ورشيد : مستقيم على طريق الهدى . والرشد : نقيض الغى والضلالة .

(٤) رخى بال : فى نعمة وسعة من العيش ، لأنه كفى ما يلقى من نكايته فيه . وعميد : شديد الحزن ، من قولهم : عمده المرض : فدحه وشق عليه وهده .

(٥) عاضه يعوضه ، وأعاضه : أعطاه بدل ما ذهب منه ، وهو العوض (بكسر ففتح) . يدعو لأهل الدين أن يخلف الله عليهم من بنى أمية من يكون مثيلا لمعاوية رضى الله عنه . يقال : ثوب جديد وملحفة جديد ، بلا هاء لأنها فى معنى مفعولة ، وأراد : على خير أمرها ، كما يكون الثوب الجديد خالياً من كل رتق وفتق .

مُجانِبَةَ المُحَاقِ وكلِّ نَحْسٍ ‏ ‏ مُقارِبَةَ الأيامِنِ والسُّعُودا(١)

خِلافةَ رَبِّكُمْ حامُوا عَلَيْها ‏ ‏ ولا تَرْمُوا بِهَا الغَرَضَ البَعِيدا(٢)

تَلقَّفَها يَزِيدُ عَنْ أَبِيهِ ، ‏ ‏ وَخُذْهَا يا مُعاوِيَ عَنْ يَزِيدا(٣)

فَإِنْ دُنْياكُمُ بِكُمُ اطْمَأنَّتْ ، ‏ ‏ فأَوْلُوا أَهْلَهَا خُلُقاً سَدِيدا(٤)

وَإن ضَجِرَتْ عَلَيْكُمْ ، فاعْصِبُوها ‏ ‏ عِصاباً تُسْتَدَرُّ به شَدِيدا(٥)

* * *

٧٤٤ — أخبرنا ابنُ سلَّام قال : وأنشدنِي أبو الغرّاف ، عن سُلَيمان الجُذامِيّ ، لنُوَيْفِع بن لَقِيط ، ويقال : نافِع بن لَقِيط :

---

(١) المحاق : آخر الشهر إذا امحق الهلال : إذا ذهب وخفى . وهو مما يتشاءم به . والأيامن جمع أيمن . ويوم أيمن ورجل أيمن : ميمون مبارك ، واليمن : البركة . وضد الأيامن ، الأشائم . ويروى « مقارنة » .

(٢) خالفت هذه الرواية سائر الروايات . ورواية ابن الأعرابى :

خِلافَةَ ربكُمْ كُونوا عليها ‏ ‏ كما كُنْتُم ، عَنابِسةً أُسُودَا

والعنابسة جمع عنبسة : وهو الأسد العابس الكالح الوجه عند اللقاء . وسأذكر رواية الشطر الثانى بعد هذا .

(٣) يروى بعد هذا البيت :

أَدِيرُوها، بنى حَرْبٍ، عليكُمْ ‏ ‏ ولا ترموا بها الغَرَضَ البعيدَا

يقول : لا تخرجوها من بيتكم إلى بيت بعيد النسب عنكم .

(٤) اطمأنت بهم الدنيا : استقر أمرهم وثبت ولم يضطرب . وأوليته معروفاً : أسديته إليه مرة بعد مرة ، من الولى : وهو المطر بعد المطر . وسديداً : مصيباً للسداد ، والسداد : القصد فى القول والعمل .

(٥) ضجرت الناقة : كثر رغاؤها عند الحلب . وقوله «ضجرت عليكم» ، فيه حذف ، منح «ضجر» معنى الشغب والصعوبة والنفور . وعصب الناقة : شد فخذيها وأدنى منخريها بحبل أو عصابة حتى تحلب وتدر . واسم ذلك الفعل : العصاب . واستدر الناقة : طلب درها واستخرجه ، والدر : اللبن . جعل ذلك مثلا للشدة وقهر أهل العناد والخلاف . ومنه قولهم أعطى فلان على العصب : أى على القهر . ويقول الحطيئة :

تَدِرُّونَ إنْ شُدَّ العِصابُ عَلَيْكُمُ ، ‏ ‏ وَنَأْبَى إذا شُدَّ العِصابُ فلا نَدِرّْ

أى تعطون على القهر ، ونأبى نحن أن نعطى على القهر .

أدّوا إلى ميـــدان عنكم عرسه ‏ ‏ وَدَعُوا سِبابِى يا بَنِى عُرْقُوبِ[1]
إنَّ المَخازِى قد رَتَمْنَ أُنُوفَكُمْ ‏ ‏ رَتْمَ الحِجارَةِ إِصْبعَ المَنْكُوبِ[2]
لَنْ تَهْدِمُوا شَرَفِى بلُؤْمِ أبِيكُمُ ‏ ‏ ونُهاقِ عَيْرٍ فِيكُمُ مَكْرُوبِ[3]

٧٤٥ — وحدَّثنى أبو الغرَّاف قال : كان لنافع بن لَقِيطٍ امرأةٌ من بَنِى مُنْقِذ بنَ طَرِيف ، فى خُلُقها زَعارَّة ، فادَّعَوْا عليه طَلاقها ، فقاتَلهُمْ حتَّى كانت بينَهُم جِراحٌ . فاسْتَخْفَى من الحَجَّاج حتَّى لَحِقَ بقَوْمِه بالقَنانِ ، وتَزَوَّجَ ابنةَ عَمِّه ، ابنةَ شَيْبانَ بنَ مَزْيد[4] ، فتغنَّى يوماً وقال :

---

(١) لم أجد الأبيات ، ولم أوفق لمعرفة التصحيف فى الشطر الأول . وبنو عرقوب : يعنى الكذابين الذين يخلفون الميعاد ، من قولهم فى المثل « مواعيد عرقوب » ، وعرقوب : رجل كان أكذب أهل زمانه ، فضرب به المثل .

(٢) رتم أنفه رتماً : دقه وكسره . وكل شىء كسرته وليس بصلب فقد رتمته . والمنكوب : الذى نالت الحجارة إصبعه. ونكبت الحجارة ظفره أو رجله : أصابته فدمى . يقول: حيث سرتم ضربت وجوهكم المخازى فجدعت أنوفكم ، كما تجرح الحجارة إصبع المنكوب ، فالخزى بين فى وجوهكم يقطر كما يقطر الدم .

(٣) فى الأصل « مكذوب » ، وأرجح ما أثبته . والعير : الحمار . وكرب وظيفى الحمار : دانى بينهما بحبل أو قيد وضيقه على الحمار المقيد . وكأنه يعنى شاعراً من شعراء من هجاهم ، يقول : إنما ينهق كما ينهق العير المقيد ، بعد أن قيدته أنا بهجائى . ومثله قول عبد الله بن عنمة الضبى :

أُرْدُدْ حِمارَكَ لا يَنْزِعْ سَوِيَّته ، ‏ ‏ إذاً يُرَدُّ وقَيْدُ العَيْرِ مَكْرُوبُ

أى لا تعرضن لشتمنا فإنا قادرون على تقييد هذا العير ومنعه من التصرف .

(٤) بنو منقذ بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد . ونافع ابن لقيط ، من بنى فقعس بن طريف بن عمرو ، فامرأته هذه من بنى عمومته . فى خلقه زعارة (بفتح الراء وتخفيفها) وزعارّة (بفتحها وتشديد) ، (مثل حمارّة القيظ) ، أى شراسة وسوء خلق ، ولا يتصرف منه فعل ، بل يقال رجل زعر الخلق وزعرور . وقوله « ادعوا عليه طلاقها » أى سألوه طلاقها عند القاضى . انظر ما سلف فى رقم : ١١١ ، ١١٧ ، ٣٨٠ . والقنان : جبل فيه ماء يقال له العسيلة ؛ وهو من منازل بنى فقعس بنجد . ولم أعرف « شيبان بن مزيد » .

وَرَدْتُ بِئاراً مِلْحَةً فكرِهتُها ، بأهْلِيَ أهْلِي الأوَّلونَ ومالِيا[١]

٧٤٦ — ولنافع :

وَإيّاكَ والظُّلمَ المُبِيِّنَ ، إنّني أرى الظُّلمَ يَغْشَى بالرِّجالِ المَغاشِيا[٢]

أتجمَعُ ، إنْ كُنْتَ ابنَ تِقْنٍ ، فَطانَةً وَتَغْبَنُ أحْياناً وتأتِي الدَّواهِيا ؟! [٣]

---

(١) وهذا الخبر ذكره اليزيدى فى آخر أماليه : ١٤٥ وقال : « كانت عند نافع بن لقيط الفقعسى بنت عم له يحبها ، وكان فى أخلاقها زعارة ، فحلف فى طلاقها بشىء ، فبانت منه فقال :

كأن لم تكن منها الفراشُ مُحلّةً ولم يُمْسِ يوماً ملكها بيمينى »

وذكر أبياتاً : ثم قال : « ثم هرب من الحجاج فتزوج جهمة وقال :

وَردت بئاراً ملحة . . . .

والأبيات النونية التى أنشدها اليزيدى لنافع ، مذكورة فى معجم البلدان ٦ : ٣٥١ فى قصة طويلة ، منسوبة لأبى شافع العامرى . والبئار والآبار جمع بئر . كنى بورود الآبار الملحة ، عن المرأة التى تزوجها بعد ، وجعلها ملحة لأن ماءها لا يطاق . وأهل الرجل : زوجه ، ومنه التأهل ، وهو التزوج ، واستعير من الأهل ، وهم أخص الناس بالرجل . يقول : أفدى زوجتى الأولى بهذه الزوجة وبمالى كله . وقال : « الأولون » لأنه كنى بالأهل ، وهو فى معنى الجمع . وفى الأصل « بأهلى وأهلى » وهو خطأ .

(٢) روى البحترى فى حماسته : ١١٤ البيت الأول والأخير ، لأمية بن طارق الأسدى . المبين : الواضح الظاهر ، وهى صفة يراد بها الشدة والفظاعة ، كما تأتى فى قوله تعالى : « لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلّا أنْ يأتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ » . غشى الشىء : إذا قصده ولابسه وباشره ، والمغاشى : أراد أسوأ ما يغشاه المرء من المنكرات والمظالم ، كأنه جمع مغشى . أى أن الظلم يحملهم على ارتكاب قبيح الأمور ومنكراتها ودواهيها ، مما لا يليق بهم . ونعم ما قال ، وصدق !

(٣) ابن تقن : يقال هو رجل من عاد كان جيد الرمى ، ثم ضرب مثلا لكل حاذق بالأمور فارس بصير . غبن الرجل رأيه (ورأيه منصوب على التميز) : إذا نقصه ونسيه وأغفله ، فهو غبين الرأى : ضعيف الرأى . والدواهى : منكرات الأمور . وتأتيها : ترتكبها . وقد عطف الفعل « وتغبن » على « فطانة » وهى اسم ، لأن فيها معنى الفعل . يقول : أتجمع فطنة وضعفاً فى الرأى وارتكاباً للمنكرات ؟ !

إذا أَنْتَ أَكْثَرْتَ المَجَاهِلَ كَدَّرَتْ عليْكَ مِنَ الأَخْلاقِ ما كانَ صَافِيَا[١]

فَلَا تَكُ حَفَّارًا بِظِلْفِكَ ، إِنَّمَا تُصِيبُ سِهَامُ الغَيِّ مَنْ كانَ غَاوِيَا[٢]

---

(١) المجاهل : جمع لا واحد له، من باب ملامح ومحاسن ومشابه ، وواحدها المتكلم به ، جهل . والجهل : خفة العقل والطيش والغضب . يقول مضرس بن ربعى الفقعسى :

إنا لنَصْفَحُ عن مَجَاهِلِ قومِنَا وَنُقِيمُ سَالِفَةَ العدُوِّ الأَصْيَدِ

ويقول الأعرج المعنى :

ولا تحكُمَا حُكْمَ الصَّبِيِّ ، فإنَّه كثيرٌ على ظَهْرِ الطريقِ مجاهِلُهْ

(٢) حفرت الشاة بظلفها : ضربت به فى الأرض ونبشتها ، وأراد المثل المشهور «كالباحث عن حتفه بظلفه» ، وقد مضى قبل رقم : ٤١٣ :

وكانت كعنزِ السَّوْءِ قامتْ بِظِلْفِهَا إلى مُدْيَةٍ تَحْتَ التُّرابِ تُثِيرُهَا

والغى : الضلال والخيبة والفساد . يقول : المفسد يلقى الشر من مفسد مثله ، والظالم يهدمه ظالم أعتى منه ، ومن غوى فقد عرض نفسه لسهام الغاوين .

الطبقة السادسة

من الإسلاميين

حِجَازِيَّةٌ ، أربعةُ رَهْط :

٧٤٧ — وهم عُبَيْدُ الله بن قَيْس ، من بَنى عامر بن لُؤَىّ . وإنّما نُسِب إلى الرُّقَيَّات ، لأنّ جَدَّاتٍ له توالَيْن يُسَمَّيْنَ رُقَيَّة .

٧٤٨ — والأحْوَص ، عَبْد الله بن مُحَمَّد [بن عبد الله] بن عاصِم ، وهو [ابن] أبى الأقْلَح ، وهو من الأوْس(١) .

٧٤٩ — وجميل [بن عبد الله] بن مَعْمَر [بن الحارث] بن خَيْبَرىّ العُذْرِىّ(٢) .

٧٥٠ — ونُصَيْبٌ ، مولى عَبْد العزيز بن مَرْوان .

* * *

٧٥١ — أخبرنا أبو خَليفة أخبرنا محمّد بن سَلّام قال : فحدّثنى

---

(١) فى الأصول المطبوعة « عاصم ، وهو أبو الأقلح وهو من بنى الخزرج » ، وهو كلام لا صواب فيه . بل هو : عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، واسمه قيس بن عصمة بن النعمان ، من بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . لا شك فى شىء من ذلك ، ولا شك فى أنه من عبث النساخ ، فإنه حمى الدبر أشهر من أن يجهله أمام العربية ابن سلام . وكان فى المطبوعة خطأ آخر وهو « الأحوص بن عبد الله بن محمد بن عاصم » ، فأصلحته . انظر الأغانى ٤ : ٢٢٤ ، وجمهرة الأنساب ٣١٣ .

(٢) فى الأصول : « جميل بن معمر بن حبتر العذرى » ، والصواب ما أثبته من نسبه فى المؤتلف : ٧٢ ، والجمهرة : ٤٢٠ . والخلاف فى نسبه شديد مضطرب . انظر الأغانى ٨ : ٩٠ ، والشعر والشعراء : ٤٠٠ .

يونُس قال : كان عُبَيْد الله أشدَّ قُرَيشٍ أسْرَ شِعْرٍ فى الإسلام بعد ابن الزِّبعْرَى[١] . وكان غَزِلًا ، وأغزَلُ مِنْ شِعْرِه شعرُ عُمَر بن أبى ربيعة . وكانَ عُمَرَ يصرِّح بالغزَلِ ، ولا يهجو ولا يمدح ؛ وكان عُبَيْدُ الله يُشبِّب ولا يُصرِّح ، ولم يكن له معقودُ شِعْرٍ وغزَلٍ كغزَلِ عُمَر[٢] .

٧٥٢ — وكان انقطاعُه إلى آل الزُّبير ، فمدَح مُصْعَباً وهَجا عبدَ الملك بكلمته[٣] :

إنَّما مُصعَبٌ شِهابٌ مِنَ الله [تجلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْماءُ][٤]

وقال فيها لعبد الملك :

قَدْ عمِرْنا ، فَمُتْ بدائِكَ غيظاً ، لا تُميتَنَّ غيرَكَ الأدْواءُ[٥]

إنَّ مِنَّا النَّبىُّ الأُمِّىُّ والصِّدِّيقُ ، مِنَّا الوَصِىُّ والشُّهَداءُ[٦]

---

(١) الأسر : قوة الخلق ، وأراد بناء الشعر . وابن الزبعرى مضت أخباره من رقم : ٢٨٠ — ٢٨٥ .

(٢) فرق ابن سلام فى عبارته بين الغزل والتشبيب ، وقد أصاب ، وليس هذا موضع بيانه فإنه يطول . وقوله « يصرح » : أن يخلص شعره للغزل وحده . وقوله « معقود شعر » ، يعنى شعراً عقد بناؤه على الغزل غير مخلوط بمدح أو هجاء .

(٣) آل الزبير : يعنى عبد الله بن الزبير بن العوام وإخوته .

(٤) ديوانه : ١٧٠ — ١٨٤ . والبلاذرى فى أنساب الأشراف (مطبوعة سنة ١٨٨٣) : ٢١٠ . وسيأتى الخبر فى التعليق ص : ٥٣٣ رقم : ١ :

(٥) ديوانه : ١٧٣ ، ١٧٤ مع اختلاف فى الرواية . والخطاب فى البيت مردود إلى مذكور فى بيت سالف :

أيُّها المشتهِى فَنَاءَ قُرَيش ، بيَدِ الله عُمْرُها والفَناءُ

عمر الرجل يعمر : عاش وبقى زماناً طويلا . والأدواء جمع داء . يدعو عليه بالهلاك .

(٦) أجود الروايتين رواية ديوانه « منا التقى والخلفاء » ، وكأن «الوصى» من وضع الشيعة فى الشعر .

٧٥٣ — وقال فى مُصْعَب :

لَيْتَ شِعرى أَأَوّلُ الهَرْجِ هٰذا ، أَمْ زَمانٌ فى فِتْنَةٍ غَيرِ هَرْجِ ؟(١)

إنْ يَعِشْ مُصْعَبٌ فَإنّا بِخَيرٍ ، قَدْ أتانا من عَيْشِنا ما نُرَجِّى

مَلِكٌ يُبْرِمُ الأمورَ ، ولا يُشْرِكُ فى رأيِهِ الضعيفَ المُزَجِّى(٢)

جَلَبَ الخيْلَ من تِهامةَ حَتَّى وَرَدَتْ خَيْلُهُ قُصورَ زَرَنْجِ(٣)

حيثُ لم تَأْتِ قَبله خَيْلُ ذى الأكْتافِ ، يَرجِعْنَ بَيْنَ قُفٍّ ومَرْجِ(٤)

---

(١) ديوانه : ٢٨٣ ، والأغانى ١٧ : ١٦١ ، ١٦٧ وياقوت ٤ : ٣٨٥ ، الحمسة الأولى فحسب . يقوله لمصعب بن الزبير لما حشد للخروج عن الكوفة لمحاربة عبد الملك بن مروان . وقد ساق أبو الفرج فى أغانيه قصة الحرب على تمامها ، وهى الحرب التى قتل فيها مصعب ، فى جمادى الآخرة سنة ٧١ . وهذا البيت إشارة إلى حديث أبى موسى الأشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بين يدى الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ، ويكثر فيها الهرج » ، والهرج القتل . وحديث أبى هريرة عن رسول الله : « يتقارب الزمان ، وينقص العمل ، ويلقى الشح ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج . قالوا : يا رسول الله ، أيم هو ؟ قال : القتل ! القتل ! » البخارى ٩ : ٤٨ . يقول ابن قيس الرقيات : أهذا زمان الهرج الذى أنذرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم هى فتنة من الفتن ، ليست بالهرج الموعود ؟

(٢) أبرم الأمر : أحكمه ، من إبرام الحبل ، وهو فتله فتلا محكماً . زجى الأمر وأزجاه : دافعه ليفرغ منه بقليل من الجهد ، وهو أسوأ الخلق ، وأفسد العمل !

(٣) الخيل : أراد الخيل وفرسانها . زرنج : هى قصبة سجستان ، وسجستان اسم الكورة كلها . يعنى خروج مصعب فى زمن أخيه إلى العراق ، ثم إخضاعه الأرض لأمير المؤمنين عبد الله بن الزبير حتى بلغ سجستان .

(٤) سابور ذو الأكتاف ملك الفرس ، كان من كبار غزاتهم ، وقد أكثرت العرب ذكره ، لأنه غزاهم مرات ، فقتل منهم أبرح قتل ، وسفك الدماء سفكاً فسالت كسيل المطر ، ولم يمر بماء من مياه العرب فى غزوه ذاك الا غوره ، ولا بجب من جبابهم إلا طمه ، حتى وصل إلى قرب المدينة ، وقد ضرى بقتل العرب وتعذيبهم حتى نزع أكتاف رؤسائهم إلى أن هلك ، فسموه ذا الأكتاف ، وبقى عندهم علماً على ذى البأس الفاجر فى بأسه . وقوله « يرجعن » أى يرجعن من سير إلى سير ، أو من الرجع : وهو خطو الدابة ، وردها يديها فى سيرها من سرعتها . ورواية الديوان « يوجفن » ، والوجيف والإيجاف : سير سريع تضطرب فيه الخيل وهى تركض . والقف : ما ارتفع من الأرض وغلظ وصلبت حجارته ، ولم يبلغ أن يكون جبلا . والمرج : أرض واسعة ذات كلأ ترعى فيها الدواب وتمرج ، أى تخلى مسرحه مطلقة مختلطة ترعى حيث شاءت .

أنْزَلوا من حُصونهِنَّ بناتِ الـ تُّرْكِ يأتين بعدَ عَرْجٍ بعَرْجِ (١)
كلُّ خِرْقٍ سَمَيْدَعٍ ، وشَنُونٍ ساهِم الوَجهِ تحتَ أَحْناءِ سَرْجِ (٢)
يَلْبِسُ الجيْشَ بالجيوشِ ، ويَسْقِي لَبَنَ البُخْتِ فى عِساسِ الخَلَنْجِ (٣)

---

(١) الترك : يعنى أهل زرنج وسجستان . والعرج : ما بين السبعين والثمانين ، أو ما بين الثمانين إلى التسعين ، وقيل : مئة وخمسون وفوق ذلك ، وقيل : من خمسمئة إلى ألف . وأراد يأتين طائفة بعد طائفة وهن أسيرات يسقن سوقاً . ورواية اللسان (عرج) : « يأتون » . والضمير فى قوله « أنزلوا » يعنى أصحاب الخيل .

(٢) «كل خرق . . . » صفة للذين أنزلوا بنات الترك . الخرق من الفتيان : الظريف فى سماحة ونجدة ، وقد تخرق فى الكرم والشجاعة ، أى توسع . والسميدع : السيد الجميل الجسيم الموطأ الأكناف ، أى اللين الجانب لمن ينزل فى ذراه . والشنون : ضامر مهزول شيئاً ما ، قد ذهب بعض سمنه من طول السير فى الغزو . ساهم الوجه : متغير الوجه قد ضمر وذبل من الجهد والقتال . وأحناء السرج ، جمع حنو (بكسر فسكون) : وهو كل شىء فيه اعوجاج أو شبه اعوجاج ، وحنو السرج كل عود معوج من أعواده . يصف الخيل التى غزوا عليها .

(٣) لبس الشىء بالشىء ولبسه (بالتشديد) : خلطه خلطاً شديداً حتى لا يعرف مخرجاً . ومثله قول الفرار السلمى

وكتيبةٍ لبَّسْتُهـــا بكتيبة حتّى إذا التبستْ نَفَضْتُ لَها يَدِى

وهو مجاز ، كقولهم : « لف كتيبة بأخرى » . يقول أبو كبير الهذلى :

فلففْتُ بينَهمُ لغيرِ هوَادةٍ إلا لسَفْكٍ للدِّماءِ مُحَلَّلِ

ولا يفعل ذلك إلا القائد البصير ذو البأس . البخت والبختية ، والجمع بخاتى : (واللفظ دخيل فى العربية كما يزعمون) وهى الإبل الخراسانية تنتج بين عربية وفالج . والفالج : جمل ضخم ذو سنامين يؤتى به من السند للفحلة . ورواية اللسان فى (بخت) : « فى قصاع » . والعساس جمع عس (بضم العين) : وهو قدح ضخم إلى الطول ، يروى الثلاثة والأربعة والعدة من الناس . والخلنج : شجر تتخذ من خشبه الأوانى ، وهو بعد صنعه يكون ذا طرائق وأساريع موشاة ، وكأنه فارسى المنبت . مدحه بالكرم والسن والسراء والنعمة .

٧٥٤ — وقال لعبد الملك ، لما أخذ له عبدُ الله بنُ جعفرٍ الأمانَ[١] :

مَا نقَمُوا منْ بَنى أُمَيَّةَ إلا ... أَنَّهُم يَحْلُمون إنْ غَضِبوا[٢]

وأَنهُم مَعْدِنُ المُلوكِ ، فلا تصْلُحُ إلَّا عَليهِمُ العرَبُ[٣]

---

(١) عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، كان أجود العرب وأنبلهم ، ولد بالحبشة فى عام الهجرة ، وقبض رسول الله وهو ابن عشر سنوات ، ثم مات سنة تسعين ، وهو ابن تسعين . ومثل هذه الأخبار تدلك على كذب من ادعى العداوة القبيحة بين بنى هاشم وبنى أمية ، مما افتتن به الناس فى زماننا ، بوسوسة الروافض . وقد ذكر خبر الأمان البلاذرى فى أنساب الاشراف عن المدائنى وغيره قالوا :

« نَذَرَ عبد الملك دَمَ ابنِ قيس الرقيات لقوله :

إنما مصعبٌ شِهابٌ من اللّـهِ تجلت عن وجْهه الظلماءُ

قال ابن قيس الرقيات : فسألتُ عمَّنْ أستعينُ به عليه ، فقيل لى : رَوْح بن زِنْباع فأتيت روحاً . فقال : ما ذاكَ عندى ! فأتيتُ عبد الله بن جعفر فاستجرْتُ به ، فقال لى : أقِمْ ، فإنّ لى فى كُلّ ليلةٍ رجلاً أُدْخله مَعِى إلى أمير المؤمنين ، فكُنْ ذلك الرجل . فلمّا كان الليلُ أدخلنى ، وأمرنى أن أُجيد الأَكْلُ ، وآخُذ ما بين يديه و بين يدى عبد الملك . فنظر إلىّ عبد الملك فقال : منْ هذا ؟ قال أبن جعفر : هذا القائل :

ما نَقمُوا من بنى أمية .. ..

فقال عبد الملك : أبنُ قيس ! قال : نعم . قال : أمّا دُمه فقد حقنه الله عزّ وجلّ ، وأما العطاء فلا عطاء له عندى . فقال أبن جعفر لأبن قيس : اللهمّ غفراً ! إذا خرجَ العَطاءِ فلكَ عندى عَطاؤك » .

(٢) ديوانه : ٧٠ ، والأغانى ، ترجمته : ٧٣ — ١٠٠ وأنساب الأشراف (سنة ١٨٨٣) : ٢١١ ، وهى قصيدة من كريم الشعر وفاخره وعزيزه . نقمت من الرجل شيئاً : إذا بالغت فى كراهته وإنكاره ، قال الله سبحانه : « وما نقمُوا مِنْهم إلَّا أنْ يُؤْمِنُوا باللهِ العَزيزِ الحَميدِ »

(٣) المعدن : مكان كل شىء يكون فيه أصله ومبدؤه ، مثل معدن الذهب والفضة ، يستخرجان منه . وأصله من قولهم عدن بالمكان : أقام .

إنَّ الفَنيقَ الّذى أبُوه أبو الْـعاصى ، عليْهِ الوَقارُ والحُجُبُ[١]
خليفةُ اللهِ ، فوْقَ مِنْبرِه ، جَفَّتْ بِذاكَ الأقلامُ والكُتُبُ[٢]
يَعْتَدِلُ التَّاجُ فوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينٍ كأنَّه الذَّهَبُ[٣]
[أحفَظَهُمْ قوْمُهم بِباطِلِهِمْ ، حَتَّى إذَا حارَبوهُمْ حَرِبوا][٤]
تَجرَّدُوا يَضْرِبونَ باطِلَهُمْ بالحقِّ ، حَتَّى تَبيَّنَ الكَذِبُ[٥]
قَوْمٌ هُمُ الأكْثَرونَ قِبْصَ حَصًى فى النّاسِ ، والأكْرَمونَ إنْ نُسِبوا[٦]

* * *

٧٥٥ — وقال الأحوصُ يمدحُ عبدَ العزيزِ بن مَرْوَان[٧] :

(١) الفنيق : هو الفحل المكرم من الإبل ، لا يركب ولا يهان ، لكرامته عليهم ، فهو مفنق : أى مترف منعم ، والفنيق : أعظم الفحول خيلاء وتيهاً . أبو العاصى : جد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس .

(٢) جفت الأقلام والكتب : أى قضاه الله وقدره ، وكتبه القلم فى اللوح المحفوظ ، وهو مستودع مشيئات ربنا سبحانه ، فلا مبدل لما كتب ، ولا راد لما قضى .

(٣) المفرق : وسط الرأس حيث يفرق الشعر . يعنى أنه أهل للملك ليس دخيلا ولا دعياً . قال البلاذرى فى أنساب الأشراف (سنة ١٨٨٣) : ١٥٣ : « كان عبد الملك آدم جميلا أقنى كأنه من رجال ثمود فى تمامه . وقال ابن قيس الرقيات :

يعتدلُ التّاجُ . . . .

فسمعه رجل فقال : تعلم والله أنه قد رآه ! »

(٤) زدت هذا البيت من ديوانه لتعلق الذى بعده به . أحفظه : أثار حفيظته بكلام أو فعل ، والحفيظة : الغضب لحرمة تنتهك ، أو جار يظلم ، أو عهد ينكث . حاربه : خاصمه وعاداه وقاتله . وحرب الرجل : اشتد غضبه وانبعث لحرب من أغضبه .

(٥) تجرد للأمر : جد فيه ولم يشغله شىء عن الذى يهم به .

(٦) فى الأصول : « الأكرمون فيض حصى » ، وهو خطأ . والقبص : العدد الكثير . عنده قبص من الناس ، أى عدد كثير . وإنهم لفى قبص الحصا : أى عدد كثير كثرة الحصا ، لا يعد . يعنى كثرتهم مع شرف أنسابهم .

(٧) عبد العزيز بن مروان ، أخو عبد الملك بن مروان ، وكان ولى عهده ، وهو والد عمر بن عبد العزيز . ولى مصر ومات بها فى جمادى الأولى سنة ٨٥ . وقد أكثر الأحوص مدحه ، وكان ممدحاً .

أَقولُ بعَمَّانٍ ، وهَلْ طَرَبى به إلى أَهْلِ سَلْعٍ ، إن تَشَوَّفْتُ نافِعُ ؟(١)
أَصاحِ ، أَلم تحْزُنْكَ ريحٌ مَريضةٌ وبَرْقٌ تَلالا بالعَقيقَيْنِ لامِعُ ؟(٢)
فإنَّ الغريبَ الدَّارِ مِمَّا يَشُوقُهُ نَسيمُ الرِّياحِ والبُرُوقُ اللَّوامعُ(٣)
نظَرْتُ عَلَى فوْتٍ ، وأوْفَى عَشِيَّةً بنا مَنْظَرٌ من حِصْنِ عَمَّانَ يافِعُ(٤)
وللعَـيْنِ أسْرابٌ تَفيضُ ، كأنَّما تُعَلُّ بكُحْلِ الصَّابِ مِنها المَدامِعُ(٥)

---

(١) أبيات منها فى حماسة ابن الشجرى : ١٦٩ ، والزهرة : ٢٢٨ ، ومعجم البلدان ٦ : ٢١٧ ، عمان : بلد فى طرف الشام ، وكانت قصبة البلقاء . الطرب : خفة تعترى المرء عند شدة الفرح ، أو الحزن والهم ، ومنه أخذ الطرب : وهو الشوق يخالطه الحزن والوجد . وسلع : جبل بسوق المدينة . وفى الأصول « تشوقت » بالقاف ، وليست بجيدة . تشوف : تطاول ينظر ويتطلع إلى شىء بعيد . يذكر بعد ما بين عمان والمدينة التى بها أحبابه ، ويسأل نفسه : أيجدى على أن أنظر نحو أرضهم على بعد ما بيننا ؟

(٢) صاح : ترخيم صاحبى . ريح مريضة : ضعيفة لينة الهبوب ، وهو مدح لا ذم ، وهى النسيم . تلالا : تلألأ ، وسهل الهمزة . والعقيقان : بالمدينة ، العقيق الأكبر فيه بئر عروة ، والأصغر فيه بئر رومة التى اشتراها عثمان رضى الله عنه . ولمع البرق : ومض وأضاء .

(٣) مما : مركبة من « من » ، و « ما » المصدرية ، وهى بمعنى ربما . يقول أبو حية النميرى :

وإنا لمِمَّا نضربُ الكَبْشَ ضَرْبةً عَلَى رأسهِ تُلْقِى اللِّسانَ من الفَمِ

(٤) هذا البيت والذى يليه فى معجم ما استعجم : ٤٨٢ . الفوت : السبق . يقال : هو منى فوت يدى : أى قدر ما يفوت يدى ، وهو منى فوت الرمح : أى حيث لا يبلغه الرمح . وأراد : نظرت إلى هذه الأرض ، مع أن البصر لا يبلغها لبعدها وما يحول بينى وبينها . أوفى : أشرف وارتفع . وقوله « أوفى عشية بنا منظر » ، أى رفعنا وأشرف بنا لننظر . واليافع : المرتفع المشرف . والمنظر : الموضع الذى تنظر منه . وخبر « نظرت » يأتى بعد البيت التالى ، وهو « لأبصر . . . »

(٥) السرب (بفتحتين) : الماء السائل المتتابع ، وأصله ما ينسرب من ماء المزادة متتابعاً ، من موضع الخرز . تعل : تكحل مرة بعد مرة ، أصله من العلل ، وهو الشرب بعد الشرب تباعاً . والصاب : عصارة شجر مر ، إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن ، وربما نزلت منه نزيّة ، أى قطرة ، فتقع فى العين كأنها شهاب نار ، وربما أضعف البصر . والمدامع جمع مدمع : وهو مخرج الدمع من العين ، وأراد العيون نفسها . وقوله « كحل الصاب » على معنى تكحل بالصاب ، فإن الصاب لا يتخذ منه كحل كما رأيت !

لِأُبصرَ أَحْيـاءً بخاخٍ ، تَضمَّنَتْ مَنازِلَهُمْ مِنها التِّـلاعُ الدَّوافعُ(١)

فأَبْدَتْ كثِيراً نظْرَتى من صبابتى، وأَكْثَرُ منها ما تُجِنُّ الأضالعُ(٢)

وكيفَ اشْتِياقُ المرْءِ يبْكى صبابةً إلى مَنْ نأى عَنْ دارِه وَهْو طائعُ؟(٣)

لعمرُ ابنةِ الزَّيْدِيِّ ، إنَّ ادِّكارَها ، عَلى كلِّ حال ، لِلفُؤاد لَرائعُ(٤)

وَإنِّى لِذِكْراها ، عَلى كلِّ حالةٍ ، مِنَ الغَوْرِ أو جَلْسِ البِلادِ،لَنازِعُ(٥)

لقَدْ كنتُ أَبْكِي، والنَّوى مُطمَئنَّةٌ بِنا وبِكُمْ ، مِنْ عِلْمِ ما البَيْنُ صانعُ(٦)

---

(١) أحياء جمع حى : وهو البطن من بطون العرب ، يقع على بنى أب كثروا أو قلوا ، ثم أطلقوه على منازل الحى نفسه . وخاخ : يقال له « روضة خاخ » ، بقرب حمراء الأسد من المدينة . وقد أكثرت الشعراء من وصفه والتغنى به . تضمنت : ضمتها ، كأنها أودعت فيها . والتلاع : جمع تلعة : وهى أرض غليظة مرتفعة ، يتردد فيها السيل ثم يدفع منها إلى تلعة أسفل منها ، وهى مكرمة للنبات . والدوافع جمع دافعة وهى التلعة من مسايل الماء تدفع ماءها فى تلعة أخرى ، فترى له مواضع قد استدار فيها وانبسط . يذكر أنها أرض مريعة كثيرة الرياض .

(٢) الصبابة : رقة الشوق ، كأن النفس تسيل من الرقة وتنصب. يقول : فأبدت نظرتى كثيراً من صبابتى ، فقدم، فجاد الكلام وحسن . أجن الشىء: أخفاه وواراه وستره . والأضالع والأضلاع والأضلع جمع ضلع (بكسر ففتح ، أو كسر فسكون) ، وهى عظام محانى الجنب .

(٣) نأى : بعد بعداً شديداً ، يقول : كيف يشتاق المرء ويبكى من رقة الشوق إلى من أعرض عنه ونأى ، وهو غير محمول على هذا الإعراض وهذا النأى ؟

(٤) كان الأحوص ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ، ولم أعرف « ابنة الزيدى » ، ولكنها أنصارية كما ترى . ادّكر الشىء : تذكره ، وأجرى ذكره على لسانه أو فى نفسه . رائع : يروع القلب ، أى يدخل عليه الاضطراب والفزع والخشية والقلق .

(٥) الغور : كل ما اطمأن من الأرض وهبط ، وبه سميت تهامة لأنها غارت وهبطت . والجلس : ما ارتفع من الأرض على الغور ، وهو نجد . وفى الأصول « جلس التلاد » ، وهو خطأ . ونزع الإنسان إلى أهله ووطنه ، فهو نازع : اشتاق وحن ، كأن الحنين ينزعه من مكانه الذى هو فيه ويقتلعه ليرده إلى أهله وأوطانه .

(٦) هذا البيت والذى يليه ، يرويان فى طويلة قيس بن ذريح ، (انظر أمالى القالى ٢ : ٣١٤ — ٣١٧) . والنوى هنا : الدار ، والنوى أيضاً فى غير هذا الموضع : النية ، والوجه الذى تقصده والتحول من دار إلى دار ، والفراق . واطمأنت به الدار : استقرت فلم يبرح . والبين : الفراق . يقول : كنت أبكى ونحن مقيمون من علمى بما يخبأه لنا الزمان من الفراق .

وَقَدْ ثَبَتَتْ فى الصَّدْرِ منها مَوَدَّةٌ ... كما ثَبَتَتْ فى الرَّاحَتَيْنِ الأَصابعُ(١)

أَهُمُّ لِأَنْسى ذِكْرَها ، فَيَشُوقُنِى ... رِفاقٌ إلى أهْلِ الحِجازِ نَوازِعُ(٢)

وَإنَّا عَدانا عَن بِلادٍ نُحِبُّهــا ... إمامٌ دَعانا نَفْعُــهُ المُتَتابعُ(٣)

أَغَرُّ لِمَرْوانٍ وَلَيْــلَى ، كأنهُ ... حُسامٌ جَلَتْ عنْهُ الصَّياقِلُ قاطعُ(٤)

هُوَ الفَرْعُ مِن عَبْدَىْ مَنافٍ كِلَيْهِما ، ... إليْهِ انْتَهَتْ أَحْسابُها والدَّسائعُ(٥)

---

(١) يروى : « نشأت . . . كما نشأت » و « نبتت . . . كما نبتت » ، وكله جيد ، والأخيرة أجودهن عندى .

(٢) هم بالشىء : نواه وعزم عليه وقصده . وشاقه : أثار شوقه . والرفاق جمع رفقة : وهم الجماعة المترافقون فى السفر . ونوازع جمع نازع ، وقد مضى تفسيرها فى ص : ٥٣٦ ، رقم : ٥ .

(٣) عداه عن الأمر : صرفه عنه . النفع هنا : الخير والنائل والعطية .

(٤) أغر : أبيض ، خالص النفس والنسب ، كريم الأفعال واضحها . وفى الأصول « لمروان وحرب » ، هو خطأ لا شك فيه ، وعبد العزيز بن مروان بن الحكم ، لم يتزوج هو ولا آباؤه فى بنى حرب بن أمية بن عبد شمس . والصواب ما أثبته اجتهاداً . وعبد العزيز يعرف بابن ليلى ، وهى أمه : ليلى بنت زبان بن الأصبغ الكلبية ، وهى ابنة عم نائلة بنت الفرافصة ، امرأة عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقد أكثر الشعراء من ذكر ليلى فى أماديحهم عبد العزيز بن مروان . والحسام : السيف القاطع . والصياقل جمع صيقل : وهو شحاذ السيوف وجلاؤها . وجلا الصيقل السيف : صقله وأتمه . ويريد أن آباءه وأمهاته محصوا له أصفى النسب وأخلصه وأكرمه . ومما قال فيه الشعراء قول كثير :

شَهِدتُ ابْنَ لَيْلَى فى مَواطِنَ جَمَّةٍ ... يزيدُ بها ذا الحِلْمِ حِلْماً حُضُورها

فلا هَجَراتُ القَوْلِ تُؤْثَر عِنْدَهُ ... ولا كلماتُ النُّصْحِ مُقْصًى مُشِيرُها

وقول أيمن بن خريم :

أَمَا يَسْتَحِى الناسُ أن يَعْدِلُوا ... بِعَبْد العَزِيز بن لَيْلَى أَمِيرَا

(٥) قوله « عبدى مناف » يعنى هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بنى هاشم ، وعبد شمس جد بنى أمية وكان عبد شمس وهاشم توأمين ، وخرج عبد شمس فى الولادة قبل هاشم . وقال : «هو الفرع من عبدى مناف» ، مع أن بنى هاشم لم يلدوا أحداً من بنى مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، لأنهما أخوان توأمان . الأحساب جمع حسب : الشرف الثابت فى الآباء . والدسائع جمع دسيعة : وهى كرم فعل الرجل وكمال طبيعته وسعة خلقه وتمام سخائه . وفى الأصول : « إليها انتهت » ، ولا أظنه إلا من عمل الناسخ .

وكلُّ غَنِيٍّ قانعٌ بفعـــالِهِ   وكلُّ عزيزٍ عِنْدَهُ مُتَواضِعُ (١)
هُوَ المَوْتُ أحياناً يكونُ ، وإِنَّه   لَغيثُ حَياً يُحْيِي بهِ النَّاسُ وَاسِعُ (٢)

٧٥٦ — وله أيضاً :

إِنِّى إذا جُهِلَ اللِّئامُ ، رَأَيتَنى   كالشَّمسِ لا تَخْفَى بكلِّ مَكانِ (٣)
مَا مِنْ مُصيبَةِ نَكْبَةٍ أُمْنَى بها   إلَّا تُشَرِّفُنى وتَرْفَعُ شَانِى (٤)
وتَزولُ ، حينَ تَزولُ ، عَنْ مُتَخَمِّطٍ   تُخْشَى بَوادِرُه عَلَى الأَقْرانِ (٥)

٧٥٧ — (٦) أَخْبَرَنا أبو خَلِيفَةَ ، أخبرنا أُبْن سَلّام قال : حدَّثنى [أَبى] ، سَلَّامُ بنُ عُبَيْدِ الله ، قال : بَلَغنى أنَّ مَسْلَمَةَ بنَ عبدِ المَلكِ قالَ ليزيدَ بنِ

---

(١) الفعال : الفعل الحسن ، من الجود والكرم والسخاء ونحوها . متواضع : يتواضع له لكمال شرفه ونبله.

(٢) هو الموت أحياناً : لشدة بأسه ونكايته فى عدوه . والغيث : المطر يغيث الناس ، ولا يكاد يقال مطر ، إلا فى الماء المفسد للأرض المهلك للأنعام . الحيا : الغيث والخصب وما تحيي به الأرض والناس.

(٣) الأبيات فى الأغانى ٤ : ٢٣٦ ، ٢٤٠ وشرح الحماسة ١ : ١٢٠ ، وأمالى القالى ٢ : ٣ والشعر والشعراء : ٥٠٣ ، والخزانة ١ : ٢٣٣ وغيرها كثير . وكان سبب هذه الأبيات أنه كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أشراف أهل المدينة ، فشكوه إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة (وهو محمد بن عمرو بن حزم) وسألوه الكتاب فيه إليه ، ففعل ذلك : فكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضرب به مئة سوط ويقيمه على البلس للناس (والبلس ، بضمتين ، غرائر كبار يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه) ، ثم يصيره إلى دهلك (وهى جزيرة فى بحر اليمن ، حارة ضيقة ، كانوا ينفون أهل الجرائم إليها) . وأجود روايات البيت : « إنى إذا خفى الرجال »

(٤) منى بالشيء : ابتلى به . ويروى « وتعظم شانى » ، وهى جيدة .

(٥) المتمخط : المتكبر الشديد الغضب ، له ثورة وجلبة ، ثم يأخذ أخذاً بقهر وغلبة . وتخمط البحر : التطمت أمواجه ، وكله من تخمط فحل الإبل ، حين يهدر وتركبه الخيلاء . والبوادر جمع بادرة : وهى حدة تبدر من الرجل (أى تسبق) عند الغضب ، من قول أو فعل . والأقران جمع قرن : وهى المكافىء لك فى الشجاعة والبأس .

(٦) رواه الزجاجى فى أماليه : ٤٨ . وزدت قوله : « أبى » ، لأنه أبوه ، ولأن عادة ابن سلام أن يقول : « حدثنى أبى » غير مصرح باسمه ، وقد مضى ذلك كثيراً .

عبدِ الملك : يا أميرَ المؤمنين ! بِبابك وُفودُ الناسِ، وتقِفُ ببابك أشرافُ العرَب ، فلا تجْلسُ لهم ! وأنتَ قريبُ العَهْدِ بعُمَر بن عبد العزيز ! وقد أقْبَلْتَ علَى هٰؤلاءِ الإماءِ ! قال : إنّى لأرجو أنْ لا تُعاتِبَنِى عَلَى هٰذا بعدَ اليَوْم . فلما خرج مَسْلَمَةُ من عِنده ، أُسْتَلْقَى على فِراشه ، وَجاءت حَبابةُ جاريَتُه فلم يُكلِّمْها ، فقالتْ : ما دَهاكَ عَنِّى ؟ فأخبرَها بما قال مسلَمَةُ وقال : تَنَحَّىْ عَنِّى حتى أفرُغَ للنَّاس . قالت : فَأَمْتِعْنى منْكَ يوماً واحداً ، ثم أُصنعْ ما بَدا لَكَ[١] . قال : نعم . فقالتْ لمَعْبَد : كيفَ الحِيلَةُ ؟ قال : يقولُ الأحْوَص أبياتاً و تُغَنِّى فيها . قالتْ : نعم . فقال الأحْوَص .

أَلَا لا تَلُمْهُ اليَوْمَ أنْ يَتَبَلَّدَا فقدْ غُلِبَ المحْزُونُ أن يَتَجَلَّدَا[٢]
أَذا كُنْتَ عِزْهاةً عنِ اللَّهْوِ والصِّبَا، فكُنْ حَجَراً من يابِسِ الصَّخْرِجَلْمَدَا[٣]
فما العَيْشُ إلَّا ما تُحِبُّ وتَشْتَهِى، وَإنْ لامَ فيهِ ذو الشَّنَانِ وَفَنَّدَا[٤]

فغنَّى فيه مَعْبَد وقال : مَرَرْتُ البارحَة بدَيْرِ نصارَى ، وهم يَقولونَ

---

(١) ما دهاك عنى : أى ماذا أصابك حتى صرفك عنى ، فاختصروا الكلام .

(٢) الأبيات فى الأغانى ١٣ : ١٥١ – ١٥٣ ، ومصارع العشاق ٦٢ ، ٧٥ ، والشعر والشعراء : ٥٠١ ، واللسان (بله) وغيرها . تبلد الرجل : إذا أصيب فى حميمه فيجزع لموته ، وتنسيه مصيبته الحياء ، فتراه مستكيناً متحيراً كالذاهب العقل . والتبلد : نقيض التجلد فى مثل هذا .

(٣) اللسان (عزه) . رجل عزهاة وعزهاءة : وهو الذى لا يقرب النساء وينقبض عنهن ويعرض ، من زهو أو كبر ، أو أنفة من الضعف والاستكانة لجبن أو سطوتهن على الرجال . وصخرة جلمد : شديدة مجتمعة صلبة .

(٤) اللسان (شنأ) الشنان ، الشنآن ، سهل همزته : وهو البغض ، شنىء الشىء يشنأه : أبغضه . وفنده : لامه وعذله وضعف رأيه وخطأه ، من الفند (بفتحتين) : وهو الخرف وضعف العقل من هرم أو مرض .

بصَوْتٍ شَجِيٍّ، فحكَيْته فى هٰذا الصوْت[1]. فلمَّا غنَّتْه حبابة قال: لعنَ الله مَسْلَمة! صدقْتِ. وَاللهِ لا أُطيعُهم أَبدًا.

٧٥٨ — [أخبرنا أبو غانم قال: أخبرنا أبو خَليفة قال: حدثنى محمد ابن سَلّام قال: حدثنى محمد بن أبان، أنّ الأحوص بن محمد الشاعر، كان يَهْوَى أُختَ امرأَتِه، ويكتم ذلك، وينسبُ بها ولا يُفصح باْسْمِها، فتزوَّجها مَطرٌ، فبلغهُ الأمرُ، فأنشأ يقول][2]:

أَأَنْ نادَى هَــديلًا، ذاتَ فَلْجٍ   مع الإشراقِ، فى فَنَنٍ حَمامُ[3]

---

(١) فى أمالى الزجاجى «يقرأون بلحن شج»، فإن صح نص الطبقات، فإنى لا أرى به بأساً، كأنه عنى بالقول: القراءة فيها الغناء. وقد سموا بعض أهل الغناء فيما بعد «القوالين». وصوت شج وشجى: حزين يبعث الحزن ويحرك النفس.

(٢) نقلت صدر هذا الخبر من أمالى الزجاجى: ٥٢ – ٥٣. وهذا الخبر الذى رواه ابن سلام، روى سواه خبراً فى سبب القصيدة أعجب منه وأولى بالتصديق. قال أبو الفرج فى أغانيه ١٤: ٦١–٦٢ عن محمد بن ثابت الأنصارى قال: «قدم الأحوص البصرة، فخطب إلى رجل من بنى تميم ابنته، وذكر له نسبه فقال: هات لى شاهداً واحداً يشهد أنك ابن حمى الدبر وأزوجك. فجاءه بمن شهد له على ذلك، فزوجه إياها، وشرطت عليه أن لا يمنعها من أحد من أهلها. فخرج بها إلى المدينة، وكانت أختها عند رجل من بنى تميم قريباً من طريقهم، فقالت: اعدل بى إلى أختى. ففعل. فذبحت لهم وأكرمتهم، وكانت من أحسن الناس، وكان زوجها فى إبله. فقالت زوجة الأحوص له: أقم حتى يأتى. فلما أمسوا، راح مع إبله ورعائه، وراحت غنمه فراح من ذلك أمر كثير، وكان يسمى مطراً. فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمته عينه، وكان قبيحاً دميماً. فقالت له زوجه: قم إلى سلفك وسلم عليه. فقال — وأشار إلى أخت زوجه بإصبعه —:

سَــلامُ الله يا مَطَرٌ عليها   وليسَ عليكَ يامَطَر السلامُ

وذكر الأبيات، وأشار إلى مطر بإصبعه. فوثب إليه مطر وبنوه، وكاد الأمر يتفاقم حتى حجز بينهم» قال أبو الفرج: قال الزبير: «محمد بن ثابت بن عبد الله بن سعد، الذى حدث بهذا الحديث، أمه بنت الأحوص وأمهما التميمية، أخت زوجة مطر»

(٣) المراجع السالفة والخزانة ١: ٢٩٤، وشواهد المغنى: ٢٦٠ وغيرهما. ورواية غيره «يوم فلج»، وفلج: واد بين البصرة وحمى ضرية، فى طريق مكة، وهو من منازل بنى العنبر بن عمرو بن تميم. والهديل: تزعم الأعراب أنه فرخ كان على عهد أبينا نوح صلى الله عليه فمات ضيعة وعطشاً، فيقولون: إنه ليس من حمامة إلا وهى تبكى عليه وتناديه وتندبه. والفنن: الغصن المستقيم.

ظَلِلْتَ كأَنَّ دمْعَك دُرُّ سِلكٍ ... هَوى نسَقاً وأسْلمَهُ النِّظامُ (١)

تَمُوتُ تشوُّقاً طَرَباً وتَحْيَى ... وأنْتَ جَوٍ بِدائِك مُسْتَهامُ (٢)

كأنَّك من تذكُّرِ أمِّ حفصٍ ... ، وحَبْلُ وِصالِها خَلَقٌ رِمامُ ، (٣)

صَريعُ مُدامَةٍ غلَبتْ عليْهِ ... تَموتُ لها المفاصِلُ والعِظامُ (٤)

وَأنى مِنْ ديارِكَ أُمُّ حفصٍ ؟ ... سَقَى بلداً تَحُلُّ بِهِ الغَمامُ !

أَحَلُّ النَّعفَ من أُحُدٍ ، وأدْنَى ... مَساكِنِها الشُّبَيْكةُ أو سَنامُ (٥)

سَلامُ اللهِ يا مطرٌ عليْها ، ... ولَيسَ عَليْكَ يا مطرُ السَّلامُ (٦)

وَلا غفَرَ الإلَهُ لِمُنْكِحِيها ... ذُنوبَهُمُ ، وإن صَلُّوا وصامُوا

فإنْ يَكُنِ النِّكاحُ أحلَّ شيئاً ، ... فإنَّ نِكاحَها مَطرٌ حَرامُ (٧)

---

(١) نسق : متتابع بعضه فى أثر بعض . أسلم الرجل : خذله ، وأسلم الشىء : تركه ولم يمسكه . والنظام : الخيط أو السلك الذى ينظم به اللؤلؤ وغيره .

(٢) فى الأصول « طرباً ولحناً » ، وهو خطأ معرق . والطرب : ما يعترى من القلق فى حزن أو فرح أو شوق . وجوى الرجل فهو جو : أخذه الجوى ، وهو الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن . وهام الرجل واستهيم فؤاده (بالبناء للمجهول) فهو مستهام : استهلكه الهيام ، فذهب على وجهه عشقاً ووجداً ، وتحير فى أمره .

(٣) ثوب خلق : بال قد تهتك . وحبل رمام ورم وأرمام : بال متقطع ، وصفوه بالجمع . والرمة (بضم الراء وتشديد الميم) : ما بقى من الحبل بعد تقطعه ، كأنهم جعلوا كل جزء رمة ثم جمعوه

(٤) المدامة : الخمر المعتقة ، أديمت فى الدن حتى سكنت فورتها .

(٥) معجم ما استعجم : ٧٨١ النعف : ما انحدر من غلظ الجبل ، وارتفع عن مجرى السيل فى الوادى ، ومثله الخيف . وأحد : جبل المدينة المشهور . وفى الأصول « السكينة » وهو خطأ . والشبيكة : منزل من منازل حاج البصرة ، بينه وبين وجرة أميال . وسنام : جبل لبنى دارم بين البصرة واليمامة .

(٦) هذا بيت مضغته أشداق النحاة ! من شواهدهم فى تنوين المنادى مرفوعاً ومنصوباً .

(٧) وهذا أيضاً مضغوه ! رووا « مطر » مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً ، رفعوه على أنه فاعل المصدر (نكاحها) والمصدر أضيف إلى المفعول . ونصبوه على أنه مفعول ، والمصدر مضاف للفاعل ، والجر على أنه مضاف للمصدر ، وفصل بين المتضايفين بضمير فاعل أو مفعول . وقد ذكرنا هذا للتسلية ! ويروى « أحلَّ شىء »

كأنَّ المالِكينَ نِكاحَ سَلْمَى ... غَداةَ يرومُها مَطَرٌ نِيامُ (١)

فلوْ لم يُنْكِحُوا إلَّا كَفِيًّا ... لَكانَ كَفِيَّها الملِكُ الهُمامُ (٢)

فَطَلِّقْها فلستَ لهَا بأَهْلٍ ، ... وَإلَّا شَقَّ مَفرِقَكَ الحُسامُ (٣)

* * *

٧٥٩ — (٤)[أخبرنى أبو خَليفة الفضلُ بن الحُباب ، عن محمد بن سلّام، عن أبي الغرّاف ، عمَّن يثق به قال: بعثَ يزيدُ بن عبدالملك — حين قُتِل يزيدُ بن المهلَّب — فى الشُّعراء، فأمر بهجاء يزيد بن المهلّب ، منهم الفرزْدَق وكُثيّر والأحوصُ . فقال الفرزدق : لقدْ امْتَدَحْتُ بنى المهلّب بمدائح ما امتدحتُ بمثلها أحداً ، وإنه لقبيحٌ بمثلى أن يُكْذِبَ نَفسَه على كِبَر السنّ ، فليُعْفِنى أميرُ المؤمنين . قال : فأعفاهُ . وقال كُثيِّر : إنّى أكرَهُ أن أعرِّضَ نفسى لشعراء أهل العراقِ إِنْ هجوتُ بنى المهلّبِ . وأما الأحوص فإنَّه هجاهُم . ثم بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الجرّاح

---

(١) سلمى ، هى أم حفص ، التى ذكرها آنفاً ، وهى أخت امرأته . يسخر من أوليائها إذ أنكحوها هذا الدميم .

(٢) الكفى ، الكفىء ، سهلت همزته ، والكفء : وهو النظير المكافىء المساوى . والكفاءة فى النكاح : هو أن يكون الزوج مساوياً للمرأة فى حسبها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك . والهمام : العظيم الهمة ، الشجاع السخى ، لا يرد عن شىء من ذلك ، وإذا هم بأمر فعله .

(٣) يروى « لها بكفء ، وإلا عض » و « وإلا يعل » . المفرق : وسط الرأس . والحسام السيف الباتر .

(٤) هذا الخبر نقلته من الأغانى ٤ : ٢٥٥ ، والجراح بن عبد الله الحكمى ، كان من ولاة يزيد بن المهلب حين ولى خراسان سنة ٩٧ ، فولى الجراح على واسط ، ثم ولى الجراح خراسان سنة ٩٩ بعد أن عزله عمر بن عبد العزيز ، ثم عزل الجراح أيضاً فى رمضان سنة ١٠٠ بعد أن وليها سنة وخمسة أشهر . والجراح هو الذى حمى نساء بنى المهلب فى محنتهم سنة ١٠٢ .

أبن عبد الله الحكَمِيّ ، وهو بأذْرَبيجان – وقد كان بلغَ الجرّاحَ هجاءُ الأحوصِ بنى المهلَّب – فبعث إليه بزِقّ خمرٍ ، فأُدخِلَ منزلَ الأحوص . ثم بعث إليه خيلًا فدخلَتْ منزله ، فصَبُّوا الخمرَ على رأسِهِ ولحيتِه ، وضربَهُ الحدَّ بين أوجهِ الرجال ، وهو يقول : ليس هكذا تُضْربُ الحدود ! ! فجعل الجرَّاحُ يقولُ : أجلْ ! ولكن لِما تَعلم . ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يعتذرُ إليه ، فأغضى له عليها] .

٧٦٠ — [أخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، عن سالم بن أبى السَّمحاء – وكان صاحبَ حمّاد الراوية – : أنَّ حمَّادًا كان يقدّم الأحوصَ فى النَّسيب] .[1]

* * *

٧٦١ — ومن قول جميل :

ما من قَرينَةِ آلفٍ لقرينِهِ ... إلاَّ لِحَبْلِ قَرينِها إقْصارُ[2]
وَإذا أرَدْتِ – وَلَنْ يخونَكِ كاتِمٌ ... حتى يُشِيعَ حَديثَكِ الإظهارُ –[3]

---

(١) هذا الخبر نقلته من الأغانى ٤ : ٢٦٢ . وبقى خبر رواه أبو الفرج فى أغانيه ٤ : ٢٤٦ ، عن «أبى خليفة الفضل بن الحباب الجمحى قال : حدثنا عون بن محمد بن سلام قال حدثنى أبى عمن حدثه» ، فلما رأيت أنه أدخل فى السند « عون بن محمد بن سلام » لم أرض أن أدخله فى الطبقات ، لأن أبا خليفة ، يرويها عن محمد بن سلام نفسه . وفى ترجمة الأحوص من الأغانى ٤ : ٢٦٦ خبر آخر عن ابن سلام ، مضى فى رقم : ٦٧٣

(٢) لم أجد الأبيات . وفى الأصول « لقرينها » ، وأراه خطأ . والقرينة : النفس . والحبل : العهد الوثيق . وأقصر عن الشىء : كف عنه ونزع وتركه ، وانتهى . يقول : ما من نفس تألف قرينها ، إلا كانت آخرة ما بينهما الفراق أو السلو .

(٣) مفعول « أردت » فى البيت التالى « كتمان سرك » ، ويعنى بالكاتم نفسه . يقول : لا أخونك ، فإن شاع ما بيننا فمنك كان ظهوره ، لأنك ائتمنت غيرى وغيرك ، فلا تأمنى أحداً ، فقل فى الناس الأمين .

كِتمانَ سِرِّكِ ، يا بُثَيْنَ ، فإنما عِند الأمين تَغَيَّبُ الأسْرارُ

٧٦٢ — ومن قوله :

ويَحْسَبُ نِسْوانٌ ، من الجهلِ، أَنَّنى ، إذا جِئْتُ ، إيَّاهُنَّ كنتُ أُريدُ (١)

فَأَقْسِمُ طَرْفِى بَيْنهُنَّ فيَسْتوى ، وفى الصَّدر بَوْنٌ بَينهُنَّ بَعيدُ (٢)

فياليْتَ شِعْرى ! هَل أَبِيتَنَّ لَيْلةً بوادِى القُرَى ؟ إنِّى إذًا لسَعيدُ ! (٣)

وهلْ أَلْقَيْنَ سُعْدَى من الدَّهْرِ مَرَّةً وما مَرَّ من عَصْرِ الشبابِ جَديدُ ؟ (٤)

ومَنْ يُعْطَ فى الدنيا قَرِيناً كمِثْلِها فذلك من عَيْشِ الحياةِ رَشيدُ

يَموتُ الهوَى مِنِّى إذا ما لَقِيتُها ، ويَحْيَى ، إذا ما فارَقَتْ ، فيَعودُ (٥)

* * *

٧٦٣ — أَخبَرَنا أبو خَلِيفة ، أخبرنا ابن سَــلَّام قال : فحدَّثنى أبو الغرَّاف قال : مَرَّ جَرِيرٌ بنُصَيْبٍ وهْوَ يُنْشِد ، فقال له : اُذْهَبْ فأنْتَ

---

(١) روى القصيدة كلها أبو على القالى فى أماليه ١ : ٢٧٢ ، ٢ : ٢٩٩ ، وروى بعضها أبو الفرج فى أغانيه ٨ : ١٠٣ وغيرهما .

(٢) البون : مسافة ما بين الشيئين . وهذا البيت من تجارب أهل المروءة فى الحب ، وأهل الجلد على الكتمان .

(٣) وادى القرى : واد من أعمال المدينة ، بينها وبين الشام ، كان كثير القرى ، وفتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة فى سنة سبع من الهجرة .

(٤) هذا البيت تختلف رواياته فى مراجعه . وسعدى : يعنى بثينة نفسها ، وكذلك كانوا يسمون المرأة بأسماء كثيرة ، يتفاءلون بما يسمون . يقول : هل يقدر الله لى أن ألقاها ، وقد تجدد كما كان ما مضى من شبابنا !

(٥) وهذا البيت حسن جميل ، من صدق الحب ، وتمام تجربته لما يكون فيه ، ومن قدرته على البيان .

أَشْعرَ أهلِ جِلْدَتِك ! — وكان نُصَيبٌ أسودَ — ، فقال : وجِلْدَتِك يا أَباحَزْرَة ![1]

٧٦٤ —[2] [أخبرنا أبو غانم المَعْنَوِىّ قال : أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الُحباب الجمحىّ ، عن محمّد بن سلّام ، عن الفَضْل بن عبّاس الهاشمىّ قال : دخلتُ مَسْجِدَ الرّسُول صلى الله عليه وسلم فإذا أنا بنُصَيْبٍ الشاعر ، فقلتُ له : مَنْ أنتَ ، يَرحَمُك اللهُ ؟ فما أَدْرى مِمَّ أعجبُ ! من شدَّةِ بَريقِ سَوادِ وجهك ، أم من نَظَافة ثَوْبك ، أم من طِيبِ رائحتك ؟ قال : أنا نُصَيْبٌ الشاعر . فقلت : فلِمَ لا تهجُو كما تمدحُ ، وقد أقرَّت لك الشعراءُ فى المدْح ؟ قال : تُرَانى لا أُحْسن أقولُ مكانَ عافاه الله ، أخزاه الله ! ولكنى أدعُ الهِجَاء لخَلّتينِ : إمّا أَهجُو كريماً فأهتِكُ عِرْضَه ، وإمّا أَهجُو لئيماً لطلبِ ما عندَه ، فنَفْسِى أحقّ بالهِجاء إذْ سَوَّلتْ إلى لَئِيم[3] . قال : ثم إن بَنى عمّ مَوْلاه اُجتمعوا إلى مَوْلاه فقالوا : إنّ عَبْدكَ هذا قد نَبغَ بقَوْل الشِّعْر ، ونحنُ منه بينَ شرَّين : إمّا أن يَهْجُونا فيهتِكَ أَعراضَنا ،

---

(١) هذا الخبر رواه أبو الفرج ، فى أغانيه ١ : ٣٣٨ ، ثم روى مثله عن ابن سلام ، عن خلف الأحمر ، عن أبى الغراف ، ١ : ٣٥٥ .

« أخبرنى الفضل بن الُحبَاب أبو خليفة قال : حدثنا محمد بن سلّام ، عن خَلَفٍ : أن نُصيباً أنشد جريراً شيئاً من شعرِه ، فقال له : كيف ترى يا أبا حَزْرَة ؟ فقال له : أنت أشْعَرُ أهل جِلْدَتِك » .

(٢) هذا الخبر نقلته من أمالى الزجاجى : ٣١ . والنقص فى هذا الموضع من الكتاب عظيم فيما أرى .

(٣) ترانى : (بالبناء للمجهول) : تظننى . والخلة : الخصلة . وسولت له نفسه شيئاً : زينته له ، وعداه بـ « إلى » ، وحذف المفعول ، كأنه أضمر فى الفعل معنى « وجه وقصد » مع تزيين التوجه والقصد .

أو يمدحنا فيشبِّب بنِسائنا ، وليس لنا فى شىءٍ من الخلّتين سِيرةٌ . فقال له مَوْلاهُ : يا نصَيْب ، أنا بائِعُك لا محالة ، فاْختَرْ لنفسك . فسارَ إلى عبد العزيز بن مَرْوان بِمِصْر ، فدخل إليه فى زُوّارِه ، فأنشدَهُ :

لِعَبْدِ العـزيزِ على قَوْمِه | وغـيرِهِمُ مِنَنٌ ظاهِرَهْ[(١)]
فبابُكَ أسْهلُ أبوابِهِمْ ، | ودارُكَ مأهُـولةٌ عامِرَهْ
وكلبُك أرْأَفُ بالزّائريـنَ مِنَ الأُمِّ بابْنتِها الزّائِرَهْ
وكفُّكَ حين تَرَى المُعْتَفِيـنَ أَثْرَى مِنَ اللَّيْلةِ المَاطِرَهْ[(٢)]
فَمِنْكَ العطاءُ ، ومنّا الثّناءُ | بكُلِّ مُحَبَّرةٍ سائِرَهْ[(٣)]

فأمَر له بألفِ دينارٍ ، فقال: أصلحك الله ، إنّى عَبْدٌ، ومثلِى لا يأخُذ الجوائز! قال : فما شأنُك ؟ فخبّره بحاله . فقال لوَكيله : اذهبْ به إلى بابِ الجامع فنادِ عليه ، فإذا بلغَ الغايةَ فعرِّفنى به . فذهبَ به فنادَى عليه مَن يُعطينى لعبْدٍ أسْودَ جَلْدٍ ؟ قال رجل : هو علىّ بخَمْسين دِيناراً . فقال نصيبٌ : قولوا : عَلَى أَنْ أبْرِىَ القِسِىّ وأَرِيشَ السِّهام وأَمْتخِر الأوْتارَ[(٤)] .

---

(١) الأغانى ١ : ٣٣٣ ، وفيه « نعم غامره » ، والوحشيات : ٤٣١ ، ونسبها للأقيبل القينى أيضاً : رقم : ٤٣١ . ورواه العسكرى فى ديوان المعانى ١ : ٣٣ لعمران بن عصام .

(٢) عفوت الرجل واعتفيته : طلبت فضله أو رزقه وعطيته . والعفاة والمعتفون : القاصدون لفضله . وقوله : « أثرى » أفعل تفضيل من الرباعى ، من قولهم أثرى المطر : بل الثرى . ورواية غيره « أندى »

(٣) حبر القول : زينه وجوده ونمقه ، يعنى القصائد المحبرة التى تسير بها الركبان .

(٤) فى الأمالى « واحتجر » ، ولست أعرف لها معنى . وامتخر الأوتار : اختار خيارها ونخبتها . والأوتار محتاجة إلى جودة اختيارها .

فقال : هو عليّ بمئتي دينار . قال : قولُوا : على أنْ أرْعَى الإبِل ، وأمْرِيها ، وأُفَصْفِصُها ، وأُصْدرها ، وأُوردُها ، وأرعَاها ، وأُرْعِيها[1] . قال رجل : هو عليّ بخمسمئة دينار . قال نُصَيْب : قولوا : على أنه عربيٌّ شاعِر لايوطِئ ولا يُقوِى ولا يُسَانِد[2] . قال رجل : هو عليّ بألف دينارٍ . فسارَ به إلى عبد العزيز نخبّره بحاله . فلم يزل فى جُمْلته إلى أن اُحْتُضِر ، فأوصَى به سليمانَ خيراً ، فصيَّره فى جُمْلة سُمَّاره . فدخَل الفرزدقُ ذاتَ يومٍ على سُلَيمان ، فقال له : يا أبا فِرَاسٍ ، أنشدنى – وإنما أراد أن يُنْشِدَهُ مديحاً فيه – فأنْشَأَ الفرزدَقُ يقول :

وَرَكْبٍ، كأنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ ... لها تِرَةً مِنْ جَذْبِها بالعَصَائِبِ،[3]
سَرَوْا يَرْكَبُون الرِّيحَ ، وهى تَلُفُّهُمْ ... إلى شُعَبِ الأكْوَارِ ذاتِ الحَقَائِبِ[4]

---

(١) مرى الناقة يمريها : حلبها . فصفص دابته : أطعمها الفصفصة : وهى القت الرطب ، من علف الدواب . وفى الأصول « أقصقضها » ولا معنى له .

(٢) من الإقواء والإيطاء والسناد ، وقد مضى تفسيره فى أول الكتاب من رقم : ٦٦ ، وما بعده .

(٣) ديوانه : ٣٠ ، والكامل ١ : ١٠٦ ، وأمالى القالى ٣ : ٤٠ ، والأغانى ٤ : ٣٣٦ ، وغيرها. والترة : الثأر : والعصائب جمع عصابة : وهى العمامة تعصب على الرأس .

(٤) سرى : سار ليلا . وقوله « يركبون الريح » يعنى إبلهم ، فى سرعتها وامتداد سيرها ، وأجود الروايات « يخبطون الليل » و « يركبون الليل » . والشعب : جمع شعبة : وهى فى الأصل ما بين كل غصنين ، وأراد شعب الرحال ، ولكل رحل شعبتان من أمام كأنهما غصنان مفترقان فى أعلاه . والأكوار : جمع كور (بضم الكاف) : وهو الرحل بأداته . والحقائب جمع حقيبة ، وحقيبة الرحل : كالبرذعة ، كساء يكون على عجز البعير . وأراد بقوله : « تلفهم إلى شعب الأكوار » ، أنها من شدتها تضطرهم إلى التزام الشعب ، وقد جمعوا عليهم ثيابهم ولفوها ، و جعلوا رؤوسهم تحتها . ومنه قيل ، ألف الطائر رأسه : أدخله تحت جناحه .

إِذا أَبْصَرُوا نارًا يقُولون : لَيْتَها —وقدخَصِرَتْ أَيْدِيهِمُ— نارُغالِبِ (١)

فتمعَّرَ وجْهُ سُلَيمان وارْبَدَّ ، لمَّا ذكر الفرزدقُ غالبًا (٢) . فوثب نصيبٌ فقال : ألا أُنْشدُكَ على رَوِيِّهِ مالا يُقصِّرُ عنه ؟ :

أَقُولُ لِرَكْبٍ صادِرِينَ ، تركتُهُمْ قَفاذَاتِ أَوْشَالٍ ومولاكَ قارِبُ : (٣)

قِفُوا خبِّرُونِي عَنْ سُليمانَ ، إنَّنِي لمعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانَ طَالِبُ (٤)

فعَاجُوا ، فأثْنَوْا بالَّذِي أنتَ أهلُهُ ، ولو سَكتُوا أثْنَتْ عليْكَ الحقائِبُ (٥)

فقال للفرزدق : كيف ترَى شِعْرَه ؟ فقال : هُوَ أشعرُ أهلِ جِلْدَته . قال سُليمان : وأهلِ جِلْدَتك ! ثم قال : يا غلام ، أعْطِ نُصيبًا خمْسمِئة دينارٍ ، وللفرزدقِ نارَ أبيه ! فوثبَ الفرزْدقُ وهو يقول :

وَخَيْرُ الشِّعْرِ أَشْرَفُهُ رِجَالاً ، وشرُّ الشِّعْرِ ماقالَ العَبِيدُ] (٦)

---

(١) خصرت يده : إذا آلم البرد أطرافها ، والخصر (بفتحتين) : البرد يجده الإنسان فى أطرافه. وغالب بن صعصعة : أبوالفرزدق ، وكان أحد الأجواد. يقول : كلما رأوا ناراً من بعيد تمنوا أن تكون نار غالب .

(٢) غضب الرجل فتمعر وجهه : تغير لونه وعلته صفرة أو حمرة وقطوب . وار بد لونه وتربد : احمر حمرة فيها سواد إلى الغبرة عند الغضب .

(٣) الكامل ١ : ١٠٦ ، والأمالى ٣ : ٤٠ ، والأغانى ٤ : ٣٣٧ ، وروايتهم جميعاً « صادرين لقيتهم» . وصادرون : صدروا عن الماء ، أى رجعوا . ولقيته قفا موضع كذا : أى وراءه . وذات أوشال : أرض فيها أوشال جمع وشل (بفتحتين) ، وهو الماء القليل يتحلب من جبل أو صخر ، ثم يجتمع حتى يساق إلى المزارع . وقوله «ومولاك» : يعنى نفسه . والقارب : الطالب للماء المجد فى القرب منه ووروده . أقرب الرجل فهو قارب ، على غير قياس .

(٤) ودان : قرية قريبة من الجحفة ، بين مكة والمدينة .

(٥) عاج بالمكان : أقام به ، كأنه عطف رأس بعيره ومال إليه ثم وقف به ، أو نزل فأقام . والحقائب جمع حقيبة : وهى وعاء للزاد ، تحمل خلف الرحل ، وهى غير التى مضت آنفاً فى ص٥٤٧ رقم : ٥ .

(٦) ليس فى ديوانه . وانظر المراجع السالفة .

* * *

٧٦٥ — فمن قوله :

حَرِيبٌ أضاعَ المالَ من بعْدِ ثَرْوَةٍ لديْهِ ، فأضحى وَهوَأسْوَانُ مُعْدِمُ[١]

فإنْ تكُ ليْلَى العامِرِيَّةُ أصْبحَتْ ، عَلَى النَّأيِ مِنِّى ، ذَنْبَ غيْرِى تَنْقِمُ[٢]

فمَا ذاكَ مِنْ ذنبٍ أكُونُ اجْتنَيْتُهُ إلَيْها ، فتَجْزِينى بِهِ ، حَيْثُ أعْلَمُ[٣]

ولكنَّ إنْسَانًا إذا ملَّ صَاحِباً ، وحَاوَلَ صَرْمًا ، لم يَزَلْ يتَجَرَّمُ[٤]

٧٦٦ — ومن قوله :

وكيفَ يَقودَنِى كَلَفٌ بسُعْدَى وَهٰذا الشَّيْبُ أَصْبح قد عَلانِى ![٥]

ووَدَّعَنى الشَّبَابُ ، وكنتُ أسْعَى إلى دَاعِى الشَّبَابِ إذا دَعانِى !

وَإن يَفْنَ الشَّبابُ ، فكُلُّ شيْءٍ من الدُّنيا _ فلا يَغْرُرْكَ _ فانى

وَلو أنِّى بَقِيتُ ، لِمُسْىِ لَيْلٍ وَصُبْحِ نَهَارِهِ يَتَداوَلانِى[٦]

---

(١) الأغانى ١٥ : ٨ . ولم أجد البيت الأول ، وفى الأصول « أصاب المال » ، ولا معنى له . والحريب : الذى سلب ماله كله . وأسوان : حزين ، من أسى على مصيبته أسى : حزن .

(٢) النأى : البعد . نقم عليه (بفتح النون والقاف) ينقم : عتب عليه ، أو كره أمره وأنكره . وأراد شدة غضبها عليه بلا ذنب جناه إليها ، دلالاً وتجنياً منها .

(٣) رواية الأغانى « اجترمته » من الجرم ، أى اكتسبته واقترفته . فإن صحت رواية الطبقات : « اجتنيته » فقد أصاب وجه العربية . جنى الذنب واجتناه ، كما قالوا : جرم الذنب واجترمه . ولم يرد فى كتب اللغة .

(٤) الصرم : القطيعة . وتجرم فلان على جرماً : ادعى على ذنباً لم أفعله .

(٥) لم أجد هذه الأبيات . والكلف : الولوع بالشىء مع شغل القلب والمشقة .

(٦) المسى من المساء ، كالصبح من الصباح : الإمساء والإصباح . يقول : لو بقيت يتداولنى إمساء ليل وإصباح نهار لشقيت بهما

صَحيحاً — لا أُلاَقى المَوْتَ حتَّى أَدِبَّ عَلَى القَنَاةِ — لَأَبْأَسَانِى(١)

---

(١) « صحيحاً » ، أى لو أنى بقيت صحيحاً . ودب الشيخ يدب : مشى على هينة رويداً. والقناة : العصا . يريد طال عمره حتى يدب على عصاه . وأبأسه : أنزل به البأساء والضر ، من قولهم أبأس الرجل : حلت به البأساء . وفى الأصول : « وأبايانى » ، ولم أعرف لها وجهاً أجود من الذى رأيت . وقد تداول الشعراء هذا المعنى ، كقول حميد بن ثور :

أرى بَصَرى قد رَابَنى بَعْدَ صِحَّةٍ وحَسْبُك داءً أن تصحَّ وتَسْلَما

وقول عبد الرحمن بن سويد المرى :

كانَتْ قنَاتِى لا تَلِينُ لغامِزٍ فألانَها الإصباحُ والإمْسَاء

ودَعوتُ ربّى بالسَّلَامَة جاهداً ليُصِحَّنى ، فإذ السَّلَامةُ داءُ !

الطّبقة السّابعة

من الإسلاميين

٧٦٧ — المُتوكِّل اللَّيْثِى ، ويُكنَّى أبا جُهْمَة : وهُو المُتوَكِّل بنُ عَبدِ الله بنِ نَهْشَل ، أَحدُ بنى لَيْثِ بن بَكْر بن عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانة . وكان كوفيًّا ، وكان فى عَصْر مُعاوية .

٧٦٨ — ويَزيدُ بن رَبيعة بن مُفرِّغٍ الحِمْيَرِىّ .

٧٦٩ — وزِيادٌ الأعْجَم ، وهو زِيادُ بن سُلَيْمٍ العَبْدِىّ .

٧٧٠ — وعَدِىٌّ بن الرِّقَاع ، وهو عَدِىّ بن زَيْدِ بن مالكِ بن عَدِى بن الرِّقَاع .

* * *

٧٧١ — أخبرَنا أبو خَلِيفة ، أخبرنا محمَّد بن سلَّام قال : فحدّثنى أبى سَلَّامٌ عمّن حدّثه قال : كانَتْ رُهَيْمُ ، امْرأةُ المتوكل ، أُقْعِدَتْ فسألته الطلاقَ ، فقال : ليسَ ذا حِينَ طَلاقٍ ! فأبتْ عليه . فطلَّقها ، فبَرَأَتْ بعدَ الطَّلاق ، فقال يَذْكُرُها(١) :

قِفِى قَبْلَ التَّفَرُّقِ يا أُمَامَا ... ورُدِّى قَبلَ بَيْنِكُم السَّلَامَا(٢)

---

(١) هذا الخبر رواه أبو الفرج عن غير ابن سلام فى أغانيه ١١ : ٣٧ — ٣٨ . وأقعدت : أصابها العقاد ، وهو داء يأخذ الأوراك ، فتسترخى ، فيقعد المبتلى به عن الحركة .

(٢) الأغانى ١١ : ٣٨ . أمام : ترخيم أمامة ، يعنى زوجته ، وروى أبو الفرج أن اسمها « رهيمة ، ويقال أميمة ، وتكنى أم بكر » . وبين هذا البيت والذى يليه شعر كثير .

سَعَى الوَاشُونَ حتَّى أزْعَجُوها وَرَثَّ الحَبْلُ فَانْجذمَ انْجِذامَا(١)

فَلَسْتُ بِزَائِلٍ ما دُمْتُ حَيًّا مُسِرًّا ، من تَذكُّرِها ، هُيامَا

تُرجِّيها ، وقد شَحَطَتْ نَوَاها ، ومَنَّتْكَ المُنَى عامًا فعامَا !(٢)

خَدَلَّجَةٌ لهَا كَفَلٌ ، وبُوصٌ يَنُوءُ بِها إذَا قامتْ قِيامَا(٣)

صِلِينِي ، وَاعْلَمِي أنِّي كَرِيم وأنَّ حَلاَوَتِي خَلَطَتْ سِمَامَا(٤)

وأنِّي ذُو مُدَافعةٍ صَلِيبٌ ، خُلِقْتُ لمَنْ يُضَارِسُنِي لِجَامَا(٥)

فَلاَ وَأَبِيكِ لاَ أَنْسَاكِ حتَّى تُجَاوِرُ هامَتِي فى القَبْرِ هامَا(٦)

٧٧٢ — قال : وكان رَجُل من بَنِى جُشَم صديقاً للمُتوكل ، ثم جَفَاهُ قليلًا ، فقال :

---

(١) رث الحبل : بلى وتقطع . وكنى بالحبل عن العهد . وجذم الشىء فانجذم : قطعه فانقطع . وجذم حبل وصاله : قطعه .

(٢) شحط : بعد . وشحط مزاره : تباعد . والنوى : الوجه الذى تقصده وتنويه .

(٣) امرأة خدلجة : ريا البدن ناعمته ، ممتلئة الساقين والذراعين . والكفل : العجز من الإنسان وغيره . والبوص : العجيزة اللينة الشحمة الممتلئة . ينوء بها : أى يثقلها ويجهدها ، ولم يرد كل ذلك ، بل أراد أنها لامتلائها تقوم متأنية .

(٤) بين هذا البيت والذى قبله أبيات . والسمام جمع سم : وهو القاتل . ويروى «عراما» . والعرام : الشدة والغلظة والقوة والشراسة .

(٥) المدافعة : الدفع والمحاماة . وضارسه يضارسه : شاكسه ونازله . من الضرس : وهو العض ، ومنه ضارست الأمور : جربتها وعرفتها ، كأنه عضها وعضته . وهو له لجام : أى يكبحه ويرده عن شرته . ورواية الأغانى « لمن يماكسنى » . والمماكسة : المشاكسة . وفى الأصول « يصارمنى » وهى خطأ .

(٦) الهامة : رأس الإنسان . وفى الأغانى « تجاوب هامتى » ، فالهامة عندئذ : ما كانوا يزعمونه من أن عظام الموتى أو أرواحهم تصير هامة (طير كالبومة) فتطير ، وقد أبطل الإسلام ما زعموا .

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا قَيْسٍ رَسُولًا ، فَإِنّى لَمْ أَخُنْكَ وَلَمْ تَخُنّى (١)

ولٰكِنّى طَوَيْتُ الكَشْحَ لَمَّا رَأَيْتُكَ قد طَوَيْتَ الكَشْحَ عَنّى (٢)

وكُنْتُ إذا الخَلِيلُ أرادَ صَرْمِى قَلَبْتُ لِصَرْمِهِ ظَهْرَ المِجَنِّ (٣)

كَذاكَ قَضَيْتُ لِلْخُلَّانِ ، إنّى أَدِينُ عَلَيْهِمُ وأَدِينُ مِنّى (٤)

فَلَسْتُ بآمِنٍ أَبَدًا خَلِيلًا عَلَى شَىْءٍ ، إذَا لَمْ يَأْتَمِنّى

٧٧٣ — وله :

إنّا أُناسٌ تَسْتَنِيرُ جُدُودُنا ، ويَمُوتُ أَقْوَامٌ وهُمْ أَحْياءُ (٥)

قَدْ يَعْلَمُ الأَقْوامُ ، غَيْرَ تَنَحُّلٍ ، أَنَّا نُجُومٌ فَوْقَهُمْ وسَماءُ (٦)

---

(١) حماسة ابن الشجرى : ٧٢ ، وحماسة البحترى : ٦٤ منسوباً لأبى كنانة السلمى ، وهو خطأ من الناسخ لا شك ، لشعر ذكر قبله بقليل منسوباً لأبى كنانة . والرسول : الرسالة نفسها ، ولا يعنى المرسل .

(٢) طوى فلان كشحه : أعرض عنك بوده وقطعك وعاداك . والكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، وهما كشحان . وطواه : أراد لوى جنبه وأعرض .

(٣) الصرم : المهاجرة والقطيعة . صرم الشىء : قطعه . المجن : الترس ، لأنه يجن حامله ، أى يواريه ويستره . وظهر المجن : هو الذى يكون مقابل العدو إذا لقيته ، فإذا قلبت له الظهر فقد أعددت لقتاله ونزاله . وهو يضرب مثلا لمن كنت له على مودة ورعاية ، ثم حال عن ذلك وتحولت .

(٤) الخلان والأخلاء جمع خليل : وهو الصديق المداخل لك . دان عليهم : أراد حاسبهم وقضى عليهم . ودان منه : أى اقتص وقضى لهم على نفسه . يقول : أنصفهم ، فأجازيهم بسوء فعلهم ، وأقتص لهم من نفسى إذا أساءت .

(٥) لم أجد البيتين . نار وأنار واستنار ونور : أضاء . والجدود جمع جد : وهو الحظ والسعادة والغنى والعظمة . ولو أراد الأجداد والآباء لكان حسناً .

(٦) تنحل الشىء وانتحله : ادعاه لنفسه وهو لغيره .

* * *

٧٧٤ — [(١)]أخبرنا أبو خَلِيفة ، أخبرنا أبنُ سلّام ، فحدثنى يُونُس أبن حَبِيب : أنّ يزيدَ بن رَبيعة بن مُفرِّغ كان رجُلاً من يَحْصُبَ، وكان عَدِيداً لبنى أَسِيدِ بنِ أبى العِيصِ [بن أُمَيَّة ، وكان منزلُهُ بالبصرة ، وكان] شِرِّيراً هَجَّاءً للنَّاس[(٢)] . فصحِبَ عبَّادَ بن زِياد — وعَبَّادٌ يومَئذٍ على سِجِسْتان ، عاملا لعُبَيْد الله بن زِياد ، وعُبيدُ الله يومَئذٍ على البَصْرة لمُعاوية — فهجا أبنُ مُفرِّغ عَبَّاداً ، [فبلغَه] . وكان على أبن مُفرِّغ دَيْنٌ ، [فاستَعْدِىَ عليه] . فباعَ عبَّاد مَاله فى دَيْنه [وقضَى الغُرَماءَ] . وكانَ فيما بِيعَ عليه غُلامٌ يقال له بُرْدٌ ، [وجاريةٌ يقال لها أَراكةَ] ، فقال :

[أَصَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ أُمامَهْ ... مِنْ بَعْدِ أيَّامٍ بِرَامَهْ ؟][(٣)]
لَهْفِى عَلَى الأمْرِ الّذِى ... كانَتْ عَواقِبُهُ نَدامَهْ ![(٤)]
تَرْكِى سَعِيداً ذَا النَّدَى ، ... والبَيْتُ تَرْفَعُهُ الدِّعامَهْ[(٥)]

---

(١) هذا الخبر رواه الزجاجى فى أماليه عن ابن سلام : ٢٢٩ . والزيادة بين الأقواس منه .

(٢) يحصب بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد ، من حمير بن سبأ ، ومنهم ابن مفرغ . فلان عديد بنى فلان : أى يعد فيهم ومن أهلهم ، وليس معهم ولا نسبه بنسبهم ، كأنه حليف لهم . وفى أمالى الزجاجى : « وكان هجاء مقداماً على الملوك » .

(٣) الأغانى ١٧ : ٥٤ . ورامة : موضع فى ديار بنى تميم ، من طريق البصرة إلى مكة .

(٤) اللهف (بفتحتين) واللهف (بسكون الهاء) : الأسى والحزن والغيظ على شىء يفوتك بعد ما تشرف عليه .

(٥) يعنى سعيد بن عثمان بن عفان ، فإنه لما ولى خراسان استصحب يزيد بن مفرغ واجتهد به أن يصحبه ، فأبى عليه وصحب عباد بن زياد ، وانظر خبرهما فى الأغانى ١٧ : ٥٢ . والدعامة : خشبة يدعم بها البيت ، وهى عماد البيت الذى يقوم عليه . يعرض بعباد أنه لئيم الأصل خبيث البيت ، لا عماد له .

وتَبِعتُ عَبْدَ بنى عِـلا ج ، تِلكَ أشراطُ القِيامَهْ ![1]
جاءتْ بِهِ حَبَشِيّةٌ سَكَّاءُ ، تَحْسَبُها نعامَهْ[2]
مِن نِسْوَةٍ سُودِ الوُجُو هِ ، تَرَى عَليهنَّ الدَّمامَهْ
وشَرَيْتُ بُرْداً ، ليْتَنِى مِنْ بعْدِ بُرْدٍ كُنتُ هامَهْ ![3]
يا هامَةً تدْعُو الصَّدَى بَيْنَ المُشَقَّرِ واليمامَهْ[4]
العَبْدُ يُقْرَعُ بِالعصا ، والحُرُّ تَكْفِيهِ المَلامَهْ
والرِّيحُ تَبْكى شَجْوَها ، والبَرْقُ يَلْمعُ فى الغَمامَهْ[5]
[ورَمَقْتُها فوجَدْتُها كالضِّلْعِ لَيْسَ لهُ اسْتِقامَهْ[6]]

---

(١) بنو علاج بن أبى سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، منهم الحارث بن كلدة طبيب العرب ، وينسب إليه أبو بكرة : نفيع بن الحارث بن كلدة . وأم أبى بكرة : سمية ، من أهل زندورد ، وكان كسرى وهبها لأبى الخير ، ملك من ملوك اليمن ، فلما رجع إلى اليمن مرض بالطائف فداواه الحارث ، فوهبها له . وأمه سمية ، هى أم زياد بن أبى سفيان ، وجدة عباد بن زياد . فمن أجل ذلك قال : « عبد بنى علاج » (انظر الجمهرة : ٢٥٦ ، والمعارف : ١٤٧ ، وغيرهما) . وأشراط القيامة : علاماتها الدالة على بدء أمرها . جمع شرط (بفتحتين) : وهى العلامة .

(٢) زعم فى هذا الخبر أن سمية حبشية ، ولعله فعل ذلك لأن ملك اليمن ملكها ، وإلا فإن الخبر فى أمرها أنها من زندورد من بلاد فارس ، كانت قرب واسط مما يلى البصرة ، وخربت بعمارة واسط . وفى الأصول « شكاء » ، وهو خطأ . والسكاء : الصغيرة الأذن ، تكاد لا ترى . والنعام كله سك : أى لا آذان لها . شبهها بها فى طول رقبتها ، وصغر أذنيها ، وحموشة ساقيها ، وانتفاخ بطنها .

(٣) شرى الشىء : باعه . وشراه أيضاً : اشتراه ، بمعنى الضد . والهامة : مضى تفسيرها فى ص : ٥٥٢ رقم : ٦ ، آنفاً . ويقال فلان هامة اليوم أو غد : أى يموت اليوم أو غداً فتصير عظامه أو روحه هامة ،

(٤) الصدى : ذكر البوم والهام ، ورواية الزجاجى « أو بومة » . ورواية المبرد فى الكامل ١ : ٢١٩ « هتافة تدعو » . والمشقر : حصن كان بين نجران والبحرين ، يقال إنه من بناء طسم ، كانت تسكنه عبد القيس . واليمامة : من منازل طسم ، معدودة من نجد ، بينها وبين البحرين عشرة أيام . يعنى : فى أرض خراب بين المشقر واليمامة .

(٥) تبكى شجوها : (انظر ص ٧٨ رقم : ٣) ، يعنى بكاء الريح وحنينها فى صوت مرورها . ولمعان البرق فى الغمامة : أراد به بكاء السماء على فقده برداً وأراكة ، لهول ما نزل .

(٦) هذا البيت فى أمالى الزجاجى ، وليس مرتبطاً – فيما أظن – بما قبله

٧٧٥ — (١)ثم قدِم أبنُ مُفَرِّغ البصرة ، وكان عُبيد الله وَافداً على مُعاوية ، فعرف أبنُ مُفرِّغ أنه هيَّج بَني زياد . فأتى الأحْنَف فاسْتَجاره ، فقال : لا أُجيرُ عليْهم ، ولكنّي أكْفِيك شُعَراء تميم أنْ تهْجُوك . قال: أمَّا هٰذا فما أُريد أن تكفِينيه . فأتى أُميَّةَ بن عَبْدِ الله بن خالد ، وعُمرَ أبنَ عُبيد الله ، وطَلْحةَ الطَّلَحات ، فوَعدُوه(٢) . وأتى المُنْذِرَ بن الجارُود فأجارَه . وبلغ عُبيدَ الله هِجاؤُه عبَّاداً ، فلما قدِم البَصرة لم يَكُنْ له هِمَّةٌ إلا أبن مُفرِّغ . فأرسلَ إلى المُنْذِر فأتاهُ ، فلمَّا دخلَ عليه أرسل عُبيدُ الله الشُّرَطَ إلى دار المُنْذِر ، فأخذُوا أبنَ مُفرِّغ ، وأُسْلِمَ إلى الحجَّامِين [ليعلِّمُوه الحِجامَة] فقال :

وما كُنْتُ حَجَّاماً ، ولكنْ أحَلَّني ... بمنزِلةِ الحجَّامِ نَأْيِي عَنِ الأهْلِ(٣)

٧٧٦ — وقال فى عُبيد الله بن زِياد :

إن العُبَيْدَ وما أدَّتْ طَرُوقَتُهُ ، ... لَأَعْبُدٍ من زَوَانٍ لا يُصَلُّونا(٤)

---

(١) هذه الفقرة ، اختصرها الزجاجى اختصاراً مخلا فى أماليه : ٣١

(٢) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموى ، وهو مولاه كما مر آنفاً . وعمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو التيمى . وفى الأصول « عمرو بن عبد الله » وهو خطأ . وطلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف بن أسعد الخزاعى ، من بنى مليح بن عمرو بن عامر بن لحى . وسمى طلحة الطلحات ، لأن أمه صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبى طلحة ، وأخوها طلحة بن الحارث ، فقد تكنفته هؤلاء الطلحات .

(٣) حجم الثدى : مصه ، فأخذ من الحجامة : وهى شرط الجلد بمشرط ثم وضع قارورة على موضع الشرط ، ثم مصها لاستخراج الدم ، وهى صناعة معروفة قديماً . والنأى : البعد

(٤) لم أجد الأبيات . والعبيد : يعنى عبيد الله بن زياد . والطروقة : أنثى الفحل ، وكل ناقة طروقة ، واستعير للنساء وللزوجة على سبيل المجاز فى الاستهزاء . وأعبد وعبيد جمع عبد . يقول : إن عبيد الله وما ولدت أنثاه ، عبيد أبناء عبيد ، وصفهن بما وصفهن .

بِزَنْدَوَرْدَ ، خُذوا مِنْها مَساحِيَكُمْ   وَاُسْتَبْدِلُوا بالمَآزيرِ التَّبابِينا(١)
أنتم قريش لئن لم تخب ناركم   مُوتُوا فإنَّ قُرَيْشًا قَدْ يَمُوتُونا(٢)
قَدْ يُقْتَلُ المَرْءُ ، لَمْ يُسْلِمْ حَلِيلَتَهُ ،   ولَمْ يَقُلْ لِابْنَتَيْه: اُسْتَفْرِضَا الطِّينا(٣)

* * *

٧٧٧ — وقال الأعْجَم يَهْجُو بنى يَشْكُر :

لَوْ أَنَّ بَكْراً بَرَاهُ اللهُ رَاحِـلَةً
لَـكان يَشْكُرُ مِنْها مَوْضِعَ الذَّنَبِ(٤)
لَيْسُوا إليْهِ ، ولَـكِنْ يَعْلَقُونَ بِهِ
كَمَا تَعَلَّقَ رَاقِى النَّخْـلِ بالكَرَبِ(٥)

---

(١) زندورد : مضى ذكرها آنفاً فى ص : ٥٥٥ رقم : ١ ، ٢ والمساحى جمع مسحاة : مجرفة من حديد يسحى بها الطين عن وجه الأرض (أى يقشر) . والمآزير ، المآزر جمع مئزر ، والمئزر والإزار : ملحفة يؤتزر بها . والتبابين جمع تبان (بضم التاء وتشديد الباء) : وهو سراويل صغير مقدار شبر ، يستر العورة المغلظة فقط ، يكون للملاحين والأكرة (الحراثون والفلاحون) . يقول : إنكم نبط أهل حرث وزرع من زندورد ، فخذوا المساحى ، واخلعوا لباس الشرف ، والبسوا لبسة العمل والمهنة . يقول ابن مفرغ لعبيد الله بن زياد

تبيَّنْ هَلْ بيثْرِبَ زَنْدَوَرْدٌ   قُرَى آبائِكَ النَّبَطِ العِجاجِ

(٢) لم أفهم البيت ، ولم أهتد لوجه أرتضيه فى معناه ، فتركته على حاله .

(٣) الحليلة : الزوجة . وفى الأصول « استعرضا » ، ولم أعرف لها معنى قريباً ، ولعلها من ألفاظ الحراثين والفلاحين فى زمانهم ، فرأيت أنها من الفرض : وهو الشق فى الأرض وغيرها ، ومنه الفرضة : الثلمة التى تكون فى جانب النهر . كأنه يعنى شق القنى فى الطين لسقيها . والله أعلم . يقول : إن المرء الكريم يأبى الهوان فيقتل ، لا يسلم امرأته حتى تنتهك حرمتها ، ولا يمتهن بناته فى خسيس العمل .

(٤) ترجمة زيادة كما ترى ، مبتورة بتراً . يعنى يشكر بن بكر بن وائل . يقول : هم كالذنب من الدابة ، لا خير فيهم

(٥) ليسوا إليه : أى لا يشبهونه ولا يسامونه . والكرب : أصول سعف النخل الغلاظ ، التى تيبس فتصير مثل الكتف . يقول : إنهم ينتحلون نسبه ، فيتسامون إليه ويتعلقون به ، كما يتعلق راق النخل بروؤسها .

٧٧٨ — وله :

وكُنتَ إذا غمزْتُ قناةَ قوْمٍ   كَسَرْتُ كعُوبَها أو تَستَقِيما[(١)]

* * *

٧٧٩ — ولابن الرِّقاع :

تُزْجِي أغنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ   قلَمٌ أصابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدادَها[(٢)]

رَكِبَتْ بِهِ مِنْ عالِجٍ مُتَحيِّزاً   قفْراً ، تُرَبِّبُ وَحْشُهُ أوْلادَها[(٣)]

---

(١) هكذا أنشده سيبويه فى كتابه ١ : ٤٢٨ منصوب القافية ، على إضمار أن ، أى : إلا أن تستقيم . والبيت من قصيدة أكثرها مرفوع القافية ، وفيها أبيات إقواء بالكسر ، ولكنهم اعتذروا لسيبويه بأنه هكذا سمعه من العرب ، فكان إنشاده حجة (اللسان : غمز) ، وبئس ما قالوا ! وقبل البيت : (الأغانى : ١١ : ١٦٠)

عَوَى فرَمَيْتُهُ بسِهامِ مَوْتٍ   كذاكَ يُرَدُّ ذو الحُمْقِ اللئيمُ

وغمز قناة الرمح : جعلها فى خرق الثقاف ، وهو الذى تسوى به قناة الرمح لتستقيم ، ثم يعضها به ليثنى منها ما ينبغى أن يثنى من معوجها ، حتى يصير إلى الاستقامة .

(٢) من قصيدة عزيزة ، نشرها الراجكوتى فى الطرائف : ٨٧ — ٩١ . والضمير فى قوله « تزجى » إلى ظبية ترتعى ومعها شادنها . تزجى : تسوق سوقاً رفيقاً . أغن : فى صوته غنة ، وهى صوت فيه ترخيم يخرج من خياشيمه ، وكذلك صوت صغار الظباء . وإبرة كل شىء مستدير مستطيل : طرفه المحدد . والروق : القرن . وقرون الظباء غبر الأوساط سود الأطراف .

(٣) عالج : رملة تحيط بأكثر بلاد العرب . ومتحيز : بعيد متنح منعزل لا ينال . وصححه الراجكوتى « متحيراً » بالراء ، ولا معنى لها . وفى معجم ما استعجم : ٩١٣ « متجبراً » وفسرها قال : « أى صعب المرتقى » ، وهى وإن كانت صحيحة المعنى إلا أنها غير مرادة هنا . والظباء تأوى بأولادها إلى مكان منعزل منقطع عن معظم الطريق ، وتقف بعيداً تنظر مخافة على ولدها . تربب : تربى وتتعهد . يقول : إن هذه الظبية أفضت من رمل عالج إلى مكان منعزل تركت فيه ولدها . ثم وصف المكان بأنه قفر تأوى إليه وحش الظباء تتعهد أولادها حتى تطيق العدو ، فتحفظ نفسها .

بِحَجرٍ مُرْتَجِزِ الرَّوَاعِدِ ، بَعَّجَتْ غُرٌّ السَّحابِ بهِ الثِّقالِ مَزادَها(١)

إنِّى إذا ما لَمْ تَصِلْنِى خُــلَّةٌ وتَباعَدتْ مِنِّى ،اُغتَفَرْتُ بِعادَهَا(٢)

وإذا القَرِينَةُ لَمْ تَزَلْ فى نَجْدَةٍ مِنْ قِرْنِها ، سَئِمَ القَرِينُ قِيادَها(٣)

إمَّا تَرَىْ شَيْباً تَفَشَّغَ لِمَّتِى ،حَتَّى عَلاَ وَضَحٌ يَلُوحُ سَوادَها،(٤)

فَلَقَدْ تبيتُ يَدُ الفَتاةِ وِسَادَةً لِىَ ، جاعِلًا إِحْدَى يَدَىَّ وِسادَها

---

(١) جر النوء المكان : أدام فيه المطر ، كأنه كثر ماؤه حتى ترك على الأرض مجرا للسيل . وارتجز الرعد : سمعت له صوتاً متتابعاً متداركاً ، وغيث مرتجز : ذو رعد . والرواعد جمع راعدة : وهى السحابة ذات الرعد . وبعج بطنه بالسكين وبعجه (بالتشديد): شقه، ومنه أخذ تبعج السحاب بالمطر وانبعج : انفرج عن الودق والوبل الشديد، حتى يفحص الحجارة لشدة وقعه . والغر جمع أغر وغراء : وهى السحابة البيضاء . والمزاد جمع مزادة : وهى رواية يحمل فيها الماء يكون من ثلاثة جلود ، لتتسع لأكثر الماء . جعل السحاب حين أمطر كأنه شق مزاده فانصب ماء ثجاجاً من شدته وكثرته .

(٢) الخلة : الصاحبة والصاحب ، للذكر والأنثى سواء . واغتفر الشىء : تجاوز عنه واحتمله ، من الغفر : وهو الستر ، كأنه ستره بإغفاله ونسيانه .

(٣) القرينة : الصاحبة والزوجة التى تقارنك . والنجدة : الشدة والعسر وكثرة النزاع . والقياد : يعنى سياستها ومسايرتها وعشرتها . ورواية نسخة الراجكوتى «من ضغنها» ، أى بغضها لزوجها أو صاحبها ، وهى رواية جيدة .

(٤) تفشغ فيه الشيب : كثر واتسع وانتشر حتى غطاه . واللمة : شعر الرأس ، إذا طال فجاوز شحمة الأذن وألم بالمنكبين . والوضح : البياض الواضح المتلألىء . ولاح البياض يلوح : بدا وتلألأ . السياق : « حتى علا سوادها وضح يلوح » .

الطبقة الثامنة

من الإسلاميّين

٧٨٠ — عَقِيل بن عُلَّفَة المُرِّىّ(١) .

٧٨١ — وبَشَامَة بن الغَدِير المُرِّى .

٧٨٢ — وشَبِيبُ بن البَرْصَاء ، وهو شَبِيبُ بن يَزيد بن جَمْرة بن عَوْف بن أبى حَارِثَة .

٧٨٣ — وقُرادُ بن حَنَش .

* * *

٧٨٤ — أنبأنا أبو خَليفة ، أنبأنا ابنُ سلّام قال : حدثنى أبو عُبيدة : أنّ يَزيدَ بنَ عبدِ الملك خَطب إلى عَقِيل بن عُلَّفة ابنته وقال : زَوِّجنى ، فلسْتَ بواجدٍ فى قَوْمِىَ مِثْلى . قال عقيل : بَلَى واللهِ ، لأجِدَنَّ فى قَوْمِك مثلَك ، وما أنتَ بواجدٍ فى قومِىَ مِثْلى . فحبَسه ، فضرَبَ عَقيلٌ كتِفَ ابنِهِ وقال : زوِّجْهُ يا بُنَىّ ، فأنتَ أحقُّ بالأَمَة منّى !(٢) فزوّجه أُمَّ عمرٍو

---

(١) أمه عمرة بنت الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى ، وأختها البرصاء بنت الحارث ، أم شبيب بن البرصاء ، الذى سيأتى فى رقم : ٧٨٢ ، وهذه الطبقة كلها من بنى مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان .

(٢) فى الأوربية « بالملامة منى » ، وفى المصرية « باللأمة » ، ولست أجد لهما معنى . والأمة : الجارية ، يعنى ابنته .

أُبنةَ عقيل . فلما أهْداها ، تمثّل جَثّامة بن عَقيل فقال[١] :

أيُعذَرُ لاهِينا،ويُلحَيْنَ فى الصِّبا ! وهَلْ هُنَّ والفِتْيانُ إلاشَقائِقُ ؟[٢]

فرَماه عَقيلٌ بسَهْم وقال : تمثَّلُ بهٰذا عندَ بَناتي ! فخرج جَثّامةُ مُراغِماً لأبيه ، فأتى يزيدَ بنَ عبد الملك . فكتبَ عَقيلٌ إلى يزيدَ : إنَّه قد أتاكَ أعقُّ خَلْقِ الله . وكان يزيدُ قد أعْطاه وحَباه ، فأخذ ذلك منه وحَبَسه[٣] .

٧٨٥ — أخبرنا أبو خَليفة ، أخبرنا محمّد بنُ سلّام قال : حدَّثنى أبو عُبَيدة قال : قِيل لعَقيل بن عُلَّفة: والله ما نُراكَ تقْرَأُ شَيْئًا من القُرْآن ! قال : بَلَى وَاللهِ ، إنى لأقرَأ . قالوا فاقْرأ : « إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ » فقال : إنَّا بَعَثْنا نوحًا — وقيل قال : إنَّاخرَطْنَا نُوحًا — قالوا : فقدْ أخطأتَ واللهِ ! قال : فكيفَ أقُول ؟ قالوا : تقولُ : « إنَّا أرْسَلْنَا نوحًا » . فقال : أشْهدُ أنَّكم تعْلَمونَ إنَّهما سَواءٌ ، ثمَّ قال[٤] :

---

(١) هدى العروس إلى بعلها وأهداها واهتداها : حملها إليه كأنها هدية ، فجمعها إليه وضمها .

(٢) الأغانى ١١ : ٨٣ ، وأمالى القالى ٢ : ١٠٥ . ويروى « أيعذل لاهينا » و « أيزجر لاهينا » ، وكلتاهما خطأ ، والصحيح رواية الطبقات . يقول : أيعذر اللاهى من الفتيان إذا صبا ، وتلحى اللاهية من النساء إذا صبت كصباه ! شقائق : أى نظائر وأمثال يتشابهون فى الأخلاق والطباع ، كأنهن شققن من الرجال كما تشق العصا بشقين . ومنه حديث أم سليم حيث سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البلة تجدها المرأة فى منامها : « المرأة ترى ذلك ، أعليها غسل ؟ قال : نعم ، إنما النساء شقائق الرجال » (سنن أبى داود ١ : ١٠٢ رقم : ٢٣٦) .

(٣) راغم أباه أو صديقه : هجره وتباعد عنه مغاضباً له . حبا الرجل يحبوه : أعطاه بلا من ولا جزاء .

(٤) هذا الخبر بغير لفظه هذا ، بينه وبين أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، فى الأغانى ١١ : ٨٥ . وخرط الدلو فى البئر : أرسلها ، وخرط الدابة وغيرها : أرسلها . والخبر كله بين الوضع .

خُذَا صَدْرَ هَرْشَى أَوْ قفاهَا ، فإِنَّما ... كِلَا جانِبَىْ هَرْشَى لَهُنَّ طَرِيقُ[(١)]

٧٨٦ — وقال يرثى ابنه عُلَّفَة :

لِتَمْشِ المَنَايا حيثُ شِئْنَ ، فإنَّها ... مُحَلَّلَةٌ بعْدَ الفتَى ابْنِ عَقِيلِ[(٢)]

فتًى كَانَ مَوْلَاه يَحُلُّ بنَجْوةٍ ، ... فحَلَّ المَوَالِى بَعْدَهُ بمَسِيلِ[(٣)]

* * *

٧٨٧ — أخبرنا أبو خَلِيفة ، أخبرنا ابن سلَّام قال : حدثنى أبو عُبَيْدَة : أنَّ بَشامةَ بنَ الغَدِير كان كَثِيرَ المال ، وكان ممن فَقَأَ عَيْنَ بعيرٍ فى الجاهِلِيَّة ، وكان الرَّجُل إذا مَلكَ ألْفَ بَعيرٍ فَقَأَ عَيْنَ فَحْلِها[(٤)] .

٧٨٨ — وكان قَدْ أُقْعِد ، فلما حَضَرَته الوَفاةُ لم يكن له وَلَدٌ فقَسَمَ مالَه بينَ إِخْوَته وَبنى أَخِيه وأقارِبِه ، فقال له زُهَيْر بن أَبِى سُلْمَى — وهو

---

(١) معجم البلدان ٨ : ٤٥٣ ، ومعجم ما استعجم : ١٣٥١ وغيرهما . وروايتهما ورواية الأغانى ١١ : ٨٥ « بطن هرشى » . وهرشى : ثنية فى طريق مكة ، قريبة من الجحفة ، يرى منها البحر ، ولها طريقان ، فكل من سلك واحداً منهما أفضى به إلى موضع واحد . وقوله « لهن » يعنى الإبل .

(٢) الأغانى ١١ : ٨٨ ، ومعجم الشعراء : ٣٠٢ ، وشىء محلل : يسير هين . يقول : الموت بعده يسير هين حيث أصاب من حميم أو عزيز .

(٣) المولى : الحليف والجار . والنجوة : المكان المرتفع لا يعلوها السيل . يعنى أنه كان فى عزة ومنعة لا تناله النوائب ، فأصبح على مدرجة البلايا . وفى الأصول « بسبيل » ، والرواية التى أثبتناها أجود . ومن بليغ التمييز قوله فى هذه الأبيات :

فَتًى كانَ أَحْيَى من فتَاةٍ حَيِيَّةٍ ... وأقْطَعَ مِنْ ذِى شَفْرَتَيْنِ صَقِيلِ

(٤) انظر تهذيب الألفاظ : ٦ ، الحيوان ١ : ١٧ .

ابنُ أخته : ماذا قسمتَ لى يا خالاه ؟ فقال : أفضلَ ذلك كلِّه ! قال : ما هو ؟ قال : شِعْرِى[١] !

فيزْعم من يَزْعُم أنَّ زُهيرًا جاءه الشِّعرُ من قِبل بشامة .

٧٨٩ — وقال بَشامة :

يا قومَنا ، لا تسومونا التى كُرِهتْ ، إنَّ الكرام إذا ما أُكْرِهوا غَشَمُوا[٢]

لا تظلمونا ، ولا تنسَوْا قرابتَنا ، إطُّوا إلينا ، فقِدْماً تَعْطِفُ الرَّحِمُ[٣]

لا ترجِعُنَّ أحاديثاً ، وتنتهكوا منَّا محارِمنا ، قد تُتَّقى الحُرَمُ[٤]

ولا يكنْ لكُمُ ، يا قومَنا ، مثَلاً فيما مضى مِنْ زمانٍ سالفٍ ، جَلَمُ[٥]

---

(١) اقرأ مثل هذا الخبر فى الأغانى ١٠ : ٣١٢ ، وديوان زهير : ٣٢٥ . وذكر ابن الأنبارى فى شرح المفضليات : ٧٩ ، أنه ولد وهو مقعد .

(٢) لم أجد الأبيات . سامه الأمر : كلفه إياه وجشمه حمله . وقوله : « التى كرهت » ، يعنى الهضيمة والظلم ، أو القطيعة والحرب بيننا وبينكم . غشم الناس يغشمهم غشما : غصبهم وظلمهم ، ورجل غاشم وغشوم . والحرب غشوم : لأنها تنال غير الجانى .

(٣) أطت الإبل تئط أطيطا : مدت أصواتها من شدة حنينها ، يعنى : اذكروا ما بيننا من الرحم ، يكن منكم حنين إلينا يمنعكم من إشعال نار الحرب . وقدماً : أى منذ القدم .

(٤) رجع القوم أحاديث : أى صاروا حديثاً يروى ، لما هلكوا ، يذكرون بعدوانهم وظلمهم عشيرتهم . ومثله قول أبى قيس بن رفاعة :

لترجِعُنَّ أحادِيثاً مُلعَنَّةً لَهْوَ المقيمِ ولَهْوَ المُدلِجِ السَّارِى

وضمن « الأحاديث » معنى الأعاجيب ، كأنه يتحدث بها ويتعجب منها . يقول ربى سبحانه : « فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ »

(٥) فى الأصول « حلم » ، ولم أعرف لها معنى ، وهذا أقرب ما انتهى إليه نظرى . والجلم : تيس الغنم . وسياق البيت : ولا يكن لكم جلم مثلا » قد عرف منذ زمان سالف . يشير إلى المثل الذى قالوه قديماً : « كالباحث عن الشفرة » ، وأصله أن رجلا غيب شفرة له فى الأرض ، ثم طلبها ليذبح بها كبشاً له ، فلم يجدها . فبينا الكبش ينزو ، ضرب بيديه فأثارها ، فأخذها الرجل فذبحه بها . يقول : لا تكونوا كهذا الكبش ، فإنكم تجنون على أنفسكم بالظلم والعداوة هلا كاً كنتم منه بنجوة . وانظر سائر الأمثال فى ص : ٣٠٢ رقم : ١ .

٧٩٠ ــ وقال أيضاً :

وُنبِّئتُ قَوْمى ، ولَمْ ألقهُمْ ، عَلَى ذِى شُوَيسٍ أَجَدُّوا حُلُولاَ(١)

فَإِنَّكُمُ وَعطَاءَ الرِّهَانِ ، مُذجَرَّتِ الحربُ جِلّاً جَلِيلاَ ، (٢)

كثوْبِ ابْنِ بيضٍ وَقاهُمْ بِهِ ، فسَدَّ عَلى السَّالِكينَ السَّبِيلاَ (٣)

---

(١) قصيدة من جيد الشعر القديم ، رواها المفضل فى المفضليات : ٧٩ – ٩١ ، وابن الشجرى فى مختاراته : ١٤ ، وأبيات منها فى حماسته : ٢٥ ، وحماسة البحترى : ٢٦ ، ومجموعة المعانى : ٥٢ ، ورواها أبو الفرج فى أغانيه ١١ : ٨٧ منسوبة لعقيل بن علفة . وقال القصيدة يحضض قومه بنى سهم ابن مرة ، على بنى عمومتهم بنو صرمة بن مرة وحلفائهم الحرقة ، وهم بنو خميس بن عامر بن جهينة . شويس : جبل فى ديار بنى مرة . وفى الأصول « ذى شموس » ، وأظنه خطأ ، لأن الرواية كثرت على « شويس » . أجدوا : أى استجدوا اقامة وعزموا عليها ، وذلك أن الأسقع بن رياح بن واثلة بن سهم بن مرة كان هو الذى جر حلف الحرقة وبنى سهم ، إذ همت غطفان بأكلهم فخافوا فانصرفوا ، فلحقهم الحصين بن حمام المرى ، من بنى سهم بن مرة ، فردهم وشد الحلف بينه وبينهم ، وبشامة غائب ، فلما بلغه ذلك كرهه ، وقال ما قال . يقول : استكانوا للحلف ورضوا به ، ليقيموا غير نافرين إلى حرب .

(٢) الرهان جمع رهن : وهو ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه . وكان الحصين بن الحمام قد جعل ابنه رهينة فى تلك الحرب ، لتمام الحلف بين بنى سهم بن مرة ، وبنى صرمة بن مرة والحرقة . فهو يعرض بفعل الحصين الذى كرهه وساءه . الجل : الجليل ، يريد أمراً جلا جليلا ، أى خطباً عظيما مخشى العواقب ، ويروى « خطباً جليلا » ، ويروى « إذ جرت الحرب » و « إذا جرت » ، وفى الأصول « قد جرت » ، وليست بشىء ، إلا أن تكون « وقد جرت » ، فهى جيدة عندئذ . وتمام البيت مع الذى يليه .

(٣) قال أبو الفرج فى أغانيه ١٢ : ٤٠ « ابن بيض : رجل من بقايا عاد كان تاجراً ، وكان لقمان بن عاد يجيز له تجارته فى كل سنة بأجر معلوم ، فأجازه سنة وسنتين . وعاد التاجر ولقمان غائب ، فأتى قومه فنزل فيهم ولقمان فى سفره . ثم حضرت التاجر الوفاة ، فخاف لقمان على بنيه وماله فقال لهم : إن لقمان صائر إليكم ، وإنى أخشاه إذا علم بموتى على مالى ، فاجعلوا ماله قبلى فى ثوبه ، وضعوه فى طريقه إليكم ، فإن أخذه واقتصر عليه ، فهو حقه ، فادفعوه إليه واتقوه . وإن تعداه رجوت أن يكفيكم الله إياه . ومات الرجل ، وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقه على طريقه ، فقال : «سد ابن بيض الطريق » ، فأرسلها مثلا ، وانصرف وأخذ حقه . قال المخبل السعدى :

فقَدْ سَدَّ السَّبِيلَ أبو حُمَيْدٍ كما سَدَّ المُخَاطَبَةَ ابْنُ بِيضٍ

يقول : إن إعطاء الحصين ولده رهينة ، قد وقف بكم دون بلوغ الغاية فى النيل من عدوكم ، فكان كثوب ابن بيض الذى سد السبيل على لقمان . ويقال فى أمر ابن بيض غير ذلك . انظر شرح المفضليات : ٩٠.

فَإِمَّا هَلَكتُ ولمْ آتِكُم ، فأبْلغْ أماثِلَ سَهْمٍ رَسُولَا[١]
بأنَّ الّتِي سَامَكُمْ قَوْمُكُم ، وهُمْ جَعَلُوها عَلَيْكُم عُدُولاَ ،[٢]
هَوانَ الحياةِ وخِزْىَ المَماتِ ، وكُلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وبِيلَا[٣]
فإنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ إحْدَاهُما فَسِيرُوا إلى المَوْتِ سَيْراً جَمِيلَا[٤]
ولا تَهْلِكُوا وبِكُمْ مُنَّةٌ ، كَفَى بالحَوادِثِ للمرْءِ غُولَا[٥]

* * *

٧٩١ — وشَبِيبُ بنُ بَرْصَاء هو الّذى يقول — وأمه البَرْصَاءِ بنتُ الحارِث بن عَوْف بن أبِى حارثة[٦] — :

---

(١) أماثل الناس : خيارهم وأشرافهم ، جمع أمثل ، يقال فلان أمثل بنى فلان : أى أفضلهم وأدناهم للخير والشرف . والرسول : الرسالة .

(٢) سامه الأمر : كلفه تجرعه . والعدول جمع عدل (بكسر فسكون) : وهو المثل والنظير الذى يعادلك وأجود روايات البيت :

بِأنْ قَوْمُكُمْ خُيِّرُوا خَصلتَيْنِ ، كِلتَاهُمَا جَعَلُوها عُدُولَا

وهو الذى يدل عليه سياق الأبيات كما سترى . يقول : إنكم خيرتم بين أمرين جعلوهما ، متعادلين متكافئين ، فإما لهذا وإما لذا .

(٣) هوان الحياة وخزى الممات : هما الخصلتان اللتان خيروا بينهما . خزى الممات : يعنى ما يلحقهم من الخزى إذا هزموا فقتلوا فماتوا . والطعام الوبيل : الغليظ الثقيل الوخيم ، الذى يعقب الوبال والفساد والهلاك .

(٤) إن لم يكن إلا حياة الهوان ، أو فضيحة الهزيمة والموت ، فسيروا إلى الموت صابرين ، وقاتلوا حتى تقتلوا ، فذلك أجمل بكم وأكرم .

(٥) المنة : القوة وشجاعة القلب . الغول : كل ما يغتال الإنسان فأهلكه ، من جن أو سبع أو موت . يقول : لا تموتوا وفى قلوبكم وأيديكم بقية قوة ، فقاتلوا ما أطقتم قتالا ، ولا تقبلوا هذا الضيم الذى تسامونه ، فإن قبولكم الضيم لا ينسأ فى أعماركم ، فإنكم ميتون لا محالة ، ونوائب الموت لا تبقى على أحد . ويروى « ولا تقعدوا » .

(٦) البرصاء : اسمها أمامة ، ويقال قرصافة ، والصواب أن قرصافة أم أمه ، من بنى فزارة . (المفضليات : ٣٣٦) . يقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها ، فقال أبوها : إن بها بياضاً ! أى برصاً ، ولم يكن بها شئ . فلما رجع إلى أرضه وجدها قد برصت .

أنا ابنُ بَرْصَاءَ بِهَا أُجِيبُ ! هَلْ فى هِجَانِ اللَّوْنِ مَا تَعِيبُ ؟[١]

٧٩٢ — وقال :

إنِّى امْرُؤٌ لِى رَوَابٍ لَا يُشَقِّقُهَا سَيْلُ الأتِىِّ ولَا تُسْطَاعُ أَوْتَادِى[٢]

إنَّ المَكَارِمَ والإحْسَانَ عُودُهُمَا مِنْ آلِ مُرَّةَ : أعْمَامِى وأجْدَادِى[٣]

أَنَا ابْنُ عَوْفٍ ! ومِنِّى ، إنْ فَخَرْتُ بِهِ ، بَنُو سِنَانٍ وَمَسْعُودُ بْنِ شَدَّادِ[٤]

٧٩٣ — أخبرنا أبو خليفة ، أخبرنا ابنُ سلَّام قال : حدَّثَنى أبو عُبَيْدَة قال : خطبَ شَبِيبُ بن البَرْصَاء إلى مُسْهِر بن علىّ بن جابر ، أحدِ بنى غَيْظِ بن مُرَّة ، فقال : نَعَمْ والله ، أزَوِّجُك . فقال شَبِيبٌ : أُؤَامِرُ أخِى . فقال : تُؤَامِرُ رجُلاً فى تَزْوِيجِك ! ويحك ! والله لا أزوِّج رجُلا لا يملكُ أمرَه ! فقال شَبِيبٌ :

لَعَمْرُ ابْنَةِ المُرِّىِّ ! مَا أَنَا بِالَّذِى لَهُ ، أنْ تَنُوبَ النَّائِبَاتُ ، ضَجِيجُ[٥]

---

(١) اللآلى : ٦٣١ ، تاج العروس (برص) . امرأة هجان اللون : بيضاء اللون ، يدفع برص أمه ، ويسميه بياضاً .

(٢) لم أجد الأبيات . الروابى جمع رابية : وهى المكان المشرف المرتفع . يريد شرف بيوت أهله (انظر رقم : ٣٥٤) . يشققها : أى يشقق ترابها فتنهدم ويأخذها السيل ، وذلك أن الرابية تكون سهلة فيها خؤورة ، فإذا اشتد السيل اجترفها وآذاها . والأتى : السيل الغريب ، لا يدرى من أين أتى . يقول : لا يهدمنا مغير ولا معتد . وأراد بالأوتاد : أصول نسبه كأنها أوتاد الأرض ، وهى الجبال .

(٣) أراد بالعود : المنبت . نبتا فى بيوت أعمامه وأجداده بنى مرة .

(٤) سنان بن أبى حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف ، وسنان أخو جد شبيب : عوف بن أبى حارثة بن مرة . ومسعود بن شداد بن غطفان بن أبى حارثة بن مرة بن نشبة . وهو من عمومته أيضاً .

(٥) المفضليات : ٣٣٩ ، وهذه أبيات منها . يصف نفسه بالصبر على فواجع الدهر ، لا يشكو ولا يجزع .

وقَدْ عَلِمتْ أَبْنَاءُ مُرَّةَ أَننى إلى الضَّيْفِ قَوَّامُ السِّنَاتِ خَرُوجُ(١)
وَإنّى لأُغْلِى اللَّحْمَ نِيًّا ، وإننى لَمِمَّنْ يُهِينُ اللَّحْمَ وَهْوَ نَضِيجُ(٢)
إذَا المُرْضِعُ العَوْجَاءُ بِاللَّيْلِ عَزَّهَا عَلَى ثَدْيِهَا ذُو وَدْعَتَيْنِ لَهُوجُ(٣)

* * *

٧٩٤ — (٤)أخبرنا أبو خَلِيفَة ، أخبرنا ابنُ سلَّام قال : فحدَّثنى أبو عُبَيْدة قال : كان قُرَاد بنُ حَنَشٍ من شُعَرَاء غَطَفَان . وكان جيِّدَ الشِّعرِ قَلِيلَه ، وكانت شُعَرَاء غطفان تُغِيرُ على شِعْره فتأْخُذُه وتَدَّعِيه ، منهم زُهَير بن أبى سُلْمَى ، ادَّعَى هَذِه الأبيات :

---

(١) رواية المفضليات : « وقد علمت أم الصبيين » ، ومثلها فى نوادر أبى زيد : ١٨٠ والكامل ١ : ٨٦ . والسنة : شدة النعاس ، وليس بالنوم الذى يغشى الجسم كله . والخروج : أراد السريع الخروج . يقول : إذا سمع حس الضيف أو نبح كلابه ، هب وانتبه وخرج يتلقاه فى الليلة الظلماء الباردة المخوفة ، فى زمن الجدب . وستأتى صفة ذلك فى البيت التالى

(٢) إغلاؤه اللحم نيا : أنه يغليه فى الميسر فى زمن الجدب ، فيضرب القداح لينحر للناس . وإهانته اللحم النضيج : بذله للضيفان فى زمن الجدب ، لا يبالى بما يهلك من ماله .

(٣) يروى «إذ المرغث العوجاء بات يعزها» . وهى أجود الروايتين . والمرغث : المرضع . رغث الجدى أمه : رضعها ، وأرغثته : أرضعته . والعوجاء : التى لها ولد تعوج عليه لترضعه . والعوجاء أيضاً : العجفاء التى اعوج ظهرها من جوعها وضعفها لشدة الفاقة فى زمن الجدب . وعزه على الشىء : نازعه وغلبه . والودعة والودع : خرز بيض صغار جوف ، فى بطونها شق كشق النواة ، تستخرج من البحر ، يتزين به ، تتخذ منه سموط للصغار ، كأنه يقيهم شر العين فيما أظن . ويروى « تومتين » ، والتومة (بضم التاء) : اللؤلؤة . أى ألبسته قرطاً فى أذنيه فيه حبة لؤلؤ . ولهوج ولاهج ولهيج : قد لهج بالرضاع وأغرى به وثابر عليه ، من قلة مافى الثدى من اللبن. يصف امرأة ترضع ولدها الجائع المقبل على الثدى ، المتلهف على الرضاع من جوعه ، وقد انحنت أمه عليه وعطفت ، رقة له ، وتمكيناً له من المبالغة فى الرضاع . وأشد ما يكون ذلك إذا عم الجدب وقلت الألبان ، وغلب الضنك على الناس . يعنى أنه فى مثل هذا الوقت ، لا يتردد إذا سمع صوت الضيف ، بل يخرج إليه عجلا ، لينحر له ما أبقى الجدب من ماله وإبله .

(٤) هذا الخبر رواه المرزبانى فى الموشح : ٤٧ ، وقال بعد أن ذكر الشعر : « وهى لقراد ابن حجر » ، وأخطأ ، هو « حنش »

إنَّ الرَّزِيةَ ، لا رَزِيَّةَ مِثْلُها ،   مَا تَبْتَغِى غطَفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتِ[١]
إنَّ الرِّكابَ لتَبْتَغِى ذَا مِرَّة   بِجُنُوبِ نَخْلَ إذا الشُّهُورُ أَحَلَّتِ[٢]
ولَنِعْمَ حَشْوُ الدرعِ أنْتَ لنَا ، إذا   نَهِلَتْ من العَلَقِ الرِّماحُ وعَلَّتِ[٣]
يَنْعَوْنَ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ كَرِيهةٍ ،   عَظُمَت مُصِيبَتُهم هُنَاكَ وجَلَّتِ[٤]

---

(١) ديوان زهير : ٣٣٤ ، والأغانى ١٠ : ٢٩٩ ، ومعجم الشعراء : ٣٢٧ ، ويقال : إن الشعر فى رثاءسنان بن أبى حارثة المرى (أبى : هرم بن سنان) ، وذلك أنه هوى امرأة فاستهيم بها ، وتفاقم به ذلك فهام على وجهه ففقد ، فلم ير له عين ولا أثر ، يقولون إن الجن استطارته فأدخلته بلادها ! ! ويقال : إنه ضل فتبعه قومه فوجدوه ميتاً . الرزية والرزيئة : المصيبة ، لأنها ترزؤ المرء ، أى تأخذ منه ما يعز عليه . وأضل الشىء : إذا ذهب فضاع ، ولم تدر أين ذهب . يقول : إن الذى خرجت تطلبه غطفان ، فقده أعظم الفقد .

(٢) الركاب : يعنى القوم الذين خرجوا على ركائبهم يطلبون سناناً لما ضل . تبتغيه : تبحث عنه وتطلبه . المرة : القوة ، وفلان ذو مرة : أى ذو بأس شديد وعقل حكيم . ونخل : قرية فى واد لبنى فزارة . وأحلت الشهور : صارت حلالا ، أى خرجت من الأشهر الحرم إلى شهور الحل . ويروى « أهلت » .

(٣) حشو الدرع : لابسه ، لأنه يغطيه كله ، فكأنه حشو للدرع . ونهل : شرب أول شربه ، وعل : شرب الشربة الثانية بعد الأولى . والعلق : الدم . يقول : أنت المحارب ذو البأس ، نحتمى بك إذا حمى وطيس الحرب ، ورويت الرماح النواهل العطاش من الدماء .

(٤) نعى الميت ينعاه : إذا أذاع خبر موته . وفى الأصول « يبغون » ، ولا بأس بها . والكريهة : الشديدة التى تكره ، كالحرب والجدب ، وسائر النوازل .

الطَّبقة التَّاسعة

من الإسلاميِّين

وهم رُجَّاز

٧٩٥ — الأغْلَب العِجْلى، وكان مُقدَّماً، أوَّلُ من رَجَز[١].

٧٩٦ — وأبو النَّجْم، واسْمُه الفَضْل بن قُدامَة العِجْلى.

٧٩٧ — والعَجَّاج، واسمه عَبْدُ الله بن رُؤْبَة، أحدُ بنى سَعْد بن مالك [ابن سَعْد] بن زَيْدِ مَناة بن تَميم[٢].

٧٩٨ — ورُؤْبة بن العَجَّاج.

---

(١) هكذا هو فى النسخ المطبوعة « أول من رجز »، والظاهر أنه قديم فيها، فإن صاحب العمدة ١ : ٧٣ نقل هذا عن الجمحى، ثم قال : « ولا أظن ذلك صحيحاً، لأنه إنما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك »، وأظن أن التحريف كان قديماً فى نسخ الطبقات، فإن ابن سلام أعلم وأجل من أن يقول مثل هذا القول. وقد نقل صاحب العمدة نفسه : « أول من طول الرجز الأغلب العجلى »، وكأنى بنص ابن سلام كان : « أول من رجز الأراجيز الطوال من العرب »، كما جاء فى الأغانى ١٨ : ١٦٤، ثم سقط من الناسخ. وقد كان ذلك متعالماً عند رجاز العرب وغيرهم، فكيف يجهله ابن سلام ؟ قال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء : ٥٩٥ : « وهو أول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله، وكان الرجز قبله إنما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة، إذا خاصم أو شاتم أو فاخر، وقد ذكره العجاج فقال :

« إنِّى أنا الأغْلَبُ أضْحَى قدْ نُشِرْ »

(٢) فى الأصول : « . . . مالك بن زيد بن مناة »، وهو لا شىء. والزيادة من حقيقة نسبه.

* * *

٧٩٩ — [1]أخبرنا أبو خَلِيفة ، أخبرنا أبن سَلاّم قال : حدّثنى الأصْمَعِىُّ قال : كانت للأغْلب سَرْحَةٌ يصعَد عليها ثم يَرْتَجِز فقال :

قَـد عَرَفَتْنى سَرْحَتِى وَأَطَّتِ وقَدْ شَمِطتُ بَعْدَها ، وَاُشْمَطَّتِ[2]

[فاعترَضَه رجُلٌ من بنى سَعْد ، ثم أحد بنى الحارث بن عمرو بن كعب أبن سعد ، فقال له[3] :

قُبّحتَ ، من سَالِفَةٍ ومن قفَا ، عَبْداً ، إذا ما رسبَ القومُ طَفَا[4]

كما شِرَارُ الرِّعْىِ أطْرَافُ السَّفَا[5]]

---

(١) هذا الخبر رواه أبو الفرج فى أغانيه ١٨ : ١٦٤ ، وقد أتممته منه .

(٢) السرحة : دوحة طويلة واسعة ، يحل تحتها الناس ، ويبتنون تحتها البيوت ، لا ترعى ولكن يستظل بها . وأط يئط : أن من التعب والحنين والشوق . يقول : عرفتنى فحنت ونادتنى شوقاً إلى . وشمط الرجل : خالط الشيب سواد رأسه . واشمط (بتشديد الطاء) : مثله فى المعنى وأبلغ . يقول : كلانا قد تقادم عهده وكبر ، وفارق عهد الصبا وما كان فيه .

(٣) هذا الرجل هو هريم بن جواس التميمى ، وكان واقفه بسوق عكاظ (معجم الشعراء : ٤٩٠) .

(٤) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه . يذكر أنه لئيم بين اللؤم ، تعرف الخسة فى سالفتيه وقفاه ، لأنه عبد لا قدر له ، يطفو لخسة نسبه وأصله حيث يرسب أصحاب الفضل والنسب الصريح .

(٥) الرعى (بكسر فسكون) : الكلأ نفسه ، والمرعى أيضاً . وأراد كلأ البهمى ، وهو خير أحرار البقول رطباً ويابساً ، يخرج لها إذا يبست شوك مثل شوك السنبل ، إذا وقع فى أنوف الغنم والإبل أنفت منه ، حتى ينزعه الناس من أفواهها وأنوفها . والبهمى من أنجع المرعى ما لم تسف ، أى ما لم تيبس ويخرج شوكها . والسفا : شوك البهمى والسنبل وكل شىء له شوك . يقول : أنت فى قومك كالسفا فى البهمى ، هو شرها وأخبثها .

وقد أتم خبر هذه الأبيات المرزبانى فى معجم الشعراء : ٤٩٠ قال :

« فقال له الأغلبُ : منْ أنت ؟ وَيْلَكَ ! فقال :

أنا غُلَامٌ من بنى مُقَاعِسِ الشَّازِرِى الخيلَ بِطَعْنٍ يابِسِ

الضَّارِ بينَ قُلَلَ الفَوَارِسِ

فتركه الأغلبُ وأنصرفَ » .

٨٠٠ — (١) وقال الأغلب فى سجاح: [لما تزوّجت مُسيلمة الكذّاب]:

قَدْ لُقِّيَتْ سَجَاحِ مِنْ بَعْدِ العَمَى! ... تَاحَ لَهَا بَعْدَكَ حِنْزَابٌ وَزَى (٢)
مُلَوَّحاً فى العَيْنِ مُجْلُوزَ القَرَا ... مِثْلَ الفَنِيقِ فى شَبَابٍ قد أَنَى (٣)
مِنَ اللُّجَيْمِيِّينَ أَصْحَابِ القُرَى ... لَيْسَ بِذِى وَاهِنَةٍ ولاَ نَسَا (٤)
نَشَا بِخُبْزٍ وبِلَحْمٍ مَا اشْتَهَى ... حَتَّى شَتَا تَنْتَتِحُ ذِفْرَاهُ النَّدَى (٥)

(١) هذا الخبر رواه أبو الفرج فى أغانيه، ١٨ : ١٦٥، واختصر بعض الشعر. قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف: ٢٢ لما ذكر الأغلب: «وهو أرجز الرجاز، وأرصنهم كلاماً، وأصحهم معانى... وله فى المفاحشات ما ليس لشاعر». وصدق، فإن ما رواه ابن سلام فاحش محنك الفحش بليغه!

(٢) الأغانى ١٨ : ١٦٥، وجمهرة الأمثال للعسكرى: ١٧٢، والمختار من شعر بشار للخالديين: ٢٠٨، واللسان (حنزب). لقيت: وفقت وهديت إلى ما تحب، وفى التنزيل «وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ». ويروى «قد أبصرت». وتاح له الشىء: هيء له وقدر. «بعدك» يخاطب نفسه. حنزاب: قصير قوى غليظ. ورجل وزى: قصير شديد مصك، ملزز الخلق مقتدر.

(٣) ملوح: قد لوحته الشمس والسفر، قد سفعت وجهه وأضمرته، وذلك أبلغ فى شدته وقوته لطول اعتياده المشقة. ورجل مجلوز: معصوب الخلق وثيقه، كأنه قد لوى وشد. والقرا: وسط الظهر. يعنى أنه غير مسترخ ولا ضعيف مما يحمل من اللحم. يصف لها مسيلمة الذى تزوجها! والفنيق: الجمل المكرم الذى يودع للفحلة، لا يركب ولا يهان، وهو أشد الفحول وأكثرها تيها وخيلاء. وأنى الشىء وبلغ إناه: حان وأدرك وبلغ منتهاه. يقول: هو مثل الفنيق قد تم شبابه واكتمل.

(٤) اللجيميون: نسبة إلى بنى لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل. ومسيلمة الكذاب لعنه الله من بنى حنيفة بن لجيم بن صعب، وبنو حنيفة هم أهل اليمامة، وهم أصحاب نخل وزرع وقرى. الواهنة: وجع يضرب له عرق فى رأس المنكبين، وذلك عند الكبر، وهو داء يأخذ الرجال دون النساء، وفى حديث أبى أمامة: «أن رجلا دخل عليه وفى عضده حلقة من صفر — أو خاتم من صفر — فقال: ما هذا الخاتم؟ فقال: هذا من الواهنة. فقال: أما إنها لا تزيدك إلا وهناً». والتمائم مما حرم الله علينا. والنسا: عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب. ومرض النسا شديد معروف. يقول: إنه صحيح البدن شاب قوى على ما يراد منه.

(٥) نشا: نشأ وشب، سهل الهمزة. ويروى «دام له خبز ولحم ما اشتهى»، يعنى أنه نشأ فى النعمة. نتح جلده عرقا: خرج عرقه من أصول الشعر، ومناتح العرق: مخارجه من الجلد. والذفرى، من الإنسان والدواب: من لدن المقذ إلى نصف القذال، وهى العظم الناتىء الشاخص خلف الأذن، وهو أول ما يعرق من البعير خاصة، إذا سار فى اليوم الصائف الشديد الحر. والندى هنا: العرق الذى يسيل، فيصير كأنه الندى على مواضع العرق. وشتا: أقام زمن الشتاء. يقول: سمن وامتلأ من النعمة والرفاهية، حتى تراه فى برد الشتاء يتصبب عرقه من حرارة جوفه وكثرة شحمه.

خَاظِى البَضِيعِ ، لحمُهُ خَظَا بَظَا كأنَّما جُمِّعَ مِنْ لَحْمِ الخُصَى[1]
إذَا تَمَطَّى بَيْنَ بُرْدَيْه صَأَى كأَنَّ عِرْقَ أيْرِهِ إِذَا وَدَى[2]
حَبْلُ عَجُوزٍ ضَفَرَتْ سَبْعَ قُوًى يَمْشِى عَلَى قَوَائِمٍ لهُ خَسَا[3]
[يَرْفَعُ وُسْطَاهُنَّ من بَرْدِ النَّدَى][4]
قَالَتْ: مَتَى كُنْتَ أَبَا الخَيْرِ ؟ مَتَى؟ قَال : حَدِيثًا ، لمْ يُغَيِّرْنِى البِلَى ،
وَلَمْ أُفَارِقْ خُلَّةً لِى عَنْ قِلَى. فَانْتَفَشَتْ فَيْشَتُهُ ذاتُ الشَّوَى[5]

---

(١) البضيع اللحم ، وخاظى البضيع : مكتنز اللحم متراكبه ، خظا لحمه يخظو : ركب بعضه بعضاً ، وقوله « خظا بظا » إتباع للتوكيد والمبالغة فى السمن ، يقال ، خطيت المرأة وبظيت : إذا تكاثر لحمها وتنعم . والخصى : من أعضاء التناسل ، والخصيتان : هما الجلدتان اللتان فيهما البيضتان . يقول : لحمه من نعومته ورقته كأنه نسج من لحم الخصى ، وذلك لشدة لينها ونعومتها . وليس بين هذه الصفة وبين وصفه بالضمر والتلويح فى أول الشعر ، تناقض ، لأنه أراد أنه نشأ فى النعمة حتى امتلأ ، ثم لوحته الأسفار والحروب فضمر واستوى وفتل ، فكان ذلك أقوى له وأشد ، لم ينشأ فى ضعف وبؤس يمنعان تمام نموه وشبابه .

(٢) هذا من تمام وصفه بامتلاء البدن فى أول نشأته . صأى الطائر والفأر والسنور : صوت صوتاً فيه امتداد وحدة ، كما تسمع من الكلب حين يضرب أو يفزع . وأراد صوت الثوب إذا تمزق . يقول : إذا تمطى فى برديه سمعت صوت تمزقهما ، وذلك من امتلائه فى برديه . ودى : سال منه الودى إذا أنعظ ، والودى : ما يخرج من الإنسان والدواب عند النظر العارم ، وهو بلل لزج ليس بالمنى .

(٣) قوى جمع قوة : وهى مرة الحبل الذى يفتل عليها . والخسا : الفرد ، يقال خسا وزكا : أى فرداً وزوجاً ، كما يقال شفع ووتر . يريد صفة الرجل إذا أكب عليها ، يداه ورجلاه ، أربعة ، والخامس الذى لا يذكر !

(٤) مابين القوسين زيادة من الأغانى . وعنى بوسطاهن « وسطى الخمس » ، الذى لا يذكر ! يرفعه حتى لا يمس الأرض و برد نداها .

(٥) الخلة : الصديق والصديقة ، الذكر والأنثى سواء . القلى : الكراهة والبغض ، يقول : لم أصاحب صاحبة ففارقتها من بغضها لى ، بل فارقتها وهى لى أشد حباً منى لها . الفيشة : الكمرة المنتفخة من عورة الرجل . والشوى جمع شواة : وهى جلدة الرأس . وفى الأوربية « ذات الشذى » . والشذى : الشر والأذى ، ولعلها أقرب الروايتين إلى الصواب .

كأنَّ فى أَجْيادِها سَبْعَ كُلى   مَا زالَ عَنْها ، بالحديثِ والمُنى (١)
والخُلقِ السَّفْسافِ ، يَرْدِى فى الرَّدَى   قال : ألا تَرَيْنَهُ ؟ قالتْ : أرى ! (٢)
قالَ : ألا أشِيمُه ؟ قالتْ : بلى !   فشامَ فيها مِثْلَ مِحْراثِ الغضَى (٣)
يقولُ ، لمَّا غابَ فيها واستوى :   «لمِثْلِها كُنْتُ أُحَسِّيكَ الحُسى» (٤)
يَبْرِى لها كَيْناً كأطرافِ النَّوى ،   وقدْ تَطَلَّتْ ، حينَ هَمَّ وادَّنى (٥)
مِنْ طِيبِ مَصَّانَ الذى كانَ اشْتَرى   تَقْذِفُ عَيْناهُ بِعِلكِ المُصْطَكى (٦)

---

(١) أجياد جمع جيد : وهو العنق . والكلى جمع كلية : والكليتان من الإنسان وغيره لحمتان منتبرتان حمراوان لازقتان بعظم الصلب فى كظرين من الشحم (وهو بيت الكلية ، وهو شحم تسكن فيه) . يعنى بذلك عظم خصيتيه .

(٢) الخلق السفساف : الردىء اللئيم . وفى الحديث «إن الله تبارك وتعالى يحب معالى الأمور ويكره سفسافها» . رديت الحجر بصخرة أو بمعول أرديه : ضربته حتى يلين وينكسر ويتهدم . والردى جمع رداة : وهى الصخرة . يقول : لم يزل يجاهد فى إلانة ما قسا منها بالحديث وبالمنى وبالخلق السفساف ، حتى كان بينهما ما كان مما سيذكره . وسياق البيت : «ما زال عنها يردى فى الردى ، بالحديث والمنى . .»

(٣) شام السيف يشيمه : أدخله فى غمده . والمحراث ، محراث النار : وهو خشبة تحرك بها النار فى التنور ، والحرث : إشعال النار . والغضى : شجر ، وقوده أجود الوقود وأشده ، فلذلك يكون محراثه غليظاً صلب الخشبة ، لئلا يحترق من قريب . يصف ذلك منه بالشدة والغلظ ، لا ينثنى .

(٤) والحسى جمع حسوة : وهو ملء الفم من الماء وغيره . وحساه الحسى : سقاه حسوة بعد حسوة . وهو مثل اجتلبه ، وأصله : أن الرجل يغذو فرسه اللبن ، ثم يحتاج إليه فى طلب أو هرب ، فيقول له ذلك . أى لمثل هذا كنت أوثرك على نفسى بما أوثرك به من اللبن ، فجد ولا تضعف .

(٥) الكين : داخل فرج المرأة ، فيه غدد كأطراف النوى ، نوى التمر . برى العود والقلم يبريه : قشره ونحته . يصفه بالخشونة ، فهو يقشر الكين قشراً . تطلت المرأة بالطيب : ادهنت وتلطخت به . وادنى (على وزان افتعل مدغما) ، من الدنو ، وهو القرب ، دنا وادنى : اقترب .

(٦) مصان : نبز للحجام ، لأنه يمص الدم بفمه ، يقول زياد الأعجم يهجو خالد بن عتاب بن ورقاء :

فإنْ تكنِ المُوسَى جَرَتْ فوقَ بَظْرِها   فما خُتِنَتْ إلَّا ومَصَّانُ قاعِدُ

ويراد به : اللئيم الخسيس . والعلك : ضرب من صمغ الشجر كاللبان يمضغ فلا يماع . والمصطكى : هو العلك الرومى ، وهو معروف عندنا فى العامية «المستكى» . ويروى «تنطف عيناه» . وتنطف : تقطر ويسيل ماؤها أو غمصها ورمصها ، وهو ما يكون على هيئة الزبد ، فيسيل ثم يجف على هدب العين ومأقها . فشبه هذا بعلك المصطكى . يصف خسته وقذارته ، ويسخر من هذه التى ادهنت بطيبه ، لعنها الله ولعن زوجها !

٨٠١ — أخبرنا أبو خَلِيفة، أخبرنا أبن سلّام، حدّثنى الأصمعى: أنه كان يقالُ إنّ هذه القصيدة فى الجاهِلِيَّة لجُشَم بن الخزرج (١).

* * *

٨٠٢ — [أخبرنى أبو خليفة الفضل بن الحُباب الجمحىُّ إجازةً، عن محمد بن سلّام قال: قال أبو عمرو بن العلاء: كان أبو النجم أبلغَ فى النَّعْت العجّاج] (٢).

٨٠٣ — ولأبى النَّجْم:

الحمدُ لله الوَهُوبِ المُجْزِلِ ... أعطى فَلمْ يَبْخَلْ ولم يُبَخَّلِ (٣)

كُومَ الذُّرَى مِنْ خوَلِ المُخوِّلِ ... تبقَّلَتْ مِنْ أوَّلِ التَّبَقُّلِ (٤)

بَيْنَ رِماحَىْ مالكٍ ونَهشَلِ ... يَدْفَعُ عنها العِزُّ جَهْلَ الجُهّلِ (٥)

يَعْنى: مالك بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثَعْلَبة، ونَهشَل بن دارم (٦).

---

(١) انظر اللسان (حزب).

(٢) هذا الخبر نقلته من الأغانى ١٠ : ١٥٠.

(٣) أرجوزة طويلة نشرها الراجكوتى جزاه الله خيراً، فى الطرائف: ٥٥ — ٧١. المجزل: الجزيل العطاء. أجزل له العطاء: أعظمه واستجاده من خيار المال. بخله: نسبه إلى البخل.

(٤) كوم جمع كوماء: وهى الناقة عظيمة السنام طويلته. والذرى جمع ذروة: وهى أعلى كل شىء، وأراد السنام. والخول: ما أعطى الله سبحانه عباده: أنعام وعبيد وخدم، أعطاهم إياه تفضلا. والمخول بتشديد الواو وكسرها: هو الله سبحانه، خولهم الأموال، فقال لهم: «أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعاماً فَهُمْ لَهَا مالِكُونَ». ولو أنشد «المخول» (بتشديد الواو وفتحها)، يعنى الذى أعطاه الله أحسن الخول، لكان جيداً. وتبقلت الماشية: رعت البقل حتى سمنت، أو عظم سنامها.

(٥) بين رماحى مالك ونهشل: يعنى أنهم حموا موضع المرعى. لم يشركهم فيه أحد لعزهم، فما استطاع صاحب جهل وشر أن يعتدى على ما حموا منه.

(٦) انظر أمالى القالى ٢ : ٢٣٣، والأغانى ١٠ : ١٥١.

ويُرْوَى عن أبي النَّجْم أنّه قال : بين رِماحى مالكٍ : هو حىٌّ من بنى تَيْم الله بن ثَعْلَبة ، ونَهشل : من بنى عِجْل .

٨٠٤ — قال : وكان أبو النجم رُبَّما قَصَّد فأجادَ ، ولم يكنْ كغيرِه من الرُّجَّاز ، وهو الذى يقول(١) :

عَلِقَ الهوَى بِحَبائِلِ الشَّعْثاء والمَوْتُ بَعْضُ حَبائِلِ الأَهْواءِ(٢)
[لَيْتَ الحِسَانَ ، إذا أَصَبْنَ قلوبَنا بالدّاء ، جُدْنَ بِنِعْمَةٍ وشِفاء]
لِلشَّمِّ عِنْدِى بَهْجَـةٌ ومَلاحَةٌ ، وأُحِبُّ بَعْضَ مَلاحَةِ الذَّلْفَاءِ(٣)
وأَرَى البَياضَ عَلَى النِّساء جَهارَةً والعِتْقُ تَعْرِفُهُ عَلَى الأَدْماءِ(٤)
والقَلْبُ فِيهِ لِكُلِّهِنَّ مَوَدَّةٌ ، إلَّا لِكُلِّ دَميمَـةٍ زَلّاءِ(٥)

فلَئِنْ فَخَرْتُ بوائِلٍ ، فَقَدِ ابْتَنَتْ يَومَ المَكارِمِ فَوْقَ كلِّ بِناءِ
ولئن خَصَصْتُ بَنِى لُجَيْمٍ ، إنَّنِى لأَخُصُّ مَكْرَمَةً وأَهْلَ غَناءِ(٦)

---

(١) قصد : أى قال القصيد .

(٢) قصيدة عزيزة ، روى بعضها البكرى فى اللآلى : ٩٢٤ ، وزدت البيت التالى منه .

(٣) الذلفاء : التى قصرت قصبة أنفها وصغرت أرنبتها ، مع استواء القصبة ، وارتفاع قليل فى روثة الأنف ، وهى طرفه . وروى صاحب اللسان (ذلف) : « للثم عندى بهجة ومزية » ، وهى أجود الروايتين . وشم المرأة مقترن بلثمها وضمها .

(٤) اللسان (جهر) . الجهارة : حسن المنظر والهيئة والقد ، يروعك إذا رأيته . والعتق : الجمال الدال على كرم الأصل ونبل المحتد ، قديم متوارث . وامرأة أدماء ورجل آدم : سمراء وأسمر ، إذا اشتدت سمرتها .

(٥) امرأة زلاء : خفيفة الوركين ، لا عجيزة لها ، وهى بينة الزلل ، وهى الرسحاء أيضاً ، وهو من قبيح ما تراه فيهن ، مكروه مستشنع .

(٦) أبو النجم من بنى عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل . مكرمة : كرماء . وصف بالمصدر ، فالمذكر والمؤنث والمفرد والجمع فيه سواء . يقال رجل مكرمة وقوم مكرمة ، ومثله رجل كرم (بفتحتين) وقوم كرم . والغناء : النفع والكفاية . يقول : إن أذكر سلفى وائلا ومن ولد ، فقديماً بنوا المكارم فأعلوا البناء . وإن أخص رهطى بنى لجيم ، فهم الكرماء أهل الكفاية والدفع فى الحروب والأزمات .

قَوْمٌ إذا نزلَ الفَظِيعُ تحمَّلوا ... حَسَنَ الثَّناءِ وأَعْظَمَ الأَعْباءِ(١)

لَيْسَتْ مَجالِسُنا تَقِرُّ لِقائلٍ ... زَيْغَ الحديثِ ولا نَثَا الفَحْشاءِ(٢)

٨٠٥ — أنبأنا أبو خَليفة، أنبأنا ابن سلَّام قال: وحدَّثنى يونس، وحدَّثنى أبى ببعض هذا الحديثِ، قال: اُجْتَمع الشُّعراء عند سُليمان بن عبد الملك فأَمرَهم أن يقولَ كلُّ رجلٍ منهم قصيدةً يذكر فيها مآثِرَ قَوْمه ولا يَكْذِب. ثم جعل لمن بَرَّز منهم جارية مُوَلَّدة. فأنشدوا وأنشدَ أبو النَّجم حتى أتى على قوله:

عُدُّوا كمَنْ رَبَع الجُيوشَ لصُلبِهِ ... عِشْرُون، وهو يُعَدُّ فى الأَحْياءِ(٣)

قال: أشهد، إن كنتَ صادقاً، إنَّك لصاحبُ الجارية! قال: أبو النَّجم: سَلِ الملأَعن ذلك يا أمير المؤمنين. قال الفرزدق: أمَّا أنا فأعْرِف منهم سِتَّةَ عَشَر، ومن وَلَدِ وَلَدِه أربعةً، كُلُّهم قد رَبَعَ. فقال سليمان: وَلدُ وَلَدِه هم ولدُه، اُدْفع إليه الجارية.

* * *

---

(١) الفظيع: يعنى الأمر الفظيع الشنيع الذى جاوز المقدار. وجعل تحملهم حسن الثناء من مفاخرهم، أى لا يتكبرون ولا يتيهون على الناس ولا يمنون. وقل من يستطيع أن يحمل حسن الثناء!

(٢) زاغ يزيغ زيغاً: مال عن القصد وعدل عن الحق، وضل. قال الله تبارك اسمه «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا»، أى لا تملنا عن الهدى وقصد السبيل ولا تضلنا. ونثا الحديث ينثوه نثوا: أشاعه وأظهره، وأراد الوقيعة فى الناس، وذكر الفحشاء فى المجالس.

(٣) روى أبو الفرج فى أغانيه هذا الخبر بقريب من لفظه ١٠: ١٥٣ — ١٥٤. ربع القائد الجيش يربعهم: أخذ ربع الغنيمة، خالصاً له دون أصحابه. وهذا الربع يقال له: المرباع، وهو من أمر الجاهلية.

٨٠٦ — [١][أخبرنا أبو خَلِيفة، عن محمَّد بن سَلَّام، قال: قال عامرُ ابن عبد الملك المِسْمَعِيّ: كان رؤبةُ وأبو النَّجم يَجْتمِعان عندى فأطْلُب لهما النَّبيذَ، فكان أبو النجم يَتسرَّع إلى رؤبة حتى أَكُفَّه عنه].

* * *

.... [٢]

* * *

٨٠٧ — [٣][أَخْبرنى أبو خَلِيفة فى كتابه إلىّ، عن محمَّد بن سلام، عن أبي زَيْد الأنصارىّ والحَكَم بن قَنْبر قالا: كنَّا نقعُد إلى رُؤبَة يومَ الجمعة فى رَحْبَة بنى تَميمٍ. فاجتمعْنا يوماً، فقطعْنا الطريقَ، ومرَّت بنا عَجوزٌ، فلم تقدِرْ على أن تجوزَ فى طَريقِهَا، فقال رُؤبة:

تَنَحَّ للعَجوزِ عَن طَريقِها ... إذْ أَقْبَلَتْ رائحَةً من سُوقِها

دعْها، فما النَّحْوِىُّ من صَدِيقِها[٤]

٨٠٨ — أخبرَنى أبو خَلِيفة فى كتابه، عن محمَّد بن سلَّام، عن يونس قال: غَدوْت يوماً، أَنا وإبراهيم بن مُحمَّد العُطارِدِىّ، على رُؤبة، فخرج

---

(١) نقلته من الأغانى ١٠ : ١٥٢. تسرع إليه: يهم أن يبطش به.

(٢) سقطت ترجمة العجاج ورؤبة من الأصول.

(٣) جمعت هذه الأخبار من ٨٠٧ — ٨١١ من ترجمة رؤبة، مما رواه أبو الفرج عن ابن سلام فى الأغانى ١٨ : ١٢٤ — ١٢٥، ٢١ : ٦٠ — ٦١، وهى مكررة فى الجزء الحادى والعشرين.

(٤) زيادات ديوانه: ١٨١.

إلينا كأنه نَسْرٌ ، فقال له أبن نُوح : يا أبا الجحَّافِ ، أَصْبحتَ والله كقولِك(١) :

كالكُرَّز المَشْدُودِ بينَ الأوْتَادْ ساقَطَ عَنه الرِّيشَ كرُّ الإبْرَادْ(٢)

فقال له رُؤْبة : والله يَا أبن نُوحٍ مازِلْتُ لك مَاقِتاً ! فقلتُ : بل أصبحتَ يا أبا الجحَّاف كما قال الآخر :

فأبقيْنَ مِنْـهُ ، وأبقَى الطِّرا دُ ، بَطْناً خَمِيصاً وصُلْباً سَمِيناً(٣)

فضحك وقال : هاتِ حاجتَك .

٨٠٩ — قال أبن سَلّام : ووقَف رُؤْبة على باب سُليمان بن علىّ يستأذِنُ ، فقيل له : قد أَخذ الإذْرِيطُوس . فقال رؤبة :

---

(١) هذا الخبر نقله ابن قتيبة فى الشعر والشعراء عن ابن سلام : ٥٧٥ ونصه :

« أتيت رؤبة ومعى أبن نُوح ، وكنا نُفلّس أبنَهُ عبدَ الله — أى نُعطيه الفُلُوس — فيخرجه إلينا ، فقال أبن نوح . . . »

وظاهر من نص أبى الفرج أن ابن نوح ، هو إبراهيم بن محمد العطاردى نفسه . ولم أعرف من هو ، ولكنى وجدت فى معجم ما استعجم : ٤٩٦ فى خبر « . . فقال أبو نوح ، رجل من ولد عطارد ، لأبى عمرو . . » ، وعطارد ، هو عطارد بن حاجب بن زرارة التميمى . وهذا غاية ما وقفت عليه . وقوله « كأنه نسر » لأنه كان قد كبر ، فدق عظمه وصلع رأسه ، وطالت عنقه ودقت ، وغارت عيناه ، وتخدد اللحم عن وجنتيه ، وبرز أنفه حتى صار كالمنقار .

(٢) ديوانه : ٣٨ . والكرز : البازى يشد ليسقط عنه ريشه . والإبراد : الدخول فى البرد ، وصواب روايته « قبل الإبراد » ، لأن فاعل « ساقط » يأتى فى بيت بعده ، هو :

« لَفحُ الصَّلا من وَغْرِ قَيْظٍ وَقَّادْ »

يريد : أنه كالكرز سقط عنه ريشه قبل الإبراد ، فهو يقشعر ويتضام من مس البرد .

(٣) هو لكعب بن زهير بن أبى سلمى ، ديوانه : ١٠٢ ، والبيت فى صفة حمار الوحش . الطراد : المطاردة ، يعنى مطاردته الأتن حتى يرد بهن الماء . الخميص : الضامر . والصلب . الظهر . يقول : أصبح مدمجاً شديداً محبوك الخلق وثيق التركيب .

يا مُنْزِلَ الوَحْيِ على إدْرِيسِ ومُنزِلَ اللَّعْنِ عَلَى إبْلِيسِ
وخَالِقَ الإثْنَيْنِ والخَمِيسِ بَارِكْ لَهُ فى شُرْبِ إذْرِيطُوسِ(١)

٨١٠ — أخبرنى أبو خَليفة فى كتابِه إلىَّ ، عن محمّد بن سلّام ، عن عبد الرحمن بن محمد بن عَلقَمة الضَّبىّ قال : خرج شاهين بن عَبْد الله الثَّقفىُّ برُؤْبة إلى أرضِهِ ، فقعَدُوا يَلْعبون بالنَّرْدِ ، فلمّا أُتُوا بالخِوَانِ قال رُؤْبة :

يا إخْوتى جاءَ الخِوَانُ فارْفَعُوا حَنَّانَةً كِعَابُهَا تُقَعْقِعُ

لم أَدْرِ ما ثَلاثُها والأربَعُ(٢)

قال : فضحكنا ورفَعْناها ، وقُدِّم الطَّعامُ] .

* * *

٨١١ — [وقال ابن سَلّام ، عن يُونُس ، قالَ لى رُؤْبة : حتَّى متى تَسْأَلُنى عن هذه الأباطِيلِ وأُزَوِّقها لكَ ؟ أَمَا تَرَى الشَّيبَ قد بَلَّع فى رأْسك ولِحْيتك ! !](٣) .

---

(١) البيت الأول فى زيادة ديوانه : ١٧٥ ، والأخير فى المعرب : ٢٢٢ . وإدريس نبى الله عليه السلام . وإذريطوس : هو دواء مركب مسهل من غير مشقة ، ويقوى الحرارة الغريزية .

(٢) لم تذكر فى ديوانه ولا زياداته . وقوله « حنانة » ، لم أدر ما معناه .

(٣) هذا الخبر نقلته من الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٥٧٦ ، ورواه أبو سعيد السيرافى فى أخبار النحويين البصريين : ٣٥ وقال بعد أن فرغ منه : « قال أبو سعيد : هذا صحَّف فيه ابن الأعرابي فقال : « بلَّغ » بالغين ، وهو أحد ما أُخِذ عليه » . وبلع الشيب فيه تبليعاً : بدا فيه وظهر وقارب الكثرة .

الطبقة العاشرة

من الإسلاميِّين

٨١٢ — مُزاحِم بن الحارث العُقَيْلىّ .

٨١٣ — ويَزِيد بن الطَّثْرِيَّة ، والطَّثْرِيّة أمُّه : وهو يَزيد بن المُنْتَشِر ، أحدُ بنى عَمْرو بن سَلَمة بن قُشَيْر .

٨١٤ — وأبو دُوَادٍ الرُّؤَاسِىّ ، أحد بنى رُؤَاس بن كِلَاب بن رَبِيعة ابن عامر بن صَعْصَعَة[١] .

٨١٥ — والقُحَيْف بن سُلَيم العُقَيْلىّ .

* * *

٨١٦ — أخبرنا أبُو خليفة قال : أنبأنا أبنُ سلَّام قال : فحدَّثنى أبو عُبَيدة : أن مُزاحم بن الحارث العُقَيْلىّ كان رجلًا غَزِلًا ، وكان شُجاعًا ، وكان شَدِيدَ أَسْرِ الشِّعْرِ حُلْوَه ، وكان مع رِقَّةِ شِعره هَجَّاءً وَصَّافًا .

٨١٧ — وله :

كأنِّى وَعَبْدَ الله لَمْ تَسِرْ بَيْنَنَا أَحَادِيثُ يَثْنِى سَابِقَ الدَّهْرِ لِينُهَا[٢]

---

(١) اسم أبي دؤاد : يزيد بن معاوية بن عمرو بن قيس بن عبيد بن رؤاس .

(٢) ديوانه : ٣٣ ، عبد الله ، كأنه صاحب له أو أخ ، ولم أعرف بعد من هو . يقول : جرى بيني وبينه من رقيق الحديث فى الحب وما ألقاه منه ، ما يرد الأيام التى عجلت بفراقنا عن عزمها .

وَلَمْ نَطَّلِبْ دُونَ الحَجُونِ ظَعَائِنًا ... تَبَارَى بِهَا أُدْمُ المَهَارِى وَجُونُهَا(١)

ظَعَائِنُ مِن عُلْيَا عُمَيْرِ بْنِ عَامِرٍ ... مُصَحَّحَةُ الأَجْسَادِ مَرْضَى عُيُونُهَا(٢)

تَنَكَّرْنَ مِنْ عِرْفِى ، فَلَمَّا عَرَفْنَنِى ... بَدَتْ كُلُّ مِبْهَاجٍ أَغَرُّ جَبِينُهَا(٣)

وَقُلْنَ : أَعْجِلَا ، لَا عَيْنَ نَخْشَى ، وَأَبْشِرَا ... بِلَيْلَةِ سَعْدٍ غَابَ عَنَّا ظَنُونُهَا(٤)

فَجِئْنَا كَمَا أَفْضَى الفَرِيقَانِ أَشْرَفَا ... عَلَى خَلْوَةٍ نَاءٍ مِنَ الحَىِّ بِينُهَا(٥)

---

(١) الحجون : جبل بمكة ، على نحو ميل ونصف من البيت الحرام . وطلب الشىء واطلبه : حاول أن يجده أو يلحقه . والظعائن جمع ظعينة : الجمل يظعن عليه ، أى يرحل ، أو الهودج الذى تكون فيه المرأة ، ثم سميت كل امرأة ظعينة ، لأنها تركبه . والأدم جمع أدماء وآدم : وهى الإبل البيض الهجان ، وهى أكرم الإبل . والمهارى جمع مهرى : وهى إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان ، من نجائب الإبل . والجون جمع جون (بفتح فسكون) : وهو الأسود المشرب حمرة ، وهو شديد السواد . وتبارى ، تتبارى بحذف إحدى التاءين : يعارض بعضها بعضاً ويسابقه .

(٢) عمير بن عامر ، لم أعرفه ، وأظن الصواب « نمير بن عامر » ، بن صعصعة . وقد قالوا إنه كان يحب ابنة عمه ، فتزوجت من هو أقرب منه إليها نسباً ، ومزاحم من بنى عقيل بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة . وقوله « من عليا عمير » ، يعنى من أهل الشرف والسخاء والنبل فى بنى عمير هؤلاء . مصححة الأجساد : صحيحة الأبدان من النعمة والخفض والترف والبعد عن الأرض الوبيئة . وصححه الله فهو صحيح ومصحح : سلم من الآفات . والمرض فى العيون : فتور نظرها من الحياء ، لا يعنون الداء .

(٣) العرف (بكسر فسكون) : ما يعرف به المرء ، يقال « ما عرف عرفى إلا بأخرة » : أى ما عرفنى إلا أخيراً . ويروى « تنكرن من أنسى » . وامرأة بهجة ومبهاج : غلب عليها الحسن والنضارة والبهجة تروع من رآها . أغر : أبيض .

(٤) اعجلا : خطاب لمزاحم وعبد الله صاحبه . والظنين والظنون : المتهم الذى لا يوثق به . يعنى من يخشى أن يبوح أو يذيع قالة السوء .

(٥) فى الأصول « كما انفض » ، وهو شىء بلا معنى . وأفضى : انتهى ، وأراد : إسراع كل واحد منهما إلى لقاء صاحبه وبلوغه . والفريق : المفارق ، الذكر والأنثى والمفرد والجمع فيه سواء ، مثل صديق وعدو . وناء : بعيد نازح . والبين : الناحية ، وفصل ما بين كل أرضين ، وهى التخوم . يقول : أسرع كل منا إلى صاحبه ، كما يسرع حبيب مفارق إلى حبيب مفارق ، إذا وجدا خلوة بعيدة عن أعين الحى والرقباء .

فبِتْنَا نَدَامَى لَيْلَةٍ لَمْ نَذُقْ بِهَا حَرَاماً ، ولم يَبْخَلْ بِحِلٍّ ضَنِينُهَا (١)

صِفَاحاً بِأَيْمَانٍ نَرَى أَنَّ مَسَّهَا شِفاءُ الصَّدَى من غُلَّةٍ طَالَ حِينُهَا (٢)

وَبِتْنَا وأَيْدِينَا وِسَادٌ ، وفَوْقَنَا رِيَاطٌ وغَالِى بِرْكَةٍ لا نَصُونُهَا (٣)

فَلَمَّا بَدَا هَادٍ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعٌ نَضَا حُلَّةً لم يَبْقَ إلّا جَرِينُهَا (٤)

---

(١) ندامى جمع نديم : وهو المجالس والمرافق ، يحدثك أو يشاربك أو يسامرك . والحل : الحلال . والضنين : الممسك .

(٢) الصفاح والمصافحة والتصافح : أن يصافح الرجل الرجل بيده ، إذا وضع صفح كفه فى صفح كفه ، ، وأقبل بوجهه على وجهه . وصفح الكف : بطنه . والصدى : الظمأ وشدة العطش . وشفاء الصدى : إطفاء حرته ، كأنه شفاء من داء . والغلة والغليل : حرارة العطش فى الجوف . يقول : لم يكن بيننا إلا مس اليد باليد ، وذلك حسبنا من شفاء ما نجد من وقدة الحب .

(٣) الوساد والوسادة : ما يوضع تحت الرأس عند النوم . ورياط وريط جمع ريطة : وهى ملاءة من نسج دقيق لين . والبركة : جنس من برود اليمن نفيس غال . وفى الأصول « وعالى » .

(٤) كان هذا البيت فى الأصل :

فلما بدا صاد من الصُّبْح ساطعٌ عصى حله لم يَنْحُ إلا جرينها

وهو كلام بلا معنى . وقد أصلحته بما رأيت اجتهاداً . والهادى : مقدم كل شىء ، كالعنق وغيره ، كأنه يهدى . وذلك قولهم فى الشعر . يقول ذو الرمة فى صفة الفجر :

حَتَّى إذا ما جَلَى عن وَجْهِهِ فَلَقٌ هَادِيهِ فى أُخْرَيَاتِ الليلِ مُنْتَصِبُ

ويقول ، وهو أجود قول :

كأَنَّ عَمُودَ الصُّبْحِ جِيدٌ ولَبَّةٌ وراءَ الدُّجَى من حُرَّةِ اللونِ حَاسِرِ

ويشبهون الليل بالرواق يقول ذو الرمة أيضاً :

حَتَّى إذا ما الدُّجَى مالَتْ أَواخِرُهُ مِثْلَ الرِّوَاقِ ، ولاحَتْ جَبْهَةُ النورِ

ونضا ثوبه ينضوه : خلعه وألقاه عنه . والحلة : اللباس والثوب . وهم يشبهون الليل بالثوب الأسود ، يقول ذو الرمة أيضاً :

وليلٍ كجِلْبَابِ العَرُوسِ ، ادَّرعتُه بأربعةٍ والشخصُ فى العين واحدُ

وهو كثير جدا . وثوب جرين : لان وانسحق وصار خاقاً . يقول : لما بدا الفجر وقد أخذ يخلع طيلسانه الأسود الذى بلى وتهتك ، ورق سواد الليل ، وآذننا نور الفجر بالفراق ، فعندئذ بدت زفرات الحب . . . إلى آخر المعنى فى البيت الذى يليه . هذا ما رأيت من صواب معناه ، وهو قريب فى التصحيف .

بَدَتْ زَفَرَاتُ الْحُبِّ مِنْ كُلِّ وَامق
وَمَحْجُوبَةٍ لم تُعْطَ صَبْرًا يُعِينُهَا[(١)]

فَأَصْبَحْنَ صَرْعَى فِي الحِجَالِ، وأَصْبَحَتْ
بِنَا الْعِيسُ فِي الْمَوْمَاةِ جَعْداً لَجِينُهَا[(٢)]

* * *

٨١٨ — [(٣)]أخبرَنا أبو خَلِيفة، أَنبأنا محمد بن سلّام قال: فحدّثني أبو الغرّاف قال: كان يَزِيدُ بن الطّثَرِيّة صَاحِبَ غَزَلٍ ومُحادَثةٍ للنساء، وكان جَمِيلًا ظَرِيفاً، ومِنْ أحْسَنِ النَّاس كلِّهم عِشْرَةً. وكان أَخُوه ثَوْرٌ رجُلًا سيِّداً كَثِيرَ المَال والنَّخْلِ والرّقِيق، وكان مُتَنَسِّكاً كثيرَ الحجِّ والصَّدَقة. وكان كَثِيرَ المُلازمة لإبلِه ونَخْله، فلا يَكادُ يُلِمُّ بالحيِّ إلّا وَقْعَةً[(٤)]، وكانتْ إبله تَرِدُ مع الرِّعَاءِ عَلَى أَخيه يَزِيد بن الطّثَرِيَة فتُسْقَى على عَيْنه[(٥)]. فبَيْنَا يزيدُ مارٌّ فى الإبِل وقد صَدَرَتْ عَنِ المَاءِ،

---

(١) وامق: محب. والمقة: المحبة لغير ريبة، وفى الأصل «ومحجولة»، ولست أصححه، فإنه إذا أراد اشتقاقه من حجال النساء، كان غريباً، وأقرب إلى الصواب أن تكون كما أثبت. والمحجوبة: المرأة التى بلغت فضرب عليها الحجاب.

(٢) صرعى جمع صريع: صرعها الحب والوجد. والحجال جمع حجلة (بفتحتين): وهى بيت كالقبة يستر بالثياب، ويكون له أزرار كبار، يتخذ للنساء، فهن ربات الحجال. يذكر ما يلقين من الوجد به وبصاحبه. والعيس: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة، وهى من أكرم الإبل وأصبرها على السير، واحدتها أعيس وعيساء. والموماة: المفازة الواسعة الملساء، لا ماء بها ولا أنيس. اللجين: زبد أفواه الإبل. وزبد جعد: متراكب مجتمع بعضه فوق بعض على خطم البعير أو الناقة، وذلك من شدة إسراعها فى السير. يقول: أصبحن صرعى فى حجالهن من شدة الوجد، وطرنا نحن فى البوادى مجدين نتسلى عما نجد بهن من فرط الصبابة.

(٣) هذا الخبر رواه أبو الفرج فى أغانيه ٨: ١٧٥ — ١٧٦.

(٤) إلا وقعة: إلا قليلا كوقعة الطائر ثم يرحل. وفى الأغانى: «إلا الفلتة والوقعة».

(٥) الرعاء جمع راع. على عينه: أى بحيث يراها ويتعهدها.

إذْ مَرَّ بِخباءٍ فيه نِسْوةٌ من الحاضر(١) ، فلمّا رأينَه قُلنَ : يا يزيد ، أطْعِمْنا لَحْماً . فقال : أَعطِينَنِي سِكِّيناً . فأعْطَيْنه ، فَنَحَرَ لهُنَّ ناقةً من إبلِ أخيه . وبلغ الخبرُ أخاهُ ، فأقبلَ ، فلمّا رآه أخَذَ بشَعَرِهِ وفسَّقَه وشتَمه ، فأنشأ يزيدُ يقولُ :

يا ثَوْرُ ، لا تَشْتُمَنْ عِرْضِي ، فَداكَ أَبِي، ... فَإنَّما الشَّتْمُ للقَوْمِ العَواوِيرِ (٢)

ما عَقْرُ نابٍ لِأَمْثالِ الدُّمى خُرُدٍ ... عُونٍ كِرامٍ وأبْكارٍ مَعاصِيرَ ؟ (٣)

عَلِقْنَ حَوْلِيَ يَسْأَلْنَ القِرى أُصُلاً ... ولَيْسَ يَرْضَيْنَ مِنِّي بالمَعاذِيرِ (٤)

هَبْهُنَّ ضَيْفاً عَراكُمْ بعْدَ هجْعَتِكُمْ ... فِي قَطْقَطٍ مِنْ سَقِيطِ اللَّيلِ مَنْثُورِ (٥)

---

(١) الخباء : من بيوت الأعراب ، من صوف أو شعر . حى حاضر : إذا كانوا نازلين على ماء .

(٢) العواوير جمع عوار (بضم فتشديد) : وهو الضعيف الجبان الخسيس لا خير فيه ، ومثله الأعور . ويقال للردىء من كل شىء ، من الأمور والأخلاق ، أعور . ومنه يقال : كلمة عوراء .

(٣) عقر البعير بالسيف عقرا : قطع قوائمه ثم نحره ، يفعلون ذلك به كيلا يشرد عند النحر . الناب : الناقة المسنة ، وذلك أن نابها طال وعظم . ووصفها بذلك ليهون من شأنها على أخيه . الدمى جمع دمية : الصورة الممثلة يتنوق صانعها فى صنعتها ويبالغ فى تحسينها ، شبهوا بها المرأة الجميلة التامة الخلق . خرد وخرائد وخرد (بتشديد الراء) جمع خريدة : وهى المرأة الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة . عون جمع عوان : وهى الثيب والتى كان لها زوج . والأبكار جمع بكر : وهى الشابة التى لم يمسسها رجل . والمعاصير والمعاصر جمع معصر : (بضم فسكون فكسر) وهى التى أعصرت ، أى بلغت عصر شبابها وإدراكها . يقول : ما تساوى الناب ، حتى تلومنى على نحرها لهؤلاء الجميلات الكريمات النبيلات من عون وأبكار ؟

(٤) علق به : نشب . وعلق : طفق ، وفى الحديث « فعلقت الأعراب به » أى طفقت . القرى ما يقدم للضيف . أصل جمع أصيل : وهو وقت العشى . يقول : كيف أردهن ولم أنحر لهن ، وقد طفقن يسألننى القرى ، ولا ترضيهن معاذير أختلقها ، وهذه الإبل بأعينهن .

(٥) عراه ضيف يعروه ، واعتراه : غشيه طالباً معروفه وقراه . الهجعة : نومة خفيفة من أول الليل . القطقط : المطر الصغار كأنه شذر ، وهو هنا صغار البرد . سقيط السحاب : البرد . والسقيط : الثلج .

وَلَيْسَ قُرْبَكُمُ شاءٌ ولا لَبَنٌ ، أَيرْجِعُ الضَّيفُ عَنْكُم غَيرَ مَجْبُورِ؟
مَا خَيْرُ وَارِدَةٍ للماءِ صَادِرَةٍ لَا تَنْجَلِي عَنْ عَقِيرِ الرِّجْلِ مَنْحُورِ[١]؟

٨١٩ — وقَالَ أيضاً في امرأةٍ كان يتحدَّثُ إليها ويُعْجَب بها[٢]. فبينا هُو عِنْدَها ، إِذَا حِدْثٌ لَهَا سِوَاهُ قد طَلَعَ عليه[٣]. ثم جاءَ آخرُ ، فلم يزالوا كذلكُ حتى تَمُّوا سَبْعةً وهو الثامنُ ، فقال يزيد :

أَرَى سَبْعَةً يَسْعَوْنَ للوَصْلِ ، كلُّهُمْ
لَهُ عِنْدَ لَيْلَى دِينَةٌ يَسْتَدِينُها[٤]
فأَلْقَيْتُ سَهْمِي وَسْطَهُم حِينَ أَوْخَشُوا ،
فَمَا صَارَ لِي مِنْ ذَاكَ إِلَّا ثَمِينُها[٥]

---

(١) الواردة : الإبل التى ترد الماء ، والصادرة : التى تصدر عنه . والعقير : الذى عقرت قائمته بالسيف . انظر : ص : ٥٨٧ ، رقم : ٣ آنفاً . يقول : ما نفع هذه الإبل الكثيرة ، إذا عرا ضيف فى زمهرير البرد ، ثم لم تنحر له إحداهن ، أداء لحق الضيف عليها وعليك ؟

(٢) الخبر رواه أبو الفرج فى أغانيه ٨ : ١٧٧ .

(٣) يقال ، فلان حدث فلان : أى محدثه الذى يسامره . وحدث ملوك : إذا كان صاحب حديثهم وسمرهم . وحدث نساء : يتحدث إليهن ويحسن الحديث .

(٤) هى فى ديوان مزاحم بن الحارث العقيلى : ٣٣ ، وفى مجموعة المعانى : ٥٦ منسوبة إليه ، وفى اللسان (وخش) (ثمن) ، والأغانى ٨ : ١٧٧ ليزيد بن الطثرية . والدينة : اسم الدين . يقال : جئت أطلب الدينة ، وما أكثر دينته ، وهو الدين . استدانه يستدينه : طلب منه الدين . واستدانه أيضاً : استقرض منه ، والأول هو المراد فى البيت . جعل الهوى الذى بينهم وبينها دينا يطلبه عندها كل واحد منهم .

(٥) أوخش القوم إيخاشا : ردوا السهام فى ربابة الميسر مرة بعد أخرى ، كأنهم صاروا إلى الوخاشة وهى الرذالة والرداءة . والثمين والثمن : هو الجزء من ثمانية أجزاء . شبه نفسه وإياهم بأصحاب الميسر ، حين ضاق بهم الأمر ، فخلطوا السهام فى الجعبة التى تجمع السهام ، فألقى كل منهم سهمه ، وأداروا القداح ، ثم يقول : لم أفز منها إلا بالثمن مع هؤلاء السبعة . يستنكر منها ذلك ، ويأنف لنفسه أن يكون له فيها شريك .

وكُنْتُ عَزُوفَ النَّفسِ ، أَشْنَأُ أنْ أُرَى
عَلَى الشِّرْكِ مِنْ وَرْهَاءَ طَوْعٍ قَرِينُها[(١)]
فَيَوْماً تَرَاهَا بِالعُهُودِ وَفِيَّةً ،
وَيَوْماً عَلَى دِينِ ابْنِ خَاقَانَ دِينُها[(٢)]
يَداً بِيَدٍ مَنْ جاء بِالْعَيْنِ مِنْهُمْ ،
وَمَنْ لم يَجِئْ بالعَيْنِ حِيزَتْ رُهُونُها[(٣)]

٨٢٠ — [(٤)][وقال فيها وقد صارمها :

أَلَا بِأَبِي مَنْ قَدْ بَرَى الْجِسْمَ حُبُّهُ ... وَمَنْ هُوَ مَوْمُوقٌ إلَيَّ حبيبُ[(٥)]

---

(١) عزفت نفسى عن الشيء تعزف عزوفاً ، فهى عزوف : تركته بعد إعجابها به وعابته وانصرفت عنه . وشنىء الشيء يشنأه شنأ وشناءة وشنآناً : أبغضه أشد البغض . وامرأة ورهاء : حمقاء تعرف منها وتنكر . وطوع : طيع منقاد . يقال : أنا طوع يدك ، أى منقاد لك . وامرأة طوع الضجيع : منقادة له طيعة . وفرس طوع العنان : لينة لا تنازع قائدها . والقرين والقرينة : النفس ، يقال أسمحت قرينه وقرينته : أى ذلت نفسه وتابعت على الأمر . يقول : إن يكن هذا فعلها ، فأنا أبى النفس أكره لنفسى أن أرى مقيما على المشاركة فى حديث امرأة حمقاء ، سهلة القياد ، لا ترد حديث محدث يظهر لها الهوى .

(٢) خاقان : ملك الترك ، ولكنه أراد بابن خاقان : كسرى قباذ بن نيروز ، ملك الفرس ، وهو الذى قام فى زمانه مزدك ، ودعا إلى مذهبه ، فأطاعه قباذ ودان بدينه . فكان من ديانته أن أحل النساء وأباح الأموال ، وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ . وهذا ما أراد يزيد بذكر دين ابن خاقان ، المشاركة .

(٣) العين : النقد ، يقال اشتريت هذا بالدين أو بالعين ، أى ديناً أو نقداً . يقول : من أعطى نقداً أخذ يداً بيد حاضراً ، ومن لم يعط نقداً ، غلق رهنه وحازته فضاع . وهذا مثل ضربه ، يعنى من حضر باذلته من ودها ، ومن غاب عنها ممن يحبها وأودع قلبه عندها ، نسى أو أغفل وسقط حقه .

(٤) هذا من تتمة الخبر عن ابن سلام فى الأغانى ٨ : ١٧٧ فنقلته فى مكانه .

(٥) برى الحب والسفر والمرض جسمه : هزله وأذهب لحمه . ومقه يمقه مقة : أحبه حبا لا تخالطه ريبة .

وَمَنْ هُوَ لا يَزْدادُ إلّا تَشَوُّقًا ، وليسَ يُرَى إلّا عليْهِ رَقِيبُ[١]

وَإِنِّى ، وإنْ أحمَوْا عَلَىَّ كلامَهَا ، وَحالَتْ أعادٍ دُونَها وحُرُوبُ ،[٢]

لَمُثْنٍ عَلَى لَيْـلَى ثَنَاءً يَزِيدُهُ قَوَافٍ بأفْوَاهِ الرُّوَاةِ تَطِيبُ[٣]

أَلَيْلَى! احذَرِى نَقْضَ القُوَى، لايزَلْ لنَا عَلَى النَّأْى وَالهِجْرانِ مِنْكِ نَصِيبُ[٤]

وكُونِى عَلَى الوَاشِينَ لَدَّاءَ شَغْبَةً كما أنَا لِلوَاشِى أَلَدُّ شَغُوبُ[٥]

فإنْ خِفْتِ أنْ لاتُحْـكِمِى مِرَّةَ الهَوَى فرُدِّى فؤادِى والمَزارُ قَرِيبُ][٦]

* * *

٨٢١ — أخبرَنا أبو خليفة ، أنبأنا محمّد بن سلّام قال : حدّثنى يونس

---

(١) شاقنى وشوقنى : هاج شوقى ، فتشوقت ، أى ازددت شوقاً . وكأنه أراد بالتشوق هنا التشويق فأقامه مقامه لقرب المعنى .

(٢) حميت المكان والحمى : منعته ، فإذا امتنع عنه الناس وعرفوا أنه حمى قيل : أحميته . يقول : منعونى كلامها وحظروه على ، كأنه حمى لا يدنى منه . وحالت : منعت . والحروب : ما بين قومه وقومها من العداوة والحروب القديمة .

(٣) فى الأغانى « ثناء يزيدها » ، وهكذا أحفظه، ولم أعرف موضعه الآن . والبريد : الرسول . يعنى شعره يتناشده الرواة فى المجامع من حسنه وطيبه .

(٤) يقول : لا تنقضى حبل المودة وتنكثى بعهدنا . والقوى : قوى الحبل التى يفتل عليها . ونقضها : إفساد ما أبرم منها ونكثه .

(٥) هذا البيت ينسب إلى كثير فى كتب كثيرة ، انظر ديوانه ١ : ١٨٥ ، وروضة العقلاء : ١٥٦ . رجل ألد ، وامرأة لداء : وهو الشديد الخصومة العنيد الجدل . شغب يشغب : عند عن الحق وعصى وخالف وخاصم . ولم تذكر كتب اللغة : « شغبة وشغوب » ، ولكنها صحيحة البناء والاشتقاق ، بل قالوا رجل شغب (بفتح فكسر) ومشغب ومشاغب .

(٦) فى الأغانى « مرة القوى » ، وأثبت ما أحفظه ، وإن أعيانى أن أجد الأبيات الآن . والمرة : طاقة الحبل التى يفتل عليها . يقول : إن كنت لا تطيقين توثيق المودة بينى وبينك ، فردى على فؤادى من قريب قبل أن نفترق ، فإن الشوق بعد الفراق شديد لا يطاق .

أبن حَبيب قال : وَقَعتْ حربٌ بينَ عُقَيْل بن كَعْب ونُمَيْر بن عامِرٍ (١) ، فلم يَقُم لهم بنو عُقَيْل ، وجعلت نُمَيْر تُسْرِفُ عليهم (٢) . فلما رَأَتْ ذلك بنو كَعْبٍ وبنو كِلاب وما تَلْقَى عُقَيْل من نُمَيْر ، أجمعُوا على قِتال بنى نُمَيْر . فارتحلَت نُمَير ليلحَقُوا بِذى سَعْدِ بن زَيْد مناة ، فلحقتْهم كِلابٌ فردَّتْهم ، فتحمَّلوا ما كان لهم من دَمٍ في بنى كَعْبٍ ، ووهَبُوا لهم ما كانَ مِنْهم . فقال أبو دُؤَاد الرُّؤَاسىّ في ذلك :

دَفَعْنا ، والأحِبَّةُ مَنْ دَفَعْنَا ، وكُنَّا مَلْجأً لبَنِى نُمَيْرِ (٣)

حَوَيْنَا حَجْرَنا لَهُمُ فَحَلُّوا إلَيْنَا بَعْدَ تَظْعانٍ وسَيْرِ (٤)

وكانَ الرَّأْسُ يومَ قِراصَ مِنَّا ، ومِنَّا الرَّأْسُ يومَ أبى عُمَيْرِ (٥)

---

(١) عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ونمير بن عامر بن صعصعة ، وأبو دؤاد الرؤاسى ، هذا الشاعر ، من بنى رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . كلهم أبناء عمومة .

(٢) أسرف عليه : جاوز الحد ولم يقتصد فى إيذائه والنيل منه .

(٣) لم أجد الأبيات . دفع الشىء : أزاله أو رده بقوة . يقول : دفعنا بنى نمير ، وهم أحبتنا وأبناء عمومتنا ، ثم كنا ملجأ لهم ، وحملناها عنهم ديات القتلى فى أموالنا ، وعفونا عن سائر الدماء من بنى نمير .

(٤) الحجر : مكان يقال له حجر الراشدة ، فى ديار بنى عوف بن عامر بن عقيل ، وهو مكان ظليل ، أسفله كالعمود ، وأعلاه منتشر . وقوله : « حوينا » لم أعرف معناه على الصواب . حوى الشىء : جمعه وضمه وحازه . ولو قرئت «حرثنا» من الحرث ، لكان أجود . يريد هيأنا لهم هذا المكان وأنزلناهم فيه بعد طول المشقة التى كابدوها فى ارتحالهم إلى ديار بنى سعد بن زيد مناة . وظعن يظعن ظعناً : ذهب وسار فى البادية . وأتى بالمصدر « تظعان » على هذا البناء ليدل على شدة السير والإلحاح فيه .

(٥) فى الأصل « قراض » ، ورأيته فى معجم البلدان بالصاد : وقال : « هو ماء من ديار بنى عمرو بن كلاب » بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ولم أعرف خبر هذه الحرب فى قراص ، وخبر مقتل أبى عمير ، ولا من هو .

فَإنْ وَهت العَصَا وأَهنْتُموهُمْ، فَلا تَسْتَبْدِلُوا أَخْيالَ طَيْرِ (١)
صَدِيقٌ كلما كُنْتم بِشَرٍّ، وأعْداءٌ إذا كنْتُمْ بِخَيْرِ (٢)

* * *

٨٢٢ — أنبأنا أبو خليفة، أنبأنا ابن سلام، حدثنا أبى سَلَّامٌ قال: كان القُحَيف خرجَ زَائِرًا لإبرَاهيم بن عاصِم العُقَيْلىّ، فبعثَ الأشْهب ابن كُلَيْب العُقَيْلىّ رَسُولًا إلى إبرَاهيم يُخْبِرُه أنّ القُحَيْفَ قد هَجاهُ وأساءَ القولَ فيه، ليَحرِمَه ويُقْصِيه (٣). ففعلَ. فقال القُحَيْف:

(١) فى الأصول المطبوعة «فإن ذهب العفا». ولا أدرى ما هو، ولكنى أقرؤها على المعنى «وهت العصا»، وهى الشىء: ضعف واسترخت قوته أو رباطه. يقال: وهى الحائط: إذا تفزز واسترخى وهم بالسقوط. والعصا: تضرب مثلا للاجتماع، ويضرب انشقاقها مثلا للافتراق الذى لا يكون بعده اجتماع، وذلك لأنه لا تدعى عصاً إذا انشقت. يقال: صدع الفراق عصاهم: فض شملهم. ووهت العصا: ضعفت وقارب الشمل أن يفترق. وقوله «أخيال» هو عندى جمع خال، وإن كان جمعه فى كتب اللغة خيلان. لأنه جمع فعل الأجوف. وأراد بالخال الخيال، وجمعه أخيلة وخيلان أيضاً: وهو خشبة توضع ويلقى عليها الثياب للغنم أو فى وسط الزرع، فإذا رآه الذئب أو الطير لم يسقط عليه يظنه إنساناً. وقد ضربوه مثلا لمن لا خير فيه ولا غناء عنده، إلا غناء الخيال، يقول الأخطل:

وما يُغْنِى عن الذُّهْلَيْنِ إلّا كما يُغْنِى عن الغَنَمِ الخيالُ

ويقول الآخر:

غُثَاءٌ كثير لا عَزِيمةَ فيهمُ ولكنَّ خِيلَانًا عليها العمائمُ

وفسروه هنا بأن الخال: الجمل الضخم، وجمعه خيلان، شبههم بالإبل فى أبدانهم وأنه لا عقول لهم. وأظن الصواب فى غير ما قالوه. وإنما الخال والخيال، هو تلك الخشبة. يقول لقومه: إذا فسد الأمر بينكم يا بنى عقيل وبين بنى نمير، فأهنتموهم وكرهتم مودتهم، فلا تستبدلوا بهم من لا غناء عنده.

(٢) يقول: إذا رأوكم فى بأساء وضر، أظهروا لكم المودة شماتة خفية، وإن رأوا خيراً عادوكم وأجلبوا عليكم حسداً وبغضاً.

(٣) إبراهيم بن عاصم العقيلى: أحد قواد أسد بن عبد الله القسرى، أخى خالد بن عبد الله القسرى. والأشهب بن عبيد الله بن كليب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، من بنى عم القحيف، ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف: ٣٤، شاعر.

متى ما تُحِطْ خُبْرًا بنا، يا ابْنَ عَاصِمٍ ، تَجِدْ لِى رِجَالًا من بَنِى العَمِّ حُسَّدَا

وَمَا كان لى ذَنْبٌ إليهمْ جَنَيْتُه سِوَى أَنّ لِى ذِكْراً أغارَ وأَنْجَدَا (١)

٨٢٣ — وله أيضاً :

وماءٍ قَدْ يظَلُّ عَلَى جِباهُ حَمَامٌ حَائِمٌ وقَطاً وُقوعُ (٢)

جَعَلْتُ عِمَامتى صِلَةً لِدَلْوِى لِأَبْلُغَ ، إِذْ تَقاصَرَتِ النُّسُوعُ (٣)

لأَسْقِىَ فِتْيَةً وَمُنَفَّهاتٍ أَضَرَّ بِنَيِّها سَيْرٌ رَجِيعُ (٤)

رَكِبْناها سَمانَتَها ، فَلمَّا بَدَتْ منها السَّناسِنُ والضُّلُوعُ (٥)

---

(١) لم أجد البيتين . أغار : نزل الغور ، وهو تهامة . وأنجد أفرع فى نجد . يريد ذكراً سار كل مسير فى شرق البلاد وغربها .

(٢) الأغانى ٢٠ : ١٤٢ . وروايته « قد وردت ، على جباه » . جبا البئر : نثيلة البئر ، وهى ترابها الذى تراه من بعيد حول البئر . حام الطائر حول الماء يحوم : دار حوله من العطش . يقول : وردت ماء بعيداً فى جوف فلاة لا أنيس بها ، إلا الحمام والقطا ، تألفه لوحشته ، لا يذعرها طارق .

(٣) تقاصرت : قصرت ولم تدرك الماء فى جوف البئر . والنسوع جمع نسع : وهو سير مضفور يجعل زماماً للبعير . أراد أنه اتخذ زمام ناقته وعمامته صلة لرشائه حتى يبلغ الماء ، لأنه بعيد القعر .

(٤) اللسان (رجع) فتية : يعنى رفقته فى السفر . نفه ناقته أو بعيره : أعياه وأتعبه حتى كل وانقطع من طول السير . جمل منفه ، وناقة منفهة . والنى (بفتح النون) : الشحم ، من نوت الناقة تنوى نيا : سمنت. والنى (بكسر النون) : السمن . أضر به السير والمرض : أنزل به الضرر وأذهب لحمه وهزله . وسفر رجيع : مرجوع منه مرة بعد مرة ، يرد من سير إلى سير . وفى الأصول « وجيع » : كأنه بمعنى مؤلم، وليس بشىء .

(٥) اللسان (سمن) . سمن البعير سمناً وسمانة . وأراد ركبناها طول زمن سمنها . والسناسن جمع سنسنة : وهى حروف فقار الظهر ، أو رؤوس أطراف عظام الصدر . يقول : أوغلنا بها فى البوادى حلا وترحالا حتى بدت عظامها وضلوعها من الهزال .

صَبَحْناهَا السِّياطَ مُحَدْرَجَاتٍ ... فَعَزَّتْهَا الضَّلِيعةُ والضَّليعُ(١)

٨٢٤ — وقال القُحَيْفِ في يوم الفَلَج ، حين جاء صَرِيخُ بنى كَعْب على بنى حَنِيفة(٢) :

دِيارَ الحىِّ تَضرِبُها الطِّلالُ ... مِنَ الخَافِى بِهَا أَهْلٌ ومالُ(٣)

وأَجْذَمَ ذَبُّهَا عَوْدًا وبَدْءًا ... بِدَفَّيْهِ تَعَبْقَرَتِ السِّخَالُ(٤)

---

(١) اللسان (حدرج) . صبح الإبل : سقاها الصبوح صباحاً ، يريد : عرضنا عليها السياط صباحاً لتجد فى السير . وحدرج السوط : فتله وأحكمه حتى استوى وصار أملس . ومحدرجة : ملساً مفتولة أحكم فتل . والضليع والضليعة : القوى الشديد الأضلاع الواسع الجنبين ، وذلك من قوته . وعزتها : غلبتها . يقول : لما صبحناها السياط نفرت وأسرعت فلم يبق بعير قوى ولا ناقة قوية ، إلا غلبت السياط ، فلم يعد لنا بأن نريها السوط حاجة . وذلك من كرم النوق وعتقها . وفى المطبوعة «نعزبها» ، وليس بشىء .

(٢) فلج : مدينة قيس عيلان فى أرض اليمامة ، ويسمى فلج الأفلاج لكثرة أنهاره (والفلج : النهر) ، وهو كثير الزرع والنخل . ويوم فلج ، لبنى عامر على بنى حنيفة ، وقد قتل يومئذ يزيد ابن الطثرية ، فرثاه القحيف . وخبر هذا اليوم فى الأغانى ٨ : ١٨٠ — ١٨١ ، ٢٠ : ١٤٢ .

(٣) لم أجد كثيراً من أبيات هذه القصيدة . الطلال جمع طل : وهو مطر صغار القطر دائم ، فوق الندى ودون المطر . والخافى : الجن ، وأرض خافية : بها جن ، سموا بذلك لاستتارهم . يقول : خلت الديار ، وضربتها الأمطار ، وتلبد ثراها ، وسكنتها الجن فصار لهم فيها أهل ومال .

(٤) نص البيت فى الأصول :

وأجزع ربما عوداً وبدءا ... بدفيّه تَعَبْقَرَتِ السِّجَالُ

ولم أجد البيت ، وهو لا معنى له . ورأيت أن أقرأه على هذا الوجه ، حتى يعثر على البيت . وأجذم البعير أو الفرس : أسرع الركض واشتد عدوه . والذب : الثور الوحشى ، سمى بذلك لأنه لا يستقر فى مكان واحد . وتعبقرت : يعنى جنت ، فصارت كأنها فى أرض عبقر ، وهى أرض الجن . والسخال جمع سخلة : وهى ولد الشاة من المعز والضأن ، وجعله هنا ولد البقر الوحشية كما فعل الطرماح فى قوله ، يعنى الثور الوحشى :

تُراقِبُهُ مُسْتَشِبَّاتُها ... وسُخْلانُها حولَهُ سارِحَهْ

والسخلان أيضاً جمع سخلة . والدف : صفحة الجنب . يقول : أقفرت ديار الحى وسكنتها الوحش فترى الثور يعدو فيها جيئة وذهوباً ، وبجانبيه سخاله تباريه ، كأنما أصابها مس من خبال .

بهـا الفزْرُ الرِّئالُ وكلُّ هِقلٍ كبيْتِ الرُّفْقةِ اُحترَقُوا فقالُوا(١)

أمَا ومُعلِّمِ التَّوْراةِ مُوسَى ، ومَنْ صَلَّى وصَام لَهُ بِلَالُ(٢)

لَقَدْ كانتْ تُؤَرِّثُ أُمُّ عَمْرٍو بَنَاتِ الصَّدْرِ ، إذْ أَنَسِى حِلَالُ(٣)

أتَانا بالعَقِيق صَرِيخُ كعْبٍ ، فحَنَّ النَّبعُ والأَسَلُ النِّهالُ(٤)

ثَلاثًا ، ثُمَّ وَجَّهْنـا إِلَيْهِمْ رَحًى لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا ثِفالُ(٥)

---

(١) فى الأصل « بها الغدر » ولا معنى لها . والفزر جمع أفزر : وهو الأحدب الذى فى ظهره عجرة عظيمة . وهذه صفة صغار النعام . والرئال جمع رأل : وهو ولد النعام ، والنعام تسكن القفر الموحش . والهقل : الظليم (ذكر النعام) الفتى . والرفقة : الجماعة المترافقة فى السفر . واحترقوا : أصابهم من حر الشمس ما أحرقهم . وقال القوم : عاجوا ليستريحوا عند نصف النهار إذا اشتد الحر . فيبنون عندئذ بيتاً من أعواد يظللونها ببعض ثيابهم ليستظلوا بها . شبه الظليم بالظلة .

(٢) بلال بن رباح الحبشى ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى عذب على التوحيد ، فكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره ، ويقول : لا تزال على ذلك حتى تموت أو تكفر بمحمد . فلا يبالى به بلال ، ويقول : أحد ، أحد ! رضى الله عنه .

(٣) فى الأصول المطبوعة : « تودك » ، ولم أجد لها معنى . واخترت « تؤرث » من التأريث : وهو التهييج والإغراء ، من تأريث النار : وهو تحريكها لتشب . و بنات الصدر : الهموم ، يقول : كانت تغرى بى الهموم وتثيرها فى صدرى ، أيام كنا مقيمين جميعاً فى هذه الديار . والأنس : أهل المحل النازلون المقيمون . وقوم حلال : هم القوم المقيمون المتجاورون المجتمعون .

(٤) الأغانى ٢٠ : ١٤٢ . العقيق ، عقيق اليمامة : وهو واد واسع فيه قرى ونخل كثير ، وهو لبنى عقيل . الصريخ : المستغيث ، وصوت المستصرخ المستغيث . والنبع : شجر من أشجار الجبال ، تتخذ منه القسى ، عوده أصفر رزين ، وقسيها أكرم القسى ، وأجمعها للأرز (الشدة) واللين ، وتتخذ من أغصانه سهام لطاف جياد . والأسل : نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق ، محددة الأطراف معتدلة ، وسميت الرماح أسلا على التشبيه به فى اعتداله وطوله واستوائه ودقة أطرافه . والنهال جمع نهل ، جمع ناهل : وهى العطاش ، لا يطفىء ظمأها إلا الدم . يقول : لما سمعنا صريخ بنى عمومتنا من بنى كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، حنت القسى والرماح إلى المعركة .

(٥) ثلاثاً : يعنى ثلاث ليال ، لأنهم ساروا إلى بنى حنيفة صبح ثالثة بعد ماجاءهم الصريخ (انظر الأغانى ٨ : ١٨١) . والثفال : جلد يبسط تحت رحى اليد ، ليق الطحين من التراب ، ويقى الرحى أيضاً . وضرب ذلك مثلا : أى أنها حرب شديدة ، لم يتقوا فيها شيئاً ، لشدة ما يوقعون بعدوهم .

وَحَالَفْنَا السُّيُوفَ وَصَافِنَاتٍ ... سَوَاءٌ هُنَّ فِينَا وَالعِيَالُ(١)

بَنَاتُ بَنَاتِ أَعْوَجَ طَامِحَاتٍ ... مَدَى الأَبْصَارِ، عِلْيَتُهَا الفِحَالُ(٢)

شَعِيرٌ زَادُهَا وفَتِيتُ قَتٍّ ، ... وَمِنْ مَاءِ الحَدِيدِ لَهَا نِعَالُ(٣)

وكَرْدَسَتِ الحَرِيشُ ، فعارَضُونَا ... بِخَيْلٍ فى فَوَارِسِها اُخْتِيَالُ(٤)

---

(١) شرح أدب الكاتب لابن السيد : ٣٩٤. الصافنات: الجياد . يقال صفنت الفرس : قامت على ثلاث وثنت سنبك يدها الرابعة ، وغلبوا هذه الصفة عليها ، لأنها تكثر أن تفعل ذلك . يقول : لما أتانا الصريخ ، لزمنا سيوفنا وجيادنا لا نفارقها . والعرب تكرم الخيل وتسوى بينها وبين أبنائها وعيالها فى الطعام ، بل تؤثر الخيل على الأبناء ، لأنها حصونهم وعدتهم للقتال .

(٢) شرح أدب الكاتب للجواليقى : ٣٠٠، ولابن السيد : ٣٩٤. أعوج : فرس عتيق، أمه من حوش وبار ، منه أنجبت خيول العرب ، وعامة جيادها تنسب إليه . طمح بصره إلى الشىء : ارتفع . فرس طامح الطرف وطامح البصر : مرتفعه من شدة توجسه وتنبهه . ومدى البصر : منتهاه وغايته . عليتها : التى تعلوها وتنزو عليها . والفحال جمع فحل : وهو الكريم من الدواب المختار للفحلة . يقول : إنها خيل عتاق نجيبات ، متوجسات لكل نبأة من طول مراسهن للحروب والغارات ، مكرمات لا يعلوهن إلا كل فحل نجيب . وفى الأصول « جلتها الفحال » .

(٣) رواية الأغانى ٢٠ : ١٤٢ :

تَعَادَى فى الوَغَى مِثْلَ السَّعَالِى ... ومِنْ زُبُرِ الحديد لها نِعَالُ

وأظنها أجود ، ولعل الشطر الأول فى الأصل ، إنما هو شطر بيت آخر مكانه بعد قوله « وحالفنا السيوف . . . » . والفتيت : الذى فت فصار دقاقاً وفتاتاً منكسراً . والفت : الفسفسة اليابسة ، وهى من أجود علف الخيل . وماء الحديد : يعنى الحديد نفسه ، أذيب ثم سبك . ونعال الخيل : ما تحذى به من الحديد ، ليقى حوافرها . أما رواية الأغانى ، فقوله : « تعادى » أى تتعادى : تبارى فى العدو من عنقها وقوة قلوبها . والوغى : معركة الحرب التى يكثر وغاها ، وهو أصوات القتال وقعقعة السلاح . والسعالى جمع سعلاة : وهى أخبث الغيلان ، تشبه بها الخيل فى شدة نشاطها ، وتنبهها وإقدامها على الهول .

(٤) كردس القائد خيله : جعلها كتيبة كتيبة . والكردوس : القطعة من الخيل ، وهى الكتيبة . والحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان الذين اجتمعوا يومئذ لقتال بنى حنيفة هم : بنو ربيعة بن عقيل بن كعب بن ربيعة ، وبنو قشير بن كعب بن ربيعة ، وبنو الحريش بن كعب ابن ربيعة ، أبناء عمومة واحدة . يقول : ثم عارضتنا وبارتنا الحريش بخيل أمثالها ، عليها من الفرسان كل تياه مختال ببأسه وصياله .

وسَالَتْ مِنْ أَبَاطِحِهَا قُشَيْرٌ ، بِمِثْلِ أَتِيِّ بِيشَةَ ، حِينَ سَالُوا(١)
نَقُودُ الخَيْلَ كُلَّ أَشَقَّ نَهْدٍ وَكُلَّ طِمِرَّةٍ فِيهَا اعْتِدَالُ(٢)
تَكَادُ الجِنُّ بِالغَدَوَاتِ مِنَّا ، إِذَا اصْطَفَّتْ كَتَائِبُنَا ، تُهَالُ(٣)
فَبِتْنَ عَلَى العُسَيْلَةِ مُمْسَكَاتٍ لَهُنَّ غُدَيَّةً رَهَجٌ جُفَالُ(٤)
فلما شَقَّ أَبْيَضُ ذُو حَوَاشٍ ، لَهُ حَالٌ وللظَّلْمَاءِ حَالُ(٥)
صَبَحْنَاهُمْ نَوَاصِيَهُنَّ شُعْثاً ، بِهِنَّ حَرَارَةٌ وبِنَا اغْتِلَالُ(٦)

---

(١) بنو قشير (انظر ما كتب قبله). والأباطح جمع أبطح : وهو بطن الوادى ومسيل مائه . وبيشة : واد عظيم يصب سيله من الحجاز حجاز الطائف، ثم ينصب فى نجد حتى ينتهى فى بلاد بنى عقيل. والأتى : السيل لا يدرى من أين أتى . شبههم بالسيل ، فى سرعة اندفاعهم وكثرتهم .

(٢) ابن السيد : ٣٩٤ ، ومعجم البلدان ٦ : ١٧٨ ، والبيتان بعده . وفى ابن السيد : « نعوذ » وفى المعجم والأصول « يقود » وكله خطأ . وفرس أشق وشقاء : طويلة . وفرس نهد : جسيم مشرف كثير اللحم حسن الجسم ، قوى . وفرس طمر : طويل القوائم خفيف مستفز للعدو والوثب . وطمر الفرس : أسرع الوثبة .

(٣) الغدوة والغداة : البكرة ، ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . هاله الأمر يهوله : أفزعه، وهيل يهال : فزع من شدة الهول .

(٤) العسيلة : ماء فى جبل قنان . ممسكات : قد أمسكن بالأعنة إعداداً للغارة . وغدية : تصغير غدوة . والرهج : الغبار ، أثارته بأقدامها . جفال : مجتمع كثيف ، وذلك من كثرتها ، ومن شدة قلقها ونشاطها .

(٥) حاشية كل شىء : جانبه ، وحاشيتا الثوب : جنبتاه الطويلتان فى طرفيهما الهدب . وأراد بقوله : « أبيض ذو حواش » الفجر ، للضوء الذى يشرف من نواحيه . وشق الفجر وانشق : طلع ، كأنه شق موضع طلوعه وخروج منه وانتشر . حال : شأن يتحول .

(٦) صبح القوم : أغار عليهم مع الصبح ، وعداه بطرح حرف الجر ، أصله « صبحناهم بنواصيهن » ، كما قال الآخر :

نَحْنُ صَبَحْنَا عامراً فى دارِها جُرْداً تَعَادَى طَرَفَىْ نَهارِها

والنواصى جمع ناصية : وهى منبت الشعر فى مقدم الرأس ، وشعث جمع أشعث وشعثاء : وهى المتفرقة الشعر ، تشعث شعرها وانتكث من شدة عدوها . واغتلال ، من الغليل والغلة : وهو حرارة الجوف من العداوة والغيظ والشوق وغيرها : رجل غليل ومغتل . شديد الغلة . يقول : بأجواف الخيل حرارة من طول جريها ، وفى صدورنا حقد وعداوة تلتهب ، وشوق إلى قتال أعدائنا .

فلما جُحْدلتْ مِئَتانِ مِنْهُم ، وفَرَّ حَنَانُهُمْ عَنْهُم فزَالُوا[١]

فَصَارُوا بَيْنَ مُمْتَنٍّ عَلَيْـــهِ وَمَنْصُوبٍ لَهُ جِذْعٌ طُوَالُ[٢]

تُكَفِّنُهُمْ حَنِيفَةُ بعدَ حَوْلٍ ! وكَيْفَ يُكَفَّنُونَ وقدْ أَحَالُوا[٣] ؟

أَمِنْكُمْ يا حَنِيفَ ! نعمْ لعَمْرِى ، لِحًى مَخْضُوبَةٌ ودَمٌ سِجَالُ[٤] !

وَلَوْلَا الرِّيحُ ، أَسْمعَ أَهْلَ حَجْرٍ صِيَاحَ البَيْضِ تَقْرَعُها النِّصَالُ[٥]

---

(١) جحدل الرجل : صرعه فتجمع وتقبض فى صرعته . والحنان : أراد رئيس القوم الذى يتعطفون عليه ويلتفون به ، من الحنان : وهو العطف والرحمة . وفى خبر ورقة بن نوفل حين مر ببلال يعذب : « والله لئن قتلتموه لأتخذته حناناً » أى لأجعلن موضع قبره موضعاً ألوذ به وأتعطف عليه . ورئيس بنى حنيفة يومئذ هو المندلف بن إدريس الحنفى ، وكان المندلف قد أصابه سهم فى عينه ، ويظهر أنه اعتزل القتال عندئذ ، فانكشفت حنيفة وهزموا . ثم مات المندلف فأخذته عقيل وصلبوه .

(٢) من على الأسير وامتن : أحسن إليه وأنعم عليه فصفح عنه وأطلقه بلا فداء . والجذع : ساق النخلة . وطوال : طويل مفرط الطول . وذلك أن بنى عقيل لما هزموا حنيفة سبوهم وأسروهم ومثلوا بهم ، وقطعوا أيديهم ، وصلبوا المندلف رئيس حنيفة .

(٣) أراد تكفين الذين صلبوا . وأحال : حال عليه الحول ، أى أتت عليه سنة كاملة .

(٤) سجال جمع سجل : وهو الدلو العظيمة ، وليس بصفة . وسجل الماء سجلا صبه صبا . وهو هنا جعل « سجالا » صفة ، كأنه أضمر فى « سجال » معنى الصفة ووصف بها ، أو وصف بالمصدر ثم جمعه . يريد : دم صب سجلا بعد سجل . وهو يسخر ببنى حنيفة يقول : أمنكم هذه اللحى المخضوبة بالدماء ، وهذه الدماء المراقة المصبوبة على الثرى ؟ نعم لعمرى ! فقد كنتم تختالون فغزوتمونا فى ديارنا عدواناً ، وظنا بأنفسكم شدة البأس ! فهذا ما لقيتم .

(٥) معجم الشعراء : ٣٣١ ، وقال : « وأغار فيه على مهلهل بن ربيعة :

وَلَوْلَا الريحُ ، أُسْمعَ مَنْ بحَجْرٍ صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذّكورِ »

وحجر : مدينة اليمامة وأم قراها ، وكانت لبنى حنيفة . والبيض جمع بيضة : خوذة الرأس يلبسها المحارب ، سميت بذلك لأنها على شكل بيضة النعام . وقرع الشىء يقرعه : ضرب به بعصا أو سيف حتى يسمع له صوت . والنصال جمع نصل : وهو حديدة السيف أو السهم أو السكين . وصياح البيض : صليلها إذا أصابتها السيوف أو السهام . يقول : لولا الريح ومرها وتشتيتها الصوت ، لسمع أهل حجر صليل السيوف وقراعها . قالوا فى بيت المهلهل ، وهو شبيه بهذا : « وهو أول كذب عرف فى الشعر » .

كأنَّ الخيْـلَ ، طَالِعَةً علَيْهِمْ　　بفُرْسَانِ الصَّباحِ ، قَطًا رِعَالُ[1]

* * *

آخِرُ كِتَابِ الطَّبقَاتِ .

والحمدُ لله ربِّ العالَمين كثيراً ،

وصلَّى الله على مُحَمَّد وآلِهِ وسَلَّم .

* * *

(١) القطا : طائر كالحمام ، يطير أسراباً ، وهو سريع الطيران . ورعال جمع رعيل ورعلة : وهى القطعة المقدمة من الخيل والجراد وسائر الطير . وأراد قطا مسرعات متقدمات ينصببن فى الجو انصباباً .

* * *

والحمد الله الذى هَيّأَ لنا الخيرَ وسَنَّاه ، فقد تم شرح الطبقات بعونه سبحانه ، فما كان فيه من إحسان فمن هَدْىِ ربّ العالمين ، وما كان فيه من لَغْو وإساءة ، فَمِـنِّى ومن الشيطان ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، بارئاً إليه من كل حَوْلٍ وقوَّة . وكان الفراغ منه فى عصر يوم الأربعاء : ٢٠ من ذى الحجّة سنة ١٣٧١ ، ١٠ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، والله المستعان . وكتبه محمود محمد شاكر ، غفر الله له .

فهرست الأعلام والقبائل

أغفلت فى هذا الفهرس ذكر راوى الكتاب : أبى خليفة الفضل بن الحباب الجمحى ، ومؤلفه : أبى عبد الله محمد بن سلام الجمحى . ولم أذكر فيه أسماء المؤلفين وأصحاب الكتب الذين ذكرتهم فى التعليق . وكنت أحبّ أن أجرّدها فى فهرس قائم بنفسه ، ولكن ضخامة الكتاب ، حملتنى على ترك ذلك أيضاً .

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

فهرست الأماكن

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

الغزوات بترتيبها

أيام الجاهلية والإسلام

فهرس الأشعار [1]

(١) صنع هذا الفهرست ، أخى الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، مشكوراً موفقاً إن شاء الله .

(٢) (انظر : ندايا) (٣) (انظر : الكواعبِ)

(١) (انظر: فخاطبُ).

(١) (انظر : الحجرا) .

(١) (انظر : الحجرُ)

(١) (انظر : تخاوص)

(١) (انظر : جامسُ)

(١) (انظر : مبذول) .

(٢) (انظر : ورسول) .

(١) (انظر : مسلولُ)

(٢) (انظر : مصقولُ)

(٣) (انظر : تستقيما)

(١) (انظر: تستقيم)

(١) (انظر : نداء)

الأرجاز

---

(١) انظر ، خذما .

(١) انظر ، الركبا . (٢) انظر ، النجومِ . (٣) انظر ، غضونِ .

فهرست شعراء الطبقات

(مرتباً على حروف المعجم ، وأمام كل شاعر رقمه المسلسل كما جاء فى الفهرست الآتى بعد)

فهرست كتاب طبقات فحول الشعراء

١٩٥٢/٣٤٢٨

ذخائر العرب

٧

طبقات فحول الشعراء

تأليف

محمد بن سلام الجمحي

١٣٩-٢٣١ هجرية

شرحه

محمود محمد شاكر

دار المعارف للطباعة والنشر

طبقات فحول الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وحده لا شريك له ، أَحمَده وأستعينه وأستغفِرُهُ وأتُوب إليهِ ، وأعوذ به سبحانَه أن أغفُل عن ذِكْر فَضْله ونِعَمه ، وأخشَعُ له — تعالى جَدُّه — رغبةً فى زيادة أنالُها من إحسانِه ، ورَهْبةً من مَعْصِية تَكْسِبُنِي المَخُوفَ من غَضَبِه وخذلانِه . اللهمَّ إنّى لا أحصِي ثناءً عليك ، أنتَ كما أثنيتَ على نَفْسِك . اللهمّ صلِّ على محمد صلاة طيِّبة نامِيةً زاكيةً مباركةً . اللهمَّ آتِ محمداً الفضيلةَ والوسيلةَ والدرجةَ الرفيعة ، وابعثْهُ مقاماً محموداً الذى وعدْتَه ، إنّك لا تُخْلِف الميعاد . صلّى الله عليه وسلم ، وعلى ملائكة ربّنا ورُسُله ، ومن تبعَهم من الصِّدِّيقين والمتّقين .

* * *

عرفتُه فى أوّل أيامى طالباً للعِلْم . كان رجُلاً بَرًّا نبيل النفس ، فوجدتُ من عطفه وكرمه ، ومن تأييده وحثّه ، ما أعاننى على أن أتزوّد من العلم ما شاء الله أن أتزوّد . لم يكنْ عالِماً ، ولكنّه كان يجمَع للعلماء أصولَ علمهم ، وينشرها بين أيديهم ، ويُغريهم بالحرص عليها . فقلَّ أن تجد عالِماً أو أديباً فى زمنه ، لم يكن لهذا الرجل النحيف الضئيل الخافت فَضْلٌ عليه ، يذكره الذاكر محسناً فى ذكره ، وينْساه النّاسى مسيئاً فى نسيانه . ذلك هو أمين الخانجى ، الكتبىّ ، الذى أحبّ الكتاب العربىَّ كأنّه تُراث أبيه وأمّه .

ففى سنة ١٣٤٤ تقريباً (سنة ١٩٢٥ ميلادية) عاد السيد أمين من رحلته فى العراق وغيره من بلاد العرب ، وقد جَمَع من نوادر المخطوطات شيئاً لا يقدّر بثمن ،

وكان من بينها صناديقُ فيها أوراق شتَّى (دشت) . وذات يوم أقبلتُ عليه فى دُكّانه ، فإذا به يخرجُ لى ورقةً حائلة اللون ، وسألنى : أتعرف ما هذه ؟ فما كدتُ أقرأ منها أسطراً حتى عرفتُ أنها من كتاب « طبقات الشعراء » لأبى عبد الله محمد ابن سلاَّم الجمحىّ ، وكنت حديث عهدٍ بقراءة الكتاب . فاُستطِير فَرَحاً بما عرفَ ، وقمنا معاً إلى هذه الصناديق المبعثرة الأوراقِ ، نفرزُها ورقةً ورقة ، يوماً بعد يوم ، حتى جمعنا من أوراق كتاب الطبقات قدراً عظيماً . فلما فرغنا ، أمرنى رحمه الله أنْ آخذها فأرتبها وأنقلها ، مخافةً عليها من مثل ما كانتْ فيه ، ومن عوادى البِلَى عليها ، إذ كانتْ عتيقة الورق . وفعلتُ ، ثم رددتُ إليه الأمّ العتيقة .

ودارتْ بى الأيام ، وفارقتُ مصر فى سنة ١٣٤٧ (سنة ١٩٢٨) ، ثم عدتُ إليها ، وقد فَتَرَ ما بينى و بين الكتب زمناً طَالَ وامتدّ . ثم لقيتُ أميناً رحمه الله ، فأخذ يستحثّنى أن أعيد النظر فى كتاب الطبقات ، حتى أستطيع أن أعدَّه للنشر ، فتراخيتُ ما تراخيتُ . و بقى الكتابُ عندى إلى أن قضى أمين نحبَه فى يوم الجمُعة ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ (٧ يوليه ١٩٣٩) ، وقد جاوز السبعين من عمره ، غفر الله له ورحمه . لم يخبرنى أينَ استقرت الأم العتيقة ، ولما سألتُ بعض ولده عنها ، لم أجد عند أحدٍ منهم خبراً عنها . ثم بدأتُ أبحثُ عنها فى مَظانّها من دور الكتب العامة والخاصّة ، فلم أعثر عليها حيثُ ظننتُ . و بقيت نسختى التى نقلتُها حبيسةً فى خزانة كتبى هذا الدهرَ الطويلَ ، حتى دعانى أخى الأكبر الأستاذ أحمد محمد شاكر إلى نشر هذه النسخة ، فاستجبتُ له ، واستخرتُ الله وتوكّلت عليه ، ثم بدأتُ .

ولستُ أستطيع أن أصف الأم العتيقة لكتاب طبقات الشعراء ، فقد تقادم عهدى بِها ، ولم أقيّد من نعتها شيئاً أحفظه ، لأنى لم أكن أتوقّع أن يجىء يوم

ألتمسُها فلا أجدها . وكُلّ ما أذكرهُ من أمرها ، أنها كانت جيدة الخطّ ، حسنة الضبط ، محرّرةَ اللفظ ، يقلُّ فيها الخطأ . وكنتُ أظنُّ أن تاريخ خطها يرتدُّ إلى القرن الخامس من الهجرة . وهى أوراقٌ متتابعة أو مفرقة من أوّل النسخة وأوسطها وآخرها . وأظنُّ أيضاً أنه كانت قد بقيتْ أوراقٌ من آخر الأم العتيقة ، لم أنقُلْها ، أُنْسِيتُ عددها ، ولكنى أتوهَّم أنها لا تتجاوز عشرين ورقة فيما أظنّ . وأنا أسألُ الله أن يُعْثِرنى عليها ، أو على نسخةٍ تامة أخرى ، حتى يُتاَح لى أن أعيد طبعها على وجه أتم وأكمل ، والله الموفّق .

* * *

طبع كتابُ « طبقات الشعراء » أوّلَ مرةٍ بمطبعة بريل ، فى مدينة ليدن (سنة ١٩١٣ — ١٩١٦) ، تولّى نشره يوسف هِلْ ، وقدم له بالألمانية ، وذكر أنه طبع هذه النسخة عن نسختين من كتب شيخ العربية محمد محمود بن التلاميد التركزى الشنقيطىّ ، الأولى محفوظة بدار الكتب المصرية ، برقم (٣٦ ، أدب ش) كتبت فى سنة ١٣٠٣ من الهجرة ، نقلاً عن نسخة بمكتبة شيخ الإسلام عارف بك ، بالمدينة المنوّرة . والأخرى منقولة عنها أيضاً ، وكتبت فى سنة ١٣١٠ من الهجرة ، محفوظة بدار الكتب ، برقم (٣٧ ، أدب ش) .

ثم نشر الكتاب نفسه ، عن النسخة الأوربية فيما أرجّح ، وعن المخطوطتين المذكورتين ، حامد عجّان الحديد الكتبىّ ، وطبعه بمطبعة السعادة فى سنة ١٩٢٠ . ثم طبع الكتاب بعد ذلك طبعات لا خير فيها ، والمعتمد عند أهل العلم ، هما هاتان الطبعتان .

ونص المطبوعتين السالفتين ، يختلف اختلافاً بيِّناً عن نصّ مخطوطتنا — وهو هذا المطبوع — وأرجّح أنه نصٌّ مختصر أو ناقص ، من كتاب ابن سلام ، كما

تبين لى ذلك من مخطوطتنا ، ومن الأخبار الكثيرة التى رواها أبو الفرج الأصفهانى فى أغانيه ، والمرزُبانى فى الموشَّح ، وغيرهما ، مما لاَ وجودَ له فى المطبوعتين السالفتين ، وأكثره موجود فى مخطوطتى . وهذا القدرُ من مراجعة النَصّ يحملنى على الجزم بأن أصل كتابَ ابن سلّام يبلغ ثلاثة أضعاف هاتين المطبوعتين . وأما نصُّ طبعتنا هذه ، فهو يكاد يكونُ ضعفهما أو قريباً من الضِّعف .

* * *

ويختلف إسنادُ نسختنا أيضاً عن إسنادِ المطبوعتين المصرية والأوربية ، فإسنادُهما هو هذا :

« قال أبو محمد : أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بُجَيْر القاضى ، أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الُحبَاب الجمحىّ قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن سلام الجمحىّ » .

و « أبو محمد » ، هو ، فيما أرجّح ، أبو محمد عبد الغنى بن سعيد بن على ابن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز بن مروان الأزدىّ المصرىّ ، روى عن أبى طاهر الذُّهْلى القاضى ، المذكور آنفاً فى إسناد النسخة ، وهو أحد المحدّثين الحفاظ ، كانَ عالماً بالحديث وفنونه ، جليل القدر ، ذكره الإمام الدارقُطْنىّ فقال : « ما رأيتُ بمصر مثل شابّ يقالُ له عبد الغنىّ ، كأنّه شعلة نار » . وهو حافظُ مصر فى زمانه ، له مؤلفات كثيرة طبع منها فى الهند « المؤتلف والمختلف » و « مشتبه النسبة » . ولد أبو محمّد فى ذى القعدة سنة ٣٣٢ ، وتوفى بمصر فى السابع من صفر سنة ٤٠٩[١] .

وأما شيخُه فهو : أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بُجَيْر ابن عبد الله بن صالح بن أسامة الذهلىّ ، روى عن أبى خليفة الجمحىّ ، صاحب

(١) تاريخ ابن كثير ١٢ : ٧ ، والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٤٤ ، وغيرهما .

ابن سلام الجمحىّ . وكان محدّث زمانه ، ولد بالبصرة ، وولى قضاء واسط سنة ٣١٠ مدة طويلة ، ثم انتقل إلى بغداد فولى قضاء مدينة المنصور سنة ٣٢٩ ، وحدّث ببغداد شيئاً يسيراً ، ثم نزل مِصْر فى سنة ٣٤٠ وحدّث بها فأكثر ، وكتب عنه عامة أهلها ، وولى قضاءها فى سنة ٣٤٨ إلى قبيل وفاته بيسير . وحضر زمان كافور ، وشهد قدومَ جوهر الصقلى بعسكر المعزّ الفاطمى ، وكان أحدَ الخارجين إلى جوهر يكلِّمونه فى الأمانِ . وكان مولده فى سنة ٢٧٩ ، ومات بمصر فى ذى القعدة سنة ٣٦٧[١] .

* * *

أما نسختنا هذه ، فإسنادها إلى رجلين جليلين ، أحدهما :

أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب الطبَرانىّ اللخمىّ ، الإمام المحدث الحافظ الرحّالة ، صاحب المعاجم الثلاثة فى الحديث (الكبير والأوسط والصغير) : رحل فى طلب العلم والحديث من الشام إلى العراق والحجاز واليمن ومصر والجزيرة ، وأقام فى الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة ، وسَمِـع سماعاً كثيراً حتى بلغت عدة شيوخه ألف شيخٍ . روى عن أبى خليفة الفضل بن الحباب الجمحى . وهو أحد المعمرّين ولد بطبريّة الشام سنة ٢٦٠ ، ثم سكن أصبهان حتى توفى بها فى ذى القعدة سنة ٣٦٠ . عاش مئة سنة[٢] .

أما الآخر ، فهو : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن أَسِيد ، هو وأبوه من محدِّثى أصبهان ، توفى سنة ٣٣٦ . ولم أجد فى ترجمته أنه سمع من أبى خليفة الجمحىّ ، إلا أن إسناد نسختنا دالٌّ على أنه قد سَمِـع منه[٣] .

---

(١) تاريخ بغداد ١ : ٣١٣ ، وملحق كتاب الولاة والقضاة بمصر للكندى : ٥٨١ ، وغيرهما .

(٢) تاريخ ابن كثير ١١ : ٢٧٠ ، وابن خلكان ١ : ٢٦٩ وغيرهما .

(٣) تاريخ أصبهان ٢ : ٢٧٣ ، ولم أعرف له ترجمة غيرها .

وكانت الورقة الأولى من الأمّ العتيقة قد تأكلت ، فلم نجد فيها ذكراً لراوى الكتاب عن أبى القاسم الطَّبرانىّ ، وأبى عبد الله محمد بن عبدالله بن أحمد بن أسِيد . ورحم الله الأئمة من حفاظ حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فهم أبداً أهلُ الفضل فى حفظ علم الأوائل على الأواخر ، ولولا ما كرَّمهم الله به من الفقه والدين ، وما أُوْدِع فى قلوبهم من شوامخ الهمم ، لضاعَ علمٌ كثيرٌ ، ولكانَ كتابُ طبقات فحول الشعراء لأُبن سلام ، أسماً يذكر لكتابٍ يُفْتَقَد .

* * *

أما راوى كتاب طبقات فحول الشعراء ، عن أُبن سلام فهو : أبو خليفة الفَضْل بن الُحبَاب بن محمد بن شُعيب بن صخر الجمحى . كان أعمى ، وهو أُبن أُخت محمد بن سلاّم صاحب الطبقات . روى عنه كتبه ، وكان راوية للأخبار والأشعار والآداب والأنساب ، وهو مسند عصره فى الحديث بالبصرة ، رحل إليه العلماء ، وكان ثقة عالماً ، روى عن الأئمة الكبار ، كأبى الوليد الطيالسى ، وأحمد أُبن حنبل . وولى قضاء البصرة . وله أخبارٌ كثيرة ونوادر ، فقد كان يكثر استعمال السجع فى كلامه ، عادة من غير تكلُّف . وعاش أبو خليفة فيما رووا مئة سنة ، ولكنى أستظهر أنه عاش أكثر من ذلك ، فقد رَوى صاحب طبقات الحنابلة عن[1]

---

(١) ابن النديم : ١٦٥ ، مروج الذهب ٤ : ١٧٣ ، معجم الأدباء ٦ : ١٣٤ . طبقات الحنابلة ١ : ٢٤٩ ، مختصر طبقات الحنابلة : ١٨٤ ، نكت الهميان : ٢٢٦ ، بغية الوعاة : ٣٧٣ ، لسان الميزان ٤ : ٤٣٨ ، دول الإسلام ١ : ١٤٥ ، تاريخ ابن كثير ١١ : ١٢٨ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٤٦ ، النجوم الزاهرة ٣ : ١٩٣ ، شذرات الذهب ٢ : ٢٤٦ ، إنباه الرواة ٣ : ٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٢١٨ ، طبقات القراء ٢ : ٨ ، ميزان الاعتدال ٢ : ٣٢٩ . وذكر الأستاذ أبو الفضل إبراهيم فى التعليق على مصادر ترجمته تلخيص ابن مكتوم : ١٩٠ ، وطبقات الزبيدى : ١٢٨ ، ومراتب النحويين : ١٠٨ ، وليست عندى ولم أرها . وذكر الجزرى فى طبقات القراء ، وذكر غيره أيضاً ، أن اسم أبيه عمرو ، ولقبه الحباب .

أبى خليفة قال : « قدم علينا أحمد بن حنبل البصرة ، ليسمع من أبى الوليد الطيالسىّ ، سنة أثنتى عشرة إن شاء الله (أى سنة ٢١٢) » ، ثم ذكر أنه كان يذاكر أحمد بن حنبل بالليل كثيراً ، فذلك دليلٌ على أنه كان يومئذ قد بلغَ مبلغ الرجالِ . ولمّا كانت وفاة أبى خليفة فى شهر ربيع الأول سنة ٣٠٥[(١)] ، فكأنّ مولده كان فى سنة ٢٠٥ ، ولا أظنّ أن غلاماً كان فى السابعة من عمره ، كان خليقاً أن يذاكر أحمد بن حنبل مذاكرةً تعقل . من أجل ذلك أرجّح أن يكون أبو خليفة عاش أكثر من مئة سنة ، وطالَ به العُمْر حتى اختلط عليه وعلى الناس أمر الميلادِ . ولعل مولده كان قبل سنة ٢٠٠ من الهجرة بقليل . فهو من كبار المعمّرين .

* * *

[(٢)] أما صاحب كتاب « طبقات فحول الشعراء » فهو أبو عبد الله محمد بن سلّام ابن عبيدالله بن سالم الجمحىّ البصرىّ ، مولى قُدامة بن مظعون الجمحىّ . مولده بالبصرة فى سنة ١٣٩ ، ووفاته فى سنة ٢٣١ ، أو سنة ٢٣٢ ببغداد ، وابيضت لحيته ورأسه وله سبع وعشرون سنة ، وعُمّر نحواً من ثلاث وتسعين سنة . وسمع شيوخ العلم والحديث والأدب ، وسمع منه شيوخ العلم والحديث والأدب . روى عنه أحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو حاتم ، والرياشىّ ، والمازنىّ ، والزيادىّ ، وأحمد بن حنبل . وأبنه عبد الله بن أحمد ، ويحيى بن مَعِين ، وأبو بكر بن أبى خَيْثمة ، وأبو خليفة الجمحىّ ،

---

(١) فى طبقات الحنابلة أنه مات سنة ٣٠٧ ، وليس بشىء .

(٢) ابن النديم : ١٦٥ ، تاريخ بغداد ٥ : ٣٢٧ ، نزهة الألباء : ٢١٦ ، معجم الأدباء ٧ : ١٣ ، بغية الوعاة : ٤٧ ، الجرح والتعديل لأبى حاتم الرازى ٣ / ٢ : ٢٧٨ ، لسان الميزان ٥ : ١٨٢ ، تاريخ ابن الأثير ٧ : ١٠ ، تاريخ ابن كثير ١٠ : ٣٠٨ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٢٦٠ ، شذرات الذهب ٢ : ٧١ ، المزهر ٢ : ٢٦٠ ، إنباه الرواة (لم يطبع بعد) .

ومحمد بن حاتم الزِّمِّيّ، وغيرهم من الأئمة . أما شيوخه ، فقد آثرت أن أجمعهم من كتاب طبقات فحول الشعراء ، وهم :

أبان الأعرج (؟ ؟) ، أَبَان بن عثمان البَجَليّ ، إبراهيم بن حَبِيب بن الشَّهيد ، الأصمعيّ (عبد الملك بن قُرَيْب) ، بشّار بن بُرْد العقيليّ الشاعر ، أبو بكر بن محمد بن واسع السُّلَمِيّ ، أبو بكر الهُذَلى المدنيّ ، أبو البَيْداء الرِّياحيّ ، أبو عبد الله الفَزَاريّ (جَابر بن جَنْدل) ، ابن جُعْدُبة (يزيد بن عِياض بن جُعْدبة) ، حاجب بن يزيد (أبو الخطّاب الزُّرَاري) ، الحارث البُنَانيّ أخو أبي الجحّاف ، الحارث بن محمد بن زياد ، أبو الحُصَيْن المد ّ ، الحكم بن قَنْبَر ، الحكم بن محمد ، حُلَابس العطارديّ ، خلّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدوسى ، خلاد أبن يزيد الباهليّ ، خَلَف الأحمر ، ابن دَأْب (عيسى بن يزيد بن دأب) ، أبو رَجَاء الكلبيّ ، أبو زيد الأنصاريّ (سعيد بن أوس) ، سالم بن أبي السَّمحاء ، سعيد بن عُبَيْد ، سعيد بن أبي عَدِيّ الفقيه ، سفيان (؟ ؟) ، سلَّام بن عُبَيْد الله الجمحيّ (أبوه) ، سَلَمة بن عيَّاش ، أبو سَوَّار الغنويّ ، شُعَيْب أبن صَخْر (جد أبي خليفة الجمحى) ، عامر بن أبي عامر صالح بن رُسْتم الخرّاز ، عامر بن عبد الملك بن مِسْمَع الجَحْدرِيّ ، عبد الجبار بن سعيد أبن سليمان المُسَاحِقيّ ، عبد الرحمن بن محمد بن علقمة الضبيّ ، عبد القاهر بن السَّرِيّ السُّلَمى ، عبد الله بن مُصْعب (أبو بكر الزُّبيريّ المصعبيّ) ، عبد الملك أبن عبد العزيز الماجشون ، أبو عبيدة (مَعْمَر بن المثنَّى) ، عثمان بن عبد الرحمن ، عثمان بن عثمان ، أبو العَطَّاف ، العلاء بن حريز العَنْبريّ ، أبو على الحِرْمَازِيّ ، عُمَر بن السكن الضَّرِيميّ ، عمر بن مُوسى الجمحيّ ، أُبن عَوْن (عبد الله بن عون) ، عيسى بن عُمَر ، أبو الغرَّاف ، الفضل بن العباس الهاشميّ ، أبو قيس العنبريّ ، كِرْدين (مسمع بن عبد الملك) ، أبو مُحْرِز (واصل بن شَبِيب المَنَافيّ) ، محمد بن

أبَان ، محمد بن جعفر الزِّبِبَقيّ ، محمد بن الحارث ، محمد بن الحجّاج الأُسَيْدِيّ (الأُسَيْدى ، أخو بنى سَلَامة) ، محمد بن حفص بن عائشة التيميّ ، محمد بن سليمان ، محمد بن الفضل الهاشميّ ، محمد بن مُعاذ المَعْمَرِيّ ، مَرْوان بن أبى حَفْصة الشاعر ، مَسْلَمة بن محارب (مسلمة بن عبد الله بن سعد بن محارب) ، المسيَّب بن سَعيد ، مُعَاوية بن أبى عمرو بن العلاء ، المفضَّل بن محمّد الضبيّ الكوفي ، أبو المنذِر القاريّ (سلّام بن سليمان) ، أبو الوَرْد الكلابيّ ، أبو اليَقْظان ، يُونُس بن حَبِيب . وعدتهم سبعون شيخاً .

وذكر الخطيب البغدادى وأبو حاتم الرازى وغيرهما ، أنه حدّث عن حمّاد بن سَلَمة ، ومبارك بن فَضَالة ، وزائدة بن أبى الرُّقاد ، وأبى عَوَانة ، وخالد الواسطى ، وعمر بن على بن مقدم ، وجماعة . ولم يرد ذكرُ أحد منهم فى الطبقات . وروى أيضاً عن مجاهيل لم يبيّنهم فى كتابه : فى ص ٩٢ : بعض أهل العلم من غَطَفان ، وفى ص ١٢٣ ، بعض أهل الكوفة ، وفى ص ٢٠٩ : بعض أهل العلم بالمدينة ، وفى ص ٣٧٤ : بعض رواة قيس وعلماؤهم ، وفى ص ٤٠٩ : رجل من بنى أُميّة شاميّ ، وفى ص ٤٢٠ : شيخ من ضُبَيْعة .

وكان ابن سلام من أهلِ بيت لهم فى العلم باعٌ ، فأبوه سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحيّ ، روى عنه فى مواضع كثيرة من كتابه . وأخوه عبد الرحمن بن سَلّام الجمحى أحد رواة الحديث ، روى عنه مسلم وأبو زرعة وأبو حاتم وغيرهم ، وذكره ابن حِبّان فى الثقات . وحكى الحاكم فى تاريخه قال : سئل صالح بن محمد — يعنى جزرة — عن عبد الرحمن ومحمد ابنى سلّام الجمحيّين ، فقال : صَدُوقان ، ورأيتُ يحيى بن معين يختلف إليهما . وفى الزهرة : روى عنه مسلم ثلاثة عشر حديثاً[1] .

(١) تهذيب التهذيب ٦ : ١٩٢ . خلاصة تهذيب الكمال : ١٩٣ ، وغيرهما .

ومن ولد محمد بن سلام : عون بن محمد بن سلام ، روى عنه أبو خليفة الجمحى . وأبو خليفة هو ابن أخت محمد بن سلام كما مرّ آنفاً .

وقد ذكر ابن النديم فى الفهرست : ١٦٥ ، أن ابن سلام ألف من الكتب : (١) كتاب الفاصل ، فى ملح الأخبار والأشعار[١] ، (٢) كتاب بيوتات العرب ، (٣) كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، (٤) كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين ، (٥) كتاب الحلاب وأجر الخيل[٢] . وقال ياقوت فى معجم الأدباء (٧ : ١٣) ، وألف كتاباً فى طبقات الشعر ، وله (٦) غريب القرآن .

وذكر أبو على القالى فى أماليه (١ : ١٥٧) : « وقال محمد بن سلام فى « كتاب طبقات العلماء » : كنّا إذا سمعنا الشعر من أبى مُحْرِز لا نُبالى أن لا نسمعه من قائله » . فإن صح نصّ الأمالى ، فهو وهمٌ من أبى على ، فيما أرجّح . وإنما عَنَى صدر كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، حيث ذكر علماء العربية . وهذا الخبر مروى فى الطبقات رقم : ٢٥ . ولم أجد للكتاب الذى سمّاه أبو على ذكراً فى كتب ابن سلام .

[٣]وقد جاء يوسف هِلْ ، ناشر كتاب الطبقات ، فاستحدث لنفسه إشكالاً فى نسبة الكتاب لأبى عبد الله محمد بن سلام . استهلّ يوسف هِلْ مقدمته الألمانية بالفحص عن نسبة الكتاب لابن سلام وصحة نصّه ، وذكر أن كتب الأدبَ نقلتْ عنه أخباراً لم يجد لها ذكراً فى الطبقات ، منها ما رواه أبو الفرج فى أغانيه (٩ : ٢ ساسى)

---

(١) لعله « الفاضل » بالضاد المعجمة وانظر ص ٢٨ فيما يأتى .

(٢) لعله « وإجراء الخيل » .

(٣) اعتمدت فى نقلى لأقوال هذا المستشرق ، على صديقى الدكتور عبد الرحمن بدوى ، قرأ الأصل الألمانى ، وأملى على ملخصاً لما جاء فيه ، ثم أعاد على صديقى الدكتور أحمد بدوى قراءته ، ونقل لى فحواه ، فلهما منى أجزل الثناء والشكر .

حين ذكر دريد بن الصِّمَّة فقال : « وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفُرْسان » . ثم ما رواه أيضاً فى الأغانى (١٦ : ١٣٤ ساسى) ، إذ ذكر خُفاف ابن نُدْبة فقال : « وجعله ابن سلّام فى الطبقة الخامسة من الفرسان ، مع مالك ابن نُوَيرة ، ومع ابنى عمّه صخر ومعاوية ابنىْ عمرو بن الشريد ، ومالك بن حمار الشمْخىّ » . ثم قال : إن هذين النصّين حملَا بروكلمان إلى الظنّ بأن ابن سلام خليقٌ أن يكون قد ألّف كتاباً فى « فحول الشعراء » أو « فرسان الشعراء » . قال : ولكن لم يرِدْ فى كتب الفهارس ذكر كتابٍ بهذا الاسم ، وزعم أن الأمر اختلط على أبى الفرج الأصفهاني بكتاب مشابه لكتاب ابن سلام ، مثل كتاب « طبقات الشعراء » لدعبل ، أو كتاب « الفرسان » لأبى خليفة الجمحىّ ، على الأرجح . وزعم أن مثل هذا الخلط جائزٌ وقوعه ، لما كانت عليه حال الكتب العربية القديمة ، كما يظهر من كتابنا هذا ! !

ثم قال إن أباعبيدة (مَعْمَر بن المثنَّى) ألف هو أيضاً كتاباً باسم « طبقات الشعراء » ، بل إن أبا حسّان الزّيادىّ وأبا خليفة الجمحىّ ، كلاهما قد ألف كتاباً باسم « طبقات الشعراء » ، كما جاء فهرست ابن النديم . أما أبو عبيدة فقد روى عنه ابن سلام فى كتابه فى سبعة مواضع . وأما أبو حسّان الزيادى ، فهو أحد من رَوَى عن ابن سلّام . وأما أبو خليفة ، فيدلُّ نصّ كتابنا على أنّه هو راوية ابن سلام . فمن أجل ذلك ، كان من العسير أن نحدّد : إلى أىّ مَدًى نستطيع أن نتحدَّث عن كتاب لابن سلام وإلى أىٍّ مدًى يعدّ أبو خليفة راويةً فحسبُ ، وإلى أىٍّ مدًى تصرّف أبو خليفة حتى جاءَنا الكتابُ على الصورة التى هو عليها اليوم .

قالَ : والكتب العربية القديمة مفككة ، وكل الكتب التى وصلتنا تشهد بذلك . فالكتاب الواحدُ يُذكَر فى الفهرست لابن النديم على أنّه كتابان منفصلان .

وهـذا شأن « طبقات الشعراء الجاهليين » و« طبقات شعراء الإسلاميين » لأُبن سلام ، ثم تنْسب فيما بعد إلى راوٍ متأخّر ، هو فى موضوعنا هذا : أبو خليفة الجمحىّ . ثم ضرب هِلْ مثلا بكتاب « فحولة الشعراء » للأصمعى : فأُبن دُرَيْد هو راوية الكتاب ، وأبوحاتم السِّجِسْتانىّ هو محرّر الكتاب ، والأصمعىّ هو مصدر الكتاب . وكذلك الشأن فى كتاب « طبقات الشعراء » : فأبو طاهر محمد بن أحمد أُبن عبد الله بن نصر بن بُجَير القاضى هو راوية الكتاب[1] ، وأبو خليفة الجمحى هو محرر الكتاب ، وأُبن سلام هو مصدر الكتاب . هذا على أنّه من البيِّن أن نصيب أُبن سلام فى هذا الكتاب ، أعظم من نصيب الأصمعى فى كتاب « فحولة الشعراء » .

ثم تكلّم يوسف هِلْ ، عن كتاب طبقات الشعراء ، وقارن بينه و بين كتاب الأصمعى ، و بين عمل أُبن سلام فى كتابه وعمل الأصمعى فى كتابه ، وهو كلام مختصر ، وليس هذا مكانه فيما أرى . ولما فرغ من ذلك قال :

أما ما أورده صاحب الفهرست ، من ذكر كتابين لأُبن سلّام هما « طبقات الشعراء الجاهليين » ، و «طبقات الشعراء الإسلاميين » ، فيدلّ نصُّنا هذا على أنهما كتابٌ واحدٌ ، له مقدمة واحدةٌ . ولكن وُجِد فى نصِّنا بين « طبقات الشعراء الجاهليين » و« طبقات الشعراء الإسلاميين » حَشْوٌ لم يذكره فى مقدِّمته . فقد دلَّت المقدمة على أنّه كان يريدُ أن يجعل « المخضرمين » بين الجاهليين والإسلاميين ، ثم عَدَل عن ذلك واستبدل بها « طبقة أصحاب المراثى » ، وصيّرها طبقة بعد العشر طبقات من الجاهليين ، وأردفها بطبقة « شعراء القرى العربية » ، وهى مكة والمدينة والطائف واليمامة والبحرين . ثم ألحق بهما « طبقة شعراء يهود » .

---

(١) هو راوى المطبوعة الأولى ، كما مضى فى ص : ٨

ثم قال : أما كتابنا هذا ، فليس فيه ذكر « كتاب فحول الشعراء » أو « فرسان الشعراء » ، ومن الجائز أن يكونَ كتابُ « فرسان الشعراء » قد اندمجَ فى كتاب « الفرسان » لأبى خليفة الجمحى ، وقد ضاعَ كتاب أبى خليفة فيما يظهر .

* * *

وكلٌّ ما جاء به يوسف هل، لا يكاد يثبت على نقدٍ . ولولا ما نخشى من استغواء مثل هذا الكلام لبعضِ من لا يعرفُ من أهل زماننا حالَ الكتب العربية ، لما حفلتُ بالردّ عليه .

أول ذلك : أن ذِكْر صاحب الفهرست فى ترجمة ابن سلام كتابين باسم «طبقات الشعراء الجاهليين » و « طبقات الشعراء الإسلاميين » ، لا يدلُّ على أنهما كتابان منفصلانِ . فإن القدماء كانوا إذا اختلف الموضوع فى الكتابِ الواحد ، سمّوا كل باب كبير منه « كتاباً » . فابن قتيبة مثلاً (ولد سنة ٢١٣ ، وتوفى سنة ٢٧٦ من الهجرة) ألف أدب الكاتب ، وكتاب معانى الشعر الكبير ، وكتاب عيون الأخبار وغيرها (وكلها مطبوع) . فكتاب أدب الكاتب فيه أربعة كتب : كتاب المعرفة ، وكتاب تقويم اليد ، وكتاب تقويم اللسان ، وكتاب الأبنية ، وفى كل كتاب منها أبوابٌ عدةٌ . وكذلك كتاب معانى الشعر الكبير ، يحتوى على اثنى عشر كتاباً ، فى كل كتاب أبوابٌ كثيرة . فعبارة ابن النديم لا تدل على أنّهما كتابان منفصلان ، بل هما بابان كبيرانِ من كتاب واحدٍ . وسائر النقول عن كتاب « طبقات الشعراء لابن سلام » تدلُّ على ذلك دلالة واضحة . ومن رجَع إلى فهرست ابن النديم ، عرفَ صحة ما ذهبنا إليه .

الثانى : أنّ العلماء القدماء ، كانوا لا يرونَ بأساً فى اشتراك الكتب فى الأسماء . فأكثر الأوائل مثلاً سمَّوْا كتبهم باسم « غريب القرآن » و « غريب الحديث »

و « كتاب الشعراء » . تجد للشيخ كتاباً بهذا الاسم ، ثم لتلميذه ، ثم لتلميذه من بعده ، لأنهم قصدوا إلى المعنى العام الدالّ على مافى كتبهم ، ولم يبالوا بالتخصيص ، فالتخصيص يأتى من معرفة المؤلف الذى ألَّفه . ومن راجع كتاب الفهرست وجد عشرات من الكتب للشيوخ وتلاميذهم بهذه الأسماء : غريب القرآن ، غريب الحديث ... إلخ . فاشتراك ابن سلام وأبى خليفة ودعبل وسواهم فى تسمية كتاب ، لا يدلُّ على شىء البتّة ، مما ذهب إليه يوسف هِلْ . ولا يمكنُ أن يكون اشتراك الأسماء سبباً فى وقوع أبى الفرج الأصفهانى فى الخلط بين الكتب ، وفى الرواية عنها . ومراجعة الأغانى تكفى فى الدلالة ، على أنّه نقل من كتبٍ مشتركة الأسماء ، ولكنَّه فَصَل بينها فَصْلاً صحيحاً لأن اعتمادَه كانَ على الإسنادِ ، لا على كتابٍ غُفْلٍ من إسناده .

والذى كان من اشتراك ابن سلام وتلميذه أبى خليفة فى اسم « كتاب طبقات الشعراء » ، خليقٌ أن يكون دليلاً على أن الأوّل منهما مجرّد رواية عن ابن سلام ، وأن الآخر تأليف له مختلفٌ عَنْه ، أحدثَ فيه ما أحدثَ من مخالفة أو موافقة ، ومن اختصار أو بسط ، ولو كان وصلنا لعرفنا مذهبَه فيه . وهو خليقٌ أيضاً أن يكون روى فيه عن غير ابن سلّام من شيوخه ، وهم جمٌّ غفيرٌ .

الثالث : أنّ نصَّ كتابنا هذا يدلُّ دلالةً واضحةً على أن أبا خليفة الجمحىّ ، لم يستدخل نَفْسَه فى نصّ ابن سلّامٍ قطُّ ، وقد جاء فى موضع واحد (ص ٣٣١) ، فأراد أن يستدخل نَفْسه فقال الراوى عنه: « أخبرنا أبو خليفة : كل من كانَ فى عمله حديدٌ فهو قَيْن » ، ثم لم نجد — فيما قبل ذلك ولا فيما بعدهُ — ما يدلُّ على أن أبا خليفة تصرّف أى تصرُّف فى النصّ الذى يرويه عن خاله ابن سلّام .

وإذا صحّ هذا ، وهو صحيح ، لم يعُدْ لكلّ ما أفاضَ فيه يوسف هِلْ ، أصلٌ يقوم عليه . ولا أُحبُّ أن أُطيل فى تفصيل نقد أقواله ، فإنّ فيما سيأتى بعض الردّ على ما ذهب إليه فى مقدمته .

* * *

فى النسخ المطبوعة جملة وقعت فى المطبوعة الأوربية فى (ص ١٠ س ٢ — ٥) ، وفى المصرية فى (ص ١٦ س ١٢ — ١٦) ، هى هذه : [فاقتصرنا فى هذه على فحول الشعراء الإسلاميين ، للاستغناء عن فحول شعراء الجاهليين بطبقاتى المؤلفة فى ذلك . ورتبت هذا المؤلّف على عشر طبقات ، كل طبقة تجمع أربعةً من فحول شعراء الإسلام] . وقد علق عليها يوسف هِلْ فى المستدرك (ص ١٩) ، وقال إنه يرى أنها مقحمةٌ فى هذا المكان ، من مقدمة « طبقات شعراء الإسلام » . وقد أصاب فى أنها مقحمة ، ولكنها ليست مقحمة فحسبُ ، بل هى أيضاً ضعيفةُ البيان ، حتى إنى لأشكُّ فى أنها من كلام ابن سلامٍ جملة . ويقابلها فى هذه المطبوعة (ص٢٢ س١ — ٣) ما نصه : [فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابَهَ شعره مِنْهم إلى نظرائه ، فوجدناهُمْ عشر طبقاتٍ ، أربعة رهطٍ كل طبقة ، متكافئين معتدلين] .

ثم جاء فى (ص ١٥ س ٦ — ٩) من الأوربية ، و (ص ٢٤ س ١٣ — ١٥) ما نصه : [ثم اقتصرنا بعد الفحص والنظر ، والرواية عمّن مضى من أهل العلم على رهط أربعة من فحول شعراء الإسلام ، اجتمعوا على أنهم أشعر الإسلاميين طَبَقةً ، ثم اختلفوا فيهم بعد] . يقابلها فى نصنا هذا المطبوع (ص ٢٤ س ١ — ٣) ، ما نصه : [ثم إنّا اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم — إلى رهطٍ أربعة ، على أنهم أشعر العرب طبقةً ، ثم اختلفوا فيهم بعدُ] .

فأنت ترى أن قوله « على أنهم أشعر العرب طبقة » فى نصنا هذا ، يقابله فى المطبوعة الأولى (المصرية والأوربية) : « من فحول شعراء الإسلام اجتمعوا على أنهم أشعر الإسلاميين طبقة » ، والجملة فيما قبل ذلك وما بعده واحدة فى المطبوعة

الأولى وفى نصّنا هـذا . فأكاد أقطعُ بأن هذا التبديل ، جاء من الناسخ الأول للأصول التى طبع عنها يوسف هِلْ وحامد عجان الحديد الكتبى . فإنه لما رأى أنّ « طبقات فحول الجاهلية » مبتورةٌ بتراً فى نسخته ، ظنّ أن كلام ابن سلامٍ فى كتابه ، إنما هو عن « طبقات شعراء الإسلام » ، لأنّ الطبقة الأولى من الجاهليين لم يذكر فيها إلا شىء يسير من أخبار امرئ القيس والنابغة ، ولم يذكر فيها زهير والأعشى إلّا عرضاً . ثم بدأ الكلام بعد (ص ١٩ من الأوربية ، ٣٢ من المصرية) فى خبر كعب بن زهير الذى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . فظنّ الناسخُ أن الكلامَ مقتصرٌ على طبقات الإسلاميين والمخضرمين ، فعجِلَ و بدّل وأقحم هـذا الكلام الذى وضعه من عند نفسه ، وهو : « من فحول شعراء الإسلام ، اجتمعوا على أنهم أشعر الإسلاميين طبقة » ، أولجه مكان قوله فى نصنا : « على أنهم أشعر العرب طبقة » .

فإذا صحّ هذا ، وكأنى به صحيح ، فأظنّ أن الناسخ من أجل هذا السبب نفسه ، فعل مثل ذلك ، فى الجملة السالفة التى استدرك عليها يوسف هِلْ ، فوضع كلاماً من عنده غير الذى كان فى الأصل الذى نسخ عنه .

وأمر « المخضرمين » الذى أوهم هـذا الناسخ ، هو نفسه الذى حمل يوسف هِلْ من بعده ، على أن يظنّ أن ابن سلام عَدَل عن النهج الذى وضعه لكتابه كما جاء فى مقدمته ، فاستبدل به طبقة أصحاب المراثى ، وطبقة شعراء القرى العربية ، وطبقة شعراء يهود .

وصنيع ابن سلّام فى الطبقات ، دالٌّ على أنه يعدّ المخضرمين فى الجاهليين تارة وفى الإسلاميين تارة . ففى الطبقة الثانية (ص : ٨١) ذكر أوس بن حجر و بشر بن أبى خازم ، وهما جاهليان لا شكّ فيهما ، مع كعب بن زهير والحطيئة ، وهما مخضرمان

لا شك فيهما . والطبقة الثالثة كلّها مخضرمون . والطبقة الرابعة كلها جاهليون لا شك فيهم . والطبقة الخامسة فيها الجاهلى والمخضرم . والطبقة السادسة جاهليون كلهم . وهكذا إلى آخر الطبقات العشر ، لم يبالِ ابن سلام بالفَصْل بين الجاهلىّ والمخضرم ، كالذى انتشر بعد ذلك فى طريقة المتأخرين من الفصل بينهما .

وابن سلام لم يَعِد فى مقدمة كتابه بأن يذكر طبقات الجاهليين ، ثم طبقات المخضرمين ، ثم طبقات الإسلام ، بل كل ما قاله (ص ٢١) : « ففصَّلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين ، فنزَّلناهُمْ منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حُجَّة ، وما قال فيه العلماءَ » . ثم قال بعده فى (ص ٢٢) : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابه شعرهُ منهم إلى نظرائه ، فوجدناهُمْ عشر طبقاتٍ ، أربعة رهط كل طبقة ، متكافئين معتدلين » . ثم قال أيضاً (ص ٤٢) — ثم إنّا اقتصرنا — بعد الفحص والنَّظَر والرِّواية : « عمن مضى من أهل العلم — إلى رهط أربعة ، على أنهم أشعر العرب طبقةً ، ثم اختَلفوا فيهم بعدُ . وسنسوق فى اختلافهم واتِّفاقهم ، ونسمّى الأربعة ، ونذكر الحجَّة لكل واحد منهم » .

فهذا كلامٌ مطلقٌ لا حدَّ فيه ولا تعيين . والذى فى أيدينا من كتاب الطبقات ، وما نقل عنه الناقلون ، يدلُّ على أنّ ابن سلّام فرّق المخضرمين بين طبقات شعراء الجاهلية ، وطبقات شعراء الإسلام . فذكر فى الثالثة من الإسلاميين كعب بن جعيل ، ويقال إنه شهد الجاهلية ، وعمرو بن أحمر الباهلى ، وهو مخضرم لا شك فيه ، وسُحَيْم ابن وَثِيل الرياحىّ ، وهو مخضرم أيضاً . وفى الطبقة الرابعة من الإسلاميين حُمَيْد بن ثَوْر ، وهو مخضرم أيضاً . وفى الخامسة أبا زُبَيْد الطائى ، وهو مخضرم أيضاً . وفى السادسة من الإسلاميين ذكر بَشامة بن الغَدِير وقُرَاد بن حَنَش ، وهما جاهليان فيما نعرفُ ، فلعلّ ابن سلّام عدّهما من المخضرمين لخبر بلغه عن إدراكهما الإسلام ، وإن لم يسلما .

وفى التاسعة من الرُجَّاز الأغلب العجلىّ ، وهو مخضرم . وإذنْ فابن سلّام لم يكنْ يعدُّ المخضرمين طبقة قائمة بنفسها ، بل نزّل المخضرمين منازلهم ، من طبقات أهل الجاهلية وطبقات أهل الإسلام ، وألف من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، كما قال فيما نقلناه عنه آنفاً من مقدمته . فمن أجل ذلك وَضَعَ المخضرمين فى حيث رأى من طبقة شعرهم عنده : إمّا فى طبقتهم من أهل الجاهلية ، وإما فى طبقتهم من أهل الإسلام ، غير ناظرٍ إلى ترتيب تاريخ مولدهم أو تاريخ وفاتهم ، أو إلى تقدم متقدم ، وتأخّر متأخر .

وهذا الذى فَعلَه ابن سلام أجودُ فى تاريخ الشّعر وتاريخ نقده ، من تقسيم المحدَثين للشعراء وَفْق الزّمن وتاريخ المولد والوَفاة . وإلغاؤه « طبقة المخضرمين » ، وإدماجُها فى طبقة الشعر نفسه ، دليلٌ على حُسْن بصر ابن سلّام بالنقد ، وجودة معرفته بالشعر ، ودليل على أنه نهجَ لكتابه نهجاً يحتاجُ إلى دراسة دقيقة متقنة ، يُرْجَع فيها إلى طريقته التى سلكها فى وضع كُلّ أربعةٍ فى طبقة ، وزَعْمه أنهم « متكافئون معتدلون » . وهذا أمرٌ يتطلب إفاضة ليس هذا مكانها .

* * *

وقد جمعت من كتابُ الأغانى لأبى الفرج ، كل ما وقفتُ عليه مما فيه ذكر ابن سلَّام ، وقد رأيتُه فى أماكن منه يذكُر لنا طبقات الشعراء ، فأردتُ أن أبيّن مواضع الاتفاق والاختلاف بين ما فى أيدينا منها ، وبين ما كان عند أبى الفرج ، وأنظر هل وهم أبو الفرج فى شىء مما قال .

من طبقات الجاهلية

١ — فى ترجمة الشماخ (ج ٩ : ١٦٠ ، دار الكتب) : « وجعل محمد بن سلام فى الطبقة الثالثة ، الشَّماخ ، وقرنه بالنابغة ولبيد وأبى ذؤيب الهذلى » .

وهو كما قال فى النسخة المطبوعة (ص : ١٠٣) .

٢ — فى ترجمة الأسود بن يَعْفُر (ج ١١ : ١٢٨ ساسى) : « وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثامنة مع خِدَاش بن زُهَيْر ، والمُخَبَّل السعدى ، والنمِر بن تَوْلَب » .

وهو يخالف ما عندنا فى الطبقة الثامنة (ص : ١٣٣) ، فإن أهل الطبقة الثامنة هم : عمرو بن قَمِيئة ، والنمر بن تولب ، وأوْس بن غَلْفاء ، وعوف بن عطيَّة بن الخَرِع . وهو بلا شك وَهْمٌ وقع فيه أبو الفرج ، يصحِّحه ما سنذكره بعده رقم : ٣ .

٣ — فى ترجمة المخبَّل السَّعْدىّ (ج ١٢ : ٣٨ ساسى) : « وذكره أُبن سلام فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء ، وقرنه بخداش بن زهير ، والأسود بن يَعْفُر ، وتميم بن مُقْبِل » .

وهو مطابق للنسخة المطبوعة (ص ١١٩) ، ويصحح ما وقع فيه أبو الفرج من الوهم ، فى الفقرة السالفة رقم : ٢ .

٤ — فى ترجمة سُوَيْد بن أبى كاهل (ج ١١ : ١٦٥) : « وجعله محمد بن سلام فى الطبقة السادسة وقرنه بعنترة العبسى وطبقته » .

وهو كما قال فى النسخة المطبوعة (ص : ١٢٧ – ١٢٨) .

٥ — فى ترجمة عَبِيد بن الأَبْرص (١٩ : ٨٤ ساسى) : « وجعله أُبن سلام فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرن به طرفة وعلقمة بن عَبَدَة ، وعدىّ بن زيد » .

وهو كما قال فى النسخة المطبوعة (ص : ١١٥) .

٦ — فى ترجمة المتلمِّس (ج ٢١ : ١٢٢ ساسى) : « وجعله أُبن سلام فى الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية . وقرن به سلامة بن جَنْدَل ، وحُصَيْن بن الْحُمَام ، والمسيَّب بن عَلَس » .

وهو كما قال فى النسخة المطبوعة (ص : ١٣١) .

٧ — فى ترجمة الأحوص (ج ٤ : ٢٣٣ دار الكتب) : « وجعل محمد بن سلام الأحوصَ ، وأُبن قيس الرقيات ونصيباً وجميل بن معمر ، طبقة سادسة من طبقات الإسلام ، وجعله بعد أُبن قيس ، و بعد نصيب » .

وهو كما قال فى هذه النسخة المطبوعة (ص ٥٢٩) ، إلا أنّه مذكور بعد أُبن قيس ، وقبل نُصَيْب ، وأظنُّ أن صوابَ نص الأغانى « وقبل نصيب » ، و إلا لاكتفى بقوله « و بعد نصيب » ، ولم يذكر « و بعد أُبن قيس » .

٨ — فى ترجمة الأخطل (ح ٨ : ٢٨٢ ، دار الكتب) : « وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة ، جعلها أُبن سلام أول طبقات الإسلام » . وانظر ذكر الراعى فى الذى يليه رقم : ٩ .

وهو كما قال فى هذه النسخة المطبوعة (ص : ٢٤٩ – ٢٥٠) .

٩ — فى ترجمة كثّير (ج ٩ : ٤ دار الكتب) : « وهو من فحول شعراء الإسلام ، وجعله أُبن سلام فى الطبقة الأولى منهم ، وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعى » .

وليس كما قال ، فإنَّ كثَيِّراً من أهل الطبقة الثانية ، لا الأولى ، كما فى هذه النسخة المطبوعة (ص ٤٥١ – ٤٥٢) . وأنت تعلم أن أهل الطبقة أربعة فحسب ، كما ذكر أُبن سلام فى مقدمته ، وكما قال فى أول طبقات الإسلام (ص : ٢٤٩) : « كل طبقةٍ أربعة رهطٍ متكافئين معتدلين » . وقد ذكر أبو الفرج الأربعة كما هم فى الطبقة الأولى ، فالخامسُ ، (وهو كثّير) وَهْمٌ منه . ولعله كان قد أتخذ لنفسه فهرساً فيه أسماء شعراء الطبقات ، فانطفأ السراجُ وهو يكتب و يراجع ، فاختلط بَصَرُه ، فخلط فى النقل ! !

١٠ — فى ترجمة أبى زُبَيْد الطائىّ (ج ١١ : ٢٣ ساسى) : « وألحقه أبن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين ، وهم العُجَيْر السَّلولىّ ، وذَوُوه » .

وهو كما قال فى هذه النسخة المطبوعة (ص : ٥٠٥) ، وكما سيأتى فى رقم : ١١ .

١١ — فى ترجمة العُجَيْر السَّلولىّ (ج ١١ : ١٤٦ ساسى) : « وجعله محمد أبن سلام فى طبقة أبى زُبَيْد الطائى ، وهى الخامسة من طبقات الإسلام » .

وكما قال فى هذه النسخة المطبوعة (ص : ٥٠٥) وكما مضى فى رقم : ١٠ .

١٢ — فى هذه ترجمة عدىّ بن الرِّقاع (ج ٩ : ٣٠٧ دار الكتب) : « وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام » .

وليس كما قال ، فإن أبن سلام جعله فى الطبقة السابعة ، كما فى هذه النسخة المطبوعة (ص ٥٥١) ، وأنا أرجّح أنه تصحيفٌ من ناسخ الأغانى .

بقى نص واحد فى الأغانى ، مشكل كل الإشكال ، هو هذا :

١٣ — فى ترجمة أبن ميّادة (ج ٢ : ٢٦٢ دار الكتب) : « وجعله أبن سلاّم فى الطبقة السابعة وقَرَن به عُمر بن لجأ والعُجَيْف العُقَيْلى والعُجَيْر السَّلولىّ » .

وأبن ميَّادة لا ذكر له البتة فى كتاب طبقات فحول الشعراء لأبن سلام . وعمر أبن لجأ ، عدَّه أبن سلاّم فى الطبقة الرابعة (ص : ٤٩٥) . والعُجَيْف العُقَيْلىّ ، خطأ فى المطبوع من الأغانى ، وإنما هو القُحَيْف العُقَيْلى . والقُحَيف العقيلى ، عدَّهُ أبن سلام فى الطبقة العاشرة . والعُجَير السلولى ، عدّه أبن سلام فى الخامسة . فهذا اختلافٌ شديدٌ مُبين . وقد مضى آنفاً فى رقم : ١٠ ، ورقم ١١ من كلام أبى الفرج نفسه ، ذكر هذه الطبقة الخامسة ، العجيرُ السلولىّ وأبو زبيد ، فلو أضفنا إليهما ما ذكره أبو الفرج هنا فى رقم : ١٣ ، لكان معهما عمر بن لجأ ، والقحيف العقيلى ، وابن ميادة فهؤلاء خمسةٌ ، وهذا باطلٌ ، فإنّ كل طبقة من الطبقات لم تزد قطُّ على أربعة

شعراء ، كما هو واقع فى الطبقات ، وكما قال ابن سلام نفسه فى صدر طبقات الجاهليين ، وصدر طبقات الإسلاميين .

وهذا خطأ لا تفسير له عندى ، إلاّ السهوُ الشديد من أبى الفرج ، أو اختلاط أوراقه التى راجعَ عليها أسماء الشعراء ، إذا صحّ أنه كان يتخذ لنفسه فهارس لمثل كتاب الطبقات ، كما افترضنا آنفاً ، فى التعليق على رقم : ٩ . وقد علق عليه فى الأغانى بعض من علّق فقال : « ولهذا لا يستبعَد أن يكون أبو الفرج قد أخطأ الرواية فى هذا النقل ، أو أنه روى ذلك مشافهة عن ابن سلام » . وأبو الفرج لم يروِ مشافهة عن ابن سلامٍ ، كما زعم المعلّق ! وفى تعليقه كلامٌ آخر غير مفهومٍ ، ثم قال : « أو أن أبا الفرج اطلع على نسخة أخرى من الطبقات ، دخلها النقص فيما بعدُ حتى وصلت إلينا كما هى الآن » . وهذا عندى فرضٌ لا يقومُ ، بعد الذى قلناه ، و بعد الذى وجدناهُ من صحة نقوله عن ابن سلام فى اثنى عشر موضعاً من كتابه .

* * *

بقى الموضعان اللذان ذكرهما يوسف هِلْ آنفاً فى (ص ١٤ ، ١٥) ، وهذا نصهما :

١ — فى ترجمة دُرَيْد بن الصِّمَّة (ج ١٠ : ٣ دار الكتب) : « وجعله ابن سلام أول شعراء الفُرْسان » .

٢ — فى ترجمة خُفاف بن نُدْبَة (ج ١٦ : ١٣٤ ساسى) : « وجعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة من الفرسان ، مع مالك بن نُوَيْرة ، ومع ابنى عَمِّه صَخْر ومُعاوية ابنى عمرو بن الشَّريد ، ومالك بن حِمَار الشَّمْخِىّ » .

وهذان النصّان هما اللذان حملا بروكلمان على الظنّ بأن ابن سلام قد ألف كتاباً

فى طبقات « فرسان الشعراء »[1] . وقد أصاب بروكلمان كل الإصابة . فإنّ أبن سلام قال فى صدر كتاب الطبقات (ص ٥) من طبعتنا هذه ، وهو ساقطٌ من المطبوعة الأوربية والمصرية ما نصه :

« ذكرنا العرب وأشعارَها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها ، وفُرْسانها ، وأشرافِها وأيَّامها ، إذ كانَ لا يُحاطُ بشعرْ قبيلةٍ واحدة من قبائل العرب ، وكذلك فُرْسانها وساداتها وأيامُها . فاقتصرنا من ذلك على مالا يجهَلُه عالمٌ ، ولا يستغنى عن علمه ناظِرٌ فى أمر العرب . فبدأنا بالشّعْر » .

ولما كان كتاب الطبقات ، كما قال هو فى الشعر والشعراء وحدهم ، على ما بيَّن بعدُ فى كتابه ، وقال إنه « بدأ بالشعر » ، فهذا وحده مُشْعِرٌ بأنّه سوف يتبع الشعر بالكلامِ على « فرسان العرب » ثم « أشراف العرب وساداتها » ، ثم « أيام العرب » . وقد وجدنا كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، وذكر أبن النديم كتاباً سماه « بيوتات العرب » ، فهذا فيما نعتقد ، هو الذى فيه ذكر « أشراف العرب وساداتها » . فجاء أبو الفرج ، فدلّنا دلالة قاطعة على كتاب آخر لأبن سلام هو « كتاب الفرسان » أو « كتاب فرسان الشعراء » . وابن النديم لم يستوعبْ كتب

---

(١) فى الأغانى مواضع أخر نقل فيها عن ابن سلام نقولا هى أحرى بأن تكون من كتاب الفرسان ، من ذلك ما جاء فى ترجمة عنترة (ج ٨ : ٢٤٦ دار الكتب) قوله : « أخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلام قال : كان عمرو بن معد يكرب يقول : ما أبالى مَنْ لقيتُ من فرسان العرب ، ما لَمْ يلقَنِي حُرَّاها وهَجيناها ! — يعنى بالحُرّين : عامر بن الطُّفَيْل ، وعُتَيْبة بن الحارث بن شهاب . وبالعبدين : عنترة ، والسليك بن السُّلَكة » . وانظر أيضاً الأغانى ١٤ : ٣١ ، ١٢٥ وغيرهما .

كلّ مؤلِّف ، ولا هو ادّعى ذلك . وهو خليق أن يكون سقط ذكره عنه ، كما سقط عنه ذكر كتاب ابن سلام « غريب القرآن » .

هذا ، وقد وجدت فيما رواه أبو الفرج بأسانيده عن ابن سلام أكثر من أربعين موضعاً ، يذكر فيها المغنّين ، ومواضع أخرى ذكر فيها بعض الشعراء كعمر بن أبى ربيعة ، ونابغة بنى شيبان ، و بشاراً ، وغيرهم ، كسكينة بنت الحسين ، وسُعْدَى بنت عبد الرحمن بن عوف ، والحارث بن خالد المخزومى ، وموسى شهوات ، فأخشى أن يكون لابن سلام كتاب أيضاً فى المغنّين ، أو تكون من الكتاب الذى ذكره ابن النديم فى الفهرست : « الفاصل فى ملح الأخبار[1] » .

* * *

وقد جمعت أيضاً كلّ أسانيد أبى الفرج إلى ابن سلام على اختلاف صورها التى ذكرها فى كتابه ، فبلغت عدّتها أربعة وخمسين إسناداً ، كنت أحبّ ذِكْرَها مفصَّلة بين يدى هذا الكتاب ، ولكنى رأيته طالَ وامتلأ واكتظَّ ! ! ولكنْ يهمنى أن أثبت منها ما يتصل بأمر كتابنا هذا . فمنها هذه الأسانيد بنصّها ، و إن اتّفق معناها .

١ — « ذكر محمد بن سلام فى « كتاب الطبقات » ، فيما أخبرنا به أبو خليفة » ، وذلك فى ترجمة سُوَيْد بن كُرَاع (ج ١١ : ١٢١ ساسى) ، ثم نقل بعده ما جاء فى الفقرة : ١٨٦ وما بعدها (ص ١٤٧) من نسختنا هذه . وقد صرّح فى هذا المكان بذكر « كتاب الطبقات » ، كما ترى .

٢ — « أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب ، مما أجاز لنا روايته عنه ، من حديثه وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلام » (ج ٥ : ١٢ دار الكتب) ، وذكر بعده ما جاء فى (ص : ١٠٥) من نسختنا هذه : أن النابغة الجعدى

---

(١) انظر ما مضى ص : ١٤ ، لعله « الفاضل » .

هاجى أوْس بن مَغْراء فغُلِّب عليه : « ولم يكن إليه فى الشعر ولا قريباً » وتصرّف فى النص كعادته فى مثله ، لأنه رواه عن غيره أيضاً ، ولم يتقيّد بنصّ ابن سلام .

٣ — « أخبرنى الفَضْل بن الحباب الجمحىّ أبو خليفة فى كتابه إلىّ ، بإجازته لى ، يذكر عن محمد بن سلام : أن الحطيئة كان ينتمى إلى بنى ذُهل بن ثعلبة فقال :

إنَّ اليَمَامَةَ خيرُ سَاكِنِها   أهلُ القُرَيَّةِ من بنى ذُهْلِ

قال : والقريّة : منازلُهُمْ . ولم ينبُتِ الحطيئةُ فى هؤلاء » . (الأغانى ج ٢ : ١٥٨ دار الكتب) .

وهذا الخبر كلّه فاتنى أن أُدْخِلَه فى مكانه من الطبقات ما بين رقم : ٩٣ — ١٠١ ، فأثبتُّه هنا بنصه .

٤ — « أخبرنا القاضى أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام » وقد ورد فى أماكن كثيرة منها : (ج ٨ : ٢٩٥ ، ٣٠٥ دار الكتب) نقلت الأول منها فى رقم ٦٢١ ، وأما الآخر ففى الطبقات رقم : ٦١٧ ، ٦٢٣ . و (ج ٩ : ٥ دار الكتب) ، وهو فى الطبقات رقم : ٦٦٣ — ٦٦٦ . و (ج ٩ : ٣٠٧) ، وهو فى الطبقات رقم : ٤٦٧ ، وغيرها كثير .

٥ — « أخبرنا الفَضْل بن الحُبَاب الجمحىّ أبو خليفة فى كتابه إلينا قال : أخبرنا محمد بن سلام » (ج ١٨ : ١٦٤ ساسى) والخبر بعد هو الذى فى الطبقات رقم : ٧٩٩ .

٦ — « أخبرنى الفضل بن الحباب أبو خليفة فى كتابه إلىّ قال : حدثنى محمد بن سلام » فى أماكن كثيرة .

٧ — « أخبرنى أبو خليفة فى كتابه الذى عن محمد بن سلام » (ج ١٨ : ١٢٥ ساسى) ، وهى خطأ لا شك فيه ، كما يدل على ذلك كل ما سلف وما سيأتى ، وصوابها : « فى كتابه إلىّ » .

٨ — « أخبرنى أبو خليفة فى كتابه عن محمد بن سلام » (ج ١٨ : ١٢٥ ، ٢١ : ١٦١ ساسى) .

٩ — « أخبرنى أبو خليفة فيما كتب به إلىّ عن محمد بن سلام » (ج ١١ : ٧٥ ساسى) .

١٠ — « كتب إلىّ أبو خليفة الفضل بن الحباب ، أخبرنا محمد بن سلام (ج ٢١ : ٢٨ ساسى) .

١١ — « كتب إلىّ أبو خليفة يذكر أن محمد بن سلام حدَّثه » (ج ١١ : ١٠٦ ساسى) .

١٢ — « أخبرنى الفضل بن الحباب أبو خليفة قال : محمد بن سلام » ، فى أماكن معدودة .

١٣ — « أخبرنى أبو خليفة قال حدثنا (أو عن) محمد بن سلام » ، وهو فى مواضع كثيرة جدًّا .

وهذه النصوص تدلّ دلالة واضحة على أن أبا خليفة كان قد كتب إلى أبى الفرج كلّ ما رواه عن ابن سلام ، لكتاب الطبقات ، الذى ذكره فى رقم : ١ ، وكتاب الفرسان ، وغيرهما . وأنه أجاز أبا الفرج بروايتها عنه . وأظنُّ أنّ هذه الكتب لم تصل إلى أبى الفرج ، إلا بعد إعدادِ كثيرٍ من مادّة كتابه « الأغانى » ، فإنه لم يذكر ابن سلام ولا طبقاته فى كثير ممن ترجم هو لهم ، ولهم فى الطبقات ذِكْر .

والذى لا شك فيه عندى أنّ أبا الفرج نقل نقلًا صحيحاً تامًّا فى أكثر ما رواه فى كتابه ، من كتاب « طبقات فحول الشعراء » لأبن سلام ، وأنّ إسناده من أبى خليفة إلى أبن سلام ، إنما هو إسنادهُ إلى كتاب الطبقات نفسه ، لا غيره ، فى أكثر المواضع التى بين أيدينا .

وقد تبيّن لى ، بعد مراجعة ما رواه أبو الفرج فى هذه المواضع وفى غيرها ، أنّ بعض ما رواه موجودٌ فى المطبوعة الأولى من الطبقات ، وبعضُه موجود فى نسختنا هذه . وممّا زادنى يقيناً بأن نقل أبى الفرج كانَ صحيحاً أن بعض الخَرْم الذى فى نسختى المخطوطة ، كنت أجدُ تمامه فى الأغانى . وخير مثل على ذلك ما جاء فى نسختنا رقم : ٦٩٥ ، فإنى وجدت صدر الخبر فى الأغانى ، مع أنه لم يرو الخبر كعادته بإسناده إلى أبن سلام . أما سائر الأخبار المسندة ، فإنى وجدتُ أكثرها مطابقاً لما جاء فى المطبوعة الأولى ، أو فى هذه المطبوعة .

ولما كانت المطبوعة الأولى ناقصةً أو مختصرة كما قلنا ، استبحتُ لنفسى أنْ أنقُل أخبارَ أبى الفرج التى أسندها عن أبى خليفة إلى أُبن سلّام ، فى مواضعها التى ظننتُ أنها أحقُّ بها . فعلتُ ذلك فى المواضع التى ضاع من مخطوطتنا ما يقابلُها .

وكذلك فعلتُ بالأخبار التى رواها المرزُبانىُّ فى الموشَّح عن إبراهيم بن شهاب[1]

---

(١) إبراهيم بن محمد بن شهاب ، أبو الطيب العطار ، كان أحد متكلمى المعتزلة ومصنفيهم ، ومن الفقهاء على مذهب العراقيين ، له كتاب « مجالس الفقهاء ومناظراتهم » ، روى عنه أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى ، صاحب كتاب « الموشح » ، وقال المرزبانى : « عاشرنى فى منزلى أربعين سنة ، أو أكثر منها ، معاشرة متصلة غير منقطعة . ومات فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ ، عن أربع وثمانين ، أو خمس وثمانين » .

(تاريخ بغداد ٦ : ١٦٧ ، الفهرست لابن النديم : ٢٤٧ ، لسان الميزان ١ : ٩٧) .

عن أبى خليفة عن ابن سلام . فإنى رأيتُ ما نقله المرزُبانىّ أيضاً مطابقاً لما فى النسخة المطبوعة ، أو النسخة المخطوطة فى أكثر رواياته . وهى كثيرة . وهناك أخبارٌ أخرى نقلتها عن أبى القاسم الزجاجىّ فى أماليه ، فى موضعين أو ثلاثة ، رأيتُ أنّها شبيهةٌ بأن تكون من كتاب ابن سلام . ولم أفْعلَ ذلك ولم أستبحه ، إلاّ بعد أن محّصتُ الأدلّة على صحة ما ذهبتُ إليه . ولولا أنّ الأمر قد يطول ، لذكرتُها واحدة واحدة ، حتى يطمئنّ القَلْبُ إلى صواب ما ذهبتُ إليه من فعل ذلك . وأرجو أن يُتاح لى فى الطبعة الثانية من الطبقات أنْ أفيضَ فى ذكر هذه الأدلّة ، بل أرجو أكبر من ذلك أن يأذنَ الله بظهور مخطوطة كاملة من الطبقات تؤيّد أكثر ما ذهبتُ إليه فى إثبات هذه الأخبار ، فى مواضع النقص والخرم التى وقعتْ فى المطبوعة الأولى . والله ولىّ التوفيق .

* * *

ويحسنُ بى أن أثبت فى هذا المكان ، القدرَ الذى عندى من الأمّ العتيقة ، وما يقابله من هذه المطبوعة ، وهذا هو :

من ص	:	٥	س	: ١	إلى ص	:	٢٩	س	: ١٠
»	»	٣٩	»	١١	»	»	٨٢	»	٣
»	»	١١٨	»	٤	»	»	١٧٠	»	١٣
»	»	١٧٥	»	٤	»	»	٢١٣	»	٢
»	»	٢٣٣	»	٤	»	»	٢٨٧	»	٩
»	»	٣٦٥	»	٨	»	»	٤١٠	»	٨
»	»	٤٧٥	»	٢	»	»	٤٩١	»	١٣
»	»	٥٠٥	»	١٠	»	»	٥١٠	»	٤

وقد كنت أحبُّ أن أثبت أيضاً فى هذا المكان كل ما نقلته من رواية أبى الفرج

فى أغانيه والمرزبانىّ فى الموشّح ، إلاّ أنى أراه يطول . ولكنى أنبّه إلى أنى كنتُ ، حين بدأت طبع الكتاب ومضيتُ فيه ، قد قدرتُ فى نفسى أن أجْعَل ذكر المراجع كلها فى آخر الكتاب ، وكنت ضممتُ إليها مراجعَ ما نقلته ووضعته بعد القوسين [ ] هذين من هذا المطبوع . ومضيتُ على ذلك إلى نحو ص ٢٠٠ ، ثم عدلتُ عن ذلك بمرَّةٍ واحدة ، لأن بعض إخوانى أشارَ علىّ ، فارتضيتُ ما أشار به . ثم وجدتُ الكتاب قد جاوز ما كنتُ أقدّر ، فلم أستطع أن ألحق هذه التعليقات بآخر الكتاب . وهى رهينة عندى إلى الطبعة الثانية إن شاء الله . وهذا عذرٌ أرجو أن يتقبَّله الباحث المتعقّب بالتغمُّد والمغفرة .

وقد آثرتُ أن لا أذكر فى المراجع إلاّ ما لا غِنى عَنْه ، وكرهت أنْ أحشدَ عند كل مكانٍ مراجع كثيرة لا ينتفع بها « قارئ الكتاب » انتفاعاً يذكر . وأمّا أهل العلم والتحقيق والتدقيق ، فهم أقدرُ منى على استيعاب ما يشاؤون من المراجع ، وهم لذلك فى غِنًى عن إدلالى عليهم بكثرة مراجعى وتنوّعها .

ومن أجل « قارئ الكتاب » وحدَه ، آثرتُ أيضاً أنْ لا أدعَ كلمةً من شعر أو غيره ، تحيّره إذا وَقَع عليها ، فحاولتُ أن أشرحَ له كل لفظٍ ، حتى يستغنى بما أمامه عن مراجعة المعاجم الكبيرة ، وهى عزيزة عليه فيما أعلم . وقد خالفتُ فى بعض شرحى للشعر ، بعضَ ما يذهبُ إليه أئمتنا رضوان الله عليهم فى تفسيره ، ولم أبيّن ذلك فى كل مكانٍ ، وكنت أرجو أن ألحق بآخر الكتاب باباً أذكر فيه ما خالفتُ فيه ، وما توقفتُ فيه ، وما رأيتُه من اللغة غير مثبتٍ فى المعاجم ، وما وقع لى من الاجتهادِ فى بعض ذلك ، ولكنى عدلت عن ذلك ، لأن « قارئ الكتاب » ليس محتاجاً إليه كبير حاجة ، وأمّا أهل العلم والتحقيق ، فأحسبهم قادرون على تمييزه ، وعلى استخراجه بالنظرةِ الخاطفة . ومع ذلك ، أرجو أن أفعل ذلك إن شاء الله فى الطبعة التالية .

* * *

بقى أمرٌ واحدٌ ، لا أجد مناصاً من الحديث عنه ، وهو : اسم الكتاب . فإن ابن النديم ذكره فى ترجمة ابن سلام ، كما مضى آنفاً (ص : ١٤) باسم : « طبقات الشعراء الجاهليين » ، « طبقات الشعراء الإسلاميين » ، كتاب واحد . وذكر فى أكثر الكتب والتراجم باسم « طبقات الشعراء » ، فعدلت أنا عنهما إلى اسم : « طبقات فحول الشعراء » لأسباب :

أوّلها : أن اسم « طبقات الشعراء » ، لا يطابق موضوع كتاب ابن سلام كل المطابقة ، فإنّه لم يستوفِ فيه ذكر « الشعراء » ، بل اختار مِنْهم عدداً معلوماً : أربعين شاعراً فى طبقات الشعراء الجاهليين ، وأربعين شاعراً فى طبقات الشعراء الإسلاميين ، وأربعة شعراء فى طبقة أصحاب المراثى ، واثنين وعشرين شاعراً فى طبقة شعراء القرى العربية ، وثمانية فى طبقة شعراء يهود . فهم جميعاً ١١٤ شاعراً وحسب. والذى أغفله من كبار الشعراء أضعاف ما ذكر . وإذن فاسم « طبقات الشعراء » ثوبٌ فضفاضٌ لا يطابق ما فى كتابه .

ثانيها : أنى رأيت ابن سلّام نَفْسه قد أَوْجَدَنا اللفظ المطابق لمعنى ما أراد فى كتابه ، إذ قال فى (ص : ٢٢) : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً . . . » ، وهذه كلمةٌ دالّة ، وهى مطابقة لما فعل ، فإنّه وازن بين الشعراء ، « فألف من تشابه شعره منهم إلى نظرائه » (ص : ٢٢) ، ونزّلهم منازلهم ، ثم اقتصر « بعد الفَحْص والنَّظَر والرِّواية عمن مَضَى من أهل العلم ، إلى رَهْطٍ أربعةٍ ، على أنهم أشعرُ العرب طَبَقَةً » (ص : ٤٢) . فرأيت أنّ تسمية الكتاب باسم « طبقات فحول الشعراء » أولى وأدلّ من تسميته « طبقات الشعراء » .

ثالثها : أنّى رأيت أبا الفرج الأصفهانى ، قد أوجدَنا هذه الكلمة فى موضعين من كتابه أحدهما فى ترجمة المخبل السعدى (ج ١٢ : ٣٨ ساسى) إذ يقول : « وذكره أبن سلام فى الطبقة الخامسة من فُحُول الشعراء » ، والآخر فى ترجمة عَبِيد بن الأبرص (١٩ : ٨٤ ساسى) إذ يقول : « وجعله أبن سلام فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية » . فهاتان وكلمة أبن سلّام ، تدُلّ جميعاً على كتاب أبن سلام دلالة أحسن من دلالة « طبقات الشعراء » .

وآخرها : أنى رأيتُ على نُسْختى التى نقلتها بيَدى هذا العنوان : « طبقات فحول الشعراء » ، فلستُ أدرى بعد هذا الزمن الطويل : أكانت هذه الكلمة فى الأمّ العتيقة ، ثم نقلتها كما هى ، أم ترَانى كتبتُها من عندى ؟ وأنا أرجّح الأول ، لأنى كنت يومئذ صغيراً لم أتجاوز السابعة عشرة من عمرى ، ولأنى كنتُ يومئذ فى أوّل الطَّلَبِ ، وأجهَلَ من أن أنظُرَ نظراً صحيحاً فى مثل هذا الأمر الدقيق ، المحتاج إلى التمييز والبصر .

فمن أجل هذا ، لم أتردّدْ فى جعل أسم الكتاب « طبقات فحول الشعراء » ، فإنْ كانَ هو الأسم القديم الذى سمّى به أبن سلّام كتابه ، فذاك ، وإلاّ فإنى أراه بعد ذلك كلّه أولى بأن يكون أسماً للكتاب ، دون الأسم الذى عُرِف به . وأستغفر الله إن كنت قد أسأتُ .

* * *

وكنت أحبُّ أن لا أختم هذه المقدمة التى طالت ، فيما أظن ، طولا يُمِلُّ من لا يَمَلّ ، حتى أستوفى الكلامَ على صنيع أبن سلَّام فى كتابه ، من فحص ونَظَرٍ ورواية عمّن مضى من أهل العلم ، ومن تنزيله الشعراء فى منازلهم ، ومن احتجاجه لكل شاعرٍ وجد له حُجَّة وما قال فيه العلماء ، ومن رأيه فى تَعادُل أهل كل طبقة

وتكافئهم . وأستخرج خصائص تأليفه ، وسِمات بيانه عن أغراضِه ، وأين يوجد مِيسَمُه الذى تركَهُ على كتابه ؟ بيد أنى رأيتُ أنّ ذلكَ يحتاجُ إلى تفصيلٍ كثير ، ونقلٍ من كتابه أبلغ من التفصيل ، و بيانٍ عن ذلك كله أرْغَبَ وأوسعَ من التفصيل والنقل ، فطرَحتُ ذلك لما فيه المشقّةِ علىّ ، وعلى القارئ ، وعلى جيب القارئ ، وعلى المطبعة ، وعلى قدّ الكتاب ! وعَسَى أن يكونَ شَرْحِى للكتاب كلّه ، حافزاً لطالبِ العِلْم على أن ينوب عنّى فى دراسة الكتاب دراسة تمحيصٍ وتَفْلِيَة وفقهٍ لأُصول أبن سلّام ، ولأسُسِه التى بنَى عليها نقده للشعر . وهو خليقٌ بأن ينالَ هذه المنزلة ، فإنه أقدم كتاب وصلَ إلينا من كتب قدماء نقّاد الأَدَب والشِّعْر ، بل لعلّه طليعَةُ كتب النَّقْد فى الأدب العربىّ ، ومع ذلك فلم ينل هذا الكتابُ ما تُوجبُ له جلالة قدره وسموُّ منزلته ، من أهتمامٍ ودراسة .

وحَسْبى الآن أنْ أخرج من هذا الكتاب كلّه لا علىَّ ولا لِى ، فإن كنت قد أسأتُ فى شىء ، فأرجو أن يتغمّدَه بالعفوِ ما بذلتُ فيه من جُهْدٍ . و إن كنت قد أحسنتُ ، فإنى أعلمُ من تقصيرى وعجزى ما يَمْحو كلّ إحسانٍ . وأسألُ الله أن يجعل الكتاب نافعاً لطالب العِلْم ، معيناً له على طلبه ، مستحثّاً له على التزوّدِ منْه .

« ربَّنَا اغفِرْ لنا ولإخْوَانِنَا الذين سَبَقُونَا بالإيمَانِ ولا تَجْعَلْ فى قلوبِنَا غِلاًّ لِلّذينَ آمنوا ، ربَّنَا إنّكَ رءوفٌ رَحِيم » .

محمود محمد شاكر

تذكرة : إذا رأى بعض أهل العلم رأياً فى شىء مما ذكرت ، أو نقداً لما قلت أو فعلتُ ، فنشره فى صحيفة أو مجلة ، أو أحبّ أن يجعله فى رسالة خاصة ، فأرجو أن يرسله إلىّ بعنوانى : « مصر الجديدة ، شارع السباق ٤٧ » ، أو إلى « مجلة الكتاب » ، وله منى أجزل الشكر .